موسوعة

سليم حسن

مصر القديمة

الجزء الرابع عشر

الإسكندر الأكبر وبداية عهد البطالمة في مصر



2001

مهرجان القراءة للجميع



موسوعة مصر القديمة

الجـزء الرابع عشر

الجزء الرابع عشر

صورة الغلاف

قناع الملك توت عنخ آمون

لقطة جانبية لقناع توت عنخ آمون الجنائزى، وهو من الذهب الخالص، وكان يغطى رأس مومياء الملك وهو من الدقة بمكان، وبه من التجريد والجمال ما يفوق الخيال، ولم يكن القناع يمثل سوى منظر الملك فى حد ذاته، وهو تحفة فنية نادرة خالدة على مر العصور بالمتحف المصرى.

محمود الهندى

موسوعة مصر القديمة

الجزء الرابع عشر

الإسكندر الأكبر وبداية عهد البطالمة فى مصر

سليم حسن



مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠١

مكتبة الأسـرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(موسوعة مصر القديمة)

موسوعة مصر القديمة

الجـــزء الرابـع عشر

سـليم حســـن

الغـلاف

والإشراف الفنى:

الفنـان : محمود الهندى

المشرف العام :

د . سـمير سرحـان

الجهات المشاركة :

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقـافـة

وزارة الإعـلام

وزارة التربية والتعليم

وزارة الإدارة المحلية

وزارة الشـباب

التنفيذ : هيئة الكتاب

والمجموعة الثقافية المصرية

على سبيل التقديم :

كان الكتاب وسيظل حلم كل راغب فى المعرفة واقتناؤه غاية كل متشوق للثقافة مدرك لأهميتها فى تشكيل الوجدان والروح والفكر، هكذا كان حلم صاحبة فكرة القراءة للجميع ووليدها «مكتبة الأسرة» السيدة سوزان مبارك التى لم تبخل بوقت أو جهد فى سبيل إثراء الحياة الثقافية والاجتماعية لمواطنيها.. جاهدت وقادت حملة تنوير جديدة واستطاعت أن توفر لشباب مصر كتاباً جاداً وبسعر فى متناول الجميع ليشبع نهمه للمعرفة دون عناء مادى وعلى مدى السنوات السبع الماضية نجحت مكتبة الأسرة أن تتربع فى صدارة البيت المصرى بثراء إصداراتها المعرفية المتنوعة فى مختلف فروع المعرفة الإنسانية.. وهناك الآن أكثر من ٢٠٠٠ عنواناً وما يربو على الأربعين مليون نسخة كتاب بين أيادى أفراد الأسرة المصرية أطفالاً وشباباً وشيوخاً تتوجها موسوعة «مصر القديمة» للعالم الأثرى الكبير سليم حسن (١٨ جزء). وتنضم إليها هذا العام موسوعة «قصة الحضارة» فى (٢٠ جزء).. مع السلاسل المعتادة لمكتبة الأسرة لترفع وتوسع من موقع الكتاب فى البيت المصرى تنهل منه الأسرة المصرية زاداً ثقافياً باقياً على مر الزمن وسلاحاً فى عصر المعلومات.

د. سمير سرحان

تمهيد

دخلت أرض الكنانة فى طور جديد من أطوار حياتها الطويلة عندما فتحها الاسكندر وحكمها بعده ملوك البطالمة الذين دام ملكهم بالاضافة الى ملك الاسكندر ثلاثة قرون كاملة (٣٣٢ — ٣١ ق.م.) ؛ غير أن عهد هؤلاء الملوك لم يؤثر فى حالة أهل البلاد التـأثير الذى ظن بعض المؤرخين أنه كان عظيما عميقا لدرجة كبيرة . والواقع أنه من أعجب الظواهر التى تلفت النظر وتنبه الفكر فى تاريخ أرض الـكنانة منذ فجر تاريخ حضارتها حتى يومنا هذا ان الأمم التى حاولت استيطان أرضها سواء أكان ذلك بالغزو أم بالهجرة ، لم تصل واحدة منها الى انتزاع شخصيتها أو تؤثر على سكانها بصورة محسة تمكن المؤرخ المدقق الواسع الاطلاع على ماضيها أن يلمسه أو يحسه بصورة جلية ، لا لبس فيها ولا ابهام . وهذه الحالة قد بقيت على مر الأيام وتعاقب الأجيال الى أن جاء الفتح الاسلامى فكان أثره ظاهرا بعض الشىء فى تغير حياة الشعب المصرى من حيث اللغة والدين ، ومع ذلك فأنا نجد أن بعض المعتقدات الدينية والعادات المصرية القديمة قد أثرت بدورها فى المعتقدات الاسلامية فصبغتها بالصبغة المصرية القديمة . ولولا قوة تأثير القرآن وهو شريعة الاسلام وحافظ اللغة التى أنزل بها لظلت مصر على ما كانت عليه من تقاليد ومعتقدات متوارثة الى يومنا هذا . ولعمر الحق فان معظم العادات والتقاليد المصرية القديمة التى تضرب باعراقها الى عهود ما قبل الأسرات ، لا يزال بعضها باقيا يتوارثه الأبناء عن الآباء جيلا بعد جيـل ، وذلك على الرغم من محاربتهـا بشتى الطرق والامكانيات ، وعلى الرغم من تسـلط المدنية الحديثة وانتشارها فى أرجاء البلاد . ومن أجـل ذلك نجد أنه مما يلفت النظر بصورة واضحة جلية أن أولئك الذين يتصفحون تاريخ مصر فى

عهد البطالمة دون أن يكون لهم دراية تامة بماضى تاريخ مصر قبل هذه الفترة يرون أن كل شىء قد تغير منذ فتح الاسكندر لمصر وحكم البطالمة ومن بعدهم الرومان فالعرب ، فيرى القارىء العادى أن مصر كانت تنتقل من مرحلة لمرحلة أخرى من مراحل تاريخها وأنه قد أصبح فى بيئة أخرى غير التى كان يعيش فيها قدماء المصريين . والواقع أن مثل هذا القارىء يعد واهما فى زعمه ، خاطئا فى حكمه بعيدا عن الحقيقة كل البعد. حقا نجد تغيرا فى أحوال البلاد عند الانتقال من يد حكومة الى أخرى ، ولكنه كان تغيرا

سطحيا لا يمس جوهر كنه البلاد وطبائع أهلها . وأظهر ما يكون هذا التغير عادة فى مسميات المؤسسات والبلدان وذلك تمشيا مع الأحوال السياسية والدينية والاجتماعية فقد تجد تبعا لميول الحكام ان اسم البلدة الواحدة قد تغير مرات عدة ، ولكن سكانها وما فطروا عليه من عادات وأخلاق ولغة قد ظلوا على ما كانوا عليه منذ فجر التاريخ ، ولنضرب لذلك مثلا بمدينة الفيوم فقد تسمت بأسماء مختلفة فى خلال العهد المصرى القديم والعهد المتأخر تمشيا مع ميول الحكام ورغباتهم وسياستهم . وكما حدث تغير فى أسماء البلدان نجد كذلك تغيرا فى مسائل الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية فقد اختفى بعضها وحل محلها غيرها . ومن ثم نرى أن القوى التى كانت تسيطر على تطور المجتمع على حسب مقتضيات الأحوال عامة تندمج فى عناصر جديدة وتلبس ثوبا قشيبا يتناسب مع مجرى الأمور . مثال ذلك أننا نشاهد أنه بعد دخول الاسكندر الأكبر البلاد المصرية والسيطرة عليها بأعوانه وحكومته الجديدة قد اختفى من البلاد عنصر طبقة الاشراف وهم عظماء رجال الاقطاع الذين كان فى قبضتهم معظم الثروة فى البلاد فى عهد الفراعنة ، والمطلع على تاريخ مصر القديمة يعلم تمام العلم مما جاء فى تراجم هؤلاء الاشراف أنهم كانوا يلعبون الدور الأول فى بناء المجتمع المصرى فى معظم فترات التاريخ الفرعونى منذ نهاية الدولة القديمة .

وعلى أية حال نجد بعد فتح الاسكندر لمصر أن طبقة الاشراف وحكام المقاطعات قد أخرس لسانهم واختفوا عن الأنظار مدة الى أن سنحت لهم الفرصة فظهروا ثانية لمدة وهكذا دواليك . والآن يتساءل المرء بعد هذه الايضاحات التى أوردناها هنا . أحقا أن كل شيء قد تغير فى مصر على أثر دخول الاسكندروأتباعه ؟ وهل فقدت مثلاالمعابدالمصرية سلطانها ونفوذهاعلى أهل البلاد ، وبخاصة عندما نعلم أن هذا النفوذ كان أمضى سلاح فى يد الكهنة المصريين فى كل عصور التاريخ المصرى القديم ؟ والواقع على أية حال أن كل ما نفهمه مما لدينا من وثائق اغريقيــة ان عامة الشعب المصرى كان يؤلف كتلة نكرة من البشر ليس لديهم ما يميزهم وذلك على حسب ما تركه الاغريق الأقدمون فى كتاباتهم أو فى ما كشف عنه من أوراق بردية الى أن كشف عن سجلات «زينون» منذ زمن قريب ، فقدمت لنا صفحة جديدة منقطعة القرين بالنسبة لحالة الشعب المصرى وبخاصة الطبقة الدنيا منه وعلاقتها بالحكام الاغريق كما سنفصل القول فى ذلك فى مكانه .

وعلى أية حال فانه مع كل مالدينا من معلومات تاريخية مماكتبه الاقدمون وما استنبط من أوراق البردى عن الفترة التىتلت فتح الاسكندر تعتبر الى حد ما غامضة لدرجة أن الباحث قد أصبح فى مقدوره أن يتعرف على الكثير من أحوال المصريين الذين عاشوا فى القرن الخامس قبل الميلاد مما كتبه هردوت وغيره ممن زاروا مصر فى هذه الفترة واتصلوا بأهلها ، أكثر مما فى استطاعته أن يعرفه عن أرض الكنانة من أولئك الكتاب الذين عاشوا فى أواخر القرن الرابع والقرن الثالث قبل الميلاد ، وذلك على الرغم من أن الوثائق التى جادت بها تربة مصر خاصة بهذا العهد الأخير كثيرة العدد ومما يدهش الباحث أن المؤرخ «ديدور الصقلى» قد نقل لنا عن غيره الكثير مما هو ثمين أو غث من تاريخ العهد الفرعونى ؛ غير أنه بكل أسف لم يذكر لنا شيئا له قيمة على وجه التقريب عن مؤلفى عصره أى عصر البطالمة فى مصر

بوجه عام . والمفهوم اذا أنه منذ بداية القرن الثالث قبل الميلاد كان رجال الاحتلال الاغريقى وغيرهم فى مصر لا يكتبون ولا يفكرون الا بالاغريقية. ومن ثم نجد أن طبقات الشعب من فلاحين وصناع وتجار لم يعرف لهم تاريخ قائم بذاته فى هذا العهد بالذات . ومن أجل ذلك تفرض المصـادر التى فى متناولنا عن تاريخ الشعب المصرى الأصيل على المؤرخ الذى يريد أن يكتب عن شعب مصر فى عهد البطالمة ، أن يلقى بقلمه ويفسح المجال لمن يريدالكتابة فى‌هذه الفترة من تاريخ البلاد لمؤرخ غيره متخصص فى العصرالهيلانستيكى والواقع أن تغيير المؤلف يكاد يزيد فى حقيقة وجهة النظر التى يحتمها هذا التغير المفاجىء فى طبيعة المصـــادر التى بين أيدينا عن تاريخ مصر . فمما لا جدال فيه أن المؤرخين الذين كتبوا عن مصر فى هذه الفترة قد ميزوا بين مراحل الحياة فى الديار المصرية التى امتازت بالانقلابات العجيبة ؛ غير أن هؤ ـء المؤرخين لم يروا حقيقة الأمر قط بعين فاحصة بما فيه الكفاية للوصول الى كنه هذه الانقلابات التى لاتلبث أن تتكشف للمؤرخ المدقق بأنهاليست الا خدعة أو سرابا خلابا لا يرتكز على حقـائق عميقة تضرب بأصولها فى صميم تاريخ أرض الكنانة . وقد كتب فى هـذا الموضوع بعض المؤرخين فأصروا فى بحوثهم علىأن نظم الحكم الادارى فى عهد البطالمة قد اسـتمر بحالة واحدة حتى العهد الرومانى . ولكن نرى لزاما علينا أن نلفت النظر هنا أن المؤرخ اذا حاول أن يكتب تاريخ أية بلاد محتلة بلغة القوم المحتلين، وتجاهل ما كتب عن تلك البلاد بلغتها الأصلية فأنه لا محالة يضـل السبيل وبذلك ينتقل فى كتابة تاريخ هذه البلاد من مرحلة الى الاخرى دونأن‌يصل الى الحقائق الجوهرية التى تنطوى عليها أحوال أهل هذه البلاد ؛ وبذلك يكون ما كتبه هذا المؤرخ لايمس كنه أحوال هذه البلاد من حيث الاجتماع والدين والأخلاق ، والثقافة الوطنية .

هذا وقد دلت كل البحوث العميقة على أن المدنية المصرية على الرغم من تعاقب الفاتحين والمحتلين لها كانت سلسلة مستمرة الحلقات لم يعتورها تغير جوهرى ، ومن ثم يمكن التعرف عليها وتصورها فى خطوطها العريضة ، وان كانت تفاصيلها بكل أسف مجهولة لدينا كلية . وعلى أية حال يخيل للفرد الذى لا يعرف تاريخ مصر القديمة معرفة اكيدة قبل عهد الاسكندر ، ان تلك البلاد كانت تعيش تحت الأرض منذ ان دخلها الاسكندر فاتحا ، لدرجة أنه أصبح من الصعب الكشف عن أصول هذه المدنية القديمة ، وبخاصة عندما نعلم أنه حتى فى اللغة الديموطيقية التى كان يتحدث بها الشعب المصرى وقتئذ لم يكن فى امكان الباحثين أن يصلوا فى بحوثهم الى أصل كل المسيحيات التى نقرؤها الآن فى اللغة القبطية التى حلت محلها لامتزاج الواحدة بالأخرى ، وعلى أية حال فان هذا المظهر الخداع لا يمكن ان يكون عائقا فى ان مصر كانت مستمرة فى مصريتها وانه لا ينبغى ان تنقطع اسبابها عن أصولها بسبب هذه التغيرات السطحية التى طرات عليها دون أن تمس جوهرها .. والواقع انه لدينا أدلة وحجج كثيرة قوية متينة تبرهن على انه لم يطرأ اى طارىء سياسى هدم مدنية البلاد الأصلية بدخول الاغريق فاتحين وبذلك غيرها تغييرا اساسيا عميقا . وآية ذلك ان التطور المحتوم الذى كان لا بد من حدوثه فى المدنية المصرية تحت ظل النفوذ الاغريقى كان يسير أحيانا حثيثا وأحيانا أخرى على مهل ، وذلك على حسب ما كان لهؤلاء الغزاة الجدد من سيادة وسلطان تبعا لمتلكاتهم فنجد ان هذه المدنية لم يعترضها عائق كما انها لم تتوقف عن سيرها الطبيعى الخاص بها ، ومن ثم نجد ان الحقوق الشخصية قد دخلت فى بداية العهد الساوى فى طور تكوين الشخصية الفردية وهو الطور الثالث فى التاريخ الذى خطه الانسان لنفسه بكفاحه فى سبيل تطوره منذ نهاية عصر ما قبل الأسرات فى مصر . وعلى أية حال فان هذا التطور لم

يكتمل فى مصر الا بعد ان دخل العرب واستتب حكمهم فى وادى النيل

وربما كان من الأمور المصطنعة المتكلفة ان نضع خطا فاصلا أو علامة بارزة لتمييز دخول الاغريق مصر . والواقع ان الاحداث التاريخية لاتوحى بذلك فانتصار الرومان فى موقعة اكتيوم عام ٣١ ق.م. وسياسة أباطرة الرومان القوية قد أوقفت تقدم التطور اللامركزى الذى وضعه أحد ملوك البطالمة فى القرن الثانى قبل الميلاد . ولكن الرومان فى خلال حكمهم للبلاد المصرية لم يتعمقوا فى تغيير نظم القوى الاجتماعية مما أدى بعد مضى ثلاثة قرون على حكمهم الى رجوع ا لبلاد الى نظام الحكم الاقطاعى . وهكذا نرى فى نظام السياسة الخارجية ان اشتراك مصر فى مجتمع دول البحر الأبيض المتوسط . وهو بلا نزاع كان يعد أعظم نتيجة محسة لفتوح الأسكندر ــ كان يعتبر فعلا مع عدة تغيرات وقعت الغرض الذى كان يرمى اليه أواخر فراعنة مصر الوطنيين وهو قيام دولة مصرية صاحبة سيادة. ولكن اذا كان أباطرة الرومان قد وضعوا حدا لسياسة التوازن الدولى المخزية التى ابتدعها قواد الاسكندر الذين خلفوه فى حكم الامبراطورية ــ لانه كان امرا لا مناص منه اذ كانت قد اصبحت سياسة عديمة الجدوى فى امبراطوريتهم ــ فان ضعفهم المالى من جهة أخرى قد امتص دماء المصريين على غرار ما كان يفعله البطالمة ، وذلك لما كان لهم من سيطرة تامة على العالم المتمدين . وقد كان هذا الضغط المالى مستمرا فى مدة حكمهم . ومع كل ذلك لم نجد من جهة أخرى أى تغيير فى السير قدما فى بناء المعابد الضخمة فى انحاء القطر المصرى كما انه لم يحدث اى تغيير فى اسلوب حياة الشعب المصرى الأصيل ينبىء بحلول العهد الاغريقى، بل تدل كل شواهد الأحوال على ان البطالمة قد خلفوا تقطانب الثانى فى حكم مصر دون ان يحدثوا أى تصادم مع الأهلين ، وبعد ذلك حل الرومان محل الاغريق وحالة الشعب المصرى كما هى لم تتغير فنجد فى كلا الحالتين مثلا ان الكتبه الذين

كانوا فى خدمة المعابد لا يزالون متشبعين بنفس روح التعاليم التى ورثوها عن اجدادهم منذ عهد «مينا» عام ٣٢٠ ق.م. وكذلك نرى ان الحياة بين المصريين انفسهم رتيبة لا تغير فيها قط .

وقبل ان نشرع فى ترتيب الخيوط التى فى متناولنا خاصة بحياة الشعب المصرى وهى التىستقودنا وترشدنا خلالعهد المدنية الهيلانسنيكية فى مصر منذ نهاية العهد الفرعونى حتىنهاية العهد الرومانى ، وذلك بما نعلمه من تقاليد سياسية عن الحياة المصرية التى ظلت ثابتة لم يصبها أى تغير ، يجدر بنا أن نقف متسائلين أولا : كيف حدث أن قوما قد استمروا يمارسون حياتهم القومية فى ظل قانونهم الخاص بهم ويقيمون معابدهم على حسب قواعدهم وعاداتهم وتقاليدهم ـ ظلوا قادرين بعد مرور نحو من ألف سنة تحت ظل الحكم الاغريقى الرومانى على المحافظة على مدنيتهم القومية؟ والواقع ان الباحثين فى تاريخ مصر لم يقدموا لنا جوابا شافيا على هذا السؤال اللهم الا عناصر قليلة جدا لا تشفى غلة . وعلى الرغم من تتبع المؤرخين هذا الموضوع بكل دقة وعلى الرغم من وجود نقص بين فىالمصادر التى فى متناولنا عن حياة المصريين الأصليين فى العهد الهيلانستيكى فانه لابد من وجود تفسير شاف لهذه المسألة من صميم حياة المصريين انفسهم وما يحيط بها من مظاهر خاصة تميزهم .

وأول ما يجب ملاحظته فى تبرير قلة المعلومات التى كانت لدى المؤرخين القدامى الذين كتبوا فى تاريخ ارض الكنانة فى عهد البطالمة هو ان مصر لميكن لديها أداة ايضاحصالحة تهيىء لها مخاطبة العالم خارجحدودها مباشرة والسبب فى ذلك يرجع الى ان الكتابة المصرية القديمة وبخاصة اللغة الديموطيقية لم تكن بالبساطة التى تسمح لها ان تكون لغة عالمية . ومن ثم نرى انه على الرغم من ان كثيرا من الاراء المصرية وبخاصة الدينية بالاضافة الى المؤسسات العدة التى كان لها علاقة بالاوامر الملكية التى كان لها مكانة

فى العالم ، فانها لم تصل الينا فى صورتها الاصلية التى دونت بها قط . ومن ثم نجد أن مصير المدنية المصرية كان متوقعا على عدم كفاية اللغة المصرية فى أن تفهم دون ترجمان . وقد يرجع السبب فى ذلك الى الصورة المغلقة التى امتازت بها لغة مصر وكتابتها . ومما لا جدال فيه انه لو كان الاصلاح الذى ادخل على الكتابة القبطية قد تم قبل التاريخ الذى حدث فيه بنحو ستمائة سنة لكان لصوت الفكر المصرى رنين أكبر وانتشار أعظم وعمر أطول مما وصل اليه ، ولكن مما يلفت النظر هنا ان مصر كانت على جانب عظيم من المدنية بالنسبة لما يحيطها من الممالك الأخرى فى هذه العصور يضاف الى ذلك ان اهلها كانوا يعرفون اكثر مما يجب عن ماضى بلادهم بالنسبة لغيرهم من الأمم ومن ثم حافظوا على قديمهم كعادتهم اعتزازا بقوميتهم وبذلك بقوا فى معزل عن العالم

واذا كان صمت مصر منذ القدم سببه الى حد كبير صعوبة لغتها فان هذه الحقيقة نفسها هى التى حدت فى أيامنا التى نعيش فيها الآن الى دفن حضارتها حتى كادت تكون فى عالم النسيان فيما يخص العهدين الاغريقى والرومانى .

وعندما نقول ان موضوع تاريخ مصر فى هذه الفترة لا يمثل تاريخ الشعب المصرى فى المدة التى رسخت فيها أقدام الاغريق والمقدونيين فى وادى النيل ، فان ذلك يرجع سببه الى أن المصادر التى فى متناول المؤرخ لا تتكلم قط عن الشعب المصرى العريق فى القدم ، بل يرجع الى ان المؤرخين ليس بين أيديهم الا عدد قليل من الوثائق المصرية البحتة تقدم لهم معلومات عن حياة هذا الشعب وحضارته . وتفسير ذلك ان المصادر التى فى متناولنا تنحصر فى الأوراق الديموطيقية وهى كثيرة العدد وان كانت تتضاءل فى عددها بالنسبة للأوراق الاغريقية التى كشف عنها فى هذه الفترة . وعلى ذلك فان المعضلة الكبرى فى عدم الوصول الى درس تاريخ مصر هو النقص

الفاحش فى مصر فى عدد العلماء الذين فى استطاعتهم الآن حل رموز اللغة الديموطيقية وهى التى كانت تعتبر لغة الشعب المصرى وقتئذ . وقد كانت اللغة الديموطيقية لغة الشعب كما يدل على ذلك اسمها ، كما كانت اللغة الهيروغليفية هى ، اللغة المقدسة التى كانت تستعمل بوجه خاص فى نقوش المعابد واللوحات التذكارية والكتب المقدسة والصلوات . وبعبارة أخرى كانت اللغة المصرية القديمة تقابل عندنا اللغة العربية الفصحى واللغة الديموطيقية تقابل اللغة العامية ، ومما لا جدال فيه ان حل رموز اللغة الديموطيقية (لغة الشعب) يعد فى عصرنا الحالى من أعقد الأمور وأصعبها عند علماء الآثار المصرية . ومن أجل ذلك لم يصل الينا مترجما من وثائقها حتى الآن مما كشف عنه فى تربة أرض الكنانة الا عدد محدود جدا وذلك كما قلنا لصعوبة حل رموزها وقلة المشتغلين بها فى مصر بوجه خاص . فقد يحدث غالبا أثناء عمليات الحفر التى يكشف فيها عن أوراق بردى اغريقية وأخرى ديموطيقية فى وقت واحد فيتخطف العلماء الأوراق الاغريقيةويحلون رموزها ويعلقون على محتوياتها باسرع ما يمكن وذلك لسهولة حلها ، فى حين ان الأوراق الديموطيقية التى كشف عنها فى نفس الحفائر توضع جانبا وتبقى منبوذة فى زوايا النسيان وذلك لأنه ليس هناك من يحل رموزها ويقف على أسرار محتوياتها

وهكذا نجد أنه قد مر ما يقرب من مائة سنة على طبع أول بردية اغريقية من اوراق «سربيوم منف» فى حين انه كان علينا ان ننتظر بعد ذلك حتى عام ١٩٤١ حتى نظهر ترجمة بعض الوثائق الديموطيقية من هذا الكنز العلمى العظيم ، اذ الواقع اننا عرفنا من هذه الأوراق شيئا كثيرا عن الحياة المصرية البحته لا الحياة الهيلانستيكية فى السربيوم ، يضاف الى ذلك أنه توجد بالمتحف البريطانى اوراق ديموطيقية اشتريت فى مصر عام ١٨٤٣ وظلت فى مستودعاتها لم تترجم بعد . والحقيقة هى اننا لو استثنينا بعض

المتون الديموطيقية التى قام بفحصها وحل رموزها الرعيل الأول من الاثريين الذين وهبوا حياتهم لدرس اللغة المصرية واثارها امثال بركش وجرفت وريخ وسبيجلبرج وهربرت تومسون فانه كان لزاما علينا أن ننتظر بعدهم حتى عام ١٩٣٩ ميلادية لنرى أول مؤلف علمى جمع تراجم عدة أوراق ديموطيقية من الطراز الأول وضعه العالم الانجليزى جلانفيل ، ومتون هذا المؤلف محفوظة بالمتحف البريطانى . ولحسن الحظ نجد نهضة جديدة فى دراسة هذه اللغة وحل نصوصها مما يزيد الأمل فى كشف النقاب عن اسرار تاريخ المصريين فى عهد البطالمة بوجه خاص من بين هؤلاء العلماء المشتغلين بالديموطيقية بصورة جدية فى عصرنا الحالى الاثرى ادجرتون الذى حل كثيرا من النصوص وكذلك الأثرى زيدل الذى أخذ فى جمع كل النصوص القانونية فى خلال العهد البطلمى وقد ظهر المجلد الأول من أعماله . ولكن مما يؤسف له جدالأسف أنه فى حفائر «تونه الجبل» التى بدأت منذ عام ١٩٣٠ قد عثر على عدد من البرديات الديموطيقية ونخص بالذكر من بينها بردية عن القانون المصرى الأهلى غير انها لم تنشر بعد على الرغم من انه قد مضى أكثر من ربع قرن على الكشف عنها وليس هناك أمل كبير فى الفراغ من حل رموزها لأسباب مادية وأنا نأمل أن ننصف هذه البردية ويفك عقالها باغداق المال على المشتغل بحلها اذا كان المال هو السبب الحقيقى فى تأخر ظهورها ومن كل ما سبق نرى ان صعوبة حل الرموز الديموطيقية وقلة عدد المشتغلين بهذه اللغة قد اصبح من أخطر العقبات التى تحول بيننا وبين الوصول الى معرفة تاريخ الشعب المصرى فى عهد البطالمة بوجه خاص . ومن ثم نرى مما سبق أن تاريخ الشعب المصرى قد ظل مجهولا للعالم بصورة بينة اذا ما قرن بما نعرفه عن تاريخ مصر الهيلانستيكية . ولا غرابة فى ذلك فقد أصبح فى أيدى لباحثين فى تاريخ مصر الهيلانستيكية أكثر من ثلاثين ألف بردية أغريقية خاصة بتاريخ الاغريق فى الديار المصرية فى تلك الفترة

فى حين ان ما لدينا من الاوراق الديموطيقية المكشوفة حتى الآن لا يتعدى الفين وخمسماية بردية وهذا العدد وان كان فى ظاهره قليلا بالنسبة لعـدد الأوراق الاغـريقية الا انه فى الواقع يعتبر متناسـبا مع ما كان للحـكام الاغريق من قوة وسلطان فى البلاد ، وما كان عليـه أهل البـلاد من ضعف واستكانة وانزواء وعدم مشاركتهم الاغريق فى حكم البـلاد بصورة قوية ولكن لحسن الحظ لم تكن الأوراق الديموطيقية هى المصدر الوحيد الذى تستقى منه المعلومات عن مصر التقليدية فى العهدين البطلمى والرومانى ؛ اذ لدينا على الاقل ثلاثة مصادر أخرى استمر فيها تمثيل المؤسسات المصرية القديمة والمثل العليا التى كانت سائدة فى العهد الفرعونى . وهذه المصادر تنحصر فى ثلاثة عناصر بارزة فى حياة البلاد المصرية وهى اولا الحياة المصرية التى حفظت فى المعابد المصرية وما حولها وثانيـا علاقة نظام الحكم الملكى البطلمى بالحكم الفرعونى القديم . وثالثا تربة مصر بوصفها مأوى الفلاحين زراع الأرض منـذ أقدم العهـود . أما عن العنصر الأول وهو مصر ذات المعابد فليس من المسـتطاع معرفة شىء يذكر عنها الا ما ورد فى المتـون الديموطيقية وما نقش على جدران المعابد من متون دينية ترجع باصولهـا الى اقدم العهود ، اما المصدران الآخران وهما نظم الحكم وحياة الفـلاح المصرى واعماله فقد جاء عنهما الكثير فى الأوراق الاغريقية وذلك لاتصالهما بمصلحة البطالمة مباشرة من حيث نظام الحكم وثروة البلاد الزراعة التى كانت ترتكز عليها قوة البطالمة طوال مدة حكمهم .

وتدل شواهد الاحوال على ان مصر صاحبة المعابد هى التى جاء الينـا منها الأوراق البردية الديموطيقية التى نستنبط منها شيئا عن احوال البلاد الاجتماعية والدينية فى عهد البطالمة هـذا فضلا عن النقوش الدينية التى وجدت على جدران هذه المعابد وهى التى تضع أمامنا صورة واضحة عن الحياة الدينية فى داخل المعابد . وهـذه الصورة متوارثة عن أقدم العهود

وتمتاز بأنها كاملة . وقد وصلت الينا سليمة ولذلك تعتبر منقطعة النظير فى كل التاريخ المصرى . والواقع ان الكهنة قد عمدوا أن تكون كاملة وغير مفهومة فى نقوشها الا لأنفسهم ليحفظوا بذلك مكانتهم الدينية فى أعين الشعب والحكام فى وقت واحد

اما الأوراق البردية الديموطيقية التى كشف عنها حتى الآن حول هذه المعابد فيتألف معظمها من سجلات أسر مصرية متصلة بخدمة المعابد واقامة الشعائر الدينية فيها .. ولحسن الحظ وجد ان هذه السجلات ترجع أحيانا الى أجيال فى تاريخ الأسرة . وابرز مثال لدينا فى هذا الصدد مجموعة الأوراق الديموطيقية المحفوظ منها جزء الآن بالمتحف البريطانى والجزء الآخر بمتحف فيلادلفيا بالولايات المتحدة . وقد نشر منها الأستاذ جلانفيل الاثرى المعروف الجزء الموجود بالمتحف البريطانى اما الجزء المحفوظ بمتحف فيلادلفيا فقد تناول بالبحث جزءا منه الأستاذ «ريخ» وفحص الجزء الباقى الاستاذ مصطفى الأمير بجامعة الاسكندرية وهو الآن تحت الطبع وهو عمل مشرف لمصر ، ويتساءل الانسان هل وصلت الينا هذه المتون الديموطيقية الكهنية عن طريق الصدفة أثناء اعمال الحفر العلمى التى كانت تجرى بوجه خاص فى حرم المعابد وفى الجبانات الأثرية ؟ نعم كان معظم هذه الأوراق يعثر عليها فى حرم المعابد وفى الجبانات غير أننا وجدنا فى أماكن أخرى غير تلك كتابات ديموطيقية ممثلة فى اضمامات تحتوى على ايصالات كانت تدون باللغتين الاغريقية والديموطيقية خاصة بالعمال والحرفيين والمزارعين كالتى وجدت بين اوراق زينون الذى كان يدير صيعة الوزير ابوللونيوس فى فيلادلفيا من أعمال الفيوم وهذا الوزير عاصر كلا من بطليموس الثانى والثالث كما سنرى بعد .

ولا غرابة فى ان نجد هذه الاضمامات مدونة باللغتين الاغريقية والديموطيقية وذلك لان المصريين كانوا يتكلمون الديموطبقية اى اللغة

العامية فى غير الأوساط الكهنية ، ولكن مع ذلك كانت الاغلبيــه العظمى بينهم لا يعرفون ا لكتابة الاغرْيقية كما كانوا يجهلون كتابة لغتهم الاصلية التى كانت على جانب عظيم من الصعوبة والتعقيد وبخاصة عندما نعلم ان تكاليف الحياة القاسية فى ظل الحكم البطلمى لم تكن تسمح للطبقة الدنيا من المصريين ان يتعلموا القراءة والكتابة . والوقع اننا وجــدنا فى حــالة واحدة فردا مصريا لا يعرف الاغريقيــة قد وقع باسمه فى اســفل ترجمة بالديموطيقية على عقد بيع اجراه مع آخر بالاغريقية

وتدل الظواهر مما ســبق على ان المعــابد المصرية كانت تعتبر الاماكن الوحيدة لحفظ تراث المدنية المصرية كما كانت فى الوقت نفســه الأماكن المختارة الممتازة التى استمر فيها تعليم الكتــابة الوطنية والعلوم المصرية المتوارثة منذ اقدم العهود ، ومن ثم يمكن القــول مع التجاوز عن بعض الاستثناءات أن الأوراق البــردية الديموطيقيــة هى المنبــع الأصلى الممتاز لمعرفة التاريخ المصرى القومى فى عهد البطالمة . وهــذه الأوراق كما ذكرنا وجدت حول المعابد وفى الجبانات المجاورة لها والواقع ان المعــابد وحرمها كانت تؤلف دنيا مصرية مصــغرة تمثل مصر الكبــرى فى أوج عظمتهــا وسلطانها فى العهود الفرعونية . وتدل شــواهد الاحوال على انه عنــدما سيطر الغزاة الفاتحون على مصر العظمى بقيت الحياة فى المعابد بعيدة عن ايدى الفاتحين وحافظت على كل مظاهرها وممتلكاتهــا وبقيت سليمــة لم تدنسها أيد أجنبية كما انه لم يتعد على حقوقها وتقاليدها أى فاتح أجنبى بوجه عام . حتى جاءت المسيحية ومحت الديانة المصرية أو الوثنية كما زعم المسيحيون .

وتدل البحــوث على أن الأوراق البــــردية الديموطيقيــة التى حلت روموزها حتى لآن على أنها قد وصــلت الينــا من ســجلات أسرية مما يدل على ان هذه الأسرات قد ظلت أمينة على المحافظة على نمط معيشتها

وتقاليدها المصرية العتيقة من جيل الى جيل كما كانت تحافظ على حقوق ملكياتها ، ومن ثم كانت تعتنى بالمحافظة والحرص على الوثائق التى لها علاقة بهذه الحقوق والملكيات . ومن الجائز كذلك ان هذه الوثائق أو بعبارة أخرى السجلات الأسرية كانت من مخلفات الأزمان الغابرة عندما كانت لم تنظم بعد كما نظمت فى عهد البطالمة بطرف شتى . ومن ثم نجد ان معظم العقود الاغريقية التى وصلت الينا من عهد البطالمة كان عبارة عن مسودات لعقود أصلية او نسخ من سجلات محفوظة فى ادارة التسجيل هذا وكانت الملفات الأسرية النادرة التى كتبت بالاغريقية قد عثر عليها فى بيوت مصرية غير انها كانت تكتب باللغتين الديموطيقية والاغريقية .

ولا نزاع فى ان هذه السجلات الأسرية تعد شاهدا عادلا على استمرار لتقليد قديم لم يضايق مجىء الاغريق فى شىء . هذا وكان الاغريق يعرفون تمام المعرفة ما كان للكهنة من نفوذ على الشعب المصرى ولذلك نجد انهم لم يمسوا ممتلكاتهم وحياتهم الخاصة الا بقدر معلوم ؛ ومن ثم كانت كل حرايتهم وتصرفاتهم فى املاكهم محفوظة لهم . وقد دل الفحص على ان صيغ باجور رجال الدين وهى التى كان يتكون منها نوع من الدخل الوراثى لا نعرف عنها شيئا الا من الوثائق الديموطيقية بالاضافة الى بعض وثائق اغريقية خاصة بذلك ، ولكن تدل شواهد الاحوال مع ذلك على انها مترجمة من الديموطيقية اى ترجع الى اصل مصرى . هذا ويمكن ان نضرب مثالا آخر بالوثائق الخاصة بالعبادات والولائم الدينية والشعائر التى كانت تؤدى على شرف الآلهة فقد وجدت كلها مدونة بالديموطيقية الا وثيقة واحدة بالاغريقية ومن ثم نفهم ان الوثائق الديموطيقية هى التى حفظت لنا هذه العبادات وهذه الشعائر . وأخيرا نجد ان نظام القضاء الاهلى قد بقى حيا تماما فى عهد التسلط البطلمى . وقد كان من الجائز الا نعرف عنه شيئا قط لولا عثور الباحثين على وثيقتين ديموطيقيتين فقد عرفنا منهما بعض

اجراءات كانت تتبع فى هذه المحاكم . يضاف الى ذلك انه قبل حلول العهد الرومانى كانت الادارة المالية تحتم فرض برنامج سنوى على ادارة المعابد ، ونحن لا نعرف ذلك الا من بعض الاوراق الديموطيقية .

ولا نزاع فى ان هذه المؤسسات القضائية كانت مرتبطة بحياة المعابد . التى كانت تؤلف فى ذاتهــا عالمــا منفــردا ، قائمــا بــذاته . والواقــع أن مصر التى تتمثــل فى المعــابد هى الوحيــدة التى حدثنــا عنهــا « هردوت » ومن ثم عــرف عنهــا الاغــريق الــذين وفــدو على مصر مثل الاسكندر بعض المعلومات فقد مثل هذا المؤرخ للاغــريق حضــارة الشعب المصرى بكل ما فيها من سمو وعظمة ، ومع ذلك نجد ان الاغريق الذين وفدوا على أرض الكنانة مع البطالمة لم يكتبوا لنا عنها الا أشــياء قليلة جدا . ومن ذلك نفهم ان المصــادر التى يجب ان يعتمــد عليها بعد «هرودت» هى المصادر الديموطيقية لا الوثائق الاغريقية التى من اوساط غير الاوســـاط المصرية البحتــة . ولا نزاع فى ان قلة الأوراق البردية الاغريقية الخاصة بالاوساط الكهنية قد ظهرت فى ا لحقيقة التالية : وذلك ان الحقائق التى قدمها لنا المشتغلون بعلوم النجوم فى عهد الامبراطورية المتأخر ترجع فى اصولها الى ما دون فى المعابد المصرية . هــذا ولا تجد فى معظم الاحيان وثائق اغريقية مماثلة تعززها وعلى اية حال فان المعابد المصرية تتمثل أمامنا فى ا لواقع فى صورة مستودع مدنية سليم لم يكد الاغــريق يمسونه ، وذلك انه حتى عندما يعبر عن هذه المدنية بالاغريقية فى وثائق مترجمة عن المصرية أو منقولة عن نموذج مصرى فانها مع ذلك تبقى مصرية لحما ودما ، غير ان محافظة هذه المدنية على عبقريتها وتقاليدها كانت سببا فى القضاء عليها شيئا فشيئا والواقع ان ما بقى من هذه المدنية هو الذى قد أخذ يتغير بالاستعمال ويتمثل فيما نقله الاغــريق عن المصريين ونخص بالذكر هنا الرموز الفلسفية ذات الصبغة العالمية من جهة وكل ما كان يدخل تحت الحكم الملكى ونظمه من جهة أخرى

والمفهـوم ان ما حملته المدنيـة المصرية للمدنية الهيلانستيكية فى وادى النيل عظيم جدا ، ولكن المؤرخ يعتمد فى هذا الباب على المصادر الاغريقية لاضاءة السبيل أمامه . والمحصول العلمى الذى أخذ عن مصر ظـاهر جدا واساسى جدا ويكفى ان نشير هنا الى بعض سماته المميزة وأول ما يبتدر الى الذهن هو الفلسفات المؤسسةعلىفكرة نظام العالم التى نسقها المفكرون فى الاسكندرية مقتفين فى ذلك خطوات فلسفة افلاطون ، وهى الفلسـفة التى كانت تعتمد فىاصولها على اسس سياسية دينية مصرية الأصل . يضاف الى ذلك ان الصلوات التى كان يتقرب بها القوم الى الالهة ازيس والاله سيرابيس والاحفال السرية الخاصة بهذين الالهين وهى التى كانت تسحر خيال الأتقياء وتنشر حتىأقاصى الامبراطورية المصرية المثل الأعلى للرحمة والنظام والعدل ، وكانت منذ أجيال طويلة قد نشـأت فى مصر ثم أخذوها الاغريق وصبغوها بالصبغة الهيلانستيكية . هـذا ولا يعيب عن دهننا فى هذا الصددأن اهتمام مؤرخمثل «بلوتارخ» بالعبادة المصرية القديمة ومابذله من مجهودات فى تأويل تعاليمها لبرهان على سلطان هذه الديانة بين العلماء الاغـريق . ولا ادل على ذلك من القربات التى كان يقربها للالهة المصريين الوافدون الأول من الاغريق الذين استوطنوا وادى النيل فهى تكشف لنا عن نفوذ هذه الديانة وعلو شأنها بين الخاشعين الاتقياء

هذا ونجد أن كل ما فى المدنية الهيلانستيكية المصرية من نظم ملـكية يرجع فى اصوله الى مصر القديمة الا شواذ قليلة وذلك لأن سمات الحكم المقدونى الملكى لم يظهر منها الا النذر اليسير فى النظام الملكى البطلمى . غير ان كل النظم المصرية قد عبر عنها جميعا بالاغريقية ولم يدون منها شىء بالديموطيقية . ويكفى للبرهنة على أنها مصرية ما نجـده من أوجه شـبه كبيرة بين التعاليم التى كان يصدرها الملك البطلمى لوزيره عند توليه ادارة البلاد وما كان يصدره الفرعون لوزيره من تعاليم عند اعتلاء عرش الملك

فى عهد الدولة الحديثة بل وما قبلها . فالأشياء المادية فى كليهما واحدة كما ان الاعتبارات الخلقية والقضائية لهذه الادارة كانت متشابهة أيضا . يضاف الى ذلك ان عمليات مسح الاراضى وتقويم ثمنها وهى المعـروفة تماما فى الاوراق البردية وبخاصة الاوراق التى عثر عليها فى تبتنيس ، نجد فيهـا بصورة واضحة نفس طرق تحديد الأراضى ومساحتها التى اتبعت فىالادارة الملكيــة الفرعونية كما يدل على ذلك الكشــوف الحديثة . وفى الزراعة نشاهد كذلك ان الطرق الاصلية قد بقيت مصرية ، وذلك على الرغم من

ان الاعتبارات الخلقية والقضائية لهذه الادارة كانت متشابهة أيضا . يضاف

من الفلاح المصرى مجهــودا اكثر يتفق مع مشروعاتهم الجبارة لتنمية ثروة البــلاد على حسب نظام موضوع . هــذا ونجد ان نظام زرع الضــياع الشاسعة التى كان يهبها الملك لصاحب الحظوة لديه كانت تسير على نمط الضياع التى كان يهبها فراعنة مصر للمقربين منه . وعلى الرغم من ان هذه الضياع البطلمية كانت تدار بطرق علمية وذوق سليماختص به الاغريق فان ضيعة ابوللونيوس التى وهبهااياه الملك«بطليموس الثانى» فى الفيوم كانت ضيعة مصرية : اذ كانت فى الواقع مثل الضياع التى تقــرأ عنها فى المتون الفرعونية من صنع الملك وكانت تشمل عدة قرى ومساحتها مثل مســاحة الضياع الفرعونية فى العهد الذى كان يهب فيه الفراعنة للمقربين منهم عن سخاء . وضيعة «ابوللونيوس» كانت مثل الضياع المصرية القديمة مستقلة فى ادارتها . واذا كان الاغريق الذين يديرون هــذه الضيعة ينظرون اليها بأنها مصدر كسب كبير ، فان المصريين الذين كانوا يزرعونها كانوا يفهمون جيدا انهم يســبغون عليها صيغة مصرية تقليدية ويصرحون بذلك . وذلك أنه فى هذه الضيعة التى ليس لدينــا عنها مصــادر الا ما جاء فى ســجلات زينون الاغريقيــة ـــ ومن أجل ذلك تميل الأراء التى اعتبــارها موطنــا للهيلانستيكية ـــ ، نجد ان اللغة التى كان يتحدث بها النــاس فى ربوعها

بصــفة أعم هى المصرية لا الاغريقيــة ، وذلك لأن آلاف المصريين كانوا يشــتغلون فيها بفلاحة الأرض . ولا نزاع فى ذلك فان الاســماء المصرية البحتة فىأوراق «زينون» كانتتفوق فى العدد الأسماء الاغريقية هذا فضلا عن ان فلاحة الارض كانت وقفا على المصريين . وأخيرا يجب ان نذكر هنا ان مصر صاحبة المعابد ، ومصر الملكية ليستا بالعنصرين الوحيدين الذين يجب أن نبحث فيهما عن التأثير على المدنية الهيلانستيكية اذ الواقع أنهناك عنصرا آخر هاما . ولكن ما قدمه هذا العنصر للمدنية الهيلانستيكية كان أقل ظهورا من العنصرين السابقين ، ولكنه فى الواقع عنصر يؤلف الاساس الثابت لكل الحضارة فى وادى النيل وأعنى بهذا العنصر طبقــة الفلاحين الكادحين ، الذين يطلق عليهم الاغريق اسم « لاوى» أى الطبقة الدنيا أو الطبقة الكادحة .

وهذه الطبقة المغلوبةعلى أمرها من المصريين كانلايعرف أفرادهاالكتابة .. حقا كانوا يتكلمون المصرية ولكنهم كانوا لا يعرفون الديموطيقيــة ولا الاغريقية كما تشهد بذلك المواقف العدة التى تدل على انهم على جهل تام حتى بتوقيع اسمائهم على العقود . وعندما كان هؤلاء الفلاحون يضطرون الى من يكتب بدلا عنهم ، فان ذلك كان فى معظم الاحيان بالاغريقية ، وقد كانوا مجبرين على ذلك على حسب قواعد ادارية موضوعة أو عندما كان الفرد منهم له مصلحة ملحة تضطره للاتصــال باصحاب السلطة فى البــلاد وهكذا يظهر أمامنا رجل الحقل فقط عنــدما كان يناضل عن حقه كتابة . وعندئذ كان يلجأ لكاتب اغريقى عليم بالأحوال الادارية وكتابة العــرائض والشكاوى لذوى الشأن ليشرح لهم فيها ظلامات أصحاب الحاجاتوليعرض عليهم سوء الادارة الاغريقية فى معاملة الفلاحين

والآن يتساءل الانسان هل كان هذا التذمر الذى يرجع أصله الىسخط الفلاحين وسوء معاملتهم ، والذى كان فى الواقع يتألف منه نسيج التاريخ

المصرى فى عهد البطالمة ثم الرومان من بعدهم يعتبر مصدرا من مصادر تاريخ المدنية المصرية ؟ والجواب على ذلك سهل ميسور : حقا كان هذا مصدرا وموردا نستقى منه بعض المعلومات ولكنه ليس موردا ايجابيا ، ومع ذلك فان القوم الذين نسعى لسماع اصواتهم وتتعرف على احوالهم قد عرفنا عنهم مما خلفوه لنا من الوثائق التى بثوا فيها شكاياهم وظلاماتهم ، أنهم كانوا لا يزالون محافظين على طرق حياتهم التقليدية وما فطروا عليه من طباع واخلاق وبخاصة عندما نجد فى هذه الوثائق من جديد تلك السمات التى عرفناها فى الفلاح المصرى منذ أقدم العهود التاريخية . وهكذا نرى انه منذ اقدم عهود مصر الفرعونية حتى العهد القبطى انه على الرغم من صبغة البلاد بالصبغة الأجنبية على حسب مقتضيات الأحوال وعلى حسب الميل اليها عند غير المصريين ، يوجد فى البلاد حلقات اتصال مستمرة منذ الماضى السحيق تربط أبناء الشعب بعضهم ببعض من حيث العادات والأخلاق والمحافظة على القديم ومن ثم يجب على المؤرخ الذى يريد أن يكتب تاريخ الشعب المصرى الحقيقى ان يبحث عنها قبل كل شىء ويضع يده عليها فى وسط تلك الكتلة المظلمة المتراكمة من هذه الوثائق التى فى متناولنا كما يتحسس الطبيب فى وسط انسجة الجسم المتماسكة مكان الوريد المختفى عن النظر

هذا ما كان من شأن تاريخ مصر فى عهد البطالمة والصعوبات التى يصادفها المؤرخ الذى يريد ان يكتب عنه من الوجهة المصرية . أما تاريخ البلاد المصرية من الوجهة الاغريقية فالبحث فيه ينقلنا الى ميدان آخر غربى لا شرقى وان كان هذا الميدان الغربى قد استقى معلوماته الأولى من الشرق وبخاصة من مصر . والمصادر لدينا عنه كثيرة غزيرة كشف عنها فى تربة مصر ، ولكن منبعها يرجع الى أصل اغريقى . وبخاصة فى العلوم والمعارف والآداب والفلسفة وما الى ذلك . فكيف حدث ذلك ؟

الواقع أن تاريخ العلوم الاغريقية على الرغم من أنه يكون نهضة مستمرة فانه يمكن تقسيمه بسهولة اربع مراحل كل منها منفصلة عن الأخرى . المرحلة الأولى هي الأيونية والثانية هي المرحلة الأثينية والمرحلة الثالثة هي المرحلة الاسكندرية والهيلانستيكية وأخيرا المرحلة الرومانية .

تشغل المرحلة الايونية القرن السادس قبل الميلاد وما قبله بقليل . وفى هذه المرحلة ولد العلم الاغريقى فى الاماكن التى كانت تتأثر بالمدنيات القديمة بدرجة عظيمة جدا وبخاصة عن طريق طلاب العلم من الاغريق الذين زاروا مصر فى تلك الفترة امثال «تاليس» وفيثاغور وغيرهما وتعلموا هناك فى المدارس المصرية ونقلوا علوم مصر الى بلادهم وبخاصة العلوم الكونية مما سنفصل فيه القول بعض الشىء فى هذا المؤلف .

والمرحلة الثانية تشغل ما بين عامى ٤٨٠ الى ٣٣٠ ق.م. وفى خلال هذه المدة وصلت الثقافة الاغريقية قمتها فى السمو من حيث الديموقراطيه الأثينية غير ان هذا السمو كان بداية السقوط اذ أخذ الاغريق بعد ذلك يهدمون ما بنوه بالحروب الداخلية فيما بينهم وفى هذا العهد أخذ اهتمام الفلاسفة ينتقل من تفسير العالم المادى الى تفسير طبيعة الانسان وواجباته الاجتماعية وهذا العهد هو المعروف بعهد سقراط وافلاطون وارسطو . ويعد فى نظر الباحثين أعلى نقطة وصلت اليها الحكمة الاغريقية . أما المرحلة الثالثة وهى التى تدخل فى صميم موضوعنا من حيث الثقافة الاغريقية فقد اطلق عليها العلماء المرحلة الهيلانستيكية وقد بدأت على اثر انحطاط المدن الاغريقية وحكوماتها . وفقدها استقلالها على يد الامبراطوريات القارية الجديدة التى تألفت من أمبراطورية الاسكندر الاكبر بعد مماته . ومما لا نزاع فيه ان امبراطورية الاسكندر الاكبر قد ربطت العالم الاغريقى مرة أخرى برباط مباشر مع مصادر الثقافات الشرقية القديمة حتى بلاد الهند . ومنذ ذلك العهد اصبحت الاسكندرية موطنا جديدا للعلوم حيث نجد المرة

الأولى فى تاريخ العالم انه قد أسست دار للعلم على اســاس مكين وأعنى بذلك تأسيس الميوزيون أو بعبارة أخــرى أكادمية العلوم التى أســسها بطليموس الاول . وقد كان من نتائج ذلك النمو العظيم فى علوم الرياضة والميكانيكا والفلك والطب وهى العلوم التى يقرن بها اسماء عظماء الرجال امثال اقليدس وارشميدس و «هباركوس» . هذا ولا بد ان نلحظ انه فى تاريخ العلوم بوصفه مميزا عن تاريخ الفلسفة كانت هذه المرحلة الثالثة هى اهم من المراحل السابقة وذلك لأنه فى خلالها كان قد اقيم فى مصر للمــرة الأولى هيكل العلم الصحيح بوصفه وحدة متماسكة ترتكز على حقائق ثابتة. وعلى الرغم من ضياع اشياء كثيرة منه فى القــرون المظلمة التى تلت فانه قد بقى لنا من هذا العلم ما كان كافيا للنهوض بالعلوم كرة أخرى بعد تلك المرحلة بالف ســنة . وهكذا يرى القارىء ان الدور الذى لعبته مصر فى تاريخ علوم العالم كان هو الأساس الذى بنى عليــه الاغريق علومهم التى مرجعها المنطق والعقل وعلى اساس ما بقى من هذه العلوم والمعارف بنى العالم الحديث علومه ومدنيته ، هذا ولم يكن نشــاط البطالمة قاصرا على تنمية العلوم والمعارف فى مصر او بعبارة أخرى فى مصر الهيلانسيكية بل تخطاه الى الاقتصاد والتجارة والزراعة ولــكن كل ذلك كان على حساب الفلاحين والصناع المصريين . والواقع انهم ابتكروا طرق اقتصاد وتجــارة جعلتهم فى الصف الأول بين رجال الاقتصاد فى العالم فهم الذين اصلحوا الأراضى البور وجلبوا الأنواع العــدة من النبــاتات المثمرة الى الاراضى المصرية . أما فى ميدان الاقتصــاد فقد ضرب فيه بطليموس الثــانى بسهم صائب حتى أصبح مضرب الامثال وبخاصة فى الاحتكارات وتأسيس المصارف وضرب العملة والتجارة الخارجية والداخلية مما جعل بلاده اغنى بلاد العالم فى زمنه . اما فى ميدان السياسة فسنرى ان كلا من بطليموس الاول والثانى قد حاول تأسيس براطورية مترامية الاطراف يبسط سلطانه على البــلاد

المجاورة لمصر التى كان لا بد من الاستيلاء عليها لحفظ حدود بلاده وعدم الاغارة عليها وذلك وفقا للسياسة التى كان يسير عليها فراعنة مصر من قبل وقد كان هـذا يستلزم بناء اسطول ضخم وتكوين جيش عظيم مقـاومة مناهضيه من الممالك العظيمة التى نشـأت على سـواحل البحر الابيض المتوسط فى زمنه . وقد كانت كل هـذه الاعمـال توجب قيـام الطمأنينة والسكينة فى داخل البلاد وقد عمل كل من هذين العاهلين للوصول الى هذا الهدف . وسنرى ان بطليموس الأول حاول ارضاء الشـعب المصرى الأصيل وبخاصة رجال الدين فوحد بين المعبود المصرى أوزير أبيس والمعبود الاغريقى سرابيس (بلوتو لاغريقى) كما اتبع ابنه بطليموس الثانى سنة الفراعنة عند تولى عرش الملك بان جعل نفسه ابن آمون وتزوج من أخته على سنة الفراعنة ليحفظ الدم الملكى . ولكن مع كل ذلك نجد ان الناحية الاقتصادية قد طغت على ملوك البطالمة ، فقد كان جل هم الملك ان يجمع المال لتنفيذ مشروعاته الاستعمارية والصرف منها على شهواته التى كانت تنطوى على مظاهر الابهة والعظمة امام ملوك العالم الهيلانستيكى . وقد كان ذلك يستلزم ارهاق الشعب المصرى نفسه بفرض الضرائب العـدة بما لم يسمع عنه فى تاريخ العالم .

هذا مع العلم أن المستعمرين من الاغريق سواء أكانوا مدنيين أو جنودا مرتزقة قد تمتعوا برغد العيش والطمأنينة وحتى الجاليات غير الاغريق كانوا فى بحبوحة من العيش لاختلاطهم بالاغريق والتحدث بلغتهم ومسـايرتهم فى طريق حياتهم وبخاصة اليهود الذين كانوا يلبسـون لكل حالة لبوسها . اما المصريين كما سنرى فى هـذا المؤلف فكانوا بعيدين عن كل مظاهر الغنى والنعيم لانهم كانوا يعـدون فى نظر الاغـريق الفئة التى عليها ان تقـوم بفلاحة الارض وزرعها وبالصناعات الحقيرة التى لا تكاد تجلب لهم مايسد رمقهم . ومن أجل ذلك قد خصصت هنا ثلاثة فصول ١ عن حالة الطبقة

الدنيا من المصريين فى عهد البطالمة ، وعلاقاتهم برجال الادارة الاغريق الذين كانوا يقبضون على زمام الحكم فى البلاد . وقد جادت الكشوف الحديثة بعدد عظيم من الأوراق البردية تعرف «بسجلات زينون» يربى عددها على الفى بردية عثر عليها فى خرابة جرزة من اعمال الفيوم وهى تلقى ضوءا ساطعا على حالة الفلاح فى خلال القرن الثالث قبل الميلاد . ولولا العثور على هذه السجلات لبقينا فى ظلام دامس بالنسبة لما كانت تنطوى عليه حال الفلاح والصانع المصرى فى هذه الفترة من تاريخ البلاد . اما الفصل الثانى فقد خصصته لمعاملةالاغريقى لزميلهالاغريقى وماكان يظهره نحوه من سماحة ومجاملة ومن ثم يمكنالقارىء الموازنة بينمعاملة الاغريقىالحاكم للمصرى الفلاح وبين معاملته لمواطنه الاغريقى

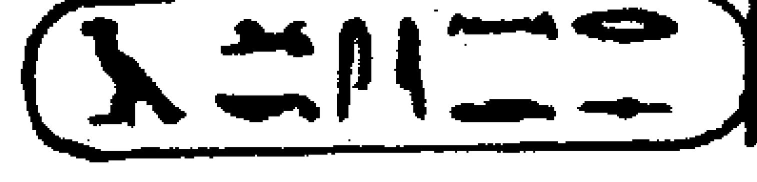
والفصل الثالث خصصته للجالية اليهودية فى مصر فى تلك الفترة منحكم البطالمة وما بعدها حتى نهاية عهدهم . وسيرى القارىء كيف امكنهم ان يتدخلوا فى شئون البلاد الحيوية بطرقهم الخاصة التى امتازوا بها

وسيكون هذا الفصل هو آخر المطاف فى هذا المؤلف وستكون بداية الجزء الذى يليه ان شاء الله التحدث عن الآثار التى خلفها بطليموس الثانى فى طول البلاد وعرضها من معابد وتماثيل ولوحات وأوراق بردية دونت فى عهده ثم تتناولها بالبحث والتحليل من الوجهة المصرية البحتة والله الموفق لما فيه خير مصر وعزتها

ولا يفوتنى هنا أن أقدم عظيم شكرىللاستاذ محمد النجار مدير مكتب السيد وكيل وزارة التربية والتعليم على ما بذله من قراءة جزء عظيم من فصول هـذا المؤلف كما اقدم وافر شكرى لتلميذى النشط كمال فهمى المفتش بمصلحة الآثار على ما بذله من مجهود جبار فى نسخ اصول هـذا

الكتاب وقراءة تجاربه ومباشره طبعه بكل همة لا تعرف الكلل ، وكذلك أشكره على عمل المصورات الجغرافية التى يحتويها هذا المؤلف . ولايفوتنى ان اشكر الاسـتاذ محمد نصر المدرس بالمدارس الثانوية بالخـرطوم على قراءته بعض فصول هذا الكتاب ومراجعة بعض التجارب . وأخيرا أرى لزاما على أن أذكر أن ابنى الدكتور محمد صلاح الدين المدرس بكلية طب عين شمس قد راجع معى التجارب الأخيرة بكل دقة وعناية وبعين فاحصة .

الاسكندر وعصر البطالمة فى مصر

الكسندرس   ستب – نى رع – مرى امن

مقدمة

الاسكندر الأكبر ومصر :

وصل بنا المطاف، فى الجزء الثالث عشر من « مصر القديمة » الى استيلاء «الاسكندر الأكبر» المقدونى على أرض الكنانة جملة من يد شطربة الفرس « مازاكس » الذى سلمه البلاد دون قتال (راجع مصر القديمة الجزء الثالث عشر صفحة ٣٤٧ .) وكان ذلك فى خريف عام ٣٣٢ وربيع عام ٣٣١ ق.م. لم يطل مكث « الأسكندر » فى مصر أكثر من بضعة أشهر ثم غادرها ليقوم بمتابعة فتوحه التى بدأها فى دولة الفرس التى كانت وقتئذ أعظم دولة صاحبه بطش وسلطان فى العالم القديم .

ولكن على الرغم من أن « الأسكندر » لم يمكث فى مصر الا أشهرا قلائل فانه فى خلال تلك المدة القصيرة تمكن من وضع أساس مملكة مقدونية اغريقية كانت غربية فى ظاهرها مصرية فى أصولها . وقد استمرت دولة البطالمة ثابتة الأركان قوية الدعائم ثلاثة قرون كاملة . وفى خلال تلك المدة الطويلة نهضت مصر نهضة جبارة من حيث العلوم والمعارف والاقتصاد والتجارة والصناعة وازدياد عدد السكان بما يذكرنا بمجد مصر فى عهد الدولة الحديثة الفرعونية ، غير أنه مما يؤسف له جد الأسف أن هذه النهضة لم تكن مصرية أصيلة بل كانت فى مظاهرها اغريقية مقدونية ، ومن أجل ذلك

لبست فوق ثوبها المصرى الأصيل ثوبا جديدا اغريقى المسحة غطى كثيرا على الثوب المصرى الوطنى، ومع هذا لم يكن فى مقدور حكام البطالمة ومن احتل مصر معهم من اغريق ومقدونيين أن يبلوا هذا الثوب المصرى العريق فى متانته . والواقع أن هذا الثوب المصرى قد ظل بلحمته وسداه يقرض الثوب الاغريقى البراق كلما وجد الى ذلك سبيلا حتى تلاشى هذا الأخير فيه. ويرجع الفضل فى ذلك للشعب المصرى الأصيل الذى أخذ يكافح الشعب الاغريقى الحاكم بكل ما أوتى من قوة حتى تغلب فى نهاية الأمر وأظهر شخصيته على الأجانب المستعمرين . ولا غرابة فى ذلك فان الشعب المصرى القديم كان لايزال على الرغم من تدهوره شعبا أصيلا لم يتمكن شعب آخر أو حاكم أجنبى مهما بلغ سلطانه أو قوته أن يتغلب عليه أو يغير من عاداته وأخلاقه التى طبع عليها منذ القدم ، ويرجع السبب فى ذلك الى أنه كان شعبا محافظا الى أقصى حدود المحافظة ، ومن أجل ذلك كانت عنده القدرة على أن يهضم أى شعب يغزوه حتى يجعله جزءا منه . يضاف الى ذلك أن الشعب المصرى كان يعتبر فى نظر الأقوام والشعوب المجاورة له والنائية عنه أعرق شعوب العالم من حيث العلوم والمعارف والدين . ولا نزاع فى أنه كان يعد الشعب المختار الذى نهلت من حياض عرفانه كل ممالك الشرق القديم وبخاصة بلاد اليونان التى كانت على اتصال وثيق به طول معظم العهود القديمة . وقد دلت البحوث العلمية الحديثة والكشوف الأثرية على أن الشعب الاغريقى قد أخذ كل مبادىء علومه التى امتاز بها عن سائر العالم عن مصر .ولقد كانت الروابط وثيقة بين الشعب المصرى والشعب الاغريقى فى خلال بضعة القرون التى سبقت فتح الاسكندر لمصر ، ولا عجب اذا أن نرى الاسكندر عندما دخل مصر فاتحا ملما بعلومها ودياناتها ومكانتها فى العالم القديم ، وبخاصة عندما نعلم أنه تلقى علومه وتربيته على يد فلاسفة اغريق . وقبل أن نتحدث عن آثار « الاسكندر الأكبر » فى مصر يطيب لنا أن نلقى نظرة خاطفة على

الأحوال العالمية قبل قيام « الاسكندر » بفتحه العظيم الذى شمل وقتئذ معظم العالم القديم المتمدين وبخاصة بلاد الفرس التى كانت هدفه الأول .

• • • •

الحالة الدولية فى العالم عند تولى الاسكندر

مملكة مقدونيا وبلاد الاغريق

على أثر موت «فليب» المقدونى خلفه ابنه الاسكندر على عرش مقدونيا، وكانت تهدده الأخطار من كل النواحى فى داخل البلاد وخارجها . وكان أول ما وجه همه اليه هو بلاد اليونان التى قابلت موت والده «فليب» بهتافات الفرح والسرور لأنه سلبها حريتها ، ولقد بلغ بأهلها الفرح الى أنهم أصدروا منشورا ينص على تعظيم قاتل والده « فليب الثانى » أخذا باقتراح الخطيب اليونانى المفوه « دموستين » . ولا غرابة فى أن نرى على أثر اعلان موت « فليب » — أن المدن اليونانية واحدة بعد أخرى تطرد الحاميات المقدونية من أراضيها وتنفض عن نفسها عبء نير حكم الأسرة المقدونية التى كان على رأسها وقتئذ الاسكندر . غير أن الأخير أخذ يهاجم المدن المنشقة مدينة بعد أخرى حتى أخضعها لسلطانه وأعاد فيها النظام والأمن الى نصابهما ، وبعد أن تم له النصر وهدأت الأحوال انتخبته المدن الاغريقية قائدا عاما عليها ليقود جيوشها لمحاربة بلاد الفرس التى كان والده قد بدأ فعلا فى غزوها . ولقد كان مرمى آمال الاسكندر ومنتهى ما تطمع اليه نفسه عندما قرر الزحف على بلاد الفرس أن يصبح فى نهايه امره على رأس بلاد «هيلاس» بوصفه بطلا من نسل البطل الاغريقى « أشيل »وأن يصبح خليفته مفضلا ذلك على لقبه «ملك مقدونيا» ، ولكن صادفته صعاب كثيرة على الرغم من ان المدن الاغريقية المغلوبة على أمرها قد أمدته بفرق من جنودها كما جعلته قائدها الأعلى ، ولكن كثيرا من هذه المدن لم تكن جادة فى ولائها له . وسنرى أن الحلف الذى كونه الاسكندر من مجموع هذه المدن كان فى الواقع مقدمة حسنة ساعدت على انتشار الحضارة الهيلانية التى شاءت الأقدار أن

يكون انتشارها على يد الاسكندر الأكبر ، ومن ثم كانت المدن الاغريقية تعرف به رسميا بوصفه الممثل للشعب الاغريقى بكل معنى الكلمة .

متاعب الاسكندر العائلية :

على أن الاسكندر الأكبر كان لديه مشاكل ومتاعب أخرى من جهة أسرته، وكان لا بد من التغلب عليها قبل أن يغادر وطنه لفتح بلاد الفرس . وتنحصر هذه المشاكل فى الدسائس والأحقاد التى تنجب عن موت والده «فليب الثانى» وخلاصة القول فى ذلك أن «فليب الثانى» ملك مقدونيا بعد أن وحد سلطانه على بلاد الاغريق ألف منها حلفا جديدا وكانت استعدادات هذا الحلف لغزو بلاد الفرس توشك أن تتم، وكان «فليب» قد أرسل فعلا قوة حربية فى المقدمة بقيادة « بارمينو » (Parmenio) وضباطا آخرين ليؤمنوا له معبر الدردنيل « هلسبونت » وليضمنوا لجيشه بذلك مواطىء أقدامهم فى اقليم « طروادة » واقليم « بيثينيا » (Bithynia) ، وبعد ذلك كان على سائر الجيش أن يزحف بقيادة « فليب » نفسه لغزو الأمبراطورية الفارسية ، غير أن بيت « فليب » كان مملوءا بالاحقاد والضغائن . فقد كان « فليب » غير مخلص لزوجه « أوليمبياس » والدة «الاسكندر» ، وكانت هى صاحبة شمم وكبرياء وقد ضاقت نفسها وثار ثائرها مما كان يرتكبه زوجها من خيانة علنية تجرح شعورها وتحط من كرامتها وكبريائها ، على أن مسلكها هى لم تعله الشبهات، وان كانت قد توصف بأنها امرأة سلسلة القياد الى حد القول بأن «الاسكندر» لم ينحدر من صلب زوجها « فليب » . وتأزمت الأمور بين « فليب » و « أوليمبياس » حتى وصل الخلاف الى قمته عند ما وقع « فليب » فى حب فتاة مقدونية من علية القوم فى مقدونيا ولم تكن الأحوال تسمح له بأن يتخذها مجرد خليلة . وهذه الفتاة هى « كليوبترا » ابنة أخت القائد « أتالوس » (Attalus) ولم يكن فى مقدور « فليب » أن يكبح جماح

شهوته فاستسلم لها ، ومن أجل ذلك هجر زوجه «.أوليمبياس » والـدة «الاسكندر» وأقام حفلا عظيما أعلن فيه رباط الزوجية بينه وبين «كليوبترا»، غير أنه فى أثناء حفل الزواج طلب القائد « أتالوس» الى الأشراف أن يدعوا الله مخلصين أن يرزق العروسين ابنا شرعيا ليكون وارث عرش مقدونيا ، وعنـدما سمع « الأسكندر » هـذه العبارة هب من مكانه وقذف كأس شرابه فى وجه الرجل الذى نال من شرف أمه ، وفى الحال انتفض « فليب » من مقعده والخمر تلعب فى رأسه وهو يكاد يتميز من الغيظ شاهرا سيفه ليطعن به ابنه «الاسكندر» ، ولـكنه من شـدة السكر ترنح وسقط على الأرض . وعندئذ صاح « الأسكندر » هازئا : « تأملوا الرجل الذى يريد أن يعبر من « أوربا » الى « آسيا » وهو يسقط على الأرض عندما أراد أن ينتقل من مقعد الى مقعد ! » . وعلى أثر هذا المشهد المشـين لم تعد پلا (Pella) عاصمة مقدونيا صالحة لتكون مستقرا « للاسكندر » ، فقد صاحب الملكة والدته المطلقة الى « أبيروس » مقر شقيقتها واعتزل العالم فى جبال « لينسيستيس » (Lyncistis) وظل هناك الى أن دعـاه والده للعودة الى مقدونيا ، غير أن « كليوبترا » زوج والده كانت قد وضعت غلاما مما جعل خلافة « الاسكندر » لوالده محفوفة بالخطر . وفى هذا الوقت كان أهم مايحرص عليـه « فليب » هو تحاشى قطع العـلاقات بينه وبين ملك « أبيروس » القوى شقيق « أوليمبياس » التى حط « فليب » من كرامتها وأسقط هيبتها ، ومن أجل تحسين الموقف قدم له ابنته لتكون زوجه (١) . واعـد لذلك مهرجانا فخما فى « پلا » ، وكان ذلك فى مساء اليوم الـذى سيسافر فيه « فليب » الى ساحة القتال فى « آسيا » لمحاربة الفرس . ولـما كانت « أوليمبياس » المجروحة فى كرامتها قد سويت من طينة ملؤها الانتقام ولا تتردد فى ارتكاب أية جريمة ، فانها قد وجدت الفرصة سانحة للقضاء

(١) راجع J.B. Bury, History of Greece, P. 374 ff.

على « فليب » وكانت لديها الآلة لتنفيذ جريمتها . وذلك أن شخصا نكره مغمور الذكر يدعى « بوزالياس » وهو لا يمتاز بأية موهبة كان قد أساء اليه « أتالوس » اساءة فاحشة ، وكان فى الوقت نفسه ثائرا على « فليب » الى حد الجنون بسبب أنه لم يقض له بحقه من غريمه . أضف الى ذلك تحريض « أوليمبياس » واغراء هذا المجرم على ارتكاب فعلته . وعلى حين غفلة ظهر « بوزالياس » هذا فى يوم حفل الزواج أمام « فليب » عندما كان داخلا فى موكب مهيب الى مكان الحفل متقدما حرسه بخطوات قليلة ، وهجم عليه بخنجر وطعنه طعنة كانت هى القاضية . وعلى أثر ذلك قبض على الجانى وقتل فى الحال غير أن الأثيم الحقيقى لم يكن فى الواقع سوى «أوليمبياس» والدة الاسكندر .

آل الملك بعد «فليب» الى ابنه «الاسكندر» ، وكان أول عمل داخلى قام به بين أفراد أسرته هو أنه تخلص بالاشتراك مع والدته من زوج أبيه « كليوبترا » ومن والدها وابنها . فقد أمر بقتل « أتالوس » فى آسيا ولكن الاسكندر لم يكن المسئول عن قتل « كليوبترا » وابنها الطفل اذ أن ذلك كان من عمل « أوليمبياس » والدته التى كانت تتعطش الى الانتقام، فأوعزت بذبح الطفل فى حجر أمه وأجبرت « كليوبترا » على أن تموت مخنوقة بحزامها .

بعد أن تخلص الاسكندر من متاعبه الأسرية أخذ يتطلع الى ماحوله من مؤامرات فى مقدونيا ومدن الاغريق ، ولكنه لم يمض طويل زمن حتى قضى على كل الثورات والاضطرابات فى كل أنحاء مملكته وكذلك أصبحت كل بلاد الاغريق تدين له بالطاعة ، غير أنها لم تكن طاعة عن حب وولاء بل عن خوف ورهبة . ولما استتب له الأمر أخذ يعد العدة لغزو بلاد الفرس التى كان والده قد أتم العدة لغزوها . وقد صرف الاسكندر شتاء عام ٣٣٤ ق.م. فى عمل الاستعدادات الحربية وتنظيم أحوال بلاده مدة غيابه الذى

كان منتظرا أن يطول فى ساحة القتال . ومن أجل ذلك كان عليه قبل مغادرته مقدونيا أن يترك فيها جزءا عظيما من جيشه بقيادة وزير والده « انتيباتر » (Antipater) ويقال ان الاسكندر قبل مغادرته بلاده الى ساحة القتال قسم كل ضياعه الملكية وغاباته ودخله بين أصدقائه ، وعندما سأله القائد «برديكاس» : ماالذى تركه لنفسك أجابه الاسكندر قائلا : «الأمل». وعندئذ لم يسع « برديكاس » الا أن يرفض بدوره ماتركه الاسكندر وصاح قائلا : « ونحن أولئك الذين يخرجون للقتال معك فى حاجة الى أن نشاطرك فى أملك » .

زحف « الاسكندر الأكبر » بعد ذلك بجيشه فى ربيع عام ٣٣٤ ق.م لغزو بلاد الفرس وكان غرضه فتح فارس وانزال عاهلها العظيم عن عرشه ليعتليه هو . وقد كانت مراحل فتحه ثلاثا : الأولى فتح « آسيا الصغرى » والثانية فتح « سوريا » و « مصر » ، وهذان الفتحان كانا مقدمة لفتحه الثالث وهو الاستيلاء على « بابل » و « سوس » . وسنرى أن أطماعه لم تقف عند هذا الحد .

والواقع أن بداية فتوح « الاسكندر » المنقطعة القرين كانت نهاية عهد قديم وبداية فصل جديد فى تاريخ العالم ، وذلك أن غزو بلاد الاغريق على يد « اكزركزس » قد فتح مرحلة جديدة فى النضال العالمى بين الشرق والغرب فى حين أن فتح « الاسكندر الأكبر » للامبراطورية الفارسية كان فيه القضاء على هذه المرحلة فى هذه التمثيلية التاريخية . والواقع أن الجائحة التى نزلت بالامبراطورية الفارسية على يد الاسكندر كانت تعمى وتصم . ولاغرابة فى ذلك فقدكانت مملكة الفرس كما شرحنا فى الجزء الثالث عشر من هذه الموسوعة غاية فى الضعف والوهن والانحلال (راجع مصر القديمة الجزء الثالث عشر ص ٦٨٦ — ٦٩٤) . وقد زحف الاسكندر على رأس جيش قوامه ثلاثون ألف راجل وخمسة آلاف فارس . بدأ الاسكندر بفتح « آسيا

الصغرى » التى كان يدافع عنها الفرس بجيش عظيم يبلغ نحو اربعين ألف مقاتل فاكتسح الاسكندر الجيش الفارسى أمامه واستولى على بلاد « آسيا الصغرى » الواحدة تلو الأخرى ، ووضع فى أقاليمها النظام . وتوجت انتصارات الاسكندر بفوزه الساحق فى موقعة « أسوس » التى كان من نتائجها أن بدأ « دارا » فى مفاوضة الاسكندر فى شروط صلح بعد أن أخذ أمه وزوجه أسيرتين ، ولكن الاسكندر لم يقبل منه الا التسليم التام دون قيد أو شرط . ولقد كان فى استطاعة الاسكندر أن يتابع زحفه أثر « دارا » الى قلب بلاد الفرس نفسها ويقضى عليه قبل أن يؤلف جيشا آخر لمحاربته ، ولكن الاسكندر أظهر عظمته فى اتباع خطة أخرى تنطوى على حسن روية وتدبر وبعد نظر ، وذلك لأن أسطوله لم يكن قويا بدرجة كافية وثانيا أنه من بادىء الأمر رأى أن يخضع أولا « آسيا الصغرى » ثم يتبع ذلك فتح سوريا ومصر . وهانحن نراه الآن يعد من الحنكة وسداد الرأى أن يستولى على سوريا ومصر قبل أن يسعى الى فتح بلاد « مابين النهرين »

كان أعظم هدف له فى سوريا هو الاستيلاء على بلاد فنيقيا وبخاصة مدن « صور » و « صيدا » و « أرادوس » وقد خضعت « صيدا » للاسكندر دون عناء كبير ، ولكن « صور » قاومت جيوش الاسكندر مقاومة عنيفة والواقع أن الحصار الذى ضربه الاسكندر على هذه المدينة كان أصعب عمل حربى قاوم عبقرية الاسكندر طوال مدة حروبه . وبسقوط هذه المدينة أصبحت « سوريا » و « مصر » وكذلك السيادة البحرية فى شرقى البحر الأبيض المتوسط فى متناول « الاسكندر » . ولا ريب فى أنه لم يقابل أية مقاومة فى زحفه جنوبا نحو مصر الى أن وصل الى « غزة » التى كانت ترابط فيها حامية قوية ضخمة . وكان حاكم هذه المدينة وقائد حاميتها من قبل « دارا » هو خصى يدعى « باتيس » وكان على غير المألوف خصيا قويا عنيدا . فهاجم الاسكندر غزة من كل جهاتها بالمنجنيق والألغام والمقذوفات

فتثلمت الجدران فى مواضع عدة ومع ذلك فان المدافعين عن الحصن كانوا باستمرار يصلحون ما أفسده المهاجمون. وقد حاول الاسكندر مهاجمة هذا الحصن ثلاث مرات متتالية ورد على أعقابه فى كل محاولة منها بما أظهره أهل « غزة » من بطولة نادرة وشجاعة فائقة ، وفى نهاية الأمر بعد أن ثلمت جدران المدينة للمرة الرابعة جدد الاسكندر هجومه على الحصن فقاوم جنوده الشجعان بروح متقد وبسالة جبارة حتى آخر قطرة من دمائهم ، وخروا صرعى كلهم فى أماكن دفاعهم ولم يبق منهم من يقع فى ذل الأسر الا واحد وهو أمير البلد الخصى « باتيس » وقد أتى به الى الاسكندر جريحا لا تزال تتردد فيه أنفاس الحياة فألقى عليه الاسكندر نظرة ملؤها الحنق والنقمة لما لاقاه منه من عنت وعناء وشدة ومقاومة والواقع أن الاسكندر قد تشبث فى حصار هذه المدينة ، وصمم على الاستيلاء عليها ليبرهن للعالم أنه يتغلب على صعاب وأهوال لاقبل لغيره بها . ولانزاع فى أن جيش الاسكندر قد تكبد خلال حصار هذه المدينة خسائر فادحة ، هذا فضلا عن أنه أمضى مدة طويلة فى حصارها تحمل خلالها متاعب كثيرة قبل أن يظفر بالتغلب على حصونها . ولا نزاع فى أن اكليل النصرفىحصار هذه المدينة التى غلبت فى النهاية على أمرها كان لابد أن يكون من نصيب الأقلية المغلوبة لامن نصيب الحشودالعظيمة المنتصرة بكثرتها . يضاف الىذلك أن الخذلان المتكرر الذى أصاب جيش الاسكندر فى أثناء هجماته كان من غير شك قد وخز الاسكندر فى أرق موضع من مشاعره ، وبخاصة أنه نفسه قد جرح جرحا بليغا أثناء الهجوم ، هذا فضلا عن أنه نجا بأعجوبة من خنجر عربى ادعى أنه هارب من معسكر العدو . وكان من جراء كل هذه الأحداث الفاجعة مجتمعة أن اشتد غضب الاسكندر الى أقصى حد على الخصى « باتيس » الأسود الغليظ الجسم عندما مثل بين يديه وهو ملطخ بالدماء والأوساخ . وماذا هو فاعل به الآن هو وأهل المدينة العزل ؟. شفى الاسكندر غلته بعد سقوط

المدينة بقتل الألفين من الجنود الذين بقوا على قيد الحياة فى داخل الأسوار أما بلدة «غزة» نفسها فلم يكن أمامه على قيد الحياة فيها من يصب عليه نار عذابه والتنكيل به الا « باتيس » فأذاقه من العذاب أشد أنواعه ، ومثل به أفظع تمثيل ، لم يسمع بمثله الا عند ملوك آشور غلاظ القلوب ، والواقع أنه كان أشد منهم قسوة ؛ فقد أمر أولا بحرق قدميه ثم وضع حلقات من النحاس عليها ، وبعد ذلك شد جسم هذا الرجل الشجاع الذى كان لايزال حيا بحبال فى مؤخرة عربة كان يسوقها الاسكندر بنفسه وانطلق بها بأقصى سرعة بين صيحات الهازئين وهتافات رجال الجيش المنتصرين (راجع
Curtius IV, 6, 25-3; Dionys. Hal. De Comp. Verdor, P. 123 - 125.
Grote, History of Greece. Vol. XII, P. 84.

ولابد أن نلحظ هنا أن الاسكندر الذى كان يتنافس، حتى وهو فى طفولته فى أعمال بطولة جده الأسطورى « أشيل » ، قد أخذ يقلد فى الوقت نفسه المعاملة الدنيئة القاسية التى وصفت لنا فى الالياذة كما مثلت على جسم « هكتور » بعد موته (راجع Arrian, VII, 14, 7) ولا نزاع فى أن هذه الجريمة الشنعاء التى ارتكبها « الاسكندر » فى « غزة » قد فاقت حدود ماوقع فى الأزمان القديمة من وحشية وفظاعة وغلظة . أما سائر سلسلةفظائعه التى ارتكبها مع أهالى « غزة » فقد كانت على حسب العرف الجارى فى زمانه . فنجده قد باع زوجات وأولاد أهل « غزة » عبيدا وسمح لسكان جدد من الجهات المجاورة باحتلال المدينة ، ثم وضع فيها حامية من أجناده (Arrian, VII, 14, 7) وتدل شواهد الأحوال على أن الحصارين اللذين نصبهما الاسكندر حول « صور » و « غزة » قد استغرقا مدة تسعة أشهر ، وأن الحرب التى دارت رحاها حولهما تعتبر أقسى حروب عرفها الاسكندر طوال مدة حيــاته .

الزحف على مصر : ولا نزاع فى أن الزحف على مصر المسالمة بعد خوض حروب طاحنة كحصار « صور » و « غزة » لم يكن الابمثابة نزهة نصر

لجنوده . وعندما بدأ زحفـه على مصر حوالى أكتوبر سنة ٣٣٢ ق.م كان « مازاكس » شطربة الفرس على مصر لا يملك تحت قيادته الا عددا قليلا من الجنود الفرس هذا بالاضافة الى أهل مصر الذين كانوا ساخطين على الحكم الفارسى فى أواخـر أيامهم ومن أجـل ذلك لم يكن « مازاكس » مسـتعدا لمقاومة غزو الاسـكندر الـذى كان على الأبواب . زحـف الاسكندر بجيشه من « غزة » على مصر فوصل الى الحدود المصرية بعـد مسيرة سبعةأيام وعسكر فى «بلوز» (الفرما)حيث الحامية المصرية التىتقع على الحدود وتشرف على الفرع الشرقى للنيـل وكان أسطوله قد وصـل عند مصبه بقيادة أمير البحر « هفاستيون » (Hephaestion) ومن المدهش أن الاسكندر عندما وصل الى مصر لم يجد أبوابها مفتوحة له وحسب بل رأى حشودا من المصريينقد تجمعوا ليرحبوا بمقدمه (راجع ;Arrian, III, 1,3) Curtius, IV, 3, 1, 2; Diodorus, XVII, 49.

وكان أول عمل قام به الاسكندر فى أرض الكنانة أنه وضع حامية من جنوده فى « بلوز » وأمر أسطوله بالصعود فى النيل الى « منف » وزحف الاسكندر بجيشه البرى كذلك اليها . وهناك سلم الشطربة « مازاكس » نفسه كما سلم كل ما فى المدينة من كنوز ومتاع . فاستولى الاسكندر على ثمانمائة تالنتا من الذهب وعدد كبير من الأثاث الفاخر . أمضى الاسـكندر بعـد ذلك بعض الوقت فى «منف» حيث توج ملكا على مصر فى احتفـال عظيم قدم فى خلاله ضحايا فاخرة للآلهة عامة كما قدم قربانا للعجل « أبيس » وأقام مباريات رياضية وموسيقية هناك ، وأحضر من بلاد الاغريق أشهر المغنين لهذه المباريات بمناسبة عيد تتويجه فرعونا على مصر ، وبذلك أظهر الاسكندر نفسه فى دور السياسى الذى يرغب فى التقريب بين الشرقوالغرب ولا عجب فى أن يقيم احتفال تتويجه فى « منف » فقد كانت منذ أقدم العهود المكان المختار لتتويجفراعنة مصر وقدظلت كذلك حتى نهايةالعهد الفرعونى

وبعد الاحتفال بتتويجه انحدر الاسكندر من « منف » فى أقصى فروع النيل وهو الفرع الكانوبى حتى مصبه ومن هناك أقلع فى اتجاه غربى على الشاطىء ليشاهد كلا من جزيرة « فاروس » ، التى اشتهرت فى شعر « هومر » وبحيرة مريوط

تاسيس مدينة الاسكندرية : ولقد لفت الاسكندر أثناء مسيره فى فرع النيل هذا قرية «راكوتيس» (راقوده) (١) الصغيرة المشهورة وقتئذ بصيد الأسماك . وقد وجد بعض الأثريين فى موقع هذه القرية بقايا مبانى ميناء قديم على زعمهم ، غير أن فريقا آخر من الأثريين قد دحض هذا الاستنباط وعلى أية حال فانه لم يكن فى هذه البقعة ما يجذب نظر السائح العادى فى خلال القرن الرابع قبل الميلاد عندما فكر الاسكندر فى انشاء ميناء بحرى فيها ، اذ كانت عبارة عن ساحل منخفض عليه جزيرة صغيرة بعيدة عنه أقيم عليها قرية لا أهمية لها يسكن فيها جماعة من صائدى الأسماك . والواقع أنه لم يكن فى منظرها ما يوحى بقيام مدينة عظيمة كالاسكندرية بعد فترة قصيرة من الزمن . ومع ذلك فان هذا الموقع هو الذى اختلوه الاسكندر ليكون البقعة التى عزم على أن يؤسس فيها المدينة الهائلة التى أقامها على ثرى مصر . وقد كان يشعر أنه بعمله هذا كما يقول بعضهم سيقوم برسالة خاصة لبلاده ، وهى نشر الثقافة الاغريقية فى بلاد الشرق ، وقد يكون من السهل أن نستنبط مثل هذا الرأى لأن الاسكندر كان من أعظم عبقريات التاريخ كما كانت الاسكندرية تعد من أعظم مدن العالم القديم وأهمها موقعا من حيث التجارة البحرية . والواقع أن نجاح انشاء هذه المدينة يرجع الفضل فيه أولا وآخرا الى ذكاء هذا الرجل الفذ فى آرائه وتصميماته ، وأنه لمن السهل كذلك على أولئك الذين لا يهنئون الا اذا عارضوا فكرة أجمعت

(١) وكانت « راقودة » هذه أكبر القرى الصغيرة التى حولها عددها ست عشرة قرية .

الآراء على صحتها ، وأعنى بذلك الذين يجادلون بالقول من السهل عليهم أن يدعوا أن أهميــة تأسيس الاسكندر لهذه المدينة جاء نتيجة لأســباب لم تخطر على بال الاسكندر قط . ولكن الاسكندر على الرغم من حزمه وشدة اندفاعه كان صاحب حكم صائب هادىء ونظرة ثاقبة لا يضارعه فيها الا قليل من رجال السياسة والحكم . ونحن على يقين من أنه قد اختار موقع مدينته الجديدة لأسباب كافية . وأول ما يتبادر للذهن أنه قد تأثر (كما قيل حديثا) ببعض أوجه الشبه بين موقع الاسكندرية وموقع « صــور » من حيث الدور الذى تقوم به هذه المدينة الأخيرة من الوجهتين التجارية والبحرية فى البحر الأبيض المتوسط (راجع

B. A. Van. Gorigen, à propos de La Fondation d'Alexandrie, in Raccalta de Scritti in Onori di Giacomo, 200-211.

هذا ويقول بعض المؤرخين القدامى ان خيال الاسكندر كان ميالا للتأثر بكل المؤثرات التى جاءت فى أقوال الشاعر الاغريقى « هومر » وكان كذلك يحلم بتأسيس ميناء على البحر الأبيض المتوسط المصرى وأن اختيارة قد وقع أولا على جزيرة « فاروس » بوصفها المكان اللائق للمدينة التى أراد اقامتها (راجع Curtius, IV, 8, 1-4 ; Plutarch Alexand. 26)

غير أنه رأى بثاقب بصيرته فى الحال أن هذه الجزيرة الصغيرة ليست كافية وحدها لاقامة مدينة عظيمة عليها ، ومن أجل ذلك أضاف اليها جزءا كبيرا من اليابسة المجاورة لها ، هذا وقد استشيرت الآلهة فى صلاحية هذا الموقع وكانت اجابتهم مرضية مشجعة له على زعمهم ، وعلى ذلك وضع الاسكندر بنفسه تخطيط المدينــة ، فوضــع محيط دائرة جدرانهـا واتجاه شوارعها الرئيسية ومواقع المعابد العدة لعبادة الآلهة الاغريقيــة والمصرية (راجع
Arrian III, 1, 8; Curtius IV. 8, 2-6 ; Diod. XVII, 52, Grote, Vol. 12. P. 82.

غير أن الاسكندرية فى موقعها الحالى كان لها فوائد أكثر قيمة مما سبق ذكره ، وذلك أن الموانى الرائعة ذات الشهرة العظيمة فى الأزمان الهيلانية والاغريقية أصبح وجودها ممكنا بفضل انشاء المبانى الضخمة ، ولكن ساحل الاسكندرية والجزيرة القريبة من الشاطىء قد سهلا قيام ميناء لا تحتاج الى مبان وذلك لأن بحيرة « مريوط » المتصلة بالنيل والواقعة خلف الموقع المختار للميناء قد هيأت انشاء ميناء ماؤها عذب ويمكن الوصول اليها من البحر ومن النيل . يضاف الى ذلك أن التيار فى البحر الأبيض المتوسط المتجه نحو الشرق جعل الموانى الأخرى الساحلية قابلة لأن تطم بغرين النيل ولا تؤدى الوظيفة التى من أجلها أقيمت . وعلى العكس نجد موقع الاسكندرية خاليا من هذا العيب . ومن المحتمل أن هذه الحقيقة الهامة كان قد عرفها « الاسكندر » عن طريق اغريق مدينة « نقراش » ومن الجائز أنه كان فى ذهن « الاسكندر » سبب سياسى دفعه الى بناء هذا الميناء . وذلك أن « راقودة » لم تكن لها علاقات خاصة أو امتياز معين لأهلها ، ومن ثم رأى « الاسكندر » أن قيام مؤسسة هيلانية فى هذا المكان يمكن أن تشب وتترعرع فيه ثقافة هيلانية بعيدة عن التقاليد المصرية المتوارثة . غير أن هذا الرأى يتضارب مع آراء « الاسكندر » التى عرفت عنه فيما بعد فقد كانت سياسته عدم التفرقة بين العناصر كما سنرى بعد . وعلى أية حال فان الاسكندر كان يقصد باقامة مؤسسته الجديدة أن يجعلها تمثل مكانة ميناء « صور » غير أن جوريجن (Op. cit. P. 210 FF) يذهب الى أن آراء الاسكندر فى هذا الموضوع قد تغيرت فيما بعد ، وعلى ذلك فمن المحتمل أنه لو عاش لأصلح ميناء « صور » وأعاده الى حالته القديمة ، ومن ثم فان موت الاسكندر فى واقع الأمر هو السبب الوحيد الذى ضمن للاسكندرية بقاءها وشهرتها الفائقة التى وصلت اليها فى عهد البطالمه الذين خلفوه على عرش أرض الكنانة ، وهذا الرأى قد يكون ممكنا غير أنه قبل

كل شيء فكرة فحسب .

وعلى الرغم من أننا وجدنا الاسكندر الاكبر عام ٣٣١ ق.م كان يشعر بضرورة وجود الوحدة بين الشرق والغرب ، فانه كان فى قرارة نفسه قبل كل شيء مقدونيا لحما ودما ، كما كان فى الوقت نفسه القائد الأعلى للشعب الاغريقى وبطل أوربا المناهض لآسيا . ولكن لما كانت فتوحه قد امتدت بعيدا فى قلب الشرق فانه على أغلب الظن أخذ يشعر فى أعماق قلبه أنه هو خليفة الملك العظيم عاهل الفرس ، وأن بلاد الاغريق ومقدونيا لم تكن الا جزءا صغيرا من ممتلكاته المترامية الأطراف ، ومن أجل ذلك فطن الى أن وجود ميناء على البحر الأبيض المتوسط تربط مباشرة بين أجزاء أملاكه الأسيوية والأوربية مثل « صــور » ، يمكن أن يكون أكثر فائدة من ميناء آخــر بعيد جدا مثل الاسكندرية . والواقع أنه عندما لاقى الاسكندر حتفه عام ٣٢٣ ق.م كانت الاسكندرية الميناء الذى قدر له الحظ أن يكون خلفا لميناء « صور » من حيث السيادة التجارية فى شرقى البحر الأبيض المتوسط . وستسنح لنا الفرص للتحدث عن الاسكندرية فى أماكن عدة فيما بعد .

زيارة الاسكندر الأكبر لواحة سيوة والغرض منها :

تعد رحلة الاسكندر الأكبر الى واحة سيوة لزيارة معبد « أمون » ثانى حدث عظيم وقع فى مصر فى أثناء مكثه فيها . وتدل شواهد الأحوال على أن الاله « أمون » فى واحة سيوة لم يكن له شأن يذكر فى العهد المتأخر من تاريخ مصر الى أنجاء الملك « أوكوريس » وأخذ فى أحياء عبادة هذا الاله ، وهذا الملك يعد أول ملك مصرى ظهر اسمه فى النقوش المصرية على معبد هذه الواحة ، فمنذ زمن أعيد بناء معبد « أغورمى » الذى لم يكن فى الواقع على الطراز المصرى ومنذ عهد « أوكوريس » أصبح ذا طابع مصرى راجع ولم يكن زحف « أوكوريس » (A.Z. 69, P. 1 FF, P. 7 FF & P. 21 F).

على الجزء الغربى من بلاده الا سياسة خارجية اذ لانزاع فى أن واحـة « أمون » هذه لم يكن لها معنى وقتئذ لدى مصر والمصريين فقد قال أحد المؤرخين (راجع مصر القديمة الجزء ١٣ ص ١٦٧) أن واحـة « أمون » ليس لها على ما يظهر علاقة بأمون المصرى ولكن كانت مكانته ثانوية اذ قد حل محله بوسـاطة الفنيقيين الههم المسمى « بعل هامون » وهذا الاله قد طوى فى عالم النسيان (أقرن كتابة واحة « آمون » بتشديد الميم بكتابة « أمون » المصرى بميم غير مشددة) والواقع أن واحة « آمون » كانت بالنسبة للمصريين عند قرن الهها « بأمون » طيبة شيئا لا يذكر ، ولكن من جهة أخرى كانت لها قيمتها عند المصريين من الوجهة السياسية العالميـة ، وبخاصة أن «أمون» الصحراء الذى كان على الطريق الموصل الى «كرنيقا» منذ القرنين السـادس والخامس ، على جانب عظيم من الأهمية البالغـة فقد طلب اليه « كروسوس » المشورة قبل هجومه على « كورش » (راجع (Herod. I, 46 وقـد وفر على « قمبيز » كما قيل نصرا يسـتحق الذكر . هذا وقد أهدى الشاعر الاغريقى «بندر» «آمون» اللوبى أنشودة (راجع Frag. 36 (Schroeder; (Cf. Pind. IX, 89; Pausanias, IX, 16, 1) وكذلك أرسل «كيمون» الاغريقى قبل ذلك بقليل (٤٥٠ — ٤٤٩ق.م) الى « آمون » رسولا لاستشارته (راجع Plut. Kimn., 18) كما سعى « ليسـندر » لغرض فى نفسـه ليجعل « آمـون » فى خدمته (راجـع (Diod. XIV, 13,5) وقد كان من جراء اهتمام الفرعون «أوكوريس» وحمايته لهذا الاله أن علا نفوذه فى كل العالم الاغريقى . ومن ثم نفهم أهميه زيارة الاسكندر لهذا الاله ، فانه كان قبلة الملوك والشـعراء من الاغريق وغيرهم ، كما كان يعـد عند المصريين أعظم الآلهة وأرفعهـا قدرا فأراد الاسكندر أن يجعله سلما يرقى فيه لما تصبو اليه نفسه من مجد وفخار . والواقع أن أعماله العظيمة التى أتمها فى مدة ثلاث السنوات الأخيرة قـد

فاقت ما يمكن أن يصل اليه فرد من البشر ، ولا شك فى أن الآلهة على زعم الأقدمين قد حابته بحسن حظ متلاحق حتى أنه شل قوة أعدائه وقضى على آمالهم لدرجة أنهم نظروا الى شخصيته على أنها فوق شخصيات البشر ، وكان هذا هو التفسير الطبيعى لمثل حياة الاسكندر التى تخطت حدود حياة البشر (راجع Diod. XVIII, 36.) . ومن ثم أخذ الاسكندر يرجع بصره للأساطير التى كانت تنطوى على ضروب البطولة وبخاصة سلفيه «برسيوس» (Perseus) و « هيراكليس » ليجد لنفسه نظيرا يلائمه فى حياة الآلهه ، وذلك بعد أن أخذه الغرور بنفسه (راجع Arrian III, 3, 2) . وتدل شواهد الأحوال على أنه صار ابن « زيوس » مثلهما وأنه لا فرق بينه وبينهما الا أنه خلق من طينة بشرية اسما ، ومن أجل ذلك وطد العزم على أن يذهب ويؤكد هذه الحقيقة باستشارة وحى « زيوس آمون » . وقد أكد لنا المؤرخ « كاليستنيس » الذى كان يرافق الاسكندر ضمن حاشيته وقتئذ أن فكرة استشارة هذين البطلين لوحى « آمون » قبل شروعهما فى أعمالها العظيمة كانت من الأسباب الرئيسية التى حثت الاسكندر على القيام برحلته لواحة « آمون » فى « سيوه » (راجع Strabo. XVII, 814) وقد كان فى الواقع يقصد من هذه الزيارة كما سنرى أن يكون فرعون مصر والهها حتى تخضع له مصر كما خضعت للفراعنة الذين سبقوه .

وقد استعرض كل من المؤرخين « أريان » و « استرابون » بصورة حسنة على حسب ما ذكره المؤرخ « كاليستنيس » ، الدوافع التى جعلت الاسكندر يصمم على الوقوف أمام وحى « لوبيا » . وكان قد مثل أمامه من قبل كل من «برسيوس» و «هيراكليس» . وتقول تقاليد سلالة الاسكندر أنه منحدر من نسليهما فى آن واحد ، وكلاهما ابن « زيوس » وامرأة من البشر . وكان جده الذى زاره على غرار أجداده أنصاف الآلهة (راجع

Callisthenes, Frag. dans Muller-Diot. Scriptones rerum Alexandrie Magni, P. 26-27; (Cf. Strabo, XVI, 1, § 43, P. 813; & Arrian Anabase III, § 2).

وقد كانت واحة سيوة يحتلها المصريون خلال العهد الطيبي ، وكان مثلها كمثل كل المستعمرات الطيبية يحميها نفس حامي العاصمة أي « أمون » أو « آمون رع » (راجع.(A. Z. 1877, P. 14-17) والواقع أنه لو كانت رغبة الاسكندر فى أن يكون ابن الاله « آمون » وحسب لكان فى امكانه أن يحصل على ذلك من كهنة الكرنك بدلا من قيامه بالرحلة الشاقة التى كانت تكنفها المخاطر فى الصحراء وذلك برحلة نيلية ممتعة ، ولكن « آمون طيبة » لم يكن معروفا خارج دائرته الا من القليل وعلى ذلك لن يكون لرحلة الاسكندر نفس الصدى الذى يريد أن يحدثه فى ذهن العالم الاغريقى وغيره وقتئذ وذلك لأنه كما ذكرنا سابقا كان اله الواحة موضع استشارة الاغريق منذ قرون مضت وقد تغنى بمدائحه شعراؤهم وتمدح بمناقبه مؤرخوهم ، واذا كان هذا الاله قد ظل يحمل اسم « آمون » عند المصريين فانه كان يسمى فى الممالك الأخرى التى على ساحل البحر الأبيض المتوسط باسم « زيوس » ، وذلك لأن الاله « زيوس » الذى أصبح مرادفا لامون كان فى مقدوره أن يتحدث الى البلاد الهيلانية وهى من ناحيتها تصغى اليه ولقد كان من واجب « آمون » أن يرشد « الاسكندر » الى نفس الطريق التى يصل بها الى تأليه كما وصل الفراعنة من قبل ذلك . ونحن نعلم بصورة عامة مما وصل الينا من كثير من الكتاب معاصرى «الاسكندر» مثل « كاليستنيس » و « بطليموس بن لاجوس » ومن المحتمل كذلك « ارستوبوليس » الذين رافقوه فى رحلته .

فقد تحدث كثيرا « بطليموس الأول » عن حوادث هذه الرحلة الى واحة « سيوة » ووصفها لنا . ومن بين القصص الغريبة فى ظاهرها أسطورة مقابلة

رجال الرحلة الثعبانين اللذين أرشدا المقدونيين الى الطريق السوى بعد أن ضلت الرحلة السبيل فى مجاهل الصحراء . وكذلك يعزو « كاليستنيس » ارشاد حملة الاسكندر الى السبيل الصحيحة الى غرابين ، وقد عزز قوله هذا ما ذكره لنا «ارستوبول» وغيره (راجع Callisthenes, Frag. 27 in Muller Scriptones rerum Alexandri Magni. P 26-27.)

والواقع أنه لا يوجد كثير من بين القدامى أو الأحداث ممن يفهمون كيف يمكن لانسان من طراز « بطليموس» أن يصدق مثل هذه الأعجوبة . وقد حاولوا أن يفسروا أمثال هذه الظواهر بوسائل عليا فوق طاقة فهم البشر . وقد كان الأجدر بهم أن يفحصوا عن صحة هذا الحادث وأن الصورة المبالغ فيها وهى التى رواها المؤرخون الذين جاءوا فيما بعد تخفى فى طياتها حقيقة بسيطة فى الأصل . فقد قص علينا أحد الأوروبيين من القلائل الذين اخترقوا الصحراء فى أيامنا قاصدين واحة « آمون » كيف أنه ذات ليلة قد واصل مرشده السير لمدة من الزمن وبعد ذلك رأى غرابين يحلقان فى الفضاء لمدة قصيرة ثم طارا نحو الجنوب الغربى أى فى اتجاه واحة «آمون» .

وقد أضاف هذا السائح قوله : اذا كنا قد عشنا فى عصر الأساطير لكان فىمقدورنا أن نرى فى ذلك علامةكافية للطريق السوىوتتبعنا هذين المرشدين الخيرين . ومن يدرى فقد يكونان من الغربان المتناسلة من تلك التى دلت الاسكندر الى واحة « آمون » وخلصته من أهوال عزلة لا سبيل فيها . والواقع أننا كنا لا نضل الطريق لو اقتفينا أثر الغرابين ولكنـا فضلنا ألا نستسلم للخيال وانتظرنا عودة البدوى مرشدنا (راجع Balyle Saint John, Adventures in Libyan Desert and the Oasis of Jupiter Ammon, P 69).

هذا وكان على جيش من الفرسان يقطعون الصحراء بطبيعة الحال أن يطلقوا حيوانا من كل نوع وكانت هذه طريقــة على ما يظهر لارشــادهم

وكان يكفى ظهور غرابين أو ثعبانين أو هما معا لارشاد الحرس الى الطريق التى فقدوها ليجعل الاغريق دون انقطاع يرصدون الاشارات الضئيلة التى تكشف لهم عن تدخل الآلهة فى أحوال البشر ، وهى اعتبار هذه الأشياء بمثابة رسل أرسلها « آمون » الى ابنه « الاسكندر » . أما المصريون واللوبيون الذين كانوا يقدرون « الاسكندر » ورجاله فانهم كانوا على معرفة تامة بهذه الأساطير الخاصة بالحيوانات التى تساعد البشر والتى كانت تنقلهم الى عالم الآخرة . وكان المصريون ينسبون ذلك على الأقل الى ست من الحشرات أو الطيور (وهى الزنبور والجرادة وفرس النبى والأوزة وبنت البحر والصقر) وكان عليها أن ترشد الأرواح على رمال لوبيا حتى الأقطار التى تسكنها الأموات الأوزيرية (راجع Lefebure, Etude sur Abydos in Proceedings of the Society of Biblical Archeology, 1892-1893, Vol. X. P. 135-151.)

على أنه فى أيامنا هذه نجد أن الجمل يتجه نحو المكان الذى فيه الماء فى الصحراء على مسيرة عشرة أيام . ومن ثم نرى أن دهشة القدامى والأحداث لا مبرر لها ، اذ الواقع أن زحف الثعابين وطير الطيور أمام الجيش كان أمرا عاديا فى حد ذاته ، ولا بد أن « بطليموس الأول » كان متعمقا جدا فى أراء زمنه لدرجة أنه لم يقبل عن طيب خاطر التدخل الالهى الذى نسب لأمون فى هذا الحادث . والواقع أن التفاصيل الغريبة التى نسجها خيال الكتاب حول هذا الحادث قد ظهرت له غير محتملة الوقوع ولم يذكر لنا «بطليموس» الا عبارة قصيرة عن استقبال الفاتح . وقد أظهر الاسكندر نفسه فى صورة الرجل الحازم واقتصر على أن قرر أن الآله قد منحه الجواب الذى يرغب فيه وحسب (راجع Arrian Anabase. III, IV § 5) (١) وقد ذكر لنا

---

(١) فيلسوف ومؤرخ اغريقى عاش فى القرن الثانى الميلادى ولد فى «نيكومديا» من أعمال « بثينيا » كتب تاريخ الاسكندر الاكبر وسماه « اناباس » (Anabase) وقد أصبح قنصلا وقد كتب كذلك كتاب Les Entretiens et le manuel d'Epictete

« كاليستنيس » عن هذه الرحلة أكثر مما ذكره « أريان » واليه يرجع الفضل فى أنه أصبح فى امكاننا أن نتصور على وجه التقريب المقابلة التى كانت بين « أمون » و « الاسكندر » . ولا شك فى ان الحفل كان غريبا فى نظر الاغريق الذين زاروا المعبد مع « الاسكندر » . وذلك لأن تمثال الآله « أمون » الذى نصب فى قدس الأقداس كان كتـلة من الزمرد وكثير من أنواع الأحجار نصف الكريمة الأخرى ، هـذا الى أن الطريقة التى كان يستشار بها وحى « أمون » كانت غريبة ، فقد كان يقعد التمثال فى وسط قارب كبير مذهب يكلف بحمله ثمانون كاهنا على أكتافهم عند مغادره الاله المحراب ، وكان التمثال عند مخاطبته يومىء الى حامليه باشارة برأسه الى الطريق التى يريد أن يسلكها ، وكان يرافقه جم غفير من النساء والعـذارى على طول الطريق منشدين الأناشيد بلغـة أمهاتهن . ولم يسمح الكاهن الأعظم الا للاسكندر وحده بالدخول فى المعبد بملابسه العادية أما أتباعه فقد حتم عليهم أن يغـيروا ملابسهم ويقفوا خارج المحـراب ، فى حين أن سيدهم قد دخل المحراب ليسمع مصيره . وعندما وقف الاسكندر أمام الباب قابله وحياه قائلا : «يابنى» . وقد قيل له أن هذه التحية جاءته من قبل الاله . وقد أجاب الاسكندر بقوله : « انى أتقبل هذا اللقب ياوالدى ، ومنذ هذه اللحظة سأدعو نفسى « ابنك » . فهل تمنحنى أن أملك الأرض قاطبة ؟. » ثم دخل الكاهن فى المحراب وأدخله فيه معه . أما الرجال الذين كانوا يحملون القارب المقدس فأخذوا يتحركون باشارة من الاله وبكلمة منـه . والظاهر أن « آمون » فى معظم الأحيـان لم يكن يعبر عن ارادته بالكلام مثل ما يفعـل «أبولون دلفى» أو «أبولون براخيدس» ، ولـكن مثل زيوس « دودونى » (Dodone) (وهى قرية قديمة فى «أبيروس» بالقرب من قرية « دراستى » الحالية وكان فيهـا معبد للاله « جوبيتر » بالقرب من غابة بلوط وكان يؤدى فيها الوحى) [١]

(١) راجع (Strabo, L, VII, Frogm. 8, 1.

VII Fragm » وكان يجيب على الأسئلة التى توضع له بايماءات برأسه أو باشارات متفق عليها . ولانزاع فى أن الكاهن (خادم الاله) كان هو الذى يقوم بدور المترجم . ولكن فى هذه المرة تكرم الاله بالكلام . وعندما خاطب الكاهن الأكبر التمثال ووضع له السؤال أعلن التمثال بقــوة أنه منحه مايرجوه ؛ فسأل « الاسكندر » : اذا كان هناك فرد من قتلة والده قد أفلت من العقاب فصاح الكاهن : لا تسب الدين قط لأنه لا يمكن لبشر أن يأتى شيئا ضد والدك ، وعلى أثر ذلك غير صورة السؤال الذى وضعه أولا وقال : هل كل قتلة « فليب » قد لاقوا عقابهم ؟. فأكد له الاله أنهم كلهم قــد لاقوا جزاءهم ، ثم أضاف أن النصر سيكون له حليفا أمينا فى المستقبل ، كما كان فى الماضى . وكان الاسكندر مرتاح البال راضيا بكل ماقيل له ؛ ومن أجل ذلك أغدق على الاله وكهنته هبات فاخرة (راجــع مختصرا لهذه القصة فى (Strabo XVI, 1, § 43. P. 813)

ولانزاع فى أن هذا المنظر يعبر عن حقيقة آخاذة لأولئك الذين اعتادوا المناظر الدينيــة المصرية . اذ الواقع أن الحفل والخطاب كلاهما يتفق مع الشعائر المصرية التى كانت تقام فى المعابد ، ويمكن الانسان أن يتتبع تطور هــذا الموضــوع مرحلة مرحلة فى المناظــر المصرية القديمــة وفى النقوش الهيروغليفية أيضا .

والقليل الذى بقى لنا من خرائب معبد واحة « ســيوة » يعطينا فكرة واضحة جدا عن معبد يشبه معبد الواحة الطيبية الكبرى ، وهى التى وصل الينا عنها أوصاف مفصلة كثيرة ومعلومات دقيقة (١) .

ولا بد من أن نلحظ هنا أن متن الواحة الخارجة هو المتن الذى يقــدم

---

(١) راجع Cailliaud, Voyage à L'Oasis de Thebes, 1822-1860, Hoskins, A visit to the Great Oasis of the Libyan Desert ; Brugsch, Reise nach der Grossen Oase, El Kharga, 1878.

لنا بصفة تامة صورة مفهومة عن عبادة « آمون » فى الواحة . ولابد من أن معابد الواحة كانت قد أصلحت وزيد فيها فى العهد الفارسى وما بعده كما ذكرنا آنفا . ولما كان « آمون » هو نفس الاله الذى كان يعبد هنـاك فى كل بقعة فان التصميم العام لمعبد « آمون » وترتيب أجزائه هنا كان واحدا . فقد كان « آمون » يعيش فى ظلام دامس فى آخر حجرة بالمعبد أى فى « قدس الأقداس » . وكان قاربه موضوعا على مذبح أو بعبارة أخرى على قاعدة من الحجر أو من الخشب مكعبة الشكل فى وسط «قدس الأقداس».

وهذا التمثال كان يصنع من الذهب أو على حسب التعبير الكلاسيكى من الخشب المغشى بالذهب (راجع Diod. XVII, 50, § 6) . وكان لا بد من أن يكون طوله أقل من طول الحجرة التى تحتويه بمترين أو ثلاثة . ومن أراد أن يرى هذا التمثال مصورا فما عليه الا أن يرى صوره فى معبد الأقصر أو فى معبد الكرنك بكل تفاصيلها ومعها التعابير التى استعملها «كاليستنيس» فى وصف التمثال ، وقـد جاءت غاية فى الدقة . فقد قال انه كتـلة من الزمرد والأحجار الأخرى الثمينة ، ومن ثم يجب أن نتصوره كما نتصور أحد تلك الأصنام المركبة التى أتى ذكرها فى متون دندرة مثلا فكان جسمه يحتوى على قطع من مواد مختلفة ركبت على أصل من الخشب أو البرونز ، ولا أدل على ذلك مما جاء فى أحد متون « دندرة » من تعداد المواد المعدنية وبخاصـة الأربعـة عشر جزءا التى يصـنع منها جسـم . أوزير » (راجع Mariette Dendarah, P. 127, & t. IV, Pl. 36, 1. 54, 599, t. III, Pl. 30 C. I.6-73.

والزمرد الذى كان شائع الاستعمال وقتئذ لم يكن على وجه التأكيد الزمرد الحقيقى الحديث بل كان من « الفلدسبات الأخضر » المصرى . وقد كانت تماثيل الوحى تصنع بطريقة تجعلها تجيب بعدة حركات كهز الرأس وتحريك الذراعين أو اليدين وفى العادة كانت التماثيل تجيب عن الأسئلة برفع الرأس

أو بجعله ينحنى بثقـل مرتين . وكان يراد من التمثال أن يجيب فى حالة الاثبات بكلمة « نعم » ولكن عند النفى كان التمثال يبقى دون حركة .

وكان التمثال يتكلم أحيانا ، ولكن ذلك كان نادرا ، وبخاصة عندما كان يخاطبه ملك . وعندئذ كان يسمع صوته يدوى فى نهاية المحراب . هذا وكان هناك كاهن يشد الحبل الذى يجعل الرأس أو الذراعين تتحركان اشـارة الى مايريده الوحى . وقد كان كل واحد يعرف تلك الحيل التى يقوم بها الكاهن ومع ذلك لم يكن هناك من يتهم هذا الكاهن بالغش أو بسوء النية، زعما بأنه آلة للاله ولكنه آلة مسيرة لا مخيرة ولا تعى شيئا ، وكان الكهنة يزعمون أن الروح الأعلى يسكن الكاهن فى اللحظة المرغوب فيها الاجابة وعندئذ كان يهز الخيوط أو يحرك شفتيه . ومن ثم فانه كان يحرك يديه أو يتكلم ، ولكنه هو الاله الذى كان يملى عليه هذه الاشارات أو يوحى اليه بالكلمات (راجع Maspero Etudes de Methol. I. P. 81-91). راجع كذلك مصر القديمة الجزء التاسع ص ٤٤٩ حيث تجد كلاما مفصلا عن الوحى منـذ بدايته . وبعد تقرير كل ماسبق هنـا يمكن الانسان أن يفحص عن كل الحفل على ضـوء الأصـول المصرية القديمـة التى كانت متبعة . فاذا كان الاسكندر فعلا فرعونا حقيقيا قد تعلم منذ نعومـة اظفاره واجبات الفرعون وامتيازاته التقليدية فى هذه المناسبة فانه كان عليه أن يذهب مباشرة الى المعبد ويقوم بشعائر احتفال التتويج كما وردت لنا مثلا فى لوحة بيعنخى وهاك النص حرفيا : «ثم سار (أى الملك) الى « تل الرمال » فى «عين شمس» وهناك قرب قرابين عظيمة على تل الرمال فى «عين شمس» فى حضرة « رع » عند طلوعه وتحتوى (أى القرابين) على ثيران بيضاء ولبن وعطور وبخور وكل خشب ذى رائحة جميلة . وحضر متجها الى بيت «رع». ودخل المعبد بدعاء عظيم ، وتضرع الكاهن رئيس المرتلين للاله أن يصـد الثوار عن الملك . ثم زار قاعة الصباح لأجل أن يرتدى لباس «سدب» (وهو

لباس يتمنطق به الملك) ، وطهر بالبخور والماء ، وقدمت له أكاليل لأجل بيت لهرم الصغير ، وكذلك أحضرت له الأزهار .وصعد السلم الى النافذة العظيمة ليشاهد « رع » فى بيت « بن‌بن » (الهرم الصغير) وقد وقف الملك نفسه منفردا وكسر المزلاج حين فتح المصراعين وشاهد الوالد « رع » فى بيت « بن‌بن » الفاخر وسفينة الصباح الخاصة بـ «رع» وسفينة المساء الخاصة بـ « أتوم » ، ثم أوصد المصراعين ووضع عليهما الطين وختمهما بخاتم الملك نفسه وكلف الكهنة المصريين (قائلا) لقد فحصت الخاتم ولن يسمح لأى فرد آخر أن يدخله الخ (راجع مصر القديمة الجزء الحادى عشر ص ٢٧ — ٢٨) .

ولكن الاسكندر لم يكن يعرف شيئا من كل ذلك وقد فطن الكهنة الى ذلك ورأوا أنه من غير الضرورى أن يقوم بهذه الشعائر الطويلة الدقيقة بل عاملوه معاملة حاج عادى ، وفضلا عن ذلك لم يطالبوه بشعيرة الطهور المعتادة التى كان يقوم بها الأفراد العاديون ، ولكنهم فرضوها على رفاقه ، وزيادة على ذلك طبقوا عليهم قاعدة تحريم الاقتراب من حجرات المحراب ، وهى التى كانت محرمة على الاغريق والأجانب وعلى ذلك دخل الاسكندر وحده مع قائده المقدس (الكاهن) ، وعند أسكفة المعبد ألقى الكاهن الخطبة القصيرة التى يلقيها الآله على كل الملوك . وهى : تعال يابنى من صلبى ، الذى أحبه حتى أمنحك أبدية « رع » وملك « حور » . أو كانت تلقى صيغة أخرى تبتدىء بنفس الألفاظ السابقة ، ومثل هذه الصيغ نجد رواياتها المختلفة على جدران المعابد . ومن المحتمل أن هذه الصيغة كانت قد ألقيت بالمصرية ثم ترجمت للاسكندر باللغة اليونانية على ما يظن ، وذلك لأن العلاقات بين الواحة ولوبيا والبلاد الهيلانية قد جعلت هذه اللغة متداولة عند أهل هذه الجهة .

ومهما تكن طريقة التعبير فان الصيغة كانت مصرية ولا تشمل الا التعبيرات

العادية الخاصــة بالعقيدة والتى كانت تســمى كل ملك فى زمنه « الابن المحبوب من كل الآلهة » . وبعد القاء شعيرة السلام كان الكاهن يقــدم ضيفه أمام الآله . هذا ولم يكن الآله ينتظر الزيارة فى المحــراب بل كان يخرج أمام الملك وذلك على حسب العادة المتبعــة عندما كان يستشار فى مسألة دقيقة خاصة بالسياسة أو القضاء .

هذا ويلحظ أن الرقم الثمانين الذى أورده « كاليستنيس » دالا على عدد حاملى القارب المقدس مبالغ فيه ، وذلك أن قوارب المعابد الطيبيــة كان يحملها اثنا عشر أو عشرون أو ستة وعشرون أو أربعون (راجع L. D. III, 14, 143, 189 a; Descrip. de l'Egypte, A.T. III, Pls. 2-3.) واذا كان عدد الكهنة الذين حملوا قارب الآله فى معبد الواحة صحيحا فلابد أنهم لم يكونوا كلهم يحملون القارب فى وقت واحد بل كانوا يتناوبون حمل القارب وبخاصة عندما تكون المسافة طويلة . هذا ويجب أن نتصور أن القارب كان يقف عند نقطة معينة فى المعبد أمام الملك المنتظر ثم يسأل الملك التمثال الذى فى الناووس . وقد كان مثل هذا الحفل يعمل فى الكرنك على رقعة أرض فى المعبد تدعى « رقعة الفضة » ، ومن المحتمل أنه كان يوجد فى كل المحاريب الأخرى ما يشبه « رقعة الفضة » هذه بما فى ذلك معبد أمون بسيوة . هذا ولدينا نقش تاريخى يرجع عهده للأسرة الواحدة والعشرين فى حكم « بينوزم الثانى » قد اتهم فيه موظف كبير بالاختلاس وقد طلب أمام الاله آمون فى قاربه وقد سئل الاله فيما اذا كان الموظف مذنبا أو غير مذنب وقد أصدر الاله حكمه باشارة برأسه (راجع مصر القديمة الجزء الثامن ص ٧٤٩ — ٧٦٦ حيث يوجد هذا الحادث الهام مفصلا) والواقع أن نفس الطريقة التى أجريت لاختيار الاسكندر فرعونا قد تمت بهذه الطريقة . فقد أوقفه الكاهن أمام قارب آمون وسأله أن يضع بنفسه السؤال ولكن الآله أجاب بصوت جهورى لا بالاشارة . وقد كان التأثر الذى سببته الاشارة

الى قاتل « فليب » والد الاسكندر ، يفهم منها - اذا ظن الانسان الملك هو ابن الاله - أن والده قد قتل فان ذلك يذكرنا بالجريمة الكبرى التى عكرت فيما مضى صفو السماء المصرية وأعنى بذلك قتل « ست » أخاه أوزير . أما من حيث وعد الاله « الاسكندر » بالنصر فاننا نجد هذه التعبيرات مذكورة مرات لاعدد لها فى خطابات الآلهة مثل « انى أعطيتك الشجاعة ، انى أمنحك السيطرة على كل البلاد وكل الأقطار الأجنبية تحت نعليك الخ ... » .

وهكذا فان كل شىء كان يتفق مع الحفل المصرى ، وعلى ذلك فان كل الأمور تظهر أنها حقيقية مما وصل الينا من المناظر التى نشاهدها رأى العين فى المعابد والوثائق المصرية القديمة . وقد أصبح « الاسكندر » بحق الفتح فرعونا ، وقد استقبله الاله «أمون رع» بنفس الطريقة التى كان يستقبل بها لفراعنة الشرعيين ، وعامله الاله بوصفه ابنه واعترف بأنه والده كما اعترف لذلك لكل الفراعنة الذين سبقوه . ولكن يتساءل المرء هل فهم المقدونيون والاسكندر قيمة هذه الأحفال التى نفذت أمامهم » والواقع أنه من المحتمل أن هؤلاء لم يكلفوا أنفسهم مئونة التعمق فى فهم ذلك ، بل اقتصروا على تدوين النتيجة وهى الاعتراف بالأبوية الالهية التى أتوا يبحثون عنها ، وقد ترجموها على حسب الآراء الجارية بالنسبة لهذا الموضوع فى العالم الاغريقى ومن المحتمل جدا أنهم اعتقدوا أن الرغبة فى تملق السيد الجديد قد ألهم كهنة الواحة ، وهذه العاطفة لها قيمتها فى السهولة التى استقبل بها الاسكندر بوصفه « ابن الآله » ، ولكن التحمس الدينى كان له الجزء الأعظم فى سلوكه فى هذا الموضوع ، ويظهر لنا أن هذا الاجراء مهزلة سياسية ، ولكنه من المعتقدات اللاهوتية الطيبية المسلم بها بل أنه أمر مفروض أن يعمله كل فرعون.

فقد كان الاله « آمون » منذ قرون فى طيبة وفى المستعمرات المصرية الاله الأعلى وكذلك الجد الذى يجب أن ينحدر منه كل فرعون حتى يصبح الملك

الحقيقي لمصر . ومن البديهى أن هذا الامتياز الذى خص به « آمون » لم يكن وقفا عليه فى الأصل بل اغتصبه من اله الشمس « رع » اله الدولة الأصلى ، ولا نزاع فى أن هذا الحفل كان يعقد فى الأصل فى « هليوبوليس » عند تولية كل فرعون من الأسرة الخامسة فصاعدا الى أن ظهرت « طيبة » على « هليوبوليس » وأصبح الهها « أمون » اله الدولة ، وأطلق عليه اسم « أمون رع » وبذلك أصبح يشارك « رع » فى هذا الاحتفال ، غير أننا لا نعرف على وجه التأكيد فى أى تاريخ حدث ذلك .

وقد كان كل الملوك بوصفهم أولاد « رع » يجرى فى عروقهم دم « رع » أو اذا كانوا طيبيين فان دم « أمون رع » كان يجرى فى عروقهم ، وكان على الذين ارتقوا عرش الملك من عامة الشعب أن يعوضوا ضعة أصولهم بأن يخترعوا لأنفسهم أنسابا خارقة لحد المألوف تربطهم بالدوحه الشمسية أو كانوا يتبعون طريقة أحسن من ذلك وهى أن الطامع فى العرش كان يتزوج من احدى الأميرات التى يجرى فى عروقها دم « رع » من اللائى ينسبن الى الملك السابق مباشرة . وهؤلاء النسوة عندما كن يصبحن أمهات كان أطفالهن يأخذون عنهن الدم الالهى الذى كان ينقص آبائهم وبذلك كانوا يربطون من جديد سلسلة الأنساب التى انقطعت لمدة . ويظهر أن من تولى من غير الأسرة المالكة عرش مصر كان يعد بداية أسرة جديدة ، وكان هذا المؤسس الجديد يعمل على تثبيت ملكه بزواجه كما قلنا من احدى قريبات الملك السابق أى من الدم الملكى الحقيقى ، وقد كانت التقاليد أو القانون المتبع يقضى بأن تكون الأحقية فى الملك على حسب النظام التالى :

١ — أن يكون الوارث للعرش ابن ملك ولد من زواج ملك بأخته وكلاهما من الدم الملكى الخالص .

٢ — أن يكون الوارث ابن ملك ولد من زواج ملك ليس من الدم الملكى الخالص بابنة ملك من الدم الملكى الخالص .

٣ ــ أن يكون الوارث للعرش رجلا قويا تزوج من ابنة ملك من دم ملكى خالص .

ومما سبق نفهم أن تولية العرش فى مصر لم تكن من الأمور الهينة (راجع مصر القديمة الجزء الأول ص ٢٩٥) . وعندما يتزوج رجل قوى من امرأة من الدم الملكى كان لا يقوم بمهام الملك الا بوصفه زوج الملكة ، ومن ثم يصبح فرعونا ، غير أن أطفالهما لم يكونوا فى نظر الشعب من دم ملكى خالص ، ولكن الكهنة بما لديهم من حيل رأوا حلا لهذا المشكل وهو أن يتدخل الاله شخصيا وعملوا على أن يكون الطفل الذى سيئول اليه الملك من هذا الزواج ابن الاله «أمون رع» مباشرة ، ومن أجل ذلك كان الاله «أمون رع» يتفضل بالنزول على الأرض ويأخذ صورة الملك ويجتمع بالملكة فعلا. وعلى ذلك فان الطفل الذى ينتج من هذا الاتصال المباشر الخارق لحد المألوفه يكون النسل الطاهر من الاله « آمون » أو من الاله «رع» . والآثار الباقية تقدم لنا أمثلة من هذا النوع من الزواج نذكر منها صور الدير البحرى وولادة « حتشبسوت » (راجع مصر القديمة الجزء الرابع ٣١٦) وولادة الملك «منحوتب الثالث» (راجع مصر القديمة الجزء الخامس ص ٥٣ــ٥٤) . ولدينا مثال آخر كان مصورا الى عهد قريب على جدران معبد « أرمنت » قبل أن تستعمل أحجاره فى اقامة معمل السكر فى بلدة «أرمنت» (١). وهذا المنظر يمثل ولادة «قيصرون» بن «كليوبترا» و «يوليوس» قيصر ، ونحن نعلم كيف أن « كليوبترا » قد تزوجت من يوليوس قيصر وأنجبت منه قيصرون ، ولأجل ألا ينكر أحد أبوة « قيصرون » هذا مثلت « كليوبترا » منظر اجتماع « آمون » بها . والغريب أن هذا العمل الجرىء لم يشمئز منه أهل الاسكندرية من الاغريق . ولقد كان أمرا ضروريا على مايظهر أن

(١) راجع The Bucheum, by Sir Robert Mond, Vol. I, P. 25

يقدم الأمير الجديد الى رعاياه المصريين الأصليين بطريقة تتفق مع عاداتهم وشمائرهم المصرية . والواقع أن البطالمة قد تعودوا طوال مدة حكمهم أن يمثلوا الأسر الفرعونية القديمة فأصبحوا يدعون أولاد « رع » أو أولاد « آمون » ، كما كانوا منذ عهد « بطليموس الثانى » يحافظون على الزواج من أخواتهم على حسب القواعـد المصرية وهذا أكبر دليل على اهتمامهم بحفظ الدم الالهى ظاهرا على حسب القانون الفرعونى .

ويلحظ أنه عندما أتى « يوليوس قيصر » الرومانى وطعم النسل البطلمى بدم غريب كانت النتيجة أن كهنة « أرمنت » قد أعلنوا أن الاله فى هـذه الفرصة كان مخلصا أيضا ، وأنه وحد بقيصر فى الليلة الحاسمة التى حملت فيها « كليوبترا » فى « قيصرون » ، وأن الأخير كان بعيدا عن أن يكون دخيلا ، بل كان على العكس يمثل نسل « رع » المباشر ، وبهذه الكيفية حل الكهنة بسهولة هـذه المسألة العويصة التى حولت ابن اغريقية وابن رومانى الى نسـل حقيقى منحدر من صلب الآلهة والفراعنـة الذين كانوا يحكمون مصر (١) .

هذا وقد كان كهنة واحة « سيوة » المتفقهون فى كل العقائد الدينية وفى كل شعائر « آمون طيبة » مجبرين بحكم تقاليدهم على أن يعترفوا بأن «الاسكندر» كان ابن الههم، وأنه ابنه الذى ولد من اختلاط جنسى حدث مع والدة هذا الفاتح ، على أن الأمثلة على ذلك لم تكن قاصرة على ماحدث فى أمر ولادة « حتشبسوت » والملك «أمنحوتب الثالث» بل هناك أمثلة أخرى.

واذا كان الكهنة قد طبقوا هذه الحالات على حالة الاسكندر فان سلوكهم فى ذلك لم يكن عليه غبار فيما يخص ادعاء كادعاء هذا الفاتح . والواقع ان

(١) راجع Champollion, Monuments de l'Egypte et de la Nubie, Pl. CXLIV— CXL III ; & t. I, P. 293-4 ; Rosellini, Monumenti de Culto, pl. LIII & P. 293-301 ; L.D. IV 60-61).

المسألة قد مثلت أمامهم بمثابة قضية منطقية غاية فى البساطة . وذلك أنه كان لا يمكن أن يكون فى مصر ملوك شرعيون الا اذا كانوا من أسرة « رع » أو أولاد «آمون» مباشرين أو غير مباشرين . والواقع أن « الاسكندر » هو الملك الشرعى لمصر ، وذلك لأن الآلهة قد سمحوا له أن يستولى عليها بعد أن قهر الفرس بأعجوبة ، ومن ثم فان « الاسكندر » بطريقة أو بأخرى كان ينتسب الى أسرة « رع » ، وأنه ابن أمون رع ولا يقل فى ذلك عن الملوك الذين سبقوه . وقد يقال بلا شك أنه فى كل الأمثلة التى أقتبست كان الآباء الأرضيون للملك الذين يدعون أبوة « أمون رع » هم من أعضاء الأسرة الحاكمة وأنه لا فرق بينهم الا فى نسبة الدم الالهى ، فى حين أن والد الاسكندر وأمه كانا أجنبيين عن أية أسرة من الأسر الملكية المصرية ، وحتى عن مصر نفسها . ولكن فطنة الكهنة الطيبيين التى كانت قادرة على حل المشاكل قد توقعت حدوث مثل هذه النظرية التى يكون فيها الملك المؤسس للأسرة الجديدة وزوجه ليس لهما أية صلة بالملوك السابقين ، وعلى ذلك أجابوا بنجاح على الاعتراضات التى تقف فى وجه هذه النظرية وذلك أن تاريخ مصر الحقيقى لا يقدم لنا حتى الآن أية حالة من هذا النوع ، غير أن هناك أسطورة تحدثنا بصورة واضحة عما سكتت عنه الآثار ، ولا أدل على ذلك مما قيل عن أصل ملوك الأسرة الخامسة فقد قيل عنهم أنهم لا يتصلون بأية حال من الأحوال بملوك الأسرة الرابعة كما جاء فى أسطورة ورقة فستكار ، وان كانت الكشوف الحديثة الصلة بينهما . وعلى أية حال قيل عن ملوك الأسرة الرابعة أنهم من والد وأم من البشر ، ولكن «رع» قد أتى الى الأم واجتمع بها وبذلك أصبح أولادها الذين أنجبتهم من نسل «رع» (راجع كتاب الأدب المصرى القديم الجزء الأول ص ٧٤) . والواقع أن هذه القصة كان الغرض من كتابتها أن تعبر فى هذا الموقف كما هى الحال فى أى زمان عن الأفكار المتداولة فى الزمن الذى كتبت فيه فتظهر بوضوح أن الآله

كان فى قدرته ان يحدد سلالته بوساطة امرأة من عامة الشعب وليس لهـا علاقة باحدى الأسر المالكة . هذا وكان الاسكندر الأكبر مثله كمثل الملوك الثلاثة الذين وردوا فى الأسطورة السالفة فلم تكن أمه أميرة يجرى فى عروقها الدم الملكى على أن ذلك لم يمنعه مثلهم أن يكون والده هو الاله الذى يجب أن يكون كل ملوك مصرمن صلبه ، وعلى ذلك يكون له الحق فى أن يصبح الفرعون الشرعى .

ومن ثم فان أصل « أوليمبياس » الهيلانى لم يكن عقبـة فى أن يجتمع « آمون » بها ، على أن مجرد كون « الاسكندر » يتربع على عرش « حور الأحياء » هو برهان كاف لدى الكهنة يؤكد وقوع هذا الاجتماع ، وان ابن « فليب » الذى ليس من صلبه كان فى الحقيقة ابن « اوليمبياس » و«آمون».

فهل ياترى كان هؤلاء الكهنة قد علموا بالشائعات الغريبـة التى كانت منتشرة عن ولادة هذا البطل وأفادوا منها ليحاولوا تفسير التفاصيل العدة التى بقيت غامضة فى هذه القصة ؟ والواقع أن الشعب المصرى الذى اعتاد فكرة هذا الزواج الالهى قد قبل دون تردد حكم كهنة «آمون» ، وعلى ذلك أخذ الأصل الخارق للحد المألوف للاسكندر ليكون موضوع قصة حشرت فى الرواية التى وضعت على لسان « كاليستنيس » حوالى القرن الثالث بعد الميلاد . وتدل شواهد الأحوال على أن القصـة لم تكن فى أغلب الظن فى الأصل الا صورة من المناظر التقليدية التى مثلت على جدران معبد الأقصر مثلا ، وقد اقتصرت على أن تظهر لنا كيف أن الاله « آمون » عندما أراد أن يخلص بلاده كلها من الفرس الأجانب الذين ساموها الظلم والخسف ، قد أتى ليلا واجتمع بأوليمبياس . وقد بقى هذا المبدأ سـليما لمن أراد أن يكون الملك من سلالة الهية ، وقد عزى النعرة الوطنية فى هزيمتها أن توهمت أن مصر هى التى فازت بهذا الوضع وذلك لأن مصريا هو الذى أخضعها ثم

فتح بعد ذلك العالم (راجع .Pseudo Callisthenes, II 27 ed
Muller-Diclot, P. 24).

ومما يطيب ذكره هنا هو أن سكان الاسكندرية كانوا خليطا من الوطنيين والاغريق وكانوا أقل تعودا على تلك الأفكار الصبيانية فى لظرهم بالنسبة للاهوت الطيبى ، ومن أجل ذلك أخذوا يشككون فى هذا الاله الذى قام فى وسطهم فى رابعة نهار التاريخ وسمح لنفسه أن يغرى أصحاب العقول الساذجة كما كانت الحال فى زمان « هومر » .

وقد كانت عقيدة افهيمير (Evhemere) التى تقول بأنه من الممكن أن الفرد العادى يصبح الها قد دب دبيبها فى نفوس القوم ، فبدلا من التسليم بأن « آمون » قد نزل الى مخدع ملكة ، وهو قول لا يحتمل التصديق ، يمكن أن تحل فكرة أخرى محل ذلك وهى أن رجلا عالما كان يتمثل بما أوتى من مهارة فى علم السحر فى صورة « آمون » لمدة . ولما كان من الضرورى أن تصبح الخرافة مقبولة فان هذا الرجل كان لابد أن يكون مصريا ومن سلالة فرعونية ، ولذلك فكر فى أن يكون هـذا الرجل هو آخر الفراعنة الوطنيين الذين حكموا مصر وهو الملك « نقطانب الثانى » الذى كان صاحب شهرة فى فن السحر ، وقد كان من المعلوم أنه هرب الى خارج بلاده (١) بعد هزيمته على يد الفرس واستيلائهم على مصر ، وتؤكد المصادر التاريخية أنه كان قد فر الى بلاد «كوش» واحتمى فيها ، غير أن التاريخ قد أخطأ فى هذه المسألة كما أخطأ فى كثير غيرها على زعمهم فقد أرسل الملك المخلوع الى « مقدونيا » لأجل أن يصير فيما بعد والد «الاسكندر» . وقد كانت الشائعة عن علمه بالغيب قد وصلت الى أذن « أوليمبياس » ، وقد استشارته وقد وقع فى غرامها عندما رأى محياها الفتان ، وقد أخبرها أن القدر قد جعل من

(١) راجع مصر القديمة ، الجزء الثالث عشر ص ٣٣٨ .

نصيبها شرف الاجتماع باله لتنجب منه ابنا ثم أضاف قائلا أن هذا الاله هو « آمون لوبيا » صاحب الشعر واللحية الذهبيين وذو القرن الذهبى : « أعدى نفسك لاستقباله يا أيتها الملكة لأنك سترين هذا اليوم نفسه هذا الاله يأتى اليك فى حلم » . وقد أرسله لها حقا بالطرق السحرية التى كانت فى متناوله فى منام رأت فيه الاله بين ذراعيها ، وقد أعلنها هذا الاله بولادة ابن يفوق البشر . ولما كانت الملكة قد اقتنعت بهذه الرؤيا الكاذبة ، رضيت بأن تستعد للزواج الالهى ، ولكنها سألت عن العلامات التى تتعرف بها على حضور العاشق السماوى . فقال لها عندما ترين ثعبانا يدخل فى حجرتك ويصل زاحفا نحوك مرى بأن يخرج كل مساعديك، ثم اضطجعى على سريرك الملكى وانظرى اذا كنت تتعرفين على الوجه الذى رأيته فى حلمك ، ثم حصل « نقطانب » على جزة كبش له قرون مذهبة وعلى صولجان من الأبنوس وعلى جلباب أبيض وبما أوتيه من مهارة فى علم السحر ظهر بمظهر ثعبان هائل ، وعندما جاء الليل دخل حجرة النوم التى كانت « أوليمبياس » تنتظره فيها مبرقعة ممتدة على سريرها ، وعندما لمحته فى ضوء المصباح لم تخفه قط بل لاحظته بدهشة من طرف عينيها ، ثم وضع الخيال صولجانه واتخذ له مكانا وأتم الزواج بها وبعد ذلك ضغط بيديه على يد الملكة قائلا : « افرحى أيتها المرأة، لأنك حملت منى فى ذكر سينتقم لك وسيكون ملكا سيدا على العالم » (راجع

Pseu do Callisthenes, IV — XXII. ed muller Didot, p. 4-12.

وبعد ذلك أخذ صولجانه واختفى ، ولكنه عاد فى الليالى التالية كلما رغبت فى لقائه . وليس من المهم أن نذكر هنا المعجزات التى ساعد بها « نقطانب » الملكة « أوليمبياس » على أن تجعل « فليب » يقبل حقيقة هذا الزواج الالهى وبراءته . وقد كان الساحر يوم الوضع بجوار الملكة يفحص السماء ، وقد أجبرها مرتين متتاليتين على أن تؤخر الوضع الى أن يرى لحظة يكون فيها تقابل النجوم يؤكد للطفل ملك العالم قاطبة .

ومما سبق نفهم أن البداية كانت قصة سحر وضعت لتفسر اختلاس « نقطانب » وكل ما فيها يتفق مع الآراء والشعائر المصرية الخاصة بالعصر. فنجد فيها الفرعون يمارس عملية السحر الخاصة بالحب على حسب الصيغة الأكثر فاعلية فكان يصنع تمثالا صغيرا لمرأة من الشمع ثم يكتب عليه اسم الملكة ويجعله ينام على نموذج سريرصنع خاصة لهذا الغرض ، وبعد ذلك يشعل بالقرب منه المصابيح السحرية ، ثم يصب على عينى التمثال الصغير عصارة نباتات مختلفة قوية المفعول نشأت عنها أحلام، وبعد ذلك يتلو تعويذة جبارة تجعل الملكة تنام وتخضع فى منامها لكل الأعمال التى دونها على تمثاله الصغير (راجع Ibid. V ed. Muller-Didot. P. 5-6).

ونفس هذه الطريقة كانت مستعملة منذ أزمان بعيدة عند قدماء المصريين ، ولا أدل على ذلك مما حدث فى عهد الفرعون رعمسيس الثالث (راجع مصر القديمة الجزء السابع ص ٥٥٦) هذا وهناك تعاويذ سحرية أخرى خاصة بالحب .

أما الثعبان الذى تقمصه « نقطانب » فلم يكن شكله معروفا فى العهود الفرعونية ولكنه كان عاديا جدا عند أهالى الاسكندرية (راجع Pseudo-Callisthenes I, XII, ed. Muller-Didot, P. 34.

حيث نجد التقاليد الخاصة بالثعبانين ((Agathodemon d'Alexandri) فى عصر كانت عبادة الثعبان « أجاتوديمون » قد أصبحت مسيطرة على كل وادى النيل ، وحيث نجد الآلهة المحليين كان يصاحبها ثعبان رأسه رأس الحيوان المقدس لكل من هذه الآلهة .

هذا وقد فكر من نقل عن « كاليستنيس » هنا أن الثعبان «أجاتوديمون» هو الاله « آمون » أى ثعبان برأس كبش يلبس نوعا من العباءات أبيض اللون ، وحاملا على جسمه صولجانا برأس كوكوفا (Koukoupha) كما نشاهده

ممثلا على كثير من الآثار . وهذه الفكرة كان وحيها بطبيعة الحال مستمدا من الشائعات الخفية التى كانت منتشرة منذ البداية عن « أوليمبياس » وعن الألفة التى أظهرتها للثعابين . وتدل شواهد الأحوال على أن منظر الزواج الالهى قد نقل حرفيا عن أصل مصرى . والواقع أننا اذا فحصنا مناظر الأقصر لوجدنا فيها«أمونرع» سيد الكرنك يأتى مسلحابصولجانه ومحلى بشارات الاهيته لينضم الىالملكة «موتأمويا» أم «أمنحوتبالثالث» وبعدذلكبلحظة نجد الاله والملكة على السرير وقد التفت الساق على الساق ، والأقدام تسندها كل من الالهتين « نيت » و « سلكت » وهما الالهتان اللتان تشرفان على الزواج .

ويقول أحد النقوشالتى تتبع الصورتين أن آمون قد تقمص صورة تحتمس الرابع زوج الملكة وأنه قد وجدها نائمة فى قصرها وقد استيقظت على عطور الاله وأنها أعجبت بجلالته ، وقد جاء ليجد متعته معها ، وأنه قد ظهر لها فى صورته الالهية وعندما وقف أمامها بهره جمالها وذلك لأن حب الاله قد استولى على كل أعضائها وعبير الاله وكذلك أنفاسه كانت معطرة ببخور «بنت». وعندما عادت الىرشدها قالت الزوجةالملكية «موت أم ويا» لحلالة هذا الاله « آمون رع » رب الكرنك فلتصر أرواحك عظيمة فى جلالتى « ولتكن تصميماتك التى أنفذتها كاملة ، وليكن اجتماعك معى جميلا ، ولتكن نطفتك الالهية فى كل أعضائى بوصفك أمير طيبة وبعد أن أتم الاله كل ما رغب فيه قال لها : أن امنحوتب أمير سيكون اسم الابن الذى سيخرج من فرجك ، وهى نفس الجملة التى خرجت من فيك وأنه سيحكم هذه المملكة الخيرة على الأرض قاطبة وذلك لأن روحى هى له وكذلك تاجى ، لأجل أن يحكم على الأرضين مثل « رع » أبديا (راجع Gayet, Le Temple de Luxor, dans les mémoires de la Mission Francaise, t. XV PI. lxxi (lxxiii); Rec. Trav. t. IX, P. 84-85.

وهذه الكلمات هى نفس كلام « تقطانب » ، واذا تأملنا معنى هذه النقوش رأينا أن الملك لأسباب نجهلها قد مثل على حين غفلة أمام الملكة وقد لبس لهذه المناسبة صورة « آمون » حتى يبقى أمينا لأسطورة الزواج الالهى : فقد كان الزوج السماوى هو الذى أتم الزواج فى صورة الزوج الأرضى . فلم يكن كما نرى تنكر « تقطانب » فىصورة « زيوس » — « آمون » الا تحقيقا ماديا لما جاء فى الشعائر الخاصة بالزواج الالهى الفرعونى .

وعلى ذلك فان القصة التى وردت نقلا عن «كاليستنيس» ليست الا تطورا طبيعيا للفكرة القائلة أن « الاسكندر الأكبر ملك مصر يجب أن يكون ابن الاله الذى تناسل منه كل الملوك . فاذا اعترف بمبدأ هذا الأصل الشمسى ، فان الخيال الشعبى قد حققه بالطرق التى كانت فى متناوله ، وأنه قد كرر للاسكندر و « أوليمبياس » ما جاء فى اللاهوت المصرى القديم عن الملوك الذين يجب أن يكون تدخل الاله الأعلى فى انجابهم مباشرا لأجل أن يمنحوا طهارة الدم الشمسى .

وخلاصة القول أن « الاسكندر » قد أصبح الها فى مصر بطبيعة الحال وبدون مجهود ، وذلك بالسير على حسب الأنظمة المصرية وبفضل المعتقدات الخاصة بالبلاد وحدها . ومجرد دخول الاسكندر وادى النيل والاعتراف به فيه فرعونا لم يجعل فى مقدوره أن يتخلص من ضرورة الحصول على أب الهى ، وأن يعلن أنه ابن « أمون » وابن « رع » وابن أولئك الآلهة كبارهم أو صغارهم ممن سيخاطبهم ، ولم تخلصه صفته الهيلانية من هذا المصير ، اذ الواقع أن مصر كان لها كثير من الحكام الأجانب وكان عليها أن تطبق نظريتها الخاصة بالملكية الشمسية تحقيقا لتاريخها ، ولذلك فان الطرق التى استخدمها الفراعنة الذين من أصل مصرى قد استعملها منذ زمن بعيد الفراعنة الذين هم من سلالة أجنبية فهل كان الاسكندر يعلم كل ذلك عندما خاطب

الوحى ؟ والشيء الأكيد الذى نعلمه هو أن الاسكندر قد دخل أفريقيا مجرد انسان من البشر بوصفه ابن « فليب » ، وخرج منها بوصفه الاله الكامل ابن « أمون » راضيا أو كارها وهذه الموازنة التى أوردناها فيما سبق بين أقوال المؤرخين من الاغريق وبين ما جاء فى النقوش المصرية القديمة دليل على أن « كاليستنيس » الاغريقى كانت له دراية بسير الأمور فى مصر أو أنه قد قرأ كثيرا عن مصر ومعتقداتها ، ويرجع الفضل فى ذلك الى « مسبرو » فى الموازنة ، ولكن التعصب الفكرى الأوربى لا يقبل كثيرا مما أوردناه هنا على الرغم من البراهين القاطعة التى تعززه (راجع

Maspero, Comment Alexander Devint Dieu En Egypte, Etudes De Mythol. & D'Archeol. Egypt. VI. P. 263 FF.

وقد كان الاسـكندر الأكبر يرتاح كثيرا عندما ينادى بابن « زيوس » (أمون) وان لم يكن يجبر الناس على ندائه بهذا اللقب ، غير أنه مع ذلك كان يغضب من المتشككين والهازئين الذين ينكرون عليه وحى « آمون ».

هذا وقد ارتأى المؤرخ « بلوتارخ » غير هذا الزعم فذهب الى أن هذا المظهر الدينى من جانب الاسكندر لم يكن الا تدبيرا سياسيا يراد منه ادخال الرهبة فى قلوب السكان غير الهيلانيين الذين كان بمعونتهم يمكن أن يوسع أطـراف امبراطوريتـه . (راجع Plutarch Alexander P. 28 وكذلك يميل المؤرخ «أريان» الى هذا الرأى بعينه (راجع Arrian, VIII, 29, 6 ولكن تدل شواهد الأحوال على أن هذا الايمان من جانب الاسكندر بأنه ابن الاله كان ايمانا خالصا مصدره المبالغة فى غروره المفرط الذى سيطر على نفسه منذ البداية . ولا نزاع فى أن ادعاءه بأنه ابن لاله كان يعد اهانة موجهة بصورة خاصة الى ذكرى والده فليب ، وقد كان هذا الموضوع الذى يتحدث عنه الاغريق دائما فى أوقات غضبهم عن الاسكندر . ومن الأمور التى أحفظت نفوس قواده بدرجة عظيمة أمثال « بارمينو » و « فيلوتاس » (Philotas)

و « كليتوس » (Kleitus) وغيرهم من عظماء القواد وقاحة الاسكندر بانكاره أبوة « فليب » ووضع نفسه فوق مستوى البشر . وعلى أية حال فان الخوف من الاسكندر واعجاب المقدونيين والاغريق به قد أجبرهم على قبول الواقع والرضا به .

والآن يتساءل المرء لماذا اختار « الاسكندر » ان يسمى نفسه ابن الاله وبالذات ابن الاله « آمون » ؟ والجواب عن ذلك يرجع الى سببين رئيسين أساسهما أرض الكنانة نفسها ومكانتها فى العالم القديم وتأثيرها على ماكان يحيط بها من أمم مختلفة من حيث الدين والعلوم وبسطة السلطان ، ولأجل أن نفهم ذلك لا بد لنا من أن نرجع الى الوراء بعيدا قبل فتح الاسكندر لمصر لنرى ماكان لمصر من فضل ومكانة بين الأمم وبخاصة بلاد الاغريق وما أخذته الأخيرة عن مصر منذ فجر التاريخ .

أثر الحضارة المصرية القديمة فى الحضارة الأغريقية

من الظواهر الطبيعية العجيبة فى الخلق الانسانى أنه عندما ترسخ فكر فى الأذهان البشرية بصورة قوية سواء أكانت هذه الفكرة عقلية أم خلقيه أم أدبية وتكون نشأتها ناتجة عن تقليد قديم خاص بأحوال العالم الدنيوى فان الانسان لايبحث بعد السير على مقتضاها أجيالا طويلة فيما اذا كانت هذه الفكرة منطقية أو غير منطقية ، وبخاصة عندما تصبح هذه الفكرة ضمن دائرة الأفكار والآراء المرعية المسلم بها ، ومن ثم يفرضها الانسان على نفسه بأنها عقيدة لا محل لمناقشتها أو الشك فيها .

ولا أدل على ذلك من أن كثيرا من رجال الفكر وأساطين العلم والفلسفة وكبار الكتاب المفكرين قد أعلنوا آراء وأفكار عن أصول المدنية الهيلانية لا تقبل الشك أو الجدل حتى أن أخطاءهم فيها قد أدهشت عقــول الذين أخذوا فى درس الحضارة الاغريقية ولم يكونوا على علم بتلك الآراءالخاطئة

التى وقع فيها من سبقهم ممن درسوا تلك الحضارة على ضوء الكشوف الحديثة .

ومن أفدح الأخطاء الشائعة فى عصرنا هذا ما روى عن الحضارة الاغريقية من أنها أم الحضارات الغربية وأنها لم تكن فى حاجة الى غيرها من المدنيات التى سبقتها ، وأنها على ذلك لم تخضع فى أصولها وفى أزمان تطورها فيمابعد على وجه التقريب لأى تأثير وفد علّيها من خارج تربتها . والقول السائد الذى يردده حتى الآن السواد الأعظم من رجال العلم أن بلاد الاغريق هى تربة الشعب الذى استقى منه كل العالم جميع عجائب ما أنتجه الفن والأدب والعلم والفلسفة ، ولذلك فانها كانت تعد نسيج وحدها . وما نرمى اليه الآن فى هذا الفصل هو أن نبرهن بصورة مختصرة ، على أن هذه الفكرة خاطئة من أساسها وأن بلاد الاغريق كغيرها من كثير من البلاد الأخرى كانت من حيث أصول الفلسفة بوجه خاص مدينة لمصر بدرجة عظيمة . حقا ستكون براهيننا على صحة هذا الرأى ناقصة بعض الشىء ، فلا تبلغ حد الكمال الذى كنا نأمل أن نصل اليه، ومن ثم هذا الموضوع لا يمكن حله بأكمله فى هذه العجالة وقد يكون من الخير أن نوضح هنا المقدمات التى لا تعد الا حجرا واحدا فى البناء الذى سيقيمه عاليا أولئك الذين سيتناولون هذا الموضوع عندما تكشف أرض مصر عما فى جوفها ، وبذلك يتقدم علم الآثار التقدم المأمول فيه نحو هذا الاتجاه من حيث الكشوف .

ومما لانزاع فيه أن الشعوب التى أسهمت فى تقدم المدنية البشرية منذ نشأتها هى الشعب المصرى والشعب الكلدانى ثم الشعب الهيلانى المبكر . وليس من شك فى أن الثقافة الاغريقية الحقيقية مرتبطة بثقافة الشعبين المصرى والكلدانى ارتباطا وثيقا لا لبس فيه ولا ابهام . والواقع أن مصر قد لعبت دورا هاما عظيما فى الثقافة الهيلانية القديمة وبخاصة فى ثقافة القوم الذين

كانوا قبل الشعب الهيلانى وهم الذين ورث عنهم الاغريق حضارتهم وأعنى بذلك اغريق الجزر اليونانية وبلاد الاغريق الكلاسيكية. وتؤكد أعمال الحفر المثمرة التى عملت فى جزيرة « كريت » وفى « البليبونيز » وفى آسيا الصغرى فى موقع اقليم «طرواده» على وجود مدنيات رفيعة ترجع الى عهد سحيق فى القدم أى الى الألف الثالثة والألف الثانية قبل المسيح . وهذه المدنيات المكشوفة تبرهن على تأثير بارز جاء عن البلاد المجاورة وبخاصة مصر .

وتدل شواهد الأحوال على أنه كانت هناك اتصالات غاية فى النشاط بين المصريين والعالم الايجى قبل أن يظهر الشعب الاغريقى بصورة واضحة على مسرح التاريخ . فقد كانت كريت متصلة بمصر اتصالا وثيقا قد يسفر عن اشتراك فى الدم . فقد وجدت أشياء مصرية فى قصور « كريت » كما وجدت أشياء كريتية فى مقابر مصرية (راجع C.A.H. Vol. of Plates, i, 104-5 وعلى أية حال فانه فى العصر الذى جاء بعد خلاص مصر من يد «الهكسوس» الغاشمين أى بحلول الأسرة الثامنة عشرة قد أصبحت العلاقات بين البلدين وطيدة جدا . وحوالى نهاية القرن الخامس عشر قبل الميلاد حلت بكريت كارثة طاحنة قبل أن تصل الجزيرة الى العهد المنوى المتأخر الثانى . وقد كانت مصر « وكريت » قبل هذه الكارثة على اتصال تام . ومن الواضح أن بداءة العلاقات بين مصر وبلاد الاغريق نفسها وجزرها يتفق مع سقوط الحكومة المنواتية فى كريت والقضاء على أهميتها السياسية والتجارية (راجع مصر القديمة الجزء الخامس ص ١٨٨ — ٣٤٤) .

وقد كان المصريون يسمون سكان بحر ايجة وسكان بلاد الاغريق نفسها « أقوام الجزر التى فى وسط البحر » وذلك لأنهم كانوا لا يعرفون الا القليل عن أرض الاغريق الرئيسية وقد ظنوا أن كل الأقوام المجاورة قد أتوا من بعض الجزر وكانوا خاضعين لكريت .

وقد عزيت الكارثة التى حلت بجزيرة « كريت » على وجه عام الى رجال بلاد الاغريق أنفسهم وهم الذين خربوا مدنها وأحرقوها فى غارة قاموا بها ويعزو السير « أرثر ايفانز » سقوط « كنوسوس » على الأقل الى زلزال

(راجع Evans Palace of Minos, Vol. II, I, P. 320 راجع مصر القديمة الجزء الثانى عشر ص ٥٢٠ — ٥٢٤) .

ويقول « بندلبرى » أن هذه الكارثة كان سببها مجهودا منظما لأنه فى هذا الوقت لم يكن تبدو على كريت علامات ضعف (راجع J.E.A. Vol. XVI, P. 90

أما أهل البحار الذين تحدثنا عنهم كثيرا فى غير هذا المكان (راجع مصر القديمة الجزء السابع ص ٧٥ — ٨٢) وهم الذين كانوا يسكنون بعيدا عن « كريت » فلم يكن المصريون يعرفون عنهم شيئا فقد أتوا الى مصر مباشرة مع أمتعتهم وكأن كريت لم تكن موجودة وقد بقيت العلاقات بينهما فى سلام لمدة قرن ونصف قرن من الزمان ، ولكن فى عهد الملك « مرنبتاح » هددت مصر بلاد لوبيا كما هددها حلف من أقوام البحار (راجع مصر القديمة الجزء السابع ص ٧٥ — ٨٢) . وقد قضت مصر على هذه الغزوات وبقيت بعد ذلك هادئة . قد تركت هذه الغزوات أثرا فى الشعور المصرى وحالته من ناحية الأجانب بدرجة لا يمكن تقديرها ، وكانت من عوامل عزلتهم التى تحدث عنها الكتاب القدامى .

حقا لقد ظل أقوام البحار مع مصر فى سلام ورعاية لحق الجوار مدة تقرب من قرنين ، ومن ثم فان العداوة التى أظهرها أقوام « ايجه » لا يمكن تفسيرها ،وكانت وبالا عليها الى أقصى حد لأن معظم كسبهم كان من التجارة.

وبعد أن أفلتت مصر من هذا الخطر الخفى انكمشت فى عقر دارها ولم تعد هناك مبادلات تجارية ، وقد أغلقت مصر نتيجة لذلك موانيها لدرجة أن

ظهور الأشرعة فى الأفق كان نذيرا بحملة حربية (راجع J.E.A., XVI. 92

وتعتبر هذه الغارات نهاية عهد فى تاريخ البحر الأبيض المتوسط ، ولكن على الرغم من أن مصر قد نجت من خطر الفتح ، فان القوة الحربية التى كان يمتاز بها الجنود المصريون الوطنيون قد اضمحلت وأصبح كل جنودها المحاربين من الجنود المرتزقة بوجه عام ، ومن ثم أخذت قوة مصر تنحط بسرعة وتتابع عليها الغزو الأثيوبى فالآشورى . الى أن جاءت « الأسرة الساوية » وأجلت الأثيوبيين عن مصر ثم قضت على سلطان الأشوريين جملة وطردتهم من وادى النيل . وفى خلال العهد الساوى تمتعت مصر باستقلالها لمدة قرن ونصف قرن من الزمان ، وفى خلال حكم « بسمتيك الأول » مؤسس هذه الأسرة أخذت مصر تتصل من جديد بالعالم الغربى وبخاصة ببلاد الاغريق .

ويمكن تلخيص تغيير موقف المصريين بالنسبة للاغريق حتى عهد «هردوت» فى المراحل التالية :

أولا : العداء لكل الأجانب (راجع Strabo, 17, 1, 6, P. 792) ، وتجنب العادات الاجنبية (Herod. II, 41, 7, 91, 1)

ثانيا : حاجة مصر للمساعدة فى عهد الملوك الساويين أى فى خلال الأسرة السادسة والعشرين وقد أدى ذلك الى السعى فى التأثير على الاغريق بما للثقافة المصرية من مكانة رفيعة فى العالم .

ثالثا : ظهر اتحاد سياسى بين المصريين والاغريق كان سببه عداوتهما المشتركة للفرس .

رابعا : السعى للبرهنة على وجود علاقات قديمة بين بلاد الاغريق ومصر أو بعبارة أخرى ما أخذه الاغريق عن مصر فى ميادين العلم . وسنتحدث هنا عن هذه المراحل :

خامسا : ما أخذه الاغريق عن المصريين فى العصر الساوى .

١ ــ أما عن المرحلة الأولى فقد تحدث عنها « هردوت » فى كتابه عن مصر عندما تحدث عن العادات المصرية ومناقضتها العادات الاغريقية (راجع Herod. VI, 35, 25 eq.

ولكن مما يجدر ملاحظته هنا أن « هردوت » قد بالغ فى مواضع كثيرة عند قرنه العادات المصرية بالعادات الاغريقية لأنه ارتكن احيانا على قول الأدلاء وأقاصيصهم .

٢ ــ كانت مصر فى العهد « الساوى » فى حاجة الى مساعدة الاغريق . حقا كانت مصر مغلقةفى وجه الزائرين الاغريق عدة قرون وذلك منذ أن كانت مصر مهددة بغزو أقوام البحار لها ، ولكن كانت أرض الدلتا على الأقل معروفة للعالم الاغريقى . فقد ذكر فنار اسكندرية المستقبل فى أودسى هومر (راجع Od. IV, 355) ، فقد كان هناك « أمام مصر » حيث ربط « منيلاوس » (Menelaos) سفينته وأجبر « بروتيوس » المصرى على أن يعلن له طريقه الى وطنه . وكذلك نجد ذكر « طيبة » وبوابات معبدها التى بلغت المائة ، فى « الالياذة » وفى « الاوديسى » (راجع Illiad IX, 381, Od. IV, 126) وكان يسكن هناك الفرعون « بوليبوس » (Polybos) عندما غمرت « ألكاندرا » (Alkandra) زوجة « منيلاوس » بالهدايا .

وفى الأزمان التاريخية الأكثر وضوحا نجد الميليزين الاغريق على الرغم مما بينهم وبين المصريين من خلافات فى طرق الحياة وكرههم للأجانب ، فانهم قد أفلحوا فى خلال النصف الثانى من القرن السابع ، أى فى عهد الفرعون « بسمتيك الأول » فى الحصول على مواطىء قدم فى مصر ، وهناك أسسوا محطة تجارية وهى التى تدعى « الجدار الميليزى » . ولم يمض طويل زمن حتى أوغلوا بسفنهم فى المقاطعة « الساوية » وأسسوا هناك « نقراتيس »

(نقراش) الواقعة على أحد فروع النيل الغربية (راجع مصر القديمة الجزء ١٢ ص ٧٣) وقد قضت الأحوال وبخاصة وجود الأشوريين فى مصر بأن يؤتى بجنود مرتزقة الى مصر من بلاد الاغريق (راجع مصر القديمة الجزء ١٢ ص ٦٨) ومن هذا الوقت أخذت العلاقات التجارية والحربية تزداد زيادة كبيرة فى عهد ملوك الأسرة السادسة والعشرين وبخاصة فى عهد الملك « أحمس الثانى » كما فصلنا القول فى ذلك فى مصر القديمة (راجع مصر القديمة جزء ١٢ ص ٤٠٩ — ٤١٣) .

٣ — وفى أثناء اختلاط الاغريق بالمصريين اختلاطا محسا فى عهد الأسرة السادسة والعشرين بدأ الاغريق الذين وفدوا على مصر يحسون مكانتها العلمية بالنسبة لهم وقد كانت « نقراش » و « دفنة » هما المركزان اللذان وصل منهما تأثير الثقافة المصرية الى بلاد الاغريق ، وقد كان وجود هذين البلدين يعنى أن مصر كانت معروفة لا للسياح ، بل كانتا سكنا لجماعة من الاغريق من مدن مختلفة . ففى عهد الملك « أمسيس » كان كثير من الاغريق ينتقلون ذهابا وايابا بين « نقراش » ومدنهم فى بلاد الاغريق . ولابد أن تأثير هذا الاتصال كان عظيما فمن ذلك مانجده من قبل عهد الفتح الفارسى آثار مصورة على آكروبول أثينا (راجع G. Dickins, Catalogue of the Acropolis Museum, I, 167, on Nos. 144, 146.)

منها صورتا كاتبين يلبسان ملابس اغريقية مقلدة عن اللباس المصرى . وهناك نواة للحقيقة القائلة بأن الاغريق قد أخذوا فلسفتهم عن المصريين وسنتحدث عن ذلك فيما يلى :

هذا ونعلم أن « بورياندر » المواطن الكورنثى قد سمى ابن أخيه وخليفته « بسمتيك » حبا فى « بسمتيك الأول » مؤسس الأسرة السادسة والعشرين، وتدل شواهد الأحوال على أن الاغريق قد وصل اليهم عن طريق «نقراش»

هدايا ثمينة وبخاصـــة البردى الذى قدم لهم مادة خفيفة رخيصـــة لكتابة مؤلفاتهم .

ولا يفوتنا أن نذكر أن رجـــال الحكمة والفلسفة فى بلاد اليونان مثـــل «بيتاجوراس» (فيثاغور) و «صولون» قد زاروا مصر وأخذوا عن علمائها ونرى مما كتبه « هردوت » وما تركه لنا سلفه « هيكاته » (٥٥٠ ق.م.) نتيجة لسـياحتهما فى مصر قبل الثورة الأيونيـــة ، مقدار الأثر الذى تركه المصريون فى نفوس الاغريق عندما علموا مقدار ايغال تاريخ مصر فى القـــدم بالنسبة لبلادهم (راجع هيكاته Early Ionian Historians, Oxford, PP. 25 Sq. & PP. 81, on Egypt)

ولقد كان من جراء الحروب الفارسية أنها قضت على كل الاتصـــالات السلمية بين بلاد الاغريق وأرض الفراعنة القديمة لمدة من الزمن . وعلى أثر انتهاء هذه الحروب بالقضاء على ثورة الأمراء المصريين المحليين أخذت البلاد المصرية من جديد تفتح أبوابها للزائرين من الاغريق ، فقد زار الفيلســـوف «أناكزاجوراس» (Anaxagoras) القطن المصرى وفحص فيضان النيل وهبوطه.

وتدل شـــواهد الأحـــوال على أن هلانيكوس (Hellanikos) المؤرخ الاغريقى وهو معاصر لهردوت قد زار مصر قبله على ما يظهر (راجع Ibid. P. 152, and Especially P. 199) ، ولكن يرجع الفضل الأكبر فيما كتبـــه المؤرخ « هردوت » (حوالى ٤٥٠ ق.م) الى معـــرفة مجهودات المصريين وتأثيرها فى الاغريق مما جعله يثبت أن الثقافـــة المصرية كانت أعلى من ثقافتهم . ولكنه على الرغم من رغبته فى قبول تقدير المصريين لثقافتهم هم الا أنه بقى اغريقيا قحا فى تفسيره لمصر بعبارات تدل على العقلية الاغريقية . وعلى الرغم من أنه كان مستعدا لأن يعترف بأسبقية ثقافات أخرى وباعتبار الأنظمة الاغريقية مأخوذة عن المصرية ، فانه أراد أن يفسر كل ماهوأجنبى بالروح الاغريقيةالتى كان يعدها معيار للبشرية عامة فى التعبير.

والواقع أن مصريى عهد « هردوت » كانوا يظهرون بحــق نحو الروح الاغريقية شعور التفوق على الاغريق بل الاحتقار لهم ولا غرابة فى أن يكون هذا موقفهم لأن مدنيتهم كانت تضرب بأعراقها الى الماضى البعيد بالنسبة لمدنية الاغريق الحديثة التى لم تكن قد وقفت على قدميها بعــد فى العلوم والمعرفة ــ وقد كان المصريو ن فى تلك الفترة يحلمون بماضيهم القديم الذى لم يطرأ عليه أى تغيير من حيث حاصلات البلاد أو موارد نهر النيــل (Herod. II, 177) . وقــد كان « هردوت » عليمــا بهــذا الكبريــاء المصرى بالنسبة لمجد أجدادهم كما أوضح لنا ذلك خلال محادثته مع كهنة « آمون » طيبة فى معبد الكرنك (Herod. Ibid. 143) فقد حدثنا كيف أنه عندما تتبع «هيكاته» الميليزى الاغريقى الذى زار مصر قبل «هردوت» نسب أجداده الى أنْ وصل الى آله فى الجيل السـادس عشر ، قاده الكهنةالى داخل المعبد وأطلعوه على ثلثمائة وأربعة وأربعين تمثالا منصوبة هناك لأفراد وكان كل واحد منها ابنا لما يليه فى سلسلة متصلة حتى آخر واحد منهادون أن يصلوا فى النهاية الى اله ، وعلى الرغم من الثلثمائة والخمسة وأربعــين جيلا فان الرجل الأول كان يريد أن يدلل على أنه رجل نبيل المولد وحسب. وقد عرف « هردوت » طرفا من تفاخر المصرى بماضيه ورهوه بتفوق سلالته على باقى سلالات العالم. هذا ولدينا مثالآخر فى المحادثة الشهيرة التىجرت بين . صولون » وكاهن مصرى مســن (راجــع .Plato. tim. 226, Cf Joseph, Cont. Ap. I, 7 ، فتحدث عن الاغريق بأنهم أطفال لأنه ليس لهم ماضى سحيق فى القدم وقال : « انكم ستظلون أطفالا الى الأبد اذ ليس فى بلاد الاغريق رجل مسن » .

والمرحلة التالية فى العلاقات الاغريقية المصرية تظهر تغيرا ثابتا لمــا هو حسن . فقد قام بين الأمتين تعاون سياسى بسبب العداوة التى كانت بينهما

وبين الفرس وهذا التعاون يفسر الترحاب الذى أظهره المصريون للاسكندر عند دخوله مصر فاتحا .

والواقع أن الأسرة السادسة والعشرين لم تكن الا الأولى من عدد من الفواصل من سلسلة ملوك أجانب بدءوا منذ عام ٧٠٠ ق.م. يسيطرون على مصر حتى جاءت الثورة الحالية التى أعادت للبلاد مجدها القديم . وقد كان عهد هذه الأسرة بمثابة ولادة جديدة وذلك عندما قامت المدنية المصرية القديمة من رقادها الطويل وأعادت لمصر تقاليدها القديمة التى كانت تفخر بها على كل العالم . وأهم شخصية بارزة فى ملوك هذه الأسرة بالنسبة لعلاقته مع الاغريق هو «أحمس الثانى» الذى اشتهر بحبه للاغريق وتوثيق روابط الألفة معهم .

وقد ظهر ذلك فى منحه اياهم «نقراش» ، وتكوين حرسه من «الأيونيين» « والكاريين » وزواجه من سيدة اغريقية من « سيرنى » ، وكذلك عقد معاهدة صداقة مع « بوليكراتيس » حاكم « ساموس » (راجع : Herod. II, 39-40) يضاف الى ذلك أن قوة «احمس» البحرية كانت هى الأساس للقوة البحرية التى جعلت مصر فيما بعد فى عهد البطالمة المسيطرة على البحر الأبيض المتوسط . هذا وقد قطعت العلاقات بين مصر وبلاد الاغريق فجأة لفتح « الفرس » لمصر . وقد قيل أن «الفرس» أهانوا المعبودات المصرية فى أثناء سيطرتهم على البلاد ، ولكن هذا الزعم باطل كما سيظهر ذلك فيما بعد ، وحتى اذا كان ذلك قد حدث فى آخر عهدهم فانه لم يحدث كما قال « هردوت » فى أول أمرهم ؛ ويطيب أن نذكر هنا أن الأخطاء الماسة بالدين لم يرتكب مثلها الاغريق ، لأن الاغريق كانوا يظهرون دائما كما أكد ذلك « هردوت » أنهم يرون آلهتهم فى الآلهة المصرية لما بين آلهة البلدين من تشابه كبير وذلك مافسر لنا فيما بعد النجاح العظيم الذى أحرزه الاغريق

فى معاملتهم مع المصريين . وقد نالت مصر استقلالها المرة الأخيرة بمساعدة الأغريق لها عندما طرد الفرس من مصر عام ٤٠٤ ق.م. غير أن مصر على الرغم من قيامها بنهضة جبارة فى خلال الأسرتين التاسعة والعشرين والثلاثين بمساعدة الاغريق لها فانه فى النهاية فقدت استقلالها عام ٣٤٢ق.م. ومنذذلك العهد لم نعرف عنها شيئا مؤكدا الى أن دخلها الاسكندر الأكبر عام ٣٣٢ ق.م. وذلك لقلة المصادر الأكيدة .

٥ ــ نجد أن بلاد الاغـــريق قـــد أخذت كثيرا عن مصر وبخاصـــة فى العهد « الساوى » .

فقد ذكر لنا « هردوت » أن المصريين كانوا قوما يحسبون زمنهم بالسنين التى تحتوى كل منها على اثنى عشر شهرا . أما فى المحيط الدينى فنجد أن المصريين هم أول قوم استعملوا تسميات الاثنى عشر الها وهذه التسمية (اقتبسها الاغريق عنهم فيما بعد) وكذلك عزى الى المصريين أنهم هم أول قوم خصوا لآلهتهم العديدين مذابحهم وصورهم ومعابدهم ، وأول من حفر الأشكال على الحجر (راجع Herod. II, 4 ويقول « هردوت » أن اسم « هيراكليس » قد أتى من مصر الى بلاد « هيلاس » ، وذلك لأنه كان الها قديما فى مصر وقد اعتبر واحدا من بين الاثنى عشر الها وذلك منذ سبعة عشرة ألف سنة قبـــل حـــكم « احمس» (Herod. II, 43) وهـــذا قول مبالغ فيـــه .

يضاف الى ذلك ان تعـــاليم ديانة « ديونيســـوس » (Dionysos) قد أتت بطريق غير مباشرة من مصر (راجع Herod. II, 49) والواقع أن كل أسماء الآلهة تقريبا قد أتت الى « هيلاس » من مصر الا أسماء الآلهة « پوزيدون (١) » (Poseidon) و « ديوسكورى (٢) » (Dioscuri)

---

(١) اله البحر الابيض المتوسط أو اله العنصر السائل

(٢) أولاد « زيوس »

و « هيرا » (١) (Hera) و « هستيا » (٢) (Hestia) و « تميس » (٣) (Themis) و « الجريس » (٤) (Graces) و « النريدس » (٥) (Nereides) (راجع Ibid. 50

هذا ولم يتعلم الاغريق عملية التنبؤ من الحيـوانات المضحاة من مصر وحسب بل كذلك أقاموا جمعيات مقدسة ومواكب وصلوات ، والبرهان على ذلك هو أن الأحفال المصرية قديمة جدا فى حين أن الأحفال الاغريقية منعهد غير بعيد (Ibid. 58) وفضــلا عن ذلك فان العقيدة القائلة بأن الروح الانســانية خالدة وأن تقمص الأرواح جاءت من صنع المصريين ثم نقلت بوساطة بعض الاغريق فى وقت مبكر أو متأخر الى بلاد اليونان (Ibid. 123) وقد تعلم « بيتاجوراس » فى مصر ضمن ماتعلمه تقمص الروح فى كلمخلوق

وتعلم الاغريق علم مسح الأرض من المصريين ومنها تطور علم الهندسة الذى برع فيه الاغريق (راجع J.E.A., Vol. XII, 1926, P. 242 f.

وقد أخذ « صولون » الأثينى قانون « احمس » الذى يقــول فيه أنه يجب على كل مصرى أن يعلن سنويا موارده التى يعيش منها لحاكم مديريته واذا عجز عن ذلك أو عجز عن أن يبرهن على أنه يعيش عيشة شريفة عوقب بالموت . وقد قال « هردوت » أن هذا قانون لاغبار عليه (فى هذا مغالطة تاريخية لأن « أحمس » كان ملكا على مصر حوالى عام ٥٦٩ ق.م. فىحين

---

(١) زوج « زيوس » أو اكبر اولاد « كرونوس » و « ريا »

(٢) الهة الموقد أو النار التى فى الموقد

(٣) أبنة « أورانوس » (Uranus) تزوجت من « زيوس » (موحدة بالنظام وحاكمة جماعات الناس)

(٤) أخوات الاله وهن تعتبرن مانحات الجمال والرشاقة وقد مثلن بصور غاية فى الابداع وهن ثلاث من حيثالعدد

(٥) « تيريوس » تعتبرن جنيات البحر الابيض المتوسط

أن « صولون » كان حاكما على مايظن فى أثيناحوالى عام ٥٩٤ — ٥٩٣ق.م)
هذا ونعلم مما كتبه « ديودور » أن « صولون » قد أخذ بعض القوانين عن
مصر (راجع Diod, Lix, Ixxvii, xcvi, xcvii) على أن ما نسبه «هردوت»
من علوم أخذ عنها الاغريق يعد فى نظر العلماء الأحداث مغالاة من جانبه ،
وأنه كان يحقر الاغريق ويميل عليهم ميلة شديدة فى نقده .

ولكن العلم المصرى كان عظيم الانتشار فى كل البلاد ، هذا فضلا عن طبقة
الكهنة الذين احتكروا العلوم والأدب ولا أدل على ذلك من أنه كان هناك
عدد عظيم من الكتاب يعملون موظفين فى الدولة ويمثلون العنصر المثقف من
الشعب وقد كان فى كل مدينة عظيمة مدرسة أو أكثر تابعة للمعبد وكانت
تؤلف كليات لاهوتية وقد كان أعظم علماء الاغريق وفلاسفتهم يفدون الى
هذه المدن الشهيرة كما تحدثنا بذلك التقاليد وأهم هذه المدن هى «سايس»
« وبوبسطة » « وتانيس » «وهليوبوليس» و «منف» و «الأشـــمونين»
و «ابيدوس» «العرابة المدفونة» و «طيبة» . والواقع أنه كان لكلية عين‌شمس
اللاهوتية شهرة عالميـــة . وأشهر كبار الهيلانيين الذين أتوا لينهلوا بعض
علومها قد دلوا «استرابون» كما يقول شمبليون « فيجاك » على الكليـــة
التى تعــلم فيهـــا كل من « ايدوكس » (Eudoxe) و « أفلاطون » فى
« هليوبوليس » .

ويقـــول نفس المؤلف أن « فيثاغور » قد تعلم فى مصر كل ما أمكنـــه
تعلمه فى أثناء مكثه فيها ، فقد عاش على ما يقـــال فى أرض الكنانةحوالى
عشرين عاما وكذلك تعلم كل من « صولون » و « تاليس » المليزى فى مصر
ونقلا كل ماتعلماه الى بلاد الاغريق . وكذلك نعرف المعلمين المصريين الذين
تلقى عليهم « أفلاطون » المقدس (راجع Champollion-Figeac, L'Egypte
Ancienne, P. 120-121).

هذا وقد ذكر لنا « شمبليون فيجاك » أسماء معلمين كثيرين من المصريين نقلا عن بروكلوس (Proclus) ، والواقع أنه فى عهد الأسرة السادسة والعشرين كان فى مقدور الاغريق أن يزوروا وادى النيل ويقيموا فيه فى أحسن حال ، وحتى فيما بعد فى عهد الفرس لم يكن هناك عائق يمنع السائحين والمؤرخين ورجال السياسة من أن يجوسوا خلال الديار المصرية بطمأنينة ويتعلموا عاداتهم وفنونهم ومعتقداتهم الدينية . وأكبر برهان على ذلك المؤرخ « هردوت » . والواقع أن كل الاغريق الذين أوتوا حظا عظيما من الذكاء كانوا على استعداد لأن يذهبوا الى منبع الحكمة المصرية . وقد كان من الطبيعى أنهم أغروا على ذلك بما كان للمدنية المصرية من شهرة طبقت الآفاق .

وبعد أن أظهرنا حقيقة العلاقات العقلية بين المصريين والاغريق بقى علينا أن نحدد طبيعة هذه العلاقات فمن المفهوم تماما أن ما بحثناه هنا لا شأن له اطلاقا بوضع صلة مباشرة بين أفكار مصرية معلومة وبين تصورات الفلاسفة الاغريق الأول ، اذ الواقع أنه لا يمكن بأية حال من الأحوال أن تفكر فى ذلك فى الحالة الراهنة للمسألة بل نريد أن نبرهن على أن الفكر المصرى لا بد قد ترك بعض التأثير فى الفكر الاغريقى ، وعندما نقول العلم المصرى والمعرفة المصرية يجب أن نفهم أن هذه التعابير لا يقصد منها الا معنى عام جدا وألا نرى فيها قط مايقصد به من معنى لهذه التعابير فى أيامنا . فلا نفهم من عبارة العلم المصرى المعلومات الفنية والعلمية والرياضية والفلكية وحسب ، بل كذلك مجموع آراء دينية وفلسفية مضافة الى عقائد وتجارب سحرية. والواقع أن هؤلاء العلماء الذين حضروا الى مصر وتعلموا فيها ترك كل منهم أثره فى علوم الاغريق وعقائدهم بدرجة محسة فمثلا قد استعمل الاغريق بدون شك عقائد مصرية مسلما بها خاصة بمصير الانسان فى عالم الآخرة . ويجب أن

يتتبعها فى حياته الدنيوية وفى موضوع نهاية العـالم الذى يعيش فيه نجد الاغريق كالمصريين كانوا يعتقدون فى وجـود الروح المجنحـة وخلودها فنشاهد على الآثار المصرية وفى المقابر أن الروح مثلت فى صورة طائر برأس انسان . وكذلك نجد الاغريق قد أخـذوا فكرة حقول الاليزية (الجنة) الخاصة بالمصريين فى مملكة الأموات التى كان يتربع على عرشها أوزير ، والكلمة الاغريقية نفسها « ايليزة » تذكرنا بصورة غريبة بالكلمة المصرية « يالو » أو « أيلو » (حقول الجنة) ، وكذلك نجد أن النيـل والقنوات التى وضعها الخيال فى عالم الآخرة ان هى الا تقليد للنيل الحقيقى والقنوات الدنيوية قد استخدمت نماذج للأنهر النارية التى ذكرها الاغريق فى أساطيرهم والأصل المصرى للكلمة الاغريقية « رادا منت » = تقابل التعبير المصرى « رع ام امنت » أى الاله رع فى الغرب (وكلمة امنتى معناها الغرب أو عالم الآخرة) ، وكذلك الكلمة الاغريقية « كارون » التى تعنى « نواتى » الجحيم مشتقة من الكلمة المصرية « كارو » التى تعنى القارب أو المرشد فى اللغة المصرية . هذا الى أن محاكمة الأموات أمام محكمة أوزير وكذلك تمثيل المحاكمة فى عالم الآخرة ، قد نقل الى العقائد الاغريقية المماثلة وكذلك وزن الروح الذى كان له قيمة كبيرة فى شعر « هومر » مأخوذ برمته عن العقائد المصرية (راجع Eliade Chant VIII, vers 68-74

ونرى مما سبق أن الاغريق قد أخذوا كثيرا عن قدماء المصريين ثم هذبوه على طريقتهم ووضعوه فى قالب جديد علمى عقلى وقد قام بذلك سلسة فلاسفة وعلماء جاءوا الى مصر قبل عهد سقراط . وهؤلاء يرتبون ترتيبا تاريخيا مابين القرن السابع ونهاية القرن الخامس قبل الميلاد تقريبـا . والواقع أن تاريخ الفلسفة اليونانية القديمة يحتوى على ثلاثة عهود رئيسية وهى عهد لتكوين وعهد النضج ثم عهد الشيخوخة . وينقسم عهد التكوين بدوره

الى عهدين أولهما يمتد من أول الفيلسوف « تاليس » (Thales) حتى عهد السفسطائيين وسقراط وهذا هو عهد الفلاسفة الذين أتوا قبل سقراط ، وهو العصر الذى كان فيه العلم والفلسفة موحدين تماما ويشغل حوالى قرنين من الزمان ، والعصر الثانى شغل جميعه تعاليم « سقراط » والسفسطائيين ويعنينا من هذين القسمين الثانويين القسم الأول فقط وذلك لأنه يشمل طلائع الفلاسفة الذين قبل « سقراط » وهم الذين زاروا مصر للدرس والتعلم .

وفلاسفة هذه الفترة قد كونوا مدارس فلسفية وهى مدرسة « أيونى » ومدرسة « ايطاليا » ومدرسة « الى » (Elee) ومدرسة « أبديرى » (Abdiri) ، ويضاف الى هذه المدارس أولئك المفكرون الذين يعدون شبه منعزلين مثل الفيلسوف « أناجزاجوراس » وكذلك أصحاب الأذهان ذوو النزعات المصلحة والمكونة مثل «أمبيدوكليز» الذى سعى فى أن يصب فى نظام واحد أصل المذاهب « الأيونية » و « الهيراكلية » و « الايلية » و « البيثاجورية » . وفلاسفة هذه المدارس وغيرهم ممن جاء قبل سقراط قد زاروا مصر وتأثروا بتعاليم مدارسها وكهانتها ونقلوا كل ماتعلموه الى بلاد الاغريق فتأثرت بذلك العلوم الاغريقية أيما تأثير وقد أصبح من المؤكد أن فلسفة اليونان وعلومهم فى عهودهم الأولى ترجع الى أصل مصرى بحت . وسنحاول هنا أن نذكر كلمة عابرة عن كل من نظريات هؤلاء الفلاسفة ومقدار تأثرهم بالعلم المصرى والفلسفة المصرية وقصدنا من ذلك اظهار الرابطة المتصلة الحلقات التى كانت بين مصر وبلاد اليونان حتى عهد الاسكندر والبطالمة .

١ - **تاليس** (Thales) : يعد « تاليس (١) » مؤسس مدرسة

(١) راجع Diels, Die Vorsokratiker: I, A I — 1, A 2 — 1, A 3.

« ميليتيس » وهى أول مدرسة أسست فى بلاد اليونان للفلسفة .

ولد « تاليس » فى ميليتيس » عام ٤٦٠ ق.م. ويعتبر أقدم ممثل للعلم الاغريقى وكذلك مؤسس العلم المبنى على البراهين العقلية . وفى زمنه كان العلم هو الفلسفة والفلسفة هى العلم وكان هو أول من فرق بين الاثنين وقد طاف فى «كلديا» وفى مصر (١) وتعلم منها عناصر العلم وقد عاش فى مصر زمنا طويلا وقد تعلم عن الكهنة المصريين كل ما أمكنه وعاد الى بلاده يحمل أفكار المصريين عن الرياضة والحساب والهندسة . وكان تأثير المصريين فيه ظاهرا فى مجال الفلسفة . والظاهر أنه أول من شغل نفسه بموضوع المادة التى يتكون منها العالم . فكان يعتقد أن كل الأشياء مصنوعة من الماء الذى يدخل فى تركيب كل شىء ، وهذا الرأى مأخوذ مباشرة من فكرة أصل تكوين العالم عند مدرسة هليوبوليس الدينية. وهى التى تقول أنه فى البداية كان « رع » اله الشمس قد خرج من الماء الأزلى « نون » الذى سكن فيه بلا حراك أبديا . والمهم هنا أن نضع فى ذاكرتنا أن « رع » اله الشمس قد خرج من الماء الأزلى « نون » وقد دلت البحوث الدقيقة أن « نون » المصرى يقابل بالضبط عند الاغريق « كايوس » التى تعنى الماء الذى لاقرار له ، ومن ثم نرى أن التأثير المصرى واضح تماما فى « تاليس » وأنه نقل الفكرة عن مصر (٢) .

٢ - **أنا كزيماندر** (Anaximander) : كان « أنا كزيماندر » تلميذ « تاليس » . ولد فى «ميليتيس» حوالى عام ٦١٠ وقد عزى اليه اختراع الساعة الشمسية . وكان يعتقد أن المادة الأولية هى اللانهائية (٣) وأن أصول

---

(١) راجع Diels, Ibid. I, A II.

(٢) راجع Diels Ibid. 1, A 3, I A II.

(٣) راجع Diels Ibid, 2, A I A9, — 7, A 92 — 2, A 10. — 2, A II — 2, A 13 — 2 A 15, 34, 37, — 2, A 17.

الأشياء كانت اللانهائية ، وأن اللانهائية تنتعش بحركة أبدية وتخلق كل الأشياء . وكان يعتقد أن اللانهائية الهة ولا تفنى، ومنها تأخذ كل المخلوقات مادتها وخواصها . ويلعب الماء فى النظام الذى اعتنقه « أنا كزيماندر » دورا ثانويا ومع ذلك فان الدور الذى يقوم به الماء هام جدا وذلك لأن المـاء هو عنصر من العناصر التى تتكون منها الأجسام .

وعلى أية حال فانه يجب ألا يغيب عن الذهن هنا أن « أنا كزيماندر » ومن قبله «تاليس» لا بد ان كانا قد تأثرا بالفكرة المصرية التى كوناها عن الأرض والآلهة وبخاصة الفكرة الخاصة بطريقة توالد الحيوان وذلك بسبب أن الحيوانات التى تعيش فى الطينة السوداء الراسبة من فيضان النيل عند انحساره قد لفتت نظر المصريين وقد ظهر منها سلسلة بحوث وتفسيرات ويكفى أن نعطى مثالا واحـدا هنا هو الالهة «ساتيس» التى كانت زوج الاله « خنوم » اله الشلال ، وقد كانت تمثل فى صورة ضفدعة وقد ظن المصريون أنها تولد من نفسها من غرين النيل الذى تخلف من فيضان النيل دون تلقيح آخر (Sayce, The Religion of the Ancient Egypt) وهـذه هى نفس نظرية «أناكزيماندر» .

٣ ــ أنا كزيمين[1] (Anaximene) المليزى « وديوجنيس » الابولينى (Diogones) . وهذان الفيلسـوفان فكرا فى أن أصـل الأشـياء هو الهواء بدلا من الماء ومن اللانهائية عند « تاليس » و «أنا كزيماندر» على التوالى . وتدل شواهد الأحوال على أن هذه الفكرة مأخوذة عن فكرة المصرى فى أن أصل الحياة هو النفس الذى يعبر عنه المصرى «بنفس الحياة» وبدونه لاتوجد حياة . وقد كان نفس الحياة منتهى أمنية يلتمسها المصرى من الفرعون ومن الاله .

---

(١) راجع J. Albert Faure, L'Egypte et les Présocratiques, P. 13 f.

٤- بيثوجوراس(فثياغور (Pythogoras)

ولد « بيثوجوراس » فى أوائل القرن السادس قبل الميلاد والمحتمل جدا التى كانت تسمى باسمه فى بلاد اليونان . ولا نزاع فى أن سياحة أنه زار مصر ومكث فيها حوالى عشرين عاما وأخذ علومه هناك عن الكهنة « بيثاجوراس » واقامته فى مصر كان لهما فائدة عظيمة . اذ الواقع أن أوجه الشبه التى توجد بين بعض العقائد المصرية ونعاليم « بيثاجوراس » عن انتقال الأرواح من مخلوق لآخر لم تكن عفو الخاطر . وقد أورد «هردوت» البراهين على أن هذه الفكرة مأخوذة عن المصريين . هذا ولدينا فى كتاب الموتى الأمثلة العدة الدالة على تقمص الأرواح . والنتيجة التى وصلت اليها البحوث الدقيقة المقارنة فى أن انتقال الأرواح من مخلوق لآخر قد أخذت عن المصرية وأنها قد تكونت شيئا فشيئا فى مصر ثم انتهت بأن أصبحت تدرس فى مدارس اللاهوت الاغريقية نقلا عن مصر .

٥ — هيراكليتوس (Heraclitus)

تتحدث فلسفة « هيراكليتوس » كذلك عن مسائل الروح والعلم والله

ولد الفيلسوف فى « أفيسوس » حوالى منتصف القرن السادس

وفلسفته مبنية على أن النار هى أصل كل شىء . وهذه النار تبرز نفسها فى كل الظواهر المادية وفى كل الأشكال التى تقع تحت الحس « أمام النار تغير كل الأشياء نفسها وأمام كل شىء النار ، كما تتغير الثروات أمام الذهب والذهب أمام الثروات » ويقول كذلك : « ان تغيرات النار هى أولا البحر وتغيرات البحر هى نصف أرض ، والى نصف مادة نارية » .

ومن ثم نرى أن أهم خواص صفات فلسفة « هيراكليتوس » هى اتحاد المتناقضات . ومن تم يقول أن المكروه ، نافع ، ولهذا يتألف من المتناقضات

أجمل الانسجام والكل يكون نفسه بالخصام وكلمة العدل لاتعرف الا اذا كان هناك ظلم . وهذه الأمثلة كانت ضرورية لأجل أن تقدم عناصر الموازنة بين أفكار « هيراكليتوس » الخاصة والفكرة المصرية . فمما لا نزاع فيه أولا أنه من المستحيل عدم التعرف على التأثير المصرى فى الدور الذى نسبه « هيراكليتوس » للنار . والواقع أن شمس هيراكليتوس لم تفسر بأنها أحسن مظهر مادى وظاهر للنار وحسب، بل كذلك تفسر بأنها النار الخفية المفكرة وبصورة ما تفسر بالنار الروحية التى تعتبر النار المادية صورة منها ، فيقول فى ذلك « أن الشمس ليست جديدة كل يوم فقط بل فى الواقع أنها دائما جديدة دون انقطاع وفى ذلك مايكفى ليذكرنا بأسطورة الشمس المصرية التى تشرق ، أو بعبارة أخرى تولد كل يوم فى شرقى أفق السماء باسم « حور أختى » وتغيب أو تموت كل ليلة فى الغرب باسم « آتوم » . غير أن هذا الموت ليس الا أمرا ظاهرا وحسب .

٦ - اكزنوفون الكلوفونى (Xenophon of Colophon) :

يعد « اكزنوفون » مؤسس مدرسة الى (Elee) الفلسفية . ولدفى المدة التى تقع مابين سنة ٦٢٠ و ٦٠٠ ق.م، وكان معاصرا للفيلسوفين «أناكزيماندر» و « بيتاجوراس » . ويمكن أن نتعرف فى أفكاره على بعض الآراء التى توجد فى العقائد التى كانت متبعة فى وادى النيل ، غير الأفكار الظاهرة التى تنقدها . فنجد مثلا أنه يحارب ويرفض فكرة تعدد الآلهة . وذلك أن « اكزنوفون » كان يعتقد بوجود اله واحد . والتوحيد عنده هو عبارة عن وجود الاله فى كل شيء ، ويقابل ذلك عند المصريين الاله « رع » الذى هو عبارة عن مظهر للشمس أو « لآمون رع » ، والواقع أن الآله المصرى له كل الصفات وبخاصة الصفات الخلقية التى تعرف المفكرون الاغريق عليها فى كينونته السامية . ومن ثم فان فكرة « اكزنوفون » مأخوذة عن مصر مباشرة.

٧ - امبيدوكليز (Empydocles)

ولد الفيلسوف « امبيدوكليز » فى « أجريجنت » حوالى عام ٤٨٤ ق.م وكان طبيبا وكاهنا وخطيبا وشاعرا وفيلسوفا وساحرا . وأساس عبقريته تنحصر فى أنه كان أول من وضع نظرية تكوين العالم من العناصر الأربعة الأرض والماء والهواء والنار ، وهذه العناصر فى نظره موحدة وأبدية . وفى رأيه أن العناصر تتجمع سويا وتنفصل بعضها عن بعض وذلك بسبب قوتين خارجيتين عنها وهاتان القوتان هما الأساسان المتضادان اللتان يسميهما « أمبيدوكليز » الحُب والبغض . وهذان العنصران لا يحسان ولا يريان . وهذه الفكرة تتفق مع فكرة الثنائية عند المصريين وقد كانت فى بدايتها مادية غير أنها أصبحت فيما بعد خلقية . وأسطورة « أوزير » تقدم لنا مثالا ممتازا، فقد كانت فى أول الأمر ظاهرة طبيعية أى الحرب بين « حور » و « ست » ثم تدرجت الى أن أصبحت الحرب بين الطيب والخبيث ، وبين النور الذى يضىء أى الروح والظلام الذى يجعلها مظلمة ومصر كانت أول أمة استعملت الثنائية الخلقية وعنها أخذ اليونان على يد « أمبيدوكليز » هذه الفكرة .

٨ - اناجزاجوارس

ولد هذا الفيلسوف فى « كلازومنيس » حوالى عام ٥٠٠ ق.م ومات حوالى عام ٤٢٨ ق.م ، وقد جاء فيماكتبه مؤلفو الاغريق أنهذهب هو و «أفلاطون» الىمصر وتعلمفيها علوم اللاهوتوالعلوم الطبيعية. ويعتقد «أناجزاجوراس» فى أبدية المادة ولكنه بدلا من فكرة تكوين العالم من العناصر الأربعة التى نادى بها « أمبيدوكليز » رأى أن كل شىء يحتوى على ذرات صغيرة لا حصر لها وهى موحدة فى طبيعتها بالأشياء التى تكونها وكل واحدة تشابه الأخرى وعناصر كل شىء تتدخل فى تكوين الجسم .

ويقول هذا الفيلسوف أنه فى البداية كانت العناصر ممتزجة وكانت

الأشياء فى حالة فوضى ثم خرج فجأة العقل أى الروح . وقد قسم العقــل العناصر وأدخل الحركة فى العالم ووضع فيه الجمال والتناسق (أى أن العقل قد وضع النظام فى كل شيء وبالاختصار قام العقل بدور خالق نظم العالم).

والواقــع أنه عندما نفحص نظرية علم نظام العالم وقوانينــه عند قدماء المصريين بصورة عامة نجد فيها ما يشابه نظرية «أناجزاجوراس» فمما لاشك فيه أن « نون » (الماء الأزلى) لا بد كان يحتوى فى نفسه على قوة خفيــة دفعته لخلق الكائن « أتوم ــ رع » بواسطة خبر رع (اله الوجود) الذى يمكن أن يدل عن هذه القوة نفسها وهى تعمل . وعلى ذلك يكون لدينا فى علم ما وراء الطبيعة المصرى ما يمكن قرنه بالفعل عند « أناجزاجوراس » والقلب عند قدماء المصريين هو الفهم أو العقل .

٩ - « لوسيبى » (Loucippe) و « ديموكريتوس »

يعتبر « لوســيبى » المؤسس لمدرســة « أبديرى » التى تبحــث فى الذرة ، والــواقع أنه فى مدرســـة أبديرى يلحظ أن تجميــع العنــاصر وانفصــالها ليس نتيجة لتــأثيرين أساسيين مضــادين هما الحب والبغض كما صرح بذلك «امبيدوكليز» أو عقل متحرك كما تصور «أناجزاجوراس» ولكنها نتيجة لحركة الذرة الأبدية . والمهم هنا أن نجد أية صــلة بين هذه الفكرة وبين العقيدة المصرية . ومهما يكن الدور الذى لعبه « لوسيبى » فان أعظم ممثل لنظرية الذرة هو « ديموكريتوس » الذى خلفه .

عاش هذا الفيلسوف مدة طويلة فى الخارج وزار خلالها مصر وكلديا وقد حدثنا أنه غادر بلاده الى مصر ليكون على مقربة من الكهنة ليتعــلم الهندسة . والواقع أنه أمضى عدة سنين تعلم فى خلالها شعائر هؤلاء القوم ، وقد كان بحرا فياضاق معلوماته فقد حوى فى صدره كل المعلومات الانسانية فى عهده . ويعــد هو و«بيتاجوراس» و «أفلاطون» و «أرســطوطل» من

أعظم العبقريات العالميـة ، فقد تعلم التاريخ الطبيعى والطبيعـة والفلك والرياضيات وكلها بنجاح متعادل والواقع أنه مدين بجزء من علمـه لمصر والشرق . ولا بد أن نشير هنا الى أن «ديموكريتوس» كان تلميذ المصريين فى علم الكيمياء المصرية وذلك لأن مصر كانت موطن علم « الكيمياء » وعلى ذلك يمكننا أن نؤكد أن « ديموكريتوس » من حيث العـلم كان قد تأثر بالأفكار المصرية والعلم المصرى ، وليس بغريب أن تكون فكرة الذرة جاءت من تعلمه الكيمياء هناك وهذا ما يتفق مع الآراء الحديثـة بعض الشىء . فتحويل المعادن الذى كان يجرى وراءه المصريون بوساطة الكيمياء يعد من أهم ما تكشف عنه البحوث الذرية فى عصرنا .

والخلاصة من الاستعراض الذى سبق يمكن القول صراحة أن مصر قد أثرت فى العلوم اليونانية تأثيرا أساسيا ويمكن تلخيص هذا التأثير فيما يأتى:

يمكن أن نتساءل الانسان أولا : هل من الممكن ألا تترك حضارة لامعة ــ كالحضـارة المصرية التى ظلت مزدهرة عدة قرون أى تأثير على قوم مثـل الاغريق الذين كانوا ، بفضل موقعهم البحرى ، لديهم كل لتسهيلات للاقلاع فى عرض البحار للبحث فى البلاد النائية ــ وبخاصة مصر ــ عن غذائهم المادى والذهنى ، وكذلك مواردهم المادية ؟ وسنضطر أن نجيب على هذا السؤال الذى فرض علينا فرضا . لقد ذكرنا فيما سبق لعدم كفاية البراهين القاطعة ــ اقتراحات هى فى نظرنا كافية لتخلق فى نفس القارىء تأكيدا أدبيا . وعلى أية حال فان الفكرة القائلة أن بلاد اليونان قد تطورت بذاتها وحدها ولا تدين بشىء للحضارات التى سبقتها لا بد أن تمحى كلية .

ولقد كانت مهمتنا فى كشف النقاب عما أخذته بلاد اليونان عن مصر تعتمد بقدر الامكان على الأمثلة التى برهنت على أن مصر تركت تأثيراتها العلميـة والفلسفية فى بلاد الاغريق كما وضـحنا ، وكذلك كيف أن أول نظـرات للهيلانيين ألقتها ـ ـ العالم فيما يخص الله والروح والمادة والفهم كانت تحمل

فى طياتها الطابع المصرى دون أن ننتقص من عظمة ذكاء الاغريق وعبقريتهم وفى الوقت نفسه فاننا على النقيض من رأى معترف به بوجه عام لأنه خاطىء من أساسه ، وذلك أنه يوجد فاصل كبير بين الروح المصرية فى البحث وهى روح تجريبى وبدهى، وبين الروح الاغريقية التى تنطوى على التعقل والمنطق، وعلى ذلك فان الأولى أمكنها أن تؤثر على الثانية . حقا ان الأعمال التى أتت بها العبقرية الاغريقية والتى خطت للفكر العالمى العام اتجاها جديدا أسفر عما نسميه بحق المعجزة الاغريقية ، تبرز نجاحا عظيما بالنسبة الى ما أوضحه لنا الفكر الشرقى ، ولكن على الرغم من ذلك فانه من الممكن باتخاذ مصر مثالا يحتذى به فى أن المدنية الشرقية قد احتوت على العناصر التى استعملها الاغريق فى بناء نظامهم عن أصل العالم وتنظيمه ونهايته ، وكذلك عن طبيعة الانسان ومصيره .

وعلى أية حال فانه على الرغم من أن العلم الشرقى يوصف بأنه وصفى وحسب فانه قد بذلت مجهودات فى ترتيب المخلوقات الى أنواع وفصائل كما يبرهن على ذلك ما كشف من بحوث فى مكتبة « أشور بنيبال » تثبت ذلك.

ومن جهة أخرى فان الفلسفة الشرقية على الرغم من أنها مرتبطه ارتباطا وثيقا بالمعتقدات الدينية والأساطير الخاصة بتناسل الآلهة وعلى الرغم من أنه ليس لها علاقة بالعلم ، وعلى ذلك فانها ليست بالفلسفة بالمعنى الأوربى ، فانها بصرف النظر عن كل ذلك تتجه نحو تفسير صحيح للأشياء وبذلك تستحق اسم «ما قبل الفلسفة» . وعلى ذلك فان النتائج من كل ما سبق هى أن العلوم الشرقية والفلسفة الشرقية وبخاصة العلم والفلسفة المصريين يعتبران الموجدين الأولين للعلوم العالمية وليس هناك من يعارض فى أن المدنية المصرية قد لعبت دورا عظيما فى أصول الفكر الاغريقى ، فى عهد كانت مصر وبلاد الاغريق لهما علاقات سياسية وتجارية معا . ومن ثم فان « الاسكندر » عندما دخل مصر كان يعلم أن علوم الاغريق يرجع نبعها الأصلى الى مصر .لهذا كانت مصر

تعد مهد العلوم والحكمة والدين فى كل العالم وبخاصة العالم الاغريقى الأول ولا غرابة فان « أفلاطون » الـذى علم « ارسطو » معلم « الاسكندر » كان قد حضر الى مصر وأخذ من علمائها ما أفاد بلاد الاغريق والحضارة الاغريقية ، تلك الحضارة التى عادت ثانية لتبنى لنفسها مجدا جديدا فى عصر البطالمة فى أرض النيل التى أخذت عنها فى بادىء نشأتها مبادىء علومها ودينها وفلسفتها .

ومن جهة أخرى نجد أن المصريين قد تأثروا بالمدنية الاغريقية وبخاصة دياناتها (راجع
Alan Row, Discovery of the Famous Temple Enclosure of Serapis at Alexandria. P. 45).

عودة الاسكندر من واحة سيوة

بعد أن عاد الاسكندر الأكبر من واحة « سيوة » وهو يحمل لقب فرعون بكل معانى الكلمة أمضى الشهر الأخير من اقامته فى مصر فى مدينة «منف». وقد كانت أول مهمة قام بها هى تنظيم أحوال البلاد وتعيين موظفين مختلفين ليقوموا بادارة الحكومة . وفى هذه الفترة زاره رئيس اسطوله المسمى « هجلوكس » (Hegelochus) وكان معه أسرى « أريستونيكوس » مبتمنا (Aristonikus of Mythymna) وغيره من مختلف ملوك مدن الأغريق . فأمر الاسكندر أن يسلموا هؤلاء الى مدنهم وأن يعاملهم السكان كما شاءوا ، باستثناء « شيان أبو للونيدس » (Chian Apollonides) الذى أرسل الى الفنتين ليسجن هناك . والظاهر أن هؤلاء المستبدين قد ارتكبوا فظائع كبيرة فى معظم المدن لدرجة أنهم لما سلموا الى بلادهم عذبوا حتى الموت (راجع
Cartius, IV, 10, 3; Arrian III, 261 ; Curtius VI, 18, 8.

ويلحظ أن الاسكندر منذ اللحظة التى توج فيها ملكا على مصر أصبح يدعى ابن الاله ووارثه ملك القطرين ، وبعبارة أخرى كان يعد فى نظر المصريين

الها . ولكن الاغريق فى مصر لم يكونوا ينظرون الى هذا الحدث كما كان ينظر اليه المصريون ، بل كانوا ينظرون اليه بأنه اجراء سياسى ولم يأخذوه بصورة رسمية وذلك فى العالم الاغريقى الذى اللهه بهذه الصورة . وقد كانت رغبة الاسكندر فى تأليهه عند الاغريق ليثبت قدمه فى المدن الاغريقية وينشر سلطانه عليها . وقد اعتقد بعض الاغريق فى الاهية الاسكندر وعبادته فى مدة حياته، وذلك عندما بدأت المدن تتعبد لأخلافه وذلك لأن هؤلاء رحبوا بالفائدة السياسية التى ستعود عليهم كما عادت عليه ، فقد عبد كل من «أنتيجونوس الأول» و «ديمتريوس الأول» و «ليزيماكوس» و «سيلوكوس» و « بطليموس الأول » وكلهم من قواده ، وكذلك عبدت « كاسندر » فى مدن مختلفة ، غير أنه لم يصبح واحد منهم الها رسميا مدة حياته .وقد نجا ثلاثة من الاغريق فى مصر من الخطر لأنهم عظموا « بطليموس الأول »وزوجته «برنيكى» بوصفه الاله المخلص (راجع Archiv V, 156, No. 1) غير أن ذلك لم يكن تأليها رسميا . وعلى أية حال عبد « الاسكندر » فى الاسكندريه بوصفه مؤسس المدينة (راجع Plaumann Archiv VI. 77) . كما كان يعبد مؤسسو مدن أخرى فى الغالب ، وبعد وفاته عبد «ايمنيس» وجيشه المقدونى ومن المحتمل أنه كانت هناك عبادة رسمية « للاسكندر » كما توحى بذلك النقود فى مملكة « ليزماكوس » .

ولكن العبادة التى كانت تعد حقا مفاجأة للعالم كانت العبادة الرسمية للملك وهى التى أسسها « بطليموس الثانى » كما سنتحدث عن ذلك بعد، ويحتمل أن ذلك قد حدث بعد أن توج ملكا على مصر . وبعد ذلك أسس « بطليموس » الثانى عام ٢٨٠ ق.م. فى الاسكندرية عيدا عظيما لوالده « بطليموس » الأول وقد حذا حذوه « انتيوكوس » فاله « سيلوكوس » بوصفه « زيوس نيكاتور » ، وبعد ذلك أصبح كل ملك على هذا المبدأ يؤله رسميا بعد موته مثل الاسكندر .

ومن المحتمل أن « بطليموس الثانى » هو الذى اتخذ الخطوة الحاسمة فى هذا الصدد ، وذلك أن أخته « أرسنوى الثانية » قد ألهت رسميا قبل موتها بوصفها الالهة « فيلادلفس » ومعها « بطليموس الثانى » (الذى لم يدع قط فيلادلفس) الذى أصبح كذلك الها فى مدة حياته اذ كان يعبد معهما أو بمفرده ، وبعدذلكأصبح كل ملك يحكم مصر يدعى الها بطبيعة الحال ، ويأخذ مكانته فى العبادة الرسمية ، وقد كان على رأس هذه العبادة « الاسكندر الأكبر » الذى يقوم بالكهانة له أعظم من فى مصر (راجع Bibliography: C.A.H. Vol. VI, 598, add.—L.R. Taylor J.H.S, (1927) 5 ; Tarn J.H.S. (1928), P. 206.

هذا ما كان منأمر الاغريق بالنسبة للاسكندر أما المصريون أهل البلاد فكان « الاسكندر » فى نظرهم ابن « آمون » ، واله يعبد بوصفه فرعون مصر . وقد كانت القاعدة المتبعة أن يحمل كل فرعون خمسة أسماء كبار — يختارها لنفسه وتكون خاصة به وتنقش على الآثار ، وقد كانت هذه هى العادة المتبعة منذ الدولة القديمة . وهذه الأسماء هى :

(١) «الاسم الحورى» أو اسم«القرين» ويمثل الملكبوصفه المثيلالأرضى للاله القديم الذى كان يمثل فى صورة الصقر «حور» الذى أصبح فىالأزمان القديمة جدا اله مصر الأسرىوبهذه الصفة وحد باله الشمس«رع»نفسهوهذا الاسم كانيكتب عادةفى اطارمستطيل وفى أسفلهرسم باب وهمى كمانشاهد ذلك فى مقابر الدولة القديمة المصرية . وعلى قمة هذا المستطيل يشاهدالصقر الذى يمثل حور والظاهر أن هذا المستطيل والباب الوهمى الذى فى أسفله يمثل القصر الملكى .

(٢) الاسم الثانى هو « نبتى » ومعناه السيدتان ويظهر الملك بوصفه موحدا فى شخصه الالهتين الرئيسيتين للبلاد فى العهد الذى سبق الأسرة الأولى مباشرة عندما كانت مصر لاتزال مقسمة مملكتين وهاتان الالهتان هما

العقاب « نخبت » الهة الوجه القبلى فى مدينة الكاب والالهة « واچيت » (اچو) وتمثل فى صورة حية للوجه البحرى ومقرها مدينة « دب » وهاتان المدينتان كانتا تجاوران مباشرة العاصمتين « نخن » (هيراكليو پوليس) و «پ» على التوالى . وهذا هو السبب فى شهرة هاتين الالهتين .

(٣) الاسم « حور الذهبى » ومعناه فى أول الأمر « حور المصنوع من الذهب » ثم قصدبه فى العصر المتأخر حور المنتصر على « ست » . وبعد ذكر نعت حور الذهبى يأتى الاسم الذى كان يصف هذا النعت .

(٤) لقب الملك وهو الذى يسبق اللقب « نسوت بيتى » (أى الخاص بنبات البردى أو الحلفا والنحلة وذلك أن النبات « سوت » كان يمثل الوجه القبلى والنحلة تمثل الوجه البحرى ، ومعنى اللقب (نسوت بيتى » ملك الوجه القبلى والبحرى ويكتب اللقب الذى يأتى بعد ذلك فى طغراء .

(٥) اسم الملك ويقدم بالنعت « ابن رع » أى ابن (اله الشمس) «رع» والاسم الذى يكون فى طغراء بعد عبارة « ابن رع » هو الاسم الذىكان ينادى به الملكمثل الاسكندر أو بطليموس أو « تحتمس » الخ .

ومما يؤسف له جد الأسف أنه لم يصلنا من الأسماء الكبيرة الخمسة للاسكندر الا ثلاثة أسماء نذكر منها اسمه المصنوع من الذهب أو « حور القاهر ست » : وهو الأمير الشجاع الذى استولى على البلاد الأجنبية وحامى مصر . وفى هذا اللقب ما يشعر بما كانت تطمح اليه نفس الاسكندر الأكبر .

حكومة مصر فى عهد الاسكندر

وقبل أنيغادر الاسكندر أرض مصر لشنالغارة على ملك الفرس وانتزاع ملكه منه نهائيا ، منح مصر حكما ذاتيا ثابت الأركان ، فكان يدير حكومة البلاد حاكمان أحدهما مصرى الأصل وهو (بتيزى) (عطبة ازيس) والثانى يدعى « دولواسبيس » (Doloaspis) ويقال أنه كان أناضوليا أو

فارسى المنبت ولكن يظهر لى أنه كان مصريا أيضا وقد قسمت ادارة البلاد بينهما ، وعلى أية حال فان هذا الحاكم الأخير قد اعتزل الحكم بعد توليه مباشرة . والواقع أن « بتيزى » لم يكن فى يده من السلطان الا وزارة الداخلية . هذا وقد عين الاسكندر قوادا لحامياته المقدونية فى الديار المصرية وهم القائد (بنتابيون » (Panataleon) من أهالى « بيدنا (Pvdna) الذى عين فى « منف » والقائد « بوليمو » (Polemo) مواطن «بلا» (Pella) فى مدينة «بلوز»(القرما) وعين قائدا للجنود المرتزقة واسمه لوسيداس الابنولى (Lucidas the Aetolian) ونصب ايجنوستوس (Eugnostus) ابن اكزنوفانتوس (Xenophantus) سكرتيرا للجنود المرتزقة وكان أحد سمار الاسكندر . ثم نصب عليهم مشرفا (Episkopoi) اسلكس وكذلك أفيبوس (Ephippus) من أهالى « كالسيس » (Chalcis) ونصب أبوللونيوس (Apollonius) النقراشى الأصل حاكما على بلاد لوبيا المجاورة لمصر ، وكانت قد سلمت له دون قيد ولا شرط ، ثم ولى كليومنيس (Cleomenes) على مقاطعة العرب الواقعة حوالى مدينة « هيرونبوليس » Heroonpolis وقد أمره أن يسمح للحكام الوطنيين للمقاطعات بأن يديروا شئون مقاطعاتهم على حسب القواعد القديمة المقررة فى البلاد على أن تجمع منهم الضرائب المفروضة عليهم. هذا ونصب الاسكندر فضلا عن ذلك اثنين من أشرف رجال مقدونيا قائدين للجيش الذى تركه فى مصر وهما « بوسستاس » (Peucestas) و « بلاكروس » (Balacrus) كما نصب أمير للبحر القائد « ترامنيس » (Theramenes)

ويقال أن السبب الذى من أجله وضع الاسكندر حكومة مصر فى أيد عدة هو أنه كان مندهشا من قوة البلاد الحربية (راجع Arrian III, 5) غير أن النظام الذى ذكرناه هنا لم يدم طويلا . والواقع أن النظام الذى وضعه الاسكندر هو ما أملته طباعه وهداه اليه تفكيره ، ولكن ذلك لم يكن يلائم

أفكار « كليومنيس » النقراشي الذى جمع كل السلطة فى يده ، ومن ثم فان النظام الذى وضعه الاسكندر لابد أن فقد فاعليته ان لم يكن قد محى ، ومما لا ريب فيه على أية حال أنه فى عام ٣٢٣ ق . م عندما توفى الاسكندر لم تكن مصر الا مديرية من مديريات الامبراطورية المقدونيـة أو بعبارة أخـرى شطربية يحكمها «كليومنيس» . وهكذا نجد أن مصر التى كانت تسعى منذ قرون الى أن تصبح قوة عظيمة على ساحل البحر الأبيض المتوسط قائمـة بذاتها قد جعلها الاسكندر تدخل فى نظام الممالك التى تتجه نحو بلاد «ايجه» ولا نزاع فى أنه منذ عام ٣٣٢ ق.م. كان مصير مصر مرتبطا بذلك العـالم الجديد الذى خلقه الاسكندر الأكبر وهو ذلك العالم الذى أخـذ يتحول شيئا فشيئا نحو الغرب ، وقد ظلت الرابطة التى كانت تربط مصر بالغـرب لاتنفصم عراها حتى فجر القرون الوسطى عندما أخذ الاسلام بفتوحه يفصل لمدة طويلة بلاد الشرق الواقعة على البحر الأبيض المتوسط عن بلاد الغرب التى كانت غارقة فى بحار الجهالة والضلالة .

ونفهم بقدر ما يســمح به الوصف الذى تركه لنا المؤرخ « أريان » أن مبدأ نظام الحكم فى مصر كان ينطوى على شل يد الحكام فيها بفعل بعضهم البعض بطريقة تنطوى على الحزم والحكمة فنجد مثلا أن القيادة الحربيـة العليا كانت مقسـمة بين قائدين كما ذكرنا آنفا . وكان « كليومنيس » موكلا بتسلم الضرائب غير أن جمعها كان فى أيدى حكام الاقطاع المصريين ، والواقع أن سياسة « الاسكندر » كانت على جانب عظيم من الفطنة وحسن السياسة فى تنظيم ادارة البلاد ، فقد نصب وطنيين لحكم سطرى القطر أحدهما للوجه البحرى . وهذه السياسة التى أرضت أبناء الشعب المصريين لم يتبعها ملوك البطالمة الأول ، غير أنهم فى نهاية حكمهم اضطروا الى الرجوع اليها عندما أخذ أهل البلاد الأصليين يثورون عليهم مطالبين بحقوقهم التى اغتصـبها

الاغريق الأجانب الذين كان يحابيهم الملك ، ومع ذلك فان السلطة التى كانت فى أيديهما لم تكن الا سلطة اسمية ، وذلك لأن « كليومنيس » رئيس المالية المصرية كان على جانب عظيم من المهارة فى الافادة من سلطته لدرجة أنه جمع كل السلطة الحقيقية فى يده . وقد كان صاحب سمعة سيئة فى العالم الاغريقى لما اتصف به من ابتزاز الأموال من الأهلين هذا فضلا عن أنه كان مكروها فى « أثينا » لما قام به من تصرفات فى مصر أدت الى رفع أثمان الغلال فى « أثينا » التى كانت تعتمد على مصر فى تصدير القمح لها . وقد ورد عنه بعض وقائع ان صحت فانها تدل على أنه كان رجلا عاتيا جبارا ، فاستمع لما قيل عنه من تصرفات تدل على منتهى الخبث والظلم : لقد منع « كليومنيس » المواطن الاسكندرى وشطربة مصر عندما حدث قحط شديد فى الممالك المجاورة ــ وكان خفيف الوطأة فى مصر ــ تصدير القمح ؛ ولكن عندما شكا اليه حكام المقاطعات انهم غير قادرين على دفع جزيتهم بسبب القانون الذى سنه ، سمح لهم بتصدير الغلال . غير أنه وضع ضريبة عالية على التصدير لدرجة أنه كان يدفع فى مقابل تصدير كمية صغيرة مبلغ عظيم من المال ، هذا فضلا عن أنه تخلص من العذر الذى قدمه حكام المقاطعات . يضاف الى ذلك أنه عندما كان يسير فى النيل فى المقاطعة التى كان يؤله فيها التمساح ، التهم تمساح أحد عبيده وكان من جراء ذلك أنه جمع الكهنة وأخبرهم بأنه لابد أن ينتقم من هذا الهجوم الغاشم الذى أتاه التمساح وأمر بأن يصطاد تمساح فى الحال ، وعندئذ لم ير الكهنة تفاديا من أن يصير الههم موضع سخرية واحتقار الا أن يجمعوا كل ما أمكنهم من ذهب وقدموه له وبذلك هدأ ثائره . ومما يذكر عنه كذلك أن الاسكندر عندما وجهه لتأسيس مدينة « فارس » (أى مدينة الاسكندرية) ويحول سوق كانوب الى هناك فانه ذهب الى « كانوب » أولا وأخبر كل الكهنة الأغنياء أنه قد أتى ليطردهم من هذا المكان ، وعلى ذلك جمعوا له مبلغا عظيما من المال وسلموه له لأجل

أن يبقى على سوقهم ، ثم غادرهم ولكن بعد فترة قصيرة عندما كان كل شيء قد أعد لبداية بناء المدينة الجديدة جاء ثانية وطلب اليهم مبلغا أكبر من السابق معلنا بأنه قدر فرق اقامة السوق هناك أو فى الاسكندرية بهذا المبلغ وعندما أظهروا عدم قدرتهم على دفع المبلغ نقلهم الى الاسكندرية ... ومما يحكى أنه فى فرصة كان يباع فيها القمح بسعر عشرةدرخمات (Medimnus) جمع الفلاحين وأخبرهم بالشروط التى يقبلون بها معاملته ، فأجابوه أنهم سيبيعون له بنفس السعر كل ما تبقى عندهم ولكنه حدد ثمن القمح بواقع اثنين وثلاثين دراخمة وباع بهذا السعر (وهذا يعنى أنه على مايظهر تخلص من الرجل المتوسط وجمع كل الفائدة للتاج) .

وكذلك حكى عنه أنه جمع الكهنة وأخبرهم أن مصاريف الشئون الدينية فى البلاد باهظة وأنه لابد من الغاء عدد خاص من المعابد والكهنة . وعلى أثر ذلك قدم له الكهنة أموالا من ممتلكاتهم الخاصة ومن مالية المعبد أيضا . وذلك عندما ظنوا أنه كان فى طريقه فعلا الى انتقاص أملاكهم والاستغناء عن بعضهم ، وقد كان كل منهم يحرص على معبده وكذلك على وظيفته الكهانية، وهذا التصرف من جانب « كليومنيس » يدل دلالة واضحة على أنه كان عنيما بخبايا الكهنة وأسرارهم ، وماكان لديهم من مال وفير . وهذه حقيقة لاريب فيها فقد كانت طائفة الكهنة فى مصر فى كل عصور التاريخ أغنى فئة فى الشعب غير أن هذا الاجراء من جهة أخرى يدل على تدهور نفوذ هذه الطائفة فى البلاد بدرجة محسة كما يدل فى الوقت نفسه على أن نفوذ الحكام الاغريق أخذ يظهر بدرجة عظيمة فى البلاد لا لبس فيها ولا ابهام ، فقد رأينا من الأمثلة التى اقتبسناها عن سوء معاملة « كليومنيس » أن سوء معاملته لم تقف عند عامة الشعب بل تعدت ذلك الى رجال الدين والآلهة المصريين ، فقد هدد الكهنة بالعزل والمعابد بانتقاص عددها مما لم يجرؤ على مثله فرعون من الفراعنة السابقين على وجه التقريب .

وعلى أية حال فأنا لسنا فى حل للحكم على ماذكره « كليومنيس » من أعمال وبخاصة أن المصادر التى فى متناولنا عنه مشكوك فى صحتها (راجع Bevan Hist. P. 17) .

مغادرة الأسكندر مصر الى ميدان القتال

بعد أن وضع الاسكندر أسس الحكم فى مصر زحف بجيوشه الى آسيا للقضاء على الملك العظيم فى عام ٣٣١ ق.م. ومنذ هذا العام أخذت فتوحه تترى فاستولى على امبراطورية الفرس وبلاد الهند وقد ظل النصر حليفه الى أن حضره الموت وهو أخضر العود عام ٣٢٣ ق.م. ، ولم يكن قد تجاوز أكثر من اثنين وثلاثين عاما وثمانية أشهر ، وكانت مدة حكمه اثنتى عشرة سنة وثمانية أشهر (راجع تفاصيل مرضه وموته فى
Arrian VII, 25, 26, Plutarch. Alex.

الخلاف على تولى الملك بعد موت الأسكندر

لما كان موت الاسكندر قد جاء فجأة فى معسكر « بابل » الذى كان عدده عظيما فقد حدثت فى وسطه اضطرابات وخلافات شديدة بسبب من سيخلف « الاسكندر » على عرش ملكه الشاسع . وكان العرف والقانون عند موت ملك مقدونى أن يولى الجيش بدلا منه . ولم يكن « الاسكندر » قد ترك وارثا لعرشه الا طفلا يدعى « هيراكليس » من حظيته « بازين » وكانت زوجه « روكزانا » الفارسية وقتئذ حاملا وينتظر أن تضع حملها بعد ثلاثة أشهر، وعندئذ تعقدت الأحوال ، وقد فكر رجال الجيش فى وسط هذه البلبلة فى أن ينتظروا ولادة « روكزانا » . غير أن رجال الجيش وعلى رأسهم « ميلاجر » (Meleagre) الذى كان يكره « برديكاس » قد عارض فى أن يكون مليكهم من امرأة أسيوية ومن ثم قامت الحرب بين « برديكاس » وبين « ميلاجر » وأتباعه ولولا مهارة « ايمنيس » كاتم أسرار « الاسكندر » الذى توسط بين الطرفين ووصل الى اتفاق لتفاقم الخطب وذلك أنالاسكندر الأكبر كان له وقتئذ أخ فى « بابل » يدعى « اريداوس » (Arridaeus)

ابن فليب وكان بلغ وقتئـذ السـن التى تؤهله لتولى عـرش الملك ، غير أنه كان غـير شرعى ، وفى الوقت نفسـه ضعيف العقـل تنتـابه نوبات صرع ، ومع ذلك فان الجيش فضله لأنه ليس فيه دم شرقى ، فقـد كانت أمه فيلينـا (Philinna) احـدى حظيـات « فليب » وكانت أمهـا من أهالى «تساليا» . وقد اقترح «برديكاس» الذى يعد أكبر القواد مكانة فى جيش الاسكندر أن ينتظر ولادة «روكزانا» وهى ابنة شطربة «بكتريان» (فارس) « اوكزيارتس » (Bactriane Oxyartes) أما القـائد « ميـلاجر » فقـد أراد أن ينتخب اما « أريداوس » أو « هيراكليس » امبراطورا . وكان من جهة أخرى « بطليموس بن لاجوس » لايريد أن يحكمه ابن سفاح مخبول العقل مثل « أريداوس » ولا مثل « هيراكليس » ولا المـولود المنتظر ، بل اقترح أن يترك العرش خاليـا وأن يعهد بحـكومة الامبراطورية لرؤساء الجيش كل فى قطره ، وذلك حسب اتفاق يبرم فيما بينهم . وقد كان رأى « برديكاس » هو الرأى السائد فى المجلس العسكرى الذى عقد لهذا الغرض ، غير أن المشاة فى الجيش رفضوا رأيه ، وعلى أثر ذلك نصب «أريداوس» الذى أسرع «ميلاجر» باعلانه امبراطورا ومنحـه كل حمايته ، ومن ثم قامت المناوشات بين الفريقين المختلفين فى الرأى وانتهى الأمر بالمفاوضة والصلح ، وقد كان « بطليموس » بن « لاجوس » يعمل وسيطا على مايظن . وقد بذل كل مافى وسعه لحل المشكل وقد كان هواه مع « برديكاس » الذى حفظ له هذا الجميل ، وقد تم الاتفاق على أن يكون « أريداوس » ملكا باسم فليب الرابع ولكن على شريطة أن يكون لابن « روكزانا » اذا كان ذكرا الحق فى الاشتراك فى الملك معه . وقد ترك هذا الموضوع معلقا حتى تضع « روكزانا » . أما « بردبكاس » الذى قيل عنه أن الاسكندر عند مماته قد سلمه الخاتم الملكى فقد نصب بوصفه نائب الامبراطوريـة وقائدها والمشرف على الملك أو على الملكين (بعـد وضع

« روكزانا ») اللذين خلفا الاسكندر فى الامبراطورية الشاسعة المترامية الأطراف .

وقد قسمت الامبراطورية بين عظماء القواد بأشراف « برديكاس » . فأعطى القائد « بطليموس » بن « لاجوس » شطربية مصر بالاضافة الى الأجزاء المجاورة لبلاد العرب ولوبيا ، على أن يكون « كليومنيس النقراشى » الذى كان قد نصبه الاسكندر وكيلا له لجمع الضرائب فى مصر وملاحظة أعمال البناء فى الاسكندرية ، غير أن بطليموس حينما نصب شطربة على مصر أراد أن يكون المسيطر الوحيد فى شطربيته . وبعد تولى بطليموس على مصر غادر « بابل » غير أنه كان عليه أن ينتظر حتى تضع « روكزانا » مولودها الذى كان يؤمل أن يشترك فى حكم الامبراطورية ، وكان بطليموس يعتبر وقتئذ تلميذ برديكاس . وكانت سوريا من نصيب «لأميدون» (Laomedon) وولى فيلوتاس (Philotas) حكم بلاد « كليكيا » وكان من نصيب « اتنيجونوس » أقطار «بامفيليا» و «ليكيا» والجزء الأعظم من «فريجيا» ، وتولى شئون « كاريامينا ندر » وأعطى ليوناتوس (Leonnatus) حكم « فرجياهلسبونت » (Hellespontine Phrygia) وحكم « ايمتيس » بطرى «كابودوشيا» وبافلاجونيا (Paphlagonia) وتولى حكم ميديا القائد « بثيون » (Pithon) . أما الشطربيات الشرقية فقد بقيت فى يد حكامها الذين كانوا يحكمونها قبل موت الاسكندر . وفى أوربا أعطيت « تراقيا » و « خرسونيس » (Chrsonese) القائد « ليزيماكوس » (Lysimachus) تراقيا بما فى ذلك مقدونيا وبلاد الاغريق وكان يشاركه فى حكم هذه البلاد « كراتيروس » (Kraterus) (راجع Grote History of Greece XII. P. 238-9) وهكذا نشاهد أن المدن الاغريقية قد فقدت استقلالها وتولى عليها حكام جدد بوصفها أجزاء من الضيعة العظيمة التى تركها «الاسكندر دون وصية أوصاها .

ومما تجدر ملاحظته أن كل هؤلاء الحكام الذين ذكرناهم هنا كانوا يعدون وكلاء يقومون بادارة أجزاء امبراطورية واحدة لاتتجزأ يحكمها جميعا « أريداوس » . وكان أبرز الضباط الذين يتمتعون بسلطان مركزى يشمل كل الامبراطورية اثنان وهما « برديكاس » ويحمل لقب شيليارك (Chiliark) ، وهذا اللقب صعب الترجمة ومعناه على العموم « نائب » ثم « سيلوكوس » وكان يحمل لقب قائد حرس الخيل ولم يكن يدور بخلد واحد من الحكام وقتئذ التحدث عن تقسيم الامبراطورية .

ولكن لم يمض طويل زمن حتى ظهر أن « برديكاس » أراد أن يستغل ضعف « أريداوس »، ومن ثم عزم على أن يجرده من كل سلطان ويجعله امبراطورا بالاسم وحسب ، ويستولى لنفسه على كل السلطة غير أن حكام الأقاليم فطنوا لذلك وأخذوا يقاومون « برديكاس » . وعلى أية حال فان مصر كانت على مايظهر بعيدة عن المخاوف لأن « برديكاس » كان على مصافاة وود مع «بطليموس» . ولا نزاع فى أنها كانت البلاد التى اختارها «بطليموس» لنفسه ، فقد ذكر لنا فى مذكراته التى خلفها لنا تفاصيل عن الحملة التى قام بها الاسكندر على مصر وعن الرحلة التى قام بها الى واحة آمون ، ومن ثم يجوز أنه صحب الاسكندر فى رحلته هذه . ومما تجدر ملاحظته هنا أن موقع مصر التى تبعد عن الاقليمين اللذين يمكن أن يكونا مركزا لامبراطورية الاسكندر وأعنى بذلك « بابل » وبلاد « مقدونيا » كان ملائما من الوجهة السياسية بالنسبة « لبطليموس » . ويقول المؤرخ « تارن » (راجع W.W. Tarn J.H.S. XLI (1921), P. 5).

انه لابد كانت هناك مساومات بين « برديكاس » و « بطليموس » فكان ثمن اعتراف « بطليموس » فى أن يكون « برديكاس » مشرفا وحارسا على الملك الجديد هو شطربية مصر ، هذا بالاضافة الى أن يكون « اريداوس » أحد المقدونيين هو الذى يقوم بمراقبة ترتيبات جنازة الاسكندر . والواقع

أنه كان من جراء اخلاص « بطليموس » لصديقه « برديكاس » واتباع منهجه أن ضحى الأخير بصديقه الوفى « كليومنيس » الذى كان وقتئذ قد عين شطربة على مصر قبل تولى « بطليموس » لهذا المنصب وأصبح الأول وكيلا فى شطربية مصر .

والواقع أنه كان الحاكم المصرى للديار المصرية وقتئذ . ولما تولى بطليموس حكم مصر كان لزاما على « كليومنيس » أن يشغل المكانة الثانية فى أرض الكنانة ، وعلى ذلك أصبح وكيل « بطليموس » . وسنرى فيما بعد أن سياسة «كليومنيس» المالية فى مصر فد أغضبت المصريين ممادعى «بطليموس» الى قتله وبعبارة أدق الى التخلص منه . وتدل الظواهر على أن «بطليموس» كان يحرص على امارته على مصر أشد الحرص ، ولذلك كان من حسن حظه بل من أكبر سعوده وتوفيقه أن « الاسكندر الأكبر » كان قد أوصى بأن يدفن جثمانه فى معبد والده الالهى « آمون » فى واحة « سيوة » . والواقع على حسب ماجاء فى « ديدور الصقلى » أنه كان ضمن القرارات التى قطع فيها رؤساء الجيش المقدونى برأى فى « بابل » على أثر موت الاسكندر أن يدفن جثمان « الاسكندر » فى واحة « سيوة » بمعبد «آمون» ويعتبر هذا القرار أكبر برهان على أن « الاسكندر » كان يؤمن ببنوته الالهية وتشبثه باعتقاده فى نسبته للاله آمون حتى آخر أيام حياته بعد مماته . والواقع أنه كان يعتبر نفسه فرعونا وبعبارة أخرى أنه ابن الاله « رع » أو « آمون رع » أى أن مثله كان كمثل الفرعون يعتبر الها يعبد فى حياته وبعد مماته .

وقد وكل باعداد تجهيز موكب الاحتفال بنقله ودفنه الى « أريداوس » أحد رؤساء رجال بلاطه فى « بابل » وقتئذ . وكان « أريداوس » هذا قد كلف بصنع عربة جنازية كما كلف بترتيب حفل منقطع النظير . ولقد كان

من أكبر أماني « بطليموس » بن « لاجوس » بطبيعة الحال أن يدفن الاسكندر فى البلاد تحت امرته حتى يكون ذلك سببا فى ازدياد نفوذه وقوته وتصبح امارته محط أنظار العالم كله . على أن المكان الطبيعى لاحتواء رفات الاسكندر البطل العظيم كان « ايجا » فى أرض وطن أسرة«الاسكندر» وقد كان من الجائز كما قيل أن هذا المكان هو المكان الأصلى لدفن جثمان الاسكندر لا واحة « سيوة » . وانه لمن الصعب أن نصل الى كنه الحقيقة مما جاء فى التقاليد القديمة فهل أراد « الاسكندر » حقا أن يكون قبره فى معبد والده « آمون » ؟ وهل كان هـذا هو قرار مجلس « بابل » ؟ وهل يمكننا من باب أولى أن نظن أن مقدونيى الجيش كانوا يتوقعون أن يروا جثمـان مليكهم يحمل الى « ايجـا » ليدفن فى قبر أسرته ؟ والواقـع أن « الاسكندر » كان له مصلحة أكثر مما يمكن أن يتصور الناس فهمها فى أن يثوى جثمانه فى الواحة كما أوضحنا ذلك فيما سبق .

وعلى أية حال كان هذا الرأى فى نهاية الأمر هو التصميم النهائى الذى ارتآه « برديكاس » أى دفنـه فى واحة «سـيوة» ، غير أن « بطليموس » حاكم دمشق قد سبق الحوادث وحول مجرى الأمور . وذلك أنه عندما كان « برديكاس » فى « آسيا » الصغرى يعمل على وفاق مع « بطليموس » ابن « لاجوس » قام من بابل موكب الجنازة فى طريقه لمصر وفى هذه الحالة اذا كان جثمان الاسكندر سيحمل الى « سيوة » فانه كان على أية حال لابد أن يمر أولا بمدينة « منف » اللهم الا اذا كان الموكب سيذهب مباشرة من « مرسى مطروح » الى « سيوة » . ومن الجائز أن « أريداوس » عندما غادر « بابل » قد عدل عن فكرة نقل الجثمان الى واحة « سيوة » . وتقول المصادر التى فى متناولنا أن « بطليموس » قابل رفات الاسكندر وبصحبته حاشية من الجنود قوية وأخذ بزمام الموقف فى يده وعندما وصل الرفات الى

منف أبقاه فيها ولم يتجه به الى سيوة . هذا و لانعلم حتى الآن ما اذا كان « بطليموس » قد قرر أن يكون مثوى رفات « الاسكندر » فى « الاسكندرية » أم لا . وقد قص علينا المؤرخ « بوزانياس » أن رفات الاسكندر قد بقيت فى « منف » الى أن نقله « بطليموس الثانى » بعد تاريخ وصوله بأربعين سنة الى الاسكندرية (راجع
Athen. Metteilung XXII (1897), P. 187-8

غير أن كلا من المؤرخين « ديودور » الصقلى (راجع Diod XVIII, 28) و « استرابون » (راجع Strabo XVII. P. 794) يقول أن بطليموس الأول هو الذى دفن الاسكندر الأكبر فى « سما » (Sema) « بالاسكندرية » حيث كانت لاتزال رفاته موجودة حتى عهد الرومان والمعتقد أن « بطليموس الأول » دفن الاسكندر فى مدينة منف العاصمة الدينية للبلاد فى هذا العهد وهى التى توج فيها الاسكندر فرعونا على مصر وأصبح بعد ذلك يدعى ابن « رع » أو ابن « آمون رع » ، هذا بالاضافة الى أن « منف » كانت المدينة الدينية التى يتوج فيها كل ملوك مصر منذ فجر التاريخ ، ولذلك كان دفن « الاسكندر » فيها يعد من الأمور البالغة الأهمية عند « بطليموس الأول » وقتئذ ، وذلك لان وجود جثمان « الاسكندر الأكبر » فرعون مصر فى « منف » بالذات كان له أهمية بالغة لأنها كانت تعتبر واسطة العقد بالنسبة للملكة المصرية مما زاد فى قوة «بطليموس» فى أعين حكام الامبراطورية المقدونية ، كما عظم من نفوذه فى أعين الشعب المصرى . ومن الجائز كذلك أن جثمان الاسكندر قد نقل الى الاسكندرية بعد أن أخذت هذه المدينة تنمو وتعمر بالسكان ، وكذلك بعد أن أقام « بطليموس » مدفنا يتفق مع عظمة « الاسكندر » ومكانته العالمية فى عاصمة ملكه الجديدة . غير أن المؤرخ « بوزانياس » قد قرر بصورة قاطعة أن نقل « بطليموس الثانى » لجثمان « الاسكندر » من منف الى

الاسكندرية يعد من المساوىء التى ارتكبها فى حياته ، ويؤخذ من قول « بوزانياس » هذا أنه نقل مارواه عن نقل رفات الاسكندر الى الاسكندرية من مصادر موثوق بها . ومهما يكن من أمر فان هناك حقيقة ثابتة وهى أنه كانت تقام شعائر دينية « للاسكندر » على حسب المراسيم المصرية القديمة فى « منف » ، وكان « للاسكندر » كاهن روح خاص به كما كان للفراعنة القدامى . وتدل شواهد الأحوال على أن شرف القيام بوظيفة كاهن الاسكندر اسندت لأخ الملك المسمى « منلاوس » وان كان ذلك لم يذكر صراحة . وقد جاءت الاشارة الى ذلك فى وثيقتين (راجع ;Elephant. 2, Hibeh 84a Bell in Archiv. VII, (1923), P. 27-29 ; Plaumann in Paulywissowa Article, " Hiereis ").

الآثار التى خلفها الاسكندر الأكبر فى مصر

لم يعرف حتى الآن التاريخ الأكيد الذى حسب به بداية حكم الاسكندر فى مصر . فقد غزا مصر فى خريف عام ٣٣٢ ق.م. وتقول الرواية التى جاءت نقلا عن « كاليستنيس أنه توج حسب الشعائر المصرية فى « منف » (ويحتمل أن ذلك فى آخر سنة ٣٣٢ ق.م.) وهو حادث يمكن أن يكون قد اتخذ بداية رسمية لحكمه ؛ غير أن المؤرخين بوجه عام لايقبلون ماجاء فى قصة « كاليستنيس » والمعروف أن الاسكندر مات فى ٢٨ من شهر «دايسيوس» عنـــد الغروب ، كما جاء فى جرائد البلاط وفى ثلاثين من نفس الشهر على حسب ماذكره «أريستوبولوس» (Aristobulus) (راجع Plutarch Vita Alex. 15-16)

وقد ذهب الى أن هذين التاريخين ليس فيهما تناقض فى الواقع وذلك أنه لما كان اليوم الاغريقى يبتدىء عند غروب الشمس ، فانه من الممكن أن موت الاسكندر يمكن أن يحدد باليوم التاسع والعشرين وهو اليوم الأخير من الشهر وكان باتفاق عام يسمى اليوم الثلاثين . ولكن يناقض ذلك أن شهر « دايسيوس » فى العادة يحتوى على ثلاثين يوما (راجع Ginzel, Handbuch der Mathematischen und technischen Chronologie II. P. 300 & Kubitscheck Grundriss der Antiken Zeitrechnung, P. 144.

وفى فهرس A فى « بزوديوكاليستنيس » أى الروايـــة التى نقلت عن « كاليستينيس » وكذلك فى الرواية الآرامية نجد أن تاريخ موت الاسكندر قد حدث فى ٤ برمودة وليس لدينا الوسائل لفحص دقة هذا التوافق الزمنى راجع Ginzel. Op. Cit. III. P. 6.)

غير أنه لايوجد شىء غير محتمل فى المعادلة ، وعلى الرغم من الالتباس فى

نسبها فلابد من قبولها مؤقتا . وعلى حسب « القانون » حكم الاسكندر ثمانية أعوام . ولكن من جهة أخرى نجد أن الاسكندر الأكبر قد حكم فى مصر تسع سنوات على الأقل على حسب ماجاء فى ورقة « استراس برج » (راجع
Catalogue of Demotic Papyri in the British Museum, Vol. I. A. Theban Archive of the Reign of Ptolemy I by S.R.K. Glanville, P. XXII.)
كما سنرى بعد .

وهاك أهم الآثار التى عثر عليها للاسكندر ممهورة باسمه :

١ — نقش على جدران معبد الأقصر (جرافيتى) مؤرخ بالسنة الثالثة اليوم الأول من شهر « توت » من عهد جلالة حور ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « الاسكندر » . وهذا المتن يحتوى كذلك على تاريخين من السنة الرابعة من عهد فليب « أريداوس » خلف الاسكندر . ومن المعلوم أن الأسرة المقدونية لم تحكم الا واحدا وعشرين سنة فى مصر أى من ٣٣٢ الى ٣١١ ق.م. ومع ذلك فانه فى عام ٣٠٥ق.م. أى بعد مضى خمسة عشر عاما من وفاة الاسكندر الرابع ، ابن الاسكندر الأكبر ، توج رسميا «بطليموس» ابن « لاجوس » أحد قواد الاسكندر القدامى ملكا على أرض الكنانة ، وحكمها بوصفه شطربة باسم ثلاثة فراعنة مقدونيين وهم «الاسكندر الأكبر» و « فليب أريداوس » و « الاسكندر » بن « الاسكندر الأكبر » بن « ركزانا » (راجع Daressy Rec. Trav. XIV, 1892, P. 33).

٢ — بردية مؤرخة بالسنة الثالثة الشهر الثالث من فصل الزرع فى عهد الفرعون له الحياة والصحة والعافية « الاسكندر » (له الحياة والصحة والعافية) .

وتحتوى على عقد بيع بيت يقع فى الجزء الشمالى من « طيبة » فى الغرب من حرم معبد « منتو » رب طيبة . وقد ذكر حدود البيت الأربعة ثم ذكر

بعد ذلك الصيغة القانونيه واسم الكاتب (راجع Louvre No. 2439, note. P. 485, Chrest. dem. P. 290: Fascimile in Corpus Louvre, P.L.V. No. 4.

٣ — بردية مؤرخة بالسنة التاسعة الشهر الأول من عهد الفرعون « الاسكندر » . وهى محفوظة الآن فى متحف « استراسبورج » وتحدثنا عن ملكية توارثتها أفراد أسرة من الشعب عدة أجيال والواقع أنها كانت جزءا من ضيعة كبيرة يملكها نجار معبد « آمون » وبدعى چوف عخى (= البردية اليانعة) « ابن وز — حر — متر » وأمه تدعى «تائيسى» . وأول شيء عرفناه عن هذه الضيعة هو ماجاء فى ورقة « استراسبورج » رقم ١ وهى عبارة عن صك بهبه (راجع Seidl. Urk. P. 22. No. 22. وبمقتضى شروطها قسم « چوف — عخى » ضيعته بين أولاده ، منهم أحد أبنائه الصغار المسمى « بدى خنس » وكان عليه أن يتسلم هذه الملكية الخاصة بمثابة أنها نصيبه من هذه الضيعة . والورقة مؤرخة بشهر « توت » من السنة التاسعة من عهد «الاسكندر الأكبر» (=١٢ نوفمبر سنة ٣٢٤ق.م) وهى من الأهمية بمكان بالنسبة للاوراق الديموطيقية الموجودة بالمتحف البريطانية ومتحف «فلادلفيا» Catalogue of Demotic Papyri in the British Museum. Vol. I. P. XXVII.

وهاك النص على حسب ترجمة الأستاذ « جلانقيل » :

السنة التاسعة شهر توت من عهد الفرعون الاسكندر (الأكبر) . لقد قال لى نجار بيت «آمون» (المسمى) «چوف — عخى» بن «وزحر — متن». وأمه (هى) « تائيسى » الى نجار بيث « آمون » (المسمى) «خرج» (خلوج) ابن « چوف — عخى » وأمه هى « نستفنى » ابنى الأكبر لقد نزلت لك عن جزء البوابة وسقفها كله ، وجزء المدرج (؟) وجزء حى النساء وجزء الفناء ، وهناك يملك حانوتى « أمنيستو — أربريس » (؟) المسمى

« باسمتو » بن « خلوج » الجانب الجنوبى من البيت ، والجزء (؟) الآخر من البوابة والجزء الآخر من المدرج ؟ والجزء الآخر من حى النساء والجزء (الآخر) من الفناء .

والمرأة «موت» ابنة «خلوج» تتحمل (؟) معكم كل اصلاحات الفناء السابق الذكر ؛ أما نصيبها الذى عمل من أجله اتفاقية لها فيما يخص الفناء على حسب حقها الذى برهنت على صحته ، وهناك يملك « بهب» ؟ ابن «چوف عخى» ؛ و «بدى خنس» بن « چوف عخى » (شخصان) . و لداى واخواك الصغيران الجزء الشمالى من البيت وكوخه الخاص به فهما نصيبهما الذى يسول اليهما من املاكى ، وكذلك أراض لم تبن بعد . وعليهما أن يقيما بابا فى وسط (؟) جانبه الشمالى من الجهة الشمالية لشارع الملك وكذلك عليهما أن يغلقا باب الجانب الشمالى الذى يفتح على بوابتك .

وحدود كل بيت هى : الذى جنوبه بيت نجار بيت « آمون ؟ « امنحوتب » ابن « باحب » المبنى من الحجر والمسقوف ، وشارع الملك بينهما ، وحده الشرقى بيت «بتمستو» بن « حورسا — اسى » وهو خرب ، ولكن جدرانه لاتزال قائمة وهو ملك أولاده . وحده الغربى بيت رئيس صناع (؟) معبد « آمون » المسمى « بتاشوخى » بن « بتى حور » ، وبيت حارس معبد « آمون » « باوس » بن « خلوج » أى بيتان بنيا (بالحجر)ومسقوفان وشارع الملك بينهما .

٣ — وهذه هى كل الحدود الملكية جميعها (أى مجموع الحدود)

لقد منحتك جزء البوابة وكل سقفها وجزء المدرج (؟) وجزء حى النسوة وجزء الفنـاء وكل شىء يخصنى ، والذى سأحصل عليه . وليس لدى شىء فى العالم ضدك بالنسبة لها . ولايمكن لأى رجل على الأرض ولا أنا يكون له حق عليها الا أنت من هذا اليوم وما بعده . وأى شخص يأتى ضدك

بسببها باسمى أو باسم أى شخص آخر على الأرض فانى سأجعله ينسحب من أمامك وسأجعلها تخلى لك من كل سجل ومن كل موضوع على الأرض من حيث كل مناسبة .

فسجلاتها ملكك فى كل مكان هى فيه وكل حجة قد عملت خاصة بها وكل حجة كانت قد عملت لى خاصة بها وكل حجة باسمها وأنا فيها صاحب حق فانها لك ، وكذلك الحقوق التى تأتى منها واليمين أو البينة الذى سيفرض عليك فى بيت العدالة باسم صحة الوثيقة الذكر والذى سأعمله لك أو الذى سآمر بعمله فانى سأعمله .

وهناك سيكون ملك «حور» و «باخى» وهما شخصان — وأمهما هى « استفنى » وهما ابنــاى واخواك الصــغيران وهى الأراضى التى لم تبن والواقعة شمال مكان (جبانة) الصقر . وعليهما أن يعطياك ثلثى (مصاريف) الدفن وأنت عليك أن تدفع الثلث (الباقى) . ولايمكن لأى ابن أو ابنة أو حفيد لى أن يكون له الحق عندك فيما يخص أى جزء من الملكية أو فى أى شىء على الأرض منحته الا الأشياء التى دونت كتابة لهم والتى هى ملكهم والتى عليها ولاية شرعية .

كتبه « باتى — حر — برع » بن « بخس » .

وجاء على ظهر الورقة الشهود وعددهم ستة عشر شاهدا .

تعليق : من المستحيل أن تكون البيــانات التى جاءت فى هــذه الوثيقة بمفردها أية فكرة عن أصل ملكية «چوف عخى» الأصلية أو العلاقة الصحيحة بالنسبة لأنصبة أولاده . وعلى الرغم من أن هذه الورقة تكون فى ظاهرها صورة عقد بين « چوف عخى » وابنه الأكبر فانها فى الواقع عبارة عن قسمة ملكية بين الوالد من جهة وبين أولاده وأحفاده من جهة أخرى . هذا ويلحظ انه بصرف النظر عن أن أنصبتهم ليست متساوية فانها كلها كانت بنسبة واحدة

للمجموع . هذا ولابد أن تترك كلا من « حور » و « باخى » لأنه ليس لهما نصيب فى الملكية الأصلية ، وبعد ذلك تبقى أربعة أنصبة فيأخذ «خلوج» وهو أكبر أولاده أكبر نصيب ثم نصيبا ابنى « خلوج » وهما ابنه المسمى « باسمتو ؟ وابنته « مـوت » ، وأخيرا نصـيبا ابنى « چوف ـ عخى » الصغيران وهما « پهب » و « يدى خنس » .

٤ ـ الاقصر : تجديد بناء محراب «امنحوتب الثالث» فى معبـد الأقصر (راجع Sethe Hierog. Urk. der Griech-Rom. Zeit, P. 78).

وقد جاءت العبارة التالية على هذا المحراب : تجديد الآثار التى عملها ملك الوجه القبلى والوجه البحرى رب الأرضين (ستب ـ نى ـ رع ـ مرى ـ أمن = المختـار من رع محبوب آمون) ابن رع رب التيجـان (الاسكندر) لوالده آمون رع (١) .

---

(١) ومما يجب التنويه به هنا بالنسبة لآثار الاسكندر فى انحاء القطر المصرى هو ان نلفت النظر الى أن البوابة المصنوعة من الجرانيت وهى لاتزال قائمة فى الجزء الجنوبى من جزيرة الفيلة ليسـت من عمل « الاسكندر » الاكبر كما ذكر الاثرى « ديمورجان » (راجع Catal. des Monum. et Inscrip. de L'Egypte Antique I, P. 109).

بل أقيمت فى عهد « الاسكندر » الثانى (الرابع عند المقدونيين) فرعون مصر . حقا نعلم تماما مما جاء فى كتاب المؤرخ «اريان » ان الاسكندر الاكبر ارسل فرقة من جنـوده الى العنتين بقيـادة « أبوللونيدس » (Apollonides) ، غـير أنه لم تعرف له آثار باقية حتى الآن تعتبر تذكارا لهذه الحملة . وعلى أية حـال فان الخلط بين طغراء تتويج « الاسكندر الاكبر » وبين طغراء «الاسكندر الثانى» يرجع الى عهد الاثرى «لبسيوس» (راجع (L.D. IV, 1, 3, 4, 5) قـد صحح هذا الخطأ فى كتابه «إسماء الملوك» (راجع Koningsbuch, PL. LI, No. 684 غير اننا وجدنا هذا الخطأ بعينه ثانية عام ١٨٩٥ فى كتاب المؤرخ الانجليزى «مهفى» عن البطالمة المسمى امبراطورية البطالمة (راجع Mahaffy, The Empire of the Ptolemies, P. 1.

وقد صححه فيما بعد عام ١٨٩٩ م فى تاريخه عن مصر فى عهد البطالمة (راجع= Mahaffy, A History of Egypt under the Ptolemaic Dynasty, P. 4),

٥ ـ وجاء ذكر الاسكندر على نفس المحراب (راجع Sethe, Ibid. P. 8) وهاك النص : حـور بن « رع » حامى مصر ملك الوجه القبلى والوجـه البحرى (ستب ـ نى ـ رع ـ مرى ـ امن) بن رع الاسكندر مجدد آثار والده « آمون رع » . وهذا المحراب الذى أقيمت جدرانه فى عهد الاسـكندر فى المكان الذى كانت تحتله سابقا أعمدة الفرعون « أمنحوتب الثالث » قد علم فى الرسم الذى وضعه «دارسى» فى كتابه بملحوظة مفسرة لخرائب معبد الأقصر بحرف O

Daressy, Notice explicative des ruines du temple de Luxor, P. 65-68).

٦ ـ **معبد الكرنك الكبير :** ذكر اسم الاسكندر فى معبد الكرنك فى نقش جاء فيه : « حور » بن « رع » (الحاكم القوى) ملك الوجه القبلى والوجه البحرى رب الأرضـين ورب الظهور على العرش « حـور » بن « رع » الاسكندر (راجع L.D. IV, 3a = L.D. Texte III, P. 32 ; Brugsch. Thesaurus, P. P. 852).

ووجد فى نفس المعبد النقشان التاليان :

١ ـ الاله الكامل الاسكندر مثل « رع »

٢ ـ ملك الوجه القبلى والوجه البحرى (ستب ـ نى ـ رع ـ مرى ـ امن) ابن « رع » « الاسكندر » معطى الحيـاة مثل رع أبديا (راجع L.D., IV, 3b & C = L.D. Texte III, P. 32).

٧ ـ **معبد الكرنك :** يوجد فى معبد « تحتمس الثالث » بالكرنك نقوش تدل على أن « الاسكندر » الأكبر أعاد بنـاءه وهاك بعض النقوش التى تشير الى ذلك .

١ ـ يعيش « حور » الذى يطأ البلاد الأجنبية .

ملك الوجه القبلي والوجه البحرى رب الأرضين (ستب — نى رع — مرى — امن) بن « رع » رب التيجان « الاسكندر » (راجع
(Sethe, Urk. Griech. Rom. P. 6

٢ — مجدد الآثار التى عملها لملك الوجه القبلي والوجه البحرى (ستب — نى رع — مرى — امن) ابن « رع » رب التيجان (الاسكندر) عاش ابديا ، كما كانت قائمة فى عهد جلالة حور الثور الذى يظهر فى « طيبة » رب الأرضين (من خبر رعَ) ابن «رع» (تحتمس الثالث) محبوب « آمون رع » رب السماء ورب ملك الآلهة .... (راجع (Sethe, Ibid. P. 6 & 7

ومما تجدر ملاحظته هنا أن هذا الاصلاح قد نسبه « لبسيوس » خطأ للاسكندر الثانى (راجع : Lepsius Abhandlungen der Konigl. Preuss Akad. der wiss., zu Berlin (1852), P. 464).

ومن جهة أخرى نسب المؤرخ « مهفى » هذا الاصلاح الى عهد متأخر جدا عن ذلك أى مابين ٣٢٠ و ٣١٥ ق.م. (راجع
Mahaffy, the Empire of the Ptolemies, P. 38.

٨ — رأس تمثال « الاسكندر الأكبر » :

عثر على هذا الرأس على باب نفس المعبد السابق جاء عليه « ملك الوجه القبلي والوجـه البحرى (ستب — نى — رع — مرى — أمن) ابن رع « الاسكندر » وهذا الرأس يعد أحسن رأس عثر عليه للاسكندر حتى الآن (راجع L.D. III, 302, No. 86 = L.D., Texte III, P. 33.

٩ — معبد الاله خنسو بالكرنك :

نقش على جدران هذا المعبد المتون التالية التى تدل على أن «الاسكندر» قد وجه عنايته نحوه :

(١) ملك الوجه القبلي والوجه البحرى الاله الكامل رب الأرضين ورب الشعائر جميعا ورب التيجان « الاسكندر »

(٢) الاله الكامل (ستب ــ نى ــ رع ــ مرى ــ امن = المختار من رع محبوب أمون) .

(٣) الاله الكامل رب الأرضين ورب الشعائر الاسكندر معطى الحياة والقوة .

(٤) ملك الوجه القبلى والوجه البحرى ورب الأرضين (ستب ــ نى ــ رع ــ مرى ــ امن) ورب التيجان الاسكندر .

١٠ ــ الاشمونين :

وعثر فى « الاشمونين » على قطعة حجر من جدار عليها اسم «الاسكندر» ولقبه وقد نسبت خطأ لابنه الاسكندر الثانى فرعون مصر جاء عليها : (ستب ــ نى ــ رع ــ مرى ــ أمن) « الاسكندر » (راجع Daressy. Rec. Trav. X, 1888, P. 143-144.

١١ ــ تلى اليهودية :

عثر على قطعة من اناء مصنوع من حجر أسود كان مستعملا ساعة مائية وهى الآن محفوظة بالمتحف البريطانى وجاء عليها المتن التالى : « ملك الوجه القبلى والوجه البحرى (ستب ــ نى ــ رع ــ مرى ــ امن) ابن رع الاسكندر (راجع Guide Br. Mus. (1909), P. 266 & Ibid. Sculpture, P. 254, No. 948).

هذا ولا يفوتنا أن نذكر هنا أن الأثرى « هول » قد عزا الى « الاسكندر الأكبر » طابعا من البرنز من مجموعة « انستاس » القديمة . والواقع أن هذا الطابع يحمل طغراء « الاسكندر » الثانى فرعون مصر (راجع Catalogue of Egypt. Scarabs etc., British Museum, Vol. I, P. 285, No. 2746).

١٢ ــ ذكر الاثرى « بدج » فى كتابه عن ملوك مصر طغراء «الاسكندر» دون أن يعطى المصدر الذى نقل عنه (راجع Budge, Book of the Kings II, P. 108.

وهاك النص الذى أورده «بدچ» : ابن «رع» (الاسكندر بن آمون) .

١٣ ـ منشور كانوب :

جاء اسم « الاسكندر الأكبر » فى منشور كانوب المؤرخ بالسنة التاسعة من حكم « بطليموس الثالث » وذلك فى لوحة « تانيس » المحفوظة الآن بالمتحف المصرى تحت رقم ٢٢١٨٧ . وفى لوحة « كوم الحصن » جاء فيها : الكاهن المطهر للاسكندر صادق القول (أى المتوفى) .

١٤ ـ منشور رشيد :

وجاء كذلك اسم « الاسكندر » فى منشور رشيد المؤرخ بالسنة الثالثة والعشرين من عهد « بطليموس الخامس » (راجع (Stele, No. 22188 du Mus. du Caire) . وهاك المتن : « الكاهن المطهر للاسكندر » . هـذا وقد جاء ذكر كهنة « الاسكندر الأكبر » فى كثير من الروايتين الديموطيقية والاغريقية فى منشورى « كانوب » و« رشيد » وكذلك فى عدد من الأوراق الديموطيقية وفى النقوش والأوراق الاغريقية وسنذكر كلا منها فى موضعها وكهان « الاسكندر الأكبر » كان أول نشأتهم فى السنة التاسعة عشرة من حكم « بطليموس الثانى » (راجع (Petrie Papyri II, No. 24 وكان مركزها الاسكندرية .

وكان الكاهن يعين سنويا وتسمى السنة التى عين فيها باسم الكاهن .وهذه الوظيفة كانت موقوفة على رجال من أصل اغريقى . كما كانت هذه الكهانة تؤلف السلطة العليا الدينية فى مصر ، وذلك لأن الذين كانوا يشغلونها لا بد أن يعينوا بمرسوم ملكى هذا ويمكن تتبع آثار هذه الوظيفة على ضوء الكشوف الحديثة حتى عهد «بطليموس العاشر»(الاسكندر الأول) وكليوبترا الثالثة(١)

Glanville and T. Skeat, J.E.A. vol. 40. P. 45-58;
Bouché-Leclerq. I, Histoire des Lagides, t. III. (1906). P. 45-47.

١٥ ــ البقارية (البخيوم ــ بالقرب من ارمنت) :

عثر على جزء من لوحة للعجل أبيس جاء عليها ذكر « الاسكندر الأكبر »
(راجع (The Bucheum, Vol. II, P. 144
هذا وقد جاء ذكر « الاسكندر » فى مواطن كثيرة سيأتى ذكرها فى سياق تاريخ البطالمة .

أسرة الاسكندر فى النقوش الهيروغليفية :

ربما يكون من المدهش حقا أننا لم نجد على الأثار المصرية البحتة ذكر أى زوج من أزواج الاسكندر الأكبر ولا ذكر أى طفل من أطفاله ولكن تزول دهشتنا عندما نعلم أن « الاسكندر » لم يمكث فى مصر الا بضعة أشهر معلومة ثم غادرها الى ساحة القتال فى آسيا ولم يعد بعدها الى مصر. وتدل شواهد الأحوال على أنه أثناء مكثه فى أرض الكنانة لم يكن يصحبه أحد من زوجاته أو أمه ، هذا فضلا عن أن ذكر اسمه هو على الآثار المصرية كان محدودا مثله فى ذلك مثل كل من « فليب اردايوس » و «الاسكندر الثانى» اللذين خلفاه على عرش مصر من أسرته ، وذلك لانهما لم يحضرا مصر قط كما سنرى بعد .

فرعو نا مصر فليب اريدايوس والاسكندر الثانى

تحدثنا فيما سبق عن الأحوال التى نصب فيها « فليب اريدايوس » عرش امبراطورية « الاسكندر » وعن تولى «برديكاس» نائبا عنه ، كما تحدثنا عن تقسيم أجزاء الامبراطورية بين قواد «الاسكندر» فى ظل حكم كل من «فليب اريدايوس » و « الاسكندر الرابع » (الثانى بالنسبة لمصر) ابن «الاسكندر الأكبر» الذى ولد بعد وفاة أبيه بثلاثة أشهر ، واشترك فى حكم الامبراطورية مع فليب « اريدايوس » . ولقد ظلا يحكمان الامبراطورية سويا اسما من عام ٣٢٣ ق.م. حتى عام ٣٠٥ ق.م. وذلك لأن الحاكم الفعلى كان فى بادىء الأمر هو « برد يكاس » الذى عينه مجلس « بابل » الحربى نائبا وقائدا أعلى على كل أجزاء الامبراطورية ، ثم خلفه فى منصبه هذا بعد موته آخران هما « انتيباتر » و « بوليبرشون » على التوالى .

«بطليموس» بن «لاجوس فى عهد «برديكاس» عام (٣٢٣—٣٢١ ق م)

كانت مصر من نصيب القائد المقدونى « بطليموس » عند تقسيم أجــزاء امبراطورية «الاسكندر» بين قواده فى ظل حكومة « فليب أردايوس » . وقبل أن نتحدث عن مراحل حياته فى حكومة مصر الى ان أصــبح فرعونا عليها يطيب أن نذكر شيئا عن حياته فى عهد الاسكندر الأكبر سيده وصديقه.

لم تصل الينا معلومات من مصادر يعتمد عليها عن أصل نشأة «بطليموس» وحالته الاجتماعية بل كل ما وصل الينا عن أسرة «بطليموس» هى سلسلة نسب اخترعت لتنسب أسرته التى أصبح أفراد منها ملوكا على مصر الى أصل ملكى والهى ، كما جرت العادة عند الأسر التى يتولى أفرادها الملك ولم يكونوامن أصــل ملكى . والواقع أن أسرة البطالمة قد جعلهم النســابون المحترفون

ينحدرون من صلب الآله «زيوس» بوساطة «هيراكليس» و «ديونيسوس». وفى رواية أخرى أكثر تواضعا قيل أن « بطليموس » كان من عامة الشعب وأنه عصامى وصل الى ما وصل اليه بمواهبه الشخصية ، وأن « الاسكندر الأكبر » قد لمح فيــه النجابة والفطنــة من بين اجنــاده العاديين (راجع Justin. XIII, 4, 10) . واسم « بطليموس » هو صورة شعرية لكلمة «بوليموس» (Polemos) التىتعنى حرب. أما اسموالده الهيلانى «لاجوس» (La-agos) فمعناه قائدالشعب . ولماعظمشأنبيتالبطالمة فىالعالمالهيلانستيكى وجدنا أن نسبته الى « لاجوس » كانت مبهمة وتعتبر غير لائقة بشرف أسرته ومما يجب التنويه به هنا أن البطالمة لم يذكروا باسم « لاجيد » الذى نجده فى الكتب الفرنسية بصورة عامة ، وكل مايعلم عن هذا الاسم هو وجود كلمة « لاجيداس » (Lagidas) فى قصيدة للشاعر « تيوكريتوس » (Theocritus) الــذائع الصيت ومن القصص التى تروى عن البطالمة ونسبهم مــاروى عن « بطليموس الأول » أنه عندما سئل أحد علماء النحو : من هو والد « بلوبس » (Pelops) وكانت هذه نقطة غامضة جدا فى علم الأساطير الاغريقية ــ أجاب العالم المنحوس بقوله : انى سأجيبك على ذلك اذا أجبتنى أولا : «من هو والد « لاجوس » » ؟.

وتدل الأحوال على أنه كان صديقا حميما للاسكندر كما كان موضع ثقة يعتمد عليه وناصحا رزينا . وتدل المصادر التى فى متناولنا على أنه اشترك مع الاسكندر فى معظم مواقعه الحربية خارج بلاد اليونان على الأرجح . وقد ذكر لنا « بطليموس » فى مذكراته حملات « الاسكندر » بالتفصــيل بصــورة لا يتسنى لأحد لم يكن شــهد هذه الوقائع رأى العــين (راجع (Arrian, Anab., 1, 2, 7, 8,

والواقع أنه كان ملازما « للاسكندر » يسهر على سلامته كما كان يكلفه أحيانا بالبعوث التى تحتاج الى رجل ثقة . ومما يؤسف له جد الأســف أن

المؤرخين لم يذكروا لنا مرافقته الاسكندر فى غزوته لمصر . وأنه رآه وهو يضع الحجر الاساسى لعاصمة البلاد مستقبلا أى الاسكندرية وعلى أية حال فانه ليس لدينا ما يحملنا على الاعتقاد بأن « الاسكندر » لم يصحب « بطليموس » تابعه الأمين الى مصر . ومن المحتمل جدا انه جهز رحلته الى واحة « سيوة » . ولا غرابة فى ذلك فان «بطليموس» كان صديقا للاسكندر مدة حياة والده « فليب » وقد لاقى بسببه عنتا واضطهادا الى أن مات « فليب » فأعاده « الاسكندر » الى مكانة رفيعة فى معيته .

وقد وجدنا « بطليموس » فى شتاء عام ٣٣١ ــ ٣٣٠ ق.م مع «الاسكندر» عندما كان يخترق الممرات الفارسية وهو يقود ٣٠٠٠ مقاتل مكلفين بقطع خط الرجعة على الفرس (راجع Arrian III, 18, 9)، وكذلك نجد الاسكندر يضعه فى مقدمة جيشه يقود ما يقرب من ستة آلاف محارب لمناوشة «بسوس» والقبض عليه والأخير هو قاتل «دارا» ملك «الفرس» وقد قبض عليه فعلا وأمر « الاسكندر » بان توضع حول رقبته الاغلال وأن يجرد من ملابسه ثم أمر بموته (عام ٣٢٩ ق.م) . وقد رقى بعد ذلك بطليموس ، اذ أصبح أحد السبعة الذين يتألف منهم المجلس الأعلى الحربى فى نهاية عام ٣٣٠ ق.م وذلك بدلا من « ديمتريوس » الذى كان قد اشترك فى المؤامرة على « فيلوتاس » الذى كان يشغل وظيفة قائد فرقة الفرسان ، وكذلك كان على اتصال مباشر « بالاسكندر » ، وقد اتهم بالتآمر على قتل « الاسكندر » (راجع Arrian III, 27, 5, CF IV, 8, 9).

نشاهد بعد ذلك « بطليموس » يقود مع القائد « هيفستيون » (Hephestion) الفرقة التى يحتفظ بها « الاسكندر » بالقرب منه فى « سوجديان » (٣٢٩ ق.م) ، وكان يقود مع « برديكاس » و «ليوناتوس» Leonatos) حصار صخرة « كرونيس » (Rock of Chrones) (راجع (Arrian IV, 21, 4; Grote XII. P. 146.

وقد ظهرت شجاعته فى منازلة « الاسباسيين » (Aspasian) فقد جرح فى أول مصادمة كماجرح فيها كذلك كل من « ليوناتوس » و «الاسكندر» نفسه . وقد قتل بيده بعد ذلك بعدة أيام أميرا هنديا قد أخطأ قتله بضربة حربة . وأخيرا قامت فرقته بدور باهر فى القضاء النهائى على « الاسباسيين » عام ٣٢٧ ق.م (راجع .(Arrian, IV, 23-35) وبعد ذلك نشاهد مهارته الحربية فى الهند فى تسلق مرتفعات « أورنوس » (Aornos) والاستيلاء عليها (راجع (Arrian Ibid, 29-30)

ونجده فى حصار بلدة « سانجالا » التى تعد أقصى نقطة فى الشرق وصلت اليها فتوح « الاسكندر » فى بلاد الهند ، قد استعمل حزمه ونظرته الثاقبة كما هى عادته (راجع (Arrian V, 23-24) . وعندما كان الجيش فى طريق العودة انحدر فى نهر « اسكينى » وكان « بطليموس » وقتئذ يقود كذلك احدى الفرق الثلاثة من الجيش وهى التى كان عليها أن تنضم فى زحفها لمحاربة « أوكزيدارك » (Oxydarques) ، أما الفرقتان الأخريان فكان يقودهما « هيفاستيون » و « الاسكندر » (راجع .Arrian, VI, 5, Diod) (XVII, 104 وقد كان من جراء عدم وجود « بطليموس » بجوار « الاسكندر » أن جرح الأخير جرحا بليغا عندما هاجم عاصمة الماليين . هذا ويجد « بطليموس » فيما بعد يذكر فى الأسطورة التى رويت عنه أنه هو الذى نجى « الاسكندر الأكبر » فى ذلك اليوم المشهود ، ومن ثم سماه الاسكندر المخلص (Soter) (راجع (Arrian VI, 11,8 وقد جاء ذكر «بطليموس» ضمن الثلاثةوالثلاثين قائدا بحريا الذين وكل اليهم «الاسكندر» أمر الأسطول النهرى الذى تجمع على نهر « هيداسبيس » (Hydaspes) والذى كان يقف على جانبه الآخر الملك الهندى « بوروس » (Porus) (راجع Arrian, Ind' 18, 5) .

وتقص علينا الأساطير أن الاسكندر قد كافأه على اخلاصه وتفانيه فى حبه له . فقد روى أن « الاسكندر » عندما جرح «بطليموس » سهم مسموم كان ساهرا بجوار سريره يرعاه ، وأنه قد أبرأه من علته بعشب كشف له عنه فى حلم رآه فى منامه (راجع Strabo, XV. P. 173; Justin XII, 10, 3) وقد كانت محبة « بطليموس » لسيده التى كانت ممزوجة بالحذر والمسايرة قد جعلته يصبح تشريفاتى « الاسكندر » ومدير بيته . وقد كان من سوء حظ « بطليموس » أنه شهد قتل « كلينوس » بيد « الاسكندر » ، وكان أكبر صديق له وأقرب المقربين اليه ، ولا غرابة فى ذلك فقد نجاه من الموت المحتم (راجع .Arrian IV, 13, 7; Grote XII, 140).

ومن كل ما سبق أصبح واضحا أنه عند وفاة الاسكندر لم يكن هناك من بين أصدقائه وقواده الا القليل الذين شغلوا مكانة بارزة كالتى كان يشغلها ابن «لاجوس». وقد كان «برديكاس» يظهر له من أول الأمر أن «بطليموس» من أكبر مناهضيه ، غير أن «بطليموس» كان حازما ليعطى طموحه مجالا ليظهر «لبرديكاس» بمظهر العداء قبل أوانه . وقد عرفنا أنه فى مجلس القواد الأول قد اقترح أن تدار حكومة الامبراطورية بوساطة مجلس من الضباط، غير أنه عند ما رأى اقتراحه رفض ، مال الى حزب «برديكاس» فى الاجراءات التى اتخذت كما أسلفنا ، ومع ذلك كان حريصا أشد الحرص على مصلحته الشخصية عند توزيع مختلف المديريات والشطربيات بين القواد . وقد وضع كل همه ومجهوده فى خلال هذا التقسيم فى أن يحصل لنفسه على حكومة مصر الهامة التى كانت تعد أغنى بلاد الامبراطورية وفى الوقت نفسه أكثرها أمانا من الغزو الأجنبى (راجع ;Curt. X, 6 §.§. 13, 16, 7, 916 Justin XIII, 2, 4; Arrian, Op. Phot. P. 69, a; Paus. I, E, 82)

وبعد ذلك يظهر أنه أسرع بقدر المستطاع لتسلم مهام وظيفته فى مصر فى نهاية ربيع ٣٢٣ق.م . ولكنه وجد أن «كليومنيس» الذى كان معينا من قبل

الاسكندر محصلا لضرائب البلاد عامة ـ وكان مجلس القواد قد عينه عن قصد ليكون نائبا لبطليموس ـ ، صاحب نفوذ عظيم على الرغم من أنه أصبح بعد تولى «بطليموس» بصفة وكيل وحسب، يضاف الى ذلك أن «كليومنيس» كان من أشد الناس اخلاصا «لبرديكاس» . ولقد كان من الطبيعى أن ينشب بينهما شجار صامت وبخاصة أن «كليومنيس» قد جمع مالا كثيرا من الأهلين بالقوة والسلب ، وكان فى قتله راحة لنفوس الشعب المظلوم المغلوب على أمره . ولذلك كان أول عمل عزم عليه «بطليموس» هو أن يتخلص من هذا المنافس العاتى ، غير أنه لم يتعجل الحوادث بل أخذ يعد العدة لتنفيذ غرضه، ولم يتسن له ذلك الا بعد أن أصبح سلطانه قويا فى البلاد . وقد حانت له الفرصة عندما قامت ثورات فى مدينة «سيرينى» المجاورة لمصر ، وقد كان لزاما عليه أن يتدخل لاخمادها ، ولكنه قبل أن يزحف على « سيرينى » قبض على أعضاء حزب « كليومنيس » وحكم عليه بالأعدام واستولى على كل الأموال التى كان قد جمعها بوصفه محصل دخل البلاد . وقد استخدم هذه الأموال فى تجنيد الجنود المرتزقة من الاغريق ، وليجمع حوله طائفة من لضباط المخلصين . ولم يكن « بطليموس » يريد أن يقحم نفسه فى الحروب التى قامت فى البلاد الهيلانية وهى التى تدعى الحروب «اللامية» (٣٢٣–٣٢٢ ق.م). والواقع أن تلك الحروب قد تركت ذكريات أليمة فى نفوس الهيلانيين

وعندما نجا القائد «انتيباتر» من الموت فى موقعة «لاميا» كان مبلبل الفكر مشتته ، وذلك بسبب ما سيئول اليه أمره بعد ذلك ، وبخاصة أنه كان يخشى تدخل «برديكاس» فى أمور أوربا التى كان يسيطر عليها . وقد انتهز «بطليموس» تلك الفرصة وأبرم مع «انتيباتر» معاهدة ضد «برديكاس» (راجع Diod. XVIII, 4) ومن ثم حانت الفرصة لدى «بطليموس»

لمحاربة «برديكاس» الذى كانت بذور الشقاق قد دبت بينهما بصورة سافرة منذ أن عمل «بطليموس» على دفن «الاسكندر» فى مصر وقتل «كليومنيس» الذى كان قد نصبه وكيلا له «برديكاس» فى مصر ليكون مناهضا وعينا له هناك . غير أن الأمر الذى أزعج «برديكاس» كثيرا هو استيلاء «بطليموس» على «سيرينى» . وآية ذلك أنه عندما قامت المنازعات والاضطرابات فى «سيرينى» وبخاصة عندما نعلم أنها كانت جمهورية اغريقية عريقة فى الحكم الذاتى . وقد كانت هذه المشاحنات بين الأحزاب فيها سببا فى اجتذاب رجال المخاطرات من بلاد الاغريق ، وما كان أكثرهم وقتئذ . ومن أجل ذلك نجد أن «تبيرون» «الاسبرتى» ياور وقاتل هاربال (Harpale) المدير الخائن لخزانة الاسكندر قد جمع كل المشردين المحكوم عليهم فى «سيرينى» ، غير أنه بعد طرده أحد ضباطه عاد لمحاصرة «سيرينى» ؛ ولكن الحزب الديموقراطى فى المدينة المحاصرة قبض على زمام الأمور ؛ وعندئذ نجد أن بعض أغنياء المدينة الذين نفوا قد طلبوا المساعدة من «تبيرون» كما أن بعضهم الآخر طلب المساعدة من «بطليموس» الذى أرسل صديقه «أفيلاس» (Ophelas) على رأس جيش يصاحبه أسطول ، فهزم «تبيرون» وأعدم على خازوق (راجع (Diod. XVIII, 19-21 وبذلك أصبحت « سيرينى » محاصرة حصارا شديدا ، ولم تلبث أن سلمت لبطليموس الذى قد ذهب بنفسه هناك ومعه نجدة لكسر كل مقاومة . وهكذا نجد أن هذه المدينة التى قاومت بطش الفراعنة وهزمت جيش الفرعون «ابريز» قد أصبحت جزءا من شطربية مصر. ومن ثم أخذ يدير شئونها مؤقتا «أفيلاس» (راجع مصر القديمة الجزء الثانى عشر ص ٢٤٩ — ٢٥١ ، و (Justin XIII, 6, 20,) وكان من أثر انتصار «بطليموس» فى «سيرينى» وضمها الى مصر ، فى العالم الاغريقى أن تأثر « برديكاس » تأثرا عميقا خوفا من مناهضه الخفى . والواقع أن «بطليموس» بضمه «سيرينى» لم يناقض قرارات مجلس «بابل» الذى وضع

تحت سلطانه بلاد «لوبيا» وبلاد العرب وهما على حدود مصر .

وكل ما فعله بحملته هذه هو أنه أظهر ارادته فى تنفيذ القرار بصورة عملية، ومع ذلك فان «السيرنيين» لم يكونوا ليرضوا لأنفسهم أن تصبح بلادهم مديرية خاضعة لحكم أجنبى . وعلى أية حال فان الحوادث المقبلة تدل على أنهم لم يصبحوا فى معظم الأحيان مصدر قوة للملوك البطالمة بل كانوا شوكة فى جانبهم من الوجهة الحربية . على أن « سيرينى » من الجهة العلميـة قد أمدت مصر البطلمية بطائفة من العلماء الذين لمع اسمهم فى التاريخ الانسانى ونخص بالذكر من بين هؤلاء «كاللياكوس» الشاعر العظيم «واراتوستينيس»، هذا بالاضافة الى عدد من رجال الحرب البارزين . وقد جاء ذكر عدد كبير من الجنود «السيرنيين» فى الأوراق البردية من الذين استعمروا الفيوم والوجه القبلى. ولا نزاع فى أن سيطرة « بطليموس » على « سيرينى » قد أزعـج «برديكاس» وأثار فى نفسه عوامل الحقد كما ذكرنا على «بطليموس» وبخاصة أنه لم ينس له الاستيلاء على جثمان «الاسكندر» ودفنه فى مصر على غير ارادته ، هذا بالاضافة الى قتل « كليومنيس » صديقه ، ومن ثم قام النزاع السافر بين «برديكاس» وبين «بطليموس» ، وذلك لأن وحدة الامبراطورية تساعد «برديكاس» للتغلب على «بطليموس» وذلك لأن وحدة الامبراطورية الشاسعة التى تركها وراءه «الاسكندر» لم تكن قائمة على أسـاس متين يضمن كيان وجودها سليمة، فقد كانت فى حاجة الى ملك قوى يصون وحدتها من التمزق الذى كان وشيكا أن يصيبها ، بل على العكس كان على رأسها ملك ضعيف مشلول الارادة والجسم لا حول له ولا قوة .

حقا كان تحت أمرة «برديكاس» جيش «آسيا» وكان هو الوصى والحارس على «فليب اريدايوس» المريض ، فكان بذلك هو المسيطر الفعلى على شئون الامبراطورية ، ولكن «برديكاس» لم يكن يحكم البلاد دون متاعب تحيط به ، فقد كان عليه أن يحسب حساب أطماع اميرات بيت الاسكندر ، هذا

بالاضافة الى ما كان يدب فى نفوس رؤساء القواد الآخرين من غيرة وحقد عليه ، وكان فضلا عن ذلك يريد كل منهم أن يصبح مستقلا فى الجزء الذى يحكم عليه . ومما زاد الطين بله أنه كان يهدد الامبراطورية وقتئذ خطران أولهما قيام ثورة فى جزء من بلاد الاغريق التى حرمت استقلالها بتحريض من « أتولى » (Etolie) وبخاصة « أثينا » . أما الخطر الثانى فهو الفتنة التى اشعل نارها الجنود المرتزقة الاغريق الذين كانوا فى « بكتريان » (بلاد الفرس) وهم الذين كانوا يريدون العودة الى أوطانهم بعد موت «الاسكندر».

حرب « لاميا »: وقد كانت الثورة التى هبت فى بلاد الاعريق تعرف باسم « الحرب اللامية » وكان من نتائجها أن ثبت « انتيباتر » فى ملكه وأبعد « كرايتروس » وقضى على « ليونات » (Leonnat) فقد خر صريعا فى ميدان القتال فى موقعة « تيساليا » . وهؤلاء الحكام كانوا أخطر منافسين على «برديكاس» (٣٢٣ ــ ٣٢٢ ق.م) . وذلك لأن «ليونات» كان يطمع فى الاستيلاء على زمام الامبراطورية، وقد كانت «كليوبترا» أخت «الاسكندر الأكبر» وأرملة «الاسكندر» حاكم «ابيروس» تفكر فى الزواج منه فانساق وراء اطماعه ليصل الى الحكم . أما اغريق «بكتيريان» فكانوا يؤلفون جيشا من الجنود المدربين قوامه عشرون ألفا من المشاة وثلاثة آلاف من الفرسان. فأرسل عليهم « برديكاس » شطربة «ميديا» المسمى «بيثون» وكان بدوره يرمى الى اخضاعهم ، ثم بعد ذلك يستخدمهم فى الاستيلاء على زمام الحكم من يد «برديكاس» ، غير أنه لم يكن فى مقدوره منع الجنود المقدونيين من ذبحهم ، أما ما كان من أمر «برديكاس» فانه بعد أن تخلص من اخطار عدة، فانه أصبح فى مقدوره أن يعمل على تثبيت مركزه المحفوف بالمخاوف . ونعلم على حسب ماذكره لنا المؤرخ «هيرونيم» مواطن «كارديا»، أن «أوليمبياس» أم «الاسكندر» التى كانت تمقته من أعماق قلبها تريد أن يتزوج من « كليوبترا » .

ويتساءل المرء هنا : هل كان مثل «ليونات» يرغب فى أن يستولى على زمام لحكم وحده ؟ وتدل الظواهر على أنه كان مكتفيا فى هذه اللحظة بوظيفة نائب الامبراطورية ، وذلك لأنه على الرغم من نصائح صديقه «ايمنيس» أمين سر « الاسكندر » فانه رفض الزواج من أخت « الاسكندر » مفضلا عليها ابنة « انتيباتر » ، ولكنه فى الوقت نفسه كان يريد أن يصبح نائبامطاعا فى امبراطورية موحدة . وقد أفاد من تخلصه من حروب بلاد الاغريق اذ فسح له ذلك المجال لاتمام فتوحه فى « آسيا » الصغرى .

والواقع أنه اخضع كلا من «أرمينا» و «بزيديا» و «اسورى» وبخاصة «كبودوشيا» التى أصبحت شطربية يحكمها صديقه «ايمنيس» ، ولكنه على الرغم من ذلك لم يكن فى مقدوره أن يمنع «أديا» حفيدة الملك «برديكاس» الثالث وهى ابنة «سينانى» (Cynani) حظية فليب «اريدايوس» من الذهاب مع والدتها الى «آسيا» . وقد قتل «تسينانى» ولكن الجيش أجبر « برديكاس » على الزواج من الأميرة .

والواقع أن «فليب» لم يكن الا ظلا فى الحكم لأن هذه الملكة الفتية التى كانت فى الرابعة عشرة من عمرها — وهى التى سميت باسم «ايريديكى» (Eurydice) — كانت تريد أن تثبت سلطان العرش وحقوقه ، ومن جهة أخرى كان خروج بعض شطاربة الامبراطورية عليه أمرا ملحوظا ، فعندماطلب « برديكاس » الى « انتيجونوس » مساعدة « ايمنيس » للاستيلاء على «كابودوشيا» لم يطع أمره (١) ، ومن ثم أصبح «برديكاس» فى حرج ، فعلى أثر رفض «انتيجونوس» طلبه فر الأخير الى مقدونيا ، وهناك تألف حلف من كل من «انتيجونوس» نفسه ومن «انتيباتر» و «بطليموس» لمقاومة «برديكاس» . وقد كان بطليموس ينتظر بثاقب رأيه تطور الحوادث بينه وبين «برديكاس» . أما «برديكاس» فكان وقتئذ واقفا موقف الحيران فى

(١) راجع Jouguet. P. 12.

أمره بين عدويه . هل يبادر بالقضاء على أعدائه فى مقدونيا أو يصرب ضربته الأولى فى مصر . وأخيرا انتهى به الرأى الى أن يقضى على عدوه «بطليموس» أولا ، وبعد القضاء عليه يوجه ضربته التالية الى «انتيباتر» .

ولقد اتخذ «برديكاس» لنفسه الحيطة أولا فى «آسيا» الصغرى فجعلها تحت حراسة صديقه « ايمنيس » ، وعزز ذلك بأسطول لملاحظة الشواطىء بأمرة القائد (كليتوس) (Clitos) ، ثم عقد بعد ذلك معاهدة مع أهالى «أتوالى» الذين كان عليهم أن يحاربوا «انتيباتر» . وبعد ذلك خلع شطربة «كليكيا» المسمى «فيلوتاس» (Philotas) وهو صاحب «كراتريوس» ونصب مكانه آخر ، وكذلك خلع شطربة «بابل» المسمى «أرخون» . وكان على ما يظن متهما مع «بطليموس» بخطف جثمان الاسكندر وكان يخاف خيانة كل هؤلاء . وأخيرا عندما علم أن ملوك مدن جزيرة «قبرص» كانوا فى جانب «بطليموس» ويحاصرون مدينة «ماريون» التى كانت باقية على ولائها له فى الجزيرة أرسل مساعدة لها (١) .

ولا ريب فى أنه كان من حق «برديكاس» أن يفخر بكل هذه الاستعدادات العظيمة التى تدل على بعد نظر وروية ، غير أنه فى الوقت نفسه تجاهل الكره السائد له الذى كان يعمر قلوب كل أهالى الامبراطورية . والواقع أنه كان لا يحفل بحب الناس له ما دام مطاعا فيهم ، مما أدى الى خيبته ولقاءحتفه فى هذه الحملة التى رأسها لغزو مصر والقضاء على «بطليموس» عدوه الأول.

الحملة على مصر : زحف «برديكاس» بجيشه على مصر فى ربيع عام ٣٢١ ق.م عن طريق «سوريا» الى الحدود المصرية ، وكان أسطوله بأمرة «أتالوس» يسير محاذيا للجيش ، غير أنه لم يكد يولى ظهره متجها نحو مصر حتى أتته الأخبار أن «كراتريوس» و «انتيباتر» عبرا «الدردنيل» لمهاجمته،

---

(١) راجع (Arrian, P. 27-28

فى حين أن «انتيجونوس» ولى شطره نحو «ساردیس» حيث أراد أن يأخذ «ايمنيس» على غرة (١) . وكانت الطامة الكبرى عندما سمع «برديكاس» أن قائد البحر «كليتوس» قد انضم الى أعدائه ، ثم حذ حذوه شطاربه «ليديا» و «كاريا» و «مياندر» و «اساندروس» (Asandros) . وأخيرا وجد أن القائد «نيوبتوليم» (Neoptoleme) الذى كان عليه أن يساعد «ايمنيس» قد انضم الى معسكر «أنتيباتر» و «كراتيروس» . وقد زاد الطين بلة أن جنود «برديكاس» الذين كان يقودهم أخذوا يقلقون باله باظهار التمرد عليه . وآية ذلك أنه عندما وصل الى الحدود المصرية أراد أن يجعل لهذه الحملة التى قام بها على «بطليموس» صبغة قانونية بأن يوافق الجيش عليها ومن ثم دعا « بطليموس » ليظهر أمام المجلس العسكرى الذى كان سيصدر الحكم عليه ، وأنه اذا تخلف عن الحضور فانه سيعلن عصيانه وامتناعه عن الحضور أمام القضاء . وهذه الخطة التى رسمها «برديكاس» للقضاء على «بطليموس» كانت قد نجحت من قبل مع «انتيجونوس» فى الخريف الماضى . ولو كان «بطليموس» من البساطة وحضر المحاكمة الحكم عليه بأنه خارج على القانون بسبب أنه أخضع اغريق «سيرينى» واستولى على بلادهم ، كما أنه استولى على جثمان «الاسكندر» اغتصابا . غير أن «بطليموس» لم يكن ساذجا فبدلا من أن يرفض الحضور ، برأ نفسه بوساطة مفوضين عنه وقد أفلح فى ذلك (٢) ، ولكن «برديكاس» لم يقنع بهذه البراءة ومضى فى تنفيذ عزمه للقضاء على «بطليموس» بحد السيف محافظة على كبريائه . ومما يؤسف له جد الأسف أن «برديكاس» قد أظهر فى حربه التى شنها على «بطليموس» عدم كفاية . فلم يكن فى مقدوره أن ينتخب مكانا على الفرع البلوزى للنيل ليعبر منه النهر دون خوف أو وجل.

(١) راجع Arrian, Ibid. P. 29.

(٢) راجع Bouché-Leclercq, I, P. 23.

حقا نجده قد حاول عبر النهر للمرة الأولى عند مكان كان يحميه «بطليموس» ويدعى «جدار الجمل» . وذلك أنه أخذ فى كرى قناة قديمة مهجورة لأجل ان يجرى فيها ماء النهر الذى كان يقف حجر عثرة فى طريقه ، وبذلك عبر فرع النيل ، ولكن هجومه على الحصن كلفه خلقا كثيرا دون فائدة . وكان من جراء انطلاق الماء بشدة فى القناة التى أصلحها أن غرق معسكره. وعندئذ ظن «برديكاس» أن هناك مؤامرة دبرت للقضاء على جنوده الذين بدؤا على أثر ذلك يفرون من ساحة القتال ، ولذلك لم ير بدا من أن يسير فى النهر بجيشه نحو «منف» ، وقد قام بمحاولة جديدة لعبور النهر عند أسفل «بوبسطة» فى مكان كانت توجد فيه جزيرة تقسم تيار النهر ، مما كان يسهل عليه عبور النهر ، ولكنه أخطأ الحساب اذ قضى على محاولته بالفشل الذريع، ففقد «برديكاس» هناك أكثر من ألفى مقاتل لاقوا حتفهم غرقا دون حرب، أو التهمتهم الحيتان على رأى «ديدور» . وقد كان من جراء هذه الكارثة أن هاج الجيش على قائده الأعلى الذى أظهر عدم الكفاية فأعلن كبار الضباط فى وجه «برديكاس» انهم لن يطيعون أوامره، فى حين أن فريقا منهم من بينهم القائد العظيم «سيدوكوس» الذى أصبح فيما بعد ملك «سوريا» ، قد عاملوه بالطرق التى اعتاد الجيش اتباعها فى محاكمة الضباط الخارجين ، فحكموا عليه بالاعدام وحزوا رقبته (يوليو سنة ٣٢١ ق.م.) وفى اليوم التالى من اعدام «برديكاس» اجتمع رجال الجيش وظهر فى وسطهم «بطليموس» محييا ومسلما على المقدونيين بحب وسلام . ثم قدم بعد ذلك اعتذاره عن سلوكه فى محاربة «برديكاس» . ولما كان الجيش تنقصه الاطعمة أمر بتوزيع القمح عليهم بكثرة كما أمد المعسكر بكل أنواع المؤن والذخيرة. ولقد كان مسلك «بطليموس» بهذه الصورة مدعاة لحب الجيش واحترامه(١)

---

(١) راجع Diod. XVI, 36.

وبعد ذلك عقد الجيش جلسة عرض فيها على «بطليموس» أن يحتل مكانة «برديكاس» غير أنه أبى ، وكان ذلك عن بعد نظر لأنه رأى أن توليه هذا المنصب يثير غيرة رفاقه القدامى فى الجيش ، هذا فضلا عن أن قبوله سيحرمه ملك مصر الذى يحرص عليه كل الحرص، كما كان يلقى به فى معمعة المغامرات التى لا بد منها لكل من يتولى نيابة حكم الامبراطورية التى خلفها الاسكندر، يضاف الى ذلك أنه على الرغم من وجود «فليب اريداوس» و «الاسكندر الرابع» على العرش سويا ــ وكان «برديكاس» يصحبهما معه فى كل مكان ذهب اليه ، فانه كان لا يمكن المحافظة على الامبراطورية بهـذه الصورة . وعلى أية حال كان «بطليموس» راضيا بمصر نصيبا له من هذه الامبراطورية الضخمة . وقد رأى «بطليموس» الحكمة الا يترك مكان نيابة الامبراطورية خاليا فنصب كل من «بيثون» و «أريدايوس» أحد المقربين من «الاسكندر الأكبر» وصيين على الامبراطورية مؤقتا . هذا ولم يمض أكثر من يومين على وفاة «برديكاس» حتى وصلت أخبار الاحداث التى كانت تجرى فى «آسيا» فقد جاءت الانباء بهذيمة «كراتيروس» على يد «ايمنيس» فى «كابودوشيا» وأنه مات فى ساحة القتال (حوالى عام ٣٢١ ق.م) وأن «انتيباتر» عندما وصل الى «كليكيا» وجد نفسه فى مأزق حرج اذ قطعت بينه وبين مقدونيا المواصلات، هذا فضلا عن أن الأسطول لم يسعفه بالنجدة بل طارد فى بحر قبرص قائد «برديكاس» وذلك بأمر من «انتيجونوس» و «كليتوس» . والواقع أن هذه الأخبار المزعجة لو كانت قـد وصلت قبل قيـام «برديكاس» بالحرب على «بطليموس» لأصبحت كارثة للاخيرة وأعوانه ، غير أن نصر «بطليموس» على انتيباتر» و «انتيمونوس» يدعونهما لعقـد اجتمـاع عام يكون مقـره «تريباراديوس» (ربلة الحالية فى سوريا) . وتدل شواهد الأحوال على أن «بطليموس» لم يذهب مع الوصيين أو الملكين الى مكان الاجتماع حرصا منه وبعد نظر ، اذ الواقع أنه كان قد حدد أطماعه بالاكتفاء بملك مصر . فكان

علية أن يبقى فيها ولا يخرج منها .

ولا نزاع فى أن اجتماع «تريباراديوس» الذى عقد فى خريف عام ٣٢١ ق.م كانت تسوده البلبلة ، وعلى أية حال انتهى بتنصيب «أنتيباتر» وصيا على الامبراطورية ، وقد أسفر التقسيم الذى عمل فى «تريباراديوس» تثبيت «بطليموس» فى ملك مصر بوصفها ضيعة كسبها بحد السيف (١) . ومهما يكن من أمر فانه لم يكن من المستطاع خلعه منها فى هذه الأحوال بل على العكس أضيفت له بلاد «لوبيا» و «سيرينى» التى كانت فعلا فى قبضة يده . وتوثيقا لعرا هذا الاتفاق زوج «انتيباتر» ابنته «ايريديكى» من «بطليموس» . ولا نزاع فى أن «بطليموس» كان فى مقدوره فى هذا الموقف بعد انتصاره على «برديكاس» أن يصبح وصيا ، غير أن هذا المنصب الذى كانت تحفه عوامل الحقد والغيرة لم يغره ولم يخدعه ، ومن ثم أظهر مهارته السياسية وبعد نظره برفضه لهذا المنصب . اذ الواقع أنه كان لا يمكن مهاجمته فى شطربيته الا من رعاياه الجدد . وعلى أية حال فان التقسيم الذى اتفق عليه فى حلف«تريباراديوس» بالنسبة لمصر لم يكن الا تأكيدا للقرار الذى أتخذ سابقا فى «بابل» ، وفضلا عن ذلك فان مركز الامبراطورية قد انتقل الآن من «آسيا» الى «أوربا» وهذا كان أقل خطرا على استقلال مصر.

حقا كان من نصيب «سليوكوس» جد الأسرة المناهضة لمصر «بابل» ، غير أنه لم يكن من المستطاع التنبوء بالعظمة التى سينالها بيته فى المستقبل ، ومن جهة أخرى ظهرت مملكة أخرى بمقتضى حلف «تريباراديوس» كانت أعظم خطرا من السابقة فى بلاد الاناضول ، وذلك أن «انتيجونوس» الأعور قد حافظ هناك على حكوماته واتخذ لنفسه لقب « الحاكم فوق العادة لآسيا » والقائد الأعلى لجنود الامبراطورية وعلى الرغم من أن « انتيباتر » قد تقدم فى السن فانه كان مع ذلك نشطا وطموحا خاليا من الشكوك وعلى استعداد

---

(١) راجع Diod. XVIII, 39, 43.

لأن يتتبع خطا «برديكاس» . هذا وكان يلوح له وجود خطر يمكن أن يهدد «بطليموس» نفسه فى المستقبل ويجعله يندم على عدم اهتمامه بصورة جدية بامبراطورية «الأسكندر» ، كما أنه أدرك اهماله فى اجتماع «تريباراديوس» فى عدم طلبه صراحة ضم بلاد «سوريا» التى عزم فى قرارة نفسه على أن يضمها الى مصر لما كان لهـا من أهمية بالغة لحفـظ كيان بلاده كما دلت الأحداث التاريخية فى كل عصور حياة مصر كما فصلنا القول فى ذلك .

بطليموس وانتيجونوس ٣٢١ — ٣١٩ ق.م :

ذكرنا فيما سبق أن بطليموس قد ضم بمقتضى حلف «تريباراديوس» الى مصر «لوبيا» و «سيرينى» ، غير أن أطماعه السياسية ومقتضيات الأحوال حتمت عليه ان هو أراد المحافظة على مصر أن يضم اليها بلاد «سوريا» وذلك لأن مصر كان لا يمكن أن تصبح دولة بحرية قوية دون أن يكون لها موان على شاطىء بلاد «فنيقيا» .

تاريخ العلاقات البحرية بين مصر وسوريا من اقدم العهود حتى عهد البطالمة :

ولا غرابة فى أن نجد بطليموس يلح فى الاستيلاء على سواحل «سوريا» اذ ليس ذلك بالأمر الجديد فقد دلت البحوث الأثرية على أن مصر كانت لها علاقة بجيرانها الآسيوين منذ عهد ما قبل التاريخ وبعبارة أخرى منذ العهد الجرزى (١) . وفى الأزمان التاريخية تظهر سياسة مصر فى علاقاتها مع«آسيا» على الأقل فى خطوطها العريضة ، وذلك على الرغم من أن المصادر ليستجاية تماما من حيث التفصيلات الفنية ، ومن أجل ذلك لم يظهر أمامنا بصورة جلية حتى « الدولة الحديثة » الى أى حد لعب الأسطول المصرى دورا حاسما فى النشاط المصرى التجارى والحربى فى عرض البحر . والواقع أن السياسة المصرية فى « آسـيا » كان لها غرض مزدوج وهو تأمين الحـدود المصرية والحصول على منتجاتها الثمينة ، وذلك فى طوال تاريخها . ففى العلاقاتالتى

(١) راجع Scharff Die Fruhkulturn Agypten und Mesopotameens (Der Alt Orient, Bd. 41. Lpz. 1941).

كانت قائمة فى « سوريا » كانت المصالح التجارية أكثر أهمية فى حين نجد أن «فلسطين» كانت أهميتها تنحصر بوجه خاص فى قيمتها الاســتراتيجية من حيث الأمان من الوجهة الحربية . وكانت أهمية بلاد « آسيا » لا تقل عن أهمية بلاد السودان لمصر . ولذلك كان يعين فيها نائب لملك مصر ، غير أن سيطرة مصر على هذا الجزء من امبراطوريتها كان يضــيع من يد مصر أو يعرض لخطر عظيم على الأقل عندما كان الحاكم المصرى يظهر أى تراخ ، وهذا هو نفس ما وجدناه فى عهد البطالمة الأول . هذا ونجد فى «فلسطين» وعلى فترات فى بلاد «سوريا» مراقبة ملحوظة ، وذلك أما باقامة معاقل أو حاميات فى المدن الهامة (١) .

واما بمساعدة رؤساء المدن الذين نصبهم الفرعون ملوكا هناك ، وكانوا مرتبطين معه بالمواثيق والهبات التى كان يغدقها عليهم وكذلك بالرهائن التى كانت فى العادة تمثل أولاد الأمراء (٢) . وهذا هو نفس ما نجده فى عهــد البطالمة . والواقع أن الموظفين المصريين كانوا يرسلون الى «آسيا» للمحافظة على المصالح المصرية ولم يقوموا بأى دور حاسم هناك كما كانت الحال فى بلاد النوبة .

هذا وكان المصريون مهتمين بالحصول على الخشب الذى كان يجلب من لبنان وبخاصة من بلدة «ببلوص» (جبيل الحالية) الواقعة على الســاحل وكانت أحسن ميناء لتصدير الخشب المستخرج من هذا الاقليم ، فقد كان لها نشاط تجارى عظيم مع مصر يرجع الى العهد الطينى كما تدل على ذلك

(١) راجع Urk. IV, '739, Gebel Barkal Stele of Thutmoses III. A.Z. 69, 35; CF. Rowe, The Topography and History of Beth-Shan. Philad. 1930: and for the Amarna period. J. De Konig; Studien over de Amarnabreeven, Deft 1940, Deel II, Hoofdstuck 11.

راجع كذلك مصر القديمة الجزء الرابع ص ٤٠٦ —٤١٢

(٢) راجع Urk. IV, 690; El Amaran Tablet, 296, 25 FF).

الآثار المكشوفة هناك (١) .

ولا ريب فى أن هذه المواصلات كانت عن طريق البحر ، وقد جاء على حجر «بلرمو» أن«سنفرو» قد أحضر أربعين سفينة محملة بخشب «عش» (٢) هذا ولدينا رأس بلطة للملك «خوفو» أو «سحورع» وجدت فى «سوريا» جاء عليه اسم بحار مصرى (٣). وفضلا عن ذلك نشاهد سفنا مصرية مصورة فى معبد «سحورع» وكذلك فى طريق الملك «أوناس» الذى كشف عنه المؤلف حديثا (٤) . وأهمية هذه التجارة البحرية بالنسبة « لجبيل » يمكن أن تلحظ فى السفن التى كانت تمخر عباب البحر فى أثناء الرحلات الى بلاد « بنت » فقد كانت السفينة تسمى غالبا سفينة جبيل «تاكبنتى» . هذا ونجد فى البردية التى تحتوى على متن يدعى «تحذيرات حكيم» (٥) الفقرة المشهورة التى تشير الى انقطاع هذه التجارة فى العصر المتوسط الأول وهى « ان القوم لا يسبحون شمالا الى «ببلوص» اليوم . فماذا سنعمل من أجل خشب الصنوبر (عش) لزيتناوهو الذى يحنط بهالرؤساء حتى «كفتيو» (دكريت)

والواقع أنه كان لا بد لتفسير المواصلات النشطة التى بين «مصر» و «بيلوص» أن يكون هناك اتصال عن طريق البحر ، وذلك لأنه كان من الصعب أن تستمر برا بطريق «فلسطين» البريه . وكان لا بد للوصول الى هذا من وجود سيطرة قوية على كل الساحل حتى «ببلوص» لأن طريق البر كانت وعرة لقلة الماء ووعورة الطريق الجبلية التى تعترض الانسان فى سيره حتى يصل الى هذه الجهات (٦) .

---

(١) راجع Montet Byblos et L'Egypte id, Le Drame d'Avaris, PP. 19 FF; J.E.A., 12,83, FF.)

(٢) راجع (Urk. I, 236

(٣) راجع Rowe, Catal. of Egypt. Scarabs. PP. 283 FF).

(٤) راجع Rowe, op. cit. P. 288).

(٥) راجع Gardiner, Admonition of an Egyptian Sage, P. 32).

(٦) راجع Volten Analecta Aegyptiaca IV, PP. 47 F; Gardiner J.E.A. I, 81).

ولا نزاع فى أن الأسطول المصرى كان من وقت لآخر على الأقل يستعمل فى الحروب فى فلسطين لتجنب وعثاء السير على الأقدام فى الصحراء ، ولا أدل على ذلك مما نقرؤه فى نقوش القائد «ونى» وهى التى دونها على لوحتـــه المشهورة وترجع الى الأسرة الخامسة . فقد ذكر لنا أن جنوده المصريين قد أرسلوا الى الساحل الفلسطينى لشن غارة على عصابات هناك للقضاء عليها(١).

أما فى عهد الدولة الوسطى فلا نعرف الا القليل عن تفاصـــيل حروبها فى «سوريا» ، ومن أجل ذلك ليس فى اســـتطاعتنا معرفة الدور الذى قام به الأسطول فى خلالها . وفى عهـــد العصر المتوسط الثانى لدينا براهين أثرية وبخاصة أوانى تل اليهودية العظيمة الانتشار تثبت أنه كانت هناك مواصلات غاية فى النشاط بين مصر وآسيا ، ولكن دون أن نعرف أى شىء عن التفاصيل الفنيـــة . وهذا هو نفس ما ينطبق على النشـــاط الذى كان بين « مصر » و « سوريا» فى خلال الجزء الأول من الأسرة الثامنة عشرة . فقد ذكرت لنا النقوش أن ملوك مصر كانوا أصحاب نشاط فى ســـوريا ، وأن «تحتمس» الأول وصل الى نهر الفـــرات . وكذلك كان رئيس المجدفين «أحمس» بن «أبانا» قد اشترك فى الحملة التى قام بها «تحتمس الأول» على «نهرين» ، غير أنه ليس لدينا فى النقوش ما يخول لنا القول أن الأسطول قد قام بدور حاسم فى هذه الحملة ، وتدل شواهد الأحوال على أنهـــا كانت غارة عابرة للاستكشاف أكثر منها محاولة جدية قصد منها جعل كل هذا الأقليم خاضعا المنفوذ المصرى . ولقد كان على «تحتمس الثالث» أن يبتدىء من جديد غزو هذه البلاد بصورة جدية وذلك لأن نشاط «حتشبسوت» الحربى كان قليلا جدا بالنسبة لمن سلف من ملوك مصر .

وحملات «تحتمس الثالث» المعروفة جيدا وهى التى تحدثنا عنها فى الجزء

---

(١) راجع مصر القديمة الجزء ١٠ ص ٣٤ .

الرابع من هذه الموسوعة بالتطويل لا داعى للتحدث عنها بالتفصيل هنا فنجده أولا هدأ الأحوال فى فلسطين وعلى ساحل «سوريا» ومن هذه القاعدة نجح فى تخريب بلدة «قادش» التى قاومته بعنف ثم ضرب بعد ذلك أهل «ميتنى» (نهرين) ضربة قاسية وكانت أقوى أعداء «تحتمس الثالث» وأشدهم مقاومة، وذلك بتخريب هذه البلاد التى كانت تمتد على جانبى نهر «الفرات» .

هذا ولدينا من الأسباب ما يحملنا على الاعتقاد بأن هــذا النجاح الذى أحرزه «تحتمس» فى شمالى «سوريا» يرجع بوجه خاص الى اســتراتيجية جديدة أدخلت فى العام الثلاثين من حكم هذا الفرعون ، والواقع أن حملة هذا العام التى انتهت بتخريب «قادش» يعتقد أنها أول حملة أستعملت فيها السفن لنقل جنود الجيش ، وعلى ذلك تكون أول عملية بحرية عظيمــة فى تاريخ الانسان ، على أن البراهين المباشرة على صحة ذلك قليلة . وقد أشير لهذه الحملة فى تاريخ تحتمس الثالث بكلمة «حملة» ، وخصصت الكلمــة الدالة على ذلك بصورة سفينة مما يدل على أن الملك قد قام بهــذه الحملة عن طريق البحر الى «سوريا» ومنذ ذلك الوقت أخذت قوة مصر البحــرية تزداد اتصالا ببلاد «سوريا» و «فلسطين» حتى نهاية الأسرة الثامنة عشرة الى أن جاء عهــد «أخناتون» ففقدت مصر ســلطانها البحرى كما فقدت ممتلكاتهــا فى الجزء الشمالى من امبراطوريتها الآســيوية . فحل محلهــا السوريون . وعندما أخذت مصر تفيق من سباتها كان الوقت متأخرا لاعادة هذه السيادة البحرية . وذلك لأن المواقع الحربية كانت فى فلسطين وجنوبى سوريا ، ولم يكن هنالك أى أمل فى استرجاع المديريات الشمالية التى فتحها «تحتمس الثالث» واخلافه ، كما أن الأسطول الذى كان يستعمل فيما بعد لنقل الجنود ومعدات الحرب لم يكن ضروريا كما كانت الحال من قبــل ، وذلك لأننا لم نســمع عنه فى الحروب التى جاءت بعــد ذلك ، فقد زحف

«سيتى» (١) الأول بجيشه فى الصحراء ، وكذلك يظهر أن « رعمسيس الثانى » لم يستعمل أسطولا عندما شن الحرب على قوم «خيتا» ، يضاف الى ذلك أن «رعمسيس الثالث» قد قابل أقوام البحر(٢) عند مصب النيل وقضى عليهم بمساعدة سفن نيلية وبمعاضدة الرماة لذين كانوا يرمون سفن العدو من الشاطىء . وأخيرا نفهم من قصة (٣) «ونآمون» الشهيرة أن قوة مصر البحرية فى خلال الأسرة الواحدة والعشرين وهى التى كانت فى يوم من الأيام تسود الجزء الشرقى من البحر الأبيض المتوسط قد قضى عليها قضاء مبرما.

وقد ظلت حال البلاد كاسدة من الوجهة البحرية الى أن جاء عهد النهضة المصرية فى خلال الأسرة السادسة والعشرين فأخذت مصر تتصل ببلاد اليونان اتصالا وثيقا وبدأت تستخدم الجنود الاغريق والبحارة الاغريق فى حروبها مع « بابل » و « الفرس » . ولقد أضطر المركز الدولى الملك « نيكاو » ثانى ملوك الأسرة السادسة والعشرين (٦٠٩ — ٥٩٤ ق.م.) أن يعزز قوة بلاد البحرية فأتخذ سياسة جديدة لم تنتهجها مصر منذ عهد « تحتمس الثالث »، فأنشأ أسطولا بحريا يمخر عباب «البحر الأبيض المتوسط» و«البحر الأحمر» وكانت سفنه على غرار السفن الاغريقية وقتئذ من التى لها ثلاثة صفوف مجدفين . ثم نجد أنه فى السنين الأولى من حكمه قد بدأ بداية حسنة فىهذه الناحية لدرجة أنقوم «الفينيقيين» المعروفين وقتئذ بمهارتهم البحرية قد أصبحوا تحت سلطانه . وتدل شواهد الأحوال على أن «نيكاو» كان يعمل لاعادة الطريق المائية التى يحتمل جدا أنها كانت موجودة فى عهد الأسرة الثانية عشرة ، وهى عبارة عن قناة تأخذ ماءها من فرع النيل « البلوزى » لتصل الى «السويس» وبذلك توصل بين البحرين . (راجع مصر القديمة الجزء ١٢ ص ١٩ والجزء ١٣ ص ٧١٨ الخ) والواقع أن الأسطول

---

(١) راجع مصر القديمة الجزء السادس ص ٣٠.
(٢) راجع مصر القديمة الجزء السابع ص ٧٥ — ٨٣
(٣) راجع الأدب المصرى القديم ، الجزء الأول ص ١٦١ — ١٧٠.

الذى بناه «نيكاو» كان يعد أكبر أسطول تجارى فى البحر الأبيض المتوسط فى عهده ، ولا نزاع فى أن هذا الأسطول كان النواة الأولى فى اقامة مجد مصر البحرى فى خلال الأسرة السادسة والعشرين ، وحتى بعد أن استولى الفرس على مصر ثم جلوا عنها ، نجد أن مصر أخذت تعيد مجد أسطولها البحرى الذى حاربت به «الفرس» وساعدت به اليونان فى حروبهـا مع «الفرس» وكذلك فى تجارتها مع بلاد «آسـيا» و «اليونان» . ولا غرابة اذا أن نجد من أهم ما تصبو اليه نفس « بطليموس » الأول أن يستولى على « سوريا » ليكون فى « مأمن » من غارات مناهضيه ويبعد عن مصر كل خطر خارجى من هذه الجهة ، غير أنه لم يتعجل الحوادث ، وذلك لأن العامين اللذين كان فيهما « انتيباتر » وصيا على عرش الامبراطورية قد قضاهما فى وضع أحوال الدولة فى نصابها وبوجـه خاص فى «أتولى» ، فى حين أن « انتيجونوس » كان يطارد آخر أتباع « برديكاس » وهو « ايمنيس » الذى أجبره بعد أن هزمه الى الالتجاء الى « وكر النسر » الشهير فى « نورا » بآسيا الصغرى ؛ وبذلك أصبحت كل بلاد « آسيا الصغرى » فى قبضته تقريبا . وفى خلال تلك المـدة كان « بطليموس » يعمـل جاهدا فى تثبيت ممتلكاته وتوسيع رقعتهـا .

والواقع أن مصر منذ عهد « نيكاو الثانى » كانت تتطلع لمد نفوذها فى بحر « ايجه » ومن أجل ذلك أصبح أسطوله يعد أكبر أسطول بحرى فى عصره (راجع مصر القديمة الجزء ١٢ ص ١٢٠) ؛ ومع ذلك نجد أنه قبل عهد « الاسكندر » كانت سياسة مصر متجهة بصورة خاصة نحو آسيا وبلاد « كوش » . ولقد كان لزاما على البطالمة بطبيعة الحال أن يهتموا بدورهم بحدود بلادهم الجنوبية وكذلك يناهضون أعداءهم الآسيويين ، غير أن الأحوال فى تلك الفترة قد تغيرت وأصبح بحر ايجه هو المكان الرئيسى الذى تدور فيه المعارك لكسب المكانة الأولى فى السياسة العالمية . وذلك أنه فى

هذاالبحر وجزره وسواحله قد نشأت وترعرعت المدنية الهيلانستيكية التى سيطرت بنفوذها على الأمم الأخرى . حقا ان أهل بلاد الاغريق منذ النصف الثانى من القرن السابع أخذوا يفدون على مصر كما أسلفنا ويتعلمون عنها ، غير أن المصريين قد تخلفوا عن الاغريق الذين ساروا بركب الحضارة قدما

ولقد كان من رأى « الاسكندر » وسياسته التى يرمى اليها هو اتباع سياسة ادماج السلالات التى استولى عليها ، وأن يعيد نهضة الشرق . فكان يرى أن البلاد الشاسعة التى أخضعها لسلطان قواته والتى كانت عواصمها فى « آسيا » ، أن لها مكانة تعادل مكانة « مقدونيا » وبلاد « الاغريق ». ولكن تدل الظواهر على أن فكرة « الاسكندر » كانت تنحصر فى أن الثقافة الهيلانستيكية يجب أن تكون متأصلة فى كل امبراطوريته على الا تكون هذه الثقافة خاصة بعلية القوم بل يجب أن تنتشر بين كل طبقات الشعب بقدر المستطاع ؛ ونحن نعلم الدور الذى خصصه « الاسكندر » للمدن الاغريقية سواء اكانت المدن القديمة أم التى أنشأها . وهذا النفوذ الذى نالته الثقافة الهيلانستيكية كان لايمكن أن يعظم الا اذا أصبحت « مقدونيا » مهد الملكية من جديد .

والواقع أن « مقدونيا » كانت تحتل فعلا هذه المكانة بطبيعة الحال ، وذلك لأنها كانت تحتل مكانة لاينازعها فيها منازع فى كل مرافق الحياة الاقتصادية والسياسية . وفى خلال القرن الثالث قبل الميلاد كانت بلاد الاغريق مزدحمة بالسكان وممتلئة بالحماس وغنية بالنشاط الفياض . ولما كان رؤساء المقدونيين الذين قسموا حكم الامبراطورية التى خلفها الاسكندر فيما بينهم قد أرادوا أن يظهروا قيمة البلاد التى يحكمونها فانهم من أجل ذلك كانوا فى حاجة متزايدة للنشاط الصناعى الذى كان ينمو فى هذه الجمهوريات الاغريقية الصغيرة ، وهى التى كانت قد مزقت وحدتها الأحزاب ؛ ولكن على الرغم من ذلك كانت تزخر بالشخصيات أصحاب العبقريات الجبارة . وقد رأينا عند التحدث عن « بسمتيك » الأول مؤسس الأسرة السادسة والعشرين

فى مصر كيف أنه استعان بالجنود المرتزقة المدربين على فنون الحرب لاحياء مجد مصر من جديد . ولا نزاع فى أن مصر كانت فى حاجة ماسة الى الاغريق وثقافتهم وبخاصة عندما نعلم أن كل البلاد التى حول البحر الأبيض المتوسط قد اعتنق حكامها الثقافة الاغريقية . وهانحن أولاء نرى « الاسكندرية » تفتح باب مصر على مصراعيه على هذا البحر . والواقع أنه بفضل هذه الميناء العظيمة الاتساع كان وادى النيل يتعلم من العالم الايجى الآراء الجديدة كما كان يتبادل معه محاصيل تربته وصناعتها ، هذا بالاضافة الى ماكان يأتى عن طريقها من البلاد الافريقية ومن بحر الهند . ولانزاع فى أن التجارة كانت من أعظم مقومات الحياة فى مصر عن طريق البحر . ولن ندهش اذا عندما نرى « بطليموس » قد استولى فى خلال السنتين اللتين أعقبتا اتفاق « تريبا راديوس » ، على بلاد « سوريا » من أول « لبنان » جنوبا الى مانسميه الآن فلسطين وهو الجزء الذى كان يسميه الاغريق عادة فى تلك الأيام « سوريا الجوفاء » وذلك بالنسبة لانخفاض وادى « الأردن » .
وقد كانت هذه البلاد عند اتفاق «تريبا راديوس» من نصيب اغريقى يدعى «لاؤميدون» (Laomedon) وقد حاول «بطليموس» فى بادىء الأمر أن يشتريها منه بمبلغ من المال (١) ، وقد لمح له بأ لافائدة من المعارضة فى موضوع قد اتفق عليه مع كل من «انتيجونوس» و «انتيباتر». وعندما رفض «لاؤميدون» غزا «بطليموس» «سوريا» بجيش مصرى بأمرة قائد يدعى «نيكانور» (Nicanor) وهو أحد سمار «بطليموس» الذى كان بدوره على رأس أسطول ممتد على الساحل يحض المدن الفينيقية على التسلم . ولم يمض طويل زمن حتى استولى « بطليموس » على هذه البلاد بعد أن فر «لاؤميدون» هاربا ، ويقال آن «بطليموس» استولى فى خلال هذه الغزوة

(١) راجع Applian Syr. 52.

على «أورشليم» فى يوم سبت أى فى يوم كان يحرم فيه الدين اليهودى على معتنقيه العمل (١) ، غير أن المؤرخ «بوشى لكلرك» يظن أن هذا الحادث قد وقع على أغلب الظن بعد ذلك عام ٣١٢ق.م ولا نزاع فى أن « بطليموس » كان لا يمكنه تجنب الاستيلاء على هذه المدينة من هذا المجتمع الغريب (كما كان يظهر للاغريق) عندما كان يمد سلطانه على فلسطين فى خلال عامى ٣٢٠ - ٣١٨ق.م. وعلى أية حال فان فتح «سوريا» وتملكها كان من التقاليد المصرية القديمة كما ذكرنا من قبل ، منذ بداية الأسرة الثامنة عشرة اذ كانت بمثابة سد فى وجه كل الممالك المعادية لمصر فى آسيا ولا ريب فى أنها كانت ضرورية لمصر فى هذه الفترة من تاريخها البحرى فى عهد البطالمة ، غير أن «بطليموس» باحتلال هذه البلاد قد خلق سببا لتذمر أى قائد عظيم يطمع فى أن يكون سيد كل الامبراطورية المقدونية كما سنرى بعد .

وقد كان «بطليموس» يرى لأجل أن تكون مصر دولة بحرية قوية أنه لا بد من الاستيلاء على «قبرص» وكانت تسيطر عليها وقتئذ أسرات من أهلها فلم تكن من أجل ذلك غنيمة باردة يمكن الاستيلاء عليها بمجرد القوة، وذلك لأن هذه الأسرات كانت صديقة لأولئك الحكام الذين اشتركوا فى اتفاق « تريباراديوس » وان الهجوم عليهم يعد فضيحة، فكان على بطليموس أن ينتظر حتى خلق فرصة يمكن بها تحويل هذه الجزيرة الى ضيعة خاصة ببطليموس .

موت « انتيباتر » وتولية « بوليبرشون » وصيا على الامبراطورية ٣١٩ - ٣١١ ق ٠ م

عندما استولى «بطليموس» على «سوريا» كان «انتيباتر» المسن لا يزال هو الوصى على عرش الامبراطورية المقدونية ، وقد كان «انتيجونوس»

---

(١) راجع Agatharchides F.H.G. III, P. 196

الاعور الطموح ينتظر موته بفارغ الصبر ليحتل مكانته فى الوصاية على الامبراطورية ، غير أن موت «انتيباتر» قد جاء مخيبا لآماله ، لأن الأخير قبل موته كان قد نصب مكانه نائبا وقائدا أعلى على الامبراطورية زميله القديم فى الجيش «بوليبرشون» . وولى ابنه «كاسندر» «شليارك» أي قائد الحرس . فأصبح بذلك فى المرتبة الثانية فى وظائف الدولة بعد أن كان يطمع فى أن يكون هو الوصى على العرش بعد والده . وقد ظن «بوليبرشون» أنه بهذا التصرف فى توزيع السلطة قد يكون أكثر قبولا فى كل انحاء الامبراطورية، غير أنه فى الوقت نفسه كان يريد بتنصيب ابنه فى المرتبة الثانية ليجهزه لتولى الوصاية بعد زمن قصير لان «بوليبرشون» كان رجلا مسنا ولا ينتظر أن يعيش طويلا كما كان يريد أن يدرب ابنه على فنون الحكم قبل أن يتولى زمام الأمر فى يده . وعلى الرغم من شرف محتد «بوليبرشون» فانه لم يكن بدوره قد تقلد مرتبة عالية كالتى تولى زمامها ، وقد كانت كل مؤهلاته تنحصر فى ميل الجيش اليه لما فطر عليه من سماحة ورقة وحسن معاملة، هذا الى أنه كان قد خدم فى الجيش اكثر من أى فرد آخر من بين قواد «الاسكندر». أضف الى ذلك أن «أنتيباتر» كان يخشى بوجه خاص أن تصبح أملاك الدولة فى أيدى أميرات البيت المالك (١) ، وقد كن كلهن ذوات نشاط عظيم وبخاصة «أوليمبياس» ، «وكيلوبترا» ، «وايرديكى» ، وقدكانت أولاهن التى انزوت فى «ابيروس» كرها منها «لأنتيباتر» ثائرة حاقدة عليه.

النزاع بين بوليبرشون وكاسندر

ولكن مما يؤسف له أن آراء «أنتيباتر» قد رفضت وقوبلت من أول الأمر بالمعارضة الشديدة من قبل «كاسندر» الذى لم يرضى أن يقبل مركزا ثانويا، ولذلك لم يطق سيادة «بوليبرشون» عليه . وتدل شواهد الأحوال على أن النزاع قد بدأ بين الوصى «وكاسندر» منذ البداية . حقا كان «بوليبرشون»

(١) راجع Diod. XIX, 11.

قد أحرز بعض النفوذ والسلطان فى عام ٣٢١ ق.م. أثناء الحوادث التىجاءت على أعقاب حرب «لاميا» اذ أعاد «تساليا» الى حظيرة الأمبراطورية المقدونية لكن بوجه عام كان نفـوذه ضعيفا وأخذت سـلطته تتداعى أمام أطمـاع «كاسندر» الذى أخذ فى البحث عن حلفاء يجمعهم حوله لمناهضة الوصى من أولئك الذين كان من فائدتهم زعزعة أركان الأمبراطورية . ونخص بالذكر منهم «ليزيماكوس» شطربة «تراقيا» و «أنتيجونوس» الذى استولى وقتئذ على فرجيا «هلسبونت» و «ليديا» ، وكذلك «بطليموس» حـاكم مصر . وكانت الغاية التى ترمى اليهـا سياسة «بطليموس» وما تصـبو اليه نفس «أنتيجونوس» هى مساعدة «كاسندر» للقضاء على «بولبرشون ووصايته والواقع أن «انتيجونوس» كان كل أمله بعد موت «أنتيباتر» أن يكونهو الحاكم الحقيقى لامبراطورية «الاسكندر» فى «آسيا» . وقد كان وقتئذ يملك جيشا جرارا يعتبر أكبر قوة حربية فى أنحاء الامبراطورية جميعا .

وقد كانت الأسرة المالكة قبل هذه الفترة لا تعد شيئا مذكورا بالنسبة لمهام الحكم ، غير أنها مع ذلك كانت محترمة فى أعين الشعب ، ولكن نرى منذ الآن أن تفضيل «أنتيباتر» لزميله «بوليبرشون» الذى كان يميل الى البيت المالك وخروج « كاسندر » عليه جعل كل قوة الامبراطورية فى ثورة على الأسرة المالكة . وقد فطن «بوليبرشون» وصحبه الى تحرج مركزهم أمام حـركات « كاسندر » وحلفائه . ومن أجـل ذلك اجتمـع كبـار الضباط فى «مقدونيا» للتدبير فى الأمر، فعقدوا العزم علىدعوة «أوليمبياس» أم «الاسـكندر» من «ابيروس» لأجل أن تصبح الوصية على حفيـدها «الاسكندر أجوس» ابن «روكزان» ، ولتضع مهام الأسرة فى «آسيا» فى يد « ايمنيس » بتصيبه القائد الأعلى هناك (١) وأن يحارب « كاسـندر » فى

(١) راجع . Diod. XIII, 49-58.

«أوروبا» وذلك بعد أن يكسبوا لجانبهم حسن نية الاغريق وتعضيدهم . وقد كان هذا أمرا ممكنا بمنح الاغريق حريتهم التى سلبوها والقضاء على الحكومات المستبدة والحكومات العسكرية التى كانت شـائعة فى المدن الاغريقية فى عهد وصاية «أنتيباتر» . وفى الحق كان آخر أمل فى المحافظة على وحدة امبراطورية «الاسكندر» والابقاءعليها سليمة يتوقف الآنعلى اخلاص «ايمنيس» ومهارته الحربية ومن أجل ذلك وضع الوصى «بوليبرشون» أموال الامبراطورية وجنودها فى «آسيا» تحت تصرفه ، وبخاصة فرقة جنود «الارجيراسبيديس» (Argyraspides) الذين عرفوا بشجاعتهم كما عرفوا بخياناتهم . وقد وجهت اليه «أوليمبياس» خطابا مؤثرا طالبة اليه النصيحة بوصفه الصديق الوحيد المخلص الذى يمكن للأسرة المالكة أن تتطلع اليه فى هذه الأزمة القاسية . وقد أجابها «ايمنيس» مؤكدا اخلاصه وولاءه لنصرة الأسرة ، ولكنه فى الوقت نفسه نصح لها بألا تغادر «ايپيروس» الى«مقدونيا» وأنها اذا أتت اليها فعليها أن تبتعد عن أعمال الانتقام والبطش باعدائها . غير أنها أتت الى مقدونيا ضاربة عرض الحائط بكل مانصح به «ايمنيس» ولكن على الرغم من أن لقبها الضخم بوصفها أم « الاسكندر الأكبر » قد جذب الى جانبها حبالشعب فان ما ارتكبته من فظائع وآثام مع حزب «أنتيباتر»قد ولد عداوة شديدة على الأسرة المالكة التى كانت قد أخذت فعلا فى الانحدار نحو الهاوية بسبب سوء تصرف «أوليمبياس» ومع ذلك نجد أن «ايمنيس» لم يتخل عن الأخذ بناصر الأسرة الحاكمة على الرغم من العروض الخلابة المغرية التى كان يقدمها له «انتيجونوس» (١) . والواقع أن «ايمنيس» قد أتى بالمعجزات فى الحرب ، غير أنه فى نهاية الأمر قد لقى حتفه خيانة على يد اتباعه (٣١٨ ـــ ٣١٦ ق.م) .

---

(١) راجع Plutarch Eumenes, 11, 12; Cornelius Nepos, Eumenes, C 6; Diod. XVIII, 58-62).

أما الحرب التى قامت فى بلاد الاغريق بين «كاسندر» و «بوليبرشون» فقد انتهت بنصر الأول عام ٣١٦ ق.م وذلك بعد معارك دامية .

وقد كان أول ما عمله «بوليبرشون» لأجل أن يجعل المدن الهيلانية فى جانبه أنه أصدر منشورا صرح فيه باعادة دستور عهد « فليب الثانى » و «الاسكندر الأكبر» الى المدن الاغريقية وبه أعاد لها استقلالها وحريتها ، كما أمر بعودة المنفيين منها الى أوطانهم وقد كان هذا المنشور فى صالح حزب الشعب ،وفيه القضاء على الحكام المستبدين أصحاب «أنتيباتر» و«كاسندر».

ومن أهم الثورات التى قامت تعضيدا لهذا المنشور تلك الثورة التى شبت فى «أثينا» ، فقد رأيناها تعود الى الحكم الديموقراطى ، وحكمت بالاعدام على « فوسيون » عام ٣١٨ ق.م. ولكنها لم تلبث أن وقعت من جديد فى قبضة« «كاسندر» عام ٣١٧ ق.م حيت أقام فيها حكومة ملكية مهذبة على رأسها صاحبه «ديمتريوس» منأهالى«فالير». وقد كان من جراء هذهالحروب التى استعرت نارهابين الرؤساء أن هلك فيها خلق كثيرون وانقسمت الأسرة المالكة قسمين ، فكان«كاسندر» فى جانب «فيليبأريداوس» و «ايرديكى»، فى حين كان «بوليبرشون» يناصر نفوذ «اوليمبياس» و «روكزان» وابنها الاسكندر الرابع . ولما أصبح النصر فى جانب «أوليمبياس» أمرت بقتل «ايريديكى» و « فليب أريداوس » ، غير أن «كاسندر» حاصرها فى بيتها وبعد مقاومة جبارة سلمت وحكم عليها بالاعدام بوساطة نفس اولئك المقدونيين الذين كانوا قد هللوا لها من قبل (٣١٧ — ٣١٦ ق.م) .

وتفسير ذلك أنه عندما اشتدت نار الحرب بين «كاسندر» و«بوليبرشون» بسبب الأحقاد التى كانت بين أعضاء أسرة «الاسكندر الاكبر» نجد أن «فليب أريداوس» وزوجة «ايريديكى»قد أزعجهما وأوغر صدراهما ارجاع «أوليمبياس» الذى كان يسعى اليه «بوليبرشون» ، ومن أجل ذلك طلب المساعدة من «كاسندر» وعملا على وضع كل قوة «مقدونيا» تحت تصرفه،

غير أن مساعيهما باءت بالفشل ، وذلك فى حين أن «أوليمبياس» بمســاعدة «بوليبرشون» و أمير «أپيروس» «أياكيدس» (Aeakides) دخلت بلاد « مقدونيا » ثانية فى خريف عام ٣١٧ ق.م وقــد أحضرت معها «روكزان» أرملة «الاسكندر الأكبر» ومعها ابنها «الاسكندر الرابع» . وقد تجمــع الجنود المقدونيون بقيادة «أريداوس» و «ايريديكى» لمقاومتها غير أن اسمها قد أنزل فى قلوبهم الرعب والرهبة بوصفها أم «الاسكندر» لدرجــة أنهم رفضوا محاربتها ، ومن ثم نالت نصرا سهلا رخيصا ، وبعد ذلك أصبح كل من «فليب أريداوس» و «أيريديكى» أسيرا عندها وعندئذ أمرت بذبح الأول أما «ايريديكى» فقد خيرت بان تأتى على حياتها بنفسها اما بحد السيف أو بالشنق أو بالسم (١).

وبعد أن تم «لاوليمبياس» هذه الملكة العجوز ما أشبع شهوة انتقامها من أسرة «انتيباتر» عدوهــا الأكبر وفى أعوانه قضت على مائة من مشــاهير المقدونيين من أصدقاء «كاسندر» ، هذا بالاضافة الى أخيه «نيكانور» فقد أمرت بقتله (٢) ، وأخيرا أمرت بكسر ضريح أخيه « اولوس » (Iollos) الذى قيل عنه أنه سم «الاسكندر الأكبر» .

وقد ظلت «أوليمبياس» سيدة الموقف تماما فى «مقدونيا» مدة شتاء هذا

(١) كان « اريداوس » اخ « الاسكندر الاكبر » من ابيه وكانت امه راقصة تدعى فيلنا مواطنة بلدة « لاريسا » وكان غبى الفهم ويرجع السبب فى ذلك على ما قيل الى ان « اوليمبياس » أعطته شر به وهو صغير السن غيرة من امه . وقد كان « الاسكندر الاكبر » قد أبعد « أريداوس » عن « مقدونيا » وذلك على مايحتمل خوفا من امه و « اوليمبيا س » ولكنه لم يوكل اليه أى عمل مدنى و حربى . وكان فى « بابل » عندما انتخب امبراطورا عند موت « الاسكندر » عام ٣٢٣ ق.م. وبعد أن اغتالت « اوليمبياس » « أريداوس » عام ٣١٧ ق.م. هــزم « كاسندر » « اوليمبياس » ودفن جثـمان « أريداوس » وزوجــه « اريديكى » فى حفل ملكى فى « اجا » (Aegae) واقام العاب الرياضية على شرفهما (راجع Plut. Alex. 77.

(٢) راجع Diod, XIX; Justin X, 14 4; Paus. I, 25, 5.

العام ، غير أن «كاسندر» لم يلبث أن دخل «مقدونيا» دون مقاومة بعدقيامه بمناورات حربية بارعة للوصول الى ذلك . ولما لم يكن لدى «أوليمبياس» جيوش للوقوف فى وجه «كاسندر» فانها اضطرت الى الاحتماء بقلعة «بيدنا» البحرية مع «روكزان» وابنها الاسكندر وتيسالونيك (Thessalonike) ابنة زوجها «فليب» بن «أمينتاس» (١) فحاصرها «كاسندر» عدة شهور بحرا وبرا كما قضى على كل محاولة من جانب « بوليبرشون» لخلاصها ، وفى ربيع عام ٣١٦ ق.م أجبرت على التسليم بسبب الجوع الفتاك . ولم يعدها «كاسندر» بأى شىء غير سلامتها وطلب اليها أن تسلم قلعتى «بلا» (Pella) و «أمفيبوليس» العظيمتين ، وبذلك أصبح سيد كل «مقدونيا» . ولم يمض طويل زمن حتى طلب أقارب الذين قتلتهم «أوليمبياس» الانتقام لقتلاهم منها ، وكان ذلك بايعاذ من «كاسندر» فحكم عليها بالاعدام ويقال أنها قد ماتت شجاعة جديرة بمكانتها وأخلاقها الجبارة أما «تيسالونيك» فقد تزوج منها «كاسندر» وحبس كلا من «روكزان» وابنها فى قلعة «أمفيبولس» وبعد فترة قصيرة أمر بذبحهما (٢) . .

بطليموس واخلاء سوريا

أما الدور الذى لعبه «بطليموس» فى هذا الحلف فلم يكن فيه ما يدهش فنجده فى أول القتال الذى نشب يطوف باسطوله على ساحل «كيليكيا» دون أن يتمكن من منع «ايمنيس» فى تكوين جيش لمحاربة حلفه ، هذا ونعلم أن جنود « الارجيرابيديس » الذين كلفوا فى عام ٣٢١ بحمل « كنوروس » الى «كيندا» (Kyinda) لم يكن فى مقدور «بطليموس» أن يقربهم اليه

(١) راجع (Diod. XIX, 36

(٢) راجع Diod. XIX, 50, 5; Paus. I, 25, 5; IX, 7, 1.

وبجعلهم ينخرطون فى جيشه ، بل انضموا الى « ايمنيس » وقد اضطر «بطليموس» الى اخلاء «سوريا» عندما دخلها «ايمنيس» وذلك لحاجته الى موانى «فنيقية» لبناء أسطول عام ٣١٨ ق.م ، ولم يعد اليها الا عند ما انتصر «انتيجونوس» انتصارا ساحقا عند الدردنيل فى صيف العام السابق نفسه. وقد كان من جراء ذلك ان دعى «ايمنيس» الى «آسيا» حيث مات . وقد دخل «بطليموس» «سوريا» و «فينيقيا» هذه المرة دون قتال . وبعد ذلك ترك الأمور تجرى فى مجاريها التى اقتضتها الأحوال دون أن يدخل نفسه فى غمار هذه الحروب التى كانت مستعرة فى الشرق الاقصى بين «انتيجونوس» و «ايمنيس» ، وكذلك الحروب التى كانت دائرة رحاها فى بلاد اليونان وفى مقدونيا بين «كاسندر» و «بوليبرشون» . وقد وقف «بطلبموس» فى أثناء هذه الحروب موقفا صحيحا اذا قام بدوره بوصفه شطربة مصر فنقش على نقوده اسم الملك «فليب اريداوس»، وعندما قتل الأخير هو وزجه «اريديكى» على يد أوليمبياس ، وضع اسم «الاسكندر الثانى » بن «روكزان» بدلا منه (٣١٦ — ٣١١ ق.م) .

وقد شغل «بطليموس» نفسه فى خلال تلك المدة ببناء المعابد واصلاح ما تهدم منها ، ثم أخذ بوجه خاص ينمى العلاقات التجارية بين مصر وجاراتها، والواقع أنه أفاد من السكينة فى بلاده فى الوقت الذى كان فيه العالم الهيلانستيكى فى حروب طاحنة ، وقد كانت مصر وقتئذ معتادة على التجارة بالمبادلة . ومن ثم لم تكن تتداول فيها النقود الأجنبية على أن النقود المصرية كانت موجودة فى عهدى الأسرتين التاسعة والعشرين والثلاثين وقد ضربها ملوك هاتين الأسرتين خصيصا لدفع اجور الجنود المرتزقة كما تحدثنا عن ذلك فى الجزء الثالث عشر من هذه المجموعة (١) . وكانت التجارة الداخلية تستعمل السبائك

(١) (راجع مصر القديمة الجزء الاول ٤٧٧ الخ)
وسنتحدث عن ذلك فيما بعد .

التى كانت تقبل بالوزن . وقد أراد «بطليموس» أن يكون له عملة خاصة به وانتخب أولا العيار «الاتيكى»ثم العيار «الروديسى»وأخيرا العيار«الفنيقى» وهو العيار الذى اتفق عليه نهائيا فى مصر عند ضرب نقوده ، وقـد حلى «بطليموس» نقوده بوضع صورة النسر عليها وهو الذى أصبح فيمابعد رمز الأسرة الخاص . وقد صور النسر فى بادىء الأمر جاثما ، ثم على يد الاله «زيوس» أو على حلقة الآلهة «أثينا» «الكيس» (Alkis) ، وبعد ذلك رسم وحده ناشرا جناحيه على ظهر كل قطعة من النقود المصرية ، غير أنه لم يضع صورته على هذه النقود (١) .

هذا ولم يغفل «بطليموس» فى الوقت نفسه جزيرة «قبرص» المجاورة له وهى التى كان يريد ضمها الى املاكه مع سوريا ، فقد وضعها تحت حمايته، وذلك بابرام محالفات مع الأسرة التى كانت تحكمها وبخاصة أسرة سوليس (Soles) ويحتمل أن «اينوستوس» صاحب «سوليس» هو الذى أصبح فيما بعد حماه وقد أطلق اسمه بعد ذلك على مبناء «الاسكندرية» الغربية وذلك لأن اسم «اينوستوس» (Enuostos) يدل على فأل حسن ، وكذلك أبرم معاهدة مع أمراء «سلاميس» (Salamis) و «بافوس» (Paphos)

وبعد ذلك نجده أخذ ينظم شئونه المنزلية . ولا غرابة فى ذلك لأنه عندما وجدنفسه لا شأنله مع«انتيباتر» ولا مع«كاسندر» أجبر زوجه «ايريديكى» على أن تقبل على نفسها ضرة كانت قد أحضرتها بنفسها من «مقدونيا» ، وكان «بطليموس» مغرما بها لدرجة عظيمة ، ولذلك كان لا بد أن تحل مع «ايريديكى» يوما ما ، وهكذا نجد أن شخصية ثالثة دخلت بيت «بطليموس» وأعنى بذلك «برنيكى» وهى التى أصبحت بطبيعة الحال أم أسره البطالمة . وقد بالغ الشعراء فيما بعد فى جمالها كما تحدثوا عن الحب الشريف الذى

(١) راجع Bouché-Leclercq, T. I. P. 41, No. 1.

ربط بين الزوجين ، ولكن هؤلاء الشعراء لم يفتهم القيام بتلميحات عابرة لاذعة عن أخلاق «ايريديكى» دون رحمة أو شفقة منهم .

وسواء أكان «بطليموس» قد أحب هذه المرأة لذاتها أم لنسبها فانه ليس هناك شك فى أن التاريخ لايمكن أن يأخذ بصفة جدية شجرة النسب الرسمية التى ألفت لها . فقد ورد فى نسبها أنها كانت أخت «بطليموس» من أبيه ، وحتى من جهة أمها فان نسبها لم يخل من غمز . واذا كان ما قيل عنها من أنها كانت قد تزوجت قبل «بطليموس» من رجل من عامة الشعب صحيحا، فان ذلك يعد موضع دهشة . فقد قيل أنها بنت أخت « أنتيباتر » ومن ثم تكون قد نزلت بنفسها الى منزلة مزرية بهذا الزواج الأول . والأمر المؤكد أن «برنيكى» كانت أرمل وأن الأطفال الذين وضعتهم من زوجها الأول قد تبناهم « بطليموس بن لاجوس » .

على أن الوقت المناسب ليشترك فيه « بطليموس » فى الحرب التى ظل خارجا عن نطاقها حتى الآن قد حان ، وكان ذلك فى حوالى شهر يولية سنة ٣١٦ ق.م. وذلك أنه فى حين كان « كاسندر » سيد « مقدونيا » وفى حين كانت الأسرة المالكة قد اختفت من المسرح نجد أن هزيمة «ايمنيس » وموته قد حدثا تقريبا فى نفس الوقت الذى قبض فيه على «أوليمبياس» ، وبذلك اختفى آخر رجل مخلص للأسرة المالكة فى «آسيا» . ولكن نجد فى الوقت نفسه أن هذا الحادث قد ترك فى يد «انتيجونوس» سلطانا ضخما فى كل «آسيا» مما جعله يطمح الى أن يصبح النائب على كل امبراطورية « الاسكندر» ، وكذلك ينتقم من «كاسندر» لقضائه على أفراد الأسرة المالكة . والواقع أن قوته قد ظهرت بصورة جبارة حتى أن «كاسندر» صاحب «مقدونيا» و «ليزيماكوس» حاكم «تراقيا» وبطليموس شطربة مصر و «سيلوكوس» شطربة بابل عقدوا سويا اتفاقا تدريجا انتهى بأن أصبح حلفا قويا على « انتيجونوس» . وفى أثناء استعداد

«انتيجونوس» للحرب للاستيلاء على ساحل سوريا وصله فى ربيع عام ٣١٥ق.م فى مركز قيادته انذار نهائى من رجال الحلف الذين طلبوا اليه اعادة «سوريا» بأكملها «لبطليموس» والنزول عن «فرجيا الدردنيل» للقائد «ليزيماكوس» ، وعن بابل «لسيلوكوس» وعن «ليسيا» و «كابودوشيا» «لسندروس» ، ويحتمل كذلك أنه طلب اليه أن يسلم «مقدونيا» لكاسندر ، فضلا عن ذلك يتسلم كل من هؤلاء الحلفاء نصيبا من النقود التى استولى عليها عنوة بوصفها غنيمة من «ايمنيس» عدوهم المشترك .. وفى مقابل ذلك يعترف الحلفاء له بأن يصبح حاكما على شطربيات آسيا العليا ويتركونه مسيطرا على هذه الأملاك الشاسعة التى تعادل فى اتساع رقعتها ما يقرب من مساحة الامبراطورية الفارسية القديمة . واذا لم يقبل هذه الشروط فان الفاصل بينهم وبينه سيكون حد السيف . وقد أجاب «انتيجونوس» بأنه على استعداد لخوض غمار الحرب وبذلك قطعت المفاوضات معهم .

ومنذ هذه اللحظة بدأ «انتيجونوس» الذى كان يعلم أنه سيهاجم من كل جهة يأخذ لنفسه العدة فارسل القائد «ايجيسيلاس» الى«قبرص» كما أرسل القائد «ادومنيس» (Idomenes) و «موشيون» (Moschion) الى «رودس» والقائد اريستوديم (Aristodime) الى «البلوبونيز» ومعه مال وفير لتجنيد جيش ليصد كاسندر بمساعدة «بوليبرشون» . أما «انتيجونوس» فقد قام لمهاجمة سوريا بنفسه فى حين أن «بطليموس» لم يبد اية محاولة للذود عن «سوريا» ظنا منه أن من الحزم الا يعود كرة أخرى الى الطريقة التى نجحت معه منذ ثلاثة أعوام مضت ، وذلك بأن ينتظر سير الحوادث فى الجهات الأخرى التى يهاجم فيها «انتيجونوس» أعداءه ، ومن أجل ذلك سحب جيشه منذ بداية المناوشات من الموانى «الفنيقية» وأرسل أسطوله يجول حول شواطىء البحر ، وكان يشمل مماية سفينة شراعية بقيادة «سيلوكوس» وذلك ليمنع «انتيجونوس» من جمع أسطوله ومن قطع

العلاقات مع المدن الاغريقية . وقد نجح «سيلوكوس» فى انزال ثلاثة آلاف رجل فى «قبرص» لمساعدة حلفائه على الفريق الذى كان ضلعه مع «انتيجونوس» (١) . يضاف الى ذلك أن «بطليموس» عندما علم أن «انتيجوس» قد أرسل نداءا للمدن الاغريقية محضا اياها على القيام بثورة على «كاسندر» — ومع هذا النداء أرسل مرسوما وهو تجديد المرسوم الذى نشره «بوليبرشون» عام ٣١٩ ق.م مؤكدا فيه تحرير بلاد اليونان من ذل العبودية التى لم يتعودها — فانه قام من ناحيته بنشر منشور آخر يعلن فيه منح مدن الاغريق حرية أكثر من التى يمنحها «انتيجونوس»(٢). وقد كان من جراء عمل «بطليموس» هذا أن وضع «الاثينيون» كل مالديهم من قوة بحرية فى خدمة الحلف وكانوا فخورين بعملهم هذا .

وكان «بطليموس» قد غالى فى ايمانه بقوة حلفه كما كان يبنى آمالا على فرص المستقبل ، ولكنه كان يجمع قواته على مهل فى الوقت الذى كان «انتيجونوس» يظهر فيه نشاطا جبارا اذ أمر ببناء أسطول تحت أعين البحارة المصريين وبصرهم فى موانى «طربوليس» و «ببلوص» و «صيدا» وفى «كليكيا» و «رودس» ، هذا فضلا عن أن «سيلوكوس» لم يكن فى مقدوره منع الاستيلاء على «يافا» أو على «غزة» اللتين استولى عليهما «انتيجونوس» نفسه (٣) ، وكذلك لم يستطع منع محاصرة «صور» وهى المدينة الوحيدة التى أغلقت أبوابها فى وجه «انتيجونوس» . ومما زاد الطين بلة أنه لم يفلح فى الاستيلاء على السفن التى كانت فى طريقها الى «رودس» و «الهليسبونت»(٤). وعلى ذلك شعر «بطليموس» أنه لاسبيل للمماطلة ، وتعليل النفس بالأمانى فجمع فى «قبرص» أسطولا عظيما على ظهره عشرة آلاف جندى من المشاة ،

(١) راجع Droysen II, P. 313, 2.
(٢) راجع Diod. XIX, 61-62.
(٣) راجع Diod. XIX, 62.
(٤) راجع Diod. XIX, 59.

وذهب لينضم الى العمارة البحرية التى كانت بقيادة «سيلوكوس» (ويحتمل كذلك بالفرقة الاثينية كما يقول المؤرخ «بوشى ــ لكلرك») (١) الذى أمر بالعودة من «اريترا» . وقد كان الجزء الأعظم من هذه القوة مصيره الى أن يحارب فى «كاريا» أما « سيلوكوس » الذى أظهر أنه « قائد بحرى » قليل الكفاية فانه بقى فى «قبرص» مع «منيلاوس» أخ «بطليموس» يثبط من همم حزب «انتيجونوس» ويمنع خيانة الحزب المصرى هناك . وقد أصاب نجاحا فى ذلك بعد مشقة عظيمة (٢) . وقد كان كل خوف «بطليموس» من «انتيجونوس» ، فلم يرغب فى ترك مصر دون الدفاع عنها كما أنه لم يرد أن يغادر مصر لتقدم«انتيجونوس» فى الزحف عليها الى أن وصل الى «يافا» و «غزة» ، وبذلك كان فى امكانه أن ينقض على أرض الكنانة فى أى لحظة، غير أن الحظ خدم «بطليموس» فى هذه اللحظة الحرجة أكثر مما ساعدته لاحتياطات التى اتخذها لحماية مصر .وذلك أن قائده البحرى «بوليكليتوس» (Polyclitos) عند عودته من حرب فى البيلوبونيز كان من حسن حظه أن هاجم «غزة» جزء من أسطول «انتيجونوس» على ساحل «كيلكيا» وهزمه هزيمة ساحقة . لم يكن فى مقدور « انتيجونوس » فى هذه اللحظة أن يكسر شوكة «صور» التى حاصرها ، ولم يجسر فى الوقت نفسه على أن يغادر «سوريا» تاركا هذه الميناء مفتوحة خلفه ، ومن أجل ذلك فكر فى أن يعقد صلحا منفردا مع «بطليموس» ، غير أن المفاوضات فى ذلك فشلت . وفى خلال عام ٣١٤ق.م. وهو العام الثانى للحرب التى شنت على «انتيجونوس» كانت الانتصارات سجالا . ولم يكن الأسطول المصرى فى هذه الحرب يشغل الا مكانة ثانوية ، وقد تزك «صور» محاصرة الى أن تسلم تحت ضغط الجوع والقحط ، وكانتهى العقبة الوحيدة التىتقففىوجه جيوش «انتيجونوس»

(١) راجع Tom. I. 46.
(٢) راجع Diod. XIX, 62.

المهاجمة . وبعد أن تم «لانتيجونوس» الاستيلاء على هذه المدينة الحصينة أرسل أسطولا بقيادة «ميديوس» (Medios) ليتفقد سواحل بحر «ايجه» . وقد نجح فى طرد أساطيل العدو وترك سوريا فى حراسة ابنه «ديمتريوس» ، ثم ذهب الى «سيلانى» فى «فرجيا» حيث اتخذ مقر معسكراته للشتاء (عام ٣١٤ — ٣١٣ ق.م.) ليكون قريبا من «كاريا» لينقض عليها عندما تلوح الفرصـــة . والواقع أن «انتيجونوس» استولى على كل سواحل «آسيا» الصغرى فى العام التالى .

وفى الوقت نفسه قامت ثورة فى «سيرينى» وكذلك أخذت أسر جزيرة قبرص تقلب ظهر المجن «لبطليموس» . وقد شغلت هذه الأحداث بال «بطليموس» ، ومن ومن أجل ذلك أخذ يعمل على رفع مستوى نفوذه الذى أخذ فى التدهور بكل ما لديه من عزيمة ، فأرسل أسطولا وجيشا بقيادة كل من «أجيس» (Agis) و «أپانيتوس» (Epaenétos) لاعادة «أوفيلاس» حاكم «سيرينى» الى حكومتها ، وقد انتهت هذه العملية بأن ذهب «بطليموس» نفسه الى «قبرص» ليعاقب الملوك الذين عصوه كما يقول «ديدور» . وبعد أن عاقب رؤساء الأسر الذين اتصلوا «بانتيجونوس» والذين قاموا بثورات فى السنة الماضية سلم «نيكوكريون» (Nicocreon) القيادة الحربية فى قبرص ووكل اليه أمر المدن ودخل الملوك الذين خلعوا (١) . وقد عالج بطليموس بنفسه هذه التغيرات واكتفى فى هذا الوقت بأن يكون فى «قبرص» خليفة له يخضع اليه فى كل شىء ويحكم تحت حمايته ، ثم اتجه بعد ذلك من «قبرص» لينهب سواحل «سوريا» العليا و «كليكيا» ، ثم عاد بعد جولته هذه الى «قبرص» مع جيشه محملا بالغنائم ، ومن ثم الى مصر ليجهز حملة لغزو «ســوريا» الجوفاء (منخفض الأردن) .

غزو سوريا : وفى ربيع عام ٣١٢ ق.م كان «بطليموس» على أهبة الاستعداد ،

(١) راجع Diod. XIX, 79.

وكانت الأحوال مواتية لهذه الغزوة وذلك لأن «اتيجونوس» كان يستعد لعبر «الدردنيل» لمهاجمة «لزيماكوس» و «كاسندر» ، وعلى ذلك لم تكن فى سوريا قوة كافية للدفاع عنها . اذ كان كل ما فيها من قوة للدفاع تنحصر فيما لدى «ديمتريوس» بن «اتيجونوس» الذى لم يكن قد تجاوز العقد الثانى من عمره ، ومن المحتمل أنه قد رأى القوة التى كانت بقيادته غير كافية لمقاومة جيش «بطليموس» الذى كان أعظم من جيشه قوة وعتادا . وقد فكر فى بادىء الأمر فى التقهقر ، غير أن قوة الشباب الدافقة التى كانت تجرى فى عروقه أبت عليه التقهقر أمام عدوه القوى ، وبخاصة أنه كان يعتمد فى حروبه هذه على أربعين فيلا كانت لديه ، وقد كان الفيل فى مثل هذه الحروب بعد آلة حرب عظيمة ، هذا مع العلم أن جيش «بطلميوس» لم يكن مجهزا بفيلة ، وقد تقابل الجيش المصرى بقيادة كل من « بطليموس » و «سيلوكوس» فى «غزة» مع جيش «ديمتريوس». فهزم جيش «ديمتريوس» هزيمة ساحقة فاصلة ، وبذلك استعاد «بطليموس» فى واقعة واحدة «فنيقيا» و «فلسطين» وكل «سوريا» (١) . وقد جاء ذكر هذا النصر فى النقوش الهيروغليفية (٢) .

ومما يطيب ذكره هنا أن «سيلوكوس» لم يضيع لحظة بعد هذا النصر اذ أسرع الى « بابل » وقد كان دخوله فيها على حسب الرأى السائد هو بداية عهد قيام دولة «السيلوكيين» فى هذه البلاد ، وقد أرخ بأول اكتوبر عام ٣١٢ ق.م (٣) .

أما «بطليموس» فلم يعامل تلك البلاد التى فتحها من جديد بحد السيف الا بالحسنى والصفح الجميل ، وذلك لما فطر عليه من مهارة وسماحة خلق

---

(١) راجع Diod. XIX, 82-86.

(٢) راجع لوحة الشطربة فيما بعد

(٣) راجع Joseph., A. Jud. XII, 9, 3.

وحسن تدبير وبعد نظر لما عساه يخفيه المستقبل . فنجده قد عامل سكان «سوريا» برقة ، وبذلك وضعت المدن التى كانت على أهبة المقاومة سلاحها مثل «صيدا» و «صور» . والواقع أن «صيدا» قد استقبلته بقلوب راضية مطمئنة ، وفتح أهالى «صور» له أبواب مدينتهم ، وطردوا الحاكم «إندرانيوكوس» الذى اراد المقاومة ، غير أن المؤرخين قد اختلفوا فى فتح «أورشليم» على يد «بطليموس» بالقوة الغاشمة فى هذه الفترة ، وذلك لعدم وجود تأريخ أكيد لهذا الحادث ، فقد قيل أنه استولى عليها كما ذكرنا من قبل فى يوم سبت وهو اليوم الذى يحرم فيه اليهود التعامل كلية (١) .

وقد قيل ان «بطليموس» قد نقل أعدادا كبيرة من الأسرائيليين الذين استولى عليهم فى موقعة «غزة» ، وهناك روايات أخرى عن هذا الموضوع سنتحدث عنها عندما نتحدث عن اليهود فى مصر . هذا ويقال ان الأسرى الذى سلموا فى «غزة» وضعهم «بطليموس» فى مقاطعات الدلتا . والواقع أن هؤلاء كانوا جنودا مرتزقين لا يهمهم أى مكان يسكنون فيه ، ولكن غرض «بطليموس» من وضعهم فى الدلتا أن يكونوا على مقربة من الحدود الآسيوية ليستعملهم فى الحال وقت الحاجة (٢) .

على أن واقعة « غزة » لم تكن نهاية حرب « سوريا » ، ولذلك لأن « اتنيجونوس » وابنه « ديمتريوس » لم يقولا كلمتهما الأخيرة فى حرب «سوريا» ، كما أن «بطليموس» من جانبه لم تكن اطماعه قد انتهت فى « سوريا » ، اذ نعلم أنه كان قد أرسل قائدا يدعى « سيليس » (Cillés) الى نهر العاصى (الارنت) للاستيلاء على « سوريا العليا » . وهناك فاجأه «ديمتريوس» بهجوم خاطف وهزمه (٣) .

---

(١) راجع Agatharch. Ap. Joseph, C. Apion, 1, 22. A. Jud. XII, 1 = F.H.G. III, P. 196.

(٢) راجع Mahaffy Empire. P. 43.

(٣) راجع Diod. XIX, 93.

وعلى أثر ذلك انضم « انتيجونوس » بجيشه الى ابنه واستولى ثانية على سوريا الجنــوبية التى أخلت أمامه حامياتها بسرعة عظيمة ، وقــد ضرب « بطليموس » فى تقهقره أمام عــدوه « عكة » و « يافا » و «ســماريا» و«غزة» (١) . وذلك ليأسه من العودة الى هذه البلاد . وقد رابط «بطليموس» بجيشه عندالحدودمنتظرا هناك انقضاض جيش عدوه الجبار على مصر . ومما زاد الطين بله أن حاكم « سيرينى » المسمى « أوفيلاس » قد خرج على ولائه لمصر (عام ٣١٢ ق . م) ، غير أن فى ذلك شكا ، ولكن المرجح أن خروجه على « بطليموس » كان من جانبه هو لأنه كان يريد أن يكون ملكا مستقلا على هذه البلاد . وان صح ذلك فان هذا كان يعرض مصر للخطر من ناحية حدودها الغربية . وعلى ذلك نجد أن كل آمال « بطليموس » قد تلاشــت كما فشلت كل مشروعاته ، هذا الى أنه كان يرتعد فرقا من غزو أرض الكنانة نفسها لأنه لم يكن بجانبه أحد ليأخذ بناصره فى صد الهجوم عن بلاده .

والظاهر أن الأمور قد اتخذت مجرى آخر مع الفريقين المتحاربين ، فكان كل منهما يتطلع لانهاء هذه المنازعات والحروب الطاحنة . ونحن لا نعرف من أى جانب بدأت الرغبة فى المفاوضات ، ولكن المحقق لدينا على حسب ما رواه « ديدور » أنه عقدت معاهدة صلح بين « بطليموس » و «بريبيلاس» وهو مفوض فوق العادة من قبل «كاسندر» و «ليزيماكوس» عام ٣١١ ق.م من جهة وبين «انتيجونوس» من جهة أخرى جاء فيها أن يحتفظ «كاسندر» بقيــادة «أوروبا» الى أن يبلغ «الاسكندر الرابع» بن «روكزان» الســن القانونية لتولى عرش امبراطورية والده ، وان يعترف بان «ليزيماكوس» هو سيد «تراقيا» وأن «بطليموس» هو حاكم مصر بالاضافة الى المدن التى على

---

(١) راجع Diod. L.C.,; Pausan, 1, 6, 5.

حدود «لوبيا» وبلاد العرب . أما «انتيجونوس» فقد أعلن أنه قائـد كل «آسيا» ، هذا وقد أعلن أن بلاد «هيلاس» قد أصبحت مستقلة بذاتها (١). ومن ثم نفهم أن «بطليموس» قد نزل عن «سوريا» ولم تعد بعد من ممتلكاته. هذا وقد كان «كاسندر» مصمما على الا يترك «الاسكندر» ابن «روكزانا» حتى يصل الى سن البلوغ ، فقد أمر بعد ذلك بقتله هو وأمه ، وبارتكاب هذه الجريمة التى قضت على أسرة «الاسكندر» محا «كاسندر» الرابطة الوحيدة التى كانت تربط حكام أجزاء الامبراطورية بعضهم ببعض ، وبذلك أصبحت وصاية «بوليبرشون» لا قيمة لها . ومن ثم أصبح كل شطربة فى قطرد ملكا وبخاصة فى مصر حيث كانت التقاليد الفرعونية تحتم السيادة التامة للفرعون . وقد أصبحت مصر بموت «الاسكندر الثانى» فرعون مصر عام ٣١١ ق.م بلا فرعون ، ومع ذلك فان المصريين أخذوا يؤرخون بسنى حكمه بعد موته الى أن تولى بطليموس فرعونا على مصر رسميا حوالى عام ٣٠٥ ق.م. على أن اليونان فى مصر كانوا يؤرخون بحكم «بطليموس» من جهة أخرى . والواقع أنه قد بدأ عصر جديد فى حكومة البطالمة كما سنرى بعـد . ومع كل ما حدث نجد أن «انتيجونوس» كان يريد أن يعيد بنـاء امبراطورية «الاسكندر» من جديد على أن يكون هو على رأسها ..

وتدل شواهد الأحوال على أن وجود «سيلوكوس» فى «بابل» يعد شوكة فى جنب «انتيجونوس» ، فقد كان يحكم قطرا عظيما فى وسـط املاكه ، ولذلك رأى أن أول ما يوجه اليه قوته هو أن ينقض على «سـيلوكوس» ويقضى عليه ، لذلك نراه بعد عقد المعاهدة يسافر فى الحال الى الشرق ثم يرسل ابنه «ديمتريوس» من جديد لمنازلة هذا الدخيل فى أملاكه المزعومة. ومما يؤسف له جد الأسف أن المصادر لم تسعفنا حتى الآن بمعرفة ما جرى

(١) راجع Diod. XIX, 105.

فى هذه البقعة من امبراطورية «الاسكندر» المنحلة لمدة من الزمن ، ولكن تدل الدلائل على أن «بطليموس» كان يعلم شيئا عما يدور فى مملكة صاحبه «سيلوكوس» أى «بابل» . والظاهر أنه قد أسرع بالاتصال به . وقد حدثنا المؤرخ «أريان» دون أن يذكر تاريخا محددا عن المبعوثين الذين أرسلهم «بطليموس» بن «لاجوس» الى بابل برسالة الى «سيلوكوس» «نيكاتور» فاخترقوا الصحراء على ظهور الجمال وكانوا لا يسافرون الا ليلا اتقاء حمارة الشمس التى لا تطاق (١) . ويقول المؤرخ «بوشى لكلرك» (Tom. I. P. 56) أنه لم ير وقتا آخر كان فيه «بطليموس» مضطرا لاتخاذ هذه الطريق الملتوية ليتصل بحليفه «سيلوكوس» . ومهما يكن من أمر فان «بطليموس» كان قد عزم على نقض المعاهدة التى أبرمها مع «انتيجونوس» بعد أن تخلص من المتاعب التى كانت تشغل باله وتقض مضجعه وقتئذ . والواقع أنه قد ذهب عنه كابوس جيش «انتيجونوس» برحيله الى مقره فى آسيا ، هذا فضلا عن أنه أرسل حملة موفقة قبائل «مرمريقا» اللوبيين فى «سيرينى» ومن المحتمل أنه كان قد وصل الى اتفاق مع «أوفيلاس» حاكم «سيرينى» . هذا ونعلم من نقوش اللوحة التى جاء فيها ذكر هذه الحملة أنه أغدق على الكهنة المصريين هبات كثيرة مما جعل ألسنتهم تلهج بالمديح والثناء عليه . وهذه اللوحة مؤرخة بصيف عام ٣١١ ق.م وسنتحدث عنها فيما بعد وهى المعروفة بلوحة الشطربة .

وقد رأى «بطليموس» أن الوقت قد حان ليفيد من الأحوال الحسنة التى كانت تحيط به ، وذلك بنقض ما كان بينه وبين «انتيجونوس» من اتفاق . وكانت الفرصة سانحة لديه عند ما رأى «بطليموس» قائد «انتيجونوس» الذى أرسله لمحاربة «كاسندر» فى بلاد الاغريق قد خان عمه واتفق مع

---

(١) راجع Arrian, Inic. 434.

«كاسندر» . وقد ضم اليه نائبه «فونيكس» الـذى يقود الجيش له فى «فرچيا هليسبونت» (١) ، وعلى ذلك انتهز «بطليموس» شطربة مصر هذه الفرصة وعمل على توسيع شقة الخلاف والقضاء على«انتيجونوس» وسلطانه جملة . وتدل شواهد الأحوال على أن الغرض الذى كان يرمى اليه القائد «بطليموس» من خروجه على عمه «انتيجونوس» هو طموحه الى تأسيس مملكة مستقلة حول «كالسيس» . والواقع أن خيانة «بطليموس» لعمه قد حرمته أسطوله الحربى . وكان أول عمل قام به «بطليموس» بن «لاجوس» أنه أسرع فى ارسال جيشه للسيطرة على البحر ، وقد كانت السياسة التى وضعها تتفق مع سياسة حليفه «سيلوكوس» . أخذ بعد ذلك «بطليموس» صاحب مصر يشعل نار الفتنة فى بلاد الاغريق وبخاصـة فى المدن التى على ساحل «آسيا» الصغرى مذكرا اياها أن معاهدة ٣١١ ق.م التى ابرمت بينه وبين «انتيجونوس» قد منحتهم الحكم الذاتى ولكنه قد تعهد من جانبه بأن يساعدهم فى العمل على نيل هـذه الحرية ، ومن أجل ذلك أرسل قائده «ليونيداس» (Leonidas) الذى طرد حاميات مدن «كليكيا تراشى» التى كانت تابعة «لانتيجونوس» (٢) ، ثم استولى هو بنفسه على مدن «ليديا» و «كاريا» و «فاسوليس» و «اكزانتوس» (Xanthos) و «كونـوس» (Caunos) و «هيراكليس» (Heraklès) و «برسيكون» (Persicon) غير أنه لم يفلح فى الاستيلاء على «هليكارناسوس» (عام ٣٠٩ق.م) . وقد أزعج ذلك «انتيجونوس» ولذا أرسل ابنيه «ديمتريوس» و «فليب» لمحاربة «بطليموس» ، فزحف الأول عـلى «كليكيا» لطرد «بطليموس» ، والآخر ليعيد «لفونيكس» اقليم «فرچيا هلسبونت» . وقد كانت النتيجة أن أظهر نواب «بطليموس» فى «كليكيا» خضوعهم وسـلموا «لديمتريوس» بدون قيد ولا شرط ، وبعد ذلك قصد «قبرص» ليعرف ما آلت اليه البقية الباقية

(١) راجع Diod. XX, 19.
(٢) راجع Diod. XX, 19.

من حكام أسرها فوجد «ديمتريوس» هناك مأساة من أبشع وأفظع مآسى التاريخ البشرى . وقد قصها علينا «ديدور» فاستمع لما يقول : لقد أعلن «بطليموس» أن «نيكوكليس» (Nicocles) ملك «البافيين» قد اتصل «بانتجيونوس» فارسل أثنين من أصدقائه وهما «أرجاوس» (Argaeos) و «كاليكرات» بأمر لقتل «نيكوكليس» ، وذلك لأنه كان يخاف ان عدم عقاب العصاة الأول يشجع رؤساء آخرين على العصيان . وقد وصل رسولا بطليموس الى قبرص ، وصدر أمر بارسال كتيبة من الجنود بوساطة القائد «منيلاوس» فحاصر جنودها بيت «نيكوكليس» وسلموه الأمر وطلبوا اليه أن ينتحر . وقد حاول «نيكوكليس» أولا أن يبرىء نفسه من التهم المنسوبة اليه ، ولكن لما لم يصغ اليه أحد قتل نفسه . ولما علمت زوج «نيكوكليس» بموت زوجها ذبحت نفسها وكذلك ذبحت بناتها العذارى حتى لا يقعن فى أيدى العدو ، وفى الوقت نفسه أوعزت الى نساء اخوة «نيكوكليس» بقتل أنفسهن معها . وذلك على الرغم من أن «بطليموس» لم يأمر بتنفيذ مثل هذا الأمر فى النساء ، بل على العكس ضمن لهن سلامتهن . هذا وقد كان القصر مفعما بجثث الموتى وبالمصائب التى لم تكن فى الحسبان فقد أغلق اخوة «نيكوكليس» الأبواب وأشعلوا النار فى البيت وقتلوا أنفسهم بأيديهم . وبهذه الصورة قضى على أسرة ملوك «بافوس» (١) .

ويلحظ أنه فى تلك الأثناء قطع «انتيجونوس» الامل من القضاء على «سيلوكوس» لقلة ما لديه من جنود ، ومن أجل ذلك عقد معه صلحا ، وكان هذا كل ماتصبو اليه نفس «سيلوكوس» . والواقع أنه ليس لدينا وثائق أكيدة تحدثنا عن الزمان أو المكان الذى تخلى فيه «انتيجونوس» عن آسيا العليا التى أصبح «سيلوكوس» ملكها . وعلى أية حال فان «انتيجونوس»

---

(١) راجع Diod. XX. 21, Polyen. VIII, 48.

بصلحه هذا قد نجى كل املاكه .

رجع «انتيجونوس» بعد هذا الصلح الى «آسيا» الصغرى وفى عزمه الانتقام من مناهضيه غير أنه لم يعلن ذلك فى صراحة ، لأنه لم يكن فى نيته أن يفصم عرا الاتفاق الذى أبرمه مع خصومه عام ٣١١ ق.م ، اذ رأى أنهم قد تجمعوا ثانية يدا واحدة . وكان أول عمل وجه اليه عنايته بعد أن استقرت له الأمور نوعا فى الشرق هو الالتفات الى الأحداث التى كانت تجرى فى «ايجه» . وقد كان فى عزمه الا يترك بأية حال من الأحوال «لبطليموس» البلاد التى استولى عليها فى «آسيا» الصغرى ، أما «بطليموس» فكان من ناحيته لا يهتم كثيرا بهذه البلاد كما كان لا يرغب فى اعلان حرب على «انتيجونوس» عدوه الجبار ، والواقع أنه كان يقظا حازما فى قراراته عند الضرورة ، وقد شاهدنا ذلك فى «قبرص» عندما أخذ الشك يدب الى نفسه من جهة «بطليموس» ابن أخ «انتيجونوس» ذلك الخائن الذى انضم اليه فقد قابله فى بادىء الأمر بسماحة وبشاشة ولكن لما شعر بما كانت تنطوى عليه نفسه من نوايا سيئة أمر بالقبض عليه وأجبره على تجرع السم ، وبعد ذلك كسب الى جانبه جنوده الذين كانوا تحت أمرته بالهدايا وخرطهم فى سلك جيشه (١) .

وتدل شواهد الأحوال على أن «بطليموس» قد طالت اقامته فى جزر «اسكليبيادس» (Asclepiades) مع زوجه « برنيكى » التى وضعت له حوالى عام ٣٠٩ ق.م ابنا أسماه «بطليموس» فاصبح ولى عهده . ويقال أن العالم «فيليتاس» من أهل «كوس» الذى صار فيما بعد مربيا لولى العهد قد اتصل ببلاط «بطليموس» وأصبح من المقربين اليه فى هذه الفترة ، وهو من أهل جزيرة «كوس» التى اختارها «بطليموس» مقرا له ليراقب عن كثب

---

(١) راجع Diod. XX, 27.

حركات جيش « أنتيجوس » ، وكذلك مراقبة سير الأحوال فى « الأرخبيل » اليونانى ، على أن مالدينا من مصادر قد صمتت كلية عن الأحـداث التى وقعت بين الأطراف الذين وقعوا صلح ٣١١ ق.م. وقد انقضى ثلاثة أعوام ٣٠٩ ــ ٣٠٦ ق.م دون أن نسمع شيئا عنهم ، وكل ما نعرفه عن تلك الفترة أن كلا منهم كان يظهر بمظهر الحامى لحرية المدن الاغريقية . وفى تلك الفترة نصب «انتيجونوس» ابنه«ديمتريوس» على ادارة شئون «آسيا الصغرى . أما هو فقد أراد أن يظهر «لبطليموس» عزمه على بقاء سوريا تحت حكمه ، فاسس مدينة أطلق عليها اسم «انتيجونيا» نسبة لاسمه «انتيجونوس» عند مصب نهر الارنت (١) ، وهى التى حلت محلها فيما بعد مدينة «أنطاكيـة» الحالية . يضاف الى ذلك أنه عمل على بناء أسطول يسيطر به على بحر «ايجة» . وفى اثناء انتظاره الفراغ من بناء هذا الأسطول واعداده قام ابنه بمراقبة شديدة للغاية على شاطىء «كاريا» ، ومن المحتمل أن هذه الفترة أى حوالى نهايةعام٣٠٩ق.م. تمكن«ديمتريوس» منفك حصار «هليكارناسوس» التى كانت قد حاصرها «بطليموس» (٢) .

أما «بطليموس» فقد سافر باسطوله الى «البلوبونيز» لسبب غير معلوم تماما ، اذكل مانعرفه أنه ذهب على حين غفلة ليحرر كلا من «كورنثـه» وسيسيون (Sycyone) من الجنود المرتزقين جلبهم « كراتيسيبوليس » (Cratesipolis) حماة «بوليبرشون» ، وكانت وقتئذ أرملة «الاسكندر» حانقة تتعطش للانتقـام من أهالى «سيسيون» الذين قتلوا زوجهـا (٣) . وتدل الأحداث التى تلت ذلك على أن «بطليموس» كان يهتم بالحوادثالتى تقع فى بلاد الاغريق ، وذلك لأنه رأى فى هذه البلاد التى كان يغلى مرجل

---

(١) راجع Diod. XX, 47. XXI, 1.
(٢) راجع Plut. Memetr. 7 CF. Drosyn II, p. 383, 1.
(٣) راجع Diod. XIX, 69, XX, 37. Polyaen VIII, 68.

الفوضى فيها أن كلا من قواد الامبراطورية كان له حزب فيها الا هو فلم يكن له أي حزب ، وان الفرصة قد سنحت للتدخل هناك وابراز نفسه فى العالم الاغريقى . وذلك باتخاذ الشعار الذى كان كل منهم يعلن أن هو أراد الشهرة والسمعة فى العالم الاغريقى . فقد كان كل منهم يعلن أنه جاء ليحرر المدن الاغريقية العريقة فى الديموقراطية . وفعلا أعلن « بطليموس » شعاره فى بلاد الاغريق وبخاصة فى المدن التى كانت لاتنتمى الى حليفه «كاسندر» بأنه جاء ليحررها ويعيد لمدنها حريتها الغابرة . وقد عمل هذا وهو آمن مطمئن لايخاف شيئا من جهة « آسيا » لأنه كان المسيطر على البحر وقتئذ . وقد بدأ «بطليموس» دعايته بتحرير جزيرة «أندروس» (١) .

حيث وضع فيها حامية كما أعطاها الحق فى ضرب نقود خاصة بها ، بعدأن أن يحرر «ديلوس» التى كانت مركز الحلف الأغريقى وكانت منذ ما يقرب كان الأثينيون قد اغتصبوا هذا الحق منها فيما مضى : وكانت هذه أول دعامة لاقامة مجتمع اغريقى ، فى هذه الجهة بحماية مصر . ولم يفت « بطليموس » أن يحرر « ديلوس » التى كانت مركز الحلف الاغريقى وكانت منذ ما يقرب من قرنين من الزمان تحت سلطان الأثينيين (راجع مصر القديمة الجزء ١٢ ص ٥٧١ — ٥٧٤) ويمكن أن ننسب لعام ٣٠٨ قبل الميلاد الهدية التى قدمها « بطليموس » الى معبد « أرتيميس » فى « ديلوص » وهى عبارة عن اناء فاخر عليه نقش اغريقى الدال على اسم افروديتى (٢) .

هذا وقد ظهر ماقام به « بطليموس » الأول من أعمال مفيدة لسكان الجزر فى عهد ابنه « بطليموس » الثانى فى المنشور الذى أصدره بعد وفاة والده بنحو ثلاثين عاما . وقد جاء فى هذا المنشور أن الملك المخلص « بطليموس » كان هو مؤسس الخيرات العديدة والعظيمة لسكان الجزر وللهيلانيين الآخرين ، اذ قد حرر المدن وأعاد فى كل مكان القوانين والحكومة الوطنية

(١) راجع Diod. XX, 37, I.

(٢) راجع Homolle B.C.H., VI. P. 29; Archives, P. 40.

وخفف أعباء الضرائب (١) .

ومن أجل ذلك كان بطليموس الأول يعد فى نظرهم فى مصاف الآلهة . ولانزاع فى أن تحرير « ديلوص » كان يعد ضربة قوية لكبرياء الأثينيين . وفى خلال تلك الفترة سمع « بطليموس » بموت « أوفيلاس » حاكم « سيرينى » ؛ وكان يريد معاقبته على خيانته له ، وكان رجلا طموحا لم يرضه أن يقتصر على حكم «سيرينى» بل كان طموحا الى مد سلطانه فى جهات أخرى ، ومن أجل ذلك تحالف مع « أجاتوكليز » ملك « سرقوزه » على محاربة «قرطاجنة» وقد وعده الأخير بأن يمنحه حكم «قرطاجنة» الافريقية عند النصر على عدوه ، غير أنه لاقى حتفه هناك غدرا بيد حليفه . وعندما عاد « بطليموس » من بلاداليونان أسرع الى ارسال ابن‌زوجه المسمى « ماجاس » وأمه هى «برنيكى» بجيش الى «سيرينى» ، والظاهر أنها سلمت دون مقاومة . وقد بقى « ماجاس » هناك حاكما عليها ، فأعاد اليها الغنى والنظام (٢) ، ومن المحتمل أن «بطليموس» حبذ فكرة هجرة اليهود الى هذه الجهة سدا للفراغ الذى حدث فيها بسبب الحروب . ومن المعلوم أن اليهود كانوا يؤلفون ربع سكان « سيرينى » .

أما « أنتيجونوس » فانه فى خلال تلك المدة كان يرقب عن كثب حركات « بطليموس » فى بلاد اليونان ومدنها ، وكان مصمما على أن يضمها الى جانبه باستمالة أهلها ومنحهم حريتهم التامة ، ومن أجل ذلك أرسل فى ربيع عام ٣٠٧ ق.م. ابنه « ديمتريوس » الى « أنيسوس » على رأس أسطول عظيم يتألف من مائتين وخمسين سفينة شراعية مجهزة تماما بالرجال والعتاد ، الى رأس « سونيون » ، وبعد أيام قلائل دخل ميناء « بيروس » ، وبعد أن طردالحامية المقدونية التى كانت فيهاأعلن « ديمتريوس » تحرير « أثينا »،

---

(١) راجع Homolle, Ibid. XVIII (1883), P. 205 FF.

(٢) راجع Pausan. 1, 6, 8.

كما أعلن أنه مكلف من قبل والده بتحرير كل البلاد الاغريقية . وقد كان من جراء هذا العالم البارع أن فتح « الأثينيون » « انتيجونوس » تاج البلاد ولم يبق عليه الا أن يتقبله ، وفى انتظار ذلك أخــذ « ديمتريوس » يوطد العلاقات بينه وبين « الأثينيين » بعقد سلسلة من الزواج السياسى فتزوج من الأثينية « أيونيديكى » ، ويحتمل أنها كانت أرملة « أوفيلاس » .

وقد عد هذا العمل تحديا « لبطليموس » الذى لم يكن فى حاجة الى التحدى للاستعداد للحرب ، لأنه كان قد شعر أن الوقت لقطع العلاقات بينه وبين « أنتيجونوس » علنا قد قرب ، وذلك لأنه لم يكن أمامه مسلك الا الحرب أو الدفاع عن النفس ، وبخاصة أمام قائد وسياسى بارع مثــل «انتيجونوس» ، وقد كان الأخير ينتظر تحركات الجيش المصرى وبخاصة لمهاجمــة « سوريا » التى كان يريد « بطليموس » أن يستردها الى أملاكه غير أن « أنتيجونوس » لم يعطــه الفرصة لتنفيذ قصــده اذ أرسل لابنــه « ديمتريوس » فى « أثينا » بالاسراع بجيشه الى « قبرص » فغادرها فى أوائل عام ٣٠٦ ق.م. وكان « الأثينيون » يساعدونه بثلاثين سفينة بقيادة أمير البحر « ميديوس » (١) ، وبعد أ نحاول «بطليموس» عبثا اغراء أهل «رودس» على الانضمام اليه طاف حول «كليكيا» حيث جمع عددا عظيما من الجنود ، وقصد قبرص ، وكان حاكمها وقتئذ هو «منيلاوس» ليس لديه الا عدد قليل من الجنود لحمايتها كما أن السفن التى كانت تحت تصرفه وعددها ستون لايمكن أن تغلق الطريق فى وجه أسطول «ديمتريوس» . وقد هزم «بطليموس» فى أول واقعة ، ومن ثم اضطرالى الالتجاء الى «سلاميس» حيث حاصره «ديمتريوس» وهكذا نرى أن توانى «بطليموس» جعله يؤخذ على غرة ؛ ومع ذلك فان مقاومة «سلاميس» الطويلة قد مهدت له الفرصة

---

(١) راجع Diod. XX, 50.

للاسراع الى نجدتها بأسطوله الذى كان أقل عددا من أسطول العدو .وعندما وصل أسطول «بطليموس» الى «أكنيبون» طلب الى العدو الجلاء عن الجزيرة قبل أن تأتى كل قوته للقضاء عليه .

وقد رد عليه « ديمتريوس » بجواب مقنع أنه على استعداد لسحب جنوده اذا وافق بدوره على سحب جنوده من «كورنثه» و «ميسيون» . ولم يعبأ «بطليموس» بذلك وتقدم بجيشه أمام «سلاميس» لفك حصارها بضربة قوية بمعاضدة أسطول « منيلاوس » أثناء المعركة ، غير أنه قد أخطأ فى حسابه اذ كاد يقضى فيها على كل أسطول «بطليموس» (١) .

وقد نجا « بطليموس » نفسه بشق الأنفس ومعه ثمانى سفن . واحتمى مؤقتا فى « آكنيبون » تاركا وراءه كل ماكان قد أحضره من سفن نقل وخدم وأصدقاء ونساء ونقود وآلات حربية ، هذا بالاضافة الى ثمانية آلاف رجل من جيشه . وعلى ذلك لم ير « منيلاوس » بعد ذلك بدا من التسليم . وعندئذ حذت حذوه كل مدن الجزيرة . ولقد كان مسلك « ديمتريوس » بعد هذا الظفر العظيم مسلك الرجل الشهم فقد حفظ لنفسه « لاميا » الجميلة ولكنه أرسل الى « بطليموس » على جناح السرعة أخاه « منيلاوس » وابنه غير الشرعى « ليونتيسكوس » (Leontiscos) كما أرسل اليه أصدقاءه وأخيرا أطلق سراح الجنود الذين لم يريدوا الانخراط فى سلك جيشه (٢) .

وهذا النصر المبين قد هز أعطاف جنود جيش « أنتيجونوس » الأعور لدرجة أنهم لقبوه ملكا كما نادوا ابنه بلقب الملك « ديمتريوس » . وقد كان من حق الجيش كما جرت العادة فى الدستور المقدونى تعيين الملك . وقد

---

(١) راجع Plut. Demetr. 16 Diod. XX, 49-53.
(٢) راجع Justin XV, 2, 7.

قابل الملكان الجديدان هذا الشرف من قبل الجيش والشعب باغداق مايتفق وعظم الحادث من الهبات . فقد منح الملكان اثنى عشر درعا تامة «للاثينيين» هذا فضلا عن الغنيمة التى غنموها (١) .

هذا وقد وضعت قربان جنازية فى المعابد التى كان الشعب يزورها كثيرا . ومن المحتمل أن تمثال نصر « سماتراس » المحفوظ الآن بمتحف « باريس » كان ضمن هذه القربان فى معبد « كابيريس » (Cabires) . ومنذ هذه اللحظة أصبح « أنتيجونوس » الملك الشرعى على الامبراطورية فى زعمه ، ومن ثم كان يعتبر مناهضيه منذ الآن خارجين عليه .

ويقال أن « بطليموس » بن « لاجوس » شطربة مصر كان أول من توج نفسه ملكا على الرغم من هزيمته ، ثم حذا حذوه بعد ذلك الحكام الآخرون كل بدوره أمثال « سيلوكوس » و « ليزيماكوس » و « كاسندر » (٢)

ومع ذلك نرى قانون الملوك الذى وضع فى « الاسكندرية » يؤرخ تولى « بطليموس سوتر » الملك بأول تحوت سنة ٤٤٣ من عهد « نابونصار » (أى ٧ نوفمبر سنة ٣٠٥ ق.م.) . ومن المحتمل اذا أن « بطليموس » قد تردد بعض الوقت قبل أن يخلع على نفسه لقب الملك على أثر هزيمته ؛ ولكن يقال من جهة أخرى أنه توج نفسه ملكا خوفا من أن يقال ان هزيمته الأخيرة قد كسرت جناحه وأذلته .

وعلى أية حال فان موقعة « سلاميس » تعد بداية تمزق شمل امبراطورية « الاسكندر الأكبر » واخلافه . فمنذ تلك اللحظة الحاسمة أصبح كل قائد فى القطر أو الأقطار التى يحكمها يطلق على نفسه لقب « ملك » ؛ ومن ثم أصبحت الامبراطورية المقدونية أثرا بعد عين . ومنذ ذلك العهد كذلك أخذ

---

(١) راجع Plut. Demetr. 17.

(٢) راجع Diod. XX, 53; CF. Plut. Demetr. 18; Justin. XV, 2, 10-14; Appian, Syr., 54.

وجه التاريخ يتغير اذ أصبحت كل مملكة من الممالك التى انقسمت اليهـا الامبراطورية المقدونية تسير على نهجها الخاص وسياستها الخاصة التى تتفق مع بيئتها وتاريخها القديم وما جد عليها من تغيرات وتقلبات من جراء الحروب الطاحنة التى قامت فيها منذ موت « الاسكندر الأكبر » .

الآثار التي خلفها الملك « فليب اريداروس »

بليبوس   ستپ نی رع ـ مری امن

تحدثنا فيما سبق عن الأحوال التي تقلبت في خلالها الأمبراطورية المقدونية التي ورثها « فليب أريداوس » عن أخيه « الاسكندر الأكبر » ، ورأينا أنه لم يكن له من الأمر شيء بل أن كل شئون الدولة كانت في يد الوصي الذي لم يكن بدوره في معظم الأحيان الا لعبة في يد مناهضيه من حكام أقاليم الامبراطورية .

وقد اختلفت الآراء في المدة التي مكثها فليب « أريداوس » على عرش الملك . وقد فحص هذا الموضوع المؤرخ «سكيت» (١) .

والواقع أن آخر وثيقة وصلت الينا من عهد فليب « أريداوس » هي ورقة ديموطيقية محفوظة الآن في باريس (٢) .

وتاريخ هـذه الورقة ٨ هاتور ، ولما كانت أقدم وثيقة عرفت لخليفة « فليب » وهو « الاسكندر » الرابع مؤرخة بالسنة الأولى ٢ أمشير (P. dem Loeb. 27) فان تولي « الاسكندر » الرابع عرش الملك لابد أن يكون معترفا به في مصر ما بين أول شهر هاتور و ٢ أمشير (ـ ٩ يناير سنة ٣١٦ ـ ١٠ أبريل سنة ٣١٦ ق.م.) .

---

(١) راجع The Reigns of the Ptolemies, Von Theodore Cressy Skeat, p. 27. F.

(٢) راجع Rev. Egyptologique II, 133 & Pl. 49; Spiegelberg, P. dem. Bad., pp. 41-43.

هـــذا ويذكر لنا ديدور (Diod. XIX, 11) أدق رقم لمدة حـــكم « فليب أريداوس » وهـــو ست سنوات وأربعـــة أشهر . ويقول المؤرخ « بروفيرى » أنه حكم تقريبا سبع سنوات ؛ هذا ونجد فى مصادر أخرى أنه حكم كذلك سبع سنوات . وهذه البيانات التى تستند على براهين أخرى تظهرأ نه مات فى صيف أو خريف عام ٣١٧ ق.م. (١) . وذلك يعنى بضعـــة أشهر على أية حال قبل تاريخ ورقة «باريس» . ومن ثم نجد أن التاريخ بحكمه كان مستمرا بعد موته كما كانت هى الحال مع خلفه «الاســـكندر الرابع» كما سنرى بعد ، ويؤكد ذلك ماجاء فى «القانون» الذى يقول ان مدة حكمه كانت سبع سنوات كاملة .

وآخر تاريخ فى الوثائق البابلية بعهد فليب « أريداوس » هو ١٣أغسطس سنة ٣١٧ ، غير أنه ليس لدينا وثائق مقارنة يمكن أن يعتمد عليها لاستنباط تاريخ أكيد فى الوثائق البابلية .

وعـــلى الرغم من أن «فليب اريداوس» لم يأت الى مصر ولم يرها ، فان المصريين كان لزاما عليهم أن يعتبروه فرعونا على مصر على حسب التقاليد المصرية الموروثة منذ عهد « مينا » .

وأهم الآثار التى خلفها لنا هذا الفرعون وجاء عليها اسمه ما يأتى :— ١ — معبد الأقصر : نقش اسم « فليب أريداوس » على الجدار الخارجى لمعبد الأقصر فى الشمال الشرقى من الردهة الكبيرة على هيئة جرافيتى بالألوان جاء فيهـــا :

السنة الرابعة الشهر الثالث من فصل الفيضان (هاتور) من عهد جلالة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « فليبوس » . ويلحظ أن اشارات هذا

(١) راجع Beloch, Griechiche Geschich. IV, II, 104-105.

النقش قد نقشت بصورة جميلة (١) .

هذا ونجد فى السطر الثامن من هذا المتن : اليوم السابع من شهر طوبة من نفس السنة .

٢ ـ ونجد فى نفس الجرافيتي السابق المتن التالى : السنة الرابعة الشهر الثانى من فصل الشتاء (أمشير) فى عهد جلالة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « فليبس ». وهذا الجرافيتى هام لأنه جاء فيه اسم «الاسكندر الأكبر » كما ذكرنا من قبل .

٣ ـ ورقة ديموطيقية : جاء اسم هذا الملك فى عقد كتب بالديموطيقية وهو محفوظ الآن بالمكتبة الأهلية « بباريس » ، وقد أرخ بالسنة الثامنة شهر «هاتور» من عهد الملك «فليب أريداوس» (٢) .

٤ ـ عقد تسوية من عهد « فليب أريداوس » :

التاريخ : السنة السابعة من عهد الفرعون فليب (١٠ مارس سنة ٣١٧ م) الطرف الأول : صانع فخار « چمى » ، « پامى » (Pame) ابن « باهى » وأمه هى « تنحر برع » .

الطرف الثانى : المرأة « تامن » ابنة « پامى » ، وأمها (هى) تامى ابنتى .

العقد : ١ ـ لقد أعطيتك بيتى المبنى والمسقوف الواقع فى القسم الجنوبى الشرقى من «چمى» بالقرب من الجدار العظيم «چمى» (= يقصد هنا سور مدينة حابو) .

٢ ـ ونصفه ملك « تاهيت » ابنة « پامى » وأمها (هى) « تامى » ابنتى، وأختك الصغرى ، ونصفه الآخر هو ملك لك . وحدود البيت المبنى والمسقوف وهو المذكور أعلاه هى :

جنوبه : بيت حانوتى « چمى » ، « باجمى » بن « بتأمون » ، وهو

(١) راجع Rec. Trav. XIV, p. 33. L. 7.

(٢) راجع Brugsch, Grammaire Demotique, p. 50; Thesaurus, p. 852;

الذى باعه « بيتمستو » بن « باچمى » ، ابنه الى المرأة « تأمون » ابنة « اسمن » . (٣) ويوجد حائط ساند بين أجزائه وبين المرأة « تأمون » ابنة « اسمن » .

شماله : بيت صانع فخار « چمى » « اسمن » صاحب الذكر المنتشر ، ابن « بتأمون » وأمه (هى) تشنمين .

غربه : جدار « چمى » الكبير .

شرقه : القطط (= مدفن القطط) .

وهـــذه هى حدود بيتى الذى ذكر أعلاه ، وهـــو الذى وهبته لك وله « تاهيب » ابنة « پامى » وأمها (هى) « تامى » ابنتى وأختك الصغرى ويخصك نصفه ويخصها النصف الآخر وقد وهبته لكما وهو ملككما ، وبيتكما المبنى المسقوف والذى حدوده ذكرت أعلاه .

الصيغة القانونية : وليس لى أى حق كان عندكما باسما ،وأنا وكذلكأى ابن أو بنت أو أخ أو أخت أو أى شخص كان من الآن فصاعدا . وان الذى سيأتى اليكما بسببه باسمى أو بأسم أى شخص مهما كان وكذلك أنا ، فانى سأجعله يخلصك ، واذا لم أمنعه بالتراضى ، فانى سأمنعه (قهرا) وسأطهره لك (أى البيت) من أى حق وكل شىء مهما كان ،وان حججه القديمة وحججه الجديدة فى كل مكان هى حقوقكما وكل كتابة كانت قد عملت لى بخصوصه فانها لكما وكذلك حقها ، وحقى الشرعى هو لكما من هذا اليوم فصاعدا دون ادعاء أى حق أو أى شىء كان عليكما .

كاتب الخاتم وكاهن الروح « تحت منت » بن « وسروسر » .

هذا وقد كتب على ظهر العقد ستة عشر شاهدا (١)

---

(١) راجع Mizraim II. P. 13. The Legal Transaction of a Family, preserved in the University Museum at Philadelphia. The Demotic Papyri from Drah-Abu- (Negga. Doc. I.).

(٥) عقد زواج من عهد « فليب اريداوس » (١)

التاريخ : السنة الثامنة من عهد الفرعون «فليب اريداوس» (٣١٨ ق.م.)
يقول أ الى ب

لقد اعطيتنى ست قطع من الفضة لأجل مهر المرأة (جـ) ابنتك وأمها هى (د) وانى سأعطيك عشر قطع من الفضة لأجل طعامها ولباسها سنويا للبيت الذى تريده .وعندك السلطة أن تحجز مؤخر طعامها وملبسها الذى سيستحق على . وانى سأعطيك اياه الخ .

(٦) الكرنك :يوجد فىمعبد الكرنك الكبير محراب أقامه «تحتمس الثالث» وقد هدمه الفرس ، ثم أصلحه من بعدهم «بطليموس بن لاجوس» باسم «فليب اريداوس» ، وقد جاء عليه المتن التالى باسم «فليبس اريداوس» : لقد وجد جلالة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى ورب الارضين الشعائر (ستب — نى — رع — مرىأمن (بن رع من جسده ومحبوبه «فليب» المكان العظيم لآمون آيلا للخراب ، وكان مقاما منذ زمن جلالته رب التيجان تحتمس (٢) .

هذا وقد جاء اسم هذا الملك مرات عدة على هذا المحراب بنعوت مختلفة نذكر منها :—

حور ملك مصر (= الثور القوى محبــوب « ماعت » أى العدالة)
ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « ستب — نى — رع — مرى — أمن »
ابن « رع » « فليبس » .
الاله الـــكامل رب الأرضين (ستب — نى — رع — مرى — أمن)

---

(١) راجع Spiegelberg W., Demotische Papyri (Veroffentlichung aus den badischen, Papyrus-Samlungen). Heft. I., Heidelberg, 1932, Page 41.

(٢) راجع Champollion Notices II, P. 149; Sethe urk. der Griech-Rom. Zeit. P. 10.

ابن «رع» رب التيجان (فليب) رب القوة فى كل الأراضى (١) .

ملك الوجه القبلى والوجـه البحرى رب الأرضين (ستب — نى — رع — مرى — أمن) بن « رع » رب التيجان (فليبس) معطى الحياة كلها والثبات والقوة كلهـا .

حور الملك (الثور القوى محبوب ماعت) ملك الوجـه القبلى والوجه البحرى (ستب — نى — رع — مرى — أمن) بن رع رب التيجان (فليبس) معطى الحياة والثبات والقوة كلها مثل رع أبديا (٢) .

محبوب الاله الكامل « فليب » (٣) .

هذا وتوجد لهذا الفرعون صورة تقليدية (٤) .

يضاف الى ذلك أن « شمبوليون » قـد وصف لنا كوة للملك « فليب أريداوس » (٥) .

هـذا وقد وجد النقش التالى فى معبـد الكرنك فى الردهـة سالفة الذكر فى المحراب وهو : تجديد الآثار التى عملها الاله الكامل (ستب — نى — رع — مرى — أمن) .

معبد « الأشمونين » : يوجـد نقش خاص باهداء معبد « الأشمونين » كشفت عنه البعثة الفرنسية المصرية جاء فيه : « يعيش حور . . . . الأرضين والسيدتان (المسمى) حاكم الأراضى الأجنبيـة ، حور الذهبى محبوب ؟ ملك الوجه القبلى والوجه البحرى ورب الأرضين (ستب — نى — رع — مرى — أمن) بن « رع » رب التيجان « فليبس » محبوب « تحوت » رب

(١) راجع L.D., Texte III, p. 26.

(٢) راجع Champollion Notices II, p. 151; L.D. IV. 2b: L.D. Texte III, p. 27-28).

(٣) راجع Ibid.

(٤) راجع L.D. III, 302, No. 85.

(٥) راجع Champ. Notices III, p. 147-53.

«الاشمونيين» معطى الحياة مثل «رع» (١)

٨ ـ سمنود : كشف عن قطعتين من الحجر واحدة منها عليها اسم هـذا الفرعون والأخرى عليها لقب . وهما من كرنيش من الجرانيت عثر عليهما فى « سمنود » (٢)

ولقب هذا الفرعون نقش هكذا : (ستب ـ نى ـ رع ـ مرى ـ كا ـ أمن) = المختار من رع محبوب روح آمون . والظاهر أنه قد أضيف الى لقب « فليب » كلمة « كا » ومعناها الروح فى عهد متأخر والظاهر أن هذا قد حدث لتمييز طغراء تتويج « فليب » من طغراء « الاسـكندر الأكبر » المتشابهين تماما .

٩ ـ المتحف البريطانى : يوجد بالمتحف البريطانى قطعة من اناء مصنوع من حجر أسود كان مستعملا ساعة مائية (٣) .

أسرة الفرعون « فليب أريداوس »

أشرنا فيما سبق على حسب ماجاء فيما تركه لنـا الكتاب الاغريق أن « فليب الثالث المقدونى » قد تزوج من امرأة تدعى « ايريديكى » وهى ابنة رجل يدعى « كينانى » وأمها تدعى « أمينتاس » غير أن اسم هـذه الملكة لم يوجد حتى الآن على الآثار المصرية وقد قتلت « ايريديكى » هذه فى نفس الوقت الذى قتل فيه زوجها « فليب » بأمر الملكة « أوليمبياس » أم « الاسكندر الأكبر » فى عام ٣١٧ ـ ٣١٦ ق.م. وقد أعلنت أوليمبياس « حفيدها « الاسكندر » بن « الاسكندر الأكبر » و « روكزان » امبراطورا على أملاك والده وكان يبلغ من العمر وقتئذ حوالى ست سنوات .

(١) راجع Sethe. Ibid. P. 9.
(٢) راجع A.S. XI. P. 91.
(٣) راجع British Museum Guide (1909), P. 266; Ibid. Sculpture. P. 255, No. 949).

آثار الملك الاسكندر الرابع

الكسندرس   ستب نى كارع مرى امن

ان آخر وثيقتين وصلتا الينا من عهد « الاسكندر الرابع » (الذى أصبح حديث خرافة بعد قتله فى عام ٣١٠ ق.م.) هما برديتان مؤرختان بالسنة الثالثة عشرة شهر هاتور (= ٦ يناير — ٤ فبراير سنة ٣٠٤) (١) .

والرأى السائد أن « بطليموس الأول » قد اتخذ لنفسه لقب الملك فى عام ٣٠٥ ق.م. ، ولما كان من غير المحتمل أن الكتاب المصريين كانوا قد استمروا فى التأريخ بعهد « الاسكندر الرابع » بعـد موته فمن الجائز أن ذلك التأريخ باسمه قد أوقف فى باكورة عام ٣٠٤ ق.م. وهذا الرأى يمكن تعزيزه الى حد ما يكون أن أقدم تأريخ بابلى محفوظ لدينا باسم الملك «سيلوكوس الأول» الذى لبس تاج الملك فى بابل فى نفس الوقت الذى توج فيه « بطليموس الأول » هو ١٦ أبريل سنة ٣٠٤ ق.م. (٢) .

هذا ونجد أن « القانون » يقرر أن حكم « الاسكندر الرابع » دام اثنتا عشرة سنة ، ويقول ان « بطليموس » الأول قد صار ملـكا فى خلال السنة

(١) راجع P. dem. Louvre, 2427, 2440; Cf. Gauthier. op. cit. 209.

(٢) راجع Parker and Dubberstein, Babylonian Chronology 626, B.C.-A.D. 45, Chicago 1942, PP. 18. See also S.R.K, Glanville Catalogue of Demotic Papyri in the British Museum I, P. XVI, No. 2).

المصرية ٧ نوفمبر ٣٠٥-٣٠٤ق.م. ، ويقرر كل من «بروفرى» (Prophyry) و « مارموربار يوم » (Marmor Parium) كذلك السنة ٣٠٥ - ٣٠٤ق.م. التى بدأ فيها حكمه على حسب حسابيهما بالتوالى .

وقد تحدثنا فيما سبق عن مقتل الملك « فليب أريداوس » على يد الملكة « أوليمبياس » والدة « الاسكندر الأكبر » وعن الغرض الذى كانت ترمى اليه من قتله هو وزوجه ، وهو كما ذكرنا تنصيب الملك « الاسكندر الرابع » امبراطورا منفردا على أملاك الاسكندر ابنها ، وبذلك تضمن قيامها وصية على حفيدها . وقد ولد « الاسكندر » هذا فى « بابل » بعد وفاة والده بثلاثة أشهر فى نهاية عام ٣٢٣ ق.م. . ويقال انه قبل ولادته وعلى الرغم من أن « فليب أريداوس » قد أعلنه الجيش امبراطورا على أملاك « الاسكندر الأكبر » فانه قرر أنه سيشترك مع « فليب » عمه هذا فى حكم الامبراطورية. وفى عام ٣٢١ أو ٣٢٠ أحضره الوصى على الامبراطورية القائد « أنتيباتر » الى « أوربا » وعاش هنـاك منـذ ذلك الوقت مع والدته فى بلاط ملك « أبيروس » . وكان يعتبر مشتركا مع « فليب » فى الملك . وبعد اغتيال « فليب أريداوس » حوالى عام ٣١٧ ق.م. عاد « الاسكندر الرابع » الى مقدونيا وأصبح منذ ذلك الوقت منفردا فى حكم امبراطورية والده .

لم يذهب قط « الاسكندر » هذا الى مصر ومع ذلك فقد اعتبره المصريون فرعونا عليهم غير أن زمام الأمور فى واقع الأمر كان فى يد « بطليموس بن لاجوس » كما كانت الحال من قبل ، وقد كانت الآثار التى تقام فى مصر أو تصلح مابين عامى ٣١٧ ، ٣١٠ ق.م. تحمل اسمه هو منفردا وكذلك كانت النقود باسمه . ولما كان « بطليموس الأول » لم يعين رسميا فرعونا على مصر الا فى عام ٣٠٤ ق.م. فان بعض الآثار التى عثر عليها كانت تؤرخ باسم الاسكندر الرابع على الرغم من أنه قـد توفى منـذ عام ٣١٠ ق.م. وبخاصة الأوراق الديموطيقية ، أما الأوراق اليونانية فكانت تؤرخ بعهد

« بطليموس سوتر » كما سنرى بعد .

ومعظم الآثار التى أرخت بعهد هذا الفرعون تنحصر فيما يأتى :—

(١) عقد زواج :(١)

السنة الثانية شهر هاتور من عهد الملك «الكسندروس» بن «الكسندروس» الاله .

يقول نجار بيت « آمون » « بتخنس » بن « چوف عخى » (؟) وأمه هى « استفنى » ، الى المراة « تثيزى » ابنة « بتمنؤبى » وأمها (هى) « اسرتايس » :

لقد اتخذتك زوجة .

وقد وهبتك قطعتين من الفضة أى عشرة « ستاتر ؟ وهى عبارة عن قطعتين من الفضة ثانية (٢) وهى صداقك . وسأمنحك ستة مكاييل من القمح يوميا وقطعة من الفضة وقدين فيكون الكل ستة «ستاتر » أى ما يساوى قطعة من الفضة وقدين ثانية ، لأجل ملابسك سنويا ، وكذلك هنين من الزيت كل شهر أى ما يساوى سنويا أربعة وعشرون هنا (٣) من الزيت . وهذه (؟) لأجل قمحك (؟) ولباسك وسأعطيها اياك كل سنة .

واذا هجرتك بوصفك زوجة وكرهتك وأحببت (؟) امرأة أخرى أكثر (؟) منك ، فانى سأعطيك عشر قطع من الفضة أى مايساوى خمسين « ستاتر » أى عشر قطع من الفضة ثانية وابنى الأكبر هو ابنك الأكبر والمالك لجميع كل شىء أملكه ولتلك الأشياء التى سأكسبها من بيت وأرض

(١) راجع The Demotic Papyri in the John Rylands, Library III, P. 114).

(٢) لابد أن نشير هنا الى أن المبالغ من المال تذكر أولا بالنقد المصرى ثم يذكر قيمته بالنقد الاغريقى ثم يذكر مرة ثانية بالنقد المصرى من باب التأكيد .

(٣) مكيال مصرى مقداره نصف لتر .

ودخل (؟) وعبد وأمة وفضة ونحاس وملابس وثور وحمار وماشية صغيرة ومتاع فى أية حجرة (؟) .

وانى سأعطيك هذا القمح واللباس المدون أعلاه سنويا ووكيلك هو الذى سيكون له الحق فى أخذ المتأخرات من قمحك وملبسك الذى سيكون مستحقا على ، وانى أعطيك اياها سنويا دون تأخير ودون اقتباس أى سجل ، وأى كلمة فى الأرض ضدك (أى دون الرجوع الى سجل فى هذا الصدد) .

كتبه بـ . . . . ابن « وسرور » .

هذا وكتب على ظهر الورقة ستة عشر شاهدا . كما جرت العادة .

(٢) اتفاق بيع ووصية من عهد الاسكندر الرابع :

التاريخ : السنة الثالثة من عهد الفرعون الاسكندر الرابع (= ٨ يوليو سنة ٣١٤ ق.م.) .

الطرفان : الطرف الأول : المرأة « تتنفرحوتب » ابنة « چحو » ، وأمها (هى) « تاتى » .

الطرف الثانى : المرأة « تامين » ابنة « حح » ، وأمها (هى) « تتحار بوخرات » .

العقد : لقد جعلت قلبى يرضى بثمن بيتى المبنى والمسقوف بالاضافة الى الفناء الواقع فى القسم الشمالى لطيبة فى بيت البقرة . وحدوده هى :

الجنوب : بيت « كلوج » بن « باسمتو » الحمال ، وهو ملك نجار معبد آمــون (المسمى) «فيب » بن « چوف عخى » و « بتخنس » بن «چوف عخى » — والشارع يفصل بينهما .

الشمال : بيت « پامنى » وبيت « ثتانى » بن « حاربوخرات » .

الغرب : بيت « پاوزى » ، بن « كلوج » وبيت « پتحاربرع » .

والشرق : بيت « بتمستو » « بخرخنس » وبيت «فليب» بن « پتحار برع » .

وهذه هى حدود كل البيت الذى أعطيت منه ذراعا ونصف ذراع (١) من الأرض أى مائة وخمسين (ذراعا) من المساحة أى ١/٢ ذراعا من الأرض ثانية حانوتى «أمنئوى» فى غربى طيبة «بتنفرحوتب» بن «بارت» وشرحه « ثتانى » بن « بارت » وهما شخصان ابناى بنسبة ٢/٣ و ١/١٢ ذراعا من الأرض ثانية لكل منهما وقد عملت لهما الاتفاقية لأجل البيع بخصوصه فى السنة السادسة شهر تحوت من عهد (الفرعون) « فليب » (= ١١ نوفمبر سنة ٣١٩ ق.م.) وقد أعطيتك البيت المذكور أعلاه الا القصبة والنصف هذان من الأرض أى ما مساحته مائة وخمسون ذراعا أى قصبة ونصف ثانية وهما للذان أعطيتهما المسمى « بتنفرحوتب » بن « بارت » و « ثتانى » بن « بارت » فى البيت السالف الذكر . وانه ملكك ، وهو بيتك . وانك قد أرضيت قلبى بثمنه خلافا للعشر (١/١٠) الذى دفع للكتبة ومحصل ضرائب طيبة .

الصيغة القانونية : وليس لى أى حق مهما كان باسمه (أى البيت) وليس هناك أى رجل مهما كان ولا أنا سيكون فى قدرته أن يكون له سلطان عليه الا أنت من اليوم فصاعدا . وأن من سيأتى اليك بخصوصه فانى سأجعله يتنحى عنك . وانى سأطهره لك من كل حق ومن كل شىء مهما كان . وحقوقه هى ملكك فى كل مكان تكون فيه . وكل كتابة تكون قدعملت بخصوصه ، وكل كتابة تكون قد عملت لى بخصوصه فهى ملكك بالاضافة المحقوق التى تخولها . والحق المخول لى شرعا باسمه هو حقك . أما اليمين أو الاثبات الذى سيفرض عليك فى ساحة العدل باسم الحق المخول بالكتابة التى عملتها لك لتجعلنى أوديه فأنى سأوديه والبيت المذكور أعلاه ملكك وكل

---

(١) يقصد هنا بالزراع القصبة المصرية وكان مقدارها مائة ذراعا .

شيء يخصني والذي سأحصل عليه . وستدفع لى خمس قطع فضــة أى خمسة وعشرون ستاتر (عملة أيونية) أى مايساوى خمس قطع فضة ثانية لأجل تحنيطى ودفنى .

كتبه « بتسمتو » بن « حور » .

وفى أسفل هذا العقد . صورة كاملة كتبها شاهد .

وعلى ظهر الورقة توقيعات ستة عشر شاهدا .

(٣) عقد نزول عن نفس البيت السابق من عهد الاسكندر الرابع :

التاريخ : السنة العاشرة شهر طوبة من عهد الفرعون « الاسكندر » بن « الاسكندر » (= ٨ مارس سنة ٣٠٧ ق.م.) .

الطرفان : الطرف الأول : نحاس معبد « آمون » « باهى » بن « بآمون » وأمه (هى) « تروباستى » .

الطرف الثانى: كالازيريس (=جندى) معبد «آمون» «بارت» بن«بانوفر» وأمه هى « تارت » .

العقد : لقــد جعلت قلبى يرضى عن النقد ثمنا لبيتى المبنى والمســقوف والواقع فى القسم الشمالى من طيبة غربى حرم معبد الاله « منتو » رب « طيبة » والذى حدوده هى :

جنوبه : البيت المبنى والمسقوف بالاضافة الى بيتك الذى لم يبن بعد .

شماله : بيت « بتحار برع » بن « باكوس » المبنى والمســقوف ملك أولادك ، وشارع الملك يفصل بينهما .

غربه : البيت المبنى والمسقوف بالاضافة الى الساحة التى عند بابه .

شرقه : باقى بيتك المذكور أعلاه الذى مقاسه ٢ ١/٢ قصبة من الأرض أى ما مساحته ٢٥٠ ذراعا من الأرض أى ٢ ١/٢ قصبة من الأرض ثانيــة وهو الذى بعته مقابل نقد لصانع الشمع « شنسو » بن « وزاحور » .

وهذه هى كل حدود هذا البيت .

وقد أعطيتك اياه وهو لك .

الصيغة القانونية : ليس لى أى حق مهما كان عليك باسمه (أى البيت) وليس لأى رجل ولا أنا مهما كان سلطان عليه الا أنت من اليوم فصاعدا وان من سيأتى اليك بخصوصه باسمى أو باسم أى شخص مهما كان فانى سأجعله يتنحى لك عنه . وانى سأطهره لك من كل حق ومن امتياز ومن كل شيء مهما كان فى أى وقت فهو ملكك وامتيازاته فى كل مكان تكون . وكل كتابة قد كتبت بخصوصه وكل كتابة يكون بها حقى مشروعا فانها ملكك بالاضافه الى الحق المخول بها . والحق المشروع لى باسمه هو ملكك واليمين أو الاثبات الذى سيفرض عليك فى ساحة العدل باسم الحق المخول لك بوساطة الكتابة المذكورة أعلاه والتى عملتها لك لتجعنى أؤديها ، فانى سأوديها (أى اليمين) وانى سأوديه دون ادعاء أى حق مهما كان عليك .

كتبه « بتوش » بن « الوج » .

وفى أسفل هذا العقد أربع نسخ شهود وعلى اليسار نسختان أيضا .

وعلى ظهر الورقة ١٦ توقيعا للشهود .

وهذا الاتفاق تابع للتنازل التالى .

(٤) عقد تنازل عن نفس البيت السابق كما جاء فى الورقة رقم ٣ :

التاريخ : السنة العاشرة شهر طوبة من عهد الفرعون « الاسكندر » بن « الاسكندر » (٨ مارس سنة ٣٠٧ ق.م.) .

الطرفان المتعاقدان : الطرف الأول : نحاس معبد آمون « پاهى ؟ بن « بآمون ؟ وأمه هى « ترورباستى » .

الطرف الثانى : كازاليريس (=جندى) معبد آمون «بارت» بن «پانوفر» وأمه هى «بارت» .

العقد : لقد نزلت لك (عن حقى) فى بيتى المبنى والمسقوف وهو الذى فى القسم الشمالى من طيبة فى الغرب من حرم معبد « منت » رب طيبة

والذى حدوده هى :

جنوبه : البيت المبنى والمسقوف وبيتك الذى لم يبن .

شماله : بيت « بتحار برع » بن « باكوس » المبنى والمسقوف ملك أولادك وشارع الملك يفصل بينهما .

شرقه : باقى البيت المذكور أعلاه والذى مقاسه ٢/١ ٢ قصبة من الأرض وهو الذى بعته لصانع الشمع « شنسو » بن « وزاحور » .

غربه : بيتك المبنى والمسقوف بالاضافة الى ساحتك التى عند بابه .

وهذه هى كل حدود هذا البيت المبنى والمسقوف ، والذى اشتريته منى، والذى من أجله عملت لك اتفاقا للبيع فى السنة العاشرة شهر طوبة من عهد الفرعون المخلد أبديا .

الصيغة القانونية : ليس لى أى حق مهما كان عليك باسمه وليس لأى انسان مهما كان ولا أنا القدرة فى التسلط عليه الا أنت من اليوم فصاعدا . وأن من سيأتى اليك بخصوصه باسمى أو باسم أى شخص مهما كان فانى سأجعله يتنحى عنك . ولك الحق على بمقتضى اتفاق البيع الذى عملته لك بخصوص هذا البيت المبنى والمسقوف السابق الذكر فى السنة العاشرة شهر طوبة من عهد الفرعون العائش أبديا ، وعلى أن أعمل بمقتضاه فى أى وقت بخلاف كل شىء ذكر أعلاه دون أى تصادم .

كتبه « بتوش » بن « الوج » .

وفى أسفل هذا العقد وعلى يساره أربع نسخ من هذا العقد .

وعلى ظهر الورقة ١٦ شاهدا .

وهذا التنازل متعلق بالاتفاق السابق .

عقد تنازل عن بيت فى السادسة من عهد «الاسكندر» بن «الاسكندر الاكبر» :

توجد بالمكتبة الوطنية بباريس بردية تحت رقم ٢٤٤٠ مؤرخة بالسنة الثالثة عشرة شهر هاتور من عهد الفرعون «الاسكندر» بن «الاسكندر

الأكبر» . وفيهـا نرى أن حانوتى الآلهة «موت؟ المسـمى «نسخنس» ابن «بتيحور» و «نسخنس» ينزل عن بيت كتابة مقابل نقود الى «نسخنس» ابنة «تيوس» و «تابا» وهو بيت مبنى ومسقوف يقع فى القسم الشمالى من طيبة فى غربى حرم معبد منت رب «واست» (طيبة) وحدوده هى .

جنوبه : بيت «نسخنس» ابنة «بتنفرحوتب» ويفصل بينهما شارع الملك.

شماله : بيت نجار معبد «آمون» «پابا» بن پآمون ، وبيت «بتوكر» ابنة نسحور أى بيتان من جهة الشمال .

شرقه : بيت «تتنفرحوتب» ابنة «افمنخ» ؛ وهو بيت أولاده .

غربه : بيت «أرمايس» بن «بتحار برع» الذى يفصل بينهما شارع الملك.

وبعد هذا العقد الذى بيع فيه البيت بالنقد نجد عقـدا آخر عن تنازل مؤرخ كذلك بشـهر هاتور من السنة الثالثـة عشرة من عهد الفرعـون «الاسكندر» بن «الاسكندر الأكبر» ويحمل فى أوراق اللوفر رقم ٢٤٢٧ . وأسماء الطرفين المتعاقدين فيه موحدان ولكن الصيغتين القانونيتين فيهما تختلفان.

هذا ويلحظ أنه فى نفس عهد الاسكندر الرابع هذا فى السنة السادسة من حكمه شهر أمشير نجد أن ثلاثة أشـخاص (نلحظ بينهم موظف فى معبـد حكمه شهر أمشير نجد أن ثلاثـة أشخاص (نلحظ بينهم موظفا فى معبـد «آمون» يدعى «كلوج» قد نزل فى بردية تؤلف جزءا من مجموعة «هاى» (Hay) فى المتحـف البريطانى لامرأة تدعى «تبوكر» ابنـة «نسخنسى» (ويحتمل أنها نفس المرأة التى ذكرت بين الجيران فى عقد السنة الثالثة عشرة باسم «بتوكر» ابنة «نسخنس») عن بيت ملاصق تماما للذى تحدثنا عنـه هنا وهو يقع فى القسم الشمالى من ««طيبة» فى الغرب من حرم معبد«منت» رب «واست» (=طيبة) وحدوده هى :

الجنوب : بيت نجار معبد «آمون» «پابا» بن «آمون» .

الشمال : بيت نجار معبد «آمون» «بتخنس» .

الشرق : بيت نجار معبد «آمون» «پاپا» بن «آمون» .
الغرب : شارع الملك (١) .

(٦) بردية جنازية : ولدينا بردية جنازية بالخط الديموطيقى لفـرد يدعى «نسمين» عثر عليها فى طيبة وأرخت بالسنة الثالثة عشرة من عهد الفرعون الاسكندر الثانى وجاء عليها اسم هذا الفرعون : كتبت فى السنة الثانيةعشرة الشهر الثالث «كيهك» من عهد الفرعون «الاسكندر» بن «الاسكندر» . ويلحظ هنا فى كتابة اسم الاسكندر أن المخصص الذى جاء فى نهاية الطغراء يدل على أنه من أصل أجنبى .

أما عن التاريخ الذى جاء على هذه الورقة وهو السنة الثانية عشرة فقد اختلفت فيه الآراء ، فيرى كل من الأثرى «بدج» و «اشبيجلبرج» ان سنى حكم «الاسكندر الثانى» قد عدت منذ ولادته أى فى نهاية عام ٣٢٣ ق.م لا منذ وفاة «فليب أريداوس» عمه الذى قتل فى نوفمبر عام ٣١٧ ق.م. ولما كانت قد ذكرت هنا السنة الثانية عشرة فانها على ذلك تكون أما فى نهـاية ٣١٢ ق.م. أو بداية سنة ٣١١ ق.م. ويتفق مع هذا الرأى «مولر» (٢) .

وعلى ذلك فان لوحة الشطربة «بطليموس» التى سنتحدث عنها بعد وهى التى أرخت بالسنة السابعة من عهد «الاسكندر الثانى» لابد أن توضع فى عام ٣١٧ أو ٣١٦ ق.م. أى فى بداية الحكم الحقيقى لهذا الملك الصبى ، هذا الى أن ورقة «هاى» المحفوظة بالمتحف البريطانى والمؤرخة بالسنة السادسة لا بد أن تؤرخ بالسنة ٣١٨ أو ٣١٧ ق.م وكذلك البردية رقم عشرة المحفوظة بمكتبة «ريلاندز» وقد أرخت بالسنة الثانية من حكم هذا الفرعون ، لا بد أن توضع فى السنة ٣٢٢ أو ٣٢١ ق.م أى فى عهد كان فيه «فليب أريداوس» ملكا ، وكانت الآثار المصرية لا تعرف ملكا غيره وتنكر «الاسكندر» الصغير.

---

(١) راجع Revillout, Revue Egyptologique, Tom. I. PP. 3-4.
(٢) راجع M.G. Moller Aegyptische Paleographie, III, PP. 9-10.

فهلا يكون من المعقول فى هذه الحالة أن نعترف بأن آثار «الاسكندر» الثانى قد أرخت من أول توليه عرش مقدونيا بوصفه الملك الوحيد أى منذ موت «فليب» وأن وظيفة التأريخ هذه قد استمرت فى مصر بعد موته حتى اللحظة التى أعلن فيها «بطليموس» شطربة مصر ملكا على أرض الكنانة أى فى نهاية السنة ٣١٧ ق.م حتى نهاية السنة ٣٠٥ أو بداية ٣٠٤ ق.م ؟ وفى هذه الحالة فان السنة الثانية عشرة من عهد «الاسكندر» الثانى تقابل السنين ٣٠٦-٣٠٥ والكسر فى السنة الثالثة عشرة الذى نجده فى كثير من الأوراق البردية الديموطيقية يقابل الشهرين الأخيرين من السنة ٣٠٥ ق.م وشهر يناير من سنة ٣٠٤ ق.م. وهذا الرأى معقول جدا من الوجهة المصرية وذلك لأنه بعد وفاة «الاسكندر» الثانى ظلت البلاد بلا فرعون ، وهذا ما لم يعترف به المصريون بأية حال من الأحوال ولذلك أرخوا بفرعونهم المتوفى الذى كان يعد فى نظرهم الها حيا يعبد الى أن يحل محله آخر ، فكان مثله فى ذلك مثل «حور» و «أوزير» ومن ثم نفهم اصرار المصريين فى هذه الحالة على التأريخ بعهد الاسكندر على الرغم من موته الى أن يحل محله فرعون آخر . وهذا الحادث الذى كان يعد فى نظر الاغريق وقتئذ وفى نظرنا الآن أمرا غريبا كان فى نظر المصرى القديم يعتبر أمرا عاديا .

(٧) لوحة الشطربة «بطليموس» المؤرخة بالسنة السابعة من عهد «الاسكندر» الثانى(١) فرعون مصر

هذه اللوحة نقش عليها منشور أصدره «بطليموس» شطربة مصر فى عهد «الاسكندر الثانى» فرعون مصر ليحتفل بعودته من حملة موفقة فى «مرمريقا» (لوبيا) ، وكذلك ليرضى الآلهة والكهنة فى مصر وذلك بتثبيت الهبات التى منحها «الاسكندر الثانى» لالهة «بوتو» بعد أن كانت قد انتزعت منهم ،

---

(١) يعد هذا الملك «الاسكندر الثانى» بالنسبة لفراعنة مصر « والاسكندر الرابع » بالنسبة لملوك مقدونيا .

وكان الملك «خباباشا» قد وهبها لهذه الآلهة عندما تسلم مقاليد الأمور فى مصر بعد طرد «الفرس» ، ولكنه لما عزل ثانية استولى عليها «الفرس» من الكهنة ويعتبر الملك «خباباشا» آخر ملك تولى عرش الكنانة قبل دخـول «الاسكندر» مصر . وهذه اللوحة مؤرخة بالسنة السابعة شهر توت . وقد عثر عليها مبنية فى جامع شيخون بالقاهرة عام ١٨٧٠ ميلادية وهى محفوظة الآن بالمتحف المصرى وقد تناولها بالبحث عدد كبير من الأثريين والمؤرخين وذلك لأهميتها العظيمة (١).

واللوحة مصـنوعة من الجرانيت الأسود وشـاهد فى اعلاها منظران احدهما مثـل فيه الفرعون يقـدم قربانا «لحور» رب مدينـة «ب» ومن الجهة الأخرى يقدم قربانا للآلهة « بوتو » سيدة مدينتى « ب » و « دب » .

وهاك نص المتن بوصـفه صدر فى عهد الفرعون «الاسـكندر الثانى» فرعون مصر الذى لم تطأ قدماه أرض الكنانة والذى لم يره أحد من المصريين على أغلب الظن .

السنة السابعة (أى فى السنة السابعة من حكم الفتى «الاسكندر الرابع» عند وفاة «فليب أريداوس» . الشهر الأول من فصل الفيضان فى عهد جلالة حور الفتي-والغنى فى شجاعته والسيدتان (المسمى) محبوب الآلهـة الذين منحوه وظيفة والده حور الذهبى (المسمى) حاكم الأرض طرا ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى رب الأرضين (حعع-ابـرع-ستبـ-ىـامن) بن

(١) راجع Mariette Monuments Divers, Pl. 14 et texte Maspero P. 3, Brugsch A.Z. IX, 1871, P. 1 ff, Thesaurus, P. 853; Sethe, Hieroglyphische Urkunden der Griechische-Romischen Zeit, P. 11-22; Cf. Mahaffy, Greek Life and thought, p. 180-192; The Empire of the Ptolemies, p. 44-47: History of Egypt, p. 38-41; Budge, History of Egypt, P. 169-174 ; Bouche-Leclerq, Histoire des Lagides I, P. 104-108, Maspero Guide du visiteur, Ed. 1915, P. 199-200, No. 795 ; Bevan, A History of the Ptolemaic Dynasty, P. 28-32.

رع «الاسكندرية» عاش أبديا محبوب اله «ب» و «دب» ، لما كان جلالته ملكا على الأراضى الأجنبية فى قلب «آسيا» كان «بطليموس» نائبا عظيما له فى مصر.

وكان رجلا فى زهرة الشباب، قوى الساعدين ، ذكى الفؤاد، عظيم البطش بين الناس ، شديد البأس ، ثابت القدم مقاوما العاصى ، لا يولى الادبار ، ضاربا خصمه فى وجهه فى وسط المعركة . وعندما كان يقبض على قوسه فانه لم يرسله من بعيد على منازله ، وكان حربه بالسيف ، لم يقف أحد أمامه فى وسط المعمعة ، وبسبب قوة ساعده لم يكن هناك وقاية من يده ، ولم يكن هناك مرد لما يخرج من فيه ، ولم يكن هناك مثيله فى عالم الأجانب ، وقد أعاد ثانية تماثيل الآلهة التى وجدت فى «آسيا» ، وكل الأثاث وكتب المعابد فى شمال مصر وجنوبها أعادها الى أماكنها ، وقد اتخذ مقره فى قلعة ، «الاسكندر» المختار من «رع» : وتسمى «الاسكندرية» على شاطىء البحر الأيونى العظيم ، وكان اسمها فيما سبق «رقودة» وقد جمع كثيرا من الأيونيين والفرسان والسفن الكثيرة العدد ببحارتها عندما سار مع رجاله الى أرض «السوريين» الذين كانوا فى حرب عليه فاخترق أراضيهم وكانت شجاعته هائلة كالصقر فى وسط طيور صغيرة . وبعد أن أسرهم جميعا ، أخذ أمراءهم وفرسانهم وسفنهم وأعمالهم الفنية الى مصر ، وبعد ذلك عندما غزا قطر مرمريقا (سيرينى) واستولى عليها دفعة واحدة ساق رجالها أسرى ونساءها وخيلها ـ جزاء ما ارتكبوه الى مصر .

وعندما عاد الى مصر احتفل بيوم جميل ، وكان هذا الوالى العظيم يبحث عن أجل شىء ليعمله لآلهة الوجه القبلى والوجه البحرى، ثم تحدث اليه الذى كان بجانبه وكبار أرض الوجه البحرى قائلين: « ان أرض البحر ـ أرض «باتانوت» اسمها ـ قدمنحها الملك بن رع «خباباشا» العائش أبديا لآلهة «ب» و «دب» بعد أن كان قد ذهب جلالته الى «ب» و «دب» لأجل أن يفحص كل أراضى البحر فى أقليمها ، ويسير فى داخل المستنقعات ليفحص كل فرع

للنيل يصب فى البحر العظيم ويبعد أسطول « آ سيا » عن « مصر » ثم تكلم جلالته (أى « خباباشا ») لمن كان بجانبه : « دعنى أعرف أرض البحر هذه » فتحدثوا الى جلالته قائلين :«أن أرض البحر هذه (تسمى أرض باتانوت) كانت ملك آلهة « ب » و « دب » منذ الزمن الأزلى . وأن العدو «أكزركزس» قد اغتصبها ولم يترك شيئا منها لآلهة «ب» و «دب» . فقال جلالته يجب أن يحضر أمامه كهنة «ب» و «دب» وحكامها فأحضروا بسرعة ، ثم تحدث جلالته قائلا : أنبئونى عن صفة آلهة «ب» و «دب» وما الذى فعلوه للكفار بسبب الأعمال الآثمة التى ارتكبها عندما رأى الخاطىء «اكزركزس» قد عمل سوءا لبلدتى «ب» و «دب» وانتزع أملاكهما » . فتحدثوا أمام جلالته : (أيها الملك ياسيدنا «حور» بن «أزيس» وابن «أوزير» حاكم الحكام وملك ملوك الوجه القبلى وملك ملوك الوجه البحرى المنتقم لوالده سيد «ب» ، وأول الآلهة وآخرهم ، ومن لا بعده ملك . أطرد المسيىء «اكزركزس» مع بكر أولاده جاعلا اياه ظاهرا فى بلدة «نيت» و«سايس» فى ذلك اليوم بجانب الأم الالهية) وعندئذ تكلم جلالته : « أن هذا الاله القوى بين الآلهة ومن لا ملك بعده سيكون الطريق لجلالتى ، وانى أقسم بذلك » . وبعد ذلك تحدث الكهنة وحكام «ب» و «دب» : « (اذا) ليت جلالتك تأمر بأن تمنح أرض البحر (وتسمى أرض «باتانوت») لآلهة «ب» و «دب» بالاضافة الى خبز وشراب وثيران وطيور وكل شىء طيب ، وليت تجديد الهبة يسجل باسمك بسبب فيضك على آلهه «ب» و «دب» جزاء «على فضل أعمالك» .

وهذا النائب العظيم تحدث : (فليكتب منشور فى ادارة كتاب الملك للمالية كما يأتى : «أنا «بطليموس» الشطربة أعيد لحور المنتقم لوالده رب «ب» ووالى «بوتو» سيدة (ب» و «دب» أقليم «باتانوت» من هذا اليوم الى الأبد مع كل قراه وكل بلدانه وكل سكانه وكل حقوله وكل مياهه ، وكل

ثيرانه وكل طيوره وكل قطعانه وكل الأشياء التى تنتج فيه كما كانت قبل ذلك الوقت ، بالاضافة الى كل ما كان قد أضيف منذ ذلك الوقت على سبيل الهبة التى وهبها الملك رب الأرضين «خباباشا» العائش أبديا وليكن حدها الجنوبى اقليم بلدة «بوتو» والشمالى بلدة «هرموبوليس» حتى المكان المسمى «تاونبو» ، وليكن حدها الشمالى التلال التى على شاطىء البحر العظيم ، وليكن حدها الغربى منحنى النهر حتى التلال ، وليكن حدها الشرقى مقاطعة «سمنود» وستكون عجولها (محصولا) للصقور العظيمة وثيرانها لمحيا الآلهة «نبتاوى» وفحولها للصقور العائشة والبانها للطفل الفاخر ، ودواجنها لمن فى «شات» الذى حياته فى نفسه. وكل الأشياء التى تستخرج من تربتها تكون لمائدة قربان «حور» نفسه رب «ب» و «بوتو» ، ورئيس «رع حرمخيس» ، أبديا . وأن الأرض التى منحها الملك ــ فى امتدادها ــ رب الأرضين وصورة «تانن» والذى اختاره «بتاح» بن «رع» «خباباشا» العائش أبديا ، وهى هبة منه وقد جددت بوساطة هذا النائب العظيم لمصر «بطليموس» لآلهة «ب» و «دب» أبديا ومكافأة على هذا الذى عمل ليته يمنح نصرا وقوة بقدر ما يرغب فيه قلبه حتى أن الخوف منه يمكن أن يستمر بين كل الأمم الأجنبية الموجودة اليوم . أما فيما يخص أرض «باتانوب» فان أى شخص سيجسر على أخذ شىء منها ليته يقع تحت طائلة لعنة أولئك الذين فى «ب» وتحت سخط أولئك الذين فى «دب» ، وليته يلتهم بلهيب نفس الآلهة «اوبتاوى» فى يوم ثورانها وليت ابنه أو ابنته لا يقدم له ماء » .

وستتحدث عن محتويات هذا النص عند الكلام على أعمال بطليموس الأول:

(٨) الفنتين : وجد اسم الاسكندر الثانى على البوابة الكبيرة المصنوعة من الجرانيت فى «الفنتين» وهذه البوابة ليس لها خارجة وتوجد فى الجزء

الجنوبى من جزيزة الفنتين (١) .

وهاك ما جاء فى هذه البوابة :

ملك الوجه القبلى والوجه البحرى رب الأرضين (حعع — اب — رع — ستب — نى — امن = فرح القلب المختار من أمون) ابن «رع» رب التيجان «الاسكندر» معطى الحياة .

٩- بولاق : وجد فى حى بولاق بالقاهرة قطعة حجر ضخمة من الجرانيت محفوظة الآن بالمتحف المصرى عليها اسم هذا الفرعون (٢) ، وهاك النص الذى ورد عليها : . . . . . وظيفة والده حور الذهبى (المسمى) حاكم البلاد طرا ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى رب الأرضين (حعع — اب — رع — ستب — نى — امن) العائش مثل «رع» أبديا ابن «رع» رب التيجان (الاسكندر بن ....) » والمحتمل أن الكسر الذى جاء فى الطغراء كان فيه كلمة «آمون» وذلك لأن والده كان يدعى أنه ابن «آمون» .

١٠ - سمنود : قطعة من الجرانيت عليها صورة الفرعون «الاسكندر الثانى» عثر عليها فى «سمنود» ، جاء عليها : (رب) الأرضين (حعع — اب — رع — ستب — نى آمون ؟ » (رب التيجان) الاسكندر (٣) .

١١ - سمنود : وكذلك عثر على قطعتين من الجرانيت فى « سمنود » جاء على احداها : «ابن رع الاسكندر» ، وعلى الأخرى لقبه : (حعع — اب — رع — ستب — نى — أمن) الاسكندر (٤) .

١٢ - سمنود : وفضلا عما سبق وجدت كذلك قطعتان من الجرانيت فى

(١) راجع L.D. IV, A.B. & C. = L.D. Texte IV. P. 123 ; J. De Morgan Catal. Monum. et Inscr. Egypt. Antique I, P. 109-112. Cf. Budge History VII. P. 168-169.

(٢) راجع Journal D'entrée, No. 43978 ; A.S. XII, P. 286.)

(٣) راجع (L.D. Texte. P. 221

(٤) راجع (A.S. VII. P. 90.

سمنود جاء على الأولى ملك القطرين (الشاب عظيم البأس) ملك الوجه البحرى والوجه القبلى رب الأرضين (حعع — اب — رع — ستب — نى سن) بن «رع» رب التيجان (الاسكندر) معطى الحياة ؛ وملك الوجه القبلى والوجه البحرى ، الاسكندر . ويلفت النظر فى هذا النقش أن اسم الوجه البحرى قد جاء قبل اسم الوجه القبلى على خلاف المعتاد فى كل النقوش فى هذا العهد وما قبله .

هذا وقد مثل على القطعة الثانية الملك أمام الاله «انحور — شو» بن «رع» سيد «سمنود» ، وهو اله حرب فى تلك الفترة وماقبلها منذ عهد الكوشى فى مصر (١) .

ونقش على الثانية : ملك الأرضين (الشاب) ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « الاسكندر» (٢) .

١٣ ـ تمثال الاسكندر الثانى : يوجد بالمتحف المصرى تمثال ضخم ارتفاعه ٢٫٨٠ مترا مصنوع من الجرانيت الأحمر عثر عليه فى الكرنك وهو محفوظ الآن بالمتحف المصرى . وهذا التمثال يمثل ملكا مقدونيا ، والمتفق عليه بوجه عام أنه يمثل «الاسكندر» الثانى وذلك على الرغم من أن هذا الملك قد مات فى الحادية عشرة من عمره (٣) .

(١٤) المتحف البريطانى : وأخيرا يوجد بالمتحف البريطانى طابع من البرنز (B. M. No. 38333) جاء عليه ملك القطرين (حعع—اب—رع) وقد نسبه

---

(١) راجع مصر القديمة الجزء الحادى عشر ص ٤١٠ .

(٢) راجع (A.S. XI, P. 92.

(٣) راجع Maspero, Guide du Boulaq. P. 380-381 ; J. De Morgan-Virey, Notice des principaux Monuments de Gizeh, No. 308 ; Archeologie Egyptienne, Nouv. Ed. P. 240, Bevan, A History of Egypt under the Ptolemaic Dy. P. 29. Fig. 8).

الأثرى «هول» خطأ «للاسكندر الأكبر» كما قرأه خطاء أيضا . والواقع أنه « للاسكندر الثانى » (١) .

(١) راجع Hall. Catal of Egyptian Scarabs etc., in the British Museum Vol. I, P. 285, No. 3746.

الفرعون بطليموس الأول سوتر




بطالميس   ستب–نى–رع–مرى–امن

على الرغم مما لدى الباحثين فى تاريخ البطالمة من مصادر اغريقية كثيرة فانه لا تزال بعض المسائل يشوبها الغموض والابهام والسبب فى ذلك قلة التواريخ الأكيدة وبخاصة فى عهد «بطليموس» الأول ، يضاف الى ذلك أن الفترة التى سبقت عهد بطليموس فى العهد الفرعونى كانت ولا تزال موضع جدال ونقاش بين المؤرخين . والواقع أن تحديد تاريخ وثائق ديموطيقية من عهد «بطليموس» الأول يعد من الأمور المعقدة بسبب صعوبات التأريخ فى هذا العهد ، وربما تحل هذه الصعوبات بدورها عندما نعثر على براهين جديدة من الوثائق الديموطيقية . والحوادث التاريخية التى تهمنا هى الاعتراف ببطليموس سوتر فرعونا على مصر . ثم نزوله عن العرش لابنه «بطليموس» الثانى (أو كما يسمى حديثا «فيلادلفس» وذلك لأن هذا اللقب لم يطلق عليه قط مدة حياته بل هو اسم اخترعه المؤرخون للتمييز بينه وبين والده بطليموس الأول فقد كان كل منهما يدعى بطليموس وحسب) أو تنصيبه لبطليموس ابنه شريكا له فى الملك ثم موته .

ولأجل أن تتتبع خيوط هذا الموضوع المعقد يجدر بنا أن نرجع الى الوراء بعض الشىء أى منذ موت «الاسكندر الرابع» . والواقع أن أحدث وثائق عن «الاسكندر» الرابع (الذى كان قد أصبح حكمه للبلاد بعد قتله فى عام ٣١١ ق.م اسطورة) اثنتان مؤرختان بالسنة الثالثة عشرة شهر هاتور = ٦

يناير ــ ٤ فبراير (١) . هذا ويقال بوجه عام أن «بطليموس الأول» قد اتخذ لنفسه لقب الملك عام ٣٠٥ ق.م ، ولكن لما كان من غير الجائز أن يستمر الكتاب المصريون فى تأريخ وثائقهم بعهد «الاسكندر الثانى» بعد موته فمن المحتمل اذاً أنه قد تولى عرش الفراعنة فى عام ٣٠٤ق.م ، هذا ويدل «قانون» «بطليموس» الجغرافى الذى يجعل مدة حكم الاسكندر الثانى اثنتى عشر سنة، على أن «بطليموس» الأول قد أصبح فرعونا فى خلال السنة المصرية ٧نوفمبر سنة ٣٠٥ ــ ٦ نوفمبر سنة ٣٠٤ ق.م ، يضاف الى ذلك أن كلا من «ديدور الصقلى » و « بروفيرى » و « مارمور ــ باريوم » (Marmor-Parium) يجعل السنة ٣٠٥ ــ ٣٠٤ ق.م. وفق حساب كل منهما بداية حكم « بطليموس الأول »

وتدل شواهد الأحوال على أن « بطليموس » الأول قد توج فرعونا على مصر بالاسم وبالفعل عام ٣٠٤ ق.م ، ولكن فى الوقت نفسه نجد أن وثائق اغريقية قد أرخت بنظام مزدوج أى بسنة تتويج «بطليموس» ملكا وبسنة ولايته شطربة على مصر . وذلك أنه فى عام ١٩٠٦ ميلادية عثر على ثلاث برديات اغريقية مؤرخة على التوالى بالسنين ٤٠ ، ٤١ شهر ارتميزيوس (Artimesius) و ٤١ شهر هيبربراتايوس (Hyperberataios) ، وعلى ذلك نجد هنا أن الكتاب الاغريقيين فى «الفنتين» كانوا يحسبون سنىحكم «بطليموس» بوصفه ملكا على مصر منذ أول توليته شطربة على مصر فى عام ٣٢٣ ق.م أى فى السنتين المصريتين ٣٢٤ ــ ٣٢٣ ق.م أو ٣٢٣ ــ ٣٢٢ ق.م، لا منأول التاريخ ٣٠٥ ــ ٣٠٤ ق.م أى عندما أعلن نفسه فرعونا رسميا على أرض الكنانة . وعلى حسب هذه القاعدة اذا فان الوثيقة التى كتبت فى عام ٣٠٥ ــ ٣٠٤ ق.م. قد أرخت على حسب طريقة التأريخ اليونانى بالسنة

(١) راجع Pap. Demot. Louvre 2427, 2440. Cf. Gauth. IV. P. 209).

٢٠ أو ١٩ من عهد «بطليموس» الأول ، وعلى ذلك يكون «بطليموس» قد حسب بداية حكمة من ٣٢٤ — ٣٢٣ ق.م ، ولكن الأثرى «روبنسون» يقول: أنه لما كانت سنو حكم «فليب اريداوس» و «الاسكندر الرابع» قد استعملت فى تأريخ كثير من الوثائق حتى عام ٣٠٦ — ٣٠٥ ق.م (والواقع حتى عام ٣٠٥ — ٣٠٤ ق.م) فانه لا توجد وثيقة من عهد «بطليموس الأول» بأقل من عام ١٩ من حكمه دون أى تخصيص آخر غير اسم «بطليموس» اذا فلا بد أن تكون من عهد بطليموس آخر بعده (١) .

وعلى ذلك فان هذه النظرية تحرم «بطليموس سوتر» من كل الوثائق الديموطيقية التى تنسب اليه عادة الا وثيقتين مؤرختين بالسنة الواحدة والعشرين من حكمه ، ولكن مما تجب ملاحظته هنا فى الحال أن هذهالوثائق الديموطيقية قد وزعت على السنين من ٤ — ٢١ من حكم «بطليموس الأول» وأنه فى العام الواحد والعشرين من حكمه (وذلك على حسب قانون «بطليموس» الذى يقدر سنى حكم هذا الفرعون بعشرين سنة كاملة) قد نزل «بطليموس الأول» لابنه «بطليموس الثانى» (أو أشركه معه فى الحكم)وعلى ذلك توجد وثائق مؤرخة حتى السنة الأخيرة من حكمه منفردا (ولكن ليس بعد هذا التاريخ) هذا اذا فرضنا أنه عد سنى حكمه على عرش مصر منذ اللحظة التىأصبح فيها ملكا عام ٣٠٤ ق.م ، وعلى ذلك فانه اذا اجتمع فى وثيقة واحدة الالقاب التامة التى كانت تميز بطليموس الأول ، هذا بالاضافة الى تحديد تاريخ خط الوثيقة وسياق متنها وظهر أن جميعها يتمشى مع ما نعرفه عن عصر البطالمة المبكر فان أية وثيقة من أى سنة حتى عام ٢١ على الأقل لا بد أن تؤرخ بعهد «بطليموس سوتر» وهذا ما يتعارض مع نظرية «روبنسون» السالفة الذكر . وهذا الرأى الأخير هو ماذهب اليه الأستاذ

O. Rubensohn, Elephantine - Papyri (Berlin 1907), 2-4 : Cf. Hibeh 84; Glanville Catalogue of Demotic Papyri. P. XVI.

جلانفيل (١) . وعلى أية حال فانه على حسب نظام التأريخ المزدوج نجد أن لقب الملك «بطليموس» قد حل محل لقب الشطربة «بطليموس» وهذا معناه تجاهل حكم كل من «فليب أريداوس» و «الاسكندر الرابع» . ولكن فى مصر التى كانت تتمسك بحكم الفرعون نجد أن الكاتب المصرى الذى كان يدون وثائقه بالديموطيقية قد رفض قبول نظام التأريخ السالف الذكر ، فحسب ملكية «بطليموس الأول» من يوم وضعه تاج الفراعنة على رأسه فعلا ، ومن ثم أصبح لدينا الظاهرة الغريبة وهى كما قلنا وجود نظامين التأريخ يستعملان جنبا لجنب فى زمن واحد وهما يختلفان الواحد عن الآخر بثمانى عشرة سنة . ومن المحتمل أنه يوجد بعض الاغريق الذين كانوا يسكنون القرى المصرية قد استعملوا التأريخ على حسب النظام الديموطيقى وذلك مجاراة للاغلبية المصرية التى تسكن الارياف التى ليس فيها الا نفر قليل من الاغريق ، ولدينامثال عن ذلك وهو النقش الذى كشف عنه الاثرى الايطالى «فوليانو» فى مدينة «ماضى» من أعمال الفيوم (٢) . ويؤرخ بالسنة الثانية والعشرين من شهر بشنش من عهد «بطليموس سوتر» وتدل قراءته على أنه على أغلب الظن يفضل أن يؤرخ بعام ٢٨٣ ق.م وذلك لأن مجرد استعمال الشهر المصرى وحده دون ذكر ما يقابله فى التأريخ المقدونى — وهذا أمر غريب جدا — لا يكاد يصدق فى التأريخ المبكر من عهد البطالمة.

تاريخ اشتراك بطليموس الثانى مع والده بطليموس الأول

وفى تاريخ ٢٥ أو ٢٦ من شهر «دبستروس» (المقدونى) أى حوالى مارس — أبريل من عام ٢٨٥ ق.م. أشرك «بطليموس سوتر» ابنه معه فى عرش ملك مصر وبعد ذلك بنحو عامين مات «بطليموس سوتر» تاركا لابنه العرش منفردا . هذا ولا نعلم على وجه التأكيد الى أى حد جرد «بطليموس الأول»

---

(١) راجع Glanville, Ibid. P. XVII.

(٢) راجع Primo Rapporto degli scavi di Madinet, Madi, 23).

نفسه من سلطان الملك فى عام ٢٨٥ ق.م . فانه اذا كانت كلمات المؤرخ «بروفيرى» (١) توحى بأن «بطليموس الأول» قد نزل عن ملك مصر نزولا كليا فان كل الوثائق الاغريقية والديموطيقية توضح أن «بطليموس سوتر» حتى نهاية حياته كان الملك الوحيد على عرش مصر . وبعد وفاته عزم ابنه «بطليموس الثانى» على أن يؤرخ زمن حكمه منذ السنة التى اشترك فيها مع والده فى الملك .ومن ثم نرى أن سنى حكم الأخير قد أرخت نهائيا على هذا الزعم؛ غير أن هذا النظام قد صادف فى أول الأمر معارضة شديدة وبخاصة فى القرى وبين كتاب الديموطيقية . ولدينا مثالان مؤكدان يثبتان ذلك أحدهما اغريقى والآخر ديموطيقى عن توليه الحقيقى لعرش الملك عند موت والده (٢) (حيث نجد مناقشة تأريخ السنة الثالثة عشرة ٢٥ أمشير على احدى اللوحات الهيروغليفية) . ويميل المؤرخ « سكيت » (Skeat) الى الرأى القائل أن عددا عظيما من الأوراق الديموطيقية من العهد المبكر من حكم «بطليموس الثانى» قد أرخ من زمن موت «بطليموس الأول» وبخاصة ورقة « فيلادلفيا » التى تحدث عنها الأثرى « ريخ » (٣) . وهذه الورقة مؤرخة بالسنة الثالثة شهر طوبة من عهد «فيلادلفس» «بطليموس الثانى» ؛ واذا حسب أول اشتراكه مع والده «بطليموس الأول» فلا بد أن تكون قد كتبت فى مارس ٢٨٢ ق.م وذلك حينما كان من الجائز أن «بطليموس الأول» لايزال على قيد الحياة ، وعلى حسب النظام الآخر فان التأريخ يرجع الى مارس سنة ٢٨٠ ق.م. ولكن فى معظم الحالات يكون من المستحيل أن يقرر الانسان أى النظامين قد استعمل . ومن المحتمل أنه فيما يخص معظم الوثائق الاغريقية وعلى وجه التأكيد كل الوثائق الرسمية كان

(١) راجع Frag. 7 § 1 Muller.

(٢) راجع P. Eleph. 5; Cf. Beloch. op. cit. IV, II, 170; C.C. Edgar in Mond & Meyers The Bucheum II, P. 29.

(٣) راجع Reich Mizraim II, P. 17, No. X.

تأريخها من أول اشتراك الملكين فى الحكم هو النظام المتبع منذ البداية.

وهكذا نرى أنه على الرغم مما أوردناه هنا من منافشات فى تاريخ تولى «بطليموس الأول» الحكم وتاريخ وفاته فان المسألة لا تزال تحتاج الى وثائق جديدة تميط اللثام بصورة واضحة عن حقيقة الأمر .

ونعود بعد ذلك الى عهد تولى « بطليموس الأول » عرش ملك أرض الكنانه بوصفه فرعونا مستقلا فى ملكه على غرار فراعنة مصر فى عهودها القديمة .

والواقع أنه منذ عام ٣٠٤ ق.م كان «بطليموس الأول» فرعونا لمصر ويمثل السلطة الالهية التى كان يتحلى بها الفراعنة القدامى ، ولكن على الرغم من أن «بطليموس» لم يتوج فعلا فرعونا لمصر فى عام ٣٠٥ ق.م فانه كان كما ذكرنا قد أفهم الشعب أنه ملك مصر منذ موت « الاسكندر الأكبر » عام ٣٢٣ ق.م.

والآن يتساءل المرء كيف أصبح «بطليموس» فرعونا شرعيا على مصر مع أنه كان لا يجرى فى عروقه الدم الالهى بوصفه ابن «رع» أو ابن «آمون»؟. وكل مانعرفه عنه فى بداية حياته أنه ولد حوالى عام ٣٦٧ ق.م. فى مقدونيا وكان أبوه يدعى «لاجوس» وأمه تدعى «أرسنوى» وقد نفاه الملك «فليب الثانى» ملك مقدونيا والد «الاسكندر الأكبر» عام ٣٣٧ ق.م. بسبب ماكان بينه وبين الاسكندر من ود وصداقة ، ولكن بعد موت «فليب» اسرع «الاسكندر» الى اعادته الى البلاط . ولا نعلم اذا كان قد رافق«الاسكندر» فى حملته على مصر أو لا كما لا نعرف اذا كان قد عرف أرض الكنانة قبل أن يعينه المجلس الحربى الذى عقده قواد «الاسكندر» بعد موت الأخير شطربة على مصر ، وعلى أية حال فقد رأيناه فى خلال حروب «الاسكندر» قد أظهر شجاعة عظيمة ومهارة فائقة كما أبدى مقدرة ممتازة فى حكم البلاد المصرية من عام ٣٢٣ ق.م حتى عام ٣٠٥ بوصفه شطربة .

و لواقع أن ما لدينا من مصادر أصيلة قد أغفلت ذكر تتويج «بطليموس الأول» على الطريقة المصرية ، غير أن شواهد الاحوال تدل دلالة واضـحة لا لبس فيها ولا ابهام على أنه كان قد توج فرعونا . ولا بـد أن نعلم أن بطليموس الأول نفسه كان على علم تام ألا سبيل لحكم البلاد المصرية دون أن يسير على نهج ملوكها القدامى وبخاصة عندما تتأكد أن مصر كانت تلفظ أى فاتح أجنبى لا يدين بدينها ويتعبد لالهتها ، وعلى ذلك فان «بطليموس» لا بد كان قدتوج فى «منف» بمعبد الاله «بتاح» الذى كان يتوج فيه كل ملوك مصر منذ فجر التاريخ ، ومن ثم أصبح ملكا شرعيا على أرض الكنانة غير أن بنوته لآمون لم تصل الينا فى عهده بل سنرى ذلك فى عهد ابنه وخلفه « بطليموس الثانى » الذى جعله فى صف الملوك الشرعيين على مصر على غرار «الاسكندر الأكبر» .

حالة البلاد المصرية عند تولى بطليموس حكمها

عندما فتح «الاسكندر الاكبر» البلاد المصرية كانت الاحوال فيها مضطربة بسبب الحروب الطاحنة التى كانت قائمة بينها وبين الامبراطورية الفارسية منذ زمن بعيد . وقد كان الشعب المصرى يتوق للخلاص من يد «الفرس» بأية حالة من الأحوال ولذلك نرى أنه عندما دخل «الاسكندر» أرض الكنانة لم يجد مقاومة ما . ولم يكن يدور بخلد المصريين أنهم سيصبحون خاضعين لحكم المقدونيين وسيطرتهم وبخاصة أن الشعب المصرى كانت له نظمـه وتقاليده الخاصة التى ترجع الى آلاف السنين ، وقد بقى محافظا عليها فى وجه كل مغتصب أو فاتح مهما كانت قوته وجبروته ، ولذلك فان موضوع أحتلال مصر وصبغها بالصبغة الاغريقية قد لاقى مقاومة عنيفة وجهدا جبارا .

وقد كان فلاح البطالمة فى بادىء الأمر محدودا ، ولم يلبث الشعب المصرى كما سنرى بعد أن اشتدت مقاومته فاسترد قوته وحارب المسـتعمر حتى اضعفه الى حد كبير .

والواقع أن الاغريق بقوا فى مصر غرباء بين جمهور الشعب المصرى الكثير العدد الى أن انتهى به الأمر أن هضم الدخلاء وكاد يفنيهم فيه لولا تدخل الرومان فى آخر لحظة .

ولقد كان على «بطليموس الأول» فى بادىء حكمه أن يواجه مصاعب جمة فى بلد له تقاليده القوية ومدنيته المكينة المنظمة ودينه العريق وحياته الاجتماعية الثابتة فكان عليه أن ينظم هذه الأوضاع على أسس جديدة ومبادىء جديدة على حسب سياسة اغريقية . ولا نزاع فى أن هذه الأسس وهذه المبادىء التى كان يرمى الى ادخالها «بطليموس» كان مرجعها الى الأحوال الجديدة التى كانت سائدة فى الشرق فى خلال القرن الرابع بسبب ماحدث فى بلاد الاغريق مصدر الحضارات العالمية وقتئذ من نكسة وانهيار سياسى انتابها مما جعل المواطنين الاغريق على تمام الاستعداد للرحيل من بلادهم لأى مكان آخر يطيب لهم فيه العيش بعد أن ضاقت عليهم بلادهم وقلت ارزاقها . وقد رأينا فيما سبق أن الاغريق كانوا راغبين فى الذهاب الى مصر التى رحبت بهم فأقاموا فيها وبخاصة فى العهد الساوى حيث أسسوا لأنفسهم مستعمرة هناك واندمج كثير منهم فى سلك الجيش المصرى من المرتزقين . وقد ساعدوا ملوكها على قهر الاشوريين وطردوهم من أرض الكنانة ، وقد ازداد عدد الوافدين الى مصر من بلاد الاغريق بدرجة عظيمة مابين عامى ٤٠٤ و٣٤١ ق.م وذلك عندما كانت مصر مستقلة عن الحكم الفارسى ، وفى تلك المدة أخذت مصر تهىء نفسها لنظام جديد ، وذلك أن ما بذلته من جهود للمحافظة على استقلالها قد اضطرها الى الدخول فى حظيرة دول القرن الرابع التى نشأت من امبراطورية «الاسكندر الأكبر» ، وتربط نفسها برباط قوى مع العالم الاغريقى الذى كان يناهض «الفرس» اعداء مصر الالداء ، ومعنى ذلك أن «بطليموس الأول» كان يريد أن يصبغ مصر فى داخليتها بالصبغة الهيلانية بما فيه مصلحتها . وقد سبقت مصر ملوك البطالمة فى هذا الاتجاه بدرجة

كبيرة فى عهد فراعنة مصر خلال الأسرتين التاسعة والعشرين والثلاثين . ذ فرى مصر فى تلك الفترة قد فتحت أبوابها على مصاريعها فى تلك الفترة للجنود الاغريق المرتزقين وللتجار الاغريق بسبب الحاجة اليهم . غير أن فراعنة مصر لم يفلحوا فى الوصول الى حل يوفق بين هؤلاء المحاربين الاغريق والسكان المصريين الوطنيين ؛ فقد كان المصريون لايطيقون بقاء الاغريق فى بلادهم كما كانوا لا يريدون النزول لهم عن شيء من حقوقهم .

يضاف الى ذلك أنه كان هناك أمر آخر يحدد سياسة «بطليموس» فى مصر ، وذلك أن مصر كانت جزءا من امبراطورية «الاسكندر» القصيرة العمر ؛ وكان «بطليموس بن لاجوس» قد حكمها مدة عشرين سنة بوصفه شطرية باسم الادارة الرئيسية التى كانت فى الواقع فى قبضة أحد قواد الاسكندر . وقد رأينا أن هذه المدة كانت مليئة بالحروب والاضطرابات فى كل انحاء الامبراطورية بين حكام الاقاليم التى كانت تنقسم اليها الامبراطورية. وقد كان «بطليموس» فى وسط هذه المعمعة يعمل جهده كما رأينا ليثبت مركزه فى مصر وتكوين جيش واسطول قويين لا لحماية مصر وحسب بل كذلك ليقوم بنصيبه فى حروب الامبراطورية . ومع ذلك فانه أخذ فى انشاء جيش واسطول قويين ليكونا تحت تصرفه وكان ذلك له بمثابة حياة أوموت. وقد نجح فى تكوين قوة عظيمة تحت تصرفه ؛ وقد بقيت الحال كذلك حتى بعد موقعة «اسوس» عام ٣٠١ ق.م .وقد ظهر بعدها توازن فى القوى الدولية التى قامت وقتئذ فى العالم الهيلانستيكى ، أى أنه تقرر نظام سياسى فى أنحاء الامبراطورية المنحلة الى دول كان الضمان الوحيد فيه لاستقلال أى قطر هو القوة الحربية والاستعداد العسكرى . وكان الجيش الوحيد الذى يمكن «بطليموس» أن يعتمد عليه وهو فى مأمن كان لابد أن يؤلف من الجنود المرتزقين من المقدونيين والاغريق بقيادة ضباط مدربين على فنون الحرب لاغريقية وتقاليدها ، ولا غرابة فى ذلك فان تفوق مثل هذا الجيش الفنى قد

برهنت على أهميته حملات «الاسكندر» التى فتح بها العالم وكذلك ظهرت براعة الجنود الاغريق فى الحروب التى شنها اخلافه من بعده بعضهم على بعض . وفضلا عن ذلك فان مهارة هؤلاء الجنود المرتزقين كانت من قبل بارزة فى حروب اليونان مع «الفرس» قبل حروب « الاسكندر » . والواقع أن فرق الجنود الشرقيين لم يكونوا مدربين تدريبا كافيا كما أنهم لم يكونوا موالين لأى ملك أجنبى حتى يجعلهم عماد قوته أو معادلين للمقدونيين والاغريق كما أنه لايمكن أن يعتمد عليهم كلية حتى يستغنى عن الجنود الاغريق .وربما كان من الممكن «للاسكندر» الذى يعد السيد المسيطر على امبراطوريته العالمية أن يدرب جنودا من «الفرس» على فنون الحرب المقدونية ليتغلب بهم على مقاومة المقدونيين والاغريق ، وبذلك يحصل على امتزاج شعوب ومدنيات ، غير أن «الاسكندر» كان قد مات ، على أثر ذلك صارع أخلافه الى شن الحروب بعضهم على بعض ، ولم يجسر واحد منهم على أن يواجه تلك التجربة الطويلة الخطرة ويؤلف جيشا من الجنود الوطنيين وعلى ذلك كانوا مجبرين على الاعتماد على جيوشهم المؤلفة من الاغريق والمقدونيين لأجل أن يضمنوا خدمة أمينة وواردا من الجنود لا ينقطع سيله فى مقابل اعطاء عساكرهم مكانة ممتازة لهم وحياة آمنة فى الحرب والسلم . ولعمرى فان هذه الطريقة كانت متبعة فى الجيش المصرى وقد تحدثت عنها المتون المصرية وبخاصة فى عهد رعمسيس الثانى عندما أشار الى ذلك فى موقعة «قادش» وهو يخاطب جنوده (راجع مصر القديمة الجزء السادس ص ٢٥٥) بما يشعر أنه كان قد خصص لهم املاكا ، وقد كان الملوك المقدونيون فى حاجة المال لحفظ كيان ممالكهم ، وقد كانت المبالغ الضخمة التى تتطلبها سياسة الحرب وقتئذ فى مصر لايمكن أن يحصل عليها من البلاد وحدها وبخاصة أن معظم اقتصادها كان يرتكز على محاصيلها الطبيعية ، وكان لا بد لاعانة نظامها الاقتصادى وتوجيهه من معونة رجال من الاغريق الماهرين ،ولم يكن ذلك ممكنا الا بجلب

رؤوس اموال اغريقية ورجال أعمال اغريق . ومن الطبيعى أن هؤلاء كانوا لا يرضون بمكانة أو حقوق متواضعة تجعلهم مع المواطنين المصريين على قدم المساواة ، ومن ثم نجد أن «بطليموس الأول» قد فطن لذلك واضطر الى فتح أبواب مصر على مصاريعها للجنود المرتزقين والمدنيين من الاغريق على أن يضمن لهم بطرق منوعة امكانيات الحياة فى مصر بالأسلوب الذى يحفظ لهم الافضلية والسيادة على المواطنين المصريين الأصليين .

وقد كانت «الاسكندرية» وهى العاصمة الجديدة مركز التأثيرات الجديدة التى قامت على أرض الكنانة . فقد كان يسكن فيها الملك وبلاطه وحرسه وضباط جيشه ووزراؤه كما كان يعمل فى «الميوزيوم» والمكتبة جنبا لجنب عظماء رجال الفكر من الاغريق وبخاصة الفلاسفة والعلماء والكتاب ليضعوا أسس عصر جديد فى العلوم والآداب . يضـاف الى ذلك أن الامكانيات التجارية العظيمة التى كانت تمتاز بها الاسكندرية قد اجتذبت اليها أفواجا من التجار الاغريق والصناع فى حين أن نمو هذه المدينة بوصفها المركز الاقتصادى لمصر قد خلق فيها طبقة متوسطة من الشعب ومن صغار التجار والصـناع وما شاكل ذلك ، هذا الى وجود طبقة دولية معظمهـا من الاغريق، غير أن «بطليموس الأول» حينما فتح أبوابه للاغريق والمقدونيين فانه واخلافه من بعده لم يغلقوها فى وجوه الأقوام الآخرين، ولا أدل على ذلك من أنه قـد ظهر فى الاسكندرية مجتمعات من المهاجرين من الشرق نخص بالذكر منهم السوريين والأناضوليين وفى مقدمة الكل اليهود الذين يعتبرون فى تكوينهم الاجتماعى أنهم لا يختلفون كثيرا عن الاغريق والمقدونيين ؛ أضف الى هؤلاء أن العنصر المصرى كان فى ازدياد مع مر الأيام ، وكذلك العبيد الذين أسروا فى الحروب أو جلبوا من «آسيا» و «افريقيا» وسنرى بعـد كيف كانت «الاسكندرية» عاصمة البطالمة مؤلفة من خليط من اجناس منوعة .

أما أهل ريف مصر (القرى) فكانوا مزيجا من الاجناس فمنذ عهد «بسمتيك»

الأول مؤسس الأسرة السادسة والعشرين فى مصر قد وفد الى أرض الكنانة جماعات من الاغريق واستوطنوها وبعد ذلك اسسوا لهم مدنا اغريقية نخص بالذكر منها نقراش و «برتوريم» (مرسى مطروح) كما استوطن بعضهم المدن الكبيرة مثل منف وطيبة . وبعد فتح مصر على يد «الفرس» وفد الى مصر اعداد متزايدة من اليهود والسوريين وكذلك الجماعات التى كان يطلق عليها لفظة «فرس» وكانوا يعملون جنودا وموظفين وجباة وغير ذلك .وعندمادخل «الاسكندر» مصر ازداد تدفق الأجانب على البلاد وقد أقيمت حاميات من الجنود الاغريق والمقدونيين فى النقط الدفاعية الرئيسية فى البلاد ،وفى الوجه القبلى اسس «بطليموس سوتر» مدينة «بطليمايس» لتضارع مدينة «طيبة» القديمة كما كانت «الاسكندرية» تضارع مدينة «منف» .وقد توطن فى انحاء مصر كما سنتحدث عن ذلك بعد جنود من الاغريق كان لكل منهم قطعة أرض يملكها . هذا وقد ظهر فى طول البلاد وعرضها موظفون اغريق ومقدونيون فى حين أنه استوطن فى المدن الصغيرة والقرى فئات من التجار واصحاب الحرف والفلاحين الاغريق والشرقيين .

وعلى أية حال يجب أن نلحظ هنا أن كل هؤلاء السكان من الأجانب لم يكونوا بطبيعة الحال الا مجرد الجزء العلوى من المبنى الذى يمثل السكان عامة ، أما الأساس فكان لايزال كما كان من قبل فى كل عصور التاريخ وعلى الرغم من كل الغزوات الاجنبية ، يتألف من السكان الوطنيين أهل البلاد . ومما يؤسف له جد الأسف أننا لا نعلم شيئا عن مصير الطبقة الارستقراطية فى مصر بعد الفتح الاسكندرى لمصر فقد سكتت عنها كل المصادر التى وصلت الينا حتى الآن ولكن من جهة أخرى نعلم أن المعابد قد ظلت مراكز للحياة الدينية فكانت تعج بالكهنة العديدين كما أن نظمها بقيت ثابتة الأركان وكذلك أسلوب حياتهم التقليدى الذى يرجع الى آلاف السنين فقد ظل كما هو ؛ وعلى الرغم من أن الاحصاءات تعوزنا فان البلاد كانت فى يد الفلاحين الذين كانوا

يسكنون فى آلاف من القرى ، كما أن الحرف والمتاجر فى المدن قد بقيت فى يد مئات من طوائف الصناع والتجار . هذا ولا بد أن عدد السكان فى الفترة الأولى كان يعد بالملايين ، والمهاجرين يعدون بالآلاف .هذا وقد كان للمواطنين الأصليين تقاليد ثابتة فى الحياة ، فى حين كان المهاجرون الذين انتزعوا من اوطانهم لم يكن فى مقدورهم أن يبنوا لأنفسهم نظاما جديدا فى مركزهم الجديد وأحوالهم الجديدة الا على مهل وببطء وحزم . والواقع أن المسألة الأساسية التى واجهت «بطليموس الأول» عند بداية حكمه هى أن ينظم من جـديد مملكته الشرقية الجديدة على قواعد جـديدة غريبة مع مراعاة أن المصريين كانوا متمسكين بتقاليدهم الموروثة ، وكذلك كان عليه أن يراعى مشاعر رعاياه الجدد وميولهم .وقد وفدوا على مصر من كل حدب وصوب؛ وكذلك كان عليه أن يذكر دائما أن الحصن الرئيسى لحكمه وعماد سياسته لم تكن العناصر الوطنية بل كانت طبقة الحكام الجدد الذين بثهم فى انحاء القطر ليكونوا أداة لتنفيذ سياسته ، واعنى بهؤلاء الاغريق والمقـدونيين والاجانب الآخرين. وسنرى فيمابعد كيف أن المصريين على الرغم من خضوعهم فى بادىء الأمر لعمال البطالمة فانهم بعد مدة هبوا بانتفاضة جبارة كان من جرائها أنهم أجبروا ملوك البطالمة على الاذعـان لارادة الشعب والخضوع لمشيئته ، وليست هذه هى المرة الأولى فى تاريخ أرض الكنانة بل سبقتها مواقف مشرفة للشعب المصرى أظهر فيها أنه جدير بماضيه الفاخر .

تلك كانت حالة البلاد المصرية عندما توج «بطلبموس الأول» فرعونا عليها وسنرى فيما يأتى ما قام به من أعمال تحدد موقفه فى التاريخ المصرى لهذه الفترة .

النزاع بين « بطليموس » الأول « وانتيجونوس »

« أنتيجونوس » يزحف على مصر :

كان «انتيجونوس» يعتقد أن بعدانتصاره فيموقعة «سلامبس» أو(سلامين) واختيار الشعب له ملكا على البلاد التي يحكمها ، سيكون هو الملك الذي يخلف «الاسكندرية» ومن أجل ذلك صمم على أن يخضع كل مناهض أو معارض في أمنيته من حلفائه أو اعدائه . وقد كان أول من ناصبه العداء وأعلن نفسه ملكا هو «بطليموس الأول» ، وذلك على الرغم من الهزيمة المنكرة التي هزمها في «رودس» . فلما رأىذلك «انتيجونوس» أخذ يعدالعدة لغزو مصر على نطاقضخم جبار.وليس لدينا مصادر عن حملة «انتيجونوس» على مصر الا ما رواه لنا ديدور (١) فقد ذكر لنا أن جيش «انتيجونوس»كان يتألف من أكثر من ثمانينألف مقاتل من المشاة وأكثر من ثلاثة وثمانين فيلا، وكان يقودها هو بنفسه . أما أسطوله فكان يتألف من مائةوخمسين سفينة حربية ومائة سفينة نقل محملة بآلات الحصار ، كانت بأمرة « ديمتريوس » ابنه ليهاجم «بطليموس» العنيد الذي أراد أن يناهض من هو أشد منه بأسا وأعظم قوة . ولم ينس «انتيجونوس» أنه سيقطع صحراء جرداء ليصل الى الحدود المصرية.ولذلك فانه لما وصلجيشه الذيجمعه في مدينة «انتيجونيا» (وقد سميت باسمه ــ من أعمال سوريا) الى «غزة» ، أمر جنوده على حسب ماروواه «ديدور» بأن يحملوا معهم من الزاد مايكفي عشرة أيام ، هذا اليأنه حمل على ظهور الجمال التي قدمتها له عرب الصحراء ١٣٠٠٠٠ ميدم (Midime) من القمح وكمية كبيرة من العلف للحيوان . وعلى الرغم من

(١) راجع Diod. XX, 73.

هذا العتاد الضخم فان الحظ لم يكن فى جانب «اتتيجونوس» ، وذلك لأنه كان يريد الاسراع بضرب «بطليموس» ضربة مفاجئة قبل أن يأخذ لنفسه الحيطة والعدة . ويرجع ذلك الى أن الوقت الذى انتخبه لم يكن ملائما اذ وصل الى الحدودالمصرية فى مستهل فصل الفيضان أى فى الوقت الذىكانت فيه معظم أراضى القطر المصرى مغمورة بالمياه مما جعل مرور الجيش داخل البلاد المصرية من أشق الأمور برا ؛ يضاف الى ذلك أن البحر فى هذه الفترة كان هائجا عاصفا ، وهذا هو نفس الخطأ الذى وقع فيه جيش «الفرس» فى عهد «نقطانب» الأول عندما أرادوا غزو مصر وحال بينهم وبين مقصدهم ماء الفيضان (١) وعلى ذلك فان «اتتيجونوس» بعد أنواصل السير فىمستنقعات الساحل بمشقة بالغة اضطر الى الوقوف بسبب اعتراض فرع النيل البلوزى له ، وكان يعد سدا أبديا هيأته الطبيعة لحماية أرض الكنانة . أما أسطول الغزاة فقد لحقت به خسارة كبيرة بسبب هبوب الرياح عليه باستمرار فى تلك الفترة من السنة ، وكانت خسارته ظاهرة فى سفن النقل عند ساحل « رفح » . هذا الى أنه وصل متأخرا فى النقطة التى كان سيرسو عندها أسطوله ، ومن ثم لم يقم بما كان ينتظر منه القيام به ، وقد زاد الطين بلة أن جنود «اتتيجونوس» المرتزقين قد أخذوا فى الفرار من معسكره الى معسكر «بطليموس» الذى أغراهم بأجر أكبر مما يعطيه عدوه ، ومن أجل ذلكاضطر «انتيجونوس» الى التقهقر الى «سوريا» فى الوقت المناسب خوفا من أن يلاقى ما لاقاه «برديكاس» من قبل . وقد كانا متفقين فى أطماعهما . ولا ريب فى أن هذا التقهقر قد قضى على سمعة «انتيجونوس» الحربية كما قلل من نصره فى موقعة «سلامين» . وعلى أثر هذا الفشل الذى لحق «باتتيجونوس» أسرع « بطليموس » فى نقل هذا الخبر الى كل من « سيلوكوس »

(١) راجع مصر القديمة الجزء الثانى عشر ص ٩٢

و « ليزيماكوس » و « كاسـندر » بصورة ماهرة اذ أنبأهم أن هزيمـة « انتيجونوس » كانت ساحقة ، هذا فضلا من أن جيشه قد أغرى بالمال كما حدثنا بذلك ديدور (١) . هذا وقد شتتت العاصفة أسطوله عنـد الفرع البلوزى ، ثم عند الفرع الفاتنيتى الذى أراد الدخول فيهما الى قلب مصر ، ثم لحقت به أخيرا عاصفة أخرى عندما أراد العودة الى «بلوز» وهو المكان الذى لم يتمكن فيه من اقتحام طريق فى أول الأمر . وأخيرا اضطر الىالعودة بعد أن جمع مجلسه الحربى الذى قرر العودة الى «سوريا» .

أراد «انتيجونوس» بعد هذه الخيبة المشينة أن ينتقم من أهالى «رودس» الذين لم يقبلوا الانضمام الى جانبه قبل موقعة «سلامين» (أوسلاميس) . وكانت «رودس» بحكم موقعها البحرى لا ترغب فى الانحياز الى أحـد المتحاربين بل كانت تريد الحياد . حقا أنها ساعدت «انتيجونوس» فى عام ٣١٥ ق.م فى بناء سفن حربيـة له ولكنها فعلت ذلك من الوجهـة التجارية وليس بوصفها محاربة ، والواقع أنها كانت تورد سـفنا لكل الممالك على السواء . وقد رأى أهل «رودس» أنه ليس فى صالحهم قط أن يسـاعدوا «انتيجونوس» على«بطليموس» جارهم وبخاصة أنمفتاح تجارةالاسكندرية فى يده (٢) وقد طلب «انتيجونوس» الى أهالى «رودس» أحد أمرين : أما أن يدفعوا له غرامة أو الحرب . وقد كان أمرا مفهوما أن أهل هذه الجزيرة الصغيرة لا يمكنهم الوقوف فى وجه ملك «آسيا» الجبار . وقد كان أول عمـل قام به ضد أهل هـذه الجزيرة الصغيرة أنه منعها أن تـاجر مع «الاسكندرية» كما أمر بالقبض على سفنها التى تمر بينها وبين «الاسكندرية» . ولكن لما كان أهل «رودس» قد دربوا منذ زمن بعيد على حماية سفنهم من قرصان البحر ، فانهم دافعوا عن أنفسهم ، وقد عد «انتيجونوس» هـذا

(١) راجع Diod. XX, 74-76.
(٢) راجع Diod. XX, 81.

الدفاع عن النفس بمثابة اعلان حرب عليه من جانب أهل «رودس» . ومن ثم أرسل «انتيجونوس» ابنا «ديمتريوس» للقضاء على «رودس» . ولكن لما رأى أهل «رودس» ذلك قبلوا التحالف معه على «بطليموس» ، غير أن هـذا التحالف لم يرض «انتيجونوس» اذ طلب «دبمتريوس» من أهـل «رودس» مائة رجل رهينة ، كما طلب دخول ميناءهم دون قيد ولا شرط ، ولكن هذه المطالب لم ترض أهل «رودس» وعزموا على الدفاع عن بلادهم بكل قوة وشجاعة . وهكذا بدأ حصار الجزيرة فى الشهر الأول من عـام ٣٠٥ ق.م. وقد بقى حوالى سنةوانتهى بصلحشريف بفضلعناد «انتيجونوس» وقد تحدث المؤرخون كثيرا عن حصار «رودس» كما تحدث الشـعراء عن حصار «طروادة» ولا أدل على ذلك مما حدثنا به ديدور (١) .

وفى اثناء هذه الحـرب طلب أهالى «رودس» الى كل من «بطليموس» و «ليزيماكوس» و «كاسندر» النجـدة ، غير أنهم كانوا وقتئذ فى شـغل شاغل بأمورهم الخاصة . والواقع أن «بطليموس» كان يخشى الدخول فى حرب مع «انتيجونوس» فيعيد بذلك مأساة قبرص . وعلى الرغم من ذلك فإنه أمد أهل «رودس» ببعض الرجال والمال والأغذية ، وكان «بطليموس» يرى أن هذه الحربفى صالحه ،غير أنه كانيخشى عاقبتها على أهل«رودس» . ولكن بفضل توسط أهـل «اينوليا» ونصيحة «بطليموس» لأهـل هذه الجزيرة قبلوا أن يقدموا مائة رجل رهينة كما طلب «انتيجونوس» ، وأن يكونوا حربا على كل من يعاديه الا «بطليموس» . وبذلك خرجت «رودس» من هذه الحرب لا لها ولا عليها . وقد أظهر أهل «رودس» اعترافهم بالجميل لكل من ساعدهم فى هـذه الحرب فأقاموا تمثالا لكل من « كاسـندر » و «ولزيماكوس» اذ كانا قد ساعداها بصـورة ثانوية ، أما «بطليموس»

---

(١) راجع (Diod. XX, 81-89

الذى ساعدهم كثيرا فانهم على ما يقال أرسلوا الى «لوبيـا» يطلبون من وحيهـا اذا كان فى مقدورهم أن يمجدوا «بطليموس» بوصفه الهـا ، وقد أجابهم الوحى بالموافقة وعلى ذلك خصصوا مكانا معينا قائما بذاته سموه «بطليماون» (Ptolemaeon) (١) . ومن المحتمل أنهم هم الذين منحوه لقب المخلص «سوتر» بهذه المناسبة عام ٣٠٤ ق.م (٢) .

وتدل شواهد الأحوال على أن «انتيجونوس» وابنه «ديمتريوس» ولم يفكا حصار هذه الجزيرة الا اضطرارا وذلك لأنه كانت هناك احداث جسام فى بلاد اليونان نفسـها تسـتدعى حضورهما فقـد ضربها كل من «كاسـندر» و «ليزيماكوس» مما دعا «انتيجونوس» الى الاسراع لنجدتها ومعه ابنه . ففى عام ٣٠٧ ق.م دخل «ديمتريوس» هذه البلاد دخول المخلص لها ، غير أنه منذ ذهابه المفاجىء الى قبرص أصبحت بلاد اليونان عرضـة لهجمات «كاسـندر» وأصـبحت محاطة من كل جانب بقـواته (٣) . وكان على «ديمتريوس» أن يأتى لمساعدتها ، ومن أجـل ذلك فانه لم يكد ينتهى من الصلح مع «رودس» حتى نزل بجيشه فى أوليس (Aulis) ومعه أسطول قوامه ٣٣٠ سفينة وقوة من الجنود عظيمة فطرد «كاسندر» من «هيلاد» ثم ذهب الى «أثينا» ليستمتع بالنصر الذى ناله بسـهولة . وهناك أراد أن ينتظر عودة الربيع ليقوم بتحرير بلاد «البلوبونيز» .

---

(١) راجع Diod. XX, 99.
(Pausan. I, 8, 6

ولكن يقال أن الفضل الاول فى جعل «بطليموس» يعبد بوصفه الهـا يرجع الى نقش نقشه خلف جزر «سيكلاد» (راجع Mechel. No. 373 التى كانت قد وضع عليها حمايته فى عام ٣٠٨ ق.م. واذا كان الاهـداء الذى عملته «ارسنوى» حدث فى السنين التى بـين ٣٠٨ و٣٠٦ ق.م فان بطليموس لابد قد لقب فعلا «الاله المخلص» قبـل ان يفقد سـلطانه على ايجه بهزيمتـه فى «سلاميس» وقبل أن يحمل لقب فرعون مصر (راجع Bevan, Ibid. P. 51.

(٣) راجع Bouché-Leclerq I, P. 79, note 1.

رأى «بطليموس» فى هذه اللحظة أنه لا فائدة تعود عليه من حماية المدن التى كان يسيطر عليها فى بلاد اليونان ، والظاهر أنه نزل عن «كورنثه» لـ «كاسندر» ، أما الحامية التى تركها فى «سيسيون» فقد دافعت بعض الوقت محافظة على كرامة جنودها ، وانتهى الأمر بأن سمح لقائد هذه الحامية بالعودة بها الى مصر (١) وقام بعد ذلك «ديمتريوس» الى «البلوبونيز» وانتزعها كلها من يد «كاسندر» و «بوليبرشون» ، عام ٣٠٣ ق.م ، ومن ثم أعاد «ديمتريوس» حلف «كورنثة» وأعلن نفسه قائدا أعلى عليه . وقد عثر على نقوش فى «ابيدور» (Epidaure) يحتمل أنها تحفظ ذكريات هذا الحادث وهى تفسر بعض الشىء نظام هذا الحلف للامم الهيلانستيكية (٣٠٤—٣٠٣ق.م.) بعد ذلك أعلن «ديمتريوس» أنه سيشعل نار حرب عوان على «كاسندر» فى العام المقبل ، وقد كان «كاسندر» يعلم أن ذلك لم يكن من باب التهديد الأجوف . ولذلك أخذ فى اعداد جيش عرمرم وكذلك كسب الى جانبه ملك «ابيروس» حليفا وتزوج من ابنته . وقد هال هذا الأمر «كاسندر» ولذلك أراد أن يتفاوض مع «انتيجونوس» ، غير أن الأخير لم يقبل أية مفاوضة الا الاذعان التام (٢) ، ولما لم يجد فائدة من جانب «انتيجونوس» ، بدأ يفهم «لزيماكوس» أن تراقيا سيكون مصيرها مصير مقدونيا ، ومن ثم اسرع الاثنان بارسال مبعوثين لكل من «بطليموس» و «سيلوكوس» . وقد تألف من كل هؤلاء حلف لمنازلة «انتيجونوس» الأعور فى حرب كان مصيرها الحياة أو الموت (٣) .

ولم يشترك «بطليموس» فى هذه الحرب الحاسمة بل اكتفى بأن يراعى مصلحته المباشرة ، فكان دوره فيها دور المترقب ينتظر الوقت الذى يمكنه

(١) راجع (Diod. XX, 102
(٢) راجع (Diod. XX, 106
(٣) راجع Diod. Ibid. Justin XV, 2, 15, 4.1)

فيه غزو «سوريا» وبعبارة أخرى كان ينتظر اضـــطرار «لزيماكوس» الى الذهاب الى شمال آسيا الصغرى مما يجعله يخلى «سوريا» . وقد حانت له الفرصة وانقض على «سوريا» واحتلها ، غير أنه لم يكد يسمع شائعة أن انتيجونوس قـــد انتصر حتى أخلاها فى الحـــال وعاد أدراجه ، ولكـــن لم يلبث أن علم أن هذه الشائعة كانت كاذبة . وقد أراد بطليموس أن يستر فعلته التى أظهرت جبنه وخوره ، فادعى أن ما فعله كان تنفيـذا لخطة مرسومة. وعلى أية حال فانه لم يتحرك من مصر وترك حلفاءه يقومون باعباء الحرب دون اشتراكه معهم ، ولاشك فى أن هذا يكاد يعد خيانة من جانبه ، وذلك فضلا عن أن خطته كانت فاشلة. أما «أنتيجونوس» فقد ظن أنه أصبح فى استطاعته أن يقبض على «ليزيماكوس» الذى جازف بالذهاب بجيشه الى آسيا الصغرى قبل أن ينضم اليه حليفه «سيلوكوس» . والواقع أنه وجد نفسه فى مركـــز غاية فى الحرج عندما وجـــد «ديمتريوس» قد دعى من «تســـاليا» ليقطع مواصلاته مع أوربا ولكن «ليزيماكوس» بحركة ماهرة تفادى منازلة عدوه القوى حتى وصل «سيلوكوس» لنجدته . وقد كان تحت أمرته جيش جبار بالاضافة الى ٤٨٠ فيلا مدربة على الحرب وصلت اليه هدية من الهنـــد وعسكر فى «كابودوشيا» (١) . وقد كان على الحلفاء أن يجتمعوا فى مكان واحد . وفى ربيع عام ٣٠١ ق.م. كان جيشا «سيلوكوس» و «ليزيماكوس» مجتمعين يبلغان حوالى ثمانين الف مقاتل ، وقد زحف هذا الجيش الى أواسط «فرجيا» . ومما يؤسف له جد الأسف أننا لا نعرف على وجه التأكيد موقع «أيسوس» وهو المكان الذى دارت فيه رحى المعركة ، وكل ما نعرفه أنه فى بلاد «فرجيا» ، يضاف الى ذلك أننا لا نعرف تأريخا وقعت فيه الواقعـــة بالضبط ، ولكن نعلم فقط أن الهزيمة كانت منكرة . ولا شك أن فى هذه

---

(١) راجع (Diod. XX, 113

الواقعة كانت الفاصلة فى النزاع الذى دار بحد السيف فكان من نتائجها أن «أنتيجونوس» الذى لم يقبل أن يكون له مناهض قد سقط فى ميدان القتال صريعا مدفونا فى هزيمتـه فى حين أن ابنه «ديمتريوس» ولى هـاربا الى «أفيسوس» (١) ، ولم يبق له بعد هذه الهزيمة الا أسطول «قبرص» التى اتخذها مقرا لجيشه ، وقد كان فى استطاعة «ديمتريوس» بعد هذه الهزيمة بما بقى من أسطوله أن يصبح قرصان بحر يخشى بأسه . غير أنه لم يعد بعد ملكا حتى للاثينين الذين اغلقوا بابهم فى وجه هذا الاله الذى سقط من عليائه.

بطليموس و« سوريا » بعد موقعة « أسوس »

كان من الطبيعى الا يطمع «بطليموس» فى شىء من الغنمية التى كسـبها حلفاؤد نتيجة لموقعة «أسوس» وفعلا قد قسمت الغنيمة دون حضـوره ولم يمنحه حلفاؤه لا «قبرص» ولا «فنيقيا» كما كان المتفق عليه ، أما بلاد «كول «سوريا» (وهى الجزء الواقع بين «لبنان» وما خلفها بما فى ذلك «دمشق» ونهر «الأردن» الأعلى) بما فى ذلك المدن التى وضع فيهـا «بطليموس» حامياته فقد كانت من نصيب «سيلوكوس» ، ولكن «بطليموس» احتج على ذلك وادعى أن هذه البلاد من حقه بمقتضى شروط المعاهدة التى أبرمها مع حلفائه قبل قيام الحرب ، ولكن الحلفاء من جانبهم أنكروا عليه ذلك ، لأنه لم يقم بأى عمل ايجابى أثناء الحـرب مع «أنتيجونوس» بل على العكس أظهروا له أنه كان أشبه منه بالخائن لهم لا حليفهم ، غير أن «بطليموس» لم يلتفت الى ذلك لأنه كان فى حاجة الى اعادة قوته وتثبيت سلطانه وبخاصـة سيادته البحرية التى كانت قد أفلتت من يده .

وعلى ذلك وجدناه قد استولى على بلاد «سوريا» التى منحها الحلف لسيلوكوس . وقد كاد عمل «بطليموس» يفسد ما بينه وبين صديقه القديم

(١) راجع (Plut. Demetr. 29

«سيلوكوس» . ومنذ وقوع هذا النزاع بين الأسرتين نجد أنه امتد أمــده حتى نهاية عهد البطالمة تقريبا . والواقع أن التاريخ يعيد نفسه فقد كانت بلاد «سوريا» كما تحدثنا عن ذلك من قبل تتنازعها مصر والممالك القوية التى كانت تنشأ بجوارها طوال العهد الفرعونى. وعلى أية حال نان «سيلوكوس» لم يكن فى مقدوره أن ينسى الصداقة التى كانت بينه وبين «بطليموس» وأن الأخير قد ســاعده على انشاء دولتــه فى «بابل» ومن أجــل ذلك اكتفى «سيلوكوس» بادعائه ملكية «سوريا» وحسب الى أن يأتى الوقت المناسب لأخذها ، اذا اقتضت الأمور بالقوة . ومنذ تلك اللحظة أخذ كل منهما يبحث عن حلفاء له استعدادا لما عساه أن يحدث فى المستقبل ، فأخذ «بطليموس» يعمل على مصداقة كل من «كاسندر» و «لزيماكوس» وكانت أول بادرة فى هذا السبيل أن «الاسكندر» بن «كاسندر» تزوج من «ليسندرا» ابنــة «بطليموس» و «اريديكى» ، وفى الوقت نفسه نجد أن ملك «تراقيــا» (لزيماكوس) سرح زوجه «أماستريس» ملكة «هيراكليس» ليتزوج من ابنة «بطليموس» «برنيكى» وكانت لا تزال فى حداثة سنها ، ومن جهة أخــرى نشاهد «سيلوكوس» يخطب الأميرة «ستراتونيس» ابنة «ديمتريوس» عام ٣٠٠ ق.م ، وهذا التحالف قد ثبت من جديد مركز الأخير بعد هزيمتــه فى موقعة «أسوس» ، وذلك لأنه كان قد فقد نفوذه فى بلاد اليونان ، وكانت «أثينا» أول مدينــة أعلنت حيادها . وقــد قابل سفراؤها الملك فى جــزر «سيكلاد» وأحضروا له زوجه ديداميا (Deidameia) وسفنه ، وأعلنوه أن «أثينا» قد أغلقت أبوابها فى وجهه . والواقع أن هذه كانت ضربة بالنسبة «لديمتريوس»، ولكنه لما أصبح عزيز الجانب بما نشأ بينه وبين «سيلوكوس» من محبة ومصاهرة فكر فى امكان بناء دولة قوية من جديد فى «آسيا» وذلك بشن حرب على «ليزيماكوس» وقد كان أول عمل قام به انه فرض رهينة على رعايا «لزيماكوس فى «كرسونيس» (Chresonese) ، وبعد ذلك اشتبك

مع أخ «كاسندر» المسمى «بليستراكوس» (Pleistrachos) حــاكم «كليكيا » ولم يكن فى استطاعة أخيه أن يمد له يد المساعدة بصورة جدية (٢٩٩ ق.م) . والظاهر أن «كاسندر» قد أغمض عينه بتأثير من أخته «فيلا» امرأة «ديمتريوس» وقد كانت تمثل زوجها الذى كان منهمكا فى مشــاكل «آسيا» الصغرى مما جعله يتحول منذ زمن بعيد عن شئون بلاد الاغريق. وقد احتفــل بزواج «سيلوكوس» من «ستراتونيس» ابنــة «ديمتريوس» و «فيلا» فى مدينة «روسوس» (Rhossos) فى «سوريا» ويقــول بعض المؤرخين ان «ديمتريوس» قد اشــتبك فى حرب مع «بطليموس» كان من نتائجها انتزاع «سماريا» ويحتمل كذلك «سوريا» الجنوبية باجمعها ، غير أن ذلك لم يثبت بصورة قاطعة . هذا وكان «سيلوكوس» يخشى أن تصبح الحرب عامة ومن أجل ذلك حاول عقد صلح مع «ديمتريوس» و«بطليموس» فى أواخر عام ٢٩٩ ق.م ، وقد كان السبب الذى حدا به الى ذلك أنه كان يخشى أنه اذا مات «كاســندر» أن يغرى ذلك «ديمتريوس» على انشــاء امبراطورية فى بلاد الاغريق ومقدونيا . وقد كان من بين شروط المعاهدة التى ابرمت بينهم أنيصبح«الاسكندر» (ربيب «ديمتريوس» ــ وقد كان مقدرا له أن يموت فى مصر) وكذلك «بيروس» بن «بطليموس» وحماه (وكان قد طرد من أبيروس عام ٣٠٢ق.م.) بمثابة رهينة ، وكذلك اتفق على أن يتزوج «ديمتريوس» من «بطليمايس» وهى أميرة مصرية . وقد كانت هذه المعاهدة فرصة أمام «بطليموس» ليحفظ لنفسه الحق فى أن يتدخل فى شئون أوربا وضد ممالكها القوية ، ومن أجل ذلك عقــد حلفا مع «أجاتوكليس» ملك «سرقوسة» الذى تزوج مناحدى بناته المسماه «تيوكزينا» .

تلك كانت الحالة السياســية فى مصر على وجه التقريب عندما مــات «كاسندر» عام ٢٩٧ ق.م غير أن طمع «ديمتريوس» أخذ يعكــر الجو من جديد فقد علم للاطراف الأخرى أنه أخذ يستعد للحرب بـ .يش جباروأسطول

عظيم لم يسمع بمثلهما من قبل منذ عهد «الاسكندر» ، فأسرع كل من «ليزيماكوس» و «سيلوكوس» و «بطليموس» الى عقد تحالف بينهم من جديد انضم اليه «بيروس» الذى كان يعتبر «بطليموس» الأول والده . وقد كان من حسن حظ الحلفاء أنه قبل أن يخرج أسطول «ديمتريوس» من الموانى التى صنع فيها ، كان أسطول مصرى يمخر عباب البحر تجاه ساحل بلاد الاغريق يدعو الهيلانيين الى محاربة «ديمتريوس» ، وفى الوقت نفسه قام «لزيماكوس» بغزو بلاد «مقدونيا» من الشمال كما هاجمها «بيروس» من الغرب . وبهذه المفاجآت حدث مالم يكن فى حساب «ديمتريوس» ، فكان من جراء ذلك أن تخلى عنه أهالى مقدونيا الذين أغضبتهم تصرفاته الاستبدادية ، ومن ثم نجده على حين غفلة قد خلع عن عرشه وحل محله «بيروس» عام ٢٨٧ ق.م ، غير أن ذلك لم يكن الا مؤقتا ، لأن «ديمتريوس» كان لا يزال تحت تصرفه جيش صغير بقيادة ابنه «انتيجونوس» جوناتاس» . وقد حافظ به على سلطانه فى بلاد الاغريق ، وقد كانت بلاد «تساليا» أو على الأقل مدينة «ديمترياس» لا تزال فى قبضته ، يضاف الى ذلك أنه كان لا يزال لديه أسطوله العظيم الذى يستطيع به السيطرة على البحار ، وان يحارب به «بطليموس» فى «ارخبيل اليونان» ، غير أن هزيمة «ديمتريوس» فى «مقدونيا» قد شجعت على قيام ثورة عليه فى «أثينا» فى صيف عام ٢٨٧ ق.م ، وقد شجعهم على هذه الثورة أن مبعوثهم الذى أرسل الى طلب النجدة من «لزيماكوس» و «بطليموس» و «بيروس» قد لاقى قبولا حسنا ، فقد منحهم «لزيماكوس» على دفعتين نحو مائة وثلاثين تالنتا من الفضة كما أعطاهم «بطليموس» خمسين تالنتا ، هذا بالاضافة الى غلال وهبات وصلت من بلاد أخرى (١) . وكان « ديمتريوس » قد حاصر « أثينا » وكاد يستولى عليها لولا تضرعات الفلاسفة المبعوثين له الصفح عنها وخلاصها .

(١) راجع Droysen II, 58.

والمدهش أن الأسطول المصرى لم يقم بأية محاولة لتخليص ميناء «بيروس» و «اليوزيس» (Eleusis) من جنود «ديمتريوس». وعندما زحف «بيروس» لتخليص «أثينا» خان وعقد معاهدة سرية مع «ديمتريوس» بمقتضاها يظل الأخير مسيطرا على الميناء ، ومن ثم اتجه الى «آسيا» فلم يحاول الأسطول المصرى الوقوف فى وجهه لمنعه ، ومن المحتمل أن «بطليموس» قد فعل ذلك عن قصد، هذا اذا صدقنا أنه كان مشتركا فى التحالف السرى الذى عقد بين «بيروس» و «ديمتريوس» وبمقتضى هذا التحالف يبقى الأخير سيد بلاد الاغريق على شرط أن يتخلى عن «مقدونيا» ويكون حرا فى منازلة «لزيماكوس» وعلى شريطة الا يهاجم أهل المدن الاغريقية الذين كانوا فى حماية «بطليموس الأول» ، كما كان يجب عليه الا يهاجم قبرص ، غير أن «ديمتريوس» كان لايؤمن له جانب . وقد عزم «بطليموس» فى هذه الأحوال على أن يبقى متفرجا اذا وقعت حرب «لزيماكوس» و «ديمتويوس» . وفعلا لم نلبث أن رأينا «ديمتريوس» يقطع الأرخبيل اليونانى دون عائق وينقض على أملاك «لزيماكوس» فى آسيا الصغرى. والظاهر أنه لا «لزيماكوس» ولا «بطليموس» الأول كان غاضبا من هذه الفعلة . فقد فتحت «ميلوتوس» التى كانت تسكنها « ايريديكى» منذ عام ٢٨٦ ق.م وتزوج من «بطليمايس» التى كان قد وعده بها «بطليموس» الأول من قبل . وبعد ذلك مباشرة أصبح مسيطرا على «سارديس» ثم أخذ فى الاستيلاء على مدن سواحل «آسيا الصغرى» ، غير أن «لزيماكوس» كان أشد منه بأسا وأعظم قوة المدفاع عن نفسه . ولسوء حظ «ديمتريوس» كان قد انفصل وقتئذ عن أسطوله وتوغل فى داخل القارة الاسيوية وقد طارده فى توغله هذا «أجاتوكليس» ابن «لزيماكوس» ، وقد حاول أن يحتمى فى «كليكيا» التى كانت وقتئذ ضمن أملاك «سيلوكوس». وقد قبل الأخير أن يستقبل صهره (والد زوجة ابنه وكان «سيلوكوس» قد

(٢) راجع Plut. Demetr. 51-52.

نزل عن «سترتونيس» لابنه «انتيوكوس» منذ بضع سنين مضت حوالى عام ٢٩٣ ق.م) على شرط أن يضع «ديمتريوس» السلاح ، غير أن الأخير أصم أذنيه وبذلك جرى لحتفه بظلفه ، فقد هزم ثم ضيق عليه الخناق حتى اضطر الى التسليم صاغرا . وهكذا نجد أن «سيلوكوس» الذى كان يريد انيكون حاميا له قد أصبح ساجنه . وقد اعتقل «ديمتريوس» فى مدينــة «أپامى» (Apamee) على نهر «لأرنت» وقد بقى هذا الأسد الضارى حبيسا فى قفصه الى أن فارق الحياة بعد سجن دام حوالى ثلاثة أعوام (٢٨٣ ق.م) كانت الهموم والفراغ فى خلالها قد قضت على حياته التى قضاها فى حروبعاصفة ومغامرات دامية .

نهاية عهد بطليموس الأول

كان «بطليموس الأول» فى الثانية والثمانين من عمره عندما عزم على النزول عن الملك لابنه . وفى رواية أخرى اشراكه معه فى ملك مصر . و «بطليموس الثانى» انجبته له زوجه «برنيكى» التى كان قد فضلها على زوجه الأخرى ولذلك نجـده قد فضل «بطليموس» هـذا على أخيـه الأكبر «بطليموس كرونوس» (=العاصفة) بكر أولاده وقدكان فى الواقع خليفته الشرعى على حسب القانون والعرف عند «المقدونيين» .

وتدل شواهد الأحوال على أن «بطليموس الأول» فى الفترة الأخيرة من حياته لم يشغل باله بالشئون الخارجية بل كان كل ما فعله فى تلك الآونة هو أن ضم صوته الى أولئك الذين كانوا يسعون فى تخليص «ديمتريوس» من سجنه الذى لم يعارض فيه وقتئذ الا «لزيماكوس» الذى قدم مبلغا ضخما من المال لساجنه«سيلوكوس» ليقضى على حياته ، ومن أجل ذلك لم يلح «بطليموس» فى رجائه لاخلاء سبيل «ديمتريوس» ، وذلك لأنه كان لايريد احياء المخاصمات القديمة والاحقاد الدفينة التى كان يكنها له«سيلوكوس» فى أعماق نفسه بسبب اغتصاب «بطليموس» سوريا التى لم تكن من حقه بل كانت بمقتضى المعاهدة التى أبرمت فى وقتها ملكا «لسيلوكوس» كما تحدثنا عن ذلك من قبـل ، ومن ثم بقى «بطليموس» يسـتغلها بطريقة غير شرعية بشتى الطرق .

على أن الموضوع الهام الذى أخذ على «بطليموس» كل لبه ومشـاعره وتفكيره هو تدبير الأمور للأمير الصغير الذى كان سيحمل لقب « بطليموس الثانى » (الذى يسميه المؤرخون الأحداث «فيلادلفس») . والظاهر أن

بطليموس الأول» قد عنى بأمر هذا الأمير منذ الصغر فقد تلقى تعليمه على أشهر اساتذة العصر امثـال «فيلتاس» من أهالى جـزيرة «كوس» (Cos) وعلى «زينودوت» (Zenodote) ، و «ستراتو» مواطن «لامبساكوس» (Strato of Lampsacus)

ومن المدهش أن نلحظ أنه بقـدر ما كان «بطليموس الأول» معتنيـا «ببطليموس فيلادلفس» ، كان اهماله ظاهرا فى تنشـئة ابنه بطليموس بن «ايريديكى» . وبقدر ما كان الأول وديعا كان الثانى متوحشا ، وعلى ذلك رأى «بطليموس سوتر الأول» أن يختار لحكم بلاده «بطليموس الصغير» مفضلا اياه على أخيه الأكبر ، غير أنه بذلك خالف قوانين «مقدونيـا» التى تحتم تولى الملك الابن الأكبر لصاحب العرش . واذا فرضنا ان ابن «برنيكى» لم يكن شرعيا كما قيل فان ابن «ايريديكى» كان الابن البكر ولا غبار على شرعيته لتولى الحكم ، هذا فضلا عن أنه كان من سلالة ملكية وأعظم عراقة فى الملك من جهة أمه . فقد كانت اخت الملك «كاسندر» ، فى حين أننا لانعرف حتى الآن أشياء عن شجرة نسب برنيكى . أضف الى ذلك أننا لو نظرنا الى موضوع تولى العرش من الوجهة المصرية فان «بطليموس» بن «ايريديكى» ترجح كفته على كفة أخيه تماما . فقد كان ابن ملك وابن أميرة من الـدم الملكى . وكان هذا أول شرط لولاية العرش عند قدماء المصريين كما تحدثنا عن ذلك من قبل .

ومما يطيب ذكره هنا أن «ديمتريوس» الفليرى الذى كان حاكما سـابقا لمدينة أثينا قد أشـار على «بطليموس» الأول بعـدم النزول عن العرش أو اشراك أحد معه فقال : « ان ما ستعطيه لآخر لن تسترده فقط (١) . والسؤال الهام هنا هو من سيكون الشريك والخلف على العرش الملك ؟ وقد دافع «ديمتريوس» عن أحقيـة ابن «ايرديكى» لتـولى العرش ، وقـد أسرها

---

(١) راجع Diogenes Laertius V, 79.

«بطليموس الثانى» فى نفسه فلما تولى الملك حنق عليه . ولا غرابة فى ذلك فان «ديمتريوس» هذا كان رجل ثقة فى بلاط «كاسندر» أخ «ايرديكى» . وعلى أية حال فان «بطليموس الأول» عزم فى نهاية الأمر عزما أكيدا بتأثير من زوجه «برنيكى» على أن يشرك معه ابنها «بطليموس» فى عرش الملك كما صمم على أن يراه بعينى رأسه يحكم البلاد . اذا صدقنا ما قاله المؤرخ «جوستن» (١) ، فان «بطليموس الأول» لم يكتف باشراك ابن «برنيكى» فى ادارة الملك كما فعل ذلك «سيلوكوس» فى «سوريا» بل أنه استعرض لأهل «الاسكندرية» الأسباب التى دعت الى ذلك ، وقد أجابوا على عرضه هذا بالتصفيق والرضا التام ، ويقال أنه نزل عن الملك وانخرط فى الحياة العامة مع الشعب . وقد كان جل مراد «بطليموس الأول» أن يرى وارثه الذى لم يكن شرعيا على العرش ، وأن يأخذ مقاليد الأمور فى يده دون أن يعارضه معارض .وكان آخر عمل قام به «بطليموس الأول» لتدعيم ملك «بطليموس الثانى» هو أنه زوجه على الطريقة المصرية ليحببه الى الشعب المصرى الأصيل الذى يتألف منه السواد الأعظم من السكان . فقد كان العرش على حسب الشعائر المصرية كما ذكرنا آنفا يئول الى ذكر واثنى من الدم الآلهى ، وكان هذا الزواج يحدث عند تولى عرش أرض الكنانة . ومن ثم نرى أن زواج ابنه من زوجة من الدم الملكى كان يصبح زواجا ملكيا كاملا على حسب الشعائر المصرية ، وبعبارة أخرى من دم الهى خالص . وهذا الزواج لم يكن فى مقدورين ابن «أريديكى أن ينافسه فيه لأنه لم يتزوج من زوجة شرعيةمن دم ملكى خالص .

ولعمرى أن كل هذه الطرق والحيل التى أتبعها «بطليموس الأول» لتبرير تولية «بطليموس» بن «برنيكى» لم تكن لاقناع المقدونيين أهل بلاده بل كانت

---

(١) راجع (Justin XVI, 2, 7, 9

لاقنــاع المصريين الذين يخشى بأسهم ويحافظ على شعورهم وتقاليدهم الدينية التى لا تستقيم الأمور فى البلاد بدونها .

ولا نزاع فى أن الملك الجديد عند توليه العرش وجد الأحوال خارج بلاده متوترة فقد احتمى أخوه «بطليموس كرونوس» عند «ليزيماكوس» ، بعد ذلك عند «سيلوكوس» الذى رحب به ووعده بأن يضعه على عرش الكنانة وهو حقه المغتصب منه ، وهذا الموقف يشعر بما عساه أن يحدث من مآسى وحروب لا بد أن تقوم فيها مصر بدورها . وعلى أية حال كانت عاصفة الحرب تظهر بوادرها فى كل العالم المتمــدين ، وفى تلك الأثناء وافت «بطليموس الأول» المنية وهو فى الرابعة والثمانين من عمره . ولقد كان القائد الوحيد من بين قواد «الاسكندر الأكبر» الذين شاركوه فى كل غزواته تقريبا ومات على فراشه ميتة طبيعية بعد أن حكم مصر أكثر من أربعين حولا .

المدنية فى عهد بطليموس الأول

مقدمة : تدل الأعمال التى انشأها «بطليموس الأول» والخطط التى ترسم خطاها منذ أن وطئت قدمــاه أرض مصر حاكما على أنه كان رجــل سياسة ماهرا كما كان رجل حرب وقيادة ،فقد اتبع فى سياسة حكم البلاد فى الخارج والداخــل خططا وطرقا أدت به الى الفوز فى الميدانين الى درجــة عظيمة . فقد رأينا أنه لم يتبــع مع الشعب المصرى العريق فى المجد العنف والشــدة لتنفيذ مآربه واصلا حاته الداخلية . فلم نر أنه حاول أن يفرض على الأهلين اعتناق العقائد والعادات والأخــلاق الاغريقية ؛ والشعب المصرى كانت له معتقداته وعاداته وطبائعه التى لم يحد عنها منذ آلاف السنين . لذلك نجد أن «بطليموس» قد رأى بثاقب رأيه وحسن ذكائه النافذ أن يترك الشعب المصرى على ما فطر عليه دونأن يجرح شعوره أو يسيطر على عاداته،وبخاصة من الناحية الدينية . وسنرى بعد أن هذه السياسة التى رسمها «بطليموس» فى معاملة الشعب المصرى هى التى سار على نهجها الى حــد ما معظم ملوك البطالمة فى معظم الأحيان ، وسنرى أنهم عندما كانوا يحيدون عن هذه الخطط كانوا يحدثون بذلك فتنا وقلاقل تنتهى بانتصار الشعب عليهم .

سياسة بطليموس الأول الداخليه

تدل شواهد الأحوال على أن «بطليموس الأول» كان قد عزم منــذ أن وطئت قدماه أرض الكنانة على أن ينظر الى مصر من الوجهة الدينية نظرة «الاسكندر» . فقد كان الأخير اذا صدقنا الظواهــر يدين بالدين المصرى القديم ويعتقد أنه ابن الاله « أمون رع » وأنه خليفتــه على أرض مصر . والواقع أن «الاسكندر» كان يرى بعد أن اتسعت فتوحه الا يقف فى وجه

أى شعب من الناحيةالدينية لأنه كان يأمل فى آخر الأمر لو طال به العمر أن يوحد بين شعوب العالم ويجعل نفسه بوصفه ابن «أمون» المسيطر عليها من قبله .

ولقد كان من الصعب جدا على أى ملك أجنبى أن يخضع الشعب المصرى لارادته ويرجع السبب فىذلك الى أن هذا الشعب العريق فى القدم كانينقاد منذ أقدم العهود وراء طائفة الكهنة وتقاليدهم انقياد الأعمى بصورة مستمرة طوال عهد الفراعنة حتى نهاية العهد الروماني . ومن الغريب أن المصرى كان يرى كلأجنبى مهما كانتمكانته نجسا يجبألا يختلط به وبخاصةالاغريق، ولا أدل على ذلك مما رواه لنا «هردوت» الذى زار مصر فى خلال القرن الخامس قبل الميلاد (١) فيقول : « كان كل المصريون يضحون لحم الذكور من البقر أما الاناث فكان لحمها محرما عليهم وذلك لأن البقرة كانت مقدسة بوصفها صورة «أيزيس» بقرنى بقرة ، كما يمثل الاغريق الآلهه «يو» (Io) وعلى ذلك فان كل المصريين كانوا على السواء يحترمون البقرات أكثر من أى حيوان آخر ، ومن ثم فان كل المصريين سواء أكانوا ذكورا أم اناثا محرم عليهم أن يقبلوا اغريقيا فى فمه أو يستعمل سكينا أو اناء استعمله اغريقى أو يأكل لحم ثور قد قطعته سكين اغريقى » .

ولقد تعلم البطالمة درسا مفيدا مما رووه من كره المصريين للفرس ومقتهم لهم لكثرة ما لاقوه منجور وظلم على أيديهم فى الفترة الأخيرة من حكمهم لمصر . ومن أجلذلك أسرع فى تقديم برهان محس على حسن نواياه نحو الكهنة الذين كانوا لايزالون أصحاب الكلمة العليا فى البلاد ، على الرغم من احتلالها بالاغريق ، ومن المدهش فى هذا الصدد أننا نرى كل المؤرخين يتحدثون عن اضطهاد «الفرس» وسوء معاملتهم لرجال الدين فى مصر منذ

(١) راجع (Herod., II, 39, 41

فتح «قمبيز» لأرض الكنانة . والواقع أن هذا الاضطهاد لم يكن لا فى المدة الأخيرة من حكمهم وحسب وقد تناولت هذا الموضوع بالبحث الدقيق فى الجزء الثالث عشر من هذه الموسوعة (١) . ويرى المطلع هناك ان ما قيل عن «قمبيز» واضطهاداته للالهة المصرية والكهنة لا تستند على مصادر أصلية بل يظهر أن «هردوت» نقله عن أفواه العامة ولكن المصادر الأصلية التى لدينا تبرئه من كل مانسب اليه ، يضاف الى ذلك أن مصر فى عهد «دارا الأول» خلف «قمبيز» كانت تعيش فى حرية تامة من الوجهة الدينية وبخاصة عندما نعلم أن الآلهة «نيت» التى كانت تعلم أعظم الآلهة فى مصر فى تلك الفترة قد حافظت على مكانتها الممتازة بين الآلهة المصريين وقد أعلن « دارا الأول» أنه ابن هذه الآلهة ، كما جاء ذلك فى اللوحة الثامنة (سطر ١ـ٣) هذا ونجد أن المحاريب الأخرى لم تنس فى عهده بل كانت تقدم فيها القربان للالهه المصرية. ولا نزاع فى أن الملك «دارا» هو الذى شرع فى بناء معبد للاله « آمون رع » (٢).

وخلاصة القول أن ملوك «الفرس» العظام وبخاصة «دارا» و «اكزركزس» قد أظهروا احتراما عظيما للديانة المصرية القديمة والتقاليد الفرعونية الموروثة وقد قاموا بمجهودات لربط مصر ببقية امبراطوريتهم مع عالم البحر الأبيض المتوسط . ولدينا برهان عظيم على ذلك وهو تمام القناة العظيمة التى بدأ حفرها الملك «نبكاو» الثانى أحد ملوك الأسرة السادسة والعشرين وهى التى ربطت النيل بالبحر الأحمر ، وكذلك أبقوا بلدة «نقراش» مفتوحة للتجار الاغريق الذين أتى معظمهم من «أثينا» والبلاد اليونانية الأخرى . وأخيرا سعوا فى تحسين الادارة المصرية بمحاربة النظام الاقطاعى الذى كان منتشرا هناك قبل الفتح الفارسى وكذلك الحد من سلطة الكهنة الذين كانوا

---

(١) راجع مصر القديمة الجزء الثالث عشر ص ٦٤ — ٩٩
(٢) راجع مصر القديمة الجزء الثالث عشر ص ٩٨

مهيمنين على جزء عظيم من ثروة البلاد .

وعندما تولى «بطليموس الأول» حكم البلاد المصرية سار على نهج سياسة ارضاء الكهنة عندما تولى شطربية مصر فقد قدم سلفة مقدارها خمسون تلنتا مساعدة لتكاليف دفن عجل «أبيس» وقد أبى أن يستردها فكان هذا العمل من جانبه بداية وضع علاقات طيبة بينه وبين الكهنة المصريين واظهارا بأنه ليس أقل من «الفرس» فى مراعاة شعور القوم الدينية واحترام معبوداتهم . ولم تكن هذه هى الفرصة الوحيدة التى أظهر فيها «بطليموس» تقديره للآلهة المصريين وتلبية نداء الكهنة لما لحقهم من ظلم وجور ، كما ادعوا فى الفترة الأخيرة منحكم «الفرس» لمصر. وآية ذلك أنه عثر كما ذكرنا من قبل على لوحة منعهد الفرعون «الاسكندر الثانى» امبراطور دولة «الاسكندر الأكبر» مؤرخة بالسنة السابعة من حكمه .

والواقع أن «بطليموس» شطربة مصر فى ذلك الوقت هو الذى أقام هذه اللوحة وقد تحدث فيها أولا عن مناقب «الاسكندر الثانى» بوصفه فرعون مصر والقابه كما جرت العادة فى كل النقوش الملكية التى كانت تقام فىالمعابد الكبرى .

ويطيب لنا أن نذكر هنا أن « الاسكندر الثانى » هذا لم يأت الى مصر ولم يرها طوال حياته ؛ هذا بالاضافة الى أن « بطليموس » نفسه عندما تولى عرش الفراعنة لم يعترف لا بمدة حكمه ولا بمدة حكم سلفه «فليب اريداوس» ولكنه احتراما للمصريين الذين لا يمكن أن يعيشوا دون فرعون يحكم بلادهم على حسب التقاليد الموروثة قداعترف بهما مؤقتا ،وعند موت «الاسكندر الثانى» وتوليه هو العرش أخذ يؤرخ حكمه لمصر منذ أن تولى حكمها بوصفه شطربة ، ومما يلفت النظر فى هذا الصدد أنه بعد موت

«الاسكندر الثانى» بقيت مصر دون فرعون يحكمها بوصفه ابن الاله «رع» ولكن المصريين قد أصروا على تأريخ وثائقهم بعهد « الاسكندر الثانى » حتى تولى «بطليموس» الملك سنة ٣٠٤ ق.م وذلك لأن «الاسكندر الثانى» فى نظرهم هو ابن الاله «رع» أو هو بمثابة « حــور » بن «أوزير» فكان لا يزال فى نظرهم حيا باقيا الى أن يتولى « حور » آخر ليحل محــله وقد تحدثنا عن ذلك من قبل .

والواقع أن «بطليموس الأول» قد أقام هذه اللوحة ليظهر للشعب المصرى مفاخره وأفضاله عليهم وأنه يعاملهم معاملة أفضل من معاملة «الفرس» لهم وتفسير ذلك أن الملك «خباباشا» آخر ملوك مصر الذين تربعوا على عرش الكنانة حوالى عام ٣٣٦ق.م قد قام بثورة على الملك «دارا الثالث» وانتزع منه مصر ، وذلك على حسب أحدث الآراء وأصدقها . وبهذه المناسبة نجــد فى كتب التاريخ أن هذا الحادث ينسب الى «دارا الأول» الذى عاش حوالى عام ٤٨٦ ق.م . وهــذا خطأ فاحش على حسب ما جاء فى بردية من عهــد «خباباشا» (١) ؛ وهذا الفرعون كان قد أعاد ضيعة عظيمة لآلهة مدينتى «ب» و«دب» بعد أن اغتصبها الملك «دارا الثالث» ملك «الفرس» فلما عاد «الفرس» الى فتح مصر ثانية استولوا عليها . وفى عهد الفرعون «الاسكندر الثانى» طلب كهنة الآلهة «بوتو» ارجاع هذه الأراضى ثانية لهم فأعادها «بطليموس» اليهم على حسب ما جاء فى منشور خاص بذلك. وقد انتهز «بطليموس» الفرصة ودون فى لوحته هذه التى كانت تعد بمثابة مرسوم دورى ما فعله من مآثر لآلهة مصر وشعبها على لسان الفرعون «الاسكندر الثانى» فذكر أنه أعاد تماثيل البلاد التى كانت قد اغتصبت من أماكنها وحملت الى «آسيا» فى عهد «الفرس» هذا بالاضافة الى كل جهاز المعابد المصرية ومعداتها وكذلك الكتب التى أخذت

---

(١) راجع مصر القديمة الجزء الثالث عشر ص ١٠٢ من ص ٣٤١ — ٣٤٤

منها فقد ردها الى أماكنها . وكذلك ذكر المصريين أنه اختار مكان عاصمة ملكه مدينة «الاسكندرية» التى أقيمت على أنقاض قرية «راقودة» . وأخيرا ذكر لهم حروبه وأستيلاءه على بلاد «سوريا» و «مرمريقا» (لوبيا) معيدا بذلك مجد مصر الغابر عندما كانت امبراطوريتها تمتد شرقا وغربا فى عهد فراعنة الأسرة الثامنة عشرة . وقد ذكر لنا «بطليموس» من قبل الأعمال العظيمة والاصلاحات الكثيرة التى قام بها فى المعابد المصرية فى عهدالفرعونين «أريداوس» و «الاسكندر الثانى» وبخاصة فى الكرنك والأقصر . ولا نزاع فى أن «بطليموس» بعمله هذا قد ضرب الأمثال لأخلافه ، غير أن كل هذا لا يعنى أنهؤلاء البطالمة كانوا مثاليين فى معاملتهم للشعب المصرى أو للكهنة المصريين ، اذ كانت عليهم التزامات حربية تجبرهم على أن يقسوا فىمعاملتهم للشعب والكهنة عند الحاجة الملحة ، ولكنهم بوجه عام كانوا يعلمون تمام العلم أن انضمام الكهنة الى جانبهم يكفيهم شر قيام أية ثورة فى البلاد . وتدل شواهد الأحوال على أنهم قد تعلموا هذا الدرس من عهد أواخر ملوك مصر منذ الأسرة الثامنة والعشرين حتى نهاية الأسرة الثلاثين فقد رأينا أن كل فرعون من هؤلاء لا يرضى الكهنة أو يجور على املاكهم كان نصيبه الخلع من عرش الملك ، ولا أدل على ذلك مما حدث فى عهد الفرعون « تاخوس » عندما أراد أن يعيد تأسيس امبراطورية مصر فى « آسيا » وكان وقتئذ ينقصه المال لتجهيز حملته على «آسيا» وانتزاع «سوريا» من يد «الفرس» فلم ير أمامه الا اغتصاب أموال المعابد مما أغضب الكهنة الذين ألبوا الشعب عليه وكان من جراءذلك خيبة حملته وسقوطه من عرش الملك (١) .

وقد رأينا أنه حتى فى عهد «الاسكندر» أخذ وزير المالية يغير على أملاك

---

(١) راجع مصر القديمة الجزء ١٣ ص ٤٩٠.

المعابد ويجبى منها الضرائب قسرا مما أغضب الشعب . وعلى أية حال نجد أن النظام الذى اتبعه البطالمة هو النظام الذى وجدناه قائما فى عهد «بطليموس الثانى» لحفظ أملاك المعابد والكهنة . هذا ونجد أن عدم فرض الضرائب على المعابد والكهنة له نظيره فى عهد الفراعنة ومن الجائز أنه يرجع الى زمنهم.

التوفيق بين الاغريق والمصريين من الوجهة الدينية فى عهد بطليموس الأول

لقد كانت العواصم المصرية منذ أقدم العهود مسرحا لوفود الأجانب عليها والاختلاط بأهلها وبخاصة فى عهد الدولة الحديثة عندما أخذت مصر تسيطر على العالم المتمدين ، فكانت بعوث البلاد الأجنبية تحمل الى مصر الجزية والهدايا الى عاصمة الملك ، ولا أدل على ذلك من المناظر التى نشاهدها حتى الآن فى قبور الأشراف تمثل هذه البعوث على اختلاف اجناسها فنشاهد فيها «الأيونى» و «الكريدى و «السورى» و «الكارى» و «اللوبى» و «الأسيوى» وغيرهم. والواقع أن بعض هؤلاء الأقوام كانوا أحيانا يسكنون أمهات البلاد المصرية وبخاصة «منف» و «طيبة» و «سايس» ، وكانوا أحيانا يتخذون أحياء خاصة بهم فى تلك المدن . وقد زاد وفود الأجانب على مصر منذ الأسرة ٢٦ عندما أخذ ملوك هذه الأسرة يستعملون الجنود «الاغريق» و «الكاريين» و «اليهود» فى الجيش المصرى . غير أن المصريين فى كل أطوار تاريخهم لم يقبلوا الاختلاط بالاجانب وذلك حسب تعاليم دينهم ومن أجل ذلك نجد أنه فى عهد «أحمس الثانى» أخذ الاغريق الذين كانوا يفدون على مصر للتجارة أو الانخراط فى الجندية بوصفهم جنودا مرتزقة يقيمون فى مستعمرات خاصة بهم أهمها مدينة «نقراش» التى كانت مخصصة للاغريق وحدهم ، وقد كانت توجد مستعمرة خاصة باليهود فى أعالى الصعيد

«بالفنتين» (١) . وقد ازداد وفود هؤلاء الأجانب على الأراضى المصرية بازدياد اختلاط المصريين بما جاورهم من البلدان .

وقد حتمت مقتضيات الأحوال منذ أول عهد البطالمة فى مصر على ازدياد عدد الأجانب بطبيعة الحال مما عقد الأمور فى البداية ودعا «بطليموس» الى محاولة ايجاد حل سريع لارضاء المصريين من جهة ولو ظاهرا والسكان الجدد من جهة أخرى من الوجهة الدينية بوجه خاص .

عبادة سيرابيس وإزيس وانتشارها فى العالم

كانت أرض الكنانة منذ منتصف القرن السابع قبل الميلاد قبلة للاغريق الذين توافدوا عليها بوصفها المنبع الفياض للعلوم والمعارف وقد ظلت مدرستهم الوحيدة التى يتلقون فيها شتى أنواع العلوم العلمية والدينية كما أوضحنا ذلك فيما سبق .

وقد ظهر تأثير ذلك فى المعتقدات الدينية وبوجه خاص فى عبادة الاله «أوزير» الذى وحدوه بالههم «ديونيسوس» ، ولا غرابة اذا أن شهدنا الاغريق الذين وفدوا على مصر فى عهد «بطليموس الأول» كان لديهم الاستعداد أن يتقبلوا الآراء المصرية القديمة دون حرج أو كبير عناء ، اذ فى الواقع نجد أنها كانت قد نفذت الى أفكارهم فى صور مختلفة بعض الشيء ولكنها فى جوهرها واحدة ، وبخاصة أن العلاقة بين مصر وبلاد اليونان لم تنقطع أسبابها منذ منتصف القرن السابع قبل الميلاد حتى دخول «الاسكندر الاكبر» ولا أدل على ذلك من أن المصريين فى بادىء الأمر استعملوا اسماء اثنى عشر الها وقد استعارها الاغريق فيما بعد من المصريين .

وتدل شواهد الأحوال على أن «بطليموس الأول» قد فطن لذلك بمساعدة من حوله من مستشارين من رجال الدين أمثال الكاهن «ايمولپيديس تموتيوس

---

(١) راجع مصر القديمة الجزء ١٢ ص ٤٠٠ — ٤٠٨

(Eumolpides Timotheus) الذى شرح عبـادة « ديونيسوس » وهو يعتبر عمدة فى الديانة الاغريقية ، والكاهن المصرى «مانيتون» الـذى كان يضرب بسهم وافر فى الديانة المصرية والتاريخ المصرى ، ومن أجل ذلك فكر فى توجيه الاغريق الوافدين الى مصر الى عبادة اله لم يكن مجهـولا لدى المصريين ولم يكن بعيدا عن المعتقدات الاغريقية ، وكان المقصود من ذلك ايجاد رابطة بين الشعبين يلتقيان فيها . ولا نزاع فى أن أكبر رابطة بين الشعوب القديمة لم تكن رابطة الجنس بقدر ما كانت رابطة الدين ومما لا جدال فيه أن الديانة الحقيقية التى كان يعتنقها اغريق الاسكندرية وقتئذ كانت من جهة، عبادة الآلهـة التى كانوا يعبدونها فى وطنهم القديم وكذلك بوجـه خاص العبادات الباطنة الخاصة ببلاد الاغريق والشرق وهى التى كانت منتشرة فى ذلك الوقت فى كل انحـاء العالم ، نقصـد بذلك العبادة «الاليوزينيـة» (Eleusinion) التى أخذت عن أتيكا وأعنى بذلك الشعائر الأورفيـة الخاصة بالآلهة «ديونيسوس زاجيروس» (Dionysus Zagreus) وهى عبادة عامة عند كل الاغريق بل فى العالم كله. وقد وصفت شعائر عبادة «ديونيسوس» على لسان «تيوكريتوس» واحتفل بها بنفس الصيغ والشـعائر فى العهـد البطلمى المبكر .

والواقع أن شـعائر هذا الاله كانت تتمشى فى معظمها مع عبادة الالـه «سيرابيس» الجديد الذى أدخلت عبادته فى عهد «بطليموس الأول» . وفى اعتقادى أن السبب الذى حدا «ببطليموس الأول» الى ادخال عبادة هـذا الاله فى «الاسكندرية» أن «ديونيسوس» قد وحدت عبادته «بأوزير» وقد نقلت هذه العبادة عن مصر منذ القرن السادس قبل الميـلاد وألبست ثوبا اغريقيا باسم «ديونيسوس» الذى يرجع بدوره الى أنه كان مثل «أوزير» انسانا ثم الها فيما بعد ، وتدل الظواهر على أنه كان وجد فى مصر اله يعبد فى «منف» ويدعى «أزير ابيس» وهو الذى سماه الاغريق «سيرابيس» .

وقد كان هذا هو المفتاح الذى وضع «بطليموس الأول» يده عليه ليكون نواة للديانة الجديدة التى كان يريد أن يتجمع حولها سكان مصر من اغريق ومصريين ، ولا نزاع فى أن المصريين عندما كانوا يتحدثون عن «سيرابيس» بلغتهم كانوا ينادونه باسم «أوزير حاپى» . وقد كان «سيرپيس» عند المصريين هو اله الآخرة ، وقد صار «أوزير» مع تغيير بسيط فى اسم «أپيس» المتوفى يدعى «أوزير أپيس» الذى كان يعبد منذ زمن بعيد فى «منف» . وكان معبد «سيراپيس» الذى أقامه البطالمة فى «منف» مكان عبادة المصريين كالمعابد المصرية الأخرى المقامة فى «طيبة» و «ادفو» وغيرهما ، غير أن المعبود المصرى قد أصبح عزيزا لدى الاغريق الذين توطنوا فى مصر ، ولما نقلت عاصمة الملك الى «الاسكندرية» أقيم له معبد فى «الاسكندرية» وأصبح صاحب المكانة الأولى فيها .

والآن يتساءل المرء لماذا اتخذ هذا الاله بالذات الها مشتركا للاغريق والمصريين دون الآلهة الأخرى التى كانت معروفة لدى الاغريق فى مصر ؟ والجواب على ذلك قد يكون سهلا ميسورا عندما نعلم أن عبادة العجول كانت شائعة فى مصر منذ فجر التاريخ واستمرت حتى نهاية عهد الرومان ، فقد كان يعبد العجل «أبيس» فى «منف» كما كان يعبد العجل «منفيس» فى « عين شمس» وأخيرا العجل «بوخيس» فى «أخميم» ، وقد كان «نقطانب الثانى» أول من احتفل بعبادة العجل «بوخيس» .

فعبادة العجل اذا كانت عبادة منتشرة فى مصر . وأقدمها عبادة العجل «أبيس» الذى كان يعبد فى «منف» عاصمة الملك أحيانا فى العصر المتأخر ، ولما حضر «الاسكندر الأكبر» الى «منف» قدم له قربانا كما سبقت الاشارة الى ذلك . ولا بد أن عبادة العجل فى صورة «سيراپيس» كانت شائعة عند

الاغريق فى «منف» فى هذه الفترة مما حدا «ببطليموس» الى نقلهـا الى «الاسكندرية» عاصمته الجديدة التى كان يسكنها اغريق ومصريون على السواء ، وفى هذه العاصمة الجديدة أقام له «بطليموس» على ما يظهر معبدا فخما ، ثم أقيمت له معابد كثيرة فى أنحـاء القطر المصرى . غير أن المؤرخ «ماكروبيوس» (Macrobuis) يقـول : « ان المصريين قد قبلوا عبـادة «سيرابيس» عن كره » . وقد علل ذلك بقوله أنه يمكن الانسان أن يلحظ أن معابد «سيرابيس» اذا استثنينا «الاسكندرية» كانت دائما خارج مبانى المدن المصرية ، غير أن «ڤلكن» المؤرخ المعروف يقول ان هذا الاسـتنباط خاطىء ، لأن معابد «سيرابيوم» فى مصر كانت دائما تقام فى خارج المدن عند حافة الصحراء ، وذلك لأن هذه المعابد كانت خاصة باله الموتى، ومن ثم كانت تقام بجوار المدافن كما هى الحال فى معبد «السرابيوم» بمنف .

وقد كان من الضرورى أن يظهر هذا الاله الجديد بعد أن وطدت عبادته فى الاسكندرية على يد «بطليموس» بمظاهره الاغريقية التى كان يتصف بهـا الآلهة الاغريق الذين وحد بهم ، فقد وحد «بأسكليبيوس» بوصـفه الاله الشافى . فقد كان يذهب اليه المرضى وينامون فى معبده حيث يملى عليهم هذا الاله فى نومهم ما يجب عمله لشفاء كل مرض ، وهذا ما لا نجد له نظيرا فى «اوزير حاپى» المنفى ، ولا بد من أن هذه الصفات قد خص بها الاغريق الأول الاله «سيراپيس» ، والواقع أنه قد وجد نقش فى خرائب معبد اغريقى صغير مقام بجوار الطريق المرصوف الموصل مابين «سراپيوم منف» ومعبد «أنوبيس» وهذا النقش لا يتخطى تاريخـه عام ٣٠٠ ق.م وفيه نقرأ أن اغريقيا يقـدم الشكر للاله «سراپيس» على شفائه من المرض الذى أصابه .

وقد كشف لنا معبد «السراپيوم» الذى أقيم فى «ديلوس» (Delos) أن الثالوث الذى أثر على المدينة الهيلينية لم يكن «ازيس» و «سراپيس» وابنهما «حـور» (حرپوخرات) بل كان يتألف من «ازيس» و «سراپيس»

و «أنوبيس» (١) .

والأخير هو الاله الذى يقود الأرواح الى عالم الحياة الأبدية .

وعلى الرغم من أن الاغريق صوروا «سيرابيس» فى شكل رجل اغريقى وشوهوا عبادته بعناصر هيلانية فان صورته المصرية كانت دائما ظاهرةبارزة، حتى عندما نقلت عبادته فيما وراء البحار مع الآلهة المصريين الحقيقيين ، أى مع «ازيس» و «انوبيس» و «حور» والعجل «أبيس» .

ولما كان «سيرابيس» فى الأصل يمثل صورة من صور «أوزير» فكان على ذلك يقوم فى العالم الاغريقى مكان «أوزير» بجانب «ازيس» ، ولكن كان «أوزير» يظهر أيضا . ويقول «ڤلكن» أن الآلهة المصريين الذين كانوا يرافقون «سراپيس» هم نفس الآلهة الذين يظهر أنهم رافقوا «أوزير - حاپى» فى معبد «سرابيوم منف» .

وكان الناس يتطلعون فى كل مكان الى «سيراپيس» و «أزيس» لانهما الالهان المخلصان ، ولا بد أنه بحلول القرن الأول قبل الميلاد كانت عبادتهما تعتبر الديانة العالمية ، فقد انتشرت عبادتهما انتشارا شاسعا حتى أن قوة انتشارهما قد جعل «ازيس» وحدها من بين الآلهة الاجنبية تدخل بلدة «أوروك» فى بابل وتعرف هناك (٢) ، فى حين أن «سراپيس» وصل بلاد الهند (٣). والواقع أن «سيراپيس» الذى أظهره «بطليموس» فى عالم الوجود عن روية وتفكير وهو لا يزال متأثرا بآراء «الاسكندر» يعد الاله الوحيد الذى صنعه الانسان ، فقد كان «أوزير» يظهر فى ثوب «أبيس» محلى بعناصر

---

(١) راجع Roussel, Les Cultes Egyptiens à Delos, 277, B.C.H. 1926, 425, No. 48).

(٢) راجع Schroeder, Berl. S.B. (1916), 1180, Names Compounded with ISI and ESI.

(٣) راجع Havishka's Coin: P. Gardner. B.M. Coins, Greek and Scythick Kings & C, 149.

اغريقية ، وكان الغرض منه التوحيد بين الاغريق والمصريين فى عبادة واحدة مشتركة غير أن المصريين كما يقال لم يقبلوه ؛ وعلى الرغم من أنه حافظ على خصائصه الأوزيرية وأن «ازيس» كانت زوجه ثانه أصبح الاله الاغريقى للاسكندرية فكان هو و «ازيس» ممثلين على الأرض بالزوجين البطلميين الالهيين أى مثل «ازير» و «ازيس» فى الديانة المصرية القديمة .

هذا وكانت الآلهة «زيوس» و «هاريس» و «سكلبيوس» وغيرهم يعدون من العناصر التى تتألف منها طبيعة « سيرابيس » . ولا غرابة فى ذلك فانه من خصائص الديانة المصرية القديمة أن الآلهة فيها فى عهد الدولة الحديثة وما بعدها بوجه خاص ، كانت عندما يرتفع شأن الواحد منها يطغى على صفات الآلهة الآخرين ، وعلى مميزاتهم وينسبها لنفسه ، أى أنه يصبح موحدا مع أى اله يرى التوحيد معه ولقد أصبح «سيرابيس» الحاكم العالمى الذى يكل اليه عبادة أمورهم كما يريدون . والظاهر أن التفسير الذى قدمه الاثرى « فلكن » وهو «أوزير — أبيس» لم يقبله بعض العلماء حتى الآن فى حين أن التفسير الذى يقول أن « سيرابيس » مشتق من اسم المعبوده البابلية «أيا» وهو «شارأبسى» لم يجد قبولا حسنا عند الاثريين (١)

مما يطيب ذكره هنا أنه توجد دعاية قوية للاله «سيرابيس» فى محيط مدن مصر . هذا وقد انتشرت عبادته بسرعة فى العالم «الأيونى» وأحيانا نجد أنه قد دخلت عبادته معبد أقدم «لازيس» التى كانت عبادتها قد مهدت غالبا لعبادته كما حدث فى «أثينا» ، وقد كانت عبادته فى بادىء الأمر مثل عبادة «ازيس» قاصرة على مجتمعات خاصة ، ولكنها أصبحت رسمية كما حدث فى «أثينا» ، و «ديمترياس» (Demetrias) و «لندوس» (Lendus)

---

(١) راجع Lehman-Haupt. Lc. "Serapis" at Babylon, in Arr. VII 26, is Ptolemy I, S. Propaganda; See Kaerst, op. cit. 244; Nock J.H.S. 1928, 21, No. 2).

و «ديلوس» وغيرهــا . ففى «ديلوس» مثلا نجد أن كاهــا مصريا يدعى « أپولونيوس» قد أدخل عبادته قبل عام ٣٠٠ ق.م ، وبعد أن استوطن هذا الاله مدة جيلين هناك بنى له حفيد «أبولونيوس» هذا معبدا. وفى عام ١٦٦ ق.م. كان له ثلاثة معابد استولت المدينة على واحد منها، وقد وسع هذا «السرابيوم» الرسمى فيما بعد . وفى مصر كان للاله «سيراپيس» اثنان وأربعون معبدا(١) غير أن معابده الرئيسية كانت فى «الاسكندرية» و «منف» .

وتدل أقوال المؤرخين القدامى على أن مبنى «السرابيوم» كان موجودا قبل عهد البطالمة ، وقد قال المؤرخ (Tacitus) انه كان يوجد معبد يتناسب مع عظمة «الاسكندرية» وأقيم فى حى «راقودة» حيث كان يوجد من قبل معبد صغير للاله « سيرابيس » والآلهة « أزيس » ، ويذكر كذلك المؤرخ «أريان» الذى عاش فى القرنين الأول والثانى بعد الميلاد أن «الاسكندر الأكبر» قد وضع أساسا لمعبد للالهة «ازيس» فى الحى الوطنى أى «راقودة»، وكذلك يؤكد العالم البليغ «افثونيوس» (Aphthonius) الأنطاكى الــذى زار الاســكندرية فى عام ٣١٥ م أنه زار «السرابيوم» وقد أشار اليه باســم «اكروپوليس» (Acropolis) ، وأن «الاسكندر» هو الذى أسسه وفضلا عن ذلك يقول المؤرخ البيزنطى «مالالاس» (Malalas) (٢) أن «الاسكندر» أقام معبد «السيرابيوم» فى «الاســكندرية» . ولا غرابة فى ذلك فانه كان يوجد معبد قديم صغير قبل عهد البطالمة ، كما ذكر «تاسيتوس» ، ولا أدل على ذلك من وجود قرابين قدمت لهذا الاله قبل عهد «بطليموس الثالث» . فقد برهنت على ذلك الحفائر الحديثة التى عملت فى الاسكندرية عام ١٩٤٣ وعلى أن هــذا الملك هو الذى أقام هــذا المعبــد . وقد قدم هــذه القــرابين « اسكليپيودوروس » (Asclipiodros) و « ايبولوس » (Eubolos)

(١) راجع (A.S. XIII. P. 103).

(٢) راجع (CHR. P. 192

هذا بالاضافة الى مائدة قربان تذكارية قيل أنها قدمت على شرف « بطليموس الثانى» وزوجه « أرسنوى» (غير أن هذا ليس مؤكدا) ، وقد وجدت هذه المائدة منذ زمن بعيد فى حرم مقدس صغير يقع شمال عمود پومپاى (١) ، ويقول «تاسيتوس» فى كلامه أن معبد«سيراپيس» الجديد بناه «بطليموس الأول» بعد أن أحضر الى «الاسكندرية» من سينوبى (Sinopu) تمثال الاله «پلوتو» (Pluto) وهو عند الاغريق اله العالم الآخر مثل «أوزير» ، وكذلك يشير «پلوتارخ» الى نقل التمثال من «سينوپى» الواقعة على البحر الأسود الى الاسكندرية ، ويقول أنه عند وصوله وحد بتمثال «سيراپيس» وهو الاسم الذى أطلقه المصريون على «پلوتو» .

ومن الجائز أن «بطليموس الأول» أحضر التمثال من «سينوپى» ووضعه فعلا فى محراب صغير كان موجودا من قبل للالهين «سيراپيس» و «ازيس» فى «راقودة» حيث أقام فيما بعد حفيده «بطليموس الثالث» معبد «سيراپيس» الفخم ليحتفل بعظمة «سيراپيس» وببهاء الاسكندرية ، ويقول «تستسس» (Tztzes) الذى عاش فى القرن الثانى عشر بعد الميلاد أن «بطليموس الثانى» قد أسس المكتبة الثانية فى «السراپيوم» ، غير أنه من الممكن أن يكون قد خلط بينه وبين «بطليموس الثالث» .

والظاهر أن العالم «فريزر» (٢) ، بعد أن ذكر أن أقدم معبد «لسيراپيس» كان فى منف (٣) أضاف أنه على الرغم من أنه فى السنين التالية قد نسب ادخال عبادة «بطليموس الأول» (أو الثانى) الذى أحضر التمثال من «سينوپى» فان كل ما فعله هذا الملك المقدونى السياسى على ما يظهر هو أنه وحد « أوزير » المصرى بالاله « پلوتو » الاغريقى ، وبذلك أقام الها أمكن للمصريين

---

(١) راجع T. Schreiber, Studien uber das Bildnis Alexanders des Grossen 1903, P. 251).

(٢) راجع J.G. Frazer, Adonis, Attis Osiris II, 1919, P. 118, Note

(٣) راجع (Pausanias I, 18,4

والاغريق أن يتحدوا فى عبادته على السواء . يضاف الى ذلك أنه عثر على نفس فى ترعة المحمودية يقـرر أن «ارخاجاتوس» وزوجه قد قدما «لبطليموس الثانى» وزوجه حرما مقدسا (حوش) فى «سيرابيس» و«ازيس» (وهذا المكان غير معروف الآن) . ولكن مما يؤسف له جد الأسف أنه ليس لدينا حتى الآن برهان أثرى ايجابى يمكن الاستناد عليه فيما ذكره هنا سابقا كل من «أريان» و « افتونيوس » و « مالالاس » و « وبلوتارخ » و «وتستس» (١).

وكل هذه المصادر التى اقتبست فى كتاب «اجبتياكا» (٢) تشير الى احضار التمثال من «سنوپى» والى البناء المزعوم الخاص «بالسر بيوم» ، وعلى أية حال فان الكشوف الحديثة التى عملت فى منطقة «الاسكندرية» تدل على أن «السراپيوم» الكبير قد أقيم فى عهد «بطليموس الثالث» (٣) . وهذه هى حقيقة هامة جدا لأنه وجد فى بردية مؤرخة بهذا العهد (عام ٢٤٣ ق.م) لأول مرة ذكر فيها اسـم «پارمينيون» الـذى يسـمى عادة «پارمينسكوس» (Parmeniscos) مهندس العمارة الشهير الذى أقام «سراپيوم» يعتقـد بعض المؤرخين أنه « سراپيوم » الاسكندرية الكبير (٤) .

هذا ويشـك المؤرخ «پيفان» فى قصـة حلم الملك «بطليموس الأول» واحضار تمثال «سيراپيس» الى مصر من «سينوپى» الواقعة على البحـر الأسود (٥) ، وعلى أية حال فانه مما لا نزاع فيه أنه كانت هناك صلة تجارية

(١) راجع Cyrilli Alexandriae, Patriarchae, Opera, T. VI, Contra Julianum. P. 13, Clemenes Alexandrinus, T. I. P. 42, Edit. Potter, and Macrob., Saturnal. (Prideux's Connect, Vol. II, P. 12, Edit. Fol.).

(٢) راجع J. White, Aegyptiaca, 1801. PP. 54 ff.).

(٣) راجع Discovery of the Famous Temple of Serapis at Alexandria by Alan Rows).

(٤) راجع See C.C. Edgar, Zenon Papyri (in Cat. Gén. du Musée du Caire), III, 1928, P. 89).

(٥) راجع Bevan, Ibid. P. 44.

صـــادقة بين مصر وهذه البلدة على ساحل البحر الأســـود مما يجعل لهذه الاسطورة صداها فى مصر ، وبخاصة عندما نعلم أن أهل هذه البلاد كانوا مغرمين بمصر وآثارها(١) وقد كتب «چوجيه»(٢) فى هذا الصدد يقول: «والظاهر أنه ليس هناك ما يدل على أثر مصرى فى صورة المعبود الجديد الذى مثل للعبادة فى « سيرابيوم الاسكندرية » ، ومن المحتمل أن هذه الفكرة قد نسبت للحفار الأثينى « برياكسس » (Bryaxis) لذى صنع تمثال هذا الاله أى تمثال «سيرابيس» فقد مثل لابسا جلبابا طويلا وملتفا بحزام كبير وله مظهر الاله «زيوس» القوى ولكنه كان منعما عابسا وشعره غزير ومصفف فى حلقات مسدلة على جبهته ، هذا وقد خلع عليه لمعان نظرته الدافقة سيماء الخير، ويلبس على رأسه السلة المقدســـة الخاصة بالشعائر وزينت بثلاث أشـــجار زيتون بارزة يخرج منها سنابل من ذهب ، وقد مثل جالسا على عرشه ويرتكز بيمينه على صولجان فى حين كانت. يده اليسرى تهدى كلبا له ثلاثة رءوس نابحة وجسمه كان مطوقا بثعبان (٣) .

كل هذه الأوصاف تشـــعر بأن هذا الاله هو اله دولة الظلام فى العـــالم السفلى وحاكم الموتى ، والواقع أن الاله «سيرابيس» هو الاله «پلوتو» ملك الآخرة والموتى. واذا لم يكن لدينا لتعريفه غير طراز صورته فانه لايمكن ان نبحث عنه بين الآلهة المصريين ، ومع ذلك نجد أن «شمبليون» قد تعرف فى هذا الاله الاغريقى على الاله المصرى « أوزيرحاپى » الذى كان يعبد فى معبد « أپيس » الجنازى المقام فى « منف » ، وهذه الثيران المقدسة (أپيس) كانت تصبح مثل الآلهة والناس عند الموت أى تدعى «أوزير» ، وكانت تحنط، وكان هناك كاهن مقنع بملابسه فى هيئة الاله «تحوت» يحمله فى حفل عظيم

(١) راجع (J.E. A. Vol. XIV, P. 13. ff.

(٢) راجع (Joguet B.I. F.O. Tom. 30. P. 530.

(٣) راجع Amelung, Le Sarapis de Bryaxis, Revue Archeol. (1903), II, p. 177-201).

حتى حافة الصحراء الغربية حيث كان يوجد معبد الاله «أنوبيس» ، وكان ابن آوى المقدس (أنوبيس) أو كاهن آخر يمثل دوره يقود الحفل فى شارع مرصوف فى خلال الجبانة حتى يصل الى المبنى السفلى الذى كان يستعمل مقبرة للحيوان المؤله «أپيس» ، وقد كانت أيام الحداد تمتد ٧٠ يوما ، وكان يصحبه بوجه خاص كاهنتان شابتان توأمان وهما يمثلان الأختين الالهيتين «ازيس» و «نفتيس» .

وكان يقام فوق الضريح مقصورة مخصصة لعبادة أوزير الجديد ، منـذ الأسرة التاسعة عشرة لم يكن يوجد الا مدفن سفلى واحد ومعبد فريد حيث كان يعبـد الناس فيه الروح الجماعيـة لكل الثيران المدفونة هنـاك وهى «أوزير - ابيس» أو «أوزير - حاپى» . وهذا الاله الأرضى أو السفلى كان يظهر للمخلصين من أتباعه فى صورة تمثال على الطراز المصرى . ومن المحتمل أن هذا التمثال كان يمثل بصورة «أوزير» جالسا ورأسه رأس ثور ، وهذه لنظرية قد ذكرها المؤرخ «ڤلكن» (١) .

ويتساءل المرء كيف حدث أن هذه الصورة الغريبة قد أصـبحت تعتبر الصورة لنفس الاله الذى صوره الاغريق بصورة انسان جميل الطلعة ؟

وليس من شك فى أنه نفس هذا الاله والروابط التى تربط بين «سراپيوم الاسكندرية» و «سراپيوم منف» ظاهرة واضـحة «فأوزوريس - حاپى و «أبيس» لهما مكانهما على قلعة «راقودة» حيث لا يزال العمود المعروف بعمود «پومپى» قائما الى يومنا هذا ، وهو يوحى الينا ببقايا «السراپيوم» القديمة «وسيراپيس» كان يمثل جالسا على عرشه فى محرابـه «بمنف» ، وكان يجىء ويروح فى حرم هذا المحراب جم غفير من الكهنـة والمتعبدين ، فكان كل واحد منهم على حسب قوميته يعبد هذا الصنم أو ذاك بالعاطفة التى

---

(١) راجع Wilcken U.P.Z. I, p. 24.

كان يوجهها لاله واحد . وتحدثنا الأوراق التاريخية الخاصة «ببطليموس المقدونى » بن «جلوسياس» (Glusias) وهو أحد السجناء الخفيين لهذا الاله أن السيد الذى يعبده فى هذه المدينة المقدسة كان فى نظره «سيرابيس».

ومن ذلك نفهم أن «أوزير – حابى» قد أصبح هيلانى الصبغة ، والظاهر أنه فى هذا التحول قد لعبت ارادة الملك دورا كبيرا . ويحدثنا «بلوتارخ» عن بعث لاهوتى كان على رأسه الكاهن المصرى «مانيتون» و «تيمتيوس» لتنسيق ديانة «سيرابيس» . ويلفت النظر فى ديانة «سيرابيس» هذه أنها كانت خالية من الاساطير وهذه علامة تدل على انها كانت ديانة مصطنعة وضعت عن علم وقصد . والظاهر أن عبادة « سيرابيس » قد وضعت على غرار آخر أتى به من شواطىء أخرى . وقد أشرنا فيما سبق عن رواية المنام الذى رآه الملك فى أنه كان لزاما عليه أن يذهب لجلب الاله من « سينوپى » ومن هنا جاء الاسم « سيرابيس » وذلك لتشابه لفظة «سرابيوم» و«سنبيوم» التى ورد ذكرها فى هذا الصدد (١) .

والواقع أن أصل هذا الاله لم يحل بعد تماما ، ولكن الشىء المهم هوتدخل الملك فى أمره ، وعلى أية حال نجد أن هذا الاله المختلط يتفق بصورة مدهشة مع حكومة مركبة مثل حكومة مصر البطلمية ، وفضلا عن تنوع صبغته وصفاته فانه كان صاحب قوة وضاءة شاملة، فقد كان «سيرابيس» و«أوزير» و «پلوتو» وهو بمثابة «أوزير» يوحد بالاله «ديونيسوس» الاغريقى وذلك على حسب لاهوت يرجع فى قدمه على أقل تقدير الى عهد «هردوت» ، وعلى ذلك فان « ديونيسوس » كان اله اسرار ولكن « أوزير » هو اله مصر والامبراطورية المصرية وعلى ذلك يكون «سيرابيس» الها وطنيا ، فقد ضمن لملوك البطالمة امبراطورية مصر والعالم ، ومن ثم صار «زيوس» ملك أى «زيوس سماوى» أيضا ، وذلك لأنه منذ زمن طويل كان توحيد الشمس

(١) راجع (Wilcken U.P.Z. I, p. 77 ff.

«أوزير» فى الديانة المصرية أمرا مسلما به ، والواقع أننا رأينـا فى زمن متأخر جدا ــ أى فى الزمن الذى كانت فيه الديانة الشمسية قد بدأت تصبح ديانة الامبراطورية الرومانية تكرار الصـيغة المشهورة وهى « اله واحـد «زيوس هليوس سيراپيس» ، ولكن هذه الديانة كانت فعلا بذرة زرعت فى تصورات القرن الثالث قبل الميلاد ، ولا بد من أن نعترف هنا بأن تقى الناس وصلاحهم قد عمل من الاله «سيراپيس» الها يمكن أن يساعدهم ويأخـذ بناصرهم . والمعجزة نجدها فى أصل التعبد «لسيراپيس» فقد كان الها شافيا من الأمراض فبهذه الصفة ارتبط بـ «أمحوتب» المصرى ووحد «باسكلاپيوس» الاغريقى وهما واحـد . ولا نزاع فى أن مثل هذه الديانة كان مقـدرا لها الانتشار بسرعة فى كل حوض البحر الأبيض المتوسط بسهولة ، وبخاصة أنها كانت ديانة «اوزير» الذى تزوج من «ازيس» التى كان مقدرا لها أن تصبح هى نفسها آلهة عالمية ، وقد أنجبا الاله «حور الطفل» «حربوخرات» ، ومن ذلك تكون « ثالوث الاسـكندرية » ، وقد فتح « سيراپيس » وزوجـه « أزيس » العالم ناشرين فى كل مكان سلطان الاسكندرية ومصر الفرعونية . وأنه لمن الصعب حقا أن نفهم أن ملوك البطالمة لم يكن لهم يد بصورة ما فى نشر هذه الدعوة التى اجتاحت كل العالم بانتصار مبين . هذا ونجد غالبا أن نظام هذه الديانة الجديدة يؤكد ما رأيناه من عناية الملك فى مراعاة التقاليد المصرية ، وأنه قد عمل فى الوقت نفسه لصالح المصريين والمقدونيين والاغريق. ولم يكن يعنى ذلك رغبته فى أن يقوم الحكم بين هاتين الثقافتين ، أى الثقافة الاغريقية والثقافة المصرية بمسـاوات خداعة ، اذ الواقع أن سرعة جعـل «سيراپيس» هيلانى الصبغة يضيف الى ما لدينا من معلومات أخـرى أن انتشار الهيلانية السريع كان أمرا ضروريا ، وانه قد احتفظ بدور غاية فى القوة للهيلانيين .

هذا ما كان من أمر الدور الذى لعبه «سيراپيس» ، أما الدور الذى لعبته

زوجه « أزيس » فقد كان على جانب عظيم من الأهمية وبخاصة من الوجهة الإنسانية .

والواقع أن «ازيس» فى العصر الهيلانى كانت تحمل اسماء عدة وكانت تعتبر أعظم الهة بين الآلهة الهيلانستيكية، فقد كانت فى الواقع موحدة بكل الهة كما كانت تعتبر المرأة المؤلهة فى كل العالم المعروف ، فكانت هى الحقيقة الوحيدة التى تضاءلت أمامها كل الحقائق ، فكانت سيدة الكل ترى كل شىء وتسيطر على كل شىء ، كما كانت ملكة العالم المعمور ونجمة البحر وتاج الحياة والقانون ومخلصة العالم والرقة والجمال والسعد والفيض والصدق والحكمة والحب (١) ، وكانت كل المدنية هبتها وتحت سلطانها ، وتماثيلها تصور فى هيئة امرأة فى ريعان الشباب فى ملابس متواضعة بتقاطيع تصو الرقة والاحسان وتلبس على رأسها تاجا من البشنين الأزرق اللون أو الهلال وكانت أحيانا تحمل بين ذراعيها طفلها حور وكانت القرابين نفدم لها يوميا، ولم يكن يعرض تمثالها الخفى لعبادها الا فى الأعياد العظيمة ، فكان تمثالها يعرض مرتديا أفخر الملابس التى يتلألأ فيها المجوهرات ، وذلك لأن كهنتها كانوا يفهمون كل فنون الاحفال التى يمكن أن تجتذب اليها الناس . وكانت «أزيس» فى عيد نوفمبر تمثل مأساة أوزير ، أى موته بيد آخيه « ست » (تيفون) ، والدور الذى لعبته «ازيس» فى البحث عن جثته ثم عودته الى الحياة (٢) .

أما عيد الربيع الخاص بانزال السفينة فكان أكثر فخامة وروعة من السابق، وقد كان الغرض منه الاحتفال ببداية ابحار السفينة ، وقد وصف هذا الموكب الفخم «أپوليوس» (Apuleius) بعبارة حية جزلة عندما يأخذ سيره من

---

(١) راجع (P. OXY. XI 1380

(٢) راجع مصر القديمة الجزء الثالث ص ٥٠٧

المعبد الى الساحل لا تزال السفينة الرمزية الخاصـــة للالهة (١) ، وعبادتها يكنى عنها بالقتال وكان تلاميذها هم الجنود فى جيشها .

والواقع أن تعاليم أصول مبادئها لم يكن بالأمر السهل . فمن الجائز أن التلميذ المبتدىء قد يمضى سنوات عدة قبل أن تدعوه الآلهة ليدخل محرابها ، وقد كان عقاب كل من يدخل المحراب دون أن يدعى الى ذلك هو الموت(٢). وكذلك كان يحكم بالموت على من يدخل المحراب الا بعد الدعوة لذلك ، والتعليمات اللازمة التى يجبأن يصدرها حافظ الأسرار ، ولكن كان الموت لحياة المبتدىء القديم وولادة لحياة جديدة وهى حياة الخلاص والنجاة وقد كان على الطالب فى الاحتفال نفسه أن يطهر أولا بالماء ثم يجول فىأماكن العالم السفلى المظلمة فى المدة التى بين حياته وقيامته معرضا لبعض تجارب قاســية ، فمن المحتمــل أنه قد مات فعلا ثم دفن ، ومن الجائز أن الحدس والتخمين قد لعب فى ذلك دورا كبيرا ، وفى النهاية كان يخرج قبس من نور وعليه الملابس المقدسة وكان يلوح بشعلة للطائفة بوصفه الها ، ومن ثم كانت زوجه محررة من سلطان القدر وسلطان الموت (٣) .

ولم تقتصر عبادة «ازيس»على الاحفال التى كانت تقام لها، والشعائر التى كانت تؤدى لها فى المعابد ، فقد كانت «ازيس» ظاهرة لم تعرف بعد فىالبحر الأبيض المتوسط فى العصور التاريخية ، ولكـــن عندما ظهرت وعرفت ظل نجمها ساطعا لم يختف قط فىكل عصورالتاريخ القديمة ولا فىالعصورالحديثة فى أوربا ، فقد كانت آلهة المرأة ، ولا غرابة فان نصف الجنس البشرى كان فى حاجة ماسةالى صديق أمام محكمة النساء ، وقد كانت الآلهة أثيناالاغريقية آلهة الرجل . واذا كانت امرأة تستغيث بالآلهة «أرتميس» عند الوضع فان

(١) راجع (Apul. XI 8 SQQ, 10

(٢) راجع Paus. X. 33, 13; Reitzenstein Rel. 3, 254.

(٣) راجع Apul, XI, Reitzenstein, op. cit. 19).

ذلك يرجع الى أنه لم يكن هناك أحد غيرها يمكن أن يدعى . والواقع أن وقائع الحياة الرئيسية فى نظر أى امرأة عادية مهذبة هى أنها تكون زوجة أو أماً وأنه ليس بينها وبين عذراء محاربة محبة للفن أو عذراء صائدة الا القليل من أوجه الشبه بل كانت تعد باردة مثل القمر ، وكذلك لم يكن فيها الا القليل من صفات آلهة الخصب التى من عصر الأمومة القديم ، وكانت أقل شبها بالآلهة « أفروديت » وذلك على الرغم من أن الناس كان فى قدرتهم أن يؤولوا أى شىء الى روح ، والآن أصبح للمرأة بوجود «ازيس» صاحبة بل وأعظم الصاحبات كلهن ، فقد كانت زوجة وأماً كما كانت امرأة تتألم ما شاء لها أن تتألم ، وكانت امرأة فهمت أنوثتها . و «ازيس» نفسها لم تترك أى شك لمستزيد فى هذه الناحية ، فهى فخر النساء ، اذ قد منحتهن قوة تضارع قوة الرجال (١) ، وقد عثر لها على قصيدة فى «يوس» (Ios) تعبر عن ذلك فاستمع اليها وهى تقول : انى «ازيس» وانى أنا التى يدعوها النسوة آلهة ، لقد أمرت بأنه يجب أن يحب الرجال النساء ، ولقد جمعت بين الزوج والزوجة واخترعت عقد الزواج ، وأمرت بأن يحملن أطفالا ، وأنه يجب على الأطفال أن يحبوا أباءهم (٢) . وبهذه القوة التى عبرت عنها «ازيس» اكتسحت بلاد البحر الأبيض المتوسط بقوتها وسلطانها ، وعندما انتصرت المسيحية فى نهاية الأمر على الوثنية وطوحت بتماثيل الآلهة « زيوس » و « أبوللون » و « سيرابيس » والآلهة النجمية من على عروشها نجد أن «ازيس» وحدها قد ظلت محتفظة بعرشها بعد هذا السقوط الذى شمل كل الآلهة الآخرين. وقد أدخلت عبادة العذراء قبل تخريب «السرابيوم» ، ومن ثم انتقل عباد «ازيس» فى هدوء الى عبادة أم أخرى ، وقد يشاهد مقدار هذا الهدوء فى

---

(١) راجع P. OXY. 1380, 11.130, 214; Diod. I, 27.

(٢) راجع Ditt3, 1267, Cf. I. G. XII, 5, 739; Salac, B.C.H. 1927, 378, Rousel; Rev. Eg., 1929, 137.

هذا الانتقال عندما نرى ونعلم أن أمثلة منوعة من تماثيل «ازيس» قد استعملت للبتول (مريم) (١) .

---

(١) راجع Meyer and Drexler 431; Cf. 428-30; C.W. The King, The Gnostic and their Remains2, 173, (the black virgin); Tarn Hellenistic Civilisation, p. 320-324).

الاسكندرية فى عهد بطليموس الأول

وضع «الاسكندر الأكبر» حجر الأساس لمدينة «الاسكندرية» ولم يمهله الأجل ليرى مدينته التى أتمها من بعده «بطليموس الأول» وجعلها عروس البحر الأبيض المتوسط وزينة الدنيا من حيث المبانى، كما أضحت قبلة العالم الهيلانستيكى من حيث العلوم والمعارف فى عصره وفى عصر أخلافه. وقد تميزت «الاسكندرية» عن سائر مدن مصر حتى أصبحت تعرف باسم «المدينة» وذلك على غرار مدينة «طيبة» فى عهد الفراعنة فكانت تعرف باسم «نو» أى المدينة وفى عصرنا تعرف «يثرب» وهى مدينة الرسول محمد صلعم باسم «المدينة»[1].

وتقع «الاسكندرية» على لسان من الأرض بين البحر وبحيرة «مريوط»، وعلى كل من جانبى هذا اللسان ميناء، وقد وضع تصميمها المهندس «دينوكراتيس» (Dienocrates) المقدونى على شكل مستطيل وهو الشكل العادى الذى كان متبعا فى تصميم المدن الهيلانية، ومن المحتمل أن سور الاسكندرية المحيط بها كان يبلغ عشرة أميال، وهذا النوع من التصميم الهندسى كان يوجد فى القرى الاغريقية التى أقيمت فى «الفيوم». ولكن الطرق التى كشف عنها فى «الاسكندرية» بخارجاتها المنيرة ليلا ترجع فعلا الى العهد الرومانى. والواقع أن كل ما نعرفه عن المدن الاغريقيــة فى هذا العهد يرجع أصــله بوجه خاص الى ما كتبــه «استرابون» الجغرافى الذى عاش فى القرن الأول بعد الميلاد، فقد وصف لنا شارعا كبيرا فى الاسكندرية فقال ان عرضه مائة قدم ويمتد من الشرق الى الغرب ويتقاطع بزوايا مستقيمة بشارع آخر ويؤديان الى بوابات المدينة

---

(١) راجع (O.G.I.S. 132

الأربع ، وذكر أن عـددا كبيرا من الشوارع يحمل أسماء العبـادة للملكة «أرسنوى» الثانية زوجة «بطليموس الثانى» (١) .

وقد ربط «الاسكندر» جزيرة «فاروس» الى اليابسة بواسطة «طوار» طوله سبعة أثمان الميل وأطلق عليه اسم هيبتاستاديون (Heptastadion) وكون ميناءاً مزدوجاً ، وفى شرقى الرصيف يوجد حوض طبيعى قد أهمـل الآن ، وفى الغرب ميناء من صنع الانسان تسمى أينوستوس» (Eunostos) ألفت باقامة طوار فى الماء ، وتتصل ببحيرة مريوط بقناة ، وكان لكل منهما ميناء صـغير داخلى مغلق ينفتـح منها ، فمن المينـاء الشرقية كانت ميناء «بطليموس» الخاصة، ومن«اينوستوس» الميناء الحربية المسماة«كيبوتوس» (Kibotos) ، وكانت الميناء التى على بحيرة «مريوط» تدخـل فيها تجارة النيل ، ويقال انها كانت تتسع لحمولة كبيرة أكثر من ميناءى البحر ، وهناك كان يرسو أسطول النزهة الفاخر الذى بناه «بطليموس الثانى» . وفيما بعد أقيم هناك القصر الفاخر الذى أقامـه « بطليوس فيلوباتور » الرابع على عوامة وهو عبارة عن قصر فاخر (فيلا أو كرمة مؤلفة من قاعـات ومحارب محاطة بعمد) .

وعلى شاطىء الميناء الشرقية كان يقع الحى الملكى المسمى «بروشيون» (Brucheion) حيث يشاهد فى وسط المعابد والبسـاتين الشاسعة القصر الملكى والمتحف والمكتبة ومعبـد اليهود وربوع الحرس ومقابر البطالمـة والضريح الفاخر الذى أقيم لمواراة جثمان «الاسكندر» فى عهد «بطليموس الثانى» عندما أحضره من منف على حسب احدى الروايات ، و لايزال أباطرة الرومان يعدون هذا القبر مكانا مقدسا يحج اليه الناس فمن بين الذين وفدوا اليه الامبراطور «كراكلا» .

وكان يشرف على كل هـذه المبـانى مبنى «الفاروس» أو (منـارة

---

(١) راجع (Bell, Archiv. VII, 17

الاسكندرية) التى أقامها «سوستراتوس» مواطن بلده «كنيدوس» وذلك لتأمين البحارة وسفنهم فى عرض البحر ، وقد بنيت هذه المنارة على شكل برج يتألف من ثلاث طبقات بعضها فوق بعض متناقضة فى الحجم من اسفل الى أعلى ويبلغ ارتفاعها جميعا حوالى ٤٠٠ قدم ، وهذا المبنى كان منقطع النظير فى تلك الفترة ، وكان الطابق الثالث الذى فيه المصباح يتألف من ثمانية عمد يرتكز عليها قبوة مشعلة تحتها نار خشب راتنجى ، ومن المحتمل أن النور كان ينعكس بواسطة مرآة مقعرة كانت تضىء الطريق للسفن ويصل اليه الانسان بواسطة مصعد ، ومن المحتمل أن العرب قد أخذوا عن هذا البرج المدرج تصميم المآذن التى تقام فى المساجد .

وكان بداخل المدينة المبانى التى كانت تحتوى على مصالح كل ادارات البلاد والمخازن الرئيسية للغلال والزيت والمحاصيل الأخرى ومحكمة العدل والجمنازيوم . ويقع «الاستوديوم» خلف البوابة الشرقية وحظيرة عربات السباق «هيپودروم» (Hippodrum) ، وفى الغرب على مقربة من الحى الوطنى يقع مبنى «پريميتيسكوس» (١) . وهو عبارة عن معبد «سيراپيس» العظيم ، هذا ويوجد هناك ربوة صناعية مهداة للاله «پان» (PAN) كانت تشرف على كل المدينة ، وكانت الحوانيت والاسواق مقامة صفا صفا على جانبى الشوارع الرئيسية كما كان مقاما فيها مئات البيوت التى تتألف من عدة طبقات عالية . وكانت الفنادق معروفة فى الاسكندرية يديرها عبيد لأسيادهم . وكان يجلب للأهلين المياه بقناة تأخذ مياهها من النيل ، وتوزع بواسطة مجار تملأ حياضا تحت الأرض تأخذ منها الناس ما تحتاج اليه من الماء بالضخ ، وقد تعدت المدينة سورها من كلا الجانبين ، ففى الجهة الغربية كان الحى الوطنى المصرى، وفى الشرق خلف ضاحية «اليوزيس» (Elusis)

---

(١) راجع Wilcken Archiv. VII, 78.

غرست حدائق غناء امتدت حتى «كانوبس» (أبو قير) التى كانت تعد ملعب الاسكندرية ، كما كا نت تحتوى على الاضرحة المزخرفة . وكان يقطن المدينة مجتمـع غريب مؤلف من الملك وبلاطه والجيش وكبار الموظفين والحـكام والكهنة أعضـاء مجلس المدينة والعلماء والشـعراء والكتاب وفلاسـفة « الميوزيوم » والمكتبة والمعلمين والتلاميـذ والبنـات وكهنة من الاغريق والوطنيين ورجال أعمال أغنياء من رعايا الملك أو أجانب وأصحاب حوانيت متوسطى الحال وأصحاب حرف وبائعين جائلين ومشعلى المصـابيح وعمال الموانى وبحارة وعبيد .

وكان يتحدث فيها السكان لغات عدة فكانت اللغة الاغريقية بكل لهجاتها هى اللغة السائدة ، ولكن فى الأحياء الوطنية كان الحديث باللغة المصرية ، فى حين كان اليهود يتحدثون باللغة العبرية والآرامية التى كانت لا تزال اللغة السائدة عندهم ، وخلافا للغة العبرية كانت هناك لغة سامية أخرى ، ومن المحتمل أنه كانت هناك بعض لهجات هندية .

ولم يحل عام ٢٠٠ ق.م. حتى أصبحت «الاسكندرية» أكبر مدينـة فى العالم المعروف ، ولم تفقها روما الا فيما بعد . وقد بلغ عدد سكانها مايقرب من مليون نسمة (١) ، (وقد جعلها المؤرخ « بيلوخ » أقل بكثير من مليون). من مليون) .

وفى محاورة دونت على بردية كشف عنها حديثا أدعى أحد المتحمسين أن «الاسكندرية» هى الدنيا فالأرض قاطبة هى أرض المدينة والمدن الأخـرى ليست الا قراها وحسب (٢) .

والواقع أننا لا نعرف شـيئا عن تاريخ الاسكندرية المبكر والظاهـر أن «الاسكندر الأكبر» لم يكن لديه أيةفكرة عند تأسيسها لجعلها عاصمةالملك.

---

(١) راجع Beloch IV. 1, 287)

(٢) راجع (P. Berl. 13045, 1.28 in Berl. Kl. Texte VII, 13 .

ومن المحتمـل أن الحكام الذين نصبهم على مصر قبـل مغادرته اياها كانوا يحكمون البلاد من « منف » العاصـمة المصرية القديمة . هـذا ونعلم أن «بطليموس بن لاجوس» عندما حصـل على مصر بوصفها الشـطربية التى يحكمها من قبل الامبراطور «فليب أريداوس» قد اتخذ عاصمة ملكه مدينة «منف» كذلك حيث كان يثوى جثمان «الاسكندر» الذى حصل عليه بعـد موته كما شرحنا ذلك آنفا، ولم ينقل «بطليموس» مقر ملكه الى «الاسكندرية» الا بعد مرور سنين عدة وذلك بسبب تغيير سياسته (١) وقد ترك «بطليموس» سياسة «الاسكندر» الرشـيدة فى الحكم ونهج بدوره فى حـكم المصريين سياسة الغالب للمغلوب ، وهى السياسة التى انتهجها أخلافه الى أن أجبرهم ضعف البلاد المتزايد الى النزول عن بعض الحقوق للشعب المغلوب على أمره. وقد كانت العلامات الظاهرة الدالة على هذا النهج هى نقل مقر الحكم الى « الاسكندرية » واقامة عبادة الاله الجديد « سيرابيس » الذى ترجع أصل عبادته الى مدينة «منف» (وهو الاله الذى جعله «بطليموس الأول» نقطة تقابل الاغريق والمصريين فى عبادة واحدة) ، ومن ثم أصبح بصورة ما الاله القومى لممتلكاته ، وقد أصبح هذا الاله موضع عبادة عظيمة يدير شـئونها رئيس كهنته فى «الاسكندرية». يضاف الى ذلك أنه نقل جثمان «الاسكندر» الى «الاسكندرية» فى عهده أو عهد «بطليموس الثانى» على أرجح الأقوال.

وكان فى الاسكندرية مقدونيون يحتمل أنهم كانوا فيها من العهد الأول الهيلانستيكى ولم يكونوا منفصلين عن المدنيين العاديين ، ولكنهم كانوا يؤلفون طبقة من السكان بما لديهم من امتيازات .

ويقول أحد المؤرخين (٢) أن السكان الأصليين لا بد كانوا يتألفون من مقدونيين واغريق ، غير أن السؤال المعضل فى هذا الصدد هو كيف تمكن

---

(١) راجع (J.E.A., 1927, p. 173

(٢) راجع (Bevan, p. 8, 88

«الاسكندر الأكبر» من أن يجمع الأسر التى الفت النواة الأولى لسكان « الاسكندرية » ؟ وهذا ما نجهله تماما . والحقيقة أن السواد الأعظم من السكان كان من المدنيين الاغريق ولكن من الجائز أنهم كانوا يشملون ممثلين من سلالات غير اغريقية ، ولا نزاع فى أن الاغريق قد وفدوا على الاسكندرية من أجزاء عدة من العالم الاغريقى، وقد كانت تسمع فى شوارع «الاسكندرية» عدة لهجات الى أن حلت محلها لهجة خاصة من العهد الهيلانستيكى، وبهذه المناسبة يذكر الانسان المناقشات التى نجدها فى المقطوعة الخامسة عشرة من شعر للشاعر «تيوكريتيوس»(١) حيث نجد الأجنبى عندما أحفظه ثرثرة «براكسينوا» (Praxinoa) وصاحبها يصيح قائلا : « ياسيدتى الفاضلة كفى عن هذا الهذيان الذى لا ينفذ والذى يشبه هديل زوج الحمام » ! انهما يجعلانى أخرج عن طوقى بلهجتهما الدورية العريضة . فتجيبه « براكسينوا » قائلة : « يا لله من أين أتى الزميل ؟ وما عليك اذا كنا نهذى انك تشترى عبيدك قبل أن توصى عليهم وان من تعطيهم أوامرك هم من أهل «سراقوسة» وكنت اود أن تعلم اننا « كورنثيا » الأصل مثل « بلرفون » Bellrphon كما تعلم ونحن نتكلم « بالپلوپونيزية » (لغة أسبرته) وأظن أن الدوريين مسموح لهم أن يتكلموا باللغة الدورية (أى باللغة العريضة)

هذا ونجد فى ورقة تحتوى على وثيقة خاصة بحملة تجارية ببلاد «پنت» لشراء أفاويه (بهارات) (٢) افرادا من بين الجماعات والضمنين لهم من « اسبرته » و « اليا » (Ilea) فى ايطاليا وقرطاجنة ومرسيليا وآخر يظهر أنه رومانى . ونجد كذلك فى عقد خاص بقرض فى السنة ٢٢٥ ق.م فارسيا من الحرس الملكى ورومانيا وثلاثة أفراد من «برقة» .

وخلافا للمواطنين الذين يتمتعون بحقوق المواطن الكاملة ، كان يوجد

---

(١) راجع Theocritus, Idyll, p. 15.

(٢) راجع (Archiv Pap. VII, 198

فى العهد الأول على وجه التقريب وفى العهد لذى تلاه على وجه التأكيد ، أناس لم يكونوا يتمتعون بحقوق المواطن الاسكندرى ، هذا وكان يوجد فى المدينة فضلا عن ذلك يهود قد ازداد عددهم فيما بعد بدرجة عظيمة . ويشك بعض المؤرخين (١) فيما أدلى به «جوسيفس» من أن «الاسكندر» قد شجع اليهود بوجه خاص على سكنى الاسكندرية ، وأنه أعطاهم حقوق المواطن الاسكندرى وذلك بسبب أن اليهود فى هذه الفترة لم يكونوا كاليهود الذين أتوا بعد ، وهم الذين كانوا متعلقين تعلقا وثيقا بالمال وكسبه (٢) . ومن البدهى أن الاغريق كانوا قوما تجارا ممتازين فى هذه الأيام ومع ذلك فان اليهود سواء أكانوا فى «الاسكندرية» من أول تأسيسها أم رحلوا اليها من جبال يهودة المنعزلة كانوا قد أعدوا (بسبب تجاربهم العظيمة فى أثناء اسرهم فى بلاد بابل) لنشر اختلاطهم بالاجانب والعيش فى الخارج ، ومن ثم انهمكوا بشره فى التجارة ، وقد كانت الاسكندرية هى العامل الرئيسى فى صبغهم بالصيغة الهيلانستيكية .

وتدل شواهد الأحوال على أن الاسكندرية كانت تضم أكبر عدد من اليهود فى كل العالم وهناك تعلموا معظم تجاربهم الأولى بوصفهم رجال مصارف وسماسرة فى العالم المتمدين (٣) .

ولم تكن الاسكندرية والأراضى التى تحيط بها تعتبر جزءا من مصر بل كانت تعد مجاورة لها ، ولذلك نجد فى الأوراق البردية أن القوم كانوا يتحدثون عن القيام بسياحة من «الاسكندرية» الى مصر ، وهذه العبارة غاية فى الأهمية . وقد وصل سكان الاسكندرية فى العهد الأخير من عصر البطالمة الى حوالى أقل من مليون نسمة كما ذكرنا آنفا ، ولكن سكان

---

(١) راجع (Bevan, p. 8

(٢) راجع (Josephus C. Apion I, Par : 60, Antiquities XII. 1,8

(٣) راجع J.E.A. II, 59-60.

الاسكندرية بغض النظر عن عدد الأجانب الزائرين كانوا يعدون أنفسهم بأنفة الاسكندريين ، وقد ذكر « ديودور » أن عدد المواطنين فى الاسكندرية فى آخر عهد البطالمة بلغ ثلثمائة الف نسمة ، وكان كل المواطنين الأصليين من المصريين بطبيعة الحال ، وهم الذين بلغوا عددا عظيما فى الأزمان المتأخرة لا يعدون من سكان المدينة ، ويحتمل كذلك أن اليهود الذين كانوا يسكنون فيها لا يعدون من سكان الاسكندرية الاصليين ، غير أن هذا فيه شك وسنتحدث عن اليهود فى الاسكندرية ومصر فيما بعد .

وكان السكان الاغريق يعتبرون أنفسهم بأنهم يؤلفون مجتمعا اغريقيا أصليا ويتمتعون بالمنافع والنظام الاجتماعى الذى كان يتمتع به المواطن الاغريقى فى بلاده الأصلية ، وكان سكان الاسكندرية يعتبرون انفسهم اغريقا ومقدونيين. ومن المرجح كثيرا أنه لم يكن هناك اختلاط عظيم من جهة الدم بين المصريين الأصليين والاسكندريين ، وذلك لأنه فى «نقراش» وكانت بلدة اغريقية فى قلب مصر منذ حوالى القرن السابع قبل الميلاد ، كان زواج الاغريقى من المصرية يعتبر أمرا غير شرعى (١) . ومن المحتمل أن الحالة كانت كذلك فى «الاسكندرية» وفى «بطليمايس» (٢). وقد ذكر لنا المؤرخ « بوليبيوس » (Polybius) (٣) فى فقرة من كتابه أن الاسكندرية فى الأيام الأخيرة من عهد أسرة البطالمة كانت تحتوى على عناصر ثلاثة من الناس :

أولا : العنصر المصرى الوطنى وكان حاد الذكاء طيعا للحياة المدنية .

ثانيا : الجنود المرتزقين الذين كانوا عصاة وعلى استعداد لفرض ارادتهم على الحكومة .

ثالثا : الاسكندريين وكانوا يميلون بعض الشىء للخروج على حدود النظام

---

(١) راجع Wilcken & Mitteis Grûndzûge und Chrestomathie der Papyrus-Kunde, Leipzig and Berlin, 1912, II. 27).

(٢) راجع T. Reinach, Un Code Fiscal de l'Egypte Romaine, pp. 82-83)

(٣) راجع (Polybius, XXXIV. 14, 2-5

المدنى غير أنهم كانوا أقل خروجا من الجنود المرتزقة ، وذلك لأنهم كانــوا اغريقا فى أصلهم ولم ينسوا أسلوب حياتهم الاغريقية . على أن هذا التقسيم الذى قسمه «پوليبيوس» غير مضبوط ، اذ أنه لم يذكر أى شيءعن الجيش النظامى . والظاهر انه قد أدخل تحت لفظة الاسكندريين كل المدنيين الاغريق الاحرار من السكان سواء أكانوا من المدنيين أم من غيرهم ، ولم يذكر اليهود ، ومن المحتمل أنه على الرغم من أنهم كانوا قد صبغوا بالصبغة الاغريقية من حيث اللغة والملبس لم يكن من السهل تمييزهم بمظهرهم الاغريقى .

هذا وقد تحدث كل من «پوليبيوس» و «فيلو» (Philo) عن الاسكندريين بوصفهم قوما من دم مختلط ، ولكن المرجح أن المقصــود هنا أن جماعــة المواطنين الاسكندريين كانوا خليطا من الاغريق من كل صنف ، فكان منهم «الايونيون» و «الدوريون» و «أيوليون» (Aeolians) وكذلك اغريق من «هيلاس» واغريق من كل المدن الخارجة عنها شرقا وغربا وهم الذين لم يكن دمهم مختلطا بالدم المصرى (١) .

ويلحظ كذلك أن السكان الاغريق فى الاسكندرية كانوا ضمن جماعــة المواطنين الاسكندريين ، ويعتقد المؤرخ «شوبارت» بحق أن جماعة المواطنين فى الاسكندرية كانوا يشملون أقلية من السكان الاغريق القاطنين فى هذا البلد ، والجم الغفير من الناس الذين كانوا يدعون أنفسهم هيلانيين كانوا يتكلمون الاغريقية ويعيشون عيشة الاغريق ، غير أنهم لم يتمتعوا بامتيازات المواطن الاغريقى مثل الاغريق المهاجرين الذين كانوا يسكنون فى «أثينا» أو فى أى بلدة اغريقية أخرى . والمحتمل أنهم كانوا لدرجة كبيرة ليسوا من دم اغريقى بل كانوا نتاجا من زواج اغريقى من نساء مصريات فى المنطقة التى خارج الاسكندرية وقد أتوا ليســتوطنوا فى المدينة . ومن المحتمل أن كل

---

(١) راجع Lumbroso, Archiv. V. 400).

الاغريق كانت لهم امتيازات معينة تميزهم عن المصريين الأصليين ، فمثلا كان من الممكن معاقبة المصرى بالضرب بالعصا فى حين أن الاسكندرى كما حدثنا بذلك «فيلو» كان يضرب بعصا مفرطحة (١) ، وكان اليهود يحسبون هنا مع «الاسكندريين» ومن المحتمل أن المقصود بالاسكندريين هنا هم كل السكان الاغريق الذين ليسوا أعضاء فقط فى جماعة المواطنين . وكانت جماعةالاغريق المواطنين فى كل مدينة من طراز اغريقى منظم فى جماعات اجتماعية صغيرة ، ففى « أثينا » مثلا كان السكان ينقسمون عشرة قبائل موزعين على ما بين مائة ومائة وتسعين حيا (قسما) ، وكانت الاسكندرية مقسمة على هذا النمط قبائل وأحياء من حيث جماعة المواطنين الاغريق وذلك فى بداية القرن الثالث قبل الميلاد ، وقد كان الزواج على أية حال بين أعضاء الأحياء والاغريق أو حتى بين الفرس الذين خارج الاقسام كان على ما يظهر منظما تماما .

أما عن دستور الاسكندرية فمعلوماتنا عنه قليلة ، والواقع أن موضوع وجود مجلس شيوخ للاسكندرية فى فترة العهد الهيلانستيكى لا يزال موضوع نقاش. وعلى أية حال فان وجود مجلس شيوخ فى الاسكندرية عندما دخلها «أغسطس» وأنه الغاه فى الحال فلا يزال موضع نقاش (٢) . غير أنه من المؤكد أنه لم يكن لها مجلس شيوخ فى العهد الرومانى حتى حكم الامبراطور «سبتيميوس سيفرس» (Septimius Severus) . وأكثر النظريات احتمالا هى أن «الاسكندر» قد منح المدينة مجلس شيوخ ثم الغاه أحد البطالمة . ومن المحتمل أن هذا قد حدث على أثر انتهاء احدى الحروب الأهلية التى انضمت فيها الاسكندرية الى الفريق الخاسر ، ومن المحتمل أنه كان للاسكندرية « اكليزيا » (Ecclesia) أى جمعية عمومية غير أنها كانت قليلة المفعول، وكان لها حكام عاديون أى الجمنازيارك (Gymnasiareh) أى رئيس

---

(١) راجع (In Flacc. Parr, 78

(٢) راجع Dio Cassius, LI. 7.

الجمنازيوم (والجمنازيوم هو مكان عام أو مبنى حيث كان يمرن الشباب الاغريقى فيه على الجرى ويحتوى على ملاعب مصارعة وحمامات وقاعات محادثة ، و «الاكزيجيتيس» (Exegetes) وهو موظف صاحب رتبة عالية يقوم بوظائف منوعة بما فى ذلك حفظ سجل المواطنين والايتنيارك (Eutheniarch) وكان موكلا اليه توريد الطعام و «الكوزميتيس» (Cosmetes) وهو قائد الأفيبى (Ephebi) أو المواطنين الشبان . (= المستحفظ من الجند)

ولما كانت «الجمنازيوم» تعتبر مركز الحياة الاجتماعية للمدنية الاغريقية، فان «الجمنازيارك» كان من جهة هو الرئيس الاجتماعى لجماعة المواطنين ، وفى العهد الرومانى كانت تقوم ثورات متكررة بين الاغريق ويهود « الاسكندرية » ، وكان «الجمنازيارك» هو الذى يمثل المواطنين الاغريق كما كان يتزعمهم فى روما لقضاء مطالبهم أمام الامبراطور ويدافع عن حرية الاغريق والمحافظة على الحكم الجمهورى ، ولا بد أن «جمنازيارك» الاسكندرية كان شخصية صاحبة مكانة هامة فى عهد البطالمة ، هذا وكان يمكن الحصول على حقوق المواطن فى الاسكندرية بالانخراط بين صفوف «الافيبى» (المواطنين الشبان) ؛ هذا ولدينا سجل لانخراط هؤلاء الشبان يرجع تاريخه الى العهد الامبراطورى (١) .

ومما يجدر ملاحظته فى هذا الصدد أن عقاب الذين يزورون فى تجنيد الشباب للحصول على الجنسية الاغريقية لأولئك الذين لم يكن لديهم المؤهلات التى تعدهم لذلك من حيث المولد للحصول على هذا الشرف بالحكم على كل مزور بمصادرة سدس دخله .

هذا وكان للاسكندرية فضلا عن ذلك محاكمها الخاصة بها وقانونها الذى كان يعرف باسم القانون المدنى . وهذه المحاكم والقوانين كان معترفا بها حتى فى المحاكم الملكية . وكان قانون الاسكندرية مؤسسا على نظام القوانين

(١) راجع (Wilcken Chrestomathie, 14 .

«الاتيكية» مع تغيرات مأخوذة من نظم أخرى ، هذا بالاضافة الى الأحوال الخاصة بالاسكندرية ، وقد كان يضاف الى هذه القوانين من وقت لآخر مراسيم ومنشورات خاصة بالمواطنين الاسكندريين .

وكانت المدينة فى موقف غير متجانس بعض الشىء بوصفها مركزا ملكيا وعاصمة للامبراطورية ، وتفسير ذلك أنه كان يوجد بجانب الموظفين الحاكمين للمدينة موظفون ملكيون وبجانب المنشورات الخاصه بالمدينة كانت الاهالى معرضة فضلا عن ذلك لاطاعة المنشورات الملكية التى لم تصدرها . والواقع أنه فى أى مدينة اغريقية كان يوجد فيها فى الوقت نفسه مقر بلاط مستبد وحكومة ذاتية فانهاتكونفى الواقع تحت سلطان البلاط الملكى بوجه عام كما كانت الحال فى «پرجاموم» (Pergamum) . ولابد أنه قد حدثت اصلاحات فى دستور الاسكندرية على ما يظن فى عهد مبكر جدا من عصر البطالمة الأول. وعلى أية حالفانهعلى الرغم من تمزيق قوة المدينة الاغريقيه بالسلطة الملكية فان جماعة المواطنين فيها كانوا يؤلفون احدى الدعائم الرئيسية التى قامت عليها المدنية الهيلانستيكية .

ومهما يكن من أمر فان الملوك كانوا هم المشجعين للثقافة الاغريقية فيها . وكان مركز هذه الثقافة المكتبة و «الميوزيوم» وهما مؤسستان ملكيتان متصلتان بمبانى القصرالملكى (وسنتحدث عنهما فيما بعد) ، وفيهما نجد السمات الأصلية للمدينة الهيلانستيكية بالاسكندرية والمدنية الهيلانستيكية لكل مصر .

وقد كانت هذه المدنية قائمة على قوة الملوك التى كانت متضارتة مع الماضى وحتى مع الحاضر لبلاد الاغريق ، ولكن كان تأثيرها على آداب الاسكندرية وفكرها غاية فى الأهمية فقد فقدت الفلسفة فائدتها بالنسبة لمصير الدولة وغرست مثالية الرجل الحكيم والمواطن العالم ، وقد كان الأدب هو أدب البلاط . وكان الأدب الاسكندرى لا يحتمل قرنه بأدب العصر الكلاسيكى، ولكن كانت له أهمية حقيقية . وكان الأدب الكلاسيكى مسيطرا على

الاسكندريين فى العهد الأول فيما يخص صور شعرهم، ولأجل أن يوازنوا بين الشعر «الهيلانستيكى» والشعر «الكلاسيكى» نجدهم قد عمدوا الى التجديد فى الموضوعات وطرق تناولها ، فكانوا باستمرار يصبون نبيــذا جديدا فى زجاجات قديمــة ، ولكن نتائج ذلك كانت خطيرة مؤسفة . ومع ذلك فان أناشيد الشاعر «كاليماكوس» وملاحم «أپولونيوس» المواطن «الروديسى» كانت لها ميزات حقيقية كما أن مقطوعات «تيوكريتوس» الشعرية تقدم لنــا نوعا جديدا من الشعر لم يضارعه فيه أحد من قبل فى تناوله . هــذا وكان عباقرة الشعر العظام فى هذا الوقت وهم «تيوكريتوس» و «كاليماكوس» و «أپولونيوس» الروديسى هم شعراء البلاط ، وقد كانت طبيعــة الهامهم اغريقية محضة فلم يكادوا يعرفون أو يقولون شــيئا عن مصر لأنهم كانوا يكتبون الى دائرة اغريقية الأصل وهم رجال البلاط الذين لم يظهر بينهــم المصريون الا فيما بعد من مواطنى المدن الذين كانوا يتجنبون الاختلاط بأهل الأرياف ولم يتزاوجوا معهم (١) .

ومع ذلك فانه بجانب هذا الشعر الاسكندرى الحقيقى كان يوجد أدب تام من نوع آخر يشبه الكتابات الاغريقية نبع من سكان المقاطعات المختلطين ويشمل قصصا وروايات مملوءة بالسحر والاسرار كان بعضها من نوع خشن. ولا بد أن اغريق الاسكندرية كانوا قد تأثروا بعالمية سكان المدينــة الذين كانو من أجناس مختلفة . ولا غرابة فى ذلك فقد كانت الاسكندرية ملتقى أجناس العالم ، هذا ولم يكن بين الاسكندريين صلة تزواج بالأهلين ، ولكن من الممكن أن تكون بينهم هذه الصلة مع اغريق القرى وهؤلاء كانوا قد تمصروا بطبيعة الحال ، والانشاءات الأصلية الحقيقية التى أوجدها الفكر الاسكندرى لها صبغة اغريقية شرقية . يضاف الى ذلك أن الملكية البطلمية

(١) راجع W. MacKail, Lectures on Greek Pottery Longmans, Green & Co., 1926. pp. 177. ff.

لم تكن وطنية النزعة ، وذلك لأن البطالمة لم يريدوا أن يعملوا على احيـاء القومية المصرية أو ينشئوا دولة قومية مقدونية أو اغريقية . وتدل الأحوال على أنهم أخذوا عن مصر مبدأ الحق الالهى للملوك كما أخـذوا عنهم نظام «البيروقراطية» فى الدولة أى نظام الحكم المتمركز فى سلسلة متدرجة من الموظفين مسئولين فقط أمام رؤسائهم ويسيطر على كل تفصـيل فى الحياة العامة والخاصة . غير أن العالم قد اجتذب الى تيار المدنية الاغريقية واتخذ الملوك لأنفسهم هذه الثقافة ، وقد كان اتمام عملهم يتوقف على مسـاعدة الاغريق لهم ، ومن أجل ذلك نجد أنهم قد أعطوا مكانا هاما ، ولكنه محدود فى مملكتهم للمدينة ، وقد نشروا المدنية الهيلانستيكية بمساعدة الاستعمار الزراعى مع مراعات عدم تجمع المستعمرين فى مراكز مستقلة كما كانت الحال فى المدن .

ولأجل أن يصبغوا مملكتهم بالصبغة « الهيلانستيكية » نجد أنهم قد اختاروا هذه الأنظمة السابقة للمدينة وهى التى كانت تعليمية الصبغة أكثر منها سياسية .

الدور الذى قامت به الاسكندرية فى الأدب والعلوم خلال حكم البطالمة

لم يكن هم «بطليموس الأول» قاصرا على التوفيق بين السكان الجدد من الاغريق الذين وفدوا على مصر بعد فتوح «الاسكندر» وبين السكان الاصليين فى مصر من الوجهة الدينية فحسب ، بل دلت الوثائق على أنه كان مهتما اهتماما بالغا برفع مستوى الثقافة ونشر العلوم وبخاصة فى الاسكندرية عاصمة ملكه الجديد ليدرج بها الى أرقى مكانة فى العالم الهيلانستيكى فى عهده والواقع أنه وصل بهذه العاصمةالجديدة التى كانت تضم تحتجوانحها جثمان «الاسكندر الأكبر» الى منزلة لم تتمتع بها مدينة أخرى فى العالم القديم ، فقد كانت تدعى بحق فى خلال القرن الثالثقبل الميلادعاصمة الأدب فى العالم الاغريقى ، وفى الحق لم نجد فى خلال هذا العصر أى فرع من فروع الشعر باستثناء الكوميديا الا ضربت فيه الاسكندرية بسهم صائب ، وبحلول منتصف القرن الثالث ق.م. كان نفوذ الاسكندرية فى عالم الشعر قد بلغ شأوا بعيدا لدرجة أن شاعرا عظيما مثل « أيوفريون » (Euphorion) الذى على ما يظهر كان قد قضى معظم سنى حياته فى بلاد الاغريق القديمة ، و «سوريا» كان يعد مصريا كأى شاعر نقطن العاصمة المصرية .

أما فى النثر فلم تكن الاسكندرية تتمتع بنفس النفوذ الذى كان لها فى الشعر . وقد بقى ميدان الفلسفة المميز لأثينا . ومع ذلك فان بعض الفلاسفة وبخاصة جماعة المتشائمين قد وجدوا سبيلهم الى مصر واستوطنوها ، وقد كان الجو بوجهعام غير ملائم لهذا النوع منالنشاط العقلى. ومما هو جدير بالملاحظة فى هذا الصدد أن المحاضرات التى القاها الفيلسوف «هيجسياس» رسول التشاؤم قد الغيت بمقتضى منشور ملكى بوصفها محاضرات مثبطة

للاخلاق العامة . هـذا ولم يكن للخطابة أو البلاغـة أية أهمية تذكـر فى الاسـكندرية وذلك لأن الأحوال السياسية فى البلاد لم يكن فيها ما يدعو الى الخطابة أو البلاغة . على أن ذلك لم يمنع وجود خطباء وبلغاء فى مصر وقتئذ، والواقع أنه كشـف حديثا عن عدد كبير من الاوراق البردية تحتـوى على خطب مدرسية .

ويدل ما لدينا من وثائق على أن العلوم التطبيقية كالجغرافية والرياضـة والطبيعة والطب والتاريخ الطبيعى وفقه اللغة كانت هى أنواع المعارف التى شغلت كتاب النثر فى هذه الآونة .

واذا فحصنا ما وصل الينا من فروع النثر نجد أن بعضها قد مثل بصورة واضحة أكثر من بعضها الآخر ، ففى عصر خلفاء «الاسكندر الأكبر» نجـد أن الخطابة كانت منتشرة للحاجة اليها فى تلك الفترة المليئة بالاحداث المثيرة للعواطف وبانتهاء تلك الفترة دعت الحاجة الى تدوين تاريخ تلك الأحداث. أما الأدب لذاته فى تلك الفترة فكان شيئا لا يذكر . ومن أجل ذلك كان فضل البطالمة العظيم فى أنهم أول ملوك هيلانستيكيين أقاموا أسرة ثابتة الدعائم أساسها العلم والمعرفة وقد ضربوا المثل فى امداد بلادهم بالفنون والعـلوم بعزم وثبـات ، وتدل الأحـوال على أن الاغريق لم يكونوا يعرفون فضـل الاسـكندرية ، ولا أدل على ذلك مما اقتبسـه لنا «أثناوس» (Athenaeus) باستحسان وهو أن الاسـكندريين هم الذين علموا كل الاغريق والبرابرة ، وذلك عندما كانت الثقافة العـامة تنحدر نحو الأفول بسبب الاضطرابات المستمرة فى عهد خلفاء الاسكندر . حقا قد يكون « أثناوس » قد بالغ بعض الشىء فيما ذكره أو من نقل كلامه عنه ، ولكن تشجيع البطالمة للأدب والعلم فى ذلك الوقت قد يغفر له تجاوزه فى اطراء الاسـكندرية .

والواقع أن « بطليموس الأول » مؤسس الاسكندرية التى يدين لها العالم بالعلوم والمعارف قد حدثنا فى مذكراته التـى تركها لنا أنه لم يكن يقصد أن

تصبح الاسكندرية مخزن تجارة دوليا وحسب بل كان جل ما تتوق اليه نفسه أن تصبح مهدا لحضارة أسرته ، بل وأكثر من ذلك أن تعمل على تقدم العقل الانسانى. ولقد رأى «بطليموس» أن بلاد الاغريق قد هدت قواها وبلغت من الكبر عتيا وأصابها الفقر حتى أصبحت وليس فى قدرتها ان تحافظ على شهرتها القديمة . ولما لم يكن فى قدرته أن يستولى عليها كما أشرنا الى ذلك من قبل فانه أخذ فى استعارة كل ما يمكن استعارته منها لينقله الى الاسكندرية من آراء وكتب وعلماء .

والواقع أن معظم هذا العمل قد قام به ابنه وخلفه « بطليموس الثانى » ، غير أنه كان له فضل السبق والمبادرة فى وضع الحجر الأساسى للعلوم ومن ثم سنتحدث عن هذه الأعمال هنا

تأسيس المكتبة والميوزيون فى الأسكندرية

مما يؤسف له جد الأسف أن المصادر القديمة لم تقدم لنا أية معلومات أكيدة عن أى البطليموسيين الأول أو الثانى فد رفع مبانى كل من المكتبة و «الميوزيون» فى «الاسكندرية» ، غير أن العلاقة الأكيدة التى تربط «ديمتريوس» مواطن فالرم بأصل هاتين المؤسستين يقصد به الرأى القائل أن «بطليموس سوتر الأول» هو الذى اتخذ الخطوة الأولى فى تأسيسهما حوالى عام ٢٩٠ ق.م. وبخاصة عندما نعلم أن «بطليموس الثانى» قد غضب على «ديمتريوس» هذا فيما بعد وأقصاه عن بلاطه .

حقا نجد أن الملوك الأول الآخرين المعاصرين للبطالمة قد أسسوا لأنفسهم مكتبات ، ولكن ذلك كان على غرار مكتبة الاسكندرية ومن ثم نفهم أن البطالمة كانوا هم أسبق الهيلانستيكيين الى انشاء المكتبات (١) .

(١) راجع Dziatz Bibliotheca in p. w; Beloch IV, 1, 425).

المكتبات فى أقدم عهود التاريخ

تدل الوثائق التى فى متناولنا حتى الآن على أن قدماء المصريين كانوا أول من فكروا فى تدوين أفكارهم وآرائهم على الورق ولا غرابة فى ذلك فهم الذين اخترعوا صناعته ونشروه فى كل العالم . وتحدثنا النقوش والكتابات التى وصلت الينا حتى الآن أن المصريين منذ أقدم عهودهم كانت لهم دور يحفظون فيها كتاباتهم الخاصة بتاريخ بلادهم وعلومهم الدينية والدنيوية ولا أدل على ذلك من قيام مؤسسة «بيت الحياة» (بر ـ عنخ) الذى كان يحفظ فيها كل سجلات البلاد التاريخية والفنيه والأدبيةوالدينيه . ويخيل الى أن مؤسسة «بيت الحياة» عند قدماء المصريين كانت تقوم بالوظيفة التى تقوم بها كل من المكتبة و «الميوزيون» . فقد كان فيها العلماء الباحثون فى كل العلوم المصرية كما كان فيها كل المراجع التى يحتاج اليها أولئك العلماء ، وقد سمعنا بوجود مؤسسة «بيت الحياة» منذ أوائل الأسرة الرابعة وقد استمرت موجودة تقام بجوار المعابد حتى نهاية العهد الاغريقى الرومانى . وسنضع موازنة بين «بيت الحياة» هذا وبين المكتبة و «الميوزيون» فيما بعد فى مقال خاص .

أما فى بلاد الاغريق فلم تعرف المكتبة بمعناها العام أى لم توجد مكتبات عمومية فى بلاد اليونان حتى العصر الهيلانستيكى . ومن المحتمل أن فكرة المكتبة بمعناها الحقيقى ، لم تعرف فى العالم المتمدين اذا استثنينا «بيت الحياة» الا فى بلاد «آشور» حوالى القرن الثامن ق.م ، فقد أسس الملك «أشور بنيبال» مكتبته المشهورة التى كانت تحتوى على آلاف المجلدات . وبعد ذلك لم نسمع فى بلاد اليونان بمكتبة عامة الا عندما أنشئت مكتبة الاسكندرية حوالى عام ٢٩٠ ق.م. وقد كانت هذه المكتبة موضوع اهتمام كبير منذ زمن تأسيسها وكذلك كانت محط الأنظار فى عهد الثقافة الهيلانستيكية القديمة .

وقد اهتم العلماء والباحثون فى عهدنا الحاضر بهـذا الأمر . والواقع أنه ليس فى مقدورنا أن نعرف شيئا محسا عن هذه المكتبة وملحقاتها بما لدينـا من المعلومات الضئيلة التى وصلت الينا عنها وبخاصة عندما تفكر فى الشهرة العظيمة التى كانت تتمتع بها فى الأزمان القديمة وما وصل الينا من حقائق ناقصة مبعثرة فىأمهاتالكتب القديمة من العصرالهيلانستيكى. أقل ما يقال فى هذا الصدد أنه ليس فى استطاعتنا حتى الآن أن نحدد موضع هذه المكتبة فى مدينة الاسكندرية القديمةحتى ولو على وجه التقريب وذلك لأن المدينـة الحديثة أخفت كل المعالم القديمة بمبانيها الحديثة يضاف الى ذلك أننا لم نعلم شيئا عن تنظيمها . وقد زاد الأمر تعقيدا اختفاؤها نهائيا وهذا موضوعحدس وتخمين سبح فيه خيال الكتاب الأحداث .

والواقع أنه منذ اختراع الكتابة كانت الكتب موجودة على صور شتى. فكان الأقدمون يسجلون القصص والحوادث بحفرها على الحجر كما فعل قدماء المصريين أو نقشها على قوالب من الطين ـــ التى كانت تحرق فتصير مادة صلبة تقاوم الظواهر الطبيعية ـــ كما فعل البابليون والاشوريون منذ القدم، وبعـد ذلك كتبت حوادثهم على الورق المجلوب لهم من مصر وعلى الجلد وكذلك على لحاء الاشجار وأوراقها كما كان يفعل هنود امريكا. وكذلكدون بعض الأقوام حوادثهم على قطع الخزف وشظايا الاحجار كما فعل المصريون. ويطيب لنا أن نبتـدىء هنا قبل مناقشة مكتبة الاسـكندرية بعرض بعض معلومات عن مجاميع اضمامات الكتب الاغريقية المبكرة التى سبقت العصر الهيلانستيكى من التى جمعها بعضالأشخاص لاستعمالهم الشخصى. ولا نزاع فى أنه من هذه المجاميع جاءت الرغبة فى تكوين المكتبات العامة الفائدة ، وهى التى أصبح فى الامكان أن تصير مفيدة بصفة دائمة للمجتمع ، ومن ثم تولد الميل لدى أفراد كثيرين من أصحاب الميول العلمية المختلفة للاطلاع وجمـع الكتب ، وبهذه الطريقة أمكن كل فرد أن يجد فى هذه المكتبات ما يشـبع

رغبته من حيث المعلومات الرياضية والعقلية والأدبية .فربما ركز فرد اهتمامه بالشعر وما كتب عنه وآخر فى علوم الطبيعة والبحوث التى وضعت فيها ، وثالث يلقى باله بكتب التاريخ وما ظهر منها. وهناك طائفة أخرى من المفكرين مثل أولئك الذين كانوا يحيطون «بارسطوطل» فى «ليسيوم» أثينا (ليسيوم (Lyceum) هو اسم مكان يقع مباشرة فى جوار أثينا وقد كان وقفا على الاله أبولو — ليسيوس (Apollo. Lycius) حيث كان يعلم فيه الفيلسوف أرسطوطل تلاميذه) والظاهر أن هذه الطائفة كان أفرادها يهدفون فى رغباتهم العقلية الى كل مايفيد الانسان من علم وأدب مما وصل اليه العقل الانسانى فى زمانهم ، يضاف الى ذلك أننا نجد فى العالم الاغريقى خلال القرن الخامس قبل الميلاد تمثيليات عظماء الاصحاب من كتاب «روايات المآسى» وكتاب «الروايات الهزلية» وهى التى كانت تدون بطبيعة الحال وقتئذ على اضمامات البردى التى كانت تدون عليها السجلات العامة . ولدينا برهان على هذه الحقيقة الأخيرة منقوش على حجر دون عليه مصروفات خاصة ببناء « الأرخيوم » (مستودع السجلات فى أثينا التى ذكر فيها ثمن البردية التى دون عليها حسابات هذا المبنى) .

ولدينا موضوع هام يرجع تاريخه الى عام ٣٩٩ ق.م عن معلومات قدمها لنا «اكزنوفون الاثيبى» وذلك أنه عندما قاد عشرة آلاف من جنود الاغريق الذين كانوا قد دربوا فى الأصل لجيش «كورش الأصغر» فى جبال « أرمينيا » حتى سواحل البحر الأسود(١) وقد خرجوا من بين قوم يدعون «التراقيين» وحلت بعض سفن من سفنهم فى المياه الضحضاحة عند الشاطىء وقد أخبر أهالى «بنتوس» فى هذه الجهة «اكزنوفون» أنهم وجدوا فى السفن المهشمة هناك عددا كبيرا من الأرائك والصناديق وكثيرا من الكتب المدونة وأشياء أخرى كثيرة مثل التى يحملها ربابنة السفن فى سفنهم .

---

(١) راجع مصر القديمة الجزء ١٢ ص ٦١٧

وهذا البيان يقدم لنا فكرة عن تجارة اضمامات الكتب التى كانت شائعة فى ذلك الوقت وتمتد من الشرق حتى البحار المخيفة الوعرة التى لا سكان فيها وهى التى تدعى « البحر الذى يكرم الأجانب » (١) .

هذا ويحدثنا فى كتاب « ممورابيليا » (وهى المحادثات الشهيرة لسقراط) نفس «أكزنوفون» تلميذ «سقراط» المخلص عن حديث جرى بين الفيلسوف العظيم وبين ثرى أديب من أهل أثينا يدعى «ايتيدموس» (Euthydemus) ونجد فى هذا الحديث أنه على الرغم من أن سقراط قد حاول أن يصحح ثقة هذا الثرى بنفسه فقد اضطر للوصول الى غرضه بامتداح احدى رغائبه ، وذلك أنه قد اتضح لسقراط خلال المحادثة معه أنه قد جمع فعلا مجموعة كبيرة من أعمال شعراء الاغريق واساتذة الفلسفة بقدر المستطاع . و «ايتيدموس» هذا قد بذل مجهودا جبارا على قدر استطاعته ليجعلها تامة (٢) وتدل شواهد الأحوال من سياق المحادثة على أن نسخ الكتب كان قد وصل فعلا الى درجة كانت رغبة التخصص فى الأدب قد وجدت عند الأفراد حتى أصبحوا يهتمون بجمع مجاميع شخصية كل بمجموعته أى مكتبته الشخصية .

وعلى أية حال فانه من المستحيل علينا ان نقدر عدد الاضمامات التى جمعها رؤساء «الاكادمى» و«ليسيوم» فى أثينا أى أفلاطون وارسطوطل وخلفاؤهما. هذا وقد وصل الى الخلف نقلا عن « ديوجنيز لارتيوس » (Diogenes Laertius) وصايا المدارس المبكرة (٣) . وليس هناك شك عند أى عالم قدير فى أن هذه الوصايا أصلية وأنها اقتبست بأمانة كما وصلت الينا (٤) .

وقد ترك «أرسطوطل» فى «أثينا» مجموعة اضمامات لخليفته فى «ليسيوم»

---

(١) راجع (Xenophon. Anbasia, VII, 5, 14 .

(٢) راجع Xenophon, Memorabila IV, 28)

(٣) راجع Diogenes Laertius in book V. The will of Aristotle)

(٤) راجع Ivo Bruns, Die Testamente der Griechischen Philosophen. Savigny Stiftung Romanisch Abteilung I, 1888. pp. 1-52).

وهـــو «تيوفراستوس» (Theophrastus) ، وترك الأخـــير بدوره كل المجموعة لقريبه وتلميذه «نليوس سپـيـس» (Neleus Scepsis) .

ويلحظ أن نظام مبنى «ليسيوم» وأراضيه كانت مختلفة تماما فنجد فى وصـــية «تيوفراستوس» (Theophrastus) أنه قد اشـــترط أن يرث جموعته كل اصدقائه فى المدرسة وقد جاء مع منح ملكية هذه المكتبة مادة تنص على أن مبنى «ليسيوم» والأراضى التابعة لها لا ينفصلان قط الواحدة عن الأخرى . والمراد من تأكيده بذلك هو انه عند موت «تيوفراستوس» الذى عاش ما بين ٢٨٨ ــ ٢٨٥ ق.م ، هو أن تكون الملكية الحقيقية يمكن وضع اليد عليها قانونا فى حين أن الكتب التى فى «ليسيوم» كانت على مايظهر تعتبر أو تعد متاعا يستحسن النزول عنه بمقتضى وصية لتصبح ملكية خاصـــة . وبعبارة أخرى نجد أنه فى حـــوالى نفس الوقت الذى أسست فيه مكتبـــة الاسكندرية لجماعة من العلماء كانت فكرة تملك مجموعة كتب خاصة بصفة قانونية قد ظهرت فى «أثينا» .

وهذه الملحوظة تعد لفتة جديدة لتأسيس مكتبة الاسكندرية اذ الواقـــع أنها تعد أول منظمة موحدة لاستعمال الكتاب وأهل الفكـــر ، وأول خطوة تجاه فكرة مكتبة عامة . وفى تلك الفترة التى أسست فيها لم تكن قد نظمت بعد لتكون مؤسسة عامة للقراء على نطاق واسع . غير أنها بوصـــفها حركة ايجابية نحو امتداد واسع للعلوم وشحذ الفكرة واليقظة التى غمرت العالم وقتئذ لينهض الأرث الهيلانى القديم ، فان تأسيسها فى الاسكندرية وجعلها تابعة «للميوزيون» بكل قيودها تعتبر خطوة الى الأمام غاية فى الأهمية من الناحية الثقافية . ولا نزاع اذا فى أن مكتبة الاسكندرية من هذه الوجهـــة تستحق المكانة الشريفة العالية التى تستحقها حقبة طويلة فى المجتمع القديم لتنمية العقل الانسانى ، فقد كانت النموذج الذى اتخذته مكتبات عالم البحر الأبيض المتوسط مثالا تحذو حذوه ، ومن ثم كانت النواة ونقطة الانطلاق

نحو ديموقراطية العلم والتعليم اللذين تميز بهما العالم الاغريقى الرومانى أثناء ازدهار حضارتيهما .

هذا ولا يفوتنا أن نعرف أن جمع الكتب الشخصى من كل نوع قد شجع على أنه هواية عند الأفراد المتعلمين ، وذلك تمثلا بالنهضة التعليمية فى الاسكندرية التى كانت مركزة فى «الميوزيون» ومكتبتها وقد كانت هذه الهواية أمرا حقيقيا بوجه خاص فى مصر فى عهد حكم البطالمة بتشجيع الاغريق الذين كانوا يتدفقون على مصر خلال المائة سنة الأولى بعد انضمام رؤساء الكهنة قلبا وقالبا الى « الاسكندر الأكبر » عام ٣٣٢ ق.م .

وقد تجلى أمامنا الشغف الذى كان يظهره المستعمرون الاغريق فى مصر فى جمع الكتب التى من نوع قيم بعد تأسيس مكتبة «الميوزيون» بصورة لم تكن فى الحسبان . وذلك أنه قد عثر على قطعة من بردية محفوظة الآن فى مجموعة مكتبة « جامعة كولمبيا » بأمريكا . وهذه القطعة من بردية من سجل «زينون» الذائع الصيت وهو اغريقى من بلدة «كانوس» (Caunus) من أعمال آسيا الصغرى ، وقد وفد على مصر حوالى عام ٢٦٠ ق.م. وانخرط فى خدمة «أبوللونيوس» وزير مالية «بطليموس الثانى» . وفى عام ٢٥٦ ق.م أسند اليه القيام بتنمية الأراضى التى حول بركة «قارون» . وقد أدار هذا المشروع للوزير «أبوللونيوس» الذى وكل اليه أمر زرع هذه الأرض وتنمية محصولها . وقد وصلت الينا قطعة البردى التى أشرنا اليها وتحتوى على أربعة أسطر جاء فيها : كتب أرسلت الى مجموعة «أفاراموستوس» خاصة بخطب سياسية كتبها «كاليستنيس» . وقد قطعت الورقة لسوء الحظ عند هذه النقطة. و «أفاراموستوس»هذا كان أخاأصغر «لزينون»، أما «كاليستنيس» فهو ابن أخ «أرسطوطل» ومساعده . وكان قد رافق «الاسكندر الأكبر» فى حملته الى «آسيا» . وخدم الاسكندر حتى عام ٣٢٧ ق.م وهو العام الذى فيه قتله «الاسكندر» لقيامه بمؤامرة لاغتياله .

هذا ولما كانت هذه القطعة فى حالة تمزق سيئة فانه لم يحفظ لنا من أسماء الكتب التى أرسلها «زينون» لأخيه الصغير عن طريق النهر ، الا العنوان وها هى ذى ترجمته الحرفية عن الاغريقية : « مجموعة «كاليستنيس» الخاصة بالخطب الدبلوماسية » .

وعلى أية حال فانه كان فى استطاعة المؤرخ « ميشيل أڤانوفيتش روستوفتسف » الروسى الأصل أن يفسر على أساس ما جاء فى هذه القطعة فكرة كانت لها منذ زمن صورة فى ذهنه وتتلخص فى أن المدرسة التى كانت لها أكثر سيطرة وأكثر تمييزا فى الفلسفة اليونانية فى العالم الهيلانستيكى فى خلال القرن الثالث قبل الميلاد ، وهى مدرسة «ارسطوطل» كان تأثيرها أشد تأثيرا من مدرسة «زينون» القبرصية أى مدرسة «الرواقيين» (١) .

وعلى أية حال يجب أن نقدر قيمة « ميوزيون » الاسكندرية ومجموعة الكتب الشهيرة الموجودة فى مكتبتها على حسب الوضع العلمى الذى تقوم عليه فلسفة «أرسطوطل» وكذلك على القدرة التنظيمية التى كانت من صفات المهاجرين الاغريق الى الديار المصرية ، وذلك لأننا سنرى فى هذا الوضع معناها وأهميتها .

وأهم معلومات تعتبر من الدرجة الأولى وصلت الينا عن المركز الرئيسى الذى كانت تشغله مدينة « الاسكندرية » هو ما رواه لنا الجغرافى «استرابون» (٢) ، وذلك لأنه زار المدينة وتفقد أحياءها وساح فى وادى النيل فى حاشية صديقه الشخصى «اليوس جاليوس» وهو ثالث حاكم لمصر فى عهد «أغسطس قيصر» أى فى أوائل القرن الأول الميلادى .

وكانت المكتبة جزءا من بيت «الميوزس» الذى يسمى «الميوزيون». وكانت

---

(١) راجع Rostovtzeff . Social & Economic History, vol. III. P. 1650. Note 35; Westermann Clinton. Keyes, Herbert Liebesny Columbia Papyri, vol. IV.

(٢) راجع (Strabo. XVII, 1.8-16

الأخيرة بدورها تعتبر جزءا من ساحة القصر الملكى الكبير الواقع فى وسط المدينة . هذا ولا نعرف بالضبط السنة التى أسست فيها «الميوزيون» ولكنها فى العادة توضع بين حوالى السنين الأخيرة من حكم «بطليموس الأول» والسنين الأولى من عهد « بطليموس الثانى » أى ما بين ٢٩٠ و ٢٨٠ ق.م . ولم يحدد بالضبط حتى الآن موضع القصر الملكى وبالتالى موضع «الميوزيون» . ومن هذه المعلومات الناقصة قد أصبح موضع المكتبة و «الميوزيون» لا يخرج عن حدس وتخمين فى داخل مساحة محدودة . وعلى أية حال فان العالم«برشيا» قد حدد موقع «الميوزيون» وملحقاتها ، مستعملا المصور الجغرافى الذى وضعه الاستاذ «بوطى» الايطالى عن الاسكندرية — ما بين الشوارع الثلاثة الحديثة وهى شارع شريف باشا وشارع سيزوستريس فشارع النبى دنيال (١) . ومعنى ذلك أن المكتبة على حسب رأى «برشيا» تقع على مسافة تتراوح ما بين ربع ونصف ميل من الكرنيش الحالى وساحل الميناء الشرقية وعلى أية حال فان هذا الرأى مجرد تخمين وحسب .

وتدل الوثائق التى فى متناولنا على أن الرجل الذى انتخبه البطالمة ليكون مستشارهم فى تأسيس «الميوزيون» هو القائد السياسى «ديمتريوس» مواطن «فالرم» (أحد أقسام أتيكه) وهو من أتباع «ليسيوم» وتعاليمها . وكان ماهرا فى معرفة نظامها ومقاصدها العلمية ، وقد كان حاكم أثينا مدة عشرة سنوات (٣٠٧—٢٩٧ ق.م) وذلك بوصفه مشرفا مدنيا تحت الحكم المقدونى، وبعد ذلك أصبح لاجئا اذ ترك مسقط رأسه فى عام ٢٩٧ . وفى عام ٢٩٤ ق.م دعاه «بطليموس الأول» للحضور الى مصر حيث استقبله باحترام عظيم ووكل اليه أمر تنظيم «الميوزيون» بوصفها مركزا للتعليم، وكانت تتألف من مجموعة من العلماء على رأسهم كاهن « الميوزس » وقد كانت عبادة « الميوزس » منذ زمن بعيد رمزا للروح العلمية (٢) .

(١) راجع Evariste Breccia, Alexandrea ad Aegyptum).

(٢) راجع Histoire Des Lagides Bouché-Leclercq, Tome I, p. 128, note 3.

هذا ونجد أن أتباع « فيثاغور » كانوا متعودين أن يرفعوا فى وسط صوامعهم الفلسفية مائدة قربان «للميوزس» . وكانت مدارسهم تدعى «ميوزس» وكان الفلاسفة أتباع «سقراط» حتى الأقل باطنية من جميعهم وهم «المشاءون» قد بقوا على ولائهم لهذه الديانة ذات الذوق السليم وهى التى كان فى استطاعتها أن ترفع من شأن الناس مع بقائها للمفكرين الأحرار رمزا شفيفا . وقد أسهم «ديمتريوس» مواطن «فالرم» نفسه فى زمن سلطانه فى تنظيم «تيوفراستوس» الذى كان النموذج الذى أسست عليه «ميوزيون» الاسكندرية .

وكان علماء «الميوزيون» يسكنون ويعملون فى هذه المؤسسة على حساب «بطليموس» متحررين من كل هموم الدنيا ومنغصاتها ، وقد وصفهم «تيمون» (Timon) وهو من أصحاب مذهب التشكك بأنهم دجاج مسمن فى قفص (١) . ويحدثنا «استرابون» عن «الميزيون» أنها جزء من الحى الملكى كما أشرنا الى ذلك من قبل ، وتحتوى على ممشى ومبنى عظيم يوجد فيه حجرة للطعام مشتركة لعلماء هذه المؤسسة، وكان لها ميزانية مشتركة وكاهن موكل اليه محراب « الميوزس » يعينه فيما سبق ملوك البطالمة ، والآن يعينه قيصر روما ، ومن المحتمل أن هذا الوصف كان ينطبق على هذا المبنى فى عهد البطالمة لأن الأوضاع لم تتغير وان كان الحكام قد تغيروا ، وليس من الواضح لنا أى فرع من فروع المعرفة كان يمثله أعضاء هذا المعهد ، وقد ذكر لنا «استرابون» بشىء من الابهام كلمة علماء . وقد جاء ذكر «الميوزيون» فى كتابات اثنين من هؤلاء العلماء وهم «تيمون» مواطن « فيليوس » و «هروداس» وكلاهما عاش فى القرن الثالث قبل الميلاد وقد أشار أولهما فى أبيات لاذعة من شعره الى « فلاسفة » أى فلاسفة « الميوزيون » اذ يقول :

(١) راجع (Athenè(122 D

« فى أرض مصر المزدحمة .
هناك كثيرون يطعمون .
وكثير من كتاب التفاهات على البردى
وهم دائما فى شجار
فى خن طبو الميوزس (١) .

ومن المحتمل أن كلمة (فلسفة) السالفة الذكر يمكن أن تعطى معنى أوسع أى أن المكان قد أسس فيه كل فروع البحث العلمى وقد كانت مناقشات «الميوزيون» خاصة بأعضائه فقط ، وأقرب مثال فى عصرنا لهذا هو مجمع البحوث العلمية (الأكادمى) .

ولا نزاع فى أنه كانت هناك نظم للتعليم تتبع فى «ميوزيون» الاسكندرية منذ بداية تأسيسها . وعلى أية حال فانه يمكن معرفة الشىء القليل عن طبيعتها وامتدادها ، ومن الاشارات العابرة القليلة التى وصلت الينا عنها نفهم أن أساس الجانب التعليمى كان فى صورة مناقشات يومية فى المسائل العلمية ، وهذه كان يسيرها منذ البداية مجموعة من أعضاء «الميوزيون» وقد قدر عددهم فى عهد البطالمة المزدهر بحوالى مائة عالم ، من المحتمل أنه كانت هناك نخبة من المستمعين رقتئذ وان كانت البراهين على حقيقه هذا الأمر تعوزنا ، ولا يجدر بنا أن نلتفت الى السخرية اللاذعة التى كان ينطق بها «تيمون» الاثينى المتشكك ، ولا ينبغى اتهامهم اتهاما شرعيا بأن مناقشاتهم لم تكن الا تظاهرا بالعلم الذى لاقيمة له ، وهذا الرجل هو الذى قرن أعضاء « الميوزيون » بالديوك التى تتشاجر فى أقفاصها ، وقد كان الانتاج الدائم «للميوزيون» فى علوم الفقه بوجه خاص فى التعليم بوجه عام ، ويمكن تقديرذلك من ملحوظة المؤرخ « اميانوس مارسلينوس » (Ammianus Marcellinus) فقد أخبرنا فى زمنه أى فى القرن الرابع بعد الميلاد عن شهرته فى أنه درس

(١) راجع Ap. Athen. 1, 22 D, Trans. Sandys).

الطب فى الاسكندرية وكان ذلك أحسن تزكية يمكن أن ينالها طبيب فى ذلك العهد ، فقد قيل ان آخر امرأة من نســاء البطالمة وأذكاهن وهى كليوباترة لسابعة قد حضرت مجالسهم العلمية باهتمام ، وقد كان حضور « مركاس أنطونيوس» زوج «كليوباترة» لمناقشتهم سواء أكان ذلك طوعا أو كرها منه لارضاء الملكة أو قد يكون ذلك نتيجة لالحاح منها . هذا وقد يكون من باب الخطأ اذن أن نعد اهداء «كليوباترة» مائة ألف اضمامة كان قد نهبها «مركاس انطونيوس» من مكتبات مدينة «برجامم» نوعــا من التعبير عن الاخلاص للعلم من ناحيته بل يحتمـــل أن الهدية كانت مجرد اظهار الولاء والاخلاص لهذه الملكة الساحرة .

ولقد كان من الضرورى أن نؤكد هنا بشدة أهمية «ميوزيون» مدينة الاسكندرية وذلك أن «مكتبة الاسكندرية» لم تكن الا جزءا منها . وهذا الجزء كان يعد غذاءها ، فمن الاضمامات التى فى داخلها أتى كل علم الماضى وكانت الدافع الذى دعا الى متابعة ابحاث أخرى فى كل ميدان من ميادين المعرفة .

ويرجع الفضل الى «بطليموس الثانى» الذى حكم مصر مدة تسع وثلاثين سنة (٢٨٥ــ٢٤٦ق.م) أنه هو الذى أحضر المجموعة الأصلية من الاضمامات التى زينت مكتبة «الميوزيون» . والمفروض أن هذه قد زيد فيها على يد أمناء المكتبة الذين تولوا أمر تنظيمها على التوالى بوصفهم وكلاؤها

ومما يطيب التنويه عنه هنا ذكر طريقة ممتازة استعملت للحصــول على الكتب التى دونت بخط غاية فى الجمال وهذه الطريقة كانت متبعة فى عهــد «بطلميوس الثالث» (٢٤٦ــ٢٢١ق.م.) مما يدل على الأهمية البالغة التى كان يظهرها البطالمة الأول فى العناية بالمكتبة ، وقد وصلت الينا هذه الطريقة فى مقال وضعه الطبيب «جالن» مواطن «برجامم» الذى بلغ علمه مبلغا عظيما فى القرن الثانى بعد الميلاد ، فقد أخبرنا أن «بطليموس الثالث» قد استعار من «أثينا»

اضمامات البردى التى كانت ملك الحكومة الأثينيـــة ، وكانت تحتوى على معظم المتون القيمة لتمثيليات «اسكلس» و «سوفوكليس» و «ايريپيديس» (Euripides) لنسخها من أجل مكتبة «الميوزيون» «بالاسكندرية» وقد دفع رهنا لذلك خمسة عشر تالنتا الى أن تعاد سالمة لأثينا ، وهذاالمبلغ يساوى نقدا ستة آلاف جنيه مصرى ، غير أن هذه الاضمامات كانت من حيث القوة الشرائية تساوى أضعاف هذا المبلغ ، وعندما حان الوقت لارجاع هذهالمتون غرم «بطليموس» الضامن وأرسل نسخا حسنة الكتابة من هذه المؤلفـــات عملت فى الاسكندرية (١) .

ولدينا خطاب كتبه « ارستاس » (Aristeas) (٢) وهو يهودى مشـــهور بالدعاية لقومه ، الى « فيلوكراتيس » أخيه (Philocrates) وهذا الخطاب يعد ثانى مصدر يظهر فيه النطاق الواسع لاهتمام البطالمة الأول للحصول على الكتب . والغرض الذى يقصد من هذا الخطاب هو أن كاتبه يهودى معاصر للملك «بطليموس الثانى» وقد ذكر مؤلفه رغبـــة «بطليموس الثانى » فى ترجمة الأدب الدينى اليهودى الى اللغة اليونانية ليصير فى متناول العـــالم الاغريقى وكذلك للحصول على نسخ من هذه التراجم لمكتبة الاسكندرية.

(١) راجع Galen XVI p. 603.

(٢) أرســـــاس أو أرســــــتاوس Aristeas or Aristaeus ضابط عظيم قبرصى الاصل فى بلاط بطليموس الثـــانى . وكان مشـهورا بمواهبه الحربية . ولما كان بطليموس مغرما ليضيف الى مجموعة مكتبة الاسكندرية نسخة من كتاب القوانين اليهودية أى التوراة ، أرسل أرستاس و«أندراس» قائدحرسه الى أورشليم لهذا الغرض .

وقد حملا على مايقال معهما هدايا الى المعبد وحصلا من الكاهن الاكبر وقتئذ على نسخة أصلية من التوراة كما حصلا على سبعين عالم من شيوخ أورشليم عشرة من كل قبيلة لترجمة التوراة الى اللغة الاغريقية وقد قوبلوا فى الاسكندرية على زعم اليهود بالترحاب وترجموا التوراة فى مدة اثنين وسبعين يوما وهذه القصة قد ضمـها ارستاس خطابه ومن المحتمل انها محض اختلاق من خيال يهـــود الاســكندرية وضعت فى العهد المسيحى الخ (راجع Dictionary of Greek & Roman Biographies and Mythology, vol. I(p. 293.

ويذهب معظم العلماء المبرزين فى التاريخ العبرى فى العصر اليونانى الى أن هذه الوثيقة تنسب الى عصر بطليموس السابع «فيليموتر» واخته وزوجه « كليوبترا الثانية » أى أنه دون حوالى منتصف القرن الثانى قبل الميلاد على أن مجرد حقيقة ترجمة الكتب الخمس الأول من كتاب العهد القديم وهى اشعار موسى الخمسة (Penteteuch) واتمامها فى العهد البطليموسى لا شك فيه، ومن المحتمل أن القول بأن اثنين وسبعين عالما أو السبعين كما يسمون عادة كانوا قد أحضروا من فلسطين للقيام بعمل الترجمة أمر مقبول أيضا . ولب الحقيقة الذى يمكن أن يعتمد عليه هو البرهان الذى نشاهده فى المدى الواقع بالاهتمام بالأدب الأجنبى الذى أظهره بلاط «بطليموس الثانى» وكذلك مابذل من مجهودات لجعل علوم العالم الأجنبى فى متناول العلماء الاغريق فى الاسكندرية بلغتهم الاغريقية ، وهذه الرغبة التى أظهرها البطالمة هى نوع من الرغبة التى نشاهدها فى مصرنا الحالية من الاهتمام بالعلوم الأجنبية وكتاباتها.

ومما لا جدال فيه أنه كانت توجد مجموعتان من لفائف البردى فى الاسكندرية يمكن أن يطلق عليها اسم مكتبة. وكانت صغرى هاتين المجموعتين تابعة لمعبد «السرابيوم» فى حى «راقودة» حيث نشاهد الآن قائما العمود المسمى عمود «پومپى» ، والمعلومات التى فى متناولنا من الأزمان القديمة عن عدد الاضمامات التى كانت تحتويها كل من هاتين المكتبتين خداعة ، ولكنا نجد أنها معلومات متماسكة فالمؤرخ اليهودى « جوسفس » الذى عاش فى القرن الأول من العهد المسيحى يخبرنا أن أول محاولة قام بها «ديمتريوس» الاثينى لجمع كتب الميوزيون أنه أحضر اليها مائتى الف اضمامة (١) .

وفى القرن الثالث بعد الميلاد كتب «جالينوس» قائلا أن البطالمة قد جمعوا سبعمائة الف مجلد ، والمجلد هنا لا بد أن يعنى اضمامة ، واقرب تقدير معقول يمكن للعلماء أن يصلوا اليه بالنسبة لحجم مجموعة الاسكندرية يجوز

---

(١) راجع Josephus Antiquities XII, 21.

بأن يقترح فيه النتيجة الآتية : فى عهد البطالمة فى ختام القرن الثالث قبل الميلاد يجوز أن يبلغ عــدد الاضمامات حوالى أربعمائة الف اضمامة ، وفى عهــد «يوليوس قيصر» يجوز أن يزداد هذا العدد الى سبعمائة الف اضمامة (١). يضاف الى ذلك مائتا الف اضمامة أهديت الى «كليوبترة السابعة» من زوجها «ماركاس أنطونياس» ومن مجموع ذلك نصل الى أعلى رقم وصل الينا من الأزمان القديمة وهى تســعمائة الف اضمامة . وعندما يرغب الانســان فى موازنة هذه الأرقام بما يقابلها من كتب كما نفهم فى عهدنا الحاضر لا بد أن نفهم أولا معنى الكلمة الاغريقية «بيبليا» (Biblia) وهذه الكلمة التى تستعمل عادة فى مصادرنا القديمة تعنى فقط اضمامات لاكتبا بالمعنى الذى نفهمه نحن الآن .

والواقع أن أحسن مدخل لعمل حساب تقريبى لعــدد الاضمامات التى يجب أن نحصل عليها لتعادل كتابا فى مجلد واحد هو الحصــول عليه من البرديات المصرية من جهة ومن نقش على حجر من جهة أخرى . وذلك أنه فى عام الف وتسعمائة وستة وضع العالم الذائع الصيت «ڤلكن» حوالى أربعين قطعة كبيرة وصغيرة سويا لاضمامة واحدة ، وقد كانت نتيجة لهــذا الدرس الدقيق المفهوم (٢) ، الذى وضع سويا فى قصة متصلة هو أن هذه القطــع يمكن أن تصل الى نحو ست أو ثمان صحائف من مجلد بالحجم الكبير من كتبنا الحالية ، وهذه القطع جاءت من تاريخ عن حروب «هانيبال» مع «روما» وقد ضاع فى الزمن القديم المتأخر وكان مؤلفــه «اسبرنيا» اغريقيا يدعى «سوسيلوس» (Sosylus) وكان عضوا فى هيئة الموظفين من رجال الأدب فى جيش «هانيبال» ، والورقة التى أتت منها هذه القصة قد أرخ كتابتهــا «ڤلكن» بالقرن الأول قبل الميلاد ، ومن حسن الحظ أن عنوان الكتاب قد وجد على ظهر احدى القطع وهو الكتاب الرابع (أى الاضمامة الرابعة) من

---

(١) راجع (Johannes, Tztzes A.D. 1110-1180

(٢) راجع r!!Ոch Wilcken, Hermes XII (1906). 103 ff.)

كتاب اضمامات «سوسيلوس» عن أعمال «هانيبال» ، ونحن نعلم أنه لا يوجد الا سبعة كتب من هذا المؤلف الذى وضعه «سوسيلوس» عن أعمال «هانيبال» أى أنه كله يحتوى على سبع اضمامات .

ولدينا مدخل آخر مضبوط يعتمد عليه تماما فى مسألة «الببليا» بوصفه اضمامة وذلك فى نقش نشره العالم الايطالى «ماريوسجرى» وهذا النقش وصل الينا من «رودس» عرف من أسلوب كتابة النقش . وقد أرخ بالقرن الثانى قبل الميلاد ،ويحتوى قائمة من الاضمامات أهداها المواطنون الى مكتبة «جمنازيوم» هذه المدينة لا لمكتبة البلدية ، وقد أصبح من الواضح من الجزء الذى أمكن حله من النقش أن كل اضمامة كانت فى حجم مقالة معتدلة الطول . ولكن ليس فى طول كتاب بالمعنى الذى تفهمه عندما تتحدث عن مجلد من الحجم المربع ، فمثلا كانت توجد اضمامات من كتاب للمؤلف « هجسيوس » (Hegsius) يسمى «عشاق أثينا» وقد خصصت اضمامة أخرى لحب «أسپاسيا» (Aspasia) واضمامة أخرى كانت خاصة بحب «السيبيادس» . وكان يوجد أربع اضمامات من كتاب لمؤلف يدعى «تيودكتوس» (Theodectus) من الحرف ، هذا بالاضافة الى خطبةواحدة من «تيوفراستوس» وهى خطبته الألمبية ومقالة منفردة بنفس العنوان من المدرسة «الأرسطاطولية» فى مدح مدينة الاسكندرية .

ويمكن الانسان أن يستنتج من كل ما سبق كما يقول «فسترمان» ان متوسط ما تحتويه ست اضمامات من الاضمامات القديمة تعادل على وجه التقريب كتابا من الحجم الكبير الحديث يحتوى على ثلثمائة صفحة ، فاذا لاقت هذه النظرية قبولا فيكون لدينا قاعدة عامة يمكن أن نقرن بهامجموع محتويات مكتبة الاسكندرية القديمة بالنسبة للمكتبات الحديثة الآن .

وعلى أية حال فان المكانة الممتازة التى كانت تشغلها مكتبة الاسكندرية منذ الفى سنة مد . كانت عظيمة الى حد بعيد ، وليس من شك فى أن مكتبة

الاسكندرية القديمة قد احتلت مكانا فى عالم الثقافة فى عصرها يبرر اللقب الذى منحه اياها القانونى الامريكى «بارسنز» وهو فخر العالم الهيلانستيكى(١).

هذا ويمكن تقدير المكانة الرفيعة التى وصلت اليها مكتبة «ميوزيون» الاسكندرية فى العهد الهيلانستيكى بين المكتبات العدة فى الممالك الأخرى المعاصرة لها والتى أخذت نظمها عنها ، وذلك بسرد أسماء قائمة العلماء الفطاحل المبرزين الذين نصبوا فى القرنين الثالث والثانى قبل الميلاد أمناء فيها . ونعلم الآن من ورقة عثر عليها فى مدينة «البهنسة» الحالية الواقعة على حافة الصحراء الغربية على مسافة ١٢٥ ميلا جنوبى القاهرة ، اسماء هؤلاء العلماء البارزين الذين تولوا رياسة ادارة مكتبة الاسكندرية (٢) .

وهؤلاء العلماء هم : (١) «زنودوتوس» (Zenodotus) من أهالى «أفيسوس» (Ephesus) وهو يعد أول اغريقى من العصر الهيلانستيكى يضع للعالم متنا منقحا لكتابى هومر «الالياذة» و «والأودسى» . (٢) وخلفه فى رياسة المكتبة «أبوللونيوس» الاسكندرى ، وهو مؤلف الملحمة المسماة الحملة الأرجونيتية (Argnautic Expedition) ولا تزال تقرأ حتى أيامنا وكانت فى عصرها أكثر شهرة عما هى عليه الآن ، كما كانت أحسن ملاءمة للذوق القديم أكثر من عهدنا الحاضر . وفى عهد رياسة «أبوللونيوس» لمكتبة الاسكندرية نظم الشاعر الغنائى «كاليماكوس» فهرس مكتبة الاسكندرية المشهور ولم يتول الأخير فى يوم من الأيام وظيفة أمين المكتبة ، ومن المحتمل أن ذلك كان السبب فى أنه كان يقتبس غالبا بسخرية لاذعة عندما كان يتحدث عن «الحملة الأرجونيتية» أى الملحمة التى وضعها «أبولونيوس» فى صورة شعرية مسدسة الفواصل ، وقد قال عنها حرفيا

---

(١) راجع Edward, A. Parsins, The Alexandrian Library-Glory of the Ancient World, London, Cleaver-Hume Press, 1952.

(٢) راجع Gronfell, Bernard. P. and A.S. Hunt. Oxyhynchus Papyri, X, No. 12[illegible], col. II, Oxford Press.

«كاليماكوس» : « كتاب كبير ، ضرر كبير » .

والفهرس الذى وضعه «كاليماكوس» هذا كان قد نظم من حيث الموضوعات فى ثمانية أقسام كما يأتى : كتاب الروايات والملاحم والشعر الغنائى ، (كل هذه معا) ثم المؤرخون والشعراء والبلغاء ، والخطباء ، والفلاسفة وأخيرا كتاب المنوعات . وهذا ما يقابل فى الواقع على وجه التقريب موضوعات الفهرس فى المكتبات الحديثة . (٣) وثالث أمين للمكتبة هو الجغرافى القدير ذائع الصيت «اراتوستينيس» وكان يشغل هذه الوظيفة فى السنين العشرة الأخيرة من القرن الثالث قبل الميلاد . (٤) وخلفه فى وظيفته هذه «أريستوفانيس» البيزنطى الذى مات فى عام ١٨٥ ق.م. وكانت له شهرة بين العلماء بوصفه ناشر المتون الممتازة للشعر الكلاسيكى ولكتابات مؤلفين آخرين من الذين سبقوا أفلاطون. (٥) وكان خامس أمناء مكتبة الاسكندرية هو «أبولونيوس» وهو كاتب غير معروف كثيرا من حيث التصوير الأدبى وكان يدعى فى الاغريقية «كاتب الاسوب» . (٦) وآخر علم من بين هؤلاء الأمناء هو «اريستاركوس» (Aristarchus) مواطن «ساموتراس» وقد قام بنشر كتب للمؤلفين الاغريق المبكرين من أول عهد «هومر» حتى عهد «بندر» . (٧) ولدينا أمين آخر لمكتبة الاسكندرية يدعى «سيداس» وهو أحد رجال الحرس الملكى (١) والظاهر أن تعيين الأخير أمينا للمكتبة كان تعيينا سياسيا عمله «بطليموس فيسكون» . ويتضح من الاسماء التى وردت فى هذه القائمة أن معظم الذين تولوا وظيفة أمين مكتبة الاسكندرية كانوا مربين لأولاد ملوك البطالمة الذين عينوهم فى زمانهم ؛ وعلى ذلك يمكن القول بوجه عام أن الأمين الأول لمكتبة الاسكندرية كان دائما مربيا للأسرة المالكة.

وتدل الوثائق التى فى متناولنا من عهد «بطليموس الثامن» على أنه قد حلت

---

(١) راجع Beloch, Griech Gesch. IV, 2, pp. 592 SQQ.

كارثة بكل من «الميوزيون» وبالمكتبة . وذلك أن أهالى الاسـكندرية قد أعلنوا صراحة احتقارهم وكرههم لهذا العاهل بوصفه حاكمهم . وقـد قابل «بطليموس الثامن» هذا الكره له والاحتقار لشخصه بأن أمر الجنود بقتل سكان الاسكندرية ؛ ولسبب مجهول لنا ركز «بطليموس» هذا غضبه على «الميوزيون» وادارتها فعين رئيسا لمكتبة الاسكندرية «سيداس» الذى سبق ذكره فى قائمة امناء المكتبة .

وتفاصيل ما حدث غامضة ، غير أنه كان واضحا أن العلمـاء الذين كانوا يؤلفون أعضاء جماعة علماء «الميوزيون» قد هربوا من المدينة ، فنجد مثلا أن «أبوللودوروس (Apollodorus) الاثينى الذى ألف كتـابا فى التأريخ وآخر عن مشاهدة الطبعيات قد عاد الى «أثينا» . كما اعتزل «ديونيسوس التراقى» فى «رودس» ، وكان أول عالم هيلانستيكى وضع اجرومية باللغة الاغريقية ، هذا وقد هرب آخـرون الى أماكن أخرى وجـدوا فيها مأوى يلجئون الى حماه (١) . بقى علينا بعد هذا العرض أن نذكر باختصار ما قاله الاستاذ «فسترمان» عن تخريب مكتبة الاسكندرية المزعوم بالنار فى فترة احتلال « يوليوس قيصر » لمصر عام ٤٨ ق.م. وعلى أية حال فان بحث هذه المسافة الخطيرة يتوقف على تقدير المصادر الخاصة بأن «ميوزيون» المكتبة بوصفها مجموعة كبيرة من الاضمامات مميزة خارج المكتبة كانت قد التهمتها النار وقتئذ . وثانيا يجب على الانسان أن يتناول التقرير ذا الصبغة الأسطورية الذى وصل الينا عن هذا الحادث بطريقة منطقية . ويجب على الباحث عند الدخول فى هذا الموضـوع أن يبتدىء بمعرفة هذه الحقيقـة وهى أن كل مجموعات المكتبات العدة المؤلفة من اضمامات البردى التى كان يحق لمدن العالم القديم حتى مدنه الصغيرة أن تفخر بها قد اختفت من عالم الوجود.

---

(١) راجع Athenaeus Delpnosophists, IV, 184 C).

والواقع أن المعلومات المباشرة التى يمكن الحصول عليها من عهد هــذه الكارثة التى يقال أنها أصابت مكتبة الاسكندرية أو بعبارة أخرى البرهان المعاصر لذلك الحادث قد بنى عن الأقوال التى فاه بهـا «يوليوس قيصر» نفسه ، وكذلك من البيــان الذى قدمه لنا صـــديق مناصر ليوليوس قيصر ومتحمس له عن الحرب التى نشبت فى الاسكندرية . وهذا الصديق المناصر والمتحمس ليوليــوس قيصر هو « أولوس هيرتيــوس » (Aulus Hirtius) وتفسير الحادث أن «يوليوس قيصر» السياسى الماهر قد قلب نفسه الى جندى ماهر فى فنون الحرب الاستراتيجية وقد وقع فى حبائل ثورة طاحنة قام بها أهالى الاسكندرية فى الحى الذى فيه القصر الملكى ، وقد حدثنا بنفسه أنه أمر بحرق كل السفن الراسية على طول حياض المينــاء الكبرى على امتداد الكرنيش وذلك بمثابة اجراء حربى لحماية نفسه من حرب الثوار التىكانت ناشبة أظافرها فى شوارع الاسكندرية بعصابات جبارة (١) ، غير أن «يوليوس قيصر» لم يحدثنا بكلمة واحدة عن حريق على نطاق واسع وذلك على الرغم من أنه كان أجدر شخصية يمكنه أن يعرف شيئا عن هذا الحريق وماتنج عنه من اضرار ، وقد كان من الطبيعى أن يتحدث عن الاضرار التى نجمتعنه، هــذا بالاضافة الى أن «أولوس هيرتيوس» لم يحدثنا بشىء عن تخريب النار المكتبة أو عن حرق أى اضمامات كتب. وأخيرا لم يكتب لناالفيلسوف «شيشرون» أية كلمة فى أى خطاب من خطاباته فى هذا الوقت . وقد كان « استرابون » فى مصر فى عام ٢٥ ق.م. على اتصال «بميوزيون» الاسكندرية وكان مدققا فى وصفها كما كان ملما بكل الجزئيات التى لابد منها ومع دلك لم يذكر لنا أى تخريب فى المدينة بالنار .

وقــد وصل الينا فى سنى شــباب «نيرون» أى فى الأربعين وفى السنين الخمسين الأول من القرن الأل المسيحى ، من « لوسيوس أنايوس سمنكا »

---

(١) راجع Julius Caisar. The Civil Wars, III, 111).

(Lucius Annaeussemeneca) تيـــان جاء فيـــه « أن أربعـــين ألف كتاب قد أحرقت فى الاسكندرية» . ويستمر قائلا «أن فردا آخر يمكن أن يمتدح هذا الأثر الفاخر الدال على الثراء الملكى مثل تيتوس ليفى (Tituslivy) الذى يقول «أهذا العمل كان عملا عظيما بارزا يدل على حسن ذوق الملك وعزته » .

ومن الجائز أن «سنكا» كان يقصد دون شك أربعين الف اضمامة خارجة عن نطاق مكتبة الاسكندرية . وهذا القول لم يأت من «ليفى» وذلك لأن بيانه لم يسجل أى شىء أكثر من مدح مكتبة الاسكندرية بوصفها عملا عظيما أتمة ملوك البطالمة واذا سلمنا بأن الاربعين الف اضمامة التى ذكرها «سنكا» هى العدد التقريبى الذى اتلف بالنار وكذلك اذا سلمنا فضلا عن ذلك أنها كانت جزءا من مكتبة «الميوزيون» فان العدد الذى أتلف كان لايزال يؤلف أقل بكثير من عشر مجموع الاضمامات الكلى ، وفى هذه الحالة قد نكون مضطرين الى القول بأن جزءا كبيرا من مبنى «الميوزيون» المقامة على بعـد أربعة أميال من حوض الميناء الشرقية على طول الكرنيش قد أحرق ، ولكن ممالاشك فيه أنه لم تصل الينا أية كلمة من هذا العهد يمكن أن تتخذ حجة على أن مبنى «الميوزيون» قد أحرق أو أى جزء كبير من المدينة التهمته النار .

ومن الغريب أنه فى الجزء الأول من القرن الثانى الميـلادى قد زخرفت قصة حريق مكتبة «الاسكندرية» فى خلال اقامة قيصر فى الاسكندرية بما كتبة «بلوتارخ» فأصبح حريقا انتشر من أحواض الميناء وامتد الى المكتبـة العظيمة فاتلفها بعد ان كان على احواض الميناء فقط (١) .

وقد تكررت هذه الاسطورة بالرواية حتى ظهرت بمظهر حقيقة تاريخية ومن ثم أخذت مكانتها فى كتب التاريخ التى أتت وتناولت الأزمان القديمة واعترف بها على أنها حقيقة لا ريب فيها .

---

(١) راجع (Plutarch, Caesar XLIX

ولا نعرف عن أى مصدر نقل «سنكا» معلوماته عن حرق الاربعين الف اضمامة وتخريب السفن التى كانت فى الميناء وبهذه المناسبة لا بد أن نذكر أن الاسكندرية فى عهد قيصر كانت من أعظم مراكز العالم نشاطا فى تجارة الكتب وانتاجها فى الوقت نفسه . وعلى ذلك فان المصدر الرئيسى لقصة حراق مكتبة الاسكندرية لا بد قد أتى عقلا عن بيان ذكره قيصر نفسهوأنه هو الذى أمر باحراق كل السفن (١). التى كانت مربوطة عند احواض الميناء الكبرى . وعلى ذلك فالأمر الطبيعى هو أنه كانت توجد فى ميناء الاسكندرية عشر أو اثنا عشر سفينة تجارية محملة ببعض الاضماما تالتى كانت مجهزة للتصدير ، وكانت هذه السفن مربوطة على طول الأرضية ، وقد شبت فيها النار.، وهناك اقتراح آخر أدلى به المؤرخ «أدون بيڤان» ويمكن الأخذ به ويتخلص فىأن بعض مستودعات البضائع التى كانت تقع على طولالأحواض قد شبت فيها النار وأنهذه الاضمامات كانتمجهزة للتصدير فأخذتها النيران وعلى أية حال فان أحد الفرضين فيه الكفاية تماما المدلالة على ضياعالاربعين الف اضامة من البردى وهى التى ظهرت فيما رواه «سنكا» عن احراق كتب فى الاسكندرية .

ولا ريب فى ان أقوى حجة على عدم اتلاف مكتبة الاسكندرية سواءأكان ذلك عن قصد أم مجرد صدفة هى أن هذا الحادث لم يؤكده لنا أحد قطحتى الان. وهذا الأمر يرجع مردهعلى ما يظهر الى أنه كانت توجد عشراتالمكتبات فى المدن الكبيرة والصغيره فى الأزمان القديمة ولا نعرف عن مصيرها شيئا . ومن بين المكتبات التى أنشئت على غرار مكتبة الاسكندريه وبوازع منها مكتبة «برجامم» فى «آسيا الصغرى» التى أسسها ملوك «برجامم» وكان يفضل فيها كتابة كتبها على جلد الغنم (الرق) على الكتابة على البردى وذلك

---

(١) راجع (Caesar Civil War III. 111

لأن الرق أكثر متانة واحتمالا من البردى . وكذلك يحتمل أن الجلد كان أرخص فى آسيا الصغرى عن الورق الذى كانت تصنعه حكومة البطالمة وتحتكر تصديره .

هذا ويقال أن مكتبات «أثينا» العدة كانت تقدم أحسن مجموعات من الكتب الموجودة فى العالم فى خلال القرن الثانى الميلادى . وكانت توجد مكتبات فى «پاتراس» PATRAS فى بلاد الاغريق كما كانت توجد مكتبة فى «رودس» وأخرى فى «القيصرية» وكانت تستعمل الرق بدلا من البردى وذلك لسرعة تلف البردى . وفى الغرب كانت أول مكتبة عامة فى «روما» غير أنها لم تكن قد أسست حتى عهد «أغسطس قيصر» هذا وكانت توجد مكتبة فى كل مدينة كبيرة فى شرقى البحر الأبيض المتوسط الذى سادت فيه اللغة الاغريقية . وهذه المكتبات كانت مرتبطة بمدارس الجمنازيا فى كل بلد . وتشبه الجمنازيا على وجه التقريب مدرسة الليسيه للشباب فى منطقة عالم البحر الأبيض فى زماننا .

وخلاصة القول أننا اذا أردنا أن نصر على ايجاد صورة تفسر لنا كارثه اختفاء مكتبةالاسكندرية فان المنطق السليم يتطلب منا تفسير كيفية اختفاء المكتبات الأخرى القديمة اختفاء تاما . وقد يتساءل المرء ماذا حدث لمكتبات برجام «وروما» و «رودس» و «مرسيليا» ؟. ولا نزاع فى أن اختفاء هذه المكتبات وغيرها من المكتبات القديمة يرجع الى سبب بسيط وهو أن الكتب مثلها كمثل الجلباب أو الحذاء فاذا استعملتها بليت ، ومن ثم فان الكتب التى تبلى ولا يستبدل بها جديد غيرها ضاعت الى الأبد ، وعلى ذلك فان فقدان الكتب باستهلاكها دون وضع نسخ جديدة بدلها يستلزم حتما أن تتلاشى المكتبة على مر الزمن .

والآن بعد هذا البحث الطويل فى «ميوزيون» الاسكندرية ومكتبته وما أفاضتا على العالم من علوم وآداب لا بد أن القارىء قد لحظ أن كل الانتاج

العلمى الذى جاء عن طريق هاتين المؤسستين كان كله انتاجا اغريقيا ، وليس لأبناء مصر الأصلين فيه أى مجهود اللهم الا كتاب التاريخ الذى وضعه «مانيتون» المصرى بالاغريقية للجالية الهيلانية والعلماء الهيلانيين ، ومن ثم نفهم أن الهيلانيين الذين احتلوا مصر لم يكن يهمهم من أمرها الا استغلال ثروتها الطبيعية باستعباد أهلها واستخدام قواهم الجسمية والقضاء على مواهبهم العقلية بجعلها راكدة ما دام ذلك فى قدرتهم . وأغرب ما يلفت النظر فى أمر علماء «الميوزيون» أنه لم يوجد من بينهم واحد تحدث عن اللغة المصرية أو ترجم شيئا عنها فكأن لغة مصر وعلومها الغابرة عندهم لم تكن شيئا مذكورا بعد أن كانت فى الأزمان التى سبقت العهد الهيلانى مورد علومهم ومعارفهم كما فصلنا القول فى ذلك فيما سبق . وعلى أية حال سنرى فيما يلى أن علماء الاغريق كانوا على الرغم منهم متأثرين بحضارة مصر القديمة التى كانت متأصلة فى كل فروع علومهم وآدابهم .

كتاب الأدب الأغريق فى الأسكندرية

كان لادباء الاسكندرية فى عهد البطللة شأن يذكر فى الشعر الغنائى والدراما. وآية ذلك أن القراء فى العصر الكلاسيكى كانوا يقنعون بالمتون التى تقع تحت أيديهم لأى مؤلف دون مراعاة اذا كانت هذه المتون صالحة أو غير صالحة للقراءة تماما . وقد شعر علماء الأدب الأسكندرى أنه من واجبهم عند تناول أى مؤلف أن يتثبتوا من متنه ، ثم يفسروا ما فيه من الفاظ لغوية مغلقة ويوضحون موضوعه . ولا أدل على الطريق التى نهجوها فى هذا السبيل من طبعات مؤلفات «هومر» التى نشرها «زندوتوس» و«ريانوس» (Rhianus) و « ارستوفانس » و « اريستاركوس » على التوالى ، ويلاحظ فى ذلك النقد العلمى المستمر . والواقع أن تعليق «اريستاركوس» على «هومر» كان عظيما لأنه كان يتناول المتن سطرا سطرا .أما المسائل العويصة التى كانت تعرض لهؤلاء العلماء فكانت تفحص فى مقالات منفردة . وقد طبق «أريستوفانيس»

مهارة النقد التى حصل عليها من هذه الدراسات وكذلك اخلافه على أنواع أخرى من الشعر كما طبقت على النثر بدرجة أقل . وتدل شواهد الأحوال على أن المتون التى تناولها «أريستوفانيس» قد نالت قبولا حسنا عاما حتى أن العلماء الذين أتوا بعده قد اكتفوا بوجه عام بالشروح . ومما يطيب ذكره فى هذا المقام أن ثانى عمل جليل قام به علماء الاسـكندرية بعد نقد المتون القديمة وعرضها عرضا صحيحا انهم وضعوا علم قواعد النحو والاجرومية، كما يسمونها ولم يدفعهم الى هذا الاختراع المجيد الاحب العلم لذاته وقد ساعدهم فى مجهودهم هذا طائفة العلماء الرواقيين وبخاصة فى تدبر أصول اللغة وتطورها وكانت أول أجـرومية وضعت فى اللغة الاغـريقية لأحـد تلاميذ العالم «اريستاركوس» المسمى «ديونيسون التراقى» .

المؤلفات النثرية

الواقع أنه لم توجد مادة كبيرة من المؤلفات النثرية فى العهد الهيلانستيكى وقد يرجع السبب فى ذلك الى عدم العناية بالاسلوب ، ومن أجل ذلك نجد أن أحد كتاب النثر فى عهد «أغسطس» من الذين قاموا بحملة لاحياء فن النثر «الاتيكى» من جديد حوالى عام مائة قبل الميلاد وقد هاجم كتاب النثر الذين عاشو ما بين عامى ٣٠٠و١٠٠ ق.م وحط من قدرهم . على أن ذلك لم يمنع المؤلفين كانوا يجدون فيها مادة واسعة مهما كانت غامضة .

يضاف الى ذلك أنه لم يكن للملكات الهيلانستيكية التى كانت قائمة وقتئذ مجال لاستعمال الخطابة وذلك لأسباب سياسية ، فى حين أن الخطابة كانت من مفاخر أثينا الديموقراطية فى عهد «ديموستين» (فحل الخطباء فى العالم الاغريقى). هذا وقد سلم النقاد القدامى بأن «ديمتريوس» مواطن «فالريم» كان آخر خطباء «اتيكا» ، غير أن أهم شىء يلفت النظر عن «ديمتريوس» هذا هو تشعب معلوماته ، فقد الف محاورات فلسفية وخطبا عن موضوعات

خيالية ، كما وضع كتاب التاريخ عن مدة حكمه لأثينا . هذا وقد فقدت الخطب القضائية سلطانها التى كانت احرزته مؤقتا . وكان آخر خطيب من هذاالطراز استحقت كتاباته أن تبقى هو «ليسياس» (Lysias) .

التاريخ

لقد كان علماء الاغريق منذ عهد الأسرة السادسه العشرين المصرية على الأقل يعتقدون أن وادى النيل هو منبع كل حضارات العالم وانهم تلاميذ المدنية المصرية ووارثوها كما حدثنا بذلك كل من المؤرخين «هيكاتا الميليتى» «وهردوت» وقد زار كل منهما مصر وكتب عنها . وقد كان المنتظر بعد ذلك أن نجد وثائق مما تركه الكهنة حفظة العلم عن أسرار مصر وما فيها قبل عصر هذين المؤرخين ولقد بقى العالم فى ظلال دامس حتى جاء المؤرخ «مانيتون» فى عهد «بطليموس الثانى» ودون لنا تاريخ مصر نقلا عن المصادر الهيروغليفية باللغة اليونانية .

ولا نزاع فى أن «بطليموس الأول» قد حث الباحثين على درس المدنية المصرية وغيرها من المدنيات المعاصرة وقد كان هو أول من ضرب مثلا للمؤلفين بوضع كتاب عن عصر «الاسكندر» وحروبه ضمنه حياته هو وذلك خدمة لسياسته التى كان يسير على نهجها من خلفه وقد نقل عنه الكثير المؤرخ «أريان» .

والواقع أن المحصول التاريخى فى الجيلين اللذين أتيا بعد عهد «الأسكندر» كان عظيما ، غير أنه مما يؤسف له جد الأسف ضياع مؤلفات المؤرخين الذين كتبوا عن هذا العصر ولم يبق لنا من كتاباتهم الا بعض مقتبسات نقلها عنهم آخرون جاءوا بعدهم . وقد كانت أبرز غلطة ارتكبها مؤرخو هذا العصر هى العمل على جعل كتاباتهم مؤثرة دون مراعاة أى اعتبار آخر . وكان أول من أدخل هذه الفكرة «اسوكراتيس» وتلاميذه ولم تكن وقت عصر البطالمة قد ماتت أو أوشكت على الزوال وعلى أية حال كان قد نشأ فى العالم الحديث وقتئذ شعور بالتعبير عن الحقيقة أوحى به الى بعض الكتاب وبخاصة عند

أولئك الذين كانوا يعملون في الدوائر الحربية وهم الذين عرفوا الاسكندر وعاشوا معه فأقلعوا عن البلاغة والمبالغة ، ومن أجل ذلك نجد أن «بطليموس» عند ماكتب تاريخه عن «الاسكندر» بعد عام ٣٠١ ق م من مذكراته الرسميه وغيرها من الوثائق الحكومية ، مضافا الى ذلك ملاحظاته الشخصية وذكرياته ، وبذلك كان يقوم بعمل جديد فقد كان رجل عمل دون ما عرفه وما رآه .

هذا ويطيب لنا أن نذكر هنا كذلك «تيكروس» أحد أصدقاء «الاسكندر» في صباه وقائد اسطوله فقد كتب لنا عن سياحته قبل عام ٣١٢ ويعتبر كتابه أصدق مؤلف سردت فيه الوقائع بأمانة باللغة الاغريقية . ويأتي وسطا بين هذين المؤلفين من حيث الدقة «اريستوبولوس كاسندرا» فقد كان يعرف بعض المعلومات عن الاسكندر كما كان جغرافيا حسنا ولكن كلامه عن الحوادث لم يكن يعتمد عليه دائما ، وهؤلاء المؤرخون الثلاثة قد مثلهم أمامنا ما كتبه لنا المؤرخ « أريان » وقد كان هناك غير هؤلاء ممن كذبوا حكم « استرابون » القاسي عندما يقول : ان كل رفاق «الاسكندر الأكبر» كانوا يفضلون القول العجيب على الصدق ونخص بالذكر من بين هؤلاء «كارس» (Chares) الميليتي الذي كان يشغل وظيفة تشريفاتي «الاسكندر» و «باتون» (Baeton) و « ديوجنيتوس » (Diognetus) كانا يعملان في مساحة الطرق مع «الاسكندر» هذا وقد كتب لنا على هذا النمط قصة خلفاء «الاسكندر» ومن جاء بعدهم المؤرخ «هيرونيموس» (Hieronymus) من أهالي «كارديا» (Cardea) ، ومن المحتمل أنه يعد أعظم مؤرخ هيلانستيكي عرف حتى الآن ، ولكن مما يؤسف له أن تاريخه قد ضاع غير أن لدينا منه مايعرفنا شخصيته . والميزة العظيمة التي كان يتمتع بها عند وضع مؤلفه هي أنه كان في متناوله السجلات المقدونية ، والواقع أنه قد وضع كتابه هذا وهو في شيخوخته في بلاط «أنتيجونوس» ويبتدىء من وفاة الاسكندر حتى عهد «بيروس» (Pyrrhus) ملك «افيسوس» وقد لعب هذا المؤرخ نفسه دورا كبيرا في السياسة

لا يستهان به ، والواقع أنه كان أعظم من عارض المدرسة التى كانت تعتمد على البيان فى تدوين التاريخ ، وذلك لأن غرض هذا المؤلف لم يكن التأثير على القارىء بل الوصول الى الحقيقة . ومن المحتمل أنه كان أول مؤرخ قد تعقب فى حياة «ديمتريوس» تطور الاخلاق ، غير أنه لم يكن يملك قوة الاسلوب ، ومن أجل ذلك نجد أن كتابه كغيره من الكتب قد قضى عليه وصار فى عالم النسيان . والجزء الذى بقى لنا مما كتبه هذا المؤرخ العظيم يمثل لنا فى تاريخ «ديدور» وفى كتاب «أريان» الذى وضعه عن خلفاء «الاسكندر» الذين يطلق عليهم اسم «ديادوكى» (Diadochi) كما نراه قد استعمله بعض الشيء «بلوتارك» فى حياة «ايمنيس» (Eumenes) وحياة «ديمتريوس» ، كما كان له تأثيره المستمر القوى على تقاليد هذا العصر المهمة.

والواقع أنه كلما درس هذا العصر أكثر فأكثر ازداد الاعتقاد بان الخسارة كانت فادحة بفقدانه ، وقد اتخذ هذا المؤرخ العظيم خطة مؤرخ «ثيوديز» فى تأريخ الحملة بالسنين وكانت الشخصيات التى يمثلها تظهر حية وهذه ظاهرة كانت وقتئذ نادرة . هذا وقد وضح لنا ما أكده المؤرخ «هوليوپوليپيوس» أنه فى اليونان كان يمكن لرجال الحرب فقط أن يكتبوا تاريخا مفيدا حسنا(١)، حيث يقول : «لم يوجد اغريقى استنبط تطور الأخلاق» ، ويعتقد المؤرخ «تارن» أن «أراتوس» قد فعل ذلك أيضا . وقد كانت أسرة «انتيجونوس» سعيدة بما قدمه لها من خدمات ، فقد جعل من الممكن لفترة من الزمن فهم بلاد مقدونيا بعض الشيء . والواقع أنه لا أسرة «السليوكيين» فى «آسيا» ولا البطالمة فى مصر قد انجبوا مؤرخا كفأ مثل «هيرونيموس» .

أما الفترة التى تقع ما بين «هيرونيموس» والمؤرخ «پليپيوس» من حيث التأريخ الاغريقى فقد ظهر فيها المؤرخ «فيلاركوس» (Phylarchus)

---

(١) راجع Wilamowitz, Hell. Dicht, 1, 75)

الذى كتب فى «أثينا» واستمر فى تأريخ «دوريس» الذى كتب عن تاريخ الفن وكان له أتباع حتى موت «كليومنيس» عام ٢١٩ ق.م. وتظهر كتاباته فيما كتبه «بلوتارك» عن «اجيس» Agis و «كليومنيس» كما ظهر تأثيره فى غيرهما ، وينظر اليه بوجه عـام كأنه صـورة من المؤرخ «دوريس» وذلك لعرضه الشخصيات النسائية بصورة روائية ، ولكن على الرغم من أنه كان مقتنعا بتحيزه «لكليومنيس» فان الانسان كلما حلل عصره ازدادت أهميته، وعندما تتضارب آراؤه مع آراء «پوليبيوس» فان الحق لا يكون دائما فى جانب «پوليبيوس» (١) . ولدينا المؤرخ «أراتوس» من أهالى «سيسيون» Sicyon الذى كتب ترجمة حياته وقد عاش فى النصف الأخير من القرن الثالث وكان المصدر الرئيسى الذى أخذ عنه المؤرخ «پوليبيوس» فى هذه الفترة.

ويعد «پوليبيوس» مواطن ميجالوپوليس (١٩٨–١١٧ق م) أكبر مؤرخ فى القرن الثانى قبل الميلاد، وقد لعب دورا فى سياسة حلف «أرخيان» Archeau League وحروبه وقد أخذ أسيرا الى روما بعد موقعة «پيدنا» Pydna ثم عاد الى بلاد الاغريق فى عـام ١٤٦ ق.م. ويقص علينا كتاب التاريخ الذى وضـعه حوادث العالم المعمور من عام ٢٢١ ق.م الى عام ١٤٦ ق م . غير أنه لم يبق لنا من كتابه الا خمسة أجزاء هذا بالاضافة الى أقتباسات من أجزاء كتبـه الأخرى ، وقد مثله المؤرخ «ليڤى» اليهودى غير أنه أضاف اليه مادة حقيرة سخيفة . على أن ما كتبه «پوليبيوس» ليس بالشيء الممتع فى قراءته وذلك لأن أسلوبه كأسلوب عبارات المرسومات الحكومية والرسائل المملة للغاية، وعلى أية حال فانه آكد لنا فى كتاباته أن مهمة التاريخ الوحيدة فى نظره هى قول الصدق وكتابته ، ولذلك فان المؤرخ الألمانى «مومسن» الذائع الصيت ينظر اليه بأنه لا يزال يحتل المكانة الثانية بين مؤرخى الاغريـق فيقول : « قرب الذى كان قبله والذى كان بعده بالعصر الذى شئت فيه شمسـه شمس الغيوم » .

(١) راجع C.A.H. VII, p. 76)

وقد استمر فى تكملة تاريخ «پوليبيوس» المؤرخ «پوزيدونيوس» (Poseidonius) وهو من أهالى «أپاما» من أعمال سوريا (١٣٥ ــ ٥١) ق.م. ، وقد كان يشغل فى «رودس» وظيفة عالية ويعد آخر قوة عقلية انجبتها المدنية الهيلانستيكية لم تمسهاروما ، فقد كانت معارفه تمتد الى ميادين عدة وكان الخطيب شيشرون من تلاميذه ، وقد حلق بعلمه فى سماء النصف الأول من القرن الأول كما حلق «أراتوستنيس» فى نهاية القرن الثالث فى سماء العلوم والمعارف ، غير أن التاريخ الذى وضعه كان سطحيا .

ولدينا مؤرخ آخر من طينة أحسن وهو «نيكولاوس» الدمشقى Niocolaus فقد كان مؤرخا وفيلسوفا فى بلاط «هيرود الأول» وكتب تاريخا عاما والجزء الذى كتبه عن «هيرود» قد بقى لنا فى مؤلف «چوزيفس» اليهودى وذلك هو السبب الذى من أجله عرف الكثير عنه .

وأخيرا كتب «ديدور الصلقى» كتابه المعروف بالمكتبة التاريخية حوالى عام ٢٧ ق.م. وعلى الرغم من أنه لا يعد مؤرخا بالمعنى الحقيقى فانه يستحق شكر العالم الحديث فقد كان فى الواقع ناقلا يضاف الى ذلك أن ما يجده الانسان من لذة قراءة كتابه يتوقف على المؤرخ أو المؤلف الذى يلخصه فى ذلك الوقت ، وعلى أية حال فانه قد حفظ لنا مادة كثيرة لولاها لفقدت نهائيا واليه يرجع الفضل فى معرفة ما كتبه «هيرونيموس» .

هذا ولدينا نوع آخر من كتابة التاريخ غير كتب التاريخ الرسمية ، ففى باكورة القرن الثالث حاول كاهنان أحدهما بابلى والآخر مصرى وهما « بروسوس » (١) . و «مانيتون» المصرى الذى أشرنا اليه فيما سبق فى أن يجعلا التاريخ لديهما فى متناول الهيلانستيكيين . ولم يكن الا القليل فى هذا العهد من الاغريق ممن يهتمون بتاريخ الأجانب بصورة جدية وان كان المؤرخ «تيوپومپوس» قد عرف كتابات «أفستا» الهندية (٢) .

(١) راجع P. Schnabel Berossos und die Babylonisch-Hellenistisch Litaratur 1923).

(٢) راجع Fr. 11 Inf Jacoby's Fragmente der Greichischen Historiker)

وقد رحب اليونان بما كتبه «بروسوس» عن علم التنجيم ، هـذا وكان تقويم «سايس» هو تقويم السنة المصرية والأعياد قد كتبت بالاغريقيةحوالى عام ٣٠٠ ق.م فتداولها الاغريق (١) .

وفى عهد «بطليموس الأول» كتب «هيكاته الأبدرى» عن مصر ووصفها كما يراها اغريقى وقد أثرت كتاباته على بعض الكتاب الاغريق ، فمثلا نجد الكاتب « ايهميروس » (Euhemerus) من أهالى «ميسينا» كان قد استخدمه « كاسندر » فى بعوث فى الجنوب والشرق وقد أخبرنا فى كتابه «القائمة المقدسة » (The Sacred List) أنه لا يعتبر كل الآلهة من أصل بشرى بل كان يعتقد أن بعضهم مثل الشمس والقمر والنجوم والرياح موحـدون بقوى الطبيعة ، والظاهر أنه قد أخذ هذه الآراء عن مـؤرخ من مصر عاش قبله بقليل وهو «هيكاته الأبدرى»(٢) وذلك أن الأخير فى كتابه الخاص عن مصر قد وصف المصريين بأنهم الواضعون للمدنية وامتدح انظمتهم السياسية ومعتقداتهم الدينية ، وكان دستوره المثالى هو حكومة ملكية أبوية (٣) ، ومن المدهش أن كتاب التراجم الذين كتبوا عن حياتهم فى هذا العصر كانوا نادرين لدرجة مدهشة ولكن من جهة أخرى نجـد الذين كتبوا عن غيرهم كانوا كثيرين ، غير أنهم كانوا يحشون كتاباتهم بعناصر لا قيمة لها . ومن حسن الحظ نجد أن واحدا من هؤلاء رأى أن ما يستحق الاهتمام فى نظره أن يدون لنا ذكريات عظمـاء الرجال الذين عرفهم ، وهـذا المؤلف هـو «انتيجونوس كارستوس» (Antigonus Carystus) وكتابه عن حياةالفلاسفة الذى اقتبس منه المؤلفون فيما بعد يعد أثمن مصدر لنا عن الحياة الخاصة فى القرن الثالث قبل الميلاد .

ومما يجب الاشارة اليه هنـا أنه قد ظهرت بجانب كتب التاريـخ قصص اسطورية وخيالية بصورة بارزة ، وأهم قصة من هذا النوع هى أسـطورة

(١) راجع (P. Hebeh, I, 27

(٢) مؤرخ عاصر الاسكندر الاكبر وبطليموس الاول وكتب عن تاريخ مصر فى تلك الفترة .

(٣) راجع (C.A.H. VII, p. 265

«الاسكندر» وهي عبارة عن خليط من الآراء جمعت من مصر وبابل ، وآخر صورة مشوهة لهذه القصة هي التي رواها «كليتوكوس» وقد نبعت من مصر ثم نسبت الى كاليستنيس . وعلى الرغم من أن المتن الاغريقى الذى أخذ عن «كاليستنيس» لم يأخذ شكله النهائى حتى القرن الثالث بعد الميلاد ، فان أصوله يمكن أن ترجع للقرن الثانى قبل الميلاد (١) .

الجغرافيا :

يدل ما لدينا من مصادر على أن علماء الجغرافيا قد ساروا شوطا بعيدا فى ميدان الجغرافيا الوصفية والانسانية ، ويمكن الانسان أن يمس ذلك من المقتطفات القليلة التى بقيت لنا من مؤلفاتهم الهامة ولا أدل على ذلك من الكتاب الذى وضعه الجغرافى الذائع الصيت والكتابات الجغرافية التى تركها لنا «پوليبيوس» والمقالات الجغرافية الكبيرة التى وضعها «أچاتاركيدس» مواطن «كنيدوس» (Agatharchides of Cindus) وفى عهد « بطليموس فيلوموتر » و « اريچيتس الثانى » عاش الجغرافى « ارتميدورس » (Artemidorus) من أهالى « افيسوس » وقد كتب فى نهاية القرن الثانى ق.م هذا بالاضافة الى ماكتبه «پوزيدونوس» (Posidonus) فى الجغرافيا الوصفية ، ومن سوء الحظ أن هذه المؤلفات قد ضاعت ولم يبق لنا منها الا نبذ ، غير أن ما جمعه «استرابون» من معلومات جغرافية قد عوض علينا ماضاع بعض الشيء . حقا ان استرابون لم يكن من جغرافيي هذا العصر ، اذ قد عاش فى عصر الامبراطورية الرومانية الجديد ولكنه أفاد كثيرا بما نقله لنا عن اسلافه .

والواقع أن فتوح «الاسكندر» والصلات التى كانت قائمة فى عهد خلفائه والممالك التى كانت خارج حدودهم قد أدت الى ازدياد عظيم فى ميدان

(١) راجع A. Ausfeld, der Greich. Alexander, Roman (1907), W. Kroll, Kallisthenes, Pt. 2 in p. w.).

المعلومات الجغرافية عند الاغريق ، فقد رأينا أن المملكة «السليوكية » تتصل بالهند فى حين أن البطالمة كانوا بطبيعة الحال مهتمين فى بلادهم الصغيرة المعروفة الواقعة جنوبى مصر ، فقد كان «بطليموس الثانى» أول من مد فتوحه نحو بلاد «أثيوبيا» (كوش) وذلك ليسهل عليه الحصول على الفيلة التى كانت تستعمل فى الحروب من جهة وليجلب أعشابا طبية من جهة أخرى. وقد أرسل عماله تقارير عن ذلك . والوصف الذى وضعه قائده البحرى المسمى «تيموستنيس» (Timosthenes) عن موانى البحر الأحمروالأبيض المتوسط بقى مدة يعد نموذجا لمعرفة هذه الجهات . ولم تكن عمليات الكشف احتكارا للحكومات الملكيةبل كانت هناك جماعات من البحارة تبحث عن جهات جديدة للتجارة ، وقد نتج عن هذه المعلومات التى وصل اليها الباحثون فى زمنه نظامهم العظيم عن الجغرافيا العلمية ، ونذكر ثلاثة من بين الرواد الأصليين فى تلك الفترة قد برز اسمهم بصوره واضحة : أولهم «نيركوس» (Nearchus) قائد أسطول الاسكندر فى سياحته فى نهر السند وفى عبر المحيط الهندى الى نهرالفرات ، وقد وضع مؤلفا عن تجاربه ويمتاز بدقة الملاحظة وصواب الحكم، ويمكن ان يرى من قصته التى حفظت لنا فى تاريخ «أريان» ماحدثنابه عن جماعات الحيتان التى قابلها فى خلال رحلته (١) .

أما الرائد الثانى فهو «پاتروكليس» (Patrocles) الذى اخترق مجاهل «بحر قزوين» بأمر من الملك «سيلوكيس الأول» وقد أخطأ فى فكرته ان هذا البحر هو عبارة عن خليج للمحيط الذى يلف حول العالم .

وأهم هؤلاء الرواد هو « پيتياس (Pytheas) وقد عاش فى أواخر القرن الرابع وساح من «مرسيليا» مخترقا «جبال طارق» حتى وصل الى ساحل «أسبانيا» و «فرنسا» وأخيرا حدود «بريطانيا» ، وكان أول اغريقى دون تأثير القمر على مد البحر وجذره ، كما كان أول فرد قدم لنا تقريرا دقيقا عن

(١) راجع (C.A.H. VI, p. 416

بريطانيا وسكانها ، وقد دونت سياحته فى كتاب سمى «عن المحيط» وكان «اراتوستينيس» مدينا له حقا بكثير من المعلومات الثمينة .

« ارانوستنيس »

يعد « اراتوستنيس » أغرب شخصية فى كتابة النثر الاسكندرى . ولد هذا العالم فى «سيرينى» حوالى عام ٢٧٦ — ٢٧٥ ق.م ، وكان أول تلميذ تخرج على « كليماكوس » فى «الاسكندرية» ثم درس فى «أثينا» مهد العلوم الى أن استدعى ثانية حوالى عام٢٤٦ ق.م ليعين أمينا أولا لمكتبة الاسكندرية خلفا «لأبولونيوس روديوس» (Apollonius Rhodius) فى عهد «بطليموس ايريجيتيس» ، وقد كان تبحره فى شتى العلوم مضرب الأمثال . والواقع أنه نشر كتبا فى الشعر والفلسفة والأجرومية والهندسة وفقه اللغة والتاريخ والجغرافيا. وقد كانت مؤلفاته فى التاريخ والجغرافيا غاية فى الأهمية، ويرجع الفضل فى شهرة «اراتوستنيس» الجغرافية الى أنه كان رياضيا فى الوقت نفسه ، ومن أجل ذلك كان على اتصال مع «ارشيميدس» أما أهم مؤلفاته فى الجغرافيا فتنحصر فى كتابين الأول بحث أطلق عليه «عن مقاييس الأرض» ثم «جغرافيا» فى ثلاثة مجلدات . ففى الكتاب الأول حسب محيط الأرض بأنه يبلغ حوالى ٢٨ ألف ميل ، وقد وصل الى هذه النتيجة بوساطةملاحظات موقع الشمس عند الظهيرة فى «الاسكندرية» وفى «اسوان» فى الوقت نفسه وذلك فى زمن الانقلاب الصيفى وهذا التقدير القريب الى العدد الصحيح وهو أربع وعشرون الف وثمانمائة وستون قد أعجب به العلماء كثيرا بالنسبة لزمنه .

وفى كتابه المسمى «جغرافيا» تتبع تاريخ جغرافية بلاد اليونان من أولعهد «هومر» حتى عهد المؤرخين الاسكندريين ، وفى الكتاب الثانى بين لنا أراءه عن شكل الأرض وحجمها وكذلك طبيعة المحيط وامتداده ، وفى الكتاب الثالث وضع جغرافية وصفية للعالم على حسب مصوره الجغرافى الذى كان

العالم المعمور قد قسم فيه بخط يمتد من «جادس» حتى أواسط «آسيا» ، والى نصف شمالى وآخر جنوبى ، وكان كل واحد منهما قد جزء الى قطع من دائرة بهذا التقسيم أعاد «أراتوستنيس» التصميم القديم الذى يشمل على قارتين مما جعله يتمشى مع عصره ، والواقع أنه على الرغم من انتقاد «أراتوستنيس» للجغرافيين الذين سبقوه فانه لا يعد مجددا أصليا ،وعلى أيه حال لا نعلم على وجه التأكيد لأى حد كانت نظرياته قد تنبأ بها وبخاصة فيما تعلق بـ «ديكاركوس» (Dicaearchus) غير أن بعض استنباطاته فى الواقع تمثل توافقا فى الرأى . وقد كان هذا الضعف هو الذى جلب عليه نقد العالم «هيباركوس نيكيا» (Hipparchus of Nicaea) اللاذع الذى جاء بعده.

الشعر فى الاسكندرية

يلحظ مما ذكرناه عن النثر فى العهد الهيلانستيكى أنه كان نموا طبعيا لنثر القرن الرابع عشر ولكن الشعر فى هذا العصر اذا استثنينا التمثيليات الهزلية والمقطوعات الشعرية الحاذقة كان لا يدل على اتصال مستمر بالتقاليد ، وسبب ذلك أن الأثينيين قد رفعوا شأن الدراما على حساب النواحى الأخرى من الشعر . وقد ظهر انتعاش الشعر الخارج عن نطاق الدراما أولا حوالى ٣٠٠ ق.م . وقد كان أول الشعراء الذين برزوا فى هذا المضمار فى المدن التى تقع على الساحل الجنوبى الغربى لساحل «آسيا الصغرى» والجزر المجاورة لها هم : «فيلتاس» (Philetas) مواطن جزيرة «كوس» و «اسكليبيادس» مواطن «ساموس» (Ascdepiades of Samos) و «سيمياس الروديسى» (Simias) ، وقد جمع الأول والثانى حولهما تلاميذا ورفاقا ساروا على مذهبهما . وفى هذه الأيام كانت المسافة من جزيرة «كوس» أو «ساموس» حتى «الاسكندرية» مهد الحضارة والعلوم سهلة ميسورة . وفى حين نقرأ أن الشعراء القدامى كانوا يثوون فى عقر دارهم ، نجد الجيل الجديد يولى

وجوههم شطر مصر . وقد أغرت هذه الروح الجماعية التى نشئوا فيها جو «الميوزيون» . يضاف الى ذلك أنه قد نشأت سهولة عظيمة فى المواصلات بين رجال الأدب وقتئذ فنشرت هذه التقاليد حتى امتدت الى كل أرجاء العالم الاغريقى .

وكانت أحب صور الشعر عند الاسكندريين الملاحم والمراثى والشعر الغنائى والرجز (Iambus) والمقطوعات الصغيرة (Epigrams) . ومما يطيب ذكره هنا أن الشعر الدينى لم يكن له مكانة تلفت النظر فى الشعر الاسكندرى ، وذلك لأن الشعر عند الاسكندريين كان معناه علم الاساطير ، وكان الأولمبيون يشاطرونهم على السواء فى ذلك . وسبب ذلك أنهم كانوا ينظرون الى الأبطال والبطلات فى القصة الاغريقية بأنهم شخصيات هامة تقدم تراجمهم الفنية بالتفاصيل المنوعة للشاعر بعرض ممتاز وذلك لاظهار تعمقه فى المعرفة وحسب.

ومن جهة أخرى لم يكن من المنتظر أن نجد شعرا وطنيا حماسيا كما كانت الحال فى العهد الاغريقى المبكر ، غير أن المدن والاقوام كانوا مهتمين بماضيهم.

هذا ونجد أن بعد القوم عن الدين والوطنية وعدم ذكرهما فى أشعارهم قد سهل عليهم اتخاذ العلوم الطبيعية موضوعات لشعرهم ، ولا أدل على ذلك من أن الاسكندريين قد احتفلوا بالأعمال العظيمة التى قام بها زملاؤهم فى «الميوزيون» ، يضاف الى ذلك أن «أراتوستنيس» نفسه وهو جغرافى مبرز كما ذكرنا قد كتب قصيدة فى النجوم ، ولكن كان هناك ميدان معلومات آخر اهتم به الاسكندريون اهتماما بالغا وذلك هو سجل عهد طفولة الدولة الاغريقية ، وكان القوم قد ورثوه منذ أقدم العهود ، وقد جمع الآن فى أمهات المكتبات فكان فى متناول العلماء المثقفين . وقد اتخذ شعراء الاسكندرية من هذه الموضوعات منبعا فياضا ينهلون منه فى صياغة شعرهم وبخاصة الأساطير المحلية التى أنشأها خيال الشعب فى العهد الاغريقى المبكر ، وذلك فى حين أن أدب العصر الكلاسيكى لم يكد يلحظ ذلك . وقد كان الغرض من نسخ هذه القصص فى صور شعرية هو تفسير بعض عادات قومية أو شعرية دينية

أو صورة من صورالحياة الريفية . وقد كان هذا العنصر البعيد هو الـذى حببها للاسكندريين الذين كانوا غالبا ما يجعلون هذه القصص ترجـع الى قصة غرام بين انسانين أو بين انسان واله . وكان «كاليماكوس» يعد أعظم شاعر فى العصر الذهبى الاسكندرى فقد كان يقول متمدحا بشعره : دع آخر ينهق على طريقة ذى الأذنين الطويلتين، ولكن دعنى أكن الرشيق المجنح».

ولد «كاليماكوس» حوالى عام ٣١٠ ق.م ثم هاجر من «سيرينى» الى «الاسكندرية» وكشف عن مواهبه عندما كان يعمل مدرسا فى مدرسةضاحية «اليوزيس» (Eleusis) ، ومن المحتمل أن مقطوعاته الشعرية القصيرة التى كانت تنطوى على نكات ــ وكانت السائدة فى هذا العصر ــ قد لفتت نظر بلاط «بطليموس» اليه . وقد منحه الأخير وظيفة أمين مكتبة الاسكندرية ، وكان فى صباه مشغولا بتحضير فهرس المكتبة . ولم ينقطع عن قول الشعر حتى آخر أيام حياته فى عهد بطليموس الثالث «ايرجيتيس» . ومن سـوء الحظ لم يبق من الكتب‌الثمانية التى وضعها على حسب قول «سويداس» الا القليل جدا . ويلحظ فى بعض شعره أنه كان ينهج نهج«هومر» ، غير أننا نجد فى قصيدتين على الأقل أنه أقحم فيها السياسة . فقد وصف انشودة له وضعها عن الاله «زيوس» بأنها مقال عن الحقوق الآلهية للملك . ومن ثم نفهم أن «كاليماكوس» كان قد درس نظام الحكم المصرى القديم وأراد أن يرضى «بطليموس» بوضعه فى مصاف ملوك مصر الذين كانوا يعدون أولاد «رع» وانهم آلهة . أما قصيدته للاله «أبولو» فالظاهر أن الغرض منها كان عودة السلام مع «سيرينى» وجعلها تحت سيادة «ايرجيتيس» على أن أهم شعر صاغه «كاليماكوس» هى قصيدة «الاسباب» وهى عبـارة عن خليط من المعلومات فى التاريخ والجغرافيا والأساطير أملاها خيال الشاعر بوساطة الهات الشعروالموسيقا والفنون الأخرى‌الحرة (أولادالاله «زيوس» و «منموزين») وأسماء «الميوزيس» هى (١) كاليوب (Calliope) وهى خاصة بشـعر

الملاحم (٢) و «كليو» (Klio) التاريخ (٣) «أراتو» (Erato الغـزل (٤) ايترب (Euterpe) = الشـعر الغنائى (٥) ميلبومين (Melpomene) = المأسـاة (٦) بوليهمنيا (Polyhymnia) = الشعر الغنائى والبلاغـة (٧) «تربسيكورى» (Terpsichore) = الرقص (٨) تاليا Thalia = التمثيل الهزلى (٩) أورانيا (Urania) الفلك) .

ومن أهم ما أنشـأه لنا «كاليماكوس» مرثيته التى أنشـأها فى موت «ارسنوى» زوج «بطليموس» الثانى وقد خالف فيها هذا الشاعر نغمتـه المعتادة اذ وضعها فى نغمة عاطفية مؤثرة . فنجده فى البداية القصـيرة التى يصف فيها صعود روح «ارسنوى» الى النجوم . وكذلك المشهد الذى يأتى بعد ذلك نشاهد «كاريس» بعد سهرها على جبل «أثوس» تحبر «فيلوتيرا» الحزينة وهى أخت «ارسنوى» المؤلهة أن السحب العابسـة التى تغطى السماء تأتى من جنازة الملكة فى مصر حيث تنعى الأمة قاطبة فقيدتها ، وقد عبر الشاعر عن ذلك على الرغم من تمزيق المتن بكلمات مؤثرة فى النفس .

ومما تجدر ملاحظته هنا أن صعود روح الملكة الى السماء لتتحد بالنجوم وتصبح واحدة منها فكرة مصرية ترجع الى متـون الاهرام ولم تظهـر عند ملوك البطالمة الا بعد أن أصبح الملك «بطليموس الثانى» وزوجه مؤلهين وذلك باعتناقهما المذهب الآلهى المصرى وهو أن الملك هو ابن الاله « رع » أو «أمون رع» وأظن أن فى ذلك برهـانا قاطعا يدحض الفكرة القائلة أن موضوع التأليه اغريقى فى أصله .

وأخيرا نذكـر من شـعراء «الاسكندرية» النابهـين فى هـذا العصر «أبوللونيوس» الذى يطلق عليه لقب الروديسى ، ولكنه كان فى الأصل من «نقراتش» أو من «الاسكندرية» . وهو يعتبر الشاعر الهيلانستيكى الوحيد من بين شعراء الطبقة الأولى الذين ولدوا فى مصر وقد أطلق عليه «كاليماكوس» اسم الطائر «ايبس» وهو طائر له طبائع قذرة

وقد ولد فى النصف الأول من حـكم بطليموس ايرجيتس حوالى عام ٢٣٥

الطب فى الاسكندرية

جرت العادة عند علماء الطب الأحداث اذا تحدثوا عن الطب ابتدءوا كلامهم بالحديث عن العهد الاغريقى وبخاصة عهد «هبوقراط» (ابقراط) وكأن كل ما قبل ذلك صحيفة بيضاء لم يخط الزمن فيها سطرا واحدا فى الطب وانتشاره. وقد يكون لهم بعض العذر فى أن تقف معلوماتهم عند هذه الفترة من الزمن، والواقع أن علم الطب الأول نبع فى وادى النيل منذ الالف الثالثة قبل الميلاد، وقد سار فى هـذا العلم المصريون شوطا بعيدا وضربوا فيـه بسهم صائب فتدرجوا فى اقامة أصوله على حسب تدرج المدنية الى أن وصلوا به الى مدى بعيد لم يكن فى الحسبان، وقد أظهرت الكشوف الحديثة فى وادى النيل وجود علاج طبى يقوم به مختصون تعلموه فى مدارس خاصة بذلك كل فى فرعـه فكان هناك طبيب الأمراض الباطنة وطبيب المجارى البولية وطبيب الأسنان كما كان هناك الجراحون وأطباء العيون وغيرهم. وقد كان يوجد جنبا لجنب مع العلاج بالعقاقير العلاج النفسى الذى أطلق عليه فى أيامنا هـذه العلاج بالسحر . وقد وضع قدماء المصريين كتبا عدة فى الطب يرجع بعضها الى الدولة القديمة أى حوالى عام ٢٨٠٠ ق.م وقد تناولها العلماء بالبحث والتحليل ومع ذلك لا يزال بعض فصولها غامضا حتى يومنا هذا . والآن يتساءل الانسان هل كان اليونان القريبـون من الديار المصرية على ما بينهـم وبين مصر من علاقات ترجع الى أزمان سحيقة فى القدم على غير صـلة بالمصريين من حيث الطب وعلومه ؟ وذلك على الرغم من أنهم أخذوا الكثير عنهم فى ميادين اخرى من ميادين العلم والثقافة وعلى الرغم من أنهم أنفسهم وعلماءهم قد اعترفوا أن مصر كانت المنبع الفياض الذى نهلوا منه كثيرا من معارفهم ؟ والواقع أن الاغريق لا بد قد أخذوا الكثير من علم الطب عن المصريين وان لم يذكـروا

ذلك صراحة (١) ومما لا ريب فيه أن علم الطب كان قد بلغ فى خلال القرن الخامس قبل الميلاد أعلى مستوى له ، فى الوقت الذى كان الاغريق يغدون ويروحون على مصر للتعليم فيها وقد تمثل ذلك فيما كتبه «ابقراط» ومدرسته (٢) وكان أعظم عمل قاموا به هو أنهم رءوا فى المرض ضررا طبعيا لابد من محاربته بطريقة طبيعية أيضا ، غير أن المصريين قد سبقوهم الى ذلك منذ الدولة القديمة كما ذكرنا آنفا . هذا اذا صدقنا أن ورقة «ادون سميث» يرجع عهدها الى هذه الفترة من تاريخ مصر ، وهو المرجح لأسباب مقنعة ولا شك فى أن أتباع «أبقراط» كانوا متأثرين بفلاسفة زمنهم وبخاصة طائفة الفلاسفة المشائين ، وان كانوا أحيانا يعارضونهم بعض الشيء ، ولكن علم الطب قد بدأ يأخذ صبغة أخرى فى العهد الهيلانستيكى . ويرجع الفضل فى ذلك الى «بطليموس الأول» وما قام به من تشجيع الأطباء وتسهيل سبل البحث لهم.

ولا ريب فى أن علوم القرن الثالث قبل الميلاد قد تطورت بتأثيرين عظيمين وهما عبقرية «أرسطوطل» ، وتشجيع البحث العلمى على يد «البطالمة» والواقع أن «أرسطوطل» قد عمل كثيرا على الفصل بين العلم والفلسفة ، وذلك بفصله بين فروع المعارف المختلفة ، وبتحديد التحليلات لتلك الموضوعات التى كانت موضع تخمين وتصور ، ولقد كان مجال البحث العلمى على حسب الخطط التى رسمها «أرسطوطل» ميسورا فى الاسكندرية . ففى حين نجد علماء الرياضة والفلك يقومون بفتوح باهرة فى ميادين العلم والتصور ، كان علماء الطب المجدون قد اتيحت لهم الفرصه للقيام بأعمالهم العلمية بمساعدة البطالمة وغيرهم من محبى العلوم . والواقع انهم لم يقوموا بكشوف مدهشة ولا ببحوث تدل على عبقرية ، ولكن من جهة أخرى نجد تقدما محسا فى العلم من حيث التفاصيل، وقد وصلوا اليها بالملاحظة الدقيقة والصبر . فنجد بخاصة

---

(١) راجع مصر القديمة الجزء الثانى ص ٣٦٤ — ٣٧٠

(٢) راجع C.A.H. Vol. V. P. 380 FF.

أن علم التشريح قد درس بنجاح . والمجهود الذى عمل فى «الاسكندرية» يمكن معرفة قيمته العظيمة عندما يقرن بالمعلومات الساذجة والتخمينات التى تشوه كثيرا من المقالات التى نجدها فى مجموعة الكتابات التى تركها «ابقراط» وهى التى تحتوى على أعمال من القرن الخامس والقرنين الرابع والثالث قبل الميلاد ، هذا بالاضافة الى كتابات عن الطب جاءت فى عهد متأخر عن ذلك .

والرجلان العظيمان فى المحيط الطبى فى باكورة القرن الثالث هما «هيروفيلوس» (Herophilus) مواطن «كالسيدون» و «أراسيستراتوس» مواطن «ايليس» (Erasistratus of Julis) فى «سيوس» (Cios) قد أسسا مدرستين متنافستين . وكان «هيروفيلوس» يزاول مهنة الطب فى الاسكندرية وأصبحت مدرسته تسمى بها ، وذلك على الرغم من أنها امتدت الى « آسيا » وكان اختصاص هذا الطبيب فى التشريح . أما «اراسيستراتوس» فكان اختصاصه علم وظائف الأعضاء . والواقع أننا لا نعلم شيئا محددا عن حياتهما ، كما أن أعمالهما الطبية قد فقدت تماما . غير أنه مع ذلك فى استطاعتنا أن نجمع مقدارا عظيما من المعلومات عنهما مما جاء فى كتابات «جالين» و «سورانوس» (Soranus) و «سيلسوس» (Selsus) وقد أمكن العلماء الأحداث أن يضعوا بيانا عن بحوث «هيروفيلوس» .

ويوحى مجىء هذين الطبيبين من «آسيا» الصغرى بأن الطب الاسكندرى يمكن أن يكون قد تأثر بمؤثرات شرقية . وقد دلت البحوث على أن علم الطب المصرى كان له أثر فى ذلك كما سنبين فيما بعد .

وتدل شواهد الأحوال على أن هذين الطبيبين قد خطوا الى الأمام بعلمى التشريح ووظائف الاعضاء خطا واسعة . وكان «هيروفيلاس» من تلاميذ «ابقراط» المدققين وقد كتب شروحا على مقالتين من مقالات أساتذة «مثيتا»

عن نشـــأة الأمراض نتيجـــة اضطرابات تصيب عناصر الجسم الســـائلة (Humoral Pathology) معارضا فى ذلك معاصرة «اراسيستراتوس» . وقد وجه عنـــاية كبيرة الى موضوع النبض مقتفيـــا فى ذلك خطوات أســـتاذه «براكزاجوراس» (Praxagoras) الذى يعد أول طبيب عند اليونان أكد أهمية النبض . وكان النبض معروفا منذ عهد قدماء المصريين قبل ذلك بمايقرب من الفى سنة كما تحدثنا بذلك ورقة «ادون سمث» . وقد اســـتعمل هذا الطبيب العقاقير أكثر مما استعملهاتلاميذ «ابقراط» لعلمه أنها تساعد مساعدة لا تقدر فى شفاء الامراض . وقد تركزت بحوثه فى فحص المخ والاعصـــاب والطحال والرئتين وأعضاء التناسل . واعتبر أن المخ مركز العقل وأنه يربطه بالجهاز العصبى . يضاف الى ذلك أن هذا الطبيب كان أول من كون عنه رأيا واضحا . ومما تجدر ملاحظته هنا أن «هيروفيلاس» هـــذا لا بد قد شرح حيوانات لأنه وصف شبكة الأوعية الدموية (Rete Mirabile) التى توجد عند قاعدة مخ الحيوان ولاتوجد عند الانسان . هذا وقد ميز بين المخ (Cerebrum) والمخيخ (Cerebellum) ، كما كشف أن العروق الضوارب أو بعبارة أخرى الشرايين تحمل دما (لاهواء كما كان الاعتقاد من قبل) ولا تنبض من نفسها بل بواسطة القلب ، وبذلك نفهم أنه عرف الدورة الدموية التى فقدت ثانية حتى أحياها من جديد الطبيب «هرفى» HARVEY هذا ولا تزال بعض مسميات أجزاء الجسم باقية كما سماها مستعملة حتى الآن مثل الامعاء الاثنى عشرة (Duodenum) = الجزء الأول من الأمعاء الدقاق ويســـمى بذلك الاسم لأنه يبلغ ١٢ اصـــبعا فى الطول) وكذلك (Torculer Herophile) أى ضغط الشريان الرئيسى للفخذ بالذراع لمنع كثرة النزيف ، وقد وصف الرحم بالتطويل وجاء عنه أنه فحص أجسام بعض الموتى ، وعلى ذلك فانه لا بد قد شرحها . وتقول البحوث الحديثة انه اخترع آلة عبقرية لقياس النبض . ولا نزاع فى أن هذا الكشف يعـــد أول

محاولة ــ ان لم تكن فعلا الأولى ــ فى تطبيق دراسة الآلة لجسم الانسان

أما «اراسيستراتوس» فقد زاد فى معلومات زمنه عن علم تشريح القلب وقد كان أعظم كشف وصل اليه هو التمييز بين الأعصاب المحركة والأعصاب التى تؤثر على الجهاز العصبى .

ومما يؤسف له أنه قد عاد الى الاعتقاد بأن الشرايين تحمل هواءا . وقد عد ذلك عاملا حيويا فى العمليات الفيزيولوجية، ومع ذلك فانه قد قيل أن هذه العناية بالهواء ترجع على الأقل الى عهد «الكماون» (١) (alcmaeon) وقد انتجت فى نهاية الأمر كشف الأكسجين والدور الذى يلعبه فى حفظ الحياة . وقد أضاف هذا الطبيب تحسينات على أعمال «هيروفيلوس» عن القلب والمخ كما أضاف تفسيرات أكثر وضوحا عن الأعصاب المحركة والأعصاب الخاصة بالحس . والمتفق عليه أن هذا الكشف هو من ابتكاره لا من عمل معاصريه . وقد رفض «اراسيستراتوس» فى مداواته للمرضى عملية الفصد وأحل محلها غذاءا خفيفا . هذا وقد استعمل الأدوية فى أبسط أنواعها، وبذلك عاد فى تطبيبه الى تقاليد أستاذه «ابقراط» والى هذا الطبيب ينسب كذلك اختراع القثاطير ، ولكنه من المحتمل أنه لم يكن أول من وصل الى الكشف عن ذلك .

ويقال أن هذا الطبيب كسب شهرة ومالا وفيرا من مزاولة مهنته . فقد قيل أنه ربح مائة تالنتا مكافأة على شفاء «انتيجونوس» الصغير ابن «سليوكوس نيكاتور» وذلك دون أن يعمل له أى شىء سوى أن فحصه نفسيا وتنبأ بحب الأمير الشاب من زوج والده المسماة «ستراتونيس» . على أن الصعوبة فى حل هذا الموضوع كانت أن يقبل «سليوكس» ارضاء شهوة ابنه (٢) .

وقد كان من جراء تحسين علم التشريح والنهوض به أن حدث بطبيعة

(١) راجع C. A. H. IV. P. 548.
(٢) راجع B.C.I. P. 132.

الحال تحسين فى علم الجراحة . وقد كان موضع فخر مدرسة الاسكندرية العظيم اختراع آلات جراحة مع المهارة المتزايدة فى استعمالها . وقد اتهم كل من «هيروفيلاس» و «أراسيسترأتوس» بانهما شرحا أجساما بشرية وقد استنبط ذلك من فقرة مما كتبه كل من «سيلسوس» (Celsus) و «ترتوليان» (Tertullian) . على أن ذلك لم يكن بأية حال من الأحوال أمرا مكروها . والواقع أنه قيل عن عهد البطالمة أنهم أجازوا تشريح أجسام المجرمين الذين حكم عليهم بالاعدام . ولم يشك أحد من ثقاة الاقدمين فى صحة هذا القول . وقد شعر «سيلسوس» أن هناك مناقشات خلقية من جهة هذه المسألة ، وكان هو نفسه يشعر أن هذه العملية فى نظره تعد عملا وحشيا . ومن الغريب أن المحدثين من مؤلفى تاريخ الجراحة القديمة لم يصدقوا أن أطباء الاسكندرية قد أجروا عمليات جراحية فى جسم الانسان، ويعدون هذا الأمر اكذوبة اخترعها أولئك الذين كانوا معارضين لاجراء أية عملية تشريح مهما كان نوعها .

هذا ولا يفوتنا أن نذكر هنا أن تاريخ الطب وبخاصة درس كتابات «ابقراط» بعمق مع النقد والتحليل قد استمر ينمو وينتشر فى خلال القرن الثالث ق.م وعلى أية حال لا ينبغى لنا أن نبالغ فى العلوم الهيلانستيكية ، فعلى الرغم من انها تثير النفس فان العلمين اللذين لهما شأن عظيم فى العالم فى عصرنا وهما الطبيعة والكيمياء لم يبدأ البحث فيهما فى العصر الهلانستيكى (١)

علم الطبيعة والكيمياء :

وقد مات علم الطبيعة مع العالم «ستراتو» (Strato) الذى أفاد فائدة محدودة من نظرية ذرة «ديموكراتيس» الذى تلقى علومه كما أسلفنا فى مصر

---

(٢) راجع Wellman Bolosin P.W.; Diels. Ant. Technick Ch. VI.

على يد الكهنة المصريين والعلماء فى انحاء أرض الكنانه . والواقع أن علم الكيمياء كان فى نظر الاغريق مجموعة أسرار تجارية أكثر منها مجموعةمعارف ولم تكن تعتبر فى نظرهم علما ولكنسرا (١) . ولا يفوتنا أنالكيمياء علمنبع فى مصر وانتشر بعد ذلك فى العالم كما سبقت الاشارة الى ذلك .

الفلك

تدل المصادر التى فى متناولنا على أن علم الفلك فى الاسكندرية قد أخذ مكانته فى عهد «بطليموس الأول» ولدينا عالمان قد بحثا هذا الموضوع . غير أنه مما يؤسف له جد الاسف أنه لم يبق لنا من أعمالهما الا اسماهما وهما «ارستيلوس» (Aristyllos) و «تيموكاريس» (Timochares) ، غير أننا نعلم أشياء مع ذلك عن مشاهداتهما لمواقع النجوم والكواكب ، فقد نقل لنا عنهما الفلكى «هيباركس» الذى يدين لهما بمعرفة اعتدال الفصول ، وتقع مدة حياة «تيموكاريس» ما بين عامى ٢٩٣ ، ٢٣٠ ق.م. وعلى ذلك فانه لا بد قد بدأ نشاطه العلمى فى عهد «بطليموس الأول» ، ومن المحتمل كذلك أن «كونون» (Conon) مواطن«ساموس» الذىلقب باسم «كوبرنيكوس» القديم فى أيامنا وقد كان معروفا بالرياضى تفاديا من الخلط بين اسمه وبين كثيرين غيره مما سموا باسمه ، وقد كان تلميذ «ستراتو» ورصد الاعتدال الصيفى عام ٢٨١ - ٢٨٠ ق.م. ودون ذلك لنا بطليموس الجغرافى . وكتابه عن أحجام ومسافات الشمس والقمر معروف قبل اختراع ساعة «أرشيميدس» الرملية وبذلك نفهم أنه قد عاش حوالى ٣١٠ الى ٢٣٠ ق.م. ولسنا فى حاجة الى أن الاغريق قد أخذوا علم الفلك عن مصر وآشور فاليهما يرجع الفضل فى نشأة هذا العلم وقد تحدثنا عن ذلك (راجع مصر القديمة الجزء الثانى

---

(١) راجع D.A.W. Thompson in the Legacy of Greece. P. 142

(٢) راجع (Heath, P. 348

(٣٦٠ ـ ٣٦٤)

الرياضيات :

كانت الرياضيات مرتبطة ارتباطا وثيقا بعلم الفلك ولذلك نجد أن أولئك العلماء الذين اشتغلوا بالفلك كانوا مشتغلين بالرياضيات ، ومن المحتمل أن ماوصل اليه العلم فى خلال القرن الثالث قبل الميلاد فى ميدان الرياضيات كان فى الواقع أكثر بكثير عن أى علم آخر ولابد من أن الهندسةكانتأساس كل شيء فى هذا الصدد (١) .

وفى هذا العصر كان نابغة علم الهندسة هو «أقليدس» المشهور الذى لاتزال تدرس كتبه حتى الآن وقد عاش حوالى عام ٣٠٠ ق.م وكان رجلا حكيما مثله كمثل «أفلاطون» «وأرشيميدس» وكان يحب العلم للعلم ، وقد أخبر ذات مرة «بطليموس الأول» على مايقال أنه لاتوجد سبيل ملكية لعلم الهندسة ، والواقع أن كتابه كان الكتاب المعتمد للتدريس فى بلاد الاغريق فى العهد الهيلانستيكى ، ثم عند الرومان والعرب والقرون الوسطى والأزمان الحديثة حتى الجيل الحاضر ، وقد تناول «أراتوستنيس» الرياضيات بالبحث فضلا عن العلوم الأخرى التى تناولها وقد أهداه «أرشيميدس» كتابه المسمى «عن الطريق» أى طريق البحث . وعندما طلبت اليه الآلهة شرطا عن ايقاف الطاعون فى «ديلوس» كان الجواب أن تضاعف مائدة قربان هناك كانت على هيئة مكعب (٢) و «أراتوستنيس» هوالذى كشف كيفية مضاعفة المكعب (٣)

ولا نزاع فى أن الاغريق قد أخذوا علومهم الرياضية عن المصريين كما أشرنا الى ذلك من قبل .

---

(١) راجع Heath, P. 348.

(٢) راجع J.L. Heiber Mathematics and Physical Science in Classical Antiquity; Tarn Hellenistic Civilisation, P. 256)

(٣) راجع (Knaeck Eratosthenes in P.W. 362

الفن :

لقد كان «بطليموس الأول» يعمل جاهدا فى جعل الاسكندرية مهبط كل المعارف والفنون وأجمل مدينة فى العالم غير أنه كان دائما يفضل ما هو مفيد نافع ؛ فقد كان يفضل علماء العمارة والهندسة «المفتنين» الذين كان عملهم محصورا فى انتاج عدد صغير من التحف الدقيقة ، ومع ذلك فقد حكى عنه أنه قدم مبلغ ٦٠ تالنتا للمصور «نيسياس» (Nicias) ثمنا لصورة «نيكيا» (*Nika*) الهة النصر وأن المثال لم يقبل بيعها بهذا الثمن وقد أمر بعمل هذه الصورة لنفسه فى بدلقصيد بثمن أقل ، رسمها له المفتن «أنتفليس» (Antiphiles) وذلك لأنه كان مصرى المنبت ولأنه كا نمن رجال بلاط مقدونيا عاش فى عهد كل من «فيلب و«الاسكندرالأكبر» وكان منافسا للرسام «أبل» (Apelle) وكان اتنفيليس هذا ماهرا فىرسمالصورةالهزلية(١).

أما الفن الشعبى فى هذه الفترة فلم نجد له مايماثله من الوجهة المصرية الا مانراه فى مقابر عامة الشعب من صور دينية متوارثة ، وعلى أية حال يظهر أنه كانت توجد فى الاسكندرية مدرسة للفن . والظاهر أنها كانت قبل كل شىء مركز تجميع للاشياء الفنية ، وهنا نجد أقدم انتاج للرخام الاتيكى على يد المفتنين من الاغريق سواء أكان ذلك فى «أثينا» أم فى «الاسكندرية» على الأغلب . ونجد فى عهد مبكر أن النحاتين المحليين فى مصر قد أوجدوا طرازهم الاغريقى الخاص ووردوا للاغريق القاطنين فى «الاسكندرية» وكذلك الذين فى القرى مايحتاجون اليه منه

وقد تفوقت مدرسة الحفر فى الاسكندرية بوجه خاص فى صناعة نحت الصور ، ونجد فى تلك الأثناء كذلك أن المفتنين الوطنيين كانوا مستمرين فى الانتاج لمعابدهم ومحاربهم ومقابرهم على الطريقة المصرية القديمة وقد ظهر

(١) راجع Plen. XXXV § 140.

فى حالات قليلة اختلاط الطرازين معا (١) .

ولكن الأعمال الفنية التى وجدت فى مصر حتى الآن تعتبر بوجه خاص من الدرجة الثانية (٢) . واللوحات الجنازية المنسوبة الى الاسكندرية أقل اتقانا من ذلك اللهم الا فى مدة الجيل الذى غادر فيه المفتنون الأثينيون بلدة أثينا بسبب خطر «ديمتريوس» مواطن «فالرم» فقد هاجروا الى «الاسكندرية» واستوطنوها وهناك قاموا بعمل قطع فنية من طراز اغريقى خالص .

وفى مصر نشأت عادة عمل شعر التماثيل من الجبس وقد بقى تأثير المفتن «براكسيتليس» (Praxiteles) عظيما من هذه الناحية ولم يكن ذلك فى الاسكندرية فحسب ، غير أنه عند صناعة التماثيل بولغ فى نعومة بشرة الجلد .

وصورة أفروديتى السيرينية الجميلة الطراز تقدم لنا أحيانا مجرد عمل فنى لا قيمة له ، والواقع آن قوة الاسكندرية من الوجهة الفنية كانت فى صنع القطع الفنية الدقيقة الصغيرة . ومن الجائز أنها هى التى اخترعت «الفسيفساء» «والكاميو» وهو نقش الأحجار الكريمة أو الشبه كريمة نقشا بارزا ، ومن المدهش حقا أنه على الرغم من أن المثالية فى الفن الاسكندرى لم يكن لها نصيب فان المدينة كانت تحتوى على تمثال الاله «سيراپيس» الذى ينطق عن مثالية فى الفن غاية فى القوة والجمال (٣) . ومن الممكن حقا أنه كان من عمل «پارياكسيس» (Paryaxis) تلميذ «سكوپاس» (Scopas)

(١) راجع Noshy, The Arts of Ptolemaic, Egypt. 1937. P.P. 83 ff; F. Poulsen, Gab es eine Alexanderinische Kunst? in From the collections of the Nycarlsberg Glyptothek. II (1938); G. Kleines, Bull. Soc: Arch. Alex. XXXII, (N.S. 10.1) 1938, P.P. 41 ff. (Grave Sculpture); and Adriani Ibid. P.P. 76 ff. (portraits); Social and Economic History of the Hellenistic World by M. Rostovtzeff, vol. I, P. 380.

(٢) راجع J.E.A. XI, P. 179.

(٣) راجع Witz, Sarapis in Rocher, Amelung, Rev. Arch. II 177; Lippold, Festschrift Paul Arndt, 1925, P. 15).

وقد صنع فى أيام «بطليموس الأول» ولون باللون الأزرق ورصعت العينان بجوهرتين لتلمعا فى أنحاء المعبد المظلم من كوته المزينة والمنارة بصورة فخمة ، وقد وصف وجه التمثال بأنه لطيف عليه جلال ورهبة كما كان ينبغى أن يكون عليه اله عالم الآخرة وكان يرتدى على رأسه مكيال قمح رمزا لمصر لأنها مخزن الغلال العظيم . أما الفن المصرى فى المعابد المصرية فله شأن اخر سنتحدث عنه فى فصل خاص .

أسرة بطليموس الأول

تدلنا المصادر المصرية والاغريقية على أن «بطليموس الأول» كان له على الأقل أربع زوجات سواء أكن شرعيات أم غير شرعيات (١) ، ولكن زوجته التى تدعى «برنيكى» تلقب بالزوجة الالهية وتعرف «برنيكى» الأولى (٢) .

وكانت هى الوحيدة التى حفظت لنا الآثار المصرية ذكراها بوصفها الجدة العظيمة للملك «بطليموس الثالث» . أما من جهة أصلها فيقال أنهـا كانت قريبة لوصى «أنتيباتر» ، هذا ولا نعرف أى أثر معاصر ذكرت فيه مع زوجها «بطليموس الأول» ، والواقع أن اسمها جاء على الآثار بعد تأليهها فى عهد «بطليموس الثالث» ، أما بوصفها جدة لهذا الملك الأخير أو بوصفها أم «بطليموس الثانى» . وقد ذكر لنا «بوشيه — ليكرك» عن البطالمـة (٣) أنه لا يعـرف شـيئا عن التـاريخ الذى اختفت فيـه «برنيكى» ولكن من المؤكد أنها ماتت قبل زواج ابنها «بطليموس» الذى أصبح فيما بعد «بطليموس الثانى» بالملكة «أرسنوى الثانية» . ويقول نفس هذا المؤرخ أنه من المحتمل أن موتها هو الذى حدا «بطليموس الأول» الى النزول عن

(١) راجع (Budge History XII, p. 185

(٢) راجع Champollion, Notices II, p. 205, L.D. IX, 10 = Texte, p. 53; Sethe, Hierog. Urk., p. 155).

(٣) راجع A. Bouché-Leclercq Histoire des Lagides Tome, I. P. 101. Note I.

أعباء الحكم لابنه أو اشراكه معه فى رواية أخرى (١) . وكان لبطليموس ابنة تدعى «فيلوترا» وتلقب بالابنة الملكية والأخت الملكية (٢) . وجد اسمها على لوحة «نس كدى» التى عثر عليهــا فى صقاره وهى محفوظة الآن بالمتحف البريطانى (٣) . وكذلك وجد اسمها على تمثال بمتحف اللوفر لامرأة جاء عليه : كاهنة الأميرة «فيلوترا» التى تدعى «حر ــ سعنخ» ابنة«نفرــايب ــ رع» والسيدة «حر ــ سعنخ» . هذا ويظن الأستاذ «مهفى» بشىء كبير من الصواب (٤) أن الأميرة التى مثلت بجوار «بطليموس الثانى» وزوجة

«أرسنوى الثانية» على ثالوث متحف الفاتيكان وهى التى محى اسمها هناك هى «فيلوترا» وهذه الأميرة عاشت فى الواقع فى بلاط أخيهــا «بطليموس الثانى» مع زوجاته المتتاليات على اتفاق تام (٥) اذ نجد المتن التــالى « حور القوية الســاعد عظيمة .. » ومن الجائز كذلك من جهة أخرى أنالالهة التى تسبق «أرسنوى» الثانية على كل جهة من جهتى المنظر الكبير الذى فىالجزء

(١) وقد كان لـ «بطليموس الاول» على أقل تقدير عشرة أطفال منهم خمسة ذكور من زوجاته المتعددات (راجع .
Mahaffy, Empire of Ptolemies, P. 105-106; B.L.I., P. 94, Note 3.
والظاهــر أن الابن الذى كان يجب أن يخلفة على عرش الملك هــو من زوجه «ايريديكى» وكانت ابنة الملك«تراقيا» المسمى «ليزيماكوس» وأخت«كاسندر» ملك مقدونيا ، وابنه هــذا كان يدعى«بطليموس» ولقب بالصــاعقة بسبب أخلاقه الفظة المتهورة . ولكن لاسباب لم نعرفها وقت تقرير خلافة الملك طرد بطليموس الاول زوجه «أيريديكى» فهر بت من بلاط الاسكندرية مع ابنها وأعلن «بطليموس» أن خليفته على العرش هو بطليموس بن «برنيكى» وكان أصغرسنا من أخيهالمبعد ولم تكن أمهمن دم ملكى تنطبق عليها شروط الملك . وقدسمى هذا الملك الجديد «بطليموس» وتزوج من «أرسنوى» ابنــة الملك «ليزيماكوس» ملك مقدونيا وقتئذ ، ومن المحتمل أنه ولد فى جزيرة «كوس» عام ٣٠٩ أو ٣٠٨ ولم يكن يزيد سنه وقت اشتراكه فى الملك مع والده عن الثالثة أو الرابعة والعشرين من عمره .

(٢) راجع L.R. IV, P. 221.

(٣) راجع Guide British Museum 1909; Sculpture, P. 276, No. 1029

(٤) راجع (Ibid, P. 116

(٥) راجع Marucchi, Il Musio Egizio Vaticano, No. 10.12.14 ; Sethe. Hierogl. Urkunden Dergriech Romischenzeit, P. 72).

الاعلى من لوحة «بيتوم» (تل المسخوطة) التى من عهـد «بطليموس الثانى» والتى لم ينقش اسمها وهى التى وجدها «نافيل» هى الآلهة حتحور وقد تكون كذلك الأميرة «فيلوترا» قد رافقت أخاها «بطليموس» فى عبادة «أرسنوى الثانية»

والواقع أنه جاء فى السطر من ٢٠ — ٢١ من اللوحة المذكورة ذكر مدينة أسسها «بطليموس الثانى» بالاسم الاكبر لوالده «بطليموس الأول» ، كما جاء ذكر معبد بنى فى هذه المدينة على شرف أخته ، ولقد وجد «نافيل» هذه الأخت الملكية «بفيلوترا» (١)

وكذلك نعرف من بين أسماء بنات «بطليموس الأول» العدة «أرسنوى» ابنة «برنيكى» ومن المحتمل أنهـا ولدت فى عام ٣١٦ ق.م. وتزوجت من «لزيماكوس» ملك «تراقيا» حوالى عام ٣٠٠ ق م.

و «أرسنوى» الثانية هـذه يجب ألا تخلط باسم بنت «لزيمـاكوس» . وهى التى يطلق عليهـا «أرسـنوى» الأولى ، وقد تزوجت من «بطليموس الثانى» وقد سرحها الأخير من أجل «أرسنوى» الثانية (٢) . هذا ويحدثنا «أسترابون» أن «فيلوترا» كانت أخت «بطليموس الثـانى» وأنها خلعت اسمها على مدينة على ساحل البحر الأحمر .

الأثار التى خلفها بطليموس الأول أو جاء عليها اسمه

لم يترك لنا «بطليموس الأول» آثارا كبيرة فى النقوش المصرية وكذلك الوثائق الديموطيقية التى دونت فى عهده ليست عديدة اذا ما قرنت بالتى عثر عليها فى عهد أخلافه .

وتنحصر الوثائق المنقوشة على الحجرات التى جاء فيها اسمه أو فى عصره فيما يأتى :—

١ — لوحة مؤرخه بالسنة السابعة من عهد «الاسكندر الثانى» فرعون

(١) راجع The Store City of Pithom IVth ed. P. 20).
(٢) راجع (L.R. IV. P. 238

المصرى (القاعة T الجدار الشرقى) نقش عليه : ملك الوجه القبلى والوجه البحرى (ستب — نى — رع — مرى — آمـون) ابن « رع » رب التيجان (بطليموس) (١) .

٥ — قطعة حجر وجدت فى « طرانة » بالدلتا (Terenmouthis) جاء عليها : محبوب(١) ... الحياة الاله الكامل ابن« أزيس » رب الأرضين(٢) ... تمثال حور معطى الحياة لملك الوجه البحرى حامى والده رب الأرضين (ستب — نى — رع مرى امن) (٣) .

٦ — قطعة حجر أخرى من نفس المكان (٣) . جاء عليها المتن «يعيش حور عظيم القوة الملك القوى : السيدتان المسمى المستولى على الصولجان وعلى الحكم » . وقد خمن الأثرى «ناقيل» بحق أن اسم القرين «كا» واسم نبتى اللذين ذكرا هنا لأول مرة فى ذلك العهد هما للملك «بطليموس الاول »

٧ — قطعة حجر عثر عليها فى كوم « أبولو » بالدلتا جاء عليها : الملك الكامل رب الأرضين (ستب — نى — رع — مرى — امون) ابن «رع » رب التسجان بطليموس (٤) .

٨ — هذا وتوجد قطعة جميلة من الحجر عليها طغراء الملك « بطليموس الأول » عثر عليها كذلك فى « طرانة » وهى الآن بمتحف « بوسطون » (٥) .

٩ — كما توجد قطعة أخرى من نفس المكان محفوظة بالمتحف البريطانى عليها اسم بطليموس (٦) .

---

(١) راجع (L.D. IV, P. 217

(٢) راجع Naville. The Mound of the Jew etc. P. 60 & Pl. XX No. 9).

(٣) راجع Ibid. P. 62 & PL. XX.

(٤) راجع Naville, op. cit. p. 62, Pl. XX. No. 8).

(٥) راجع Ibid., P. 62.

(٦) راجع B.M. Guide (1909) & Ibid, Sculpture, P. 256. No.

١٠ — وأقام « بطليموس الأول » على ما يظهر فى الدلتا مدينة أطلق عليها اسم أخيه « منيلاوس » وتقع فى الركن الشمالى الغربى للدلتا بالقرب من « كانوب » (١) .

١١ — « بطليمايس » : تعد « بطليمايس » أهم بلد أنشأها « بطليموس الأول » فى عصره وهى مدينة اغريقية الصبغة أنشأها هذا العاهل لتكون مدينة اغريقية خاصة بالاغريق لتضارع المدن المصرية الأصلية مثل «طيبة » و « العرابة » وغيرهما . وتقع (بطليمايس» على مسافة أربعمائة ميل فى الجنوب. وقد أقامها بطليموس الأول على أنقاض مدينة قديمة تدعى «بوزى» فى مقاطعة طينة (المنشية الحالية بالقرب من جرجا) (٢) .

واذا كانت « الاسكندرية » قد خلدت اسم « الاسكندر الأكبر » وعبادته فان «بطليماس» قد أنشئت لتخلد اسم «بطليموس سوتر الأول» وعبادته . وهذه المدينة تقع فى وسط اطار محدد بتلال وادى النيل القاحلة يعلوها سماء مصر ، وفى هذه البقعة أقيمت مبانيها العامة ومعابدها ومسرحها ، ولا نزاع فى أن كل هذه المؤسسات كانت فى طرازها ونظمها اغريقية وكانت ثقافتها اغريقية ومواطنوها من دم اغريقى خالص .

هذا وكان نظام الحكم فيها هو النظام الذى كانت تسير عليه المدن اليونانية . واذا كان هناك بعض الشك فى أن «الاسكندرية» كان لها مجلس (Boule) وجمعية عمومية فان هذا الشك لا يوجد بالنسبة « لبطليمايس» . والواقع أنه كان من الممكن للملوك البطالمة أن يسمحوا بحكومة ذاتية لقوم منعزلين بمسافة بعيدة عن مقر الحكم العادى للبلاط . ولدينا حتى الآن حجر منقوش عليه منشور أقرته جمعية أهل « بطليمايس » محرر بالصيغ العادية على حسب التقليد السياسى الاغريقى : لقد ظهر أنه من الحسن للمجلس (بول) وللجمعية : « كان المقترح هو « هرماس » بن دوريون (Doreon)

(١) راجع Strabo, XVII, P. 801.

(٢) راجع Plaumann Ptolemais. in ober Agypten (Leipzig 1910)

من حي مجيستويس (Megisteus) : فى حين أن « البرتانيس » (Prytaneis)[1] . الذين كانوا رفاق « ديونيسيوس » بن « ميواوس » (Muaeus) فى السنة الثامنة الخ .. »

ويلحظ أن أسماء مواطنى المدينة أسماء اغريقية حقا : وكان مثلهم كمثل مواطنى مدينتى الاسكندرية و « نقراش » فى تجنب الزواج من المصريات . ولا نزاع فى أن « بوزى » القديمة كانت تولف حيا من أحياء «بطليمايس» كانت «رقودة» تؤلف حيا فى «الاسكندرية» يسكنه المصريون الأصليون بمعزل عن الاغريق مواطنى «بطليمايس» التى أنشئت لتكون اغريقية لحما ودما . وكانت مدينة بوزى بدورها تقع على أنقاض مدينة المنشية القديمة .

وكانت جماعة المواطنين لمدينة «بطليمايس» كغيرهم من مواطنى المدن الأخرى الاغريقيه مقسمة قبائل وأحياء . ويقول العالم «شوبارت» من الجائز أن تكون أسماء الأحياء فى كل من الاسكندرية و «بطليمايس» قد رتبت بوساطة الحكومة بطريقة لا تجعل اسم أى حى يتكرر فى المدينتين ، وهذا النظام على أية حال لم يطبق على أسماء القبائل فقد كانت هناك قبيلة «بطليمايس» فى «بطليمايس» وكذلك فى «الاسكندرية» . ولكن أسماء الاحياء فى «بطليمايس» على الرغم من أنها مختلفة عن أسماء الأحياء فى الاسكندرية فانها كانت من نوع واحد . فنجد أن أحد الأحياء التابع لقبيلة « بطليمايس » قد خلع اسم الحى على « برنيكوس » ومن المحتمل أنه كان ينسب لنفس القبيلة أحياء أخرى سميت بأسماء أعضاء الأسرة المالكة ، فنجد مثلا الأسماء «كليوباتوريوس» (Cleopatoreios) و «فيلوتريوس» (Philoterios) و «مجيستوس» (Megisteus) كانت من المحتمل مأخوذة من نعوت مرتبطة «ببطليموس الأول» فى العبادة التى كانت تقدم له بوصفه «أكبر اله مخلص» . وكذلك اسما «هيليوس»

(١) الحاكم الرئيسى فى كثير من المدن الاغريقية القديمة

(Hylleus) و«كارانوس» (Karaneus) قد أخذا من شجرة النسب الملكية فى حين أن اسم «دانايوس» (Danaeus) مشتق من دائرة أسطورية تجعل صلة نسب بين مصر وبلاد الاغريق ترجع الى أزمان ماقبل التاريخ .

وكانت «بطليمايس» بلدة حرة رسميا محالفة للملك «بطليموس» فكان يرسل اليها شعراء تستقبلهم المدينة باحتفال شعبى (١) . وكانت تتعامل مباشرة مع البلاط لا مع رعايا حاكم مقاطعة «طينه» أو مع المشرف (Epistrategos) على اقليم «طيبة» وذلك على الرغم من أنه غالبا ما يقيم فى «بطليمايس» . ولا نزاع فى أن «بطليمايس» كانت فى الواقع تحت مراقبة الملك تماما . وهذه المراقبة كان الملك يحصل عليها بأن تكون كل الوظائف الهامة فى المدينة فى يد موظفين ملكيين ، كما كانت على ما يظهر فى خلال القرن الثانى قبل الميلاد وما بعده . فقد كان «كاليماكوس» المشرف على اقليم «طيبه» كما كان كذلك الحاكم الأول المقيم (Prytanis) وجمنازيارك «بطليمايوس» . هذا ونجد أن «لزيماكوس» الذى ظهر فى احدى النقوش بوصفه حاكما مقيما فى بلدة الحياة، وفى نقش آخر بأنه سكرتير الجمعية العمومية (Crammateus) وكان كذلك مدير خيل الجيش الملكى (٢) .

ونفهم من نقوش القرن الثالث ق.م. المنسوبة الى «بطليمايس» أن المدينة كانت تنتخب حكامها وقضاتها وتغير دستورها كما تريد ، ولكن فى الوقت نفسه لم يكن لها الحق فى ضرب نقودها . هذا ونجد أنه فى الجزء الأخير من القرن الثانى ق.م. كان المعسكر الرئيسى لقوات الملك مركزة فى «بطليمايس» بالوجه القبلى على مايظهر . ونجد فى عهد «بطليموس الزمار» (Auletes) (مارس سنة ٧٥ ق.م.) أنه قد أرسلت رسالة الى مدينة لأولى الأمر تخبرهم

---

(١) راجع Orientis Graeci Inscriptiones Selectae. W. Dittenbeger, Leipzig (1903-5. No. 49).

(٢) راجع Ibid. No. 51, & 728).

أن الملك قدأنعم بامتياز (Asytia) على معبد «لازيس» أقامه «كاليماكوس» المشرف على أقيم «بطليمايس» (١) .

وهذا ويظهر أن المدينة نفسها لم يكن فى مقدورها منح امتيازات من هذا النوع لمعابد حتى فى اقليمها .

وكانت «بطليمايس» تتمتع بعباداتها الخاصة أو نظام شعائرها الموجه الى أشخاص البيت المالك . وأقدم وثائق فى متناولنا فى هذا الصدد ترجع الى عهد «بطليموس الرابع» «فيلوبترا» ويظهر لنا فيها أن كاهنا «لبطليموس سوتر الاول» قد عين للاخوين المحبين (أى الملك والملكة الحاكمين) للمرة الاولى . وكانت تؤرخ الوثائق فى اقليم «طيبه» بكل من عهد كاهن الاسكندر وملوك البطالمة وملكاتها فى الاسكندرية (وكذلك كل الوثائق فى كل أنحاء المملكة) وبعهد كاهن «بطليموس» .

ويظن المؤرخ «بلومان» أن هذا التأريخ السنوى باسم الكهنة فى «بطليمايس» كان نظاما جديدا وضعه «بطليموس فلوپاتر» ، غير أنه كانت توجد عبادة خاصة تقوم بها المدينة «لبطليموس الاول» مميزة عن ذلك وتعرف بعبادة «تيوث سوتر» (= الاله سوتر) دون ذكر اسمه العلم ، وأن الشعائر التى كانت تقيمها له المدينة ترجع الى أيام حياة «بطليموس الاول» والواقع أن البرهان الذى استند عليه «بلومان» ضئيل جدا ولكن فى الوقت نفسه قد يكون محتملا أو حتى أكيدا لأن «بطليمايس» كانت على وجه التأكيد أقامت شعائر بصورة ما لمؤسسها . واذا كانت «رودس» قد أقامت عبادة «لبطليموس الأول» بوصفه الاله المخلص ، فانه من باب أولى أن المدينة التى أسسها كان لزاما عليها أن تقيم له عبادة وشعائر ، ولكن يتساءل الانسان هل كانت هناك عبادة خاصة تقوم بها مدينة «بطليمايس» لمؤسسها بعد تأسيس نظام الشعائر التى كان يتولاها كاهن خاص عين منذ «بطليموس الثانى»

(١) راجع . (Plaumann. P. 35.

وسمى باسمه سنو الحكم أم لا ؟ والواقع أن الوثائق التى فى متناولنا تقدم لنا المعلومات التالية فيما يخص بالتغييرات التى أدخلت على عبادة «بطليمايس» التى كانت تسمى باسم الكاهن الذى يقيمها فنجد التغيرات التالية :

١ — فى عهد «بطليموس الخامس» «أپيفانيس» كان كاهن «بطليموس لأول» يدعى : كاهن «بطليموس سوتر» والاله «اپيفانيس» «ايكاريستوس» (Eucharistus) (= الشاكر) .

٢ — وكاهنة (كانيفوروس) «أرسنوى فيلادلفس» قد أضيفت فى العام الثالث والعشرين من عهد بطليموس الخامس أو قبله (١٨٣ — ١٨٢ ق.م.) .

٤ — ويلحظ أنه ما بين عام ١٦١ و ١٤٣ق.م. أسس نظام جديدبالمرة، وذلك أنه أضيف كاهن الملك «بطليموس» وأمه «كليوبترا» الى كاهن «بطليموس سوتر» والاله «اپيفانيس ايكاريستوس» أى أنهما أصبحا كاهنين لا كاهنا واحدا. وأنه أصبحلكل ملك من البطالمة كاهنجديد سنوياخاصا به. وتبتدىء القائمة «بطليموس الأول» ثم يأتى بعد ذلك الملك الحاكم «فيلوموتر» ، ثم بطليموس الثانى وما بعده : فلان بوصفه كاهن «بطليموس سوتر» ، وفلان كاهن الملك الاله المحب لأمه ، وفلان كاهن الملك بطليموس «فيلادلفس» الخ وهذا النظام قد استمر على مايجتمل . وقد كانت القائمة تزداد ازديادة مطردة حتى نهاية الأسرة . غير أن الأساس الذى نعتمد عليه فى استمرار ذلك أصبح يعوزنا ، وذلك أنه كلما طالت القائمة نفد صبر الكتبة عن أنيكتبوها فى تاريخ الوثائق بل اعتادوا أن يكتبوها هكذا : «هؤلاءالكهنةوالكاهنات الذين فى «بطليمايس» الذين كانوا هكذا » .

٥ — وفى عهد «بطليموس السابع» أضيف فى المكانالثالث ، كاهن جديد — وهذا أمر غريب — يدعى كاهن العرش الذهبى للملك «بطليموس الاله المحسن» ، والملك العظيم ، وعنصر قداستهم ؛ وذلك بعد الملك الحاكم ذاته .

٦ ـ هذا وقد أضيف بعد كاهنات «كليوبترا» الأولى والثانية والثالثة على التوالى الى كاهنة «أرسنوى فيلادلفس» .

ومما تجدر ملاحظته أن الثقافة التمثيلية التى كان يهتم بها الاغريق كانت تنبض بالحياة فى مجتمع «بطليمايس» . فمنذ عهد «بطليموس الثانى» نجد أن «بطليمايس» كانت المكان الذى فيه طائفة الممثلين (وهم مفتنون متصلون بعبادةديونيسوس) وكانت مراكزهم هناك تحت حماية الأخ والأخت الالهين(١)

١٢ ـ توجد فى الكوم الأحمر خرائب يظن أنها موقع معبد أقامه « بطليموس الأول » (٢) .

١٣ ـ يوجد فى المتحف المصرى قطعة من نقش من الحجر الجيرى جاء عليها : ابن رع ـ رب التيجان ـ بطليموس عاش مخلدا (٣) . ويظن « زيته » أن هذا الاسم هو بطليموس الأول .

١٤ ـ معبد خنسو

جاء اسم « بطليموس الأول » على افريز واجهة بوابة معبد « خنسو » بالكرنك ويرجع عهد النقش الى « بطليموس الثالث » (على الواجهة اليمنى) (٤) . وجاء فى هذا النقش :

الكاهن والد الاله بطليموس ، وجاء على الجهة اليسرى من نفس البوابة بدلا من عبارة الآباء العظام للملك أى « بطليموس الأول » وزوجه « برينكى » ابواه أى «بطليموس » وزوجه «أرسينوى » .

١٥ ـ هذا وقد جاء ذكر « بطليموس الأول » كذلك فى السطر ٢١ من لوحة « بيتوم » التى أقيمت فى عهد « بطليموس » الثانى فى الفقرة : خاصة

---

(١) راجع (Strack. P. 35
(٢) راجع L.D.I.V. P. 218. Note 3.
(٣) راجع (Cairo Mus. Journal D'Entrée, No. 34839
(٤) راجع (Sethe, op. cit., No. 31, P. 155.

بتأسيس مدينة ومعبد باسم ابنة الملك « بطليموس فيلوترا » كما أشرنا الى ذلك من قبل .

١٦ — جاء نعت « بطليموس الأول » وزوجه فى « مرسوم كانوب » مع اسمه واسم زوجه « برنيكى » هكذا : « الالهان المخلصان » ، والنعت : « الاله المخلص » . ونحن نعلم فى الواقع أن « بطليموس الأول » قد تقبله من أهالى الاسكندرية عقب المساعدة التى قام بها لأهل « رودس » فى الحصار الذى تكبده هؤلاء فى حرب «ديمتريوس بوليورسيت (Poliorcet) (من ٣٠٥ — ٣٠١ ق.م) . وقد أشرنا الى هذه التسمية فى مكانها.

هذا ونعلم فى تاريخ غير محدد يتراوح ما بين سنة ٢١ ، ٢٩ من حكم ابنه « بطليموس الثانى » أن الأخير أصدر مرسوما بجعله الها بواسطة الكهنة المصريين وقد ظهر اسمه منذ ذلك الوقت فى عقود ديموطيقية مصحوبة بالنعت (الاله) (١) .

وبعد ذلك أضيف هذا النعت للقب « سوتر » الذى ظهر على النقود التى عملت فى السنين من ٢٦١ — ٢٦٠ أى فى السنة الخامسة والعشرين من حكم (بطليموس الثانى » ، وأضيفت عبارة « بطليموس » الاله المخلص وزوجه وقد آكد « ريفيو » (٢) أن عبادة « سوتر » لم تحشر بين عبادة « الاسكندر » وبين عبادة الالهين (فيلادلفس » الا فى عهد « بطليموس » السادس « فيلوموتر » بن « بطليموس » الخامس « أبيفان » ولكن ما جاء على افريز معبد « خنسو » وفى منشور « كانوب» يكذب هذا التأكيد ويظهر أنه فعلا فى عهد « بطليموس الثالث » «أيرجيتيس » كان كل من « بطليموس الأول » وزوجه «برنكى « قد ضما الى شعائر « الاسكندر » . وذلك فى « الاسكندرية » وفى « منف »

(١) راجع Revillout, Revue Egyptologique, 1, P. 21).

(٢) راجع Ibid, I. P. 20.

و « طيبة » . وقد أكد « بوشيه لكلرك » مع ذلك أن عبادة المخلصـين لم تكن قبـل حكم « بطليـوس الرابع » . ويرى ذلك فى الآثار الاغـريقية والديموطيقية حتى السنة الحادية عشرة من عهد « كليوبترا » الثالثة وابنها «بطليموس العاشر» « سوتر الثانى » (أكتوبر ــ نوفمبر عام ١٠٧ ق.م)(١) وذلك من المفهوم ضمنا حتى عام ١٦ من عهـد « بطليموس الثالث عشر » (٦٦ ــ ٦٥ ق.م) فى بعض الأوراق الديموطيقية التى جاء فيها الصـيغة (تحت ادارة كاهن «الاسكندر» وأولئك الذين كتب اسمهم فى «راقودة»(٢) وكذلك فى السنة السادسة والعشرين من عهد « بطليموس الثالث عشر » «بؤنة» (= ٢٤ يونيو سنة ٥٥ ق.م) على بردية اغريقية فى برلين (٣) .

وعلى العكس نجده يذكر على القائمة الهيروغليفية للآلهة الأجداد التى وضعها «بطليموس الثالث عشر » فى معبد «كوم أمبو» (٤) .

١٧ ــ وجاء نعت «بطليموس الأول» فى نقش مرسوم على«حجر رشيد» باللغة الهيروغليفية وهو «الآلهان المخلصان» وقد أظهر كل من «بروكش»(٥) و «ريفيو» (٦) .

أن كلمة «سوتر» الاغريقية قد ترجمت بطريقتين مختلفتين فى المتن الديموطيقى على حسب المـكان الذى ألف فيه المتن ، ففى متن الوجـه البحرى ترجم لنعت هكذا : «الذى يطرد الشر»، وعلى حسب متن الوجه القبلى ترجم «الذى يصد » (أى العدو) .

(١) راجع Berliner Griech. Urk. III, No. 969; Otto Priester und Tempel I, P. 182 & No. 5)

(٢) راجع Speigelberg Cat. Gen. Die Demot. Papyrus. No. 30610, P. 36 & Plate XX.).

(٣) راجع (Berliner Griech. Urk. III, No. 1002

(٤) راجع (L.D., IV, 49 A

(٥) راجع (Thesaurus. P. 853-854,

(٦) راجع Rev. Egypt. I, P. 13, No. 5 & V. P. 7, No. 1.

المصادر الديموطيقية التى من عهد بطليموس الأول

لقد دلت الكشوف الحديثة التي عملت حتي الآن علىأنالأوراق البردية التى كانت من عهد « بطليموس الأول » سواء أكانت اغرقية أو ديموطيقية قليلة العدد جدا ، والواقع أن الأوراق الاغريقيـــة التى نشرت حتى الآن أربع (١) . أما الأوراق الديموطيقية فقد جمع بعضها « زيدل » وبخاصـــة الأوراق التى تبحث فى الشئون القانونية (٢) ، يضاف الى ذلك الأوراق التى نشرها «جلانفل» (٣) . هذا الى ورقتين فى بروكسل (٤) . ويبلغ مجمـــوع هذه الأوراق سبع عشرة ورقة .

وسنتناول هنا بالبحث الأوراق المحفوظة بالمتحف البريطانى التى فحصها الأستاذ « جلانفيل » بحثا دقيقا ــ لنستخلص منها حقائق هامة بالنسبة لهذا العصر الغـــامض لتاريخ الشعب المصرى ، وأوراق المتحف البريطانى هى جزء من سلسلة أوراق لأسرة كانت قد تركت وثائقها فى جرتين عثر عليهما فى « دراع أبو النجا » وتعرف بوثائق « فيلادنفيا » ويبلغ مجموعها حوالى ٢٧ وثيقة وسنتحدث عنها بعد أن نفرغ من فحص أوراق المتحف البريطانى التى بحثها الأستاذ «جلانفيل» .

والأهمية الرئيسية لهذه الأوراق تظهر فى الصورة الطبيعية التى تقدمها لنا . وهى تضع أمامنا تاريخ ملكية صغيرة وجيرانها فى خـــلال الربع الأول من القرن الثالث قبل الميـــلاد ، وتزداد أهمية هذه الوثائق عنـــدما نعلم أن متون المتحف البريطانىترتبط ارتباطا مباشرا مع ثلاثة أوراق أقدم منها (٥).

---

(١) راجع (O. Rubenshon, Elephantine. Papyri, Berlin. 1907. P. 2-4)

(٢) راجع Sidel Demotische Urkunden. P. 23

(٣) راجع (Catalogue of Demotic Papyri in the British Museam)

(٤) راجع Spiegelberg Brussels, pp. 8-9

(٥) راجع P. Dem. Strassburg (324 B.C.); P. Dem. Rylands X, (315 B.C.) & P. Dem. Brussels 2 (301 B.C.)

فترجع بنا الى الوراء الى تاريخ الملكية الرئيسية بنحو ربع قرن من الزمان يضاف الى ذلك أربع ورقات ديموطيقية فى مجمـوعة « رايلاندس» (١) وأخرى فى « فلاديلفيا » (٢) . وهذه الأوراق كلها لها ارتباط بأدوار القصة الختامية كما تصورها لنا أوراق المتحف البريطانى . وأخيرا دل البحث على أن سجل أوراق « فيلادلفيا » يرتبط ارتباطا وثيقا بأوراق المتحف البريطانى هذا بالاضافة الى سلسلة من الوثائق البطلمية المبكرة التى كتبت بالديموطيقية ومحفوظة الآن بمتحف اللوفر (٣) .

وبعد بحث طويل قام به الأستاذ « جلانفيل » وصل الى أن هذه الضيعة أو الملكية التى كانت تسمى « بيت البقرة » لا بد أنها كانت تقع شـمالى معبد « أمون » وغربى معبد الاله « منتو » بالكرنك ومعبد الاله « منتو » يقع فى شمالى حرم المعبد الكبير لآمون بالكرنك . وعلى مسافة من شرقى وسطها توجد خرائب معبد الاله « منتو » الذى كان من أعظم المعابد فى الكرنك وهو الذى أسسه « أمنحوتب » الثالث وقد زاد فيه الملوك الذين أتوا من بعده بما فى ذلك اثنان أو أكثر من البطالمة وأحدهم هو «فيلادلفس» أى « بطليموس الثانى » . وغربى هذا المبنى تقع تلال البلد القديم . ولا نزاع فى أنها موقع البيوت التى تبحث الأوراق البردية التى نفحصها الآن ويمتد أجلها الى أكثر من قرن من الزمان .

والآن بقى علينا أن نفسر اسم هذا المركز أى « بيت البقـرة » ، فأولا يظهر أن البقرة « حتحور » ليس لها مكان خاص فى « الكرنك » ، ويميل الأستاذ « جلانفيل » كل الميل بعد بحث طويل الى القول بأن البقرة هنا تشير الى أم العجل «بوخيس» (٤) (وهى التى تسـمى « أخت — ورت »

---

(١) راجع (Rylands, XI - XIV

(٢) راجع Phil. XII; Reich Mizraim VIII, 10 & Pls. 19-20.

(٣) راجع (Seidel, Urk. 22-27 .

(٤) راجع عن العجل بوخيس مصر القديمة الجزء ٧ ص ٦٢٦—٦٢٨

فى لوحات معبد البوخيوم بأرمنت) التى كانت تدفن فى « أرمنت » ولكن انتاجها الذى كان مرتبطا بعبادة الاله « منتــو » فى المــدن الأربع وهى « أرمنت » و « الميــدامود » و « طيبــة » و « طود » على ما يظهر كان يزور كل واحدة بدورها (١) . وذلك أنه عند الكشف عن عجل « بوخيس » جــديد كان يؤتى به الى طيبــة ليحتفل بتنصــيبه ، وبعد ذلك يأخذ الى « هرمونتيس » أى « أرمنت » (٢) . ومن المعقــول أن البقــرة العظيمــة (احت أورت) كان من المفروض أن يؤتى بها كذلك الى طيبــة على أغلب الظن لتمضى بقية حياتها هناك أى الى أن تأخذ الى الصحراء غربى أرمنت لتدفن هناك .

ومهما كان أصل هذا المكان (بيت البقرة) فان وجوده فى عدد من مجموعات بردية تحتوى على أسماء اعلام مشتركة فيها وموضوعات متصلة بعضها ببعض، لدليل على أن كل هذه الأوراق ترجع الى سجل واحد شــاءت الأقدار أن يمزق ويوزع بين سبع متاحف عن طريق أعمال الحفر أو التهريب . وقــد وضع الأستاذ «جلانفيل» ملخصا لعلاقــة هذه الأوراق بعضها ببعض (٣) .

وتدل شواهد الأحوال على أن هذه الأوراق كان قد عثر عليها جميعا فى مكان واحد وهو مقبرة من عهد الأسرة التاسعة عشرة استعملت فيما بعد بيتا للسكن ، وذلك فى الحفائر التى قامت فى منطقة «ذراع أبو النجا» منذ عام ١٨٩٨ الى عام ١٩٢٢ ميلادية . وقد قام بها الانجليز والأمريكان . ومن الجائز أن بعض أجزاء هذا السجل يحتمل أنه وصل الى أوربا من الحفائر التى قام بها «مريت» حوالى عام ١٨٥٩ م فى نفس الجهة . أما عن وجود هذه الأوراق فى المقبرة رقم ١٠٦ فى الجهة الغربية من النيل وسكنة أصحابها فى الجهة الشرقية فى بيت البقرة فيمكن الاجابة على ذلك بأنه من الجائز أن

(١) راجع Fairman, in Mond and Mayers Bucheum, II, 45 ff.)
(٢) راجع Fairman, op. cit. 7 & 8, Note F.).
(٣) راجع (Glanville, Ibid. Appendix 2

ادارة عمل صاحبها كان فى الجهة الغربية وسكناه كان فى الجهة الشرقية فى بيت البقرة .

وبعد هذه المقدمة القصيرة تتناول ترجمة مجموعة الأوراق التى توجد فى المتحف البريطانى . والواقع أن الملكية التى تبحث فيها معظم وثائق المتحف البريطانى تكون فى الأصل جزءاً من ضيعة كبيرة كان يملكها نجار معبد «آمون» يسمى « چوف عخى» (ومعناها البردية الخضراء) ابن «وجا — مر — متن» و «تا — ايس» ونسمع عن هذه الشخصية أولا فى ورقة بمتحف ستراسبورج رقم ١ وتحتوى على وثيقة هبة بمقتضاها قسم «چوف — عخى» بين أولاده ومن بينهم أحد أولاده الصغار ويدعى «پدى - حنس» أخذ هذه الملكية المعينة بمثابة نصيبه ، وهذه الورقة مؤرخة بشهر «تحوت» من السنة التاسعة من عهد الاسكندر الأكبر (= ١٢ نوفمبر سنة ٣٢٨ق.م.) وهذه الوثيقة من الأهمية بمكان بالنسبة لعلاقة الأشخاص الذين يحتلون مكانة عظيمة فى وثائق المتحف البريطانى كما أنها الى حد ما تفسر بواسطتها. وبعد مضى ثمان سنين على هذا التقسيم نجد «بدى خنس» يعقد زواج على زوجه «تاايس» ابنة رجل رجل يدعى «أمنم أوبى»(١) المؤرخة بشهر هاتور السنة الثانية من حكم الاسكندر الأكبر ، وقد وصف مثل والده من قبله بأنه نجار بيت «آمون» ولكن بعد مضى ثمانية عشر شهرا على ذلك نجد أن الأخوين لايزالاذ يقتسمان البيت نفسه سويا ؛ وذلك لأنه فى ورقة «فيلادلفيا» رقم ٢ (٢) . (مؤرخة بشهر «بشنس» السنة الثالثة من عهد «الاسكندر الرابع» = الثامن من يوليو سنة ٣٠٤ق.م.) نجد أن حار «چار—عخى» من الجهة الشمالية هى «تت — نف - حتب» ابنة «چد — حر» يتعاقد من أجل مرتب

---

(٢) راجع Reich Misraim II. 14 & III, P. 9 ff.

(١) راجع Rap. Raylands X.

سنوى مع امرأة تدعى «تامين» ابنــة «حح» وتعين حــدها الجنوبى بيت «كلوج» بن «باستنو» الحمال وهو الذى كان ملك نجار بيت «آمون» ، و «بهب» بن «چوف عخى» نجار بيت «آمون» ، و «پدى خنس» والشارع يفصل بينهما ، ومن ثم نرى أن «بهب» و «پدى خنس» قد أصبحا يملكان نصيبهما المخصص لهما فى ضيعة «چوف عخى» . وبعد ذلك بثلاثة عشر عاما نجد خيطا يربطنا بقصة «چوف ـ عخى» فى بردية بمتحف «بروكسل» (١)، وقد أثبت «جلانقيل» أن هذه الورقة مؤرخة بالسنة الخامسة من عهــد «بطليموس الأول» لاكما قال «سپيجل برج» فى السنة الخامسة من عهد «بطليموس الثانى» وهاك نص الترجمة كما أوردها «جلانقيل» على الرغم من تهشيم الورقة .

١ ـ السنة الخامسة شهر بابة من عهد الفرعون «بطليموس» : قال ..... ابن ..... والدته (هى) للكاهن المرتل لجبانة «چمى» (= مدينة هابو) حارسئيسى بن «پانا» وأمه هى «بهيب» . لقد دفعت لى الثمن ولقد سر قلبى بمبلغ الشراء لبيت المرأة «تشرن خنس» ابنة «بهيب» وأمها هى .... (و .... ابنة «بهيب» (؟) وأمهــا هى «سيتربنى» ولدفن «بهيب» والدها ولدفن «سيتربنى» زوجه وحدود البيت المسمى هنا هى :

جنوبه : بيت «كلوج» بن «چوف ـ عخى» وكوة «تامن» (ابنة) «بانا».

شماله : بيت الكاهن والد الاله ب . (......) بن «بيتأ منمؤبى» (وشارع الملك بينه (الذى فى) الخرائب ولكن جدرانه لاتزال قائمة .

وشرقه : (.......)

وغربية : (....) بيت نجار معبــد آمون « پدى خنس » بن « چوف ـ عخى» وهو الذى ملك أولاده ، مجموع حدود كل بيتى .

---

(١) راجع Brussels II)

أعطيته اياك ، وانه ملكك ، وبيتك المبنى(؟) والمسقوف(؟) فى الشمال من سور معبد « نى » (= طيبة) . لقد أعطيتك اياه وأنه ملكك وبيتك (كما ذكر) (لقد تسلمت ثمن الشراء منك وأنه كامل دون باق ، وأن قلبى منشرح به . وأن الذى يأتى ضدك بسببه فى أى موضوع على الأرض باسمى أو باسم أى انسان على الأرض فانى سأجعله ينسحب من أمامك وسأجعله (أى البيت) يحرر لك من كل كتابة ومن كل وثيقة ومن كل شىء على الأرض ومن كل سجل فى كل يوم . وحجة ملكك (وسجلاته) لكل مكان توجد فيها ، وكل حجة قد عملت بخصوصه وكل حجة عملت لى بخصوصه وكل حجة بها لى حق فيه وكذلك وريثى أى ابنى فانها ملكك وكذلك حقوق الوارث .

واليمين أو البيئة الذى سيفرض عليك فى بيت العدالة باسم صحة العقد المذكور الذى سأعمله لك أو الذى سأجعله يعمل لك ، سأعمله دون ذكر أى سجل أو أى كلمة على الأرض ضدك .

أوراق البردى فى المتحف البريطانى التابعة للأوراق السابقة .

واليمين أو البينة الذى سيفرض عليك فى بيت العدالة باسم صحة مجلد خاص وسنورد هنا ترجمة هذه الوثائق وتتبعها بالوثائق التى جاءت فى مجموعة «فيلادلفيا» الخاصة بعهد «بطليموس الأول» والأخيرة قد ترجم بعضها الأستاذ «رايخ» وأكمل ترجمتها الأستاذ « مصطفى الأمير » .

الورقة رقم ١٠٥٢٢ ه أبعادها ٣٨٫٥×١٠٣٫٨ سنتيمترا اللوحة ١ ، ٢

ومضمون هذه الوثيقة نزول عن بيت نزل عنه «بورتيو» بن «پدى خنس» الى «تا ايسى» ابنة «بليميش» . وقد كتب على ظهر الورقة أسماء ستة عشر شاهدا . وكاتب الوثيقة هو «مترى» بن «هارارو» وتاريخها هو السنة الثامنة شهر أبيب من عهد «بطليموس سوتر الأول» = سبتمبر سنة ٢٩٧ ق.م. .

وهاك نص الوثيقة . السنة الثامنة شهر أبيب من عهد الفرعون «بطليموس» (سوتر الأول) : قال نجار بيت آمون «بوريتو» بن «پدى خنس» وأمه

(هى) «تا اسى» للمرأة «تا اسى» ابنة «بمرمشـم» وأمها هى «تاتو» (؟) .
لقد نزلت لك عن حقى فى بيتى المبنى والمسقوف وهو الكائن بمركز «البقرة» فى مدينة «طيبة» ، وهو الذى عمل لك بخصوصه كتابة مقابل فضة (١) ؛ والدى «پدى خنس» بن «چوفعخى» (٢) وأمه هى «استغنى» وحدود هذا البيت المبنى والمسقوف هى :

جنوبه : بيت نجار آمون «كلوج» بن «چوف — عخى» والمرأة «ترو» ابنة «پاسمتو» .

شماله : بيت المرأة «نيرى» (؟) «ابنــة» (جحو) ، وشارع الملك بينهما

غربه : بيت المرأة «تموت» ابنة «خلوج» .

شرقية : بيت نجار «آمون» (٣) «بهيب» بن «چوف — عخى» ، والبيت المذكور يفتح شمالا أى مدخله كان شمالا .

وليس لى حق شرعى ولا مقاضاة ولا أى شىء على الأرض عليك بخصوصه من اليوم فصاعدا . ولن يستطيع انسان على الأرض أن يكون له سلطان عليه الا أنت . وأى انسان سيأتى ضدك بسببه — سواء أكان ذلك باسمى أم باسم أى انسان على الأرض ، وأى انسان على الأرض تابع لى (سيأتى ضدك سواء أكان والدا أم أما أم أخا أم أختا أو نفسى كذلك فانى سأجعله يسلم لك

---

(١) يجدر بنا أن نفهم كلمة فضة (= حز) فى العهد الديموطيقى . وانه لمن الصواب فى هـذه المناسبة ان نضع أولا قائمة بالالفاظ المستعملة للعملة الديموطيقية ونوازن قيمتها الواحدة بالاخرى .

(١) كركر	=	٦٠٠٠ درخمة
(٢) دبن	=	٢٠ درخمة
(٣) ستاتر	=	٤ درخمات
(٤) كدت	=	٢ درخمة
(٥) ابولوس	=	٦\١ درخمة

ولا نزاع فى أن كلمة «دبن» تتبادل مع عبارة « دبن حز » وهـا التعبير الاخير يعنى عملة فضية ومن ثم فانه من المعترف به انه بالاضافة الى معنى فضة ونقد ، تعنى كلمة « حز » الدبن الذى قمة عشرين درخمة من الفضة وهذا المعنى لكلمة « حز » يصادفنا فى متون ديموطيقية عديدة . وقد ظهر لكلمة « حز » قيمة نقدية اخرى فى عهـد القرنين الثانى والاول معـا (راجع Demotic Ostraca from Medinet Habu, P. 1.

بخصوصه . وانى لن أجعله يسلم لك وحسب ، بل سأجعله يسلم لك طوعا دون نزاع ..) .

يأتى بعد ذلك ملخص ثم قائمة بالشهود وعددهم عشرة شهود .

الوثيقة رقم ١٠٥٢٣ : أبعادها ٣٧٫٥×٨٧٫٤ سنتيمترا .

وهذه الوثيقة هى اعتراف من «تا اسى» ابنة «بيتمؤبى» بقرض على تأمين بيتها الى «بليهى» ابن «تيتارتايس» وكاتبها هو «بشنتيهى» بن «بارت» . وأرخت بالسنة الحادية عشرة شهر بئونة من عهد «بطليموس الأول» أى ديسمبر سنة ٢٩٥ ق.م. أو يناير سنة ٢٩٦ ق.م.) .

وهاك ترجمة النص : (١) السنة الحادية عشرة شهر بئونة من عهد الفرعون «بطليموس» (سوتر الأول) قالت المرأة «تا اسى» ابنة «بيتمأ منؤبى» وأمها هى «تا ....» الى الكاهن المرتل «اب بليهم» ابن «تيتارتايس» وأمه هى «تشنخومتى» (Tschenchomti) لك ثلاث قطع (فضة) وستة قدات وهو مايساوى ثمانية عشر ستاتر (عملة هيلانية) أى ثلاث قطع فضية وستة قدات ثانية ، على (أى دين على) وسأدفعها ثانية لك (أى وقت ؟) حتى آخر يوم من شهربئونة من السنةالثانية عشرة واذالم أردهالك أى ثلاث قطع الفضة وستة قدات أى الثمانية عشر ستاتر أى ثلاث قطع الفضة وستة القدات ثانية فى آخر يوم من بابه من السنة الثالثة عشر ، فانى سأدفع لك خمس قطع فضة وأربعة قدات أى ٢٧ ستاتر بدلا منها (أى أنها ستدفع غرامة على المبلغ الأصلى) فى اليوم الأول من شهر «هاتور» من السنة الثالثة عشرة ، وهو اليوم الذى بعد اليوم المذكور ، عن طيب خاطر وبدون تأخير ، ولن أعين لك يوما آخر لدفعها الا اليوم المذكور ولن يكون فى استطاعتى أن أقول : لقد أعطيتك نقودا جديدة معها دون صك رسمى (بذلك) ، ولن يكون فى استطاعتى أن أقول لقد أرضيتك فى ذلك (أى لقد دفعت لك المبلغ بالتمام) ولقد أديت لك حقوق الوثيقة أعلاه . وأى شىء وكل شىء عندى

وأى شىء سأملكه يكون ضمانا للمال المذكور (٣) فى اليوم المذكور سالفا وبيانها : بيتى المبنى والمسقوف (وهو الذى) فى الحى الشمالى من المدينة (طيبة) فى «بيت البقرة» الذى حدوده هى :

جنوبه : بيت نجـار معبد آمون «كلوج» بن «چوف ـ عخى» وهو ملك «بيتنف ـ حتب» بن «الوج» .

شماله : بيت السقا « زد ـ حر » (چحو) بن « پاحور ».

شرقه : بيت مرتل القرد «حرسئيس» بن «پانا» . وفى غربه جزء (من الضيعة) ملك المرأة «موت» ابنة «كلوج» . وهذا هو مجموع حدود كل البيت الذى دونت حدوده أعلاه ، هذا بالاضافة لأى شىء وكل شىء أملكه وما سأحصـل عليه (مستقبلا) . وسأعطيه اياك وستأخذها لنفسك حتى تعوض عنها وحتى تعوض عن مالك المذكور سابقا فى اليوم المذكور ، وان وكيلك هو الذى عنده السلطة ليرغمنى فى أى أمر سيقدمه ضدى باسم أى موضوع ذكر أعلاه ، وسأؤديه (أى المبلـغ) عند طلبـه عن طيب خاطر بدون تأخير وبدون مشادة .

كتبه «باشنتيهى» بن «پارته» .

ثم يأتى فى الوثيقة بعد ذلك مضمون التعاقد ثم توقيعات الشهود وعددهم ستة عشر .

الوثيقة رقم ١٠٥٢٨ : أبعادها ٣٩٫٥×٤١٫٥ سنتيمترا

المضمون : عقد حرر بين «بليهى» بن «تيتارتايس» وبين «حرسئيسى» بن «پانا» وهو خاص بدفع ضرائب للكهنة المرتلين فى جبانة «چمى» (مدينة هابو) . وكاتب هذا العقد هو «نسمين» بن «بهيب» وأرخ ببئونة ـ يولية سنة ٢٩١ ق.م. .

وهاك النص : السنة الرابعة عشرة شهر برمودة (= ٢ يونية لأول يولية سنة ٢٩١ ق.م.) من عهد الفرعون «بطليموس» (سوتر الأول) : قال

الكاهن المرتل للقرد «بليمى» بن «تيتارتايس» وأمه هى «تشنخومتى» لمرتل القرد «حرسئيسى» بن «پانا» وأمه هى «تهيب» : انى مسئول أمامك (انه ملكك = ما هو فى ذمتى) فلن أضارك فى موضوع النقد (أى الفضة) (٢) وكل المرتلين (الآخرين) الذين فى جبانة طيبة فى أمر خمس القطع من الفضة التى تساوى ٢٥ ستاتر والتى تســاوى خمس قطع فضة ثانية وهى التى أرسلتها الى موظف (الشرطة أو المالية ؟) قائلا : على بأن أدفع باسم المشرف على الجبانة النقود وهى التى تدفع مرتبا أى ٢ ١/٢ قدت لكل فرد ؟ هــذا بالاضافة الى النقود التى تدفع للمشرف على الجبانة للرجال (٣) الذين يؤتى بهم الى الصحراء «چمى» وكل النقــود الخاصــة بهم (أى الرجال المذكورة) ملكى ، وذلك فى مقابل خمس قطع فضة أرسلتها لموظف (الشرطة أو المالية) وهى النقــود التى يجب عليهم أن يعطونيها فى مقابل المرتبــات والنقود (المستحقة) للمشرف على الجبانة . وعليك أن تكتب لى صكا بها قائلا : لقد نزلنا عن حقنا فيها أى النقود التى ستأتى للكهنة المرتلين (٤) من «حتب ــ آمون» التى فى اقليم طيبة . وأنى سأدفعه (= المرتب) بدلا منه (أى الايصال ؟) وانى سأذهب الى اقليم «طيبة» مع الناس الذين ستعطينها ليذهبوا معى . والنقود التى سأدفعها فى مقابل الصك أو المستند عليك أن تدفعها لى من (؟) النقود التى ارتبطوا بدفعها لى (؟) وهى القدتان والنصف تدفعها لى فى (؟) النقود التى ارتبطوا بدفعها لى (؟) وهى القدتان والنصف التى ستدفع مرتبات . وأن لى قدتين ولـ «بيتى حاربى» بن «حور» الكاتب الذى يسجل الكهنة نصف القدة الباقى وانى لن أسمح لأى مرتل أن يضار فيما يخص خمس قطع الفضة السالفة الذكر . وعليك أن تعمل لى على حسب كل شىء سبق ذكره . وعلى أن أعمل على حسب كل شىء سبق ذكره من أول السنة الرابعة عشرة شهر برمودة اليوم الأول منه حتى السنة الخامسة عشرة شهر طوبة اليوم الأخير منه . واذا قصرت فى أن أعمل على حسب كل

شيء سبق ذكره فى سنة ١٥ شهر طوبة اليوم الأخير منه فانى سأدفع لك عشر قطع من الفضة ثانية وهو مايساوى خمسين ستاتر ، أى عشر قطع فضة ثانية بضرورة الحال دون أى تأخير ودون مشادة .

كتبه «نسمين» بن «بهيب» . وشهد على لعقد ١٢ شاهداً .

الوثيقة رقم ١٠٥٢٤ : أبعادها ٥ر٣٧×٤ر٨٤ سنتيمترا ، Pls. 1, 5 and 6

عقد اتفاق بين «تاهيب» ابنة «بيتنف ــ حتب» وبين «بليهى» بن «تيتارتايس» ليمكنها من بناء بيت بجوار الجدار الغربى من بيته بشروط خاصة منها «نوره القديم» (منور كا نموجودا فى الأصل) ويشمل ظهر الورقة قائمة بها ستة عشر شاهدا فى الوسط (مكتوبة أفقية) وتحت الوسط بقليل عمودية . وكاتب العقد هو «نسمين» بن «بهيب» .

أرخ بشهر ديسمبر سنة ٢٩٠ يناير سنة ٢٨٩ ق.م.

نص العقد : السنة السادسة عشرة شهر باية من عهد الفرعون «بطليموس» (سوتر الاول) قالت المرأة «تاهيب» ابنة «بتنف ــ حتب» وأمه هى «تى ــ محى» لمرتل القرد «بليهى» بن «تيتارتايس» وأمه (هى) «تشنخومتى» . انى مسئولة أمامك (بدين) اذا بنيت بيتى الذى يؤلف (الحد) الغربى من بيتك والكائن فى الحى الغربى من المدينة (طيبة) فى «بيت البقرة» وحدوده هى :

جنوبه : ساحة البيت (٢) ملك «بتنف ــ حتب» بن «الوج» ، والدى

شماله : بيت المرأة «تيتنف ــ حتب» السقاءة ابنة «چحو» وشارع الملك بينهما .

شرقه : بيتك الذى ترتكز عليه جدران بيتى من الطرفين الجنوبى والشمالى، وجدارك مستعمل لى بمثابة جدار ساند . على شرط ألا أضع كتل خشب عليه.

غربه : بيت بابيموت ؟؟ ابن «باتى» بن «حور» وبيت الكلازيريس (Kalasiris) (= جندى) لبيت آمون «چحو» (بن «كالوج») ، وهما بيتان بينهما شارع الملك . وانى سأبنى بيتى من جدارى الجنوبى الى

جداری الشمالی حتی جدارك على شرط ألا أضع خشبا فيه (أى فى الجدار) الا أخشاب المبنى التى كانت هناك من قبل (?) وستستعمل لى كجدار ساند على شرط ألا أضع فيها خشبا ، وسأضع كتل خشبى من الجنوب الى الشمال (٤) حتى يمكننى أن أسقف الطبقة السفلى من بيتى اذا رغبت فى أن أبنى أعلى من ذلك ، وسأبنى جدرانى السابقة الذكر حتى جدار بيتك الذى سيستعمل لى بمثابة جدار ساند ، وسأترك المنور المقابل لنافذتيك الى مسافة طويلة من الطوب الذى بنى مستندا على بيتك قبالة نوافذك (٥) وسأبنى جنوبها (أى النوافذ) وشمالها حتى جدارك ، واسقفها من الجنوب الى الشمال وسيكون جدارك مفيدا لى بمثابة سناد كماسبق ، الا قبالة النوافذ، على شرط أنى لا أضع خشبا فيها . واذا قصرت فى أن أعمل على حسب كل شيء ذكر فانى سأدفع خمس قطع فضة أى ٢٥ ستاتر أى خمس قطع فضة ثانية ، وأن يكون لك الحق فى أن تجعلنى أعمل على حسب كل شيء ذكر من قبـــل ثانية .

واذا مانعت بألا تدعنى أبنى بيتى فانى سأعاملك حسب كل شيء سبق ذكره (يجوز أنها تقصد وضع خشب فى جداره) وانى سأبنى بيتى دون أن أترك لك منورا من غير مسئولية .

كتبه «نسمين» بن «بهيب» .

يأتى بعد ذلك ملخص العقد ثم ستة عشر شاهدا .

الوثيقة رقم ١٠٥٢٦ : أبعاد الورقة ــر٣٧×٦ر٩١ سنتيمترا .

مضمون الوثيقة : نزول «بهيب» بن «أرى» عن حقه فى ملكية «بلبهى» بن تيتارتايس .

كتبها : «تيتارتايس» بن «ثتمن» .

التاريخ : سبتمبر ــ أكتوبر ٢٨٨ ق.م.

الوثيقة ١٠٥٢٧ : أبعادها ـــر٣٧×٦ر٨٣ سنتيمترا .

وتشمل هذه الورقة نزول «بهيب» بن «أرى» عن حقه فى ملكية «حور» ابن «بشنمو» وكاتبها هو نفس كاتب الورقة الســابقة . وكذلك تاريخهــا هو نفس التاريخ السابق

وهاتان الورقتان مرتبطتان الواحدة بالأخرى تمام الارتباط ولذلك ذكرتهما معا .

نص الوثيقة الأولى : (١) السنة السابعة عشرة شهر «مسرى» من عهد الفرعون«بطليموس» «سوتر الأول»قال الكلازيريس[1] «بهيب» بن«آرى» وأمه (هى) «اسمحب» لمرتل القرد «بليهى» بن «تيتارتايس» وأمه هى «تشنخومتى» لقد نزلت لك (عن حقى) فيما يخص بيتى المبنى والمسقوف (٢) وهو الكائن فى الحى الشمالى من طيبة فى بيت البقرة شمالى حرم معبد طيبة وحدوده هى :

فى جنوبه : بيت نجار معبد «آمون» ، «كلوج» بن«جوف ــ عخى» وهو ملك سقاء « امنئوبى » ــ فى غرب ــ « طيبة » المسمى « بيتنف حتب » بن « الوج » .

فى شماله : بيت الكاتب «بدىمستو» بن «بخلخنس» المبنى والمسقوف والكائن فى ملكية الاغريقى «ايدوروس» (Eudorus) بن ميجافرون (؟) ، وشارع الملك بينهما .

شرقيه : بيت المرتل «حرسئيسى» بن «پانا» المبنى والمسقوف .

وفى غربيه : بيت المرأة «موت» ابنه «كلوج» المبنى والمسقوف وهو يتمم حدود البيت الذى اشتريته من المرأة «تا اسى» ابنه «بيتأمنئوبى»، وأمها هى «أرسرتايس» فى السنة الثانية عشرة شهر طوبة من عهد الفرعون العائش أبديا وهو الذى جئت من أجله اليك قائلا : انه ملكى وأنك حررت حقوق المنزل عنه لى . وقد ارتاح قلبى لذلك وليس لدى حق شرعى ولا حق اليمين؟ ولأى

(١) راجع (جندى محارب) (Herod. II, 164.

حق على الأرض عليك منذ االيوم . وأى شخص مهما كان سيأتى ضدك بسببه سواء أكان ذلك باسمى أو باسم أى رجل على الأرض فانى سأجعله يخضع لك عن طيب خاطر دون تأخير ودون مشادة .

كتبه « تيتارتأيس » بن « ثتمن » :

نص الوثيقة الثانية : السنة السابعة عشرة شهر مسرى من عهد الفرعون « بطليموس » (سوتر الأول) قال الكلازيريس (بهيب » بن « أرى » ووالدته هى « أسمحب » ، للكاهن مرتل جبانة « چمى » « حور » بن « بشتيمو » وأمه « تيتئوزير » : لقد نزلت لك (عن حقى) فيما يخص بيتك المبنى والمسقوف والكائن فى الحى الشمالى لطيبة فى بيت البقرة الواقع شمالى حرم معبد طيبة وحدوده هى :

فى جنوبه : بيت نجار « آمون » ، « كلوج » بن « چوف عخى » وهو ملك السقاء « أمنئوبى » — فى غربى طيبة . « بتينفحتب » بن « ألوج » .

فى شماليه : بيت الكاتب « بيتمسنتو » بن « بخلخنس » المبنى والمسقوف وهو ملك الاغريقى « أيدوروس » (؟) بن « مجافرون » (؟) وشارع الملك بينهما .

فى شرقيه : بيت رئيس خبازى معبد « آمون » « چحو » بن « بارت » المبنى والمسقوف .

فى غربيه : بيت مرتل القرد « بليهى » بن «تيتارتايس» المبنى والمسقوف وهو يكمل حدود البيت الذى من أجله أعطت المرأة « تاوباستى » ابنة « أسپميتى » وأمها هى «تى — وشس » أعطت كتابة مقابل فضة لوالدك المحنط (« بشنيمو » بن « حرسئيس » والذى من أجله أتيت اليك قائلا : أنه ملكى وأنك سلمت بحقى فيه ، وقد ارتاح قلبى لذلك وليس لى أى حق شرعى ولا حق اليمين (؟) (أى حلف اليمين) ولا أى حق على الأرض عليك

بالنسبة له من هذا اليوم وفيما بعد .

وأى شخص سيأتى ضدك بسببه سواء أكان باسمى أو باسم أى شخص على الأرض فانى سأجعله يخضع لك عن طيب خاطر دون تأخير ودون مشادة .

كتبه « تيتارتايس » بن « تتمن » .

باقى بعد ذلك قائمة شهود وهى موحدة فى الوثيقتين الا بعض اسماء فقط قد تغير مكانها .

الوثيقة رقم ١٠٥٢٥ : أبعادها ٣٨٫٥×٩٣ سنتيمترا .

الموضوع : رهن « بليهى » بن « تيتاريس » بيته الى « وسرور » بن « نختحارحب » .

وكتب على ظهر الورقة قائمة بستة عشر شاهدا .

نص متن الوثيقة : السنة الواحدة والعشرون شهرا أبيب من عهد الفرعون « بطليموس » (سوتر الأول) قال مرتل القرد « بليهى » بن « تيتارتايس» وأمه (هى) «تشنخومتى» للكاهن والد الاله «أوزيرور» بن «نختحارحب» وأمه (هى) تيئسى (؟) . لديك تسعة قدات من الفضة (وهى تساوى) أربعة ونصف ستاتر أى تسعة قدات فضة على (أى دين على) بخصوص النقود التى أعطيتنيها ، وانى سأدفعها (ثانية) اليك فى اليوم الأخير من شهر أبيب العام الثانى والعشرون (٢) واذا لم أدفع لك ثانية تسعة قدات الفضة أى أربعة ونصف ستاتر أى تسعة قدات فضة ثانية فى اليوم السابق الذكر فانك ستكون قد جعلت قلبى يوافق على الفضة (الثمن) لأجل بيتى المبنى والمسقوف وهو الكائن فى الحى الشمالى لطيبة فى « بيت البقرة » وحدوده هى :

فى جنوبه : بيت السقاء « بتنفحتب » بن « الوج » المبنى والمسقوف .

فى شماله : بيت المرأة « تيعو » (٣) ابنة « بتنفحتب » وشارع الفرعون يقع بينهما .

فى شرقه : بيت المحنط « حرسئيسى » بن « پانا » المبنى والمسقوف .

فى غربه : بيت المرأة «تاهب» ابنة «بتنفحتب» المبنى والمسقوف . هى حدود كل البيت ولقد أعطيتك اياه وهو ملكك وبيتك المبنى والمسقوف المسمى أعلاه . وليس لى أى حق على الأرض (٤) عليك بالنسبة له . وليس لانسان على الأرض (وأنا ضمنا) سيكون فى استطاعته أن يمارس سلطة عليه الا أنت من أول شهر مسرى سنة ٢٢ وما بعد . وأى شخص سيأتى يعارضك بسببه (أى البيت) سواء أ كان ذلك باسمى أم باسم أى شخص على الأرض فانى سأجعله يسلم أمامك (بحقك) وسأخليه لك من كل حجة ومن كل شىء على الأرض بأية حال . وكل الحجج لكل بيت متصلة به هى ملكك (؟) وكل وثيقة قد عملت بخصوصه وكل وثيقة (٥) قد عملت لى من أجله وكل وثيقة تجعلنى مستحق بالنسبة له (أى البيت) فانها ملكك بالاضافة لكل الحقوق التى تحملها معها وما استحقه فيها هى ملكك . واليمين أو الاثبات (؟) الذى سيحتاج اليه منك فى محكمة العدل بخصوص الحق المخول لك بوساطة الوثيقة السالفة الذكر التى أتممتها لك لتجعلنى أؤديه فانى سؤديه .

المرأة « تيحور » ابنة « حرسئيسى » وأمها (هى) « تاوباستى » تقول : أقبل وثيقة من « بليهى » (ابن) « تيتارتايس » زوجى السالف الذكر من أجل البيت السالف الذكر لتجعله يعمل على حسب كل شىء ذكر من قبل . وأن قلبى مرتاح لذلك لأن لىحقا عليه بمقتضى الوثائق التى أداها لى لينفذ شروطها لى فى كل الحالات ولقد نزلت لصالحك عن (حقى) فى البيت السالف لذكر دون ذكر أية حجة أو أى حق فى العالم عليك .

كتبه « أسمن » بن « بهيب » .

الشهود : توجد قائمتان فى هذه الوثيقة احداهما على الجهة اليمنى من وجه الورقة ذكرت فيها الأسماء بالألقاب وعلى ظهر الورقة كتبت نفس الأسماء بدون الألقاب .

اوراق سجل فيلاديفيا المحفوظة الآن بمتحف بنسلفانيا :

وجدت هذه الأوراق فى جرتين كما أشرنا الى ذلك سابقا فى بيت من عهد البطالمة فى « ذراع أبو النجا » . وقد فحص هذه الأوراق مبدئيا الدكتور «ريخ» ثم بدأ فى نشرها فى عام ١٩٣٣ ق.م ولكن حضره الموت قبل أن يتم عمله (١) ، ولم ينته من ترجمة الا ثلاث وثائق منها أما سائر الأوراق الأخرى فقد قام بترجمتها والتعليق عليها الأستاذ « مصطفى الأمير »

ويبتدىء تأريخ هـــذه الأوراق من السنة الســابعة من عهد « فيليب أريدايوس » ٣١٧ ق.م ثم عهد « الاسكندر الثانى » فرعون مصر فعهد « بطليموس » (ســـوتر الأول) و «بطليموس الثانى » و «ايرجيتيس الأول» حتى السنة الخامسة من عهد «بطليموس فيليوباتر» عام ٢١٧ ق.م . وتحتوى هذه المجموعة على اثنين وثلاثين وثيقــة وتشــتمل على مبايعات وتنازلات ورهونات وايجار بيوت وقبور وعلى الخدمات الخاصة بالموميات وعلى عقدى زواج وعقد طلاق وبيانات من حسابات ووثائق منوعة وهذه الأوراق كلها فى حالة جيدة تقريبا .

والواقع أنها كشفت لنا عن المعاملات والآراء والوظائف وأحوال أسرة واحدة عاشت فى « طيبة » على كلا جانبى النهر وذلك مما يضفى على هذه الأوراق أهمية خاصة اذ تصور لنا بصورة ما الحياة الاجتماعية المصرية البحتة فى هذا العهد مما لا نكاد نجده فى الوثائق الاغريقية التى وصلت الينا من هذا العهد وذلك أن الأخيرة لا تتحدث عن أهل الشعب المصرى قط بل كلها محصورة فى حياة النزلاء اليونان وثقافاتهم وعلومهم . يضاف الى ذلك أن كلا من هذه الأوراق لها قيمتها الخاصة من حيث الموضوع الذى تبحث فيه وكتبت من أجله .

وأخيرا دل البحث على أن الأشخاص الذين تتناولهم وثائق « فيلادلفيا »

---

(١)راجع Mizraim I, II, ..., VII(VIII, IX, (1933-1938)

تنحصر فى أسرتين كانتا مرتبطتين برباط التزاوج فيما بينهما . هذا ولدينا أربع أسرات أخرى موجودة بعض وثائقها فى مجموعات الأوراق التى فى متحف اللوفر والمتحف البريطانى وكان أفرادها مرتبطين مع أفراد أسر فى اوراق « فيلادلفيا » عن طريق الزواج ويرجع تاريخها للعهد الفارسى . وممتلكات هذه الأسر جميعا يمكن أن تجمع تحت أربعة رؤوس وكلها فى صعيد واحد وهى :

١ — بيت فى القسم الشمالى من « طيبة » « بيت البقرة » السالف الذكر .

٢ — بيت فى القسم الشمالى من « طيبة » غربى حرم معبد الاله « منت » رب « طيبة » .

٣ — بيت فى القسم الجنوبى الشرقى من مدينة « چمى » (مدينة هابو الحالية) بالقرب من الجدار العظيم (لمدينة هابو) .

٤ — مقابر وموميات فى جبانة « ذراع أبو النجا » فى طيبة الغربية .

ويرجع الفضل للأستاذ « مصطفى الأمير » فى بحث محتويات هذه الأوراق فى مؤلف لا يزال تحت الطبع وفى اعتقادى أنه سيكتب صفحة جديدة فى تاريخ الشعب المصرى كانت مطوية حتى الآن .

وسنتناول هنا الأوراق التى من عهد بطليموس الأول فى هذه المجموعة أما الأوراق الأخرى فستفحص كل فى مكانها على حسب تاريخها أى الملك الذى كتبت فى عهده .

من عهد بطليموس الأول :

١ — عقد بيع مزار من عهد « بطليموس الأول » .

التاريخ : السنة الرابعة من عهد الفرعون « بطليموس سوتر الأول » (= ٧ نوفمبر سنة ٣٠٢ ق.م) .

الطرفان المتعاقدان : الطرف الأول : الحانوتى « أمنثوبى » فى غربى « طيبة » « چحو » بن « باحور » وأمه (هى) « تانفرحتب » .

الطرف الثانى : « الكلازيريس » (= الجندى) لمعبد امون « بارت » بن وأمه (هى) « أشاربخرات » .

العقد : لقد أعطيتك (بعت لك) هذا المزار (المقصورة) الواقع فى جبانة « چمى » وبئرها (أى المكان الذى يدفن فيه) ، ولك أن تدفن أهلك الذين تريد أن تدفنهم فيها ، وأن لك أجور ولينا (١) «بارث» السهل (أى المدفون فى السهل) فى بيوتها العلوية فى هذا المزار الواقع على جانبه الغربى وحدود المزار المذكور هى :

جنوبه : الممر المؤدى الى« أمنحوتب » .

شماله : مزار ولينا (شيخنا) « بتحر برع » اله البحارة ، وفناء معبد آمون بينهما .

شرقيه : مزار ولينا « بانا » وصومعته بينهما .

غربيه : مزار ولينا « باتف » والشارع بينهما .

وهذه هى كل حـدود المزار (أى مزار القبر الذى يطلق عليه فى أيامنا حوش المقبرة) وقد أعطيتنى ثمن الاصلاحات التى عملتها فضة (أى نقودا من الفضة) وقد تسلمتها من يدك كاملة دون أ ى نقص. وقلبى مرتاح لذلك . ولقد بعته لك وهو ملكك ومزار قبرك هو ملكك .

الصيغة القانونية : وليس لى عليك أى حق كان باسمه (أى باسم المزار) وليس لأى رجل مهما كان ولا أنا سيكون فى اسـتطاعته أن يكون له أية سلطة عليه الا أنت من الآن الى الأبد . وأن من سيأتى اليك بسببه باسمى أو باسم أى شخص آخر ليستولى عليه منك أو من أهلك قائلا : انه ليس مزار قبرك فانى سأجعله يتنحى عنك . ولن يكون فى استطاعتى أن أدفن أى شخص كان فى مزار القبر المذكور الذى تركته هنا الا أهلك الذين ستقول

---

(١) الولى أو الشيخ عند قدماء المصريين كان مثله كمثل أولياء الله الصـالحين عندنا وربما كانت كثرة الاولياء عندنا منحدرة من هذا العهد الفرعو نى بوجه خاص .

لى بأن يدفنوا فيه . ولن يكون فى استطاعتى أن أفتح الباب الذى ستختمه مع وكيلى من اليوم (يقصد باب القبر الذى يختم حتى لا يدفن فيه أجنبى) ولن يكون فى استطاعتى أن أمنعك أنت ولا وكيلك الذى سيأتى اليه اذا دفنت شخصا فى مزار القبر سالف الذكر من اليوم المذكور أعلاه حتى الأبد الا أهلك الذين ستقول لى بأن يدفنوا فيه واذا فتحت الباب الذى ستختمه هناك مع وكيلى فانه لن يكون فى استطاعتى أن أمنعك ولا أمنع وكيلك من اليوم فصاعدا الى الأبد . وسأدفع لك عشرين قطعة فضة أى مائة ستاتر أى عشرين قطعة من الفضة ثانية فى اليوم الذى بعد يوم المحاكمة الذى ستحضره (؟) ولك الحق على بخصوص قبرك المذكور أعلاه فى أن يطهر لك أيضا . وانى سأنقل الشخص الذى سأدفنه فيه أيضا . ولن يكون فى استطاعتى أن أفتح الباب الذى ستختمه هناك أيضا . وسأنفذ لك كل كلمة على حسب ما ذكر عاليه مع أولادى .

الجزء الثانى من العقد : لقد بعت لك مزار القبر هذا الكائن فى جبانة « چمى » بجوار المزار الذى حدوده دونت أعلاه لأجل أن تضع أهلك فى حجرة الانتظار الخاصة بحجرة الدفن الكائنة هناك ولك الحق فى أن تضع أهلك الذين تريد أن تدفنهم فيها على الوسادات التى فيها من اليوم فصاعدا الى الأبد وحدوده هى :

جنوبه : مزار مقبرة « باويزى » بن « كلوج » .

شماله : مزار مقبرة صانع الفخار .

شرقيه : مزار مقبرة « چحو » بن « ايريز » المحنط .

غربيه : التل .

وهذه هى حدود مزار المقبرة المذكورة أعلاه . وانه ملكك ومزار مقبرتك لتتم مزارين (أى ليصبح لك مزارين) . ولن يكون فى استطاعتى أن أضمها لأهلك المنتظرين ، ولن أضايقك أنت ولا وكيلك فى أى وقت ، وسأخلى مزارى المقبرتين المذكورتين أعلاه فى حضرة وكيلك بمجرد انتهاء العمل فيهما.

وأن أطفالك لهم الحـق على أطفالى وأطفال أطفالك لهم الحـق على أطفال أطفالى فى أن يجعلوهم يعملون على حسب كل كلمة ذكرت أعلاه . ولك الحق فى أن تقبض على اذا مشيت فيه، وكذلك أولادى وأولاد أولادى من اليوم فصاعدا . وعليك أن تدفع لى عشرين قطعة من الفضة أى ماية ســتاتر أى عشرين قطعة من الفضة ثانية . ولى الحق عنـدك لأجـل الغســل فيهما وكذلك أولادى وأولاد أولادى ولن يكون فى استطاعتك أن تدخل فيهما أى فى المزارين المذكورين آنفا وهما اللذان أعطيتكهما الا أنا وأولادى . وسأعمل لك على حسب كل كلمة ذكرت أعلاه ، وانك ستعمل لى على حسب ذلك أيضا . وسأخلى المزارين السالفى الذكر فى حضرتك وفى حضرة أهلك وهما مبنيان ومغلقان وسأقوم بأى عمل يحتاج اليه فيهما . وقد جهزتهما بعروق الخشب اللازمة لهما وسيكون للوكيل القوة فى أن يوقف أى عمل فيه ضرر باسم أى شىء ذكر سابقا . وانى سأعمله على حسب أمره (أى أمر الوكيل) عن رضى وبدون أى ضرر .

كتبه « تيتارتايس » .

٢ — عقد بيع من عهد « بطليموس سوتر الأول » .

التاريخ : السنة الرابعة شهر توت من عهد « بطليموس سوتر الأول » (= ٧ نوفمبر سنة ٣٠٢ ق.م) .

الطرفان : الطرف الأول : حانوتى « أمنئوبى » فى غربى « طيبة » «چحو» بن « باحور » وأمه (هى) « تاتنفرحتب » . (= تنفحتب) .

الطرف الثانى : « الكلازيريس » لمعبد « آمون طيبة » « برت » بن « بانوفر » وأمه (هى) « أسحاربخرات » .

العقد : لقد اعطيتك (بعت لك) مزار المقبرة هذا الكائن فى جبانة«چمى» وكذلك بئره (مكان الدفن) ولك الحق فى أن تدفن فيه أهلك الذين تريد أن يدفنوا فيه (٢) وكذلك أجور ولينا «بارث» السهل ، أى الأجور التى

تحصل من زيارته) فى بيوته العليا فى مزار مقبرته المذكورة الواقعة على جانبه الغربى وحـــدود المزار المذكور هى : جنوبه : الممر المؤدى الى «امنحتب» (يقصد «امنحتب الأول» أحد ملوك الأسرة الثامنة عشرة وكان مؤلها) .

شماليه : مزار مقبرة ولينا « بتحار برع » اله البحارة وردهة « آمون » بينهما .

شرقيه : مزار مقبرة « ولينا » « پاتا » (٣) وخلوته بينهما .

غربه : مزار مقبرة ولينا « باتف » .

وهذه هى كل حدود مزار القبر . ولقد دفعت لى ثمن الاصـــلاحات التى عملتها بالفضة . وقد تسلمتها من يدك تامة ورضى قلبى بها . وقد أعطيتـــك اياه (أى المزار) وهو ملكك وهو مزار قبرك .

الصيغة القانونية : ليس لى أى حق عليك باسمه ، ولن يكون فى استطاعة أى رجل ولا أنا الحق فى أن يكون له سلطان عليه الا أنت من اليوم فصاعدا الى الأبد . وان الـــذى سيأتى اليك بسببه باســـمى أو باسم أى شـــخص ما ليغصبه منك أ ومن أهلك قائلا : «أنه ليس مزار مقبرتك فانى سأجعله ينصرف عنك .

بقية العقد : ولن يكون فى استطاعتى ان أدفن فيه أى شخص مهما كان فى مزار المقبرة المذكور الذى ترك هناك الا أهلك الذين تريد أن تقول لى بأن يدفنوا فيه ، ولن يكون فى استطاعتى أ نامنعك أو وكيلك الذى سيأتى الى اذا دفنت شخصا فى مزار المقبرة المذكور من اليوم المذكور أعلاه الى الأبد الا أهلك الذين ستقول لى بأن يدفنوا فيه، واذا فتحت الذى ستختمه وكذلك، وكيلك ، لن يكون فى استطاعتى أن امنعك ولا وكيلك من اليوم فصاعدا الى الابد . وسأدفع لك عشرين قطعة من الفضة أى مائة ستاتر أى عشرين قطعة فضة ثانية فى اليوم التالى للحكم الذى سيحكم به. ولك الحق على من أجل مزار قبرك المذكور أعلاه فى أن يطهر لأجلك أيضا . وانى سأنقل الشخص الذى سأدفنه فيه أيضا ولن يكون فى استطاعتى أن أفتح الباب الذى ختمته أيضا.

ساومن لك على كل كلمة ذكرت أعلاه أنا واطفالى .

(٣) عقد نزول عن مزار مقبرة من عهد «بطليموس سوتر الأول» (١) .

التأريخ : السنة الرابعة شهر مسرى من عهد الفرعون «بطليموس سوتر الأول » (= ٢ اكتوبر سنة ٣٠٢ ق.م) .

الطرفان المتعاقدان : الطرف الأول : المرأة «تامن» صاحبة «حح» وأمها هى « تاريت » . الطرف الثانى : الكلازيريس لمعبد آمون مارت «بارت» بن «بانوفر» وأمه (هى) «اسحربخرات» .

العقد : لقد نزلت لك عن حقى فيما يخص مزار هذه المقبرة الكائن فىجبانة «چمى» وكذلك البئر وحدوده هى :

جنوبه : الممر المؤدى الى امنحتب .

شماله : مزار مقبرة ولينا «باتحاربرع» اله البحارة وردهة «آمون» بينهما

شرقية : مزار مقبرة ولينا «بانا» وخلوته (مقامه) بينهما .

غربية : مزار مقبرة ولينا «بانف» والشارع بينهما .

وهذه هى حدود مزار المقبرة ، وهذا المزار الآخر الذى فى جبانة «چمى» وحدوده هى :

جنوبه : مزار مقبرة «باويزى» بن «كلوج» .

شماليه : مزار مقبرة صانع الفخار .

شرقيه : مزار مقبرة الكاهن المرتل « جحو » بن « ابريز » .

غربه : التل

وهذه هى كل الحدود لمزار المقبرة . وأهمها هو مزار مقبرتين وهما اللذان من أجلهما عمل حانوتى«امنئوبى» فى غربى طيبةالمسمى «چحو» بن «باحور» وامه (هى) «تتنفرحتب» زوجى ، اتفاق بيع لك فى السنة الرابعة شهر تحوت فى عهد الفرعون العائش أبديا . وهما ملكك وهما مزارا قبريك وستدفن فيهما

(١) راجع Ph. VII, Miz VII. Pl. 5-6).

أهلك من هذا اليوم فصاعدا أبديا .

الصيغة القانونية :

ليس لى أى حق كان عليك باسمهما من اليوم فصاعدا ابديا وأن الذى سيأتى اليك من أجلهما باسمى أو باسم أى شخص مهما كان فانى سأجعله ينفض عنك ، ولن يكون فى استطاعته أن يدفن شخصا آخر فيهما أى فى المزارين السائفى الذكر لا أولادى ولا أولاد أولادى أبديا وسأعمل لك حسب كل كلمة أعلاه ولى حق على «چحو» بن «پاحور» وأمه «تتنفرحتب» السابقة الذكر وذلك بالحق الذى منح لى بالكتابة التى عملها لى ليتم لى على حسبها هذا خلافا للكلمات التى كتبت أعلاه . كتبه « نات — اتيس » .

(٤) عقد بيع بيت من عهد بطليموس الأول : (١)

التاريخ : السنة الثامنة عشرة شهر هاتور من عهد الفرعون «بطليموس سوتر الأول» (= يناير سنة ٨٧ ق.م.) .

الطرف الأول : الكلازيريس «ثتو» بن «بارت» وأمه هى «تثيزى» (Teiese)

الطرف الثانى : حانوتى «امنئوبى» فى غرب «طيبة» «وسرور» بن «چحو» وأمه هى «تامين» .

العقد :

لقد جعلت قلبى يرتاح لبيع بيتى المبنى والمسقوف فى الحى الشمالى من طيبة فى الغرب من حرم معبد «مونت» رب «واست» .

وحدوده هى :

جنوبه : بيت الكاتب «حرنوفى» بن «أوبتاح المبنى والمسقوف وساحتى (حوش) المسورة .

شماله : بيت «بيتحر برغ» بن «باكوس» المبنى والمسقوف وهو ملك شارع الملك بينهما .

---

(١) راجع Ph. VIII. Miz. VII. Pl. 9-10.

شرقية : بيت صانع الشمع لمعبد «آمون» «شنسو» بن «وچاحور» المبنى والمسقوف وهو ملك أولادة .

غربه : بيت الكاتب «حرنوفى» بن « اوبتاح» المبنى والمسقوف وردهته التى هى عند بابه .

وهذه هى كل حدود البيت . لقد اعطيتك بيتى المبنى والمسقوف والذى كتبت حدوده أعلاه .

الصيغة القانونية :

ليس لى أى حق مهما كان عليك بخصوصه . وليس لأى انسان مهما كان أن يتسلط عليه الا أنت من هذا اليوم فصاعدا وان الذى سيأتى اليك من اجله باسمى أو باسم أى شخص مهما كان ، فانى سأنحيه عنك وسأطهره لك من كل سجل ومن كل أمر مهما كان فى أى وقت . وسجلاته ملكك فى كل مكان هى فيه . وكل شىء عمل بخصوصه وكل كتابة خول لى بها حق فانه لك. هذا بالاضافة الى الحقوق المخولة بها وما هو مخول لى باسمها هو ملكك وأن اليمين أو الاثبات الذى سيفرض عليك فى محكمة العدل باسم الحق الممنوح بالكتابة عاليه وهو التى عملتها لك لأجل أن تجعلنى أؤديه فانى سأوديه .

اثبات : والمرأة «تثيزى» ابنة «حور» وامها هى «تشنخنس» زوجه تقول «أقبل وثيقة «كلازيريس» معبد «آمون» «ثتو» بن «بارت» وأمه هى «تثيزى» ابنى السابق الذكر لهذا البيت السابق الذكر لتجعله يعمل على حسب كل كلمة ذكرت أعلاه وأن قلبى لمرتاح بذلك دون تقرير أى عمل أو أى حق مهما كان عليك .

كتبه «تيتارتايس» بن «ثتمن» .

(٥) عقد نزول عن بيت من عهد « بطليموس الأول » [١]

التاريخ : السنة الثامنة عشر شهر هاتور من عهد الفرعون «بطليموس

---

(١) راجع (Ph. IX, Miz. VII, Pl. 9-10

سوتر الأول» (= ٢ يناير سنة ٨٧ ق.م.) .

الطرفان المتعاقدان : الطرف الأول : المرأة «تارا» ابنة «پارت» أمها هي «ست حتحور» . الطرف الثاني . كلازيريس معبد آمون «ثنن» بن «پارت» وامه هي «تئيزى» أخي الأكبر .

العقد : لقد نزلت لك عن البيوت والأرض غير المبنية والعبيد والنقــود والنحاس والنسيج وأثاث الحجرة وكل شيء ملك «بارت» بن «بانفرى» وأمه هي «ثارت» أبوك وأبى وهي ملكك من اليوم فصــاعدا ، وأنك قد أعطيتنى نصيبى فيها وقلبى مرتاح بذلك .

الصيغة القانونية :

وليس لى أى حق مهما كان عليك باسمها من اليوم فصاعدا وأن من يأتى اليك بسببها باسمى فانى سأجعله يتنحى لك عن طيب خاطر دون أى ابطاء ودون مصادمة .

كتبه «تيتارتايس» بن «ثتمن» .

خلاصة سياسة بطليموس الأول ونتائجها
فى داخل البلاد وخارجها

من المستطاع الآن بعد أن استعرضنا ما قام به «بطليموس الأول» فى داخل البلاد المصرية وخارجها أن نقرر هنا أن أعظم نصر ناله هذا العاهل الحازم كان فى ميدان السياسة لا فى ميدان الحرب ، وذلك على الرغم من أنه كان قبل كل شيء جنديا ماهرا أظهر بطولة فى مواقف عدة مع سيده ورفيق صباه الاسكندر فى الحروب الطاحنة التى خاض غمارها الأخير وأحرز فيها الانتصار تلو الانتصار بصورة لم يسبقه فيها ولم يلحقه قائد فى كل عصور التاريخ ، وكان «بطليموس» فى كل هذه الحروب ظل «الاسكندر» وساعده الأيمن .

وعندما تولى بطليموس بن «لاجوس» شئون مصر بعد موت «الاسكندر» ظهرت مواهبه الاجتماعية بنجاح فى تحسين حالة البلاد الداخلية وبخاصة بالنسبة لمواطنيه من المقدونيين والاغريق . ولقد كان من جراء هذه السياسة أن أصبحت «الاسكندرية» فى آخر فترة حكمه عاصمة البلاد الجديدة ولقد عرف «بطليموس الأول» كيف يبنى وراء حدود مصر الصعبة المنال من عناصر غير متجانسة ولا متآلفة مملكة ثابتة الاركان قوية البنيان فى ظاهرها حتى أصبحت تسير فى ركب الظروف التى فرضها الفتح المقدونى وتندفع فى تيار الحياة السياسية التى كانت سائدة فى هذه الفترة من تاريخ العالم ، ولا نزاع فى أن العمل الذى بدأه وأتمه فى مصر ليس بالعمل السهل اذ الواقع أن مصر كانت منذ فجر تاريخها فى مقدورها على مر الأحقاب أن تهضم فى جوفها أى أسرة أو قوم وفدوا عليها ليستوطنوها أو ليغزوها من الخارج . غير أنه عند

دخوله أسرة البطالمة واتباعها من المقدونيين والاغريق كان الغزاة يتطلبون منها أكثر من ذلك . اذ كان عليها أن تقبل تسلط سيطرة ثقافة أجنبية وقوم اجانب فى آن واحد ، مما لم يسبق له مثيل فى تاريخ أرض الكنانة . وحقيقة الأمر أن المسألة التى كانت قد وضعت أمام امبراطورية «الاسكندر» بعد وفاته كان لا بد من حلها فى مجموعها بوساطة كل من الدول التى تشعبت اليها هذه الامبراطورية التى انهارت على أثر وفاته . والواقع أن ما كان يرمى اليه «الاسكندر» هو أن يكون تحت سلطانه دول مؤلفة من عدة شعوب مختلفة وأن يسمح للاقوام الشرقيين أو على الأقل لبعضهم أن يصبحوا فى منزلة تكاد تتساوى مع منزلة الاغريق والمقدونيين ، وذلك مع المحافظة على ميراث الفاتحين وسيادة الحضارة الهيلانستيكية ونشرها فى كل بقاع امبراطوريته . ولابد أن نذكر هنا أن «الاسكندر» لم يقم بأية تفرقة من أى نوع بين رعاياه الشرقيين . وعندما يتحدث المؤرخون عن المساواة بين الاغريق والأجانب فان المقصود به بوجه خاص الاجانب الفرس أو بعبارة أعم الايرانيون غير أن «الاسكندر» منذ مروره بمصر أى قبل أن تتبلور فى ذهنه سياسته فى ضم الامم بعضها الى بعض كما حدث بعد فتحه لآسيا نجد أنه قد طبقها على المصريين الذين لم يعاملهم معاملة المقهورين والواقع كما رأينا من قبل أنه ترك لهم ادارة البلاد فى أيديهم كانها ادارة مستقلة(١). وتدل شواهد الأحوال على أن «الاسكندر» قد عظم آلهة البلاد واحترم مؤسساتها الوطنية ، ولا غرابة فى ذلك فقد كان يعد نفسه فرعونا مصريا . واذا فرضنا أن «بطليموس الأول» أراد أن ينكر هذه السياسة ، فانه كان من الصعب عليه جدا أن يقاطعها دفعة واحدة . ويقول بعض المؤرخين أن «بطليموس» شطرية مصر قد أراد أن يحقق سياسة «الاسكندر» الكريمة فيما يتعلق بصهر

---

(١) راجع (Arrian Anab. III, 3

مصر ودمجها بالبلاد الهيلانستيكية وهى السياسة التى كان يرمى ويعمل من أجلهاهذا الفاتح. ولكن«بطليموس»تركـهذه السياسة منذ حوالى٣١٢-٣١١ ق.م. ومنذ ذلك العهد اتبع سياسة «سيلوكوس» حاكم بابل وكان يعد أول من ميز بين رعاياه من المقدونيين والاغريق والاجانب وذلك بتمييز المقدونيين والاغريق على من سواهم عامة (١) .

ويلحظ أن «بطليموس الأول» عندما تولى ولاية مصر صـدم فى بادىء الأمر فى شعوره الوطنى وفى منفعته الذاتية من جراء الاجراءات المالية الذى اتخذها الشطرية الأول «كليومنيس» الاغريقى الذى كان قبله يقبض بوجه خاص على زمام الأمور فى الديار المصرية . فكان أول عمل قام به هو محاربة «برديكاس» صديق «كليومنيس» ، ثم من بعده «انتيجونوس الأعور» . ومن أجل ذلك كان عليه أن يحسب حساب شعور رعاياه وهؤلاء الرعايا لم يكونوا الشعب المصرى وحسب بل كانت هناك طبقة من الاشراف الذين كانت فى يدهم ادارة البلاد ، هذا فضلا عن رجال الدين ، وهؤلاء كانوا جميعـا مخلصين للذكرى الفاخرة التى تركها آخر فرعون من فراعنةمصر المستقلة (٢)، وقد رأى « بطليموس » أنه من الحكمة وسداد الرأى ليجعل نفسه مقبولا عند الشعب المصرى الا يحكم البلاد على غير رغبة الاهالى ولا بدونهـا ولحسن الحظ وجد ضالته ونجدته فى فكرة اتبـاع نظام الحكم الفرعونى وذلك لأن الفراعنة كانوا يحكمون البلاد فى هدوء وسكينة دون قيام أية ثورات ، لأن كل فرعون كان يعد فى نظر الشعب آلها وأنه ابن «رع» أو ابن «آمون رع » ووارثه وبهذه الصفة كان سيد مصر الذى لا منازع له من كل الوجوه .

وقد اعتنق «الاسكندر» هذه العقيدة من قبله وآمن بها وقد وضحت فى اسماء الفرعون الخمسة ، وقد أشرنا الى ذلك من قبل، وقد حمل هذه الالقاب

(١) راجع **E. Kornemann, Die Satrapen Politik des Ersten Lagides in Raccolta Lumbroso. P. 235-245.)**.

(٢) راجع مصر القديمه الجزء ١٣ ص ٤٨٤ .

أو الاسماء من بعده «فليب اريداوس» ثم « الاسكندر الرابع » ، وذلك بفضل عناية الشطربة «بطليموس» بن «لاجوس» وحسن فهمه لعقلية الشعب المصرى وعاداته . وعندما أصبح «بطليموس» فرعونا بدوره أدخل نفسه ضمن أعضاء الاسرة الالهيــة أى أنه أصبح ابن « آمون رع » ، وعلى ذلك نجد انه قد اتخذ الاجراءات اللازمة لاحترام ديانة القوم التى أصبح هو رئيسها وحاميها على غرار من سبقه منفراعنة مصر ، فسار على نهج أسلافه فى اقامة المحاريب وتزينها وحبس الاوقاف عليها مما أرضى الآلهة .

غير أنه من السهل عليه ارضاء الآلهة ولكن كان من العسير ارضاء كهنتهم ، وسبب ذلك كما هو معلوم أن الكهنة فى مصر كانت تتألف منهم قوة مستقلةفى الديار المصرية . وكان هم «بطليوس» هو الوصول الى أخضاعهم دون ابعادهم أو القضاء عليهم وسنرى فيما بعد كيف أن طبقة الكهنة قد خضعوا فى نهاية الامر وأن أملاك الآلهة والاراضى المقدسة التى كانوا يسيطرون عليها من أقدم العهود قد أصبحت معتبرة هدية من الملك ؛ وأن موظفى الملكهم الذين يديرون شئونها ، كما أن امتيازات المعابد الشاسعة قد حددت ، وأن الخدمات الدينية تتبعها الحكومة ، وأن الكهنة كان يراقبهم ممثل الملك ، وفى مقابل ذلك كانت الحكومة تضمن لجماعة الكهنة بأوقاف خيرية وبمرتبات ثابتة مكافأة على الخدمات التى كانوايقومون بها . ولا نزاع فى أن هذا النظام كان معمولا به منذ عهد « بطليموس الاول» بل يحتمل قبل ذلك فى العهد الفرعونى (راجع مصر القديمة الجزء السابع ص ١٦١ – ٢٤٦) ولكن المهم هو أن نعرف الى أى حد كان هذا النظام متبعا . والواقع أننا نجهل ذلك. والظاهر أن «بطليموس» قد ضاعف من الهبات التى كان يقدمها للمعابد ليكسب بها الكهنة الى جانبه وهذا ما كان يعمله ملوك الاسرة الثلاثين للكهنة كما أوضحنا ذلك فى غير هذا المكان (راجع مصر القديمة الجزء ١٣ ص ٤٨٤) . يضاف الى ذلك ما نجده فى لوحة

الشطربة المشهورة فقد جاء فى نصها تثبيت ملكية ضيعة « باتانون» لآلهة «ب» و «دب» . فقد كان «دارا الثالث» قد اغتصبها وأعادها الى الملك المصرى «خباباشا» الذى ثار على الفرس واستقل بالبلاد فترة . وبكل أسف هذا هو كل ما نعلمه عن هذه اللوحة من هذه الوجهة ، كما أوضحنا ذلك فيما سبق . والواقع أن مركز «بطليموس» كان دون أى شك دقيقا ، فقد كان من واجبه أن يفهم أن الفراعنة أنفسهم كانوا فيما مضى قد فطنوا الى مقدار نفوذ الكهنة فكانوا لا يطلبون منهم أكثر مما يجب .

والظاهر أنه فى خلال القرن الرابع قبل الميلاد فى عهد حكم الفرس كانت الأسر الكبيرة أصحاب الضياع الشاسعة هى المسيطرة على الأرض القابلة للزراعة وعلى الوظائف الادارية فى البلاد ، أما الفرعون نفسه فكان ينتخب من احدى هذه الأسر الشريفة ، ولم يكن فى مقدور «بطليموس» أن يحكم دون أن يكون له أملاك وحوله جماعة من الموظفين الأمناء . ولذلك فان أول عمل قام به هو وضع يده على الاراضى الملكية ، وكان بدون شك لديه الفرصة فى تنميتها وذلك بنزع أملاك من آخرين بطرق شتى ، ولم يكن أمامه الا أن يعمل على حسب مبدأ النظرية القائلة أن الملك هو المالك لكل الاراضى المصرية . ومن ثم كان هو الواهب لكل ملكية جديدة وأصبح كل شىء ملكه غير أن هذا المبدأ لم ينفذ بكل حذافيره اذ قامت فى وجهه معارضات شديدة جدا ، ولذلك فان «بطليموس» ترك للعظماء أملاكهم كما نزل لهم عن جزء من ادارة البلاد . والآن يتساءل المرء عن سياسة «بطليموس» تجاه الأسر الكبيرة؟ والواقع أن هذه الأسر كان لها تأثير كبير جدا فى الشرق ، وقد كان على الملوك أن يعملوا لها حسابا ، فنجد مثلا أن «بطليموس» عندما أخذ على عاتقه حكومة البلاد قد وجد فيها أسرا قوية الجاه بعضها مصرى وبعضها الآخر اغريقى ، وذلك لأن الاغريق كانوا قد استوطنوا مصر منذ «بستميك الأول» كما اسلفنا ، وليس من باب العلم أن نقول أن «كليومنيس» النقراشى كان ضمن هذه الأسر

الأرستقراطية . هذا ونعلم من نقوش مقبرة «بتوزيريس» أن صاحبها كان من آسرة مصرية عريقة رجالها من طبقة الكهنة . وتدل نقوش هذه المقبرة على أن «بتوزيريس» كان يملك أراضى شاســعة ، وكذلك «نقطانب» ابن أخى الفرعون « نقطانب الثانى» آخر فراعنة مصر كان لا يزال على قيد الحياة فى عهد «بطليموس الأول» ، وكان يمثل طبقة الاشراف فى الجيش(١) . ويظن المؤرخ «شور» (W. Schur) أن أسرة «نقطانب» هذا كان لهـــا أملاك واسعة فى مقاطعات «بوتو» (وعلى الارجح فى بلوز) و«تانيس» و«سمنود» ولكن من جهة أخرى لم تحدثنا النقوش التى فى متناولنا عن هذه الأملاك ؛ وعلى ذلك فان ما ذكره «شور» ليس الا من باب الحدس والتخمين . وعلى أية حال لم تحدثنا النقوش المعروفة حتى الآن عن اشراف مصر فى عهد القرن الثالث قبل الميلاد بعد عهد «بطليموس الأول» . والظاهر أن طبقة الاشراف فى مصر كانت قد انقرضت فى عهد «بطليموس الثانى» وفى عهد «بطليموس ايرجينيس الأول» خلفه وما ذلك الا لسياسة جديدة أدخلت فى نهاية شطربية «بطليموس الأول» . وعلى ذلك كان الهيلانيــون فقط فى النصف الأول من القرن الثالث هم الذين يتكون منهم طبقة الاسياد الأثرياء مثل«أبوللونيوس» آخر وزير مالية فىعهد «بطليموس الثانى» ومثل «كريزموس» الاسكندرى (Chryemus) فى عهد «اريجيتس» و«سوسيبيوس» الوزير الأول (Sosibios) فى عهد «فيلوبوتر» ، وهو ابن «كريزموس» . وغيرهم ، والظاهر أن ملوك البطالمة قد حذوا حذو جدهم الأكبر « بطليموس الأول » بألا يتركوا الفرصة لعظماء بلادهم بأن يصبحوا أغنياء أكثر مما يجب أو تتجمع فى أيديهم سلطة كبيرة . هذا ولما كان ملوك مصر يعدون نظريا الملاك الوحيـــدين لأرض مصر ، فانهم على ما يظن لم يتركوا لغيرهم المجال لامتلاك أراضى هامة جدا ، وقد ظهرت هذه السياسة فى نظــام الضيعات كما وصفها لنـــا المؤرخ الروسى «روستو فستزف» (A Large Estate. P. 40) وعلى حسب رأى هـــذا

---

(١) راجع مصر القديمة الجزء ١٣ص ٢٨٥ — ٢٨٦ والجزء ٩ ص ٤٨٦ —٤٩١ والجزء ١٢ ص ٢٩٦ .

المؤرخ لم تكن ملكية الضيعة وراثية . والظاهر أن الطبقـة المتوسطة بوجه خاص هى التى أراد البطالمة أن يثبتوها فى أرض مصر على مساحات متواضعة مثل رجال الجنود المرتزقين فقد كان كل واحد منهم يمنح قطعة من الأرض مدى الحياة ما دام يعمل فى الجندية أو كان يعمل فى الجنـــدية وبلغ سن التقاعد ، وكان نصيب الجندى على حسب جنسيته ومكانته فى الجيش . وعلى أية حال كانت ملكية الجندى تتراوح ما بين خمسة وســتة أرورات (لأهل البلاد) وكانت تصل الى مائة أرورة أو أكثر لغير المصريين وبخاصةالمقدونيين والاغريق . هذا ولا يفوتنا أن نذكر هنا أنه كانت توجد ملكيات تبلغ آلاف الارورات (١) كما أن بعض ملكيات الجنود المرتزقة قد انتهى بها الأمر أن بقيت وراثية فى أسر هؤلاء الجنود (٢) . وقد بقيت بعض هذه القطع الكبيرة من الارض التى كان يملكها هؤلاء الجنود لأولادهم الذكور وهى التى كانت فى الأصل هبة من الملك ، ومن ثم أمكن تكوين ضيعات كثيرة على مر الأيام على حساب الأراضى الملكية . (وقد تحدثنا عن هذا الموضوع فى غير هذا المكان) .

وفى القرن الثانى بعد الميلاد قامت الثورات الوطنية فى عهـد «فيلوباتور الأول» وفى حكم «بطليموس ايبفانوس» وظهر فى الصف الأول أعضـــاء الارستقراطية المصرية أمثال «ديونوسيوس» — «بتوسارابيس» الذى قام بثورة فى عهد «بطليموس الرابع» «فيلومتور» وهو الذى كان يلقب فى البلاد بالسمير (٣) وكذلك يحتمل مثل « باوس » (٤) وهو الذى وكل اليه الملك

---

(١) راجع (P. Lille 37

(٢) راجع Lesquier, Les Institutions Militaires des Lagides. P. 230.

(٣) راجع (Diod. XXX, 15

(٤) راجع (De Riggi, Arch. II, P. 518

«بطليموس ايرجيتيس» أمر تهـــدئة اقليم «طيبة» ، وهؤلاء العظماء كانوا مصريين وقد أصبحوا هيلانيين فى ميولهم ، وقد دخل فى صفوف هذه الطبقة المتوسطة التى أصبحت هيلانية الصبغة أفراد من الذين يسكنون المدن ، ومن المحتمل أنهم كانوا يملكون فى القرى الجزء الأعظم من الأراضى المنزرعة ، وهذا فضلا عن الأراضى الملكية والأراضى المقدسة ملك المعابد ، وكان لذلك الضم أثر عظيم فى تاريخ مصر فى عهد البطالمة (١) .

وفى عهد «بطليموس الأول» بقيت حال الاهالى على ما هى عليه، فقد ظلت البلاد مقسمة مقاطعات على رأس كل واحدة منها حاكم مقاطعة ، غير أن المقاطعة أصبحت فقط دائرة حربية يديرها ضابط وهو القائد الذى كان يشرف على الشرطة والادارة ، وهذا القائد كان فى العادة مقدونى الأصل ، أو اغريقى المنبت ، وكان حاكم المقاطعة فى أغلب الأحيان مصريا وذلك حسب السنة التى سنها الأسكندر فى بعض شطربياته ، وذلك أنه كان يضع بجانب القـــائد المقدونى أو اليونانى شطربة أسيويا وكان فى قدرة حاكم المقـــاطعة أن يدير شـون الجنود الوطنيين بالاشتراك مع القائد المقـدونى أو الأغريقى ، وهذه كانت الحال مع الأمير «نقطانب» السالف الذكر فى مقاطعات الحدود الثلاث للدلتا وهى «بلوز» و «تانيس» و «سمنود» .

أما السواد الأعظم من أهل مصر وهم الفلاحون وصغار الصناع فى المدن والقرى فقد كانوا يعملون ويكدحون كما هى العادة لضمان ثراء البلاد، وكان الفلاحون مرتبطين بالأرض التى يزرعونها بوصفهم زراعا لأصحاب الارض الاغنياء ، أو للآلهة ، او للملوك . هذا ولا نعرف موقف المزارعين الملكيين فى عهد «بطليموس الأول» . والظـاهر أن حالتهم صارت لا تختلف عما كانت

---

(١) راجع Jouguet, L'Impérialisme Macédonien. P. 391-8

عليه فيما مضى من عهد الفراعنة ، فقد كانوا يعيشون بمقتضى قانون عقد يربطهم بواجباتهم مع ضمان أرزاقهم ، اذ كان لهم بعض ميزات أو بعض فوائد تحفظ كيانهم وتسد رمقهم . وكانت أحوال هؤلاء مشابهة للتى كانت تجرى فى الضياع العظيمة ، ولا نزاع فى أن هؤلاء الزراع كانوا يكونون السواد الأعظم من المصريين الذين كان عددهم فى مصر المكتظة بالسكان وقتئذ موضع دهشة الاغريق وسنتحدث عن حالة هذه الطبقة الكادحة وعلاقتها بالادارة الاغريقية وبخاصة فى الفيوم فيما بعد .

أما من جهة أصحاب الحرف فانهم كانوا يعملون فى المصانع الملكية ولا غرابة فى ذلك فان مصر كانت فى ذلك تعد البلد العريقة فى الاحتكار. والواقع أن هناك أسبابا قوية تدعو الى الاعتقاد بأن «الأسكندر الاكبر» وقد وضع نهاية للاحتكار ، وأن «بطليموس الأول» قد اعاده من جديد وبالغ فيه «بطليموس الثانى» كما سنرى بعد (١) .

وقد كانت هذه السياسة فى صالح العالم الايجى الذى كان يتنازع وده ومصافاته حكام امبراطورية الاسكندر الذين خلفوه ، وكانت هذه البلاد تدفع من أجل ذلك أثمانا بخسة لشراء الحبوب المصرية التى كانت ترد الى أسواقها ، وكان الغاء الاحتكار كذلك مفيدا لأصحاب الحرف من المصريين الذين كان عملهم وما يعود عليهم منه من فائدة كبيرة حرا بعيدا عن قبضة الحكومة والتحكم فى أرزاقهم . حقا فقدت خزانة الدولة بذلك مواردغزيرة وسنرى أن «بطليموس الثانى» قد عاد الى التقاليد القديمة الفرعونية من حيث الاحتكار وغيره من الشئون المالية وهى الخطة التى سينتهجها كل أخلافه . ويكفى أن نذكر هنا قوانين الدخل التى أصدرها «بطليموس

---

(١) راجع Gustave-Glotz, Bulletin de la Société Royale d'Archéologie d'Alexandrie, No. 25, (1930), P. 83-96)

الثانى» فى السنة السابعة والعشرين من حكمه ، غير أن متون هذه القوانين ليست فى الواقع الا اعادة لنشر اجراءات كانت قائمة من قبل ويحتمل أنه قد عمل فيها بعض تغييرات .

وقد ارتفع من جراء ذلك ثمن ورق البردى منذ بداية حكم «بطليموس الأول» وبعد نزوله عن الملك وقد كان الاحتكار منذ عهد «بطليموس الثانى» ثابتا شائعا فى أنحاء البلاد .

ومجمل القول أن المدن المصرية فى عهد حكامها الجدد كانت تعيش عيشتها العادية ، ولكن لما كان «بطليموس الأول» يريد أن يظهر احترامه لأهل البلاد فانه اختار أن يجعل مقر حكمه فى «منف» المصرية وبخاصة أن هذه المدينة كانت توارى جثمان «الاسكندر الاكبر» ، واذا صدقنا رواية رواها المؤرخ «بوزانياس» فانه كان فى نيته تركها ، ولكن «منف» لم تكن المدينة الملكية الوحيدة . فعلى حسب عادة أسلافه اتخذ مقره فى عاصمة ثانية جديدة لتكون مقرا جديدا لأسرته . وهى قلعة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى «الاسكندر الاكبر على شاطىء البحر الابيض المتوسط وتسمى «راقودة» = «الاسكندرية» . والواقع أن اختيار «منف» عاصمة للبطالمة كان من الحجج الرئيسية التى أوردها المؤرخ «كورنمان» عن رجحان عقل «بطليموس» وبعد نظره . فقد كان مقر «بطليموس» بن «لاجوس» فيها ، وقد كان له فيها قصر وكذلك نجح فى دفن « الاسكندر » فيها على حسب أحد الآراء ، وعلى ذلك كانت تعد قلب امبراطوريته . والظاهر أن بطليموس قد بقى أمينا على فكرة «الاسكندر» التى كانت ترمى الى أن تبقى المدن الشرقية التى تعددت فيها السلالات مثل « بابل » وان تختلط هذه السلالات بالعالم الهيلانستيكى وتتحدمعه من حيث الثقافة والعلوم. ولانزاع فى أن ماقاله «كورنمان» فى هذا الصدد يحتوى على الكثير من الحقيقة . ومع ذلك فاننا عندما نتحدث عن اختلاط السلالات فلا بد لنا من تحديد الكلام عنه . ومن

الجائز أن «بطليموس الأول» لم يكن فى مقدوره أو لم يرد أن يحكم على غير رغبة الشعب المصرى الأصيل ؛ ومن الجائز بل ومن الطبيعى أنه أراد أن يخلق روابط بين رعاياه الاغريق ورعاياه المصريين كما سنرى . وعلى أية حال يجب أن نستخلص من ذلك أنه أبى أن يعطى المقدونيين والاغريق المكانة الأولى ، وأنه لم يكن له سياسة هيلانية معينة والواقع أن هذا أمر يبعد تصديقه ، اذ نجد أنه عمل بحزم واعتدال لم يقلده فيهما أخلافه ، ولكن كل ما يمكن أن يفهم من بين السطور فيما ورد فى عهد أخلافه يمنعنا أن نحكم أنه كان عنده نفس المقاصد والميول التى كانت تنطوى عليهـا روح «الاسكندر الاكبر» بالنسبة للشرقيين . ولا ريب فى أن كثيرا من البيـانات التى استعان بها «كورنمان» ليس فيها من الأدلة ما يبرهن على ما جاء فيها . حقا كانت «منف» عاصمة البلاد لها مركز ممتاز ، غير أننا لا نعرف اذا كان بطليموس سكن فيها بصفة مستديمة عادية . وقد ذكر لنا «استرابون» القصور الملكية التى قيمت فيها على ربوة بها حدائق غنـاء وبساتين مثمرة وبحيرة عظيمة (١) وهذه كانت موجودة منذ زمن طويل (٢). وكانت تعرف باسم (المقر الملكى)(٣) وذلك على غـرار ما كانت تسمى به الاسكندرية (٤) . والبردية التى قتبسنا منها هنا تدل على أن « منـف » كانت مسكونة فى عهد «بطليموس الثانى » ، فى حين أنه بعد هذا التاريخ بمائتين وخمسين سنة قد رآها استرابون خربة ، غير أن ذلك لا يكفى لان يعطى الاسكندرية أهمية

---

(١) راجع Strabo, XVII, I, 32; Diod. I.5, 3-6)

(٢) راجع Sethe, Untersuchungen, III, P. 121.

(٣) راجع C.C. Edgar. ad. P. Zen. 59155).

(٤) راجع Bull. Soc. Alex. X, P, 198)

عظيمة خارقة لحد المألوف ، فقد كان هناك مقرات ملكية فى كثير من مدن مصر (١) وقد كان بجانب العاصمة الوطنية ، «الاسكندرية» وهى العاصمة الاغريقية ، وقد جاء فى لوحة الشطربة حرفيا انها كانت عاصمة «بطليموس» فهل معنى ذلك أن «الاسكندرية» فى هذه اللحظة كانت قد حلت محل «منف» ، وأن «بطليموس» قد غير اتجاه سياسته ؟ ولوحة الشطربة هذه تؤرخ كما ذكرنا من قبل على أكثر تقدير بالسنة الحادية عشرة بعد الثلثمائة ق.م ، وهذا الوقت كان مبكرا جدا لأن نفكر فى التأثير الذى أحدثته سياسة «السليوكيين» وهو التأثير الذى ظنه المؤرخ «كورنمان» كان حاسما . وماذا يمكن لانسان أن يقول فى رأى الأثرى الروسى «ستروف» الذى يرى أن لوحة الشطربة يظهر تماما أنها تشير الى الحملة التى قام بها «بطليموس الأول» على بلاد «سوريا» عام ٣٢٠ ق.م وفى عام ٣١٧ ق.م (٢) .

ولابد أن نعترف أن هذا التاريخ يمكن أن يقبل تماما وذلك اذا حسبنا السنة السابعة من عهد «الاسكندر الرابع» أنها تبتدى من أول سنة ولادته كما جاء فى ورقة المتحف البريطانى رقم ١٠١٨٨ ، لا على حسب الورقة التى جاء فيها تاريخ موت «فليب اريداوس» كما جاء فى ورقة «الفنتين» رقم ١

والبرهان الذى استخلصه من وجود مقبرة «الاسكندر» فى «منف» له أثر قوى وبه يمكن أن نسلم مع « كورنمان » على حسب ما رواه المؤرخ « بوزانياس » (٣) ان نية « بطليموس » كانت أن تترك الجثة فى العاصمة المصرية .

---

(١) راجع Scylax Periple. Diod. Geogr. Min. P. 80).

(٢) راجع Struve, Der Zeitpunkt der Erklarung Alexandriens Zur Hauptstaat Agyptens, Bulletin de l'Académie des Sciences de l'Union des Républiques Soviétiques Socialistes VII, Série. Cl. des Sciences Historico-Philosophiques (1928), No. 3. P. 197.

(٣) راجع (Pausanias, I, 6, 3

وذلك على الرغم من أنه كان من الطبيعى أن تدفن الجثة فى المدينـــة التى وضع أساسها . ومع ذلك فانه لو كان هـــذا الاجراء قد تم بالنسبة لمنف المصرية فانه لا يمكن أن نرى فيه ميلا غير ملائم للهيلانية، اذ الواقع أن كل شيء كان اغريقيا حتى فى «منف» حول قبر «الاسكندر» . فكان الكاهن الموكل باقامة الشعائر له وهو الذى كان يمكن التاريخ بسنيه فى الكهانة مثل الفرعون، هو الذى جاء ذكره فى ورقة الفنتين رقم واحد ويظهر أنه كاهن الاسكندر. وكان يحمل اسما اغريقيا . وقد احتفل بجناز «الاسكندر» ، هذا ويوضح لنا المؤرخ «روبنسون» أنه لابد أن نستنبط أن قبر «الاسكندر» فى «منف» كان كالمقابر التى اقيمت فى الاسكندريـــة من هـــذا العصر . والظاهر ان الاسكندر لم يعامل كأنه فرعون ، وذلك ان «منف» كانت تحتـــوى على أحيائها ومجتمعاتها الاغريقية التى كان لابد أن يكون لها ميزاتها الهامة ، ولا يمنع ذلك من أن يعتقد المصريون بأنه فرعون منحـــدر من صـــلب الاله «آمون رع» كما أوضحنا ذلك فى حينه وان كان الاغريق لا يقرون ذلك .

والرواية التاريخية أو على الأقل بعض الرواية التاريخية التى نجدها فيما كتبه «بوزانياس» (٢) وذكرها «روبنسون» على ما يظهر (٣) قـــد تأثرت بتعصب بعض الأوساط الاغريقية المقدونية بالنسبة «لبطليموس الثانى» ، واذا كان الأمر كذلك فان الاغريق المقدوونيين لم يعدوا اختيار « منف » مضرا لصالح الهيلانيين . والواقع أن الاسكندرية مدينة اغريقية أو على أية حال فان المدينة الشاسعة التى كانت تحتوى على خليط من السكان كانت تشمل بلدة اغريقية كانت بطبيعة الحال لابد أن تفرض نفوذها اذا لم تكن تفرض

---

(١) راجع O. Rubensohon, Bull. Soc. Arch. Alexandrie XII, (1910). P. 83-6.

(٣) راجع (Pausanias I,7, 1,

(٣) راجع Rubensohn, Ibid. P. 86).

قوانينها على السكان . وذلك لأن بطليموس لم يكن فى مقدوره أن يؤسس شيئا ثابتا دون مساعدة الهيلانيين كما كانت الحال مع الاسكندر وأخلافه (١) ولا غرابة فى ذلك فقد كان «بطليموس الأول» نفسه مرتبطا بالثقافة الاغريقية ولم يكن له معرفة بالشعب المصرى الا معرفة سطحية جدا ولذلك لم يكن فى مقدوره أن يتصور قط أن يكون له حكومة لم يكن للهيلانيين فيها مكانة مرموقة محسة ، وسنرى أن أخلاف «بطليموس الأول» الذين جاءوا على أعقابه كانوا يتتبعون سياسة هيلانستيكية متعصبة انتهت بوضع المصريين أبناء البلاد فى منزلة منحطة اذ قد أبعدوهم عن الوظائف العالية كما انتقصت أملاكهم الوراثية لفائدة المهاجرين من الاغريق وغيرهم ممن وفدوا على مصر فى الثراء والغنى . ولا نزاع فى أن هذا النظام قد أثار رد فعل عنيف وقيام ثورات كانت فى النهاية سببا فى اضعاف أسرة البطالمة مما سنتحدث عنه فى حينه . والآن يتساءل الانسان هل رد الفعل هذا كان قد أوجده خالق مصر الفرعونية ؟ وهل نستطيع أن نعرف الفكرة التى جالت بذهن «بطليموس الأول» ليجعل مصر دولة هيلانية الصبغة ؟ وهل رأى أن تحكم المدينة نفسها بنفسها على غرار نظم الحكم فى المدن الاغريقية لتتحقق للحياة الهيلانية التى رسمها جميع مقوماتها ؟ ولأجل تنفيذ مثل هذا النظام فى مصر كان لابد من تأسيس مدن كالمدن الاغريقية فى مصر . وقد ترك لنا «الاسكندر» مدينة «نقراش» كما وجدها عند الفتح وهى مدينة ميليزية انشئت فى العهد الساوى وأسس مدينة « الاسكندرية » كما أسس « بطليموس الأول » فى اقليم « طيبة » على مقربة من جرجا (المنشية الحالية) مدينة « بطليمايس » . وليس فى هذا ما ينافى التقليد الفرعونى فقد رأينا « بسماتيك الأول » دعا الى بلاده الجنود الاغريق المرتزقين وأسس لهم بلدة قائمة بذاتها كان لها حكومتها

---

(١) راجع Joug. Impérialisme Macéd. P. 327.

الخاصة كأنها حكومة أخرى فى قلب حكومة البلاد المصرية ، على أن الصعوبة فى وجود مثل هذه المدن فى مصر هى التوفيق بين سلطة الفرعون وحكومة المدينة المستقلة . والواقع أن القانون الخاص بمدينة «سيرينى» (فى لوبيا) قد عثر عليه ومن ثم يمكن به توضيح بعض ميول « بطليموس الأول» بالنسبة للمدن الاغريقية ونوع الدستور الذى كان يفضله وبخاصة عندما نعلم أن «سيرينى» كانت مدينة اغريقية لحما ودما منذ زمن بعيد على الرغم من أنها فى «افريقيا» . وكان دستور هذه المدينة يتألف من جماعة من المواطنين يقدرون بمائة فرد ولكن كان عددهم فى «سيرينى» أكبر من ذلك اذ يتراوح بين مائة الى ألف وكانوا يجتمعون فى جمعية خاصة ، كما كان للمدينة مجلس شيوخ يتألف من خمسمائة عضو ينتخبون بالتصويت ، وكانوا مكلفين بمراقبة الادارة ، ومن مجلس مديرين مؤلف من مائة وواحد ن القدامى يختارهم عشرة آلاف ، ومن كاهن تسمى به السنة للاله «أبوللو» ، ومن تسعة حكام يكلفون بالسهر على تنفيذ القانون ومن خمسة حكام منتخبين لمقاومة سلطان الملك ، وكان لهم عليه نفوذ (Ephors) ومن أثنى عشر قائدا . ومن بين الحكام الذين كان لهم أهمية عظيمة أولئك الذين كانوا يديرون شئون البلد وهم القواد وكانوا يغيرون سنويا الا واحد كان يعنى مدى الحياة وهو الشطربة (١).

ولا نزاع فى أن جمهورية «سيرين» التى كانت ضمن فتوح « بطليموس الأول» — وقد كان سبب الاستيلاء عليها الاضطرابات الداخلية التى حدثت فيها كما أسلفنا القول فى ذلك ، لا يمكن تشبيهها بالمدن الحديثة التى أسست فى مصر كما لا يمكن قرنها «بنقراش» ، والواقع أنه على الرغم من اعترافها بخضوعها لمصر فانها لم تكن تكون جزءا لا يتجزأ من مصر كالمدن الأخرى التى نشأت فى وادى النيل ، وليس بصحيح أن النظام الذى وضعناه الآن لا يمكن

---

(١) راجع Silvio Ferri Alcuni Iscrizioni di Cirene. Abhandlungen d. Preus. Akad. d. Wissenschaften 1925, No. 5.

أن يعبر عنه بالارستقراطية المهذبة (١) .

ومن ثم يمكن معرفة نظام الحكم فى الاسكندرية ففيها نجد جماعة المواطنين وكانت المدينة مقسمة أقساما ادارية أو أحيـاء (Demes) وكان لها مجلس شيوخ هو جمعية محدودة العدد من المواطنين ، ومن المحتمـل كذلك أنه كان لها مجلس من القدامى (Gerousia) وحكام ومحاكم كما ذكرنا من قبل (٢)

أما مدينة « بطليمايس » فكان لها بلا نزاع مجلس شـيوخ وجمعيـة عمومية ، وكذلك كان لها مجلس مؤلف من ستة حكام بمثابة بمديرين كما كان لها (Prytane) وهم الحكام الرئيسيون فى كثير من المدن ، كما تحدثنا عن ذلك فى مكانه . (وفى أثينا كان كل واحد من الخمسين شـيخ الذين تألف منهم مجلس « التريبيون » له الحق بدوره فى الصدارة . وكان الملك بحكم المدينة بواسطة مبعوثيه (٣) .

وكانت كل مدينة من هذه المدن تؤلف بذاتها دنيا صغيرة محددة المعالم ، ولم تسمح فيها القوانين بالاتحاد مع المواطنين المصريين ، وكان أهلها يدافعون عن نقاء ثقافتهم ودمهم (٤) .

والواقع أن مصر كانت لا تطيق الا تحمل جزء صغير من أرضـها ليخصص لهذه الجماعات الاجنبية ، وذلك على شرط أن يكون عدد هـذه الجماعة كبيرا جـدا . ومما هو جدير بالملاحظة هنـا أن المدن الاغريقيـة فى مصر كانت تنحصر فى «نقراش» و «الاسكندرية» و «بطليمايس» ، غير أن الاثرى « ريناخ » يضيف الى هذه مدينة « براتونيون » (مرسى مطروح) (٥) .

---

(١) راجع (Glotz Journal des Savants (1916), P. 23

(٢) راجع (Connus. Par. P. Halle. 1,

(٣) راجع Dittenberger, O.G.I.S. No. 47-9, 728.

(٤) راجع Wilcken, Chrest. 27; & Mitteis. Chrest. 372. Col. 4.

(٥) راجع Un Code, Fiscale de l'Egypte, Greco-Romaine. Rev. Histor. de Droit, 1921, P. 88.

وما أعظم الفرق بين مصر وسوريا فى هذا الصدد اذ نجدأنه عندما استولى السليوكيون علىزمام الأمورفيها بعدعام٣٠٢ق.م شرع «سليوكيس» فى ملء البلاد بمدن اغريقية الصبغة مثل انطاكية و «سليوكيس» و «أباما» وغيرها فقد تجمعت كلها فى مساحة واحدة . والظاهر أن نفس المبادىء كان قد طبقها «بطليموس الأول» علىمدينة «بطليمايس» فى مصر العليا ، غير أنهعلى مايظهر كره أن يطبقها تطبيقا كاملا . فهل معنى ذلك أن «بطليموس الأول» أراد باتباع هذه الطريقة تسيير أحوال رعاياه المصريين مع بقاء دنيا الاغريق فى مصر بعدد قليل من سكان مرتبطين بهذه المدن الثلاث التى وضعت فوق المجتمع المصرى الوطنى الذى احترمت مصالحه وعاداته وقوانينه ، والواقع أن خلفاء «بطليموس الأول» المباشرين لم يزيدوا فى عدد المدن الاغريقية فى مصر ، على أن ذلك على ما يظهر لم يكن احتراما للمصريين وذلكلأن البطالمة قد فضلوا الاستعمار الزراعى للبلاد الذى كان ينفذ بتعمق واتقان على اقامة المدن وهذا النظام كان أكثر سهولة لملاءمة الحكم الملكى المستبد ، وذلك لأنه كان من الممكن أن يعمل بدون المراكز المستقلة أو بعبارة أخرى المدن التى كانت تؤلفحكومات داتية لنفسها . وقد نزل البطالمة عن أراضى للمقربين اليهم ولجنودهم المرتزقين وانتشئوا على بعض الأراضى ضياعاً متوسطة وصغيرة اصبحت وراثية وذلك لمصلحة الاغريق، وهذه الطريقةكانميزاتها أنها تسمحباستقلال البلاداستقلالا متينا بوساطة طرق جديدة وبرجال كانوا فى الوقت نفسه أصحاب نشاط وفير وموارد عظيمة ، ولكن لا بد أن نلحظ أن هذه الطريقة كانت من الوجهة الاغريقيةتعرضهمالى خطرالتأثيرالشرقى عليهم هذابالاضافةالىتدهورسلالتهم بالتزاوج مع المصريين على أنهذه الطريقة كانت فى الوقت نفسه فيها اجحاف بالمصريين وظلمهم فقد كانوا يرون أرضهم الطيبة فى طوال وادى النيل وعرضه قد اصبحتفىيدالاجنبىوقد صارمنالتزاماتهم أن ينزلوا لهعنجزءمنمنازلهم لسكناه وهذا ماكان يجب عليهم للجنود المرتزقين عندما كانوا ينزلونفىقرية

من قرى مصر لهم فيها أراضي أقطعها لهم الملك. وعلى ذلك فانه من الأمور الرئيسية أن نعرف اذا كان الاستعمار الزراعى للأراضى يرجع الى عهد «بطليموس الأول» أم لا . والواقع أنه على الرغم من عدم كفاية المصادر لدينا فانه من المؤكد أن هذا الاستغلال الزراعى يرجع الى عهد «بطليموس الأول» . فقد كان من نتائج واقعة غزة أن استولى «بطليموس» على أكثر من ثمانية الاف أسير وأرسلهم الى مصر حيث وزعهم فى المديريات مع اعطائهم أراضى ، وذلك لأنه كان يجندهم فى جيشه . وقد كانت أول نواة لسكان «بطليمايس» مؤلفة من جنود مستعمرين كان كل منهم يملك قطعة أرض مساحتها خمسة وعشرين أرورة (١) ، على أن ذلك لم يكن بالعمل الذى يسمع به من قبل بل نجد ما يقابله فى العهد الفرعونى وقت الدولة الحديثة اذ كان الفرعون يمنح كل جندى ما بين سبعة أو اثنى عشر أرورة ليعيش من دخلها ولكن فى الحالة التى نحن بصددها كان هؤلاء المستعمرون الحربيون من الاغريق . وما نريد أن نقدره حق قدره هو الحمل الذى كانت تضعه هذه السياسة على عاتق البلاد . والواقع أن هذا الاجراء قد لا يكون غريبا على أهل مصر من العصر الفرعونى ولا فى غير مصلحة البلاد فى العصر البطلمى اذا كان قد طبق فى الحالين باعتدال ، ومن المحتمل أن الضمان للاعتدال فى عهد البطالمة وبخاصة فى عهد «بطليموس الأول» كان موجودا الى حد ما ، ولدينا الشواهد التى تدل على حكمة «بطليموس الأول» فيما تركه لنا المؤرخون فى هذا الصدد .

وعلى أية حال فان الاغريق الذين كانوا منتشرين بالصورة التى وصفناها فيما سلف بالاقليم المصرى لم يكونوا جنودا وحسب بل كان الكثير منهم قد غادروا بلادهم الاغريقية الحقيقية بسبب الموارد العظيمة والخيرات الكثيرة التى كانت تتمتع بها مصر وأهلها ، ومن ثم نرى أن مستعمرات كاملة كان يعيش أهلها فى المدن الكبيرة مثل «منف» ويتمتعون بلا ريب بحريات وامتيازات شأن كل

(١) راجع (Diod. XIX, 85.4

مستعمر اجنبى قوى ، وكان هؤلاء المستعمرون يوجدون حتى فى كل قرية صغيرة من اقليم طيبة مثل الالفنتين على أن هؤلاء لم يكونوا دائما من اغريق مدينة « الاسكندرية » أو « بطليمايس » بل كانوا يأتون من كل بقاع العالم الاغريقى وكانوا مميزين بسياسة مدنهم الأصلية مثل چيلا (Gela) و «تيمنون» و «سيرينى» الخ وهذا برهان على أن هذه الميزة كانت تمنحهم قانونا خاصاً ، وكانوا فعلا قد جمعوا أنفسهم فى جماعات رسمية معترف بها من قبل الحكومة . والظاهر أنهم فى بادىء الأمر لم يختلطوا كثيرا بسكان البلاد غير أننا سنرى أن الأمر لم يكن كذلك مع نسلهم فى مصر .

ومن ذلك نرى أن مصر فى عهد «بطليموس الأول» قد فتحت أبوابها على مصاريعها للهيلانيين وكان من رأى «بطليموس الأول» أنه لا بد من تسلط الاغريق على المصريين ولكن كان عليه فى الوقت نفسه أن يعمل على وجود رابطة بين المدنية الاغريقية وبين المدنية المصرية ، وقد كان انتصار المدنية الاغريقية معدا بالصبغة الهيلانستيكية التى كانت سائدة فى بلاط الاسكندرية، وكان لا بد أن يتلاقى فى اتحاد المدنيتين فى ديانة سيرابيس كما أوضحنا ذلك من قبل .

وقد كان رجال البلاط وكذلك رجال الجيش المقدونى الصبغة والمقدونيين عامة يؤلفون جماعة مميزة ، ولكن هؤلاء المقدونيين كانت ثقافتهم اغريقية . وكان المطلوب وقتئذ أن يجذب الى «الاسكندرية» كل ما فى المدنية الهيلانستيكية من لامع أخاذ ، ومن ثم نهض «بطليموس الأول» نهضته العلمية فى مصر فأغرقها بعلوم الاغريق وجعل «الاسكندرية» محط رجال العلم من كل أنحاء العالم الهيلانستيكى كما اسهبنا فى ذلك القول فى موضعه ، غير أن الروح الذى كان سائدا فى تحصيل العلوم والآداب ونشرها كان بعيدا كل البعد عن العلوم المصرية ودياناتها وأدابها الى درجة أن الاغريق عملوا على تشويه كل مجهود مصرى بأن وضعوه فى قالب اغريقى ممسوخ ولا أدل على ذلك من أن عبادة «أوزير أبيس» قد أصبحت هيلانستيكية وأصبح يدعى « سيرابيس »

والبس لباسا اغريقيـــا حتى ضاعت معالمه المصرية ولـــكن المصريـــين حافظوا على صورته وعبادته القديمة ولم يحيـدوا عن ذلك قيـد شـعرة وقد أثبتت الحفائر التى عملت فى الاسكندرية حديثا على أن ملوك البطالمة انفسهم كانوا يمجدون هذا المعبود فى صورته المصرية فقد عثر فى ودائع أساس من عهد «بطليموس الثالث» أن هذا المعبود كان يدعى « أوزير حابى » فقد وجدت لوحة عليها نص يؤيد ذلك .

والآن يحق للانسان بعد بسط سياسة «بطليموس الأول» أن يتساءل هل وصلنا فى غرضنا الى حقيقة الأمر وأننا لم نحد عن الواقع فى تصويرنا ؟ والحقيقة أن بعض المؤرخين أصحاب الآراء الصافية والنظريات الممتعة قد حاولوا بما لديهم من معلومات ضئيلـة عن « بطليموس الأول » اختـراق حجب الظلمـات التى كانت تغمر حياته وقد وصلوا ببحوثهم الى أنهم اسبغوا عليه مظهر الوحدة المتماسكة من حيث سياسته الداخلية والخارجية ، غير أن هذه الصورة التى رسموها لا تخرج عن كونها سراب خداع . والواقع أن ظواهر الأحوال تدل على أن «بطليموس الأول» كان بوده على ما يظهر فى بادىء الأمر أن يطبق على شطربيته السياسة التى وصى بها الاسكندر وهى التى كانت فى صالح الشرقيين عامة ، ولكن هذه السياسة كانت فى تفصيلها أقل اهتمام بتأمـين السيادة الهيلانستيكية منها على اتحاد أقوام العالم عامة ولكن «بطليموس» لم يسر شوطا بعيدا فى تنفيذ هذه السياسة وبخاصة عندما رأى أن ملك بابل «سليوكيس» قد نبذ هذه السياسة التى رسمها «الاسكندر» وأخذ يفتح الباب للعنصر المقدونى الاغريقى لاستعمار بلاده ، وقد سار «بطليموس الأول» على نهجه وبخاصة عندما رأى الحاجة ماسة للجنود المرتزقين من أهل وطنه وبلاد الاغريق ، وبعد ذلك نرى أن «بطليموس» أخذ فى توطيد عزمه على أن يعطى السيادة فى البلاد المصرية للعنصر المقدونى الاغريقى. وهذا التطور قد ظهر أثره بجلاء فى عبادة الاله «سيرابيس» المصرى وهو الذى أصبح هيلانيا مصريا فى عام ٢٨٦ ق.م وذلك عندما ظهر «سيرابيس» فى الاسكندرية والبراهين التى ترتكز

عليهاهذه النظرية الهامة ليست بعيدة المنال. ونحن نجهل تماماتواريخ هامةفى هذا الصددفمثلالا نعرف تاريخ تأسيس مدينة«بطليمايس»، وكذلك تاريخ ظهور عبادة فمثلا لا نعرف تاريخ تأسيس مدينة «بطليمايس» ، وكذلك تاريخ ظهور عبادة الاغريق للمعبود «سيرابيس» ، وذلك لان التواريخ التى قدمها لنا الحساب التأريخى لهذه الحوادث يمكن ان يطبق فقط على اقامة التمثال فى المعبد ، يضاف الى ذلك أن التأريخ الداخلى لمصر فى هذا العهد يكاد ينقصنا تماما .

والحقيقة القائلة بأن الاحتكارات لم تكن قد استقرت نهائيا بعد عهد «بطليموس الاول» تكشف لنا عن ثبات فى المبادىء . وذلك أن الفضل يرجع كثيرا الى «بطليموس الثانى» فى أنه هو الذى يمكن أن يكون قد أخذ هذا الاتجاه الجديد . واذا كان قد حدثت فى عهد «بطليموس سوتر» تغيرات كما هو المحتمل فانها لم تكن عميقة بدرجة كبيرة كما أنها لم تكن قد حدثت فجأة كما يدعى بعض المؤرخين والواقع ان «بطليموس» لم يكن فى مقدوره أن يفعل شيئا بدون الهيلانية ، وكان فى الوقت نفسه مضطرا أن يعامل بحزم ورفق رعاياه من المصريين وهاتان الضرورتان كانتا فرضا على حسن تصرفه وكياسته فى سياسته الحكومية وطوال مدة حكمه(١) وعلى أية حال نفهم من كل ما سبق على أنه قد رسم لابنه بطليموس الثانى الخطة التى كان مفروضا انه سينتهجها فى حكم البلاد غير أن الاخير لم يلبث أن رسم لنفسه سياسة فى حكم البلاد كان الغرض منها ابتزاز الاموال من الشعب المصرى بكل الوسائل لتنفيذ سياسته الامبراطورية فى الخارج وللصرف منها على ملاذه ومظاهره البراقة فى داخل البلاد . وهذا ما سنراه فى العرض الذى يلى هنا .

---

(١) راجع (B.I.F.A.O. Tom. XXX. P. 535. F.

عصر بطليموس الثانى

بتولميس - وسر - كا - رع - مرى - امن

مدة حكمه : تقول المصادر الاغريقية أنه حكم ثمانية وثلاثين عاما ، غير أن الآثار الباقية تدل على أنه حكم تسعة وثلاثين عاما (١) .

اشتراك «بطليموس الثانى» مع والده «بطليموس الأول» فى عرش مصر :

لم يتول «بطليموس الثانى» حكم أرض الكنانة فجأة بل أشركه والده بطليموس الاول معه على عرش مصر حوالى عامين دربه فى خلالهما على نظام الملك وتسيير دفة الحكم فى داخل البلاد كما اوقفه على أحوال امبراطوريته فى الخارج وبخاصة مركز مصر بالنسبة للدول المجاورة لها وما كان ينتظر من مغامرات وحروب بين مصر والدول التى تشعبت من امبراطورية «الاسكندر الاكبر» .

واذا نظرنا الى داخلية مصر فى تلك الفترة وجدنا ان «بطليموس الاول» قد وطد أركان السلام الأصلية . والواقع أن «بطليموس الأول» قد وضع كل الاسس الهامة والدعامات القوية التى سارت على نهجها ملوك البطالمة الذين أتوا من حيث السياسة الداخلية والخارجية معا . وقد دل ما تركه خلفه من نظم على أنه كان منظما عظيما واداريا واجتماعيا من الطراز الاول .

كما كان جنديا ممتازا وسياسيا محنكا ماهرا . ولقد كان « بطليموس » يحس فى قرارة نفسه بكل ما تحتاج اليه مصر وشعبها العريق فى المدينة من اصلاح ، وما كان ينتظره من عقبات ، ومن أجل ذلك أخذ يدرب ابنه «بطليموس» على فنون الحكم وأساليب السياسية وبذلك رباه من أول

---

(١) راجع Gauthier, L.R. IV, P. 222, Note 1, 2.

نشأته على كل ما يجب ان يعرفه ملك فى عصره . والواقع أنه وضعه بين أيدى امهر المربين والعلماء فى عصره حتى لا يفوته ما فات والده الذى كان قد نشأ من أول حياته جنديا فى ساحة القتال حتى نصب بعد ممـــات «الاسكندر» شطربة على مصر . وتدل الأحوال على أن مصر قد ارتفعت فىعهد «بطليموس الثانى» الى أوج مجدها المادى والسياسى كما بلغت القمة من حيث العلــوم والمعارف . ويتساءل المرء ملحا هل ينسب كل هذا الى «بطليمـــوس الثانى» ؟ والجواب عن هذا السؤال قد تضاربت فيه الأقوال واختلفت فيه الآراء فبعض المؤرخين ينسبون النهضة الى«بطليموس الثانى» لأنه كانرجلا نال حظا وفيرا من التعليم على يد أعظم العلماء فى العالم الاغريقى ، فى حين أن بعضهم الآخر ينسبون ذلك الى «بطليموس الاول» والده لأنه قد استعان منذ أن استتب له الأمر فى مصربكل الرسائلالتى مهدت لخلفهالاستمرار فيمابدأه هو منوسائل العمران فى البلاد . ويخيل الى أن هذا الرأى الأخير هو الحقيقــة بعينها ، «فبطليموس الأول» هو الذى بذر بذور الاصلاح والنظام الذى ســار على نهجه «بطليموس الثانى» ومن بعده ملوك البطالمة، فقدسقىالزرعالذىغرسه والده حتى نمى وترعرع وأتىثماره الوفيرة ، غيرأنها كانت ثمارامقصورةعلى طائفة المستعمرين المقدونيين والاغريق الذين نمى والــــده بذرتهم فى أرض الكنانة ليكونوا درعا له فى الحرب وسندا فى ادارة شئون البلاد . أما أهــل البلاد أنفسهم أ ىالشعب المصرى الأصيل فكانوا بعيدين عن كل مظاهـــر الحضارة أو الحكم فى البلاد فكانت تجبى منهم الضرائب بكل أنواعها على كل مختلف المحاصيل التى يزرعونها بدرجة لم يسبق لها مثيل فى تاريخ العالم كما سنفصل فى ذلك القول فى حينه . أما العلوم والمعارف التىكانت تزدهرفىبعض مدن مصر وبخاصة «الاسكندرية» فلم يكن للشعب المصرى اية صلة بهــا أو نصيب منها ، ومن أجل ذلك نجد أن المصرى الاصيل قد ظل يرقب الحالة طوال مدة حكم «بطليموس الثانى» بصبر وأناة ممزوجين بالضجر والضيق

الملحين . وقد شعر «بطليموس» بكل ذلك الحرج الذى بدأت بوادره تظهر، ومن ثم أخذ يسعى الى الوصول الى ما يمكن أن يستميل به الشعب المصرى من الناحية الدينية علما منه بأن رجال الدين كانوا فى مصر ولا يزالون حتى عهده هم قادة الشعب ورعاته من الناحية الروحية . ومع ذلك فان بذور التذمر والحقد على الحكام وعلى نظام الحكم الأجنبى قد أخذت تظهر طلائعها ويستشرى فساده فى البلاد . كل هذا و «بطليموس الثانى» فى غفلة عن ذلك لا مطمع له الا جمع المال وارضاء طبقة الاجانب أعوانه فى حكم البلاد ، وكذلك الجنود المرتزقة ، غير مراع عواطف أفراد الشعب المصرى وما هم فيه من بؤس وشظف عيش ، ومن ثم كانت نهاية حكمه بداية يقظة الشعب الذى لم يرض يوما من الأيام أن يظل ذليلا مهينا تحت حكم أية دولة أجنبية .

ولا نزاع فى أننا اذا قسنا الأشياء بأشباهها أن أيام «بطليموس الثانى» كانت تشبه أواخر أيام «أمنحتب الثالث» ، فقد بلغت مصر فى عصره غاية مجدها وقمة ثرائها وسؤددها فى الداخل والخارج ، ولكن عوامل الانحلال وأسباب الضعف كانت قد أخذت تستقر وتنخر فى عظام الدولة وتميل بها الى الهاوية ، وكذلك تشبه أيامه الى درجة عظيمة بعصر «لويس الرابع عشر» الذى كان يقول : «أنا الحكومة» فقد كانت امارات الضعف والانحلال بادية فى بلاده بسبب ما أصاب الشعب من ظلم وجور وشدة بالغة فى عصره ، وكان عهد خلفه «لويس الخامس عشر» كعهد «بطليموس الثالث» ينذر بسوء المنقلب اذ بعده أخذ الشعب المصرى يحس بالم الجوع والفقر والظلم ومن ثم بدأ يقوم بثوراته المشهورة التى ظلت مستمرة تقوم تارة وتضعف تارة أخرى طوال عهد البطالمة حتى قضى على عهدهم نهائيا بدخول الرومان الى مصر . فكان مثل المصريين فى ذلك كمثل المستجير من الرمضاء بالنار ، وسنرى فى وصف عهد «بطليموس الثانى» وعظمته أنه كان كعصر «امنحتب

الثالث» . «لويس الرابع عشر» فى كثير من نواحى الفخفخة والأبهة كما كان مثلها نذيرا بالتدهور ، غير أن التدهور فى عهد البطالمة كان بطيئا وئيدا ولكنه انتهى الى نفس النهاية : السقوط والخراب .

تولى « بطليموس الثانى » الملك : تولى «بطليموس الثانى» عرش أرض الكنانة وهو لا يزال لدن العود غض الاهاب لم يتجاوز الخامسة والعشرين من عمره . ومما يؤسف له جد الأسف أن معلوماتنا المباشرة عن حكمه ضئيلة هزيلة عديمة الجدوى لا تقدم لنا مادة صالحة الالئولئك الذين ينقبون وراء القصص الغريبة والاوصاف الخيالية الخارجة عن حد المألوف ، فقد روى عنه أنه كان رجلا منعما تعاطى من كل علم طرفا ، ولكن لم يكن صاحب عمق فى أى علم فكان اذا رجلا سطحيا ، كما وصف بأنه كان صديقا لليهود ، وقد كافأه احد كتابهم بان وصفه بانه ملك مثالى . والواقع أن من أراد ان يعرف شيئا أصيلا عن «بطليموس الثانى» فلابد من الرجوع الى أعماله فى كل مدة حكمه ، وحتى من درس ذلك لا يستطيع أن يحكم عليه حكما صحيحا ، وذلك لان التاريخ لم يذكر لنا كل مساوىء الحكام وما كانت تنطوى عليه نفس كل حاكم من أشياء خفية ، وربما كان فى مقدور المؤرخ ان يصل الى شىء عن أخلاقه بما جاء فى رسائله . واذا وازنا بينه وبين والده نجد فرقا واضحا . فبطليموس الأول كان رجل حرب فيه خشونة الجندى وشدة بأسه ، وهذا مالم نجده فى ابنه الذى نشأ فى أحضان الترف والبذخ والكتب والعلم ، ومن ثم نجد فيه نعومة الحياة والدعة والترف التى نجدها ظاهرة محسة فى الملوك البطالمة الذين أتوا بعده ، ومع ذلك فاذ دراسة أخلاقه قد كشفت لنا عن ناحيتين مميزتين من أخلاقه ، فقد كان من جهة ملكا طموحا صاحب امارة وكبرياء محبا للسلطان والفخفخة والملذات مضياعا متلافا للمال سخى الكف على شهواته ، ومن جهة أخرى كان محبا للعلوم والآداب ، هذا فضلا عن أنه كان أول سياسى فى عصره ، كما كان رجل قيادة فى الصناعات التى تدر

عليه المال ، فكان يجرى وراء انجاز المشاريع الاقتصـادية المبتكرة بدرجة عظيمة ، هذا الى أنه كان صاحب ملحوظات دقيقة فى أصغر الأمور . ولا غرابة فى ذلك فقد تلقى علومه على يد نخبة من علماء عصره من أفاضل نوابغ العهد الهيلانستيكى نخص بالذكر منهم «فيليتاس» الشاعر واللغوى وهو من مواطنى جزيرة كوس . وقد تلقى على «فيليتاس» هذا كثير من علماء هـــذا العصر علومهم ، ونخص بالذكر من بينهم «زنودوتوس» (Zenodotus) الذى أصبح امينا لمكتبة الاسكندرية ، وكذلك علمه «ستراتو» أحد عظماء رجال العلم الذين كانوا يمثلون مدرسة «ارسطوطل» فى ذلك العهد ، وقد كان آخـر عالم اغريقى اعتنى بعلم الطبيعة ودراسته ، هذا الى أن غرام «بطليمـوس الثانى» وشغفه بعلم الجغرافيا وعلم الحيوان قد شجعه على دراستهما . وقد انكب تلاميذ «ارسطوطل» على درس هذه العلوم . ولا نزاع فى أن تعلـم «بطليموس» على أيدى أمثال هؤلاء العلماء كان يعنى بطبيعة الحال السـير قدما بالعلوم والآداب ، ولم يقصد بذلك قط الفلسفة الاخلاقية أو عـلوم ما وراء الطبيعـة ، ولا غرابة فى ذلك فان شـواهد الأحوال تدل على أن الاسكندرية مهد العلم فى عصره كانت مهتمة بدراسة الآداب والعلوم بوجه خاص وبذلك لم يكن للفلسفة مجال يذكر فيها .

أما عن حب «بطليموس الثانى» لمتع الحياة ومباهجها فالامثلة كثيرة ولا أدل على ذلك من أن اسطوله النيلى الذى خصصه لمتعه ولياليه الحمـراء ، وكذلك ما كان يملك من محاظ هذا بالاضافة الى الأمراء الذين جردوا من أملاكهم وأصبحوا يعيشون فى بلاطه ، والاعياد الفخمة التى كان يحتفل بهـا وايوانه الانيق الذى أقامه خصيصا لهذه الأعياد البهجة ، وسفنه الحربيـة الضخمة التى كانت تمخر عباب البحار ، والاستعراض الاسكندرى الذى كانت تسير فيه من انفلات الفجر حتى غسق الليل مواكب الجنود والممثلين والعبيد ، كان يـ ـ هذا الملك كل ذلك ليمثل للشعب ما كان عليه من سلطان

وثراء ، هذا وكان حبه وحمايته لأهل الفكر أمر طبيعى لأنه جبل على حب العلم قبل أن يعتلى كرسى الملك ، و بين هؤلاء «سوستراتوس» مواطن «كنيدوس» وهو الذى أقام منارة «الاسكندرية» والخارجات المعلقة فى «كنيدوس» نفسها ، وقد أرسله كذلك «بطليموس» عام ٢٥٥ ق.م مبعوثا من قبله «لانتيجونوس» لمفاوضته فى الصلح فنال منه صلحا فى صالح مصر (١)

وتحدثنا أوراق البردى انه كان مغرما بالعلوم الزراعية ، هذا وقد نقلت الينا عنه التقاليد الأدبية انه كان مولعا بجمع الحيوانات الغريبة والطيور الافريقية والهندية ، فكانت حديقة حيوانه تحتوى على فهود ونمور وعناق الأرض ، وجاموس افريقى وهندى وزراف وحمير وحشية من « سوريا » وثعبان أثيوبى طوله خمس واربعون قدما ، ووحيد القرن ودب أبيض من القطب مما يدل على أن قبيلة من قبائل القطب قد سمعت عنه وهو لم يسمع عنها .

ومن أعظم ما يلفت النظر فى أمر هذا الملك الذى كان يجمع بين كل هذه الأشياء أنه كان يمتاز بعقل رياضى يستطيع أن يحسب الارباح والفوائد المئوية كأنه أمهر تاجر يعمل على نطاق واسع ، والواقع أن أية عملية مهما كانت لا تعد كبيرة أمامه ، كما كان يلتفت الى أى دخل مهما قل مقداره ومن ثم كان واليهود فى هذه الناحية فرسى رهان .

حقا كان هناك من يساعده على تنفيذ تفاصيل النظام الاقتصادى الذى خلقه هو ، غير ان الاصلاحات الرئيسة التى تحتاج الى اصلاح كان هو الذى يضع أسسها ، وذلك بسبب أنه لم يكن هناك من يجرأ على عملها غيره . ولا غرابة اذا أن نسمع كثيرا اشارات عابرة تدل على اعتلال صحته . والواقع أن الرجل الذى يقوم بكل هذه الأعمال التى ينوء بحملها عدة رجال لا يمكن

---

(١) راجع C.A.H. VII. P. 47.

أن يجمع بين هذه الأعمال الضخمة وصحة الجسم ، ومن أجل ذلك يتساءل المؤرخ «تارن» فيما اذا كان هذا هو السبب الحقيقى الذى جعل بطليموس ينصرف عن قيادة جيشه بنفسه فى ساحة القتال ؟ وواقع الأمر فى هذا أنه لم يكن لديه موهبة حربية تؤهله للقيادة الحربية (١) .

طراز الحكم الذى سار على نهجه « بطليموس الثانى » :

على الرغم من أن «بطليموس الاول» قد وضع لابنه ووريثه «بطليموس الثانى» طراز الحكم الذى سار عليه فان قوة ملوك البطالمة وطراز حكمهم قد انعكست صورته فى الوثائق التى لدينا من عهد «بطليموس الثانى» ، ومن جاء بعده ، وذلك فى ثلاثةوجوه مختلفة . أولااعتقادهمأنهم ورثة«الاسكندر الاكبر» ، ومن أجل ذلك عملوا أن يكون بينهم وبينه صلة نسب مباشرة باختراع شجرة نسب تتفق مع هذا الرأى فزعموا أنهم كانوا ملوك جالية المقدونيين الذين كانوا معه فى مصر ، وكانوا فى الأصل جنودا فى جيش «الاسكندر الاكبر» ، وهمالذين ساعدوه على فتحأرض الكنانة ، وقدكانت مصر من وجهة البطالمة ملكا للملوك المقدونيين ، وكانت فى نظر جيشهم المقدونى بلادا اكتسبت بحد السيف أو بعبارة أخرى كانت ضيعة لملوك مقدونيا ، ولما وطد سلطان البطالمة فى مصر حذوا حذو «الاسكندر الأكبر» فى ادعائهم أنهم الخلفاء الشرعيون لفراعنة مصر ، وقد اعترف بهم رؤساء الكهنة المصريون فراعنة شرعيين ، ولم يكن لديهم وسيلة غير التسليم بالأمر الواقع ، وذلك تمشيا مع الفكرة القديمة الدينية والسياسية التى كانت مسيطرة على البلاد من حيث الملكية ، وهى أن الفرعون كان يعد ابن الاله «آمون رع» ، وانه كان يعتبر الها عائشا على الأرض مدة حياته وبعد موته يعد «أوزيرا» يحكم فى عالم الأموات ، ومن أجل ذلك كان هو المسيطر على

---

(١) راجع (Tarn. J.E.A. Vol. XIV. P. 247

كل اوراق البلاد ومرافق حياتها جميعا . وكان المصريون قد قبلوا هذا النوع من الحكم عن طيب خاطر منذ أن نشأت الملكية بسبب نظرية قديمة بقيت مسيطرة على عقول الشعب المصرى بدأت منذ عهد «مينا» على ما يقال واستمرت حتى نهاية العهد الفرعونى . ولا نزاع فى أن البطالمة قد أخذوا عن المصريين هذه الفكره وساروا على نهجها فى حكم مصر . ومضمون هذه النظرية أو بعبارة أصح الاسطورة هو أن المصريين كانوا يعتقدون أن أول ملك حكم على الأرض هو اله الشمس «رع» الذى وضع نظاما لحكومته على الأرض سماه «ما عت» . ومعنى هذا اللفظ لا يمكن التعبير عنه بكلمة واحدة ، وذلك لانه كان يعبر عن نظام او قانون يشمل فى طياته العدالة الصدق والحق والمساواة والعدالة الاجتماعية بين الناس . وقد سار ابناؤه من بعده يحكمون على حسب قانون «ماعت» بعد أن ارتفع «رع» الى لسماء . وكان المفهوم أن كل ملك جاء بعد «رع» لا يحيد عن «ماعت» فاذا حاد عنه فهو ليس «ابن رع» وليس له الحق فى حكم مصر . وقد سارت البلادعلىهذا النهج . وتدل الظواهرعلى أنه منذعهد «مينا» موحد الارضين كان الملوك يحكمون علىحسب نظام «ماعت» حتى نهاية الدولة القديمة بوصفهم ابناء «رع» ، وفى نهاية هذه الفترة قام الشعب المصرى بثورته لاجتماعية على مليكهم الذى حاد عن قانون «ماعت» وخلعوه عن عرش الملك وأخذت البلاد تتخبط فى ظلام دامس حتى قيض الله لها من نشلها من وهدتها على يد ملك جديد من أبناء «رع» أعاد لها نظامها القديم فأخذ القوم يخضعون لسلطانه فىباكورة الدولةالوسطى (١) . ولقد رضى الشعبالمصرى بهذا النظام من الحكم الذى على حسب زعمهم كان الفرعون فيه ليس الا ممثلا للاله «رع» ومنفذ قانون والده ، فهو لا يملك من الأمر شيئا ، ومن ثم تدل شواهد الأحوال على أن الحكم الملكى المطلق لم يكن مفروضا على

(١) راجع مصر القديمة ، الجزء الأول ص ٣٩٨ ــ ٤٠٦

الشعب المصرى من قبل ملك بعينه بل كان حكما الهيا عادلا ينفـذه ابـن «رع» . وهكذا بقيت نظرية نظام «ماعت» مسيطرة على عقـول الشـعب المصرى مدة تاريخه الطويل الأمد ، ولا يريد عنها بديلا مهما كانت الأحوال ، وذلك لأن حكم هؤلاء الملوك كان حكما الهيا وليس لهم فيه من الأمر شيئا الا تنفيذ القانون الذى وضعه «رع» والدهم . ومن أجل ذلك كان الملك فى نظر الشعب المصرى لا يخطىء وأن قوله هو القانون المنزل . ولقد كانـت الثورات تقوم فى مصر من وقت لآخر عندما كان الملوك ينحرفون عن طريق قانون «ماعت» ، فاذا ما عادت الأمور الى نصـابها سارت البـلاد فى سـبيلها السـوية على حسـب قانون «ماعت» . والواقـع أن الفرعون كان هو الحكومة فى كل مظاهرها . وعندما تولى البطالمة حكومـة مصر لم يكونوا يعرفون هذا النوع من الحكم بل كانت الملكية عندهم مقيدة بشروط وقيود فكان الجيش مثلا هو الذى ينتخب الملك عندما يصبح عرش الملك خاليا ، وذلك على حسب تقاليدهم القديمة فى مقدونيا . وقد رأينا أن «بطليموس الأول» عندما تولى عرش مصر لم ينتخبه أحد بل اعتلى اريكة الملـك على الطريقة المصرية بوصفه ابن «رع» . فما هو السبب الذى دعى الى ذلك يا ترى ويجيب المؤرخون الذين كتبوا تاريخ هـذا العصر بأن بطليموس كان شطربة مصر من قبل «الاسكندر الثانى» فرعون مصر وعنـد موت الأخير ادعى «بطليموس» لنفسه عرش مصر بوصفها بلادا فتحت بحد السيف وبحكم القانون المقدونى كانت حقا له ، ولكن هذا التفسير يعد مغالطة وتشويهـا للحقائق ولا يتفق مع مجريات الأمور فى مصر . وذلك أن «الاسكندر الثانى» كان فرعونا على مصر ، وعلى الرغم من أن قدمه لم تطأ أرض مصر فانه كان يدعى ابن «رع» على الآثار المصرية ، ومن ثم نفهم أن المصريين أو بعبارة أدق رجال الدين نصبوه فرعونا على البلاد ولقبوه بكل القاب الملك وعلى رأسها

لقب «ابن رع» . يضاف الى ذلك أنه كان قد تولى من قبله بنفس هـذه الطريقة «فليب اريداوس» ولم يكن قد أتى الى مصر قط . وكان «الاسكندر الاكبر» كما سبق ايضاحه قد فطن الى هذا الأمر عندما دخل مصر فاتحـا فكان أول عمل قام به هو أنه توج نفسه فرعونا فى «منف» وذهب الى واحة «سيوة» حيث لقبه الكهنة ابن «آمون رع» من صلبه . والواقـع ان كل من أراد أن يحكم مصر ويصبح فرعونا عليها كان لابد له أن يكون ابن «رع» من صلبه ، ومن ثم نفهم أنه كان لزاما على «بطليموس الأول» ان يـكون «ابن رع» ومنحدرا من صلبه ، ولكن الوثائق التى فى متناولنا من عصره لم تحدثنا بحديث توليه عرش الفراعنة ، وذلك على الرغم من أنها تذكر لنا القابه الفرعونية ، وأنه «ابن رع» . وسنرى أن ابنه «بطليموس الثانى» هو الذى وضع تاريخ آسرة البطالمة ونسبتها للاله «رع» لأن كل الأحوال كانت ممهدة له كما سنرى بعد القيام بذلك . وقد اتخذ «بطليموس الثانى» لنفسه كل الحقوق التى كان يتمتع بها فرعون مصر فى كل نواحى الحياة المصرية فى الداخل والخارج . فقد كان مطلق التصرف فى كل شىء ، ولكن وجود عنصر جديد فى البلاد المصرية قد غير الأوضاع بعض الشىء وأعنى بذلك الجنـود المقدونيين والاغريق المستعمرين الذين وفدوا على البلاد مع البطالمة أو بدعوة منهم ، ومع كل ذلك اذا استثنينا المـدن التى كان يسكنها الاغريـق وهى «نقراش» و «الاسكندرية» و «بطليمايس» (موقعها المنشية القريبة مـن سوهاج) التى كانت تتمتع ببعض الامتيازات فان «بطليموس الثانى» كان مسيطرا سيطرة تامة على كل شبر من أرض الكنانة بما فى ذلك أراضى المعابد وأراضى الاشراف أصحاب الاقطاع الذين قضى عليهم «بطليموس الأول» ؛ كما كان هو أمير الأسطول وقائد الجيش ، والمنبع الذى يصدر منه القانون ، كما كان كل مكتوب يصدر منه له قوة القانون، وذلك على حسب ماكان يسير عليه ملوك مصر القدامى . هذا وكان الوزراء والموظفون من صنع يده يعزل

منهم من يشاء ويولى من يشاء ، وقد كان لكل مواطن من رعاياه الحق فى أن يقدم له شكايته شخصيا وعلى الرغم من أن بعض التظلمات لم تكن تتعدى حاكم المركز أو القرية فان بعضها كانت تصل الى القصر الملكى ، وكان الملك يفحصها بنفسه (١) .

النضال بين بطليموس الثانى وإخوته :

على الرغم من أن «بطليموس الأول» قد مهد لابنه «بطليموس الثانى» (الذى يدعى خطأ فيلادلفس) الملك فانه ترك وراءه مناضلين ومنازعين له فى العرش . والواقع أن أولاد الملكة «ايرديكى» الذين كان ينتظر منهم أن يقفوا فى وجه «بطليموس الثانى» ، قد تركوا على ما يظهر «الاسكندرية» قبل أن يحرمهم والدهم وراثة العرش ، فنجد أن بكر أولاده «بطليموس كرانيوس» (= الصاعقة) الذى كان صاحب الحق شرعا فى الملك ، قد استجار «بليزيماكوس» ملك «تراقيا» فأجاره ، وهناك اجتمع بأختيه الأولى وكانت زوج «أجاتوكليس» بن «لزيماكوس» واسمها «ليسندرا» وهى اخته من أمه «ايريديكى» والثانية تدعى «ارسنوى» وكانت زوج «لزيماكوس» وهى ابنة «برنيكى» وقد كان «بطليموس كرانيوس» هذا عازما على أن يسترد حقه فى ملك مصر الذى حرمه منه والده «بطليموس الاول» . وقد شاءت الأقدار أن تحبك مؤامرة محزنة كان لها نتائج بعيدة المدى بين أفراد أسرة «ليزيماكوس» . وذلك أن «ارسنوى» اتهمت ابن زوجها «اجاتوكليس» بالتآمر على قتل والده «لزيماكوس» وكان لها سلطان عظيم على زوجها المسن كما كانت فى الوقت نفسه مكروهة فى بلاط زوجها ، فقد قيل عنها أنها كانت تسلح فى وجه كل من يقف فى سبيلها أو يعصى لها أمرا ، كما كان الهجو الذى تفتر عنه شفتاها كالصواعق . وقد انخدع «ليزيماكوس» وضعف أمامها

---

(١) راجع P. Collop. Recherches sur la Chancellerie et la Diplomatique des Lagides (1926), Chap. III).

فصدق وشايتها فى ابنه وبخاصة أن «أجاتوكليس» كان محبوبا عند جمهرة الشعب . فادعت عليه انه تآمر على قتل والده وانتهى الأمر بأن قبض عليه ووضع تحت تصرف «آرسنوى» لتقضى عليه بالطريقة التى تحلو لها . فقتلته سرا وألقت بجثته بعد ذلك فى غياهب جب عام ٢٨٤ ق.م غير أن سر قتله لم يلبث أن فضح فى الحال ، ولم تكد تسمع«ليساندرا» بهده الفاجعة حتى آثرت الهرب مع أولادها الى «سليوكوس» مستجيرة به فأجارها ، وقد هرب معها أخو الاسكندر خوفا من الموت(١) وانضم «بطليموس كرانيوس» الى المطالبين بدم «أجاتوكليس» ، وقد رحب به «سليوكوس» فى «انطاكيه» وعامله معاملة بوصفه الوارث الحقيقى لعرش مصر . وقد كان «سليوكوس» ملك «سوريا» ينتظر موت «بطليموس الأول» الذى كان قد بلغ من الكبر عتيا ، ليخلع «بطليموس الثانى» من عرش الملك ويسلمه الى ابنه البكر الذى استجار به . هذا وكان «كرانيوس» قد بنى آماله على ذلك ، ومن ثم أخذ «بطليموس» حذره من نوايا جاره ، غير أن «كرانيوس» صدم صدمة عنيفة عندما علم أن «سليوكوس» بعد موت «بطليموس الأول» الذى كان يرقبه بفارغ الصبر ، فضل غزو بلاد «آسيا الصغرى» على غزو مصر ، وبذلك لم يف بوعده لكرانيوس ، ومن ثم كان «كرانيوس» فى يأس قاتل من أمره . هذا وكان حاكم «برجامم» المسمى «فيليتاروس» يخاف شر «أرسنوى» ، فحرض «سليوكوس» على الأخذ بثأر «أجاتوكليس»وعرض عليه أن يخلى له «برجامم» بما فيها من كنوز (٢) ، وفى تلك الفترة أخذت الفوضى تشيع فى كل بلاد آسيا الصغرى ، وهناك التقى «سليوكوس» بجيش «ليزيماكوس» فى موقعة «كوروبديون (Koroupedion) فى ربيع عام ٢٨١ ق.م وكان من نتائجها أن سقط «لزيماكوس» صريعا فى ساحة القتال ، وبذلك أصبح كل

---

(١) راجع Paus. I 10,4; Appian. Syr., P. 64.

(٢) راجع Strabo., XIII, 623; Paus. 1, 10, 4.

ما كان يملكه فى «آسيا الصغرى» نظريا ملك «سليوكوس» وعندما علمت «أرسنوى» بموت زوجها فرت من «أفيسوس» خوفا من انتقام «ليسندرا» التى أرادت الانتقام لزوجها «اجاتوكليس» بالتمثيل بجثة «ليزيماكوس» أشنع تمثيل وذلك بعد دفنها . هذا ولم تكن مطامع «سليوكوس» لتقف عند هذا الحد ، اذ كان يريد أن يضم الى املاكه كل «آسيا الصغرى» و«تراقيا» ليقدمها لأولاد «اجاتوكليس» ويحفظ لنفسه بلاد مقدونيا حتى يمضى البقية الباقية من حياته فيها . وقد نسى أن بجانبه «كرانيوس» الذى لم يف بوعده له وهو تنصيبه ملكا على مصر ، ومن أجل ذلك تحين «كرانيوس» الفرصة للقضاء عليه فطعنه وهو فى طريقه الى «ليزيماكا» عاصمة ملكه ، ثم ذهب فى الحال الى العاصمة واستولى على تاج الملك وقد لقى ترحابا من جانب الجنود ، وبخاصة انه قد أغدق عليهم مالا وفيرا . وهكذا لقى «سليوكوس» الذى كان يعتبر وقتئذ آخر رفيق «للاسكندر الأكبر» حتفه فى نهاية عام ٢٨١ ق.م. ولما كان «كرانيوس» يخشى انتقام « انتيوكوس بوليورسيت » فانه أخذ فى طلب ود أخيه «بطليموس الثانى» قائلا له أنه لا يحمل فى صدره أى حقد عليه بسبب حرمانه من عرش الملك ، ولا يطلب اليه الا أن يساعده على حفظ ما كسبه من عدو والدهما «بطليموس الأول»، والواقع أن «بطليموس الثانى» قد رحب بهذا العرض ، ومن المحتمل أنه قد أخذ وقتئذ فى تجهيز حملة لاسترداد «سوريا الجوفاء» التى كان فيما سبق اقليما مصريا ، وقد كان دائما يرفض «سليوكوس» ان يعيدها الى «بطليموس الأول» ، ومن المحتمل أنه كان قد أغار عليها «بطليموس الثانى».

أما «أنتيوكس» فكان فى موقف لا يحسد عليه اذ كانت مملكته على شفا جرف هار لأن كل بلاد «آسيا الصغرى» قد قامت تطالب بحريتها التى سلبها منها «سليوكوس» ، وقد استقل فعلا معظم حكامها . هذا فضلا عن أن المدن الأغريقية قد حذت حذو هؤلاء الحكام وقاموا بثورات وانضم

«الهيراكليوتيون» الى «الكسديين» و «بيزنطة» الى «ميتراديس» من جهة ومن جهة أخرى قدموا أسطولهم الى «كرانيوس» ليصبح جزءا من أسطول سد البوسفور (١) وقد أراد «أنتيوكوس» أن يلحق «بطليموس» ، غير أنه كان عليه فى تلك الفترة أن يهدىء الأحوال فى «أسيا الصغرى» ، ولكن لسوء الحظ أرسل جيشا بقيادة «باتروكليس» (Patrocles) اليها كان مصيره الفشل (٢) . وخلاصة القول نجد أن «أنتيوكوس» قد أصبح أمام كل هذه المخاطر الجبارة لا يدرى ماذا يفعل . وتدل شواهد الأحوال على أنه كان يعمل فى جانب «كرانيوس» ، وبعد مناوشات ومحاولات بائسة عقد «انتيوكوس» صلحا مع «بطليموس كرانيوس» فى نهاية عام ٢٨٠ ق م ، ومنذ هذه اللحظة أخذ «كرانيوس» يعمل على القضاء على «ارسنوى» واولادها الذين لم ينزلوا حتى الآن عن حقهم فى ملك والدهم «ليزيماكوس» . وكان كل من «ارسنوى» و«كرانيوس» يعرف ما انطوت عليه نفس خصمه من مكر ودهاء وسوء نية . وقد اقترح «كرانيوس» على «أرسوى» أن يتزوج منها ويتبنى أولادها ، غير أنها بقيت على حذر منه وظلت مقيمة حبيسة فى «كاسندريا» . وقد حاول «كرانيوس» أن يبدد مخاوفها فلعب معها دور العاشق المدله بحبها ، وقدم لها كل المواثيق على اخلاصه وفى نهاية الامر قبلت «ارسنوى؟ الزواج منه ولكن بعيدا عن «كاسندريا» حيث تركت أولادها . وبعد أن تم الزواج وسط تهليل الجيش وابتهاجه تبنى أولاد اخته وزوجه . بعد ذلك دعا «ارسنوى» للحضور الى «كاسدريا» وهناك انقض على أولادها من «ليزيماكوس» وهم بين دراعيها وقتلهم ، وعلى أثر ذلك هربت «ارسنوى» الى «ساموتراس» حيث ندمت على عدم موتها مع أولادها (٣) وقد أسف «كرانيوس» على أنه لم يأت على أكبر أولادها

(١) راجع Memn. Rohd. 13
(٢) راجع Ibid. 15.
(٣) راجع (B.L.I. 153

الذى قدر له أن يعيش عيشة هادئة بعيدا عن عرش الملك .

والآن بعد أن ارتكب «كرانيوس» كل هذه الآثام جاء دور انتقام العدالة الالهية منه ، فنراه وقد طعن طعنة نجلاء وهو فى ساحة القتال يحارب «الغاليين» . وقد اختار بعده المقدونيون أخاه «ميليجر» **(Meleager)** ملكا عليهم ، غير أنه لم يكن كفأ فعزلوه بعد أن حكمهم ستة أشهر ، وبعد ذلك تولى فرد آخر يدعى «أنتيباتر» عرش مقدونيا وهو ابن «كاسندر» لمدة أشهر قلائل ثم عزل واحتمى «بالاسكندرية» بعد خلعه ، وكان يلقب بالخمسينى (وهو الهواء الذى يهب خمسة وأربعين يوما) . وقد كشفت لنا عن حقيقته بردية جاء فيها عن طريق الصدفة أنه كان حاميا لصناع زهر الطاولة المصنوع من عظام الأصابع (١) .

هذا وقد حاول «انتيوكوس الأول» بن «سليوكوس» والأميرة الفارسية «أباما» فى «أسيا الصغرى» أن ينصب نفسه ملكا مكان والده ، ولكنه لا يمكنه توطيد سلطانه الا بحرب تنشب هناك بقوى جديدة قام بها الامراء الوطنيون والأسر الفارسية القديمة ، على امارة «برجامم» الاغريقية وكانت صاحبة نفوذ وقوة هناك .

وعلى أية حال نجد فى نهاية الأمر بعد انقضاء نصف قرن على موت «الاسكندر الأكبر» كانت فيه أحوا لالامبراطورية جدمرتبكة — ان عالم شرقى البحر الأبيض المتوسط قد استقرت احواله وتألفت فيه مجاميع من الدول القوية ، فنشاهد فى مقدونيا «انتيجونوس» كما اصبح شمالى «سوريا» وجزءا كبيرا من «آسيا الصغرى» و «مسوبوتاميا» وبابل الفرس فى قبضة بيت «سليوكوس» . هذا ونرى فى أجزاء أخرى قيام ملوك صغار جدد محليين . اما «مصر» و «فلسطين» و «سيرينى» و«قبرص» فكان على

---

(١) راجع **Edgar Zenon, Pap. 70; A.S. XXII, (1922) P.P. 222; Cf. P. 231.**

رأسها ملوك أسرة البطالمة . يضاف الى ذلك أن بلاد الاغريق نفسها والجزائر وسواحل بحر ايجة وشاطىء «البوسفور» والبحر الأسود ، ومدن الاغريق القديمة قد بقيت كلها تتمتــع بشىء من الحرية على حسب ما تساعدهم به الأحوال للتخلص من عبودية الممالك العظيمة التى كانت تحيط بها .

وقد حدثت بين هــذه الدول العظام أحداث عظيمة حربية وسياسية فى عهد «بطليموس الثانى» غير أنه مما يؤسف له جد الأسف أنه تعوزنا فى هذه الفترة بالذات المعلومات التاريخية ، وبخاصة لأنه الوقت الذى وصلت فيه مصر الى أوج عزها وعظمتها . والواقع أن المصادر التاريخية التى فى متناولنا لم تســـعفنا الا بالنذر اليســير هــذا بالاضافة الى أن ترتيب الحوادث التى نستقيها مما لدينا من مصادر غير مؤكدة فى هذه الفترة ، وعلى ذلك فان كل ما ذكر عنها لا يخرج عن الحدس والتخمين ولا يضع أمامنا الحقيقة الناصعة أو ما يقرب منها وبخاصة فى الحروب التى سنذكرها فيما يلى .

الحرب السورية الأولى :

كان هم «بطليموس الثانى» فى وسط هذه الأحداث المفعمة بالمخاطــر والحروب أن يعيد الى ملك مصر بلاد «سوريا» ، التى كان يعدها من حقــه منذ أكثر من عشرين عاما مضت : وتفسير ذلك أن معاهــدة التحالف التى كانت عقدت فى عام ٣٠٣ ق.م لمقاومة «انتيجونوس» وايقافه عند حده ، قد أعطت «بطليموس الأول» حق الاستيلاء على «سوريا» ان هو اشــترك فى الحرب مع حلفائه ، غير أن بطليموس لم يرسل جنودا الى «ابسوس» حيث دارت المعركة الفاصلة ، ولذلك فانه عند تقسيم مملكة «انيجونوس» بعــد هزيمته وانتهاء الحرب ، كانت «سوريا» من نصيب «سيلوكوس» أى أن المنتصرين تمسكوا بحرمان بطليموس من الغنيمة لعــدم قيامه بنصيبه فى الحرب ، ولكن بطليموس على الرغم من ذلك احتل «سوريا» الواقعة جنوبى «لبنان» ودمشق بما فى ذلك فلسطين «وفنيقيا» جنوبى نهر «اليتيروس (Eleutherus)

عدا «صور» و«صيدا» اللتين استولى عليهما من «ديمتريوس» عام٢٨٦ ق.م وقد ادعى «بطليموس» على ما يظهر أنه فى عام ٢٨٢ ق.م قد ثبت حقوقه في «فلسطين» وجنوبى «سوريا» بما فى ذلك «فلسطين» وسوريا الجنوبيـة (Cole Syria) بالاختصار ، أى وادى «مارسياس ماسياس» بالاضافة الى لبنان وما وراءها و« دمشق» بمثابة ثمن لحياد مصر واشـعال الحرب على «ليزيماكوس» .

والواقع أن سياسة كل فرعون قوى فى الأزمان السالفة كانت المحافظة على حدود مصر بمدها فى الأراضى السـورية ، ومن جهـة أخـرى نلحظ أن «سليوكوس» قد استمر فى ادعائه بحقه فى كل «سوريا» حتى حدود مصر بما فى ذلك فنيقيا بمقتضى تقسيم عام ٣٠١ق.م . وهذا الموضوع هو المسألة السورية التى شغلت مصر أجيالا طويلة كما سنرى بعد .

وعلى أية حال نجـد أنه فى مـدة حياة كـل من « بطليموس الأول » «سليوكوس» كانت هناك روابط ألفة وصداقة بينهما منعت قيام أيه حرب وعندما شبت نار أول حرب بعد موت «سليوكوس» ، وكانت ضمن سلسلة حروب قامت فى «آسيا الصـغرى» لا فى «آسيا» ، وكان موقد نارها هو «بطليموس الثانى» بطبيعة الحال . وآية ذلك أن «بطليموس الأول» كان قد اسـتولى فى عام ٣٠٩ ق.م. على بعض أماكن فى «كاريا» وليسيا غـير أن فقدهما ثانية فى عام ٣٠٦ ق.م (١) . هذا ولا نعلم اذا كان أول ممتلكات ثابتة لمصر فى «ليسيا» قد حصل عليها «بطليموس الأول» فى عام ٢٩٥ ق.م عندما استولى على قبرص من «ديمتريوس» أو استولى عليها «بطليموس الثانى» بعد عام ٢٨٠ ق.م فذلك الأمر لا يمكن البت فيه، ولكن فى عام ٢٨٥ ق.م. نعم ان بطليموس الأول استولى على «كونوس (Caunus) فى «كاريا» وظلت ملكه . وقد اختلف المؤرخون هنا لنضوب المصادر .

---

(١) راجع (C.A.H. VI. P. 499

وقد ظلت مصر على هذه الحال حتى عام ٢٨٠ ق.م لا تتدخل فى أقليم « سـلیوکوس » ، وذلك لانه لم تكن « ليسـيا» ولا « كونوس » ملكا «لسليوكوس» . ولكن عندما مات «سليوكوس» أخذ «بطليموس الثانی» يقلب ظهر المجن واستحال الى مغير . فكما سبق اعترف بان «كراونوس»قد أصبح ملكا على مقدونيا وكان «انتيوكوس» يدعى ملكها ، ولم يمض عام ٢٧٨ ق.م. حتى استولى على «ميليتوس» ، غير أننا لا نعرفه كيف حدث ذلك . وقد أعاد اليها قطعة من الأرض كانت فقدتها منذ زمن بعيد . ولابد أنها كانت قد أصبحت أرض الملك ، ومن الواضح أنه اذا استولى على أرض الملك من «انتيوكوس» فان ذلك يعنى قيام الحر ب. وعلى أيـة حال فان مقتضيات الأحوال فى عام ٢٧٩ ق.م كانت توحى بأن «انتيوكوس» لم يكن فى مركز يجعله يحقد على أى شىء يقوم به «بطليموس» ، وذلك لأنه كان لا يزال فى حرب مع «انتيجونوس» والحلف الشمالى الاغريقى، ومن المحتمل أنه كان قد واجه لعصـيان فى «سلوكيس» موطن السليوكيين على نهـر «الارنت» حيث قد استولى العصاة على ما يظهر على «أباما» وكل الفيـلة هناك وعلى الرغم من أنه عقد صلحا مع «انتيجونوس» فى عام ٢٧٩ق.م ربما كان سببه الخوف من غارة يقوم بها «بطليموس» فان «نيكوميدس» قـد أحضر فى عام ٢٧٨ ق.م «الغاليين» لمساعدةالحلف الشمالى ، وبذلك ازدادت مصاعب «انتيوكوس» سوءا على سوء ، ومن المحتمل أن عام ٢٢٧ق٢م فان اسوأ عام مر به من حيث الرعب والذعر اللذين سببهما الغاليون فى آسـيا الصغرى . وعلى الرغم من أن «انتيوكوس» كان مسيطرا على العصيان فى «سلوكيس» (Seleucis) فى هذا العام فانه لم يكن فى مقدوره أنيترك «سوريا» حتى الشتاء (١) .

---

(١) راجع . J.H.S. XLVI, (1926), P. 155).

هذا ونعلم أن «انتيوكوس» وابنه الأكبر «سليوكوس» الذى اشركه معه فى الملك عام ٢٨٠ ق.م قد قضيا الشتاء فى «سرديس» ، ولم يكن مقدرا له أن يحارب الغاليين حتى الآن ، وذلك لأنه فى ربيع ٢٧٦ ق.م غزت جنـود «بطليموس الثانى» «سورياالجوفاء» واستولواعلى دمشق ووادى «مارسياس» الواقع خلف جبال لبنـان . وعندئذ ترك «انتيوكوس» ابنه «سليوكوس» نيحمى «آسيا الصغرى» ، وعبر جبال «توروس» ثانية وهزم الغزاة وردهم على اعقابهم واستعاد «دمشق» ، وقد شغلته «سوريا» كل عام ٢٧٦ ق.م. وأمضى الشتاء فى ربوعها . ومن المحتمل أنه فى خريف عام ٢٧٦ ق.م كانت قواته البرية فى «آسياالصغرى»وكذلك اسطولهقد طوقجزيرة «ميليتوس». وكان البحر أمامه مفتوحا ، اذ كان فى امكانه أن يرسل أخته فيلا (Phila) الى «بلا» (Pella) عاصمة مقدونيا ، وكان اسطول مصر القوى وقتئـذ يساعد حملة «بطليموس» فى «سوريا» . ومن المحتمل أنه فى عام ٢٧٥ ق.م كان أمير البحر «كاليكراتيس» (Callicrates) من أهالى «ساموس» هو الذى خلف «فيلوكليس» (Philocles) بعد عام ٢٧٨ ق.م. ورفع الحصار البحرى الذى كان مضروبا على «ميليتوس» . غير أن الضغط برا كان شديدا، ولم يكن فى مقـدور «بطليموس» بعد هزيمة سـوريا الا أن يكتب الى «الميلزيين» حاثا لهم على الثبات ، وقال لهم أنه سيعمل جهـده لحمايتهم . وعلى أية حال لا نعلم مصير الحرب فيها بعد ذلك . ولكن حوالى مارس من عام ٢٧٥ ق.م وصلت اليه جنوده من «بابل» فى «سوريا» ، وكان قد سبق ذلك بمدة شهر ارسـال عشرين فيلا من فيلة القتـال . وعندما عبر جبال «طوروس» فى ابريل أو مايو ساق هذه الفيلة معه . وقد عمل حسابه على أن الفيلة كانت فتاكة بالرجال الذين لم يكونوا قد رأوهم من قبل ، وقد تحقق له ما حسبه ، فقد كسب بها المعركة التى هزم فيهـا الغاليين وهى الواقعـة المعروفة « بنصر الفيلة » . وبانتهاء عام ٢٧٥ ق.م يبـدو أنه قد أظهر نشاطا

مدهشا ، وأنه وصل الى بر السلامة . وفى هذه الآونة اطراه حلف «الليوم» (Illium) على ما أسداه من سلام للمــدن واعادة مملكته الى ما كانت عليه من فخار حتى بعد هزيمة «بطليموس». ومن أجل ذلك منحوه لقب «المخلص» بسبب الهزيمة التى تكبدها «الغاليون» . وقد لقب «المخلص» (سوتر) وهو الاسم الذى يطلق على عبادته .

ومما سبق نفهم أن «انتيوكوس» قد كسب الجولة الأولى فى الحرب ، ولكن سنرى أنه فى الوقت الذى أخفق فيه «بطليموس الثانى» و«الغاليون» قد ظهرت على مسرح التاريخ امرأة نالت نصرا مبينا عزيزا على أعداء مصر وهذه المرأة هى «أرسنوى الثانية» أخت «بطليموس الثانى» وأرملة كل من «ليزيماكوس» ومن بعده «كراونوس» على التوالى . وذلك أن مكثها فى «ساموتراس» لم يطل اذ قد عادت الى مصر بعد موت «كراونوس» وأخذت تلعب دورها المنقطع النظير حتى الآن فى تاريخ البطالمة ، فقد تقربت بمكرها ودهائها من أخيها «بطليموس الثانى» وكانت النتيجة النهائية لمكايدها فى القصر أن سرح بطليموس زوجه «أرسنوى الأولى» بحجة اشتراكها فى مؤامرة لاغتياله ، وبعد ذلك تزوج من أخته «أرسنوى الثانية» . وفى الوقت نفسه تبنى ابنها الذى أنجبته من «ليزيماكوس» واسمه «بطليموس» (Ptolemaeus) وقد تبنت هى بدورها بكر أولاده من «أرسنوى الأولى» . وهو الذى أصبح فيما بعد «بطليموس الثالث» . أما «بطليمايوس» الذى طرده «أنتيجونوس» فى عام ٢٦٧ ق.م من مقــدونيا فكان يحكم «ميليتوس» منــذ حوالى عام ٢٧٥ ق.م ، وقد كان السبب الذى دعا «بطليموس الثانى» لتبنيه هو بلانزاع أنه بوصفه ابن « ليزيماكوس» كان له بحق الوراثة عن أبيه أن يحكم «أيونيا» التى كان يأمل «بطليموس» أن يفيد منها ، بل يحتمل أنه كان يرغب فى أن يشــترك معه فى حكمها . ومن الجائز أن زواج «أرسنوى الثانيــة» من «بطليموس الثانى» كان فى عام ٢٧٧ ق.م ، وأن طموحها هو الذى دعا الى

غزو بلاد «سوريا» عام ٢٧٦ ق.م ، ولكن يغلب على الظن أكثر أن هـذه الغزوة وقعت فى أواخر عام ٢٧٦ ق.م أو فى أوائل عام ٢٧٥ ق.م ويستنبط ذلك من الحركات التى قام بها «بطليموس الثانى» . وعلى الرغم من أن فكرة زواج بطليموس من «ارسنوى» قد أتت من جانبها هى ، فان «بطليموس» لابد كان لديه سبب قوى للزواج من اخته من أبيه وأمه ، وذلك على الرغم من أن زواج الاخ من أخته كان يعتبر حدثا مستنكرا فى بادىء الأمر بالنسبة للتقاليد الاغريقية ، ولكنه كان من جهة المصريين يعتبر تقليـدا لازما عند فراعنة المصريين بوجه خاص . وذلك لأن كل من يحمل لقب فرعون مصر كان لزاما عليه أن يتزوج من أخته ليحفظ الدم الآلهى خالصا .

ومن الغريب أن مؤرخى العصر الحديث فى أوربا وغيرها يقرنون سـبب زواج «بطليموس الثانى» من أخته بهزيمته فى «سوريا» قام ٢٧٦ق.م. ويقول أحدهم (١) : أنه على الرغم من طموح هذا الملك وقدرته السياسية ــ وذلك لأنه كان رجل أعمال ولم يكن قط مجرد رجل سطحى فى معلوماته ــ فانـه لم يكن يفهم الحرب ولم يقد قط بنفسه جيشا فى ساحة القتال وأنه كان فى حاجة الى نضج عقلها وقوة ارادتها فى تدبير أمور الحرب التى كان يخسرها كما حدث فى حرب «سوريا» حيث لم يكن هناك من أحد يساعده ، وفى نهاية عام ٢٧٥ ق.م بل من المحتمل قبل ذلك أخذت «أرسنوى الثانية» شـئون الحرب فى يديها .

والواقع أننا لا نعلم من جهتنا عن «أرسنوى الثانية» شيئا من الوجهـة الحربية غير أنها كانت امرأة صاحبة مكر ودسائس تدبرها لمن تريد أن يختفى من أمامها تنفيذا لرغائبها وشهواتها وطموحهـا ، وأن سلطانها على الرجال الذين تزوجت منهم كان بالجسم لا بالعقل ولم تر قط أنهـا قادت لأى من

(١) راجع C.A.H., VII. P. 703)

زوجيها السابقين قيادة معركة حربية ، وفى اعتقادى أنه كان هناك سبب آخر لهذا الزواج ولا بد أن يكون مرجع هذا السبب أولا وآخرا الى الدين .

وقد كتب العالم «ملن» مقالاصغيرا فىهذا الصدد يتفق مع العقائدالمصرية وقد برهن فيه على أن «أرسنوى» قد نقلت فكرة عبادة «آمون» عن زوجها «ليزيماكوس» ونشرتها فى مصر بعد أن كانت لا تعد شيئا بالنسبة لعبادة « سيرابيس » (١) .

وذلك أن تطور عبادة «آمون» فى مصر فى عهد البطالمة تقدم لنا أدلة هامة للسياسة الدينية التى سارت على هديها أسرة البطالمة . فمما يلحظ أولا أنه ليس لدينا برهان أكيد على اهتمام «بطليموس الأول» بوجه خاص بعبادة «آمون» . وقصة زيارة «الاسكندر» لواحة «سيوه» كما ذكرها لنا «بطليموس الأول» نفسه يظهر مما ذكره لنا المؤرخ «أريان» أنها قد كتبت من الوجهة الحربية . وذلك على حسب ما اقترحه المؤلف «رادت» (٢) وذلك كان الهدف الرئيسى «لأريان» . ومن جهة أخرى قد برهن «ڤلكن» بصفة قاطعة جدا أن التفاصيل الخلابة التى جاءت فى «قصة الاسكندر» فيما يخص هذه الزيارة قد كتبت بعد عهد «بطليموس الأول» .

وعلى حسب هذا الرأى يكون تمثيل «الاسكندر الأكبر» بقرنى كبش على معبده ، وهو تمثيل عادى مألوف بوصفه طراز نقد ، ولا بد أن الغرض منه كان ربط «الاسكندر الأكبر» بالاله «آمون» ، غير أنه لم يظهر فى مصر فى عهد «بطليموس الأول» ، وذلك لأن رأس «الاسكندر» الذى كان يمثل على قطع نقود الدرخمة التى كانت تضرب لمصر قبل عهد «بطليموس الأول» كان يمثل صورته على النقود بلباس رأس فى هيئة جمجمة فيل وربما كان لغرض منها أن يظهر بأنه البطل مؤسس «الاسكندرية» ، ولكن من المؤكد

---

(١) راجع (Studies Presented to F. LL. Griffith. P. 13-15

(٢) راجع G. Radet, Notes sur l'Histoire d'Alexander VI)

لم يكن لها أية علاقة بعبادة آمون . وكذلك نلحظ فى النقود الصغيرة المصنوعة من البرنز فى نفس هذا العهد أن الصورة التى كانت عليها هى صورة آدمية للاسكندر دون أن تحلى بقرنين أو أى شىء آخر .

يضاف الى ذلك أن «آمون» لم يعط نصيبا فى ديانة الدولة الجديدة التى كانت تدور حول عبادة «سيرابيس» وذلك لأن المجلس اللاهوتى (وهو الذى على حسب ما جاء فى التقليد كان مكلفا بايجاد اله يرضى الاغريق والمصريين على السواء) قد تلقى الهامه من عدة مصادر . ولكن لا نجد على وجه التأكيد أى أثر لأى تأثير لآمون فىالتصوير الفنى بصورة «سيرابيس»، هذا فضلا عن أن السجلات المبكرة الخاصة بالعبادة لا تظهر أنه كان هناك مثل هذا التأثير . والواقع أن «بطليموس الأول» لم يضرب صفحا عن «آمون» وحسب بل حقره بصورة محسة . وذلك عندما حرم طيبة التى كانت تعد المركز الأول لعبادته من أن تكون صاحبة القيادة فى الوجه القبلى ونقل تلك السيادة الى «بطليمايس هيرميو» مدينته الجديدة التى أسسها فى الوجه القبلى ومن المحتمل أنه فى عهد «بطليموس الثانى» قد بدأت قصة زيارة «الاسكندر» لمعبد «آمون» بواحة «سيوة» تزخرف بالاساطير . ونجد هنا ثانية أن النقود يمكن أن تستعمل مصدر الهام . وذلك أن رأس الاسكندر المحلى على النقود بقرنين قد ظهرت للمرة الأولى بوصفه طراز نقود فى «تراقيا» على النقود المصوغة من الذهب أو الفضة التى صكها «ليزيماكوس» لنفسه . فنشاهد أن الرأس ذو الصبغة الفنية قد لا تكون لآمون بل لابنه «كارنيوس» (Carneius) = أبولو) وأنالمقصود بها كان تمثيل وجه «الاسكندر» (١) . وسواء أكانت الصورة تمثل «آمون» أو «كارنيوس» فان طرازها كان اغريقيا ، ولابد أنه قد اشتق من عبادةاغريقية

(١) راجع Ancient Egypt, 1928, P. 38).

ستوطنة فى مملكة «ليزيماكوس» ، وعلى ذلك فانه لدينا بعض الأسباب التى تحملنا على أن نعتقد أن المذهب القائل أن «الاسكندر» كان ابن «آمون» قد تطور الى قصة شعبية فى «تراقيا» فى عهد «ليزيماكوس» . وعلى ذلك فانه من المهم أن نفهم أن عودة عبادة «آمون» فى مصر كانت على وجه التقريب معاصرة لعودة «أرسنوى» أرملة «ليزيماكوس» الى مصر وزواجها من «بطليموس الثانى» .

ومن المحتمل أن «أرسنوى» قد تحققت من أن الفكرة الاكاديمية لعبادة «سيرابيس» قد أخفقت فى أن تجذب اليها قلوب الاغريق أو العناصر المصرية على وجه عام . وذلك أن المعبود الاغريقى الذى توجد صفحته بصورة بارزة فى عبادة «هاديس (Hades) اله الموتى لم يكن آلها ذا شخصية جذابة بوجه خاص ، فى حين أنه من جهة أخرى نجد أن «أوزير» اله الموتى عند المصريين كان أكثر أهمية فى اللاهوت المعنوى منه فى الشعائر العادية . وكان «آمون» اللوبى يمثل للعقل الاغريقى الاله «زيوس» وللعقل المصرى «آمون رع» ، وعلى ذلك مزجت عبادتان شعبيتان شائعتان بعضهما بعضا. ومن المعقول أن «أرسنوى» كانت قد نقلت لأخيها كيف أن أفادة زوجها المتوفى من «آمون» مقتفيا فى ذلك خطى «الاسكندر» قد وجدت قبولا حسنا عند الاغريق فى أوروبا وفى «آسيا» . وعلى ذلك اقترحت عليه أن نفس العلاقة بين هذين الالهين لا بد أن يفاد منها فى مصر . وعلى أية حال فانه من الواضح أن كلا من «آمون» و «سيرابيس» قد أصبح موحدا الواحد بالآخر أكثر فاكثر فى السنين الأخيرة من عهد أسرة البطالمة لدرجة أن عدة آلهة وحدت فى اسم واحد هو «زيوس — أمون — هليوس — سيرابيس» وقد استمر التطور أكثر فى العهود الرومانية فاضيفت صفات « بوزيدون » و «نيلوس» (اله النيل) و «اسكليبيوس» ، و «هركليس» للاربعة آلهة السابقة ولكن ذلك لم يحدث حتى القرن الثانى بعد الميلاد .

هذا ولدينا براهين أثرية عن استعمال «بطليموس الثانى» لآمون ، فمن ذلك العملة النحاسية الجديدة التى ادخلت فى عهده وقد كان القصد فى ضربها هو أنها تناسب الاستعمال الوطنى بوصفها أداة مبادلة فى أعمالهم . وذلك لأن كلا من معيارى الذهب والفضة الذى كان مستعملا فى الممالك الهيلانستيكية كان غريبا على مصر التى كانت فى العادة تستعمل نظام العملة النحاسية ، أما النظام النقدى الاسكندرى الذى انتجه «بطليموس الأول» ، فانه أعيدصكه فكان طراز وجه العملة رأس «آمون» لا رأس «سيرابيس» . وكانت العملة بالأسلوب الاغريقى فكانت الى حد كبير تمثل «زيوس» أو «سيرابيس» بوصفها نموذجا لأى منهما عندما ينظر اليها نظرة عابرة ، غير أنها مع ذلك كانت معلمة بأنها مصرية بالقرص الذى يتوجها . وهنا نجد ثانية علاقة مع «أرسنوى» وذلك أنه على حسب «سفورونوس» (Svoronos) أن العملة النحاسية الجديدة ابتدأت فى الاستعمال عام ٢٧٠ ق.م وهو العام الذى ماتت فيه «أرسنوى» وفى نفس الوقت ضربت سلسلة من النياشين الكبيرة من الذهب والفضة عليها صورتها واسمها .

وأهم وثيقة تحمل فى طياتها علاقة أرسنوى بهذا النوع من العبادة هى لوحة «منديس» (١) ، وقد كان أول من نشرها «بركش» (٢) ، فنجد فى نقوش هذه اللوحة (السطر ١٣) أنه فى شهر بشنش من السنة الخامسة عشرة من عهد «بطليموس الثانى» أن الملك قد أمر باقامة تماثيل «لأرسنوى» بوصفها الالهة برأس تيس وقد أنعم عليه بلقب محبوبة «منديس» ، وكذلك «فيلادلفس» . غير أنه ليس واضحا فى المتن على وجه التأكيد الى أى درجة من الحيوانية توجد فى ترجمة عبارة « صورة تيس » التى نجدها فى المتن المصرى ، غير أنه من البدهى أنها كانت قد مثلت فى صورة توحدها بالتيس

(١) راجع (Cairo 22181
(٢) راجع (A.Z. XIII, 93

المقدس من حيث قداسته وحسب لا من حيث صورته ، وقد كان يكفى لان يفهم الاغريقى ذلك أن تمثل بقرن كبش كما فهم «لزيماكوس» من تمثيل «الاسكندر» . أما المصرى فكان يذهب الى أبعد من هذا ، ولكن لسوء الحظ لم نجد لها تماثيل بهذه الصفة فيما خلفته لنا الآثار المصرية . أماحقيقة أنه كان تيس «منديس» لا «آمون» الذى كان موضوع البحث فعلا فليس لذلك أهمية تذكر ، وذلك أنه تنفيذا لاغراض بطليموس كان اله الكبش يمكن أن يقوم مقام غيره من الآلهة ، والواقع أن «منديس» كانت مركزا للعبادة أكثر ملاءمة لبلاط «الاسكندر» عنها فى «طيبة» أو «سيوة» . وذلك لأن هذين المكانين كانا أبعد بكثير عن العاصمة . هذا فضلا عن أن «طيبة» لم تكن محبوبة فى نظر الأسرة الجديدة ، ومع ذلك فانه مما تجدر ملاحظته أنه كانت قد قامت نهضة بناء جديدة فى «طيبة» فى عهد «بطليموس الثانى» ، — فى حين أن قبضة مصر على «سيوة» لم تكن مؤكدة . والنقطة الهامة حقا فى هذا الموضوع هى أن أميرة أغريقية مثل «أرسنوى» كانت قد أوثقت علاقتها باله مصرى وهذا كان يعد اجراءا جديدا فى بابه ، وقد عمل هذا بأمر من الدولة أى بدافع من الاغريق لا من المصريين لأنه لم يكن لهم من الأمر شىء (١) ، ولكن عمل لأرضاء الكهنة المصريين والشعب المصرى الذى كان عماد ثروة البطالمة .

وتدل كل القصة التى تحتويها لوحة «منديس» على علاقة وثيقة على غير المألوف بين «أرسنوى» وعبادة «الكبش» التى كان يمثلها تيس «منديس». واذا كان «بطليموس» قد أراد أن يمنح أخته مجرد مكانة فى مجمع الآلهة الوطنى فانه كانت توجد فى مصر عدة الهات تتلاءم أكثر معها ، ويمكن توحيدها بها أكثر من الاله «مندبس» : والواقع أن المنشور الذى جاء فى

---

(١) راجع (W. Otto Priester und Tempel II, 271

لوحة منديس» يأمر باقامة تماثيل لها بوصفها الهة ضمن الآلهة فى كل المعابد . وحقا نجد أنه فى السنين القليلة التى أتت بعد ذلك عدة آثار لها تدل على ادخالها فى عدة عبارات أخرى ، ولكن اندماجها فى عبادة «منديس» لم يكن الأول من حيث الزمن وحسب بل كان يعد غريبا فى بابه من حيث شكل توحيد «أرسنوى» بهذا الاله . ولا بد أنه كان هناك سبب خاص لهذا الاجراء والسبب الذى يعد مفتاحا لبراهين أخرى فى هذا الصدد هو أن «أرسنوى» كانت المسئولة عن تعظيم عبادة «التيس» وذلك بأن جعلت آمون رتبط ارتباطا وثيقا بأقدار أسرة البطالمة ، وذلك باحضارها من تراقيا الفكرة بأن «الاسكندر» كان معترفا به ابنا «لآمون» (الذى كان يمثل أحيانا فى صورة تيس) ومما سبق نفهم أن «أرسنوى» كانت تريد أن تحقق أمنية الشعب المصرى الذى كان يتمسك بتقاليده ولو كان فى ذلك ما يناقض العادات الاغريقية . وقد تبعها فى ذلك زوجها «بطليموس» . وقد عمل كل من «أرسنوى» و «بطليموس» على السير بهذه الفكرة الى أبعد حدودها . ومع ذلك اذا فرضنا أن زواجه من أخته كان لغرض سياسى فلماذا لم يقتصر حادث الزواج هذا عليه هو واخته «أرسنوى» وحسب ، بل الواقع أنه أصبح سنة فى ملوك هذه الأسرة لا مندوحة عنها حتى انقرضت . ولقد علل ذلك بعضهم أن مثل هذا الزواج قد وقع مع الآلهة الاغريق فلا غرابة أن يحدث مع ملوك البطالمة الذين كانوا ينسبون أنفسهم للآلهة ، فقد تزوج «زيوس» من «هيرا» . والمطلع على تاريخ الديانة الاغريقية وأصولها يجد أن هذه مأخوذة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة عن الديانة المصرية القديمة فى كثير من الأحوال فالاله «زيوس» والآلهة «هيرا» يقابلهما عند المصريين « أوزير » و «ازيس » الخ ...

حقا كانت «ارسنوى» امرأة واهية ماكرة صاحبة سلطان عظيم على زوجها الرخو السمين لدرجة أنها لم ترض أن تكون ملكة وحسب ، بل اشتركت

معه فى الحكم فعلا اذ كانت تضع صورة رأسها على النقود ولبست التاج مثل والدتها ، ولما أخذت تدير شئون الملك بمهارة عظمها الاغريق وانتحلوا لزوجها البغيض فى نظرهم من أخيها — والمحبب فى أعين المصريين — بأنه زواج مقدس على غرار زواج «زيوس» من أخته «هيرا» وان كان ذلك غير الحقيقة . وفى اعتقادى أن هذه هى المرة الثانية التى حاول فيها ملوك البطالمة التقريب بين الشعبين الاغريقى والمصرى عن طريق العقائد الدينية والتقاليد الوطنية فكانت الأولى كما ذكرنا آنفا عندما حاول «بطليموس الأول» التقريب بين معبود المصريين «أوزير أبيس» ومعبود الاغريق ««سيرابيس» ، والمرة الثانية هى التى قامت بها «أرسنوى» وهى التقريب بين «آمون» و «سيرابيس» وذلك بالعودة الى عبادة «آمون رع» والتمسك بمبادئها والتى من مقوماتها حفظ الدم الملكى الالهى طاهرا فى الأسرة المالكة بزواج الملك من أخته وشقيقته ، وكان هذا الاجراء أحب شىء عند الشعب المصرى . (أنظر فيما بعد ترجمة لوحة منديس) .

وفى تلك الأثناء نرى أن «انتيوكوس» قد وطد العزم على غزو مصر عام ٢٧٤ ق.م. اذ تراه قد ضم الى جانبه «ماجاس» أخ «بطليموس» الذى كان وقتئذ حاكما فينيقيا ، وقد زوجه «أنتيكوس» من ابنته «أباما» ، ومن أجل ذلك أعلن استقلاله عن مصر . وعلى أثر ذلك نجد أن «ماجاس» قد بدأ زحفه على مصر عام ٢٧٤ ق.م. وكاد يصل فى زحفه الى الاسكندرية بسبب عصيان الغاليين المرتزقين ، وهنا تظهر «أرسنوى الثانية» على مسرح الحرب فقد توصلت بتدبيرها أن جعلت جنود «مرمريقا» الليبيين يقومون بثورة على «ماجاس» من وراء ظهره ، وذلك بفضل ما اتهم به من مال ، وعلى ذلك لم يجد «ماجاس» بدا من أن يرتد على عقبيه عائدا الى بلاده . أما الجنود الغاليون العصاة فانها حصرتهم فى جزيرة وأتت عليهم جميعا ولم تأت نهاية هذا العام حتى كانت قد ضمنت لنفسها عدم تدخل «انتيجونوس»

اد كانت قد ضمت الى جانبها «بيروس» ملك «أبيروس» ومدته بالمال فأعلن الحرب على خصمها ، غير أن «أنتيوكوس» لم ينهض قط لمساعدة «ماجاس»، وذلك لأنه كان مضطرا للبقاء فى آسيا الصغرى ، لأن الأسطول الذى كان يقوده «كاليكراتس» كان مجهزا تماما بسفن نقل وجنود مرتزقين ، وقد أرسله «بطليموس» لمهاجمة «كليكيا» التى كانت تعد مفتاح «آسيا الصغرى» وبذلك يضطر الى المحاربة من أجل المواصلات بين أنتيوك (أنطاكية) و «سرديس» ، فى حين أنه كان قد استأجر قرصان بحر لتخريب سواحله ، ومن المحتمل أن الغاليين قد سدوا الطريق الثانية فى وجهه ، كما كان من الجائز كذلك أن بعض العرب قد هاجموا مصر من جهة الصحراء ، وذلك لأنه فى شهر هاتور (يناير) سنة ٢٧٣ ق.م. كان كل من « بطليموس » و « أرسنوى » فى مدينة «هيروبوليس » قد تشاوروا معها فى أمر حماية مصر من الأجانب هناك ، وفى عام ٢٦٩ ق.م. حفر «بطليموس الثانى» قناة لحماية مصر فى هذه الجهة تربط بين البحر الأبيض والبحر الأحمر بواسطة النيل (راجع مصر القديمة الجزء الثالث عشر صفحة ٦٦٥ الخ)

وفى عام ٢٧٤ ق.م قامت مصر بفتوح واسعة على شاطىء «آسيا الصغرى»، ولكن لا يمكن القول بأن «انتيوكوس» قد اضطر فى عام ٢٧٣ أو ٢٧٢ق.م الى ابرام صلح . وقد أفلح الأخير فى المحافظة على شرقى « كليكيا » ، وكانت أملاك «بطليموس» عند ابرام الصلح تشمل النصف الغربى الواقع خلف نهر «كاليكادنوس» (Calycadnus) من «كليكيا» حيث نجد بلدين الأولى باسم«فيلادلفيا» والثانية باسم «أرسنوى». وكذلك الساحل الشرقى «لبامفيليا» مضافا الى ذلك «فازيليس» (Phasilis) ويحتمل كذلك «اسبندوس» (Aspendus) ومعظم «ليسيا» و .ميليارد» (Milyard حيث أصبحت «باتارا» تدعى «أرسنوى» ، وكذلك استولى «بطليموس»

فى «كاريا» و «أيونيا» على «كاونوس» (Caunus) و «هليكارناسوس» (Halicarnasus) و «ميندوس» (Myndus) و «كنيدوس» (Cyclades) ويحتمل كذلك ميليتوس (Miletus) ، وفى بحر ايجه استولى «بطليموس» خلافـا «لساموس» «وتيرا» (Thera) و «سـيكلادس» (Cnidus) على «ساموتراس» التى قدمتها له «أرسنوى» مهرا لها على الأرجح وعلى الرغم من أن دمشق بقيت فى يد «السليوكيين» فانه حصل على «أرادوس» (Aradus) و «ماراتوس» (Marathus) وبذلك جعل كل فنيقيا مصرية ؛ يضاف الى ذلك أن «ماجاس» حاكم «سيرينى» قد اعترف بسيادة أخيـه «بطليموس الثانى» فكان ذلك نجاحا عظيما لمصر .

ولا نزاع فى أن الأعوام من ٢٧٢—٢٧٠ق.م عندما طارت «أرسنوى» صاعدة الى السماء فى التاسع من يولية كانت أعواما ذهبية فى تاريخ المملكة المصرية. فقـد كانت «الاسكندرية» تنمو بسرعة عظيمة من حيث الفخامـة المادية والأعمال العقليـة التى انجزت فى خلال تلك الفتـرة وقد أتحفنا الشـاعر «تيوكريتوس» (Theocritus) بمدائحه «لبطليموس» فقد وصفه بأنـه أعظم ملوك العالم وأكثرهم ثراء اذ كان تحت سلطانه ١٣٫٣٣٣ مدينة . وقد تنبأ له الشاعر «كاليماكوس» فى أنشودة دبجها ببراعة لمدينة «ديلوس» — والمرجح أن «أرسنوى» قد طلبت اليه أن ينشدها فى «بطولاميا» التى فى «ديلوس» وجاء فيها أن «بطليموس» سـيحكم العالم من مشرق الشمس الى مغربها .

وقد أقام خلف الجزيرة تمثالا «لكاليكراتيس» (Callicrates) الذى كان نائب البحر مثل «فيلوكليس» وقد كرمه فى جزيرة «ساموس» فرد من أهلها هو والملك والملـكة ، وهـذا حادث فريد فى بابه لم يعمـل من قبـل لأحد أفراد الرعيـة . ولكن «أرسنوى» ربة الـكثرة وسيدة النصر التى علمت مصر كيف تستعمل أسطولها والتى قلبت الخيبة الى فوز ، كرمت فى حياتها

وبعد مماتها بما لم يعمل مثله الا للقليل من النساء . فقد كانت تحمل اسم تتويج كاسم تتويج الملك ، وأقيم لها تمثال بين تماثيل ملوك البطالمة وضع أمام «أوديوم أثينا» وبجوار تمثال «بطليموس الثانى» ، وكان المهدى لهما هو «كاليكراتيس» فى «أولمبيا» . وفى الاسكندرية كان يسمى باسمها عدد كبير من شوارعها كما كان يطلق على عدد كبير من المدن الواقعة حول شواطىء بحر ايجة . وهناك أسطورة تقص علينا أنه كان لها تمثال منحوت فى الياقوت الأصفر المستخرج من البحر الأحمر .

هذا وقد وضع تصميم لأرسينويون (Arsinoeion) حجرة مغناطيسية حيث كان يوجد تمثال لها من الحديد يجب أن يسبح حرا فى وسط الهواء بوصفه خالدا . وقد أصبحت «أرسنوى» فعلا خالدة . فنجد فى كل معبد وطنى قد نصب تمثالها بجانب آلهة مصر الخالدين وأصبحت تعبد مثلهم . وكانت تعد فى نظر الاغريق الاله «فيلادلفوس» أى حبيبة أخيها مثل «هيرا» ملكة السماء . ومن بين الأسماء التى كانت تعبد بها اسم «هيرا» نفسه . وقد انتشرت عبادتها خارج مصر فى كل عالم الجزر الاغريقية ، هذا وقد أصبحت بعد موتها موحدة بالالهة «افروديت» و «ازيس» . أما فى عبادة الأسرة الرسمية فقد كان لها مكانها وكاهنتها على حدة . وأقيمت لها المحاريب فى الاسكندرية وفى «ديلوس» وأقام لها «كاليكراتيس» معبدا فى «زفيريون» (Zephyrion) بوصفها أفروديت «زفيريتيس» وقد أشاد بذكره الشاعر «پوزيديپوس» (Poseidippus) ، أما من حيث اعتقاد القوم الذين كانوا فى خدمتها فقد ابرزه فى أحسن صورة «هيرمياس» مشرف «بطليموس الثانى» على الجزر، فقد أقام هذا المشرف بعد موتها بمدة قصيرة فى «ديلوس» آنية عيد «فيلادلفيا» (١) على شرف آلهة «ديلوس» وعلى شرف الالهين

---

(١) وهذا العيد كان يقام سنويا وكان القصد منه تقديم انية منقوشة تقدمها مجموعة من العذارى وهي تغنى .

الجديدين «بطليموس الثانى» و «ارسنوى» . وفى حين نجد فى الاهداء الذى نقش على الأوانى ان اسـم «بطليموس الثانى» قد وضع فى آخـر الاهداء ، فان اسم «ارسنوى» احتل المكانة الأولى على الكل فتقدم على «أبولو» نفسه (١) .

حرب « كريمونيديس »

لقد ترك موت «أرسنوى» فى نفس «بطليموس الثانى» أثرا عميقاالدرجة أنه ألهها ، فقد وجدناه منذ شهر بشنس من السنة الخامسة عشرة من حكمه أى بعد موتها مباشرة يؤلهها ويقيم لها الشعائر على حسب الطريقة المصرية فى معبـد «تيس منديس» كمـا يشـاهد ذلك على لوحة «منـديس» (Mendes Stele L-11-31) ، اذ نرى فى الجزء الأعلى من هـذه اللوحة «بطليموس الثانى» ممثلا وهو يقدم الطاعة للتيس وقد صفت خلفـه عدة آلهة وفى نهاية الصف ترى «أرسنوى» فى هيئة الهة . هذا ونشـاهده فى السنة التالية فى لوحة«بتوم» (تل المسخوطة) وهومنهمك فىادخال عبادةزوجه «فيلادلفس» فى معبد آتوم وقد أقام فى مدينة «أرسنوى» الجديدة معبدا له ولأختا «أرسنوى . وهذه المدينة أسسها علىمياه «كمور» (اقليم البحيرات المرة) (راجع مصر القديمة الجزء الثالث عشر ص ٧٠١) . وكانت الأحتفـال الافتتاحية لاقامة شـعائر عبادة «أرسنوى» تتتابع سنويا فى معابـد مصر المختلفة على الطريقة المصرية . أما فى الاسكندرية فقد أقام لها عبادة خاصة على حسب الشعائر الاغريقية يقيمها كهنة خاصين ولم تلبث الا قليلا حتى انتشرت عبادة الآلهة «فيلادلفس» فى كل البلاد الاغريقية كما ذكرنا منقبل.

والواقع أن روح هذه الملكة المؤلهة باسم «أرسـنوى فيلادلفس» قد استمرت تبعث قوتها فى السياسة المصرية ، وأنها لو امتد بها الأجل لكان للسياسة المصرية شأن آخر . ولما حلت بها الهزائم التى انتابتها بعد موتهـا .

C.A.H. VII P. 700-5.
(Mendes Stele L. 11-13)

ومما يؤسف له جد الأسف ان السنين التى أعقبت موتها جاءنا تاريخها غامضا لدرجة بعيدة ، ولذلك فان ما سنذكره هنا بعد ، عن الحروب التى قامت فى تلك الفترة بين «بطليموس الثانى» وخصومه لا يعتمد على وثائق أصلية وأن الحدس والتخمين قد لعبا دورا فى قصتها .

وعلى أية حال يظهر أن «بطليموس الثانى» بعد موت «أرسنوى» أخذ فى حل المسائل العويصة فى سياسة البلاد وهى التى كانت تسعى «أرسنوى» الى أن تحلها على حسب آرائها الخاصة وخططها الماكرة . ففى عام ٢٧٢ ق.م مات «پيروس» فى الحرب التى شنها على «انتيجونوس» ، وقد كان ذلك سببا فى تقوية مركز الأخير ، ومن ثم أصبح واضحا أنه اذا قويت مقدونيا فان ذلك معناه تهديد لمصر ، ومن ثم كان لا بد من ايقافه عند حده . وكانت «أرسنوى» تطمع فى أكثر من ذلك ، اذ كانت ترمى الى الاستيلاء على عرش مقدونيا لابنها «بطوليمايوس» بن «ليزيماكوس» ، ومن المحتمل أنها كانت تحلم فى جمع شمل امبراطورية «ليزيماكوس» من جديد وتنصيب ابنها على عرش والده الذى مات غدرا . على أنــــه كان هناك خطر اذا مـــا أصبح «بطليمايوس» ملكا على مقدونيا ، اذ كان من الممكن أن ينحاز الى المقدونيين فى عدائهم لمصر ، وعلى ذلك فانه من الجائز تفاديا لذلك أن نجد «بطليموس الثانى» عندما رأى أنه لا مناص من الحرب اشرك «بطليمايوس» هذا معه فى الملك عام ٢٧٦ ق.م ، وبذلك كان يحكم كذلك أملاك « ليزيماكوس » السابقة . وتدل الظواهر على أن «أرسنوى» كانت قد كونت حلفا من بلاد اليونان لمحاربة «انتيجونوس» ، غير أن الحلف لم يقم بمحاربة الأخير الا بعد موت «أرسنوى» ، وذلك لأن «بطليموس» كان يسير على هدى سياستها. وكانت الخطة التى وضعت لهذه الحروب هى مهاجمة «انتيجونوس» بحلف اغريقى قوى تمده مصر بالمساعدة .

وقد جاءت مبادرة الحرب من ناحية «أثينا» ، وذلك أنه على الرغم من أن

أصدقاء «اتيجونوس» كانوا يحكمونها فيها حوالى عام ٢٧١ ق.م . هـذا وكان أهل «أثينا» يبغون التحرر التام والتخلص من نير مقدونيـا . ومما يجب ملاحظته هنا أن أثينا كانت فى حاجة الى الغلال من الخارج ، ولم يكن لها وقتئذ مصدر للحصول على هذه المادة الا عن طريق مقدونيا أو مصر ؛ ولذلك لم يكن فى مقدور الأثينيين أن يهاجموا مقدونيا الا اذا وثقـوا من معونة مصر لهم واتفق أنه فى تلك الفترة زارت بعثة مصرية «أثينا» ، وقد دعى لاستقبالها فلاسفة مختلفون من بينهم «زينو» والظـاهر أن الحديث الذى دار بين المصريين والفلاسـفة الأثينيين كان ينطوى على عـداء للمقدونيين بدرجة عظيمة ؛ ولا أدل على ذلك من أن أحد المبعوثين سـأل «زينو» فى حفلة غذاء ، وكان ملازما الصمت : « ما الذى يريد أن ينقـله عنهم للفرعون بطليموس الثانى ؟ » فأجابه «زينو» : «خبره أن هناك رجلا واحدا فى «أثينا» يعرف كيف يحفظ لسانه» .

وفى عام ٢٦٧ ق.م سقط الحزب الموالى لمقدونيا وبذلك أصبح الحـكم فى أيدى الحزب الوطنى وهو الذى تحـالف مع مصر . وكان قائد هذا الحزب جلوكون (Glaucon) ابن «اتوكليس» (Etocles) وكان أخوه الصغير المسمى «كريمونيديس» (Chremonides) أحـد تلاميذ الفيلسوف «زينو» واكبر داعية لاعلان الحرب على المقـدونيين ومن أجل ذلك سميت هذه الحرب باسمه (حرب .كريمونيديس») . وقد انضم الى مصر فى هذه الحرب « اسبرتا» ومعها « اليس» (Elis) وأخايا (Achaea) و «وأركاديا» الشرقيـة وتجيـا (Tegea) وماتنينيـا (Mantinea) و«أوركومنوس» (Orchomenus) وكافيا (Caphyae) وفيجالا (Phigalea) هذا بالاضافة الى عدة مدن كورنثية طوتها السـياسة المصرية الى جانبها . ولكن على الرغم من أن هذا التغيير السياسى كان بوجه خاص من عمـل الفيلسوف الرواقى «جلوكون» وأخيه الصغير «كريمونيديس» وهما من

تلاميد «زينو» كما ذكرنا من قبل فانه قد ظل مع ذلك صديق «انتيجونوس» وفى سبتمبر عام ٢٦٧ ق.م حرض «كريمونيديس» الحلف على محـــاربة «انتيجونوس» واتخذ اقرارا كان بمثابة اعـلان لتخليص البـلاد من نـير الاستعباد المقدونى ، ولا يزال لدينا متن اعلان الحرب على حسب اقتراح « كريمونيديس » (١) .

وقد جاء فى مقدمة هذه الوثيقة بعد الاشـارة الى الاعمال العظيمة التى قامت بها كل من «اسبرتا» و «أثينا» معا لمقـاومة طغيان الفرس ، ان نفس الأيام السود قد عادت ثانية الى بلاد الاغريق على يد رجال كانوا يسعون فى القضاء على القوانين كما عملوا على تحطيم دساتير الأجداد فى كل مدينة اغريقية ، وأن الملك «بطليموس الثانى» قد عزم على تحرير الاغريق متبعا فى ذلك سياسة والده وأخته «أرسنوى الثانية» . وبعد اتخاذ هذا القرار تقرر عقـد محالفـة بين «أثينا» و «اسبرتا» وحلفـائهما وبذلك تكون كل بلاد الاغريق يدا واحدة لتحارب الى جانب «بطليموس» ضد أولئك الذين خانوا الأمانة مع المدن الاغريقية وحرموها استقلالها ، وبذلك يمكنهم أن يخلصوا «هيلاس» من ربق العبودية .

على أن هذا القرار الذى اتخذ كان يخفى فى طياته انه اذا انتصرت «أثينا» فانها ستصبح بمثابة تابعة لمصر ، وقصارى القول أن المعاهدة التى أبرمت بين «أثينا» ومصر لم تكن وافية بالغرض الذى أبرمت من أجـله ، فقـد كانت «بوشيا» (Boeotia) و «ايتوليا» (Aetolia) على الحياد ، بل وعلى ود مع «انتيجونوس» فى حين أن «أرجـوس» و «ميجالوبوليس» (Megalopolis) كانتا فى جانبه وفضلا عن ذلك كانت ترزح بلاد اليونان فى قبضة يده .

---

(١) راجع (J.H.S. XI. 1920. PP. 150.

والظاهر أن «اتتيجونوس» لم يكن يرغب فى الحرب ، غير أنهاضطر الى خوضها دفاعا عن مصالحه ففى عام ٢٦٦ ق.م نجده يعزو «اتيكا» بقوة من جيشه فى حين كان «آريوس» ملك «اسبرتا» قد خف من جهـــة الشمال بجيشه لملاقاة عدو البلاد . أما «بطليموس» فقد أمر أســـطوله الذى كان بقيادة «بتروكلوس» (Patroclus) المقدونى الذى خلف «كاليكراتيس» وكان كاهن «الاسكندر» فى عام ٢٧٠ق.م ــ أن يسير لمســـاعدة الاغريق فرسى عند جزيرة صغيرة بعيـــدة عن رأس «سونيوم» (Sunium) وقد عرفت لمدة طويلة باسم معسكر «بتروكلوس» ، ومن ثم كان فى اســتطاعة هذا الاسطول أن يشرف على خليج «سارونيك» ، وكانت قاعدة الأسطول الأمامية بلدة «بويسا» (Poissa) فى جزيرة «سيوس» (Ceos) أما «اتتيجونوس» فلم يكن لديه أسطول كاف للدخول فى حرب مع «بطليموس»، ولكن من جهة أخرى لم يكن لدى «بتروكلوس» جنــود للحرب ، وعلى ذلك فانه لم يكن فى استطاعته أن يفعل شيئا الا معاكسة طرق مواصــلات «اتتيجونوس» ، ولكنه أخبر «آريوس» انه اذا هاجم «اتتيجونوس» فانه على ذلك سينزل بحارته لينقض عليه من الخلف ، ولكن فى تلك الأثناء كان «كراتيروس» أخ «اتتيجونوس» وقائده فى «كورنثه» قد حصن خطــوط دفاعه على البرزخ الذى لم يكن فى استطاعة «آريوس» أن يعبره ، هــذا ولم يسهل «بتروكليس » لجيش «آريوس» العبـــور ليحط بكورنثه . ويحتمل أن سبب ذلك هو سيطرة «اتتيجونوس» على كل مرسى فى هــذه الجهة . هذا وقد زحف «اتتيجونوس» نفسه فى داخل «مجريد» (Megrid) لمقابلة «آيوس» ولكن جنوده الغاليين ثاروا عليـــه ، وعلى الرغم من أنه قضى عليهم فان عملياته الحربية فشلت ، وقد عاد فى خريف هــذا العام كل من «آريوس» و «بتروكليس» الى بلاده . ثم عاد «آريوس» ثانية فى العام

التالى ٢٦٥ق.م فهزمه «انتيجونوس» وقتله بعد معركة عنيفة دارت خارج «كورنثه» ، ومن المحتمل أنه قتل فى خلال هـذه المعـركة «هالسيونوس» (Halcyoneus) ابن «انتيجونوس» ، وكان من نتائج هذه الكارثةانتقاض محالفة « البلوبونيز» وسلمت «آخيا» (Achaea) وانضمت «مانتينيا» (Mantinea) الى حلف « أركاديا » . هـذا ولا نعـرف ماذا فعـل «بتروكليس» وقتئذ ، ومن المحتمل أن «بطليموس الثانى» لم يكن يرغب كثيرا فى القضاء على « انتيجونوس » خوفا من « بطلوليمايوس » . هـذا ونعـرف أن «بتروكليس» قد اسـتولى على «متانا» (Methana) «أرجوليد» التى ظلت فى حـوزة مصر مدة قرن من الزمان وقد سـميت «آرسنوى» . هذا ولم تدون لهذا القائد البحرى أعمال أخرى الا استيلاؤه على مؤن «انتيجونوس» ، وعلى أثر ذلك أرسل اليه هدية مؤلفة من سمك وتين أى غذاء الأغنياء والفقراء ، وقد أخبر « انتيجونوس» مجلسه أن هذه الهدية معناها أن لابد له أن يسيطر على البحر أو يموت جوعا ، ولم ينس الملك ذلك . وقد كان من سوء تصرف «بطليموس» أن أصبح فى استطاعة «انتيجونوس» أن يتناول أعداءه كلا على حدة . فنجد أن الاسكندر ملك «أبيروس» كان مشغولا بعد وفاة والده فى حرب «ميتيلوس » (Mitylus) ملك « الليريا» (Illyria) ، ولكنه فى النهاية هزمه واستولى على أملاك «بيروس» فى «الليريا» ، ولحسن حظ « انتيجونوس» أنهلم يدخل الحرب ويغزو جزءا من مقدونيا الا بعـد موت .«أريوس» حوالى عام ٢٦٤ق.م . هذا وقد اقتضت الأحوال أن يترك «انتيجونوس» بلاد الاغريق ، غير أنه كان على ما يظهر فى استطاعته أن يترك أمور الدفاع خلفه لجيشه المـدافع عن وطنه وهو الجيش الذى كان يرأسه اسميا ابنه «ديمتريوس» بن«فيلا» ولم يكن قد تجاوز الثـالثة عشرة من عمره فهـزم «الاسكندر» ملك «أبيروس» وأجلاه عنها ، وحوالى عام ٢٦٣ ق.م تحـول الأسطول المصرى

الى « آسيا الصغرى » وتركت « أثينا » تحارب وحدها دون مساعده أمام قوة « انتيجونوس » . هذا وقد حفظت لنا قصة عن آخر أيام « أثينا » بوصفها دولة فى الصدارة : وذلك أن الشاعر « فيلمون» (Philemon) المسن ، الذى كان فى مقدوره أن يذكر «ديموستين» ، وقد مات أثناء حصار المدينة ، روى لنا أنه رأى فى منام تسع عذارى يغادرن بيته ، وعندما سألهن اذا كن قد ذهبن الى «الميوزس» أجبنه أنه يجب عليهن البقاء لرؤية سقوط «أثينا» . وقد قاومت المدينة الى آخر مالديها من قوة ، ولكنها سلمت جوعاً فى نهاية عام ٢٦٢ ق.م ؛ وفى عام ٢٦١ ق.م عقد كل من «بطليموس» و «انتيجونوس» صلحا قصير الأمد (١) . وقد اتخذ «انتيجونوس» احتياطاته خوفا من قيام ثورة أخرى ، فوضع حاميات حتى فى المدينة نفسها وفى « الميوزيون » وطرد أصحاب المؤامرات . أما «كريمونيديس» وأخوه «جلوكون» فانهما استجارا «ببطليموس» الثانى فأجارهما . يضاف الى ذلك أن الأثرى «فيلوكريس» الذى كان يوقد نار الوطنية فى صدور الأثينيين لمحاربة أعداء الحرية قد حكم عليه بالاعدام لموالاته «لبطليموس الثانى» (١) ، وقد ادعى «انتيجونوس» أن الثورة التى قامت فى «أثينا» لم تكن الا نتيجة دسائس مغرضة قام بها ملك مصر «بطليموس الثانى» (خريف عام ٢٦٣ ق.م) . والواقع أن عدم قيام بطليموس فى هذه الحروب بدور بارز كان يعتبر خيانة لحلفائه . وقد اسف بدوره لذلك فيما بعد أسفاشديدا. ففى الوقت الذى كان فيه اسطوله لا نشاط له على حسب أوامره الا ملاحظة «الارخبيل» وأخذ المؤن لنفسه من «أسيا الصغرى» ، كان «انتيجونوس» يستعد لمهاجمته . والواقع أنه لم تكن تنقصه السفن ، وكان

---

(١) راجع Tarn. C.A.H. Vol. VII, 708 & Note I).
(٢) راجع (Suidas, S. V.

فى امكانه أن يبنى سفنا فى أحواض «تسالونيك» و«كاليس» و«كورنثه» بل وفى «بيروس» أيضا . يضاف الى ذلك أنه فى تلك الفترة كان فى مقدور «بطليموس» أن يرسل اسطوله على أعدائه فى الأرخبيل الذى كان يعتبر وقتئذ بحيرة مصرية . ولكن مما يؤسف له جد الأسف أننا لا نعرف شيئا عن هذه الحملة تقريبا ، وكل مانعرفه من نتائجها لا يخرج عن تلميحات متناثرة هنا وهناك ، فقد انتصر «أنتيجونوس» بالقرب من «كوس» عند رأس «لوكولا» انتصارا حاسما على أسطول مصرى أكثر عددا من أسطوله(١) وقدأحدثت هذه الواقعة دويا فى العالم الهيلانستيكى ، وكان من جرائها أن شهرة «بطليموس» الفائقة قد ضاعت ولم تسترد مكانتها الأولى ثانية قط . والواقع أن هزيمته وسقوطه كان أكثر مما عبر عنه «كاليماكوس» فى شعره عن «كوس» اذ قد أصبح سخرية وهزءا. وقد اعتنى «انتيجونوس» بأن يستغل هذا النصر ، وأن يجعل منه حادثا يمكن قرنه بالانتصار الذى احرزه والده على والد « بطليموس الثانى » ، وذلك أن شعار موقعة «سلاميس» السالفة الذكر هو تاج الملك وتمثال «نيكا ــ ساموتراس» أما شعائر انتصار «كوس» فقد أقيم على المرتفع الذى يواجه الجزيرة فى حرم «أبولون تريوبين» (Apollon Triopien) الذى كان يعتبر مركز الحلف الدورى . وقد كان ذلك يمثل بالسفينة ذات الثلاث أسطح التى أصبحت منذ ذلك الوقت مقدسة فهى السفينة التى هزم من على ظهرها قواد «بطليموس الثانى» (٢) . هذا وقد أتم «انتيجونوس» صلواته وقربانه فى «ديلوس» الواقعة فى وسط خلف الجزائر . و لانعلم اذا كان قد استغل انتصاره هذا ليضع قدمه فى «آسيا الصغرى» بحجة تحرير المدن التى

---

(١) راجع (B.L.I., P. 193, Note 2

(٢) راجع Athen. 122

كان يسيطر عليها عدوه . والواقع أن «انتيجونوس» كان قد عركته تقلبات الدهر ومفاجآته فلم يدخل فى مخاطرات حديدة غير مضمونة العاقبة وقد رأى أن الدخول فى حرب جديدة قد يؤدى الى ارتباكات جديدة فى بلاد الاغريق أو مقدونيا .

وتدل شواهد الأحوال على أن المناوشات بعد موقعة «كوس» قد أوقفت دون عقد صلح أو حتى مفاوضات لابرام معاهدة ، وذلك على ما يظهر حرصا من ناحية الغالب واستسلاما من ناحية المغلوب وهذا التسليم من جانب «بطليموس الثانى» قد بدى أمرا غريبا من ملك محب للزهو والفخار . والواقع أنه قد خرج من هذه المعركة وهو مجروح بفقدان سيطرته على البحار ؛ غير أن الخسارة التى لحقت باسطوله كان من الممكن اصلاحها ، ولم يكن ينقصه غير المال . وكان بطبيعة الحال يهمه أن يثأر لنفسه ، غير أن الحزم الذى كانت تصحبه قوة الارادة الجبارة التى كانت عند والده قد تحولت عنده الى جبن وخور . هذا الى أنه كان يخشى بعد هذه الهزيمة من قيام محالفة هجومية بين «انتيوكوس» و«انتيجونوس» ، وفضلا عن ذلك كان يعد نفسه سعيدا ، ان يرى «سليوكوس» يلقى السلاح مبكرا جدا أو أن ينشغل فى الاستيلاء من جديد على «برجامم» بوصفه وريثا «لفيلتروس» الذى كانت قد عاجلته المنية (عام ٢٦٣ ق.م) حتى يمكنه أن يبتدىء الحرب فى «سوريا» من جديد . ولما كان لدى «انتيجونوس» من الأسباب القوية ما يجعله يكف عن الهجوم فان الأحوال قد ظلت على ما هى عليه ، وأخذ كل منهما يقوم بتدبير أموره على حسب مقتضيات الأحوال .

وعلى ذلك نرى «بطليموس الثانى قد وجد لديه فى خلال حكمه بضع سنين استراحت فيها البلاد من أهوال الحروب فصرفها فى الاهتمام بشعرائه وعلمائه وفى بناء صرح ماليته واعادة تنظيمها على أسس جديدة امتاز بها هو،

وكذلك أخذ فى العمل على اتساع رقعة بلاده من جهة البحر الأحمر حيث أقام عدة مؤسسات لتنمية علاقاته التجارية مع الهند وجنوب أفريقيا . والواقع أنه حوالى هذه الفترة اخترق قواده بلاد «التروجلوديت» وتعمقوا فى داخل بلاد «أثيوبيا» بوصفهم روادا فاتحين وقد أفاد العلم من كل هذه الحملات كما ذكرنا فى غير هذا المكان، فقد وجدنا أن ضباط «بطليموس» مثل «تيموستنيس» (Timosthenes) قد جمعوا ملحوظات ومقاييس استعملها علماء العلوم الطبيعية والجغرافية الذين كانوا يعملون فى «ميوزيون» «الاسكندرية» . هذا وقد رفض «بطليموس الثانى أن ينغمس فى الحروب التى كانت مشتعلة بين «روما» و «قرطاجنة» (حوالى عام ٢٦٤ ق.م).وكان صديق «روما» ، غير أنه لم يرد ان يجعل علاقته تسوء مع «القرطاجنيين» الذين كان فى يدهم طرق التجارة البحرية ، وكان فى وسعهم ان يتفاهموا مع «السيرينيين» . هذا وقد طلب اليه «القرطاجنيون» ان يقرضهم الفى تالنتا ولكنه لم يقرضهم شيئا الا توسطه بينهم وبين عدوهم قائلا أنه صديق الطرفين وسنتحدث عن ذلك فيما بعد .

حرب « ايمينيس »

وعلى الرغم من هدوء الأحوال ظاهرا فى العالم الهيلانستيكى، فانه كان على «بطليموس» أن يكون يقظا لما يجرى حوله فى بحر ايجة من أحداث،وبخاصة بعد الهزيمة الساحقة التى حاقت بالدولة المصرية ، اذ الواقع أنه كان من المحتمل أن تحل به كوارث جسام أخرى وبخاصة اذا كان «سليوكوس» قد اتحد مع «انتيجونوس» عليه ، ولكن لحسن الحظ كان الأخير منهمكا فى متاعبه داخل امبراطوريته وذلك أنه كان مشغولا فى حرب أعلنها «ايمينيس» ملك «برجامم» حوالى عام ٢٦٣ ق.م وهو الذى كان قد خلف عمه «فيلاتيروس» . وكان «ايمينيس» يريد أن يعترف به ملكا ، واتخذ لنفسه سياسة منظمة تسير عليها من بعده أسرته وهى مناهضة «السليوكيين»

والتحالف مع مصر . وكان أعداء « ايمينيس » لبيت « السليوكيين » فى صالح مصر ، ولكن من المحتمل أن مساعدته «لبطليموس الثانى» كان وراءها غرض اقتصادى ، وذلك أن مصر كانت دولة بحرية عظيمة وفى حاجة الى مادة (الزفت) ولكن المحصول السورى من هذه المادة كان قليلا على ما يظهر، وكانت تردالى العالم الهيلانستيكى هذه المادة من «مقدونيا» ومن جبل «ادا» (Ida) الواقع فى اقليم طروادة . وكان جامعو زفت «ادا» لهم علمهم التقليدى وطرقهم فى تحضيره ، وكانت هذه الطرق تختلف بعض الشىء عن الطرق المقدونية . والظاهر أن «انتيجونوس» كان فى مقدوره أن يرخص بالتصدير ، ومن المحتمل انه كان فى استطاعته بواسطة الضرائب أن يرفع أو يخفض ثمن الزفت المقدونى لمدينة ما على حسب وقوعها فى دائرة مصر أو فى دائرته هو. وهكذا كان فى امكان كل من «انتيجونوس» و «انتيوكوس» فيما بينهما أن يجعلا مصر تدفع أثمانا باهظة للزفت فى زمن السلم . ومن المحتمل أنه كان يمكنهما قطعه عنها فى زمن الحرب . ومن ثم كان من صالح مصر اذا كانت لها دولة صديقة مثل «برجامم» أن تحصل على نصيب فى السيطرة على زفت «ادا» . والواقع أن تأسيس «ايمنيس» لبلدة «فيلتيريا» تحت سيطرة «ادا» يوحى أنه فى وقت ما قد أفلح فى أن يكون له مثل هذا النصيب .

وفى عام ٢٦٣ ق.م دخل «ايمنيس» الحرب وقد استطاع «انتيوكوس» فى وقت ما قبل ابريل أن يعيد «سليوكوس» الى مكانته بوصفه مشتركا معه فى الحرب ، وقبل أن يحل ديسمبر مات «سليوكوس» . وتقص علينا رواية متأخرة أن «انتيوكوس» أعدمه بسبب خيانة ارتكبها . هذا ولدينا نقود تشير الى محاولة من جانبه اقامة مملكة مستقلة يحتمل أنها فى بابل . ومهما تكن هناك من حوادث وراء هذه البيانات المجردة عن كل تفصيل فان «انتيوكوس» لابد كان قد أعيق بشدة عن متابعة الحرب . ولا شك فى أنه

فى خلال عام ٢٦٣ ق.م كان اسطول «بتروكليس» قد تحول الى «أسـيا الصغرى» ، وبحلول عام ٢٦٣ ق.م كانت مصر مسيطرة على «ميليتوس» بل و«أفيسوس» التى كانت محط الاطماع . وقد وضعت تحت حـكم «بطليمايوس» هذا بالاضافة الى ساحل «كاريا» ما بـين « ميليتوس » و «هاليكارناسوس» فى حين أن «ايمينيس» بعد أن جمع جيشا عظيما من المرتزقة بمساعدة «بطليموس الثانى» هزم «انتيوكوس» فى عام ٢٦٣ ق.م بالقرب من «سرديس» وثبت استقلاله وزاد فى مساحة امارته التى أصبحت فى عام ٢٦١ ق.م تشمل جانبى وادى «كايكوس» (Caicus) من أول منبعه حتى البحر ، هذا بالاضافة الى شريط طويل من أرض الساحل . وقد مات «انتيوكوس» فى المدة التى تقع ما بين اكتوبر عام ٢٦٢ وابريل سـنة ٢٦١ ق.م. وهذا الرجل الذى لم تعرف شخصيته كان مشـتغلا بالحروب المتلاحقة والاضطرابات فى مملكة مترامية الاطراف ومع ذلك فانه قد أفلح بعض الشىء فى نشر المدنية الهيلانستيكية فى «آسيا» وهو يعتبر الثانى بعد «الاسكندر الاكبر» فى تأسيس المدن الجديدة . ولعمرى أنه من الاسرار التى لم يكشف التاريخ عنها بعد ، كيف وجد «انتيوكوس» الوقت للقيام بكل ما قام به من أعمال . وقد خلفه على عرش الملك ابنـه الاصـغر «انتيوكوس» الثانى وهو الذى لقب فيما بعد بالاله .

أما انتصارات مصر وهزائمها فى كل هذه المغامرات فتـدل شواهـد الأحوال أن سببه كان راجعا أكثره الى حلفائها لا اليها .

الحرب السورية الثانية

كان الملك «أنتيوكوس الثانى» نشطا حازما وكان أول عمل قام به هو السعى فى استقرار الأحوال فى ملكه الشاسع ، ومع ذلك قامت الحرب السورية الثانية فى عهده ، غير أننا لا نعرف شيئا عن أصلها ولا عن سيرها وتقلباتها . ولن نبالغ اذا قلنا أن حقبة عشر السنوات التى تلت موت «انتيوكوس الاول» تعد أظلم فترة فى تاريخ هذا العصر . فلم يمكن حتى سرد حوادثها ، وكل ما يستطيع المؤرخ عمله فى هذه الحالة هو أن يشير الى حوادث مختلفة وما نتج عنها فى تلك الفترة وحسب .

وتدل الظواهر على أن كلا من «انتيوكوس الثانى» و «انتيجونوس» كان له حساب عسير لابد من تصفيته مع «بطليموس الثانى» ؛ ومن أجل ذلك شد كل واحد منهما أزر الآخر للانتقام من عدوهما المشترك . وعلى الرغم من أن «انتيجونوس» كان المنتصر فى حرب «كريمونيدس» فانه لم يكن فى استطاعته القضاء على مصر ، لانها كانت لا تزال صاحبة السيادة فى البحار ؛ غير أن «ديمتريوس» كما هو معلوم كان فى وقت ما صاحب السيادة فى البحر ؛ وقد عزم «انتيجونوس» ان يستعيد ممتلكات والده «ديمتريوس» ، ومن أجل ذلك فان التقريع الذى وجهه اليه «بتروكليس» أمير البحر قد شحذ من عزيمته . فأفاد بطبيعة الحال من صلح عام ٢٦١ ق.م لينشىء لنفسه اسطولا . وكان فى استطاعته ان يتعلم من «سيراكوزه» فى قاعدته البحرية فى «كورنثه» تفاصيل الأسطول الذى كانت تبنيه رومة ، غير أن مخاطراته فى الحرب مع بطليموس الثانى كانت أكثر من مخاطرات روما ، وذلك لأن عدد

أسطول بطليموس فى وقت ما على ما يظهر كان يربو على ثلثمائة سفينة حربية وكان من بينها عدد كبير من السفن الضخمة لدرجة ان متوسط سفن هذا الأسطول كانت من التى لها خمسة اسطح ، وهذا متوسط لم يصل اليه «ديمتريوس» أو «رومة» من قبل ، هذا فضلا عن أنه كان يسيطر على «فنيقيا» التى كانت تورد الى «ديمتريوس» أحسن سفنه ، واذا كان عدد أسطول بطليموس مبالغا فيه بعض الشىء فان امكانيات «أنتيجونوس» من حيث موارد بلاده ومن حيث التقاليد كانت لا تجعله يأمل فى ان يجهزلنفسه أسطولا يربو على مائة سفينة أو على أكثر من مائة وعشرين من التى لها خمسة أسطح. وعلى أية حال فانه كان يفوق خصمه فى أمر واحد ، وذلك أن «كورنثه» التى كانت فى قبضة يده كان مثلها كمثل «سيراكوزه» لها طريقتها التقليدية فى حرب البحار . ففى حين نجد أن كلا من «أثينا» وفنيقيا تفضل فى صنع سفنها السرعة فى تحريك المجداف بمهارة فانها من جهة أخرى كانت تعتقد فى أهمية السفن الثقيلة فى المعارك الحربية . وكما ان «سيراكوزه»قد علمت رومه فان «انتيجونوس» لابد كان قد تعلم فن بناء السفن من «كورنثه» وعلى ذلك فانه اذا كان فى استطاعة الأسطول المقدونى الهجوم على الاسطول المصرى فان النصر لا محالة يكون فى جانبه . والواقع انه لم يكن لدى بطليموس قوى بحرية يمكنها ان تقف فى وجه المقدونيين . هذا وكان «انتيجونوس» يعتمد فى حروبه البحرية على اقتحام سطح مراكب عدوه . ولا أدل على ذلك مما قامت به سفينة قائد بحريته الشهيرة ، فلقد كانت كل السفن الحربية الكبيرة وقتئذ ذات طابع خاص ، اذ كانت جوانب السفينة تعلو سطحها لحماية المجدفين من قذائف العدو .

ومن المحتمل ان الحرب كانت قد بدأت فى «آسيا» ، وذلك عندما اعلن «بطليماوس» العصيان . فقد فطن انه بخيبة مصر فى حربها مع «أنتيجونوس» قد ضاعت امامه كل فرصة فى الحصول على تاج مقدونيا سواء أكان بطليموس

عند ابرام الصلح مع عدوه قد نزل عن حقه أم لا ، ولكنـــه فكر فى ان ابن «لنزيماكوس» كان لا يزال له مطمع فى «أونيا» (Ionia) ، فقد قام فى عام ٢٦٠ ق.م« فى «افيسوس» بثـورة على «بطليموس الثـانى» وقد رحب «انتيجونوس» بهذه الثورة وأرسل اليه طائفة من الجنودالتراقيين ، وفضلا عن ذلك ساعده قائده «تيماركوس» مواطن «ايتوليا» فى «ميليتوس» وفى هذا العام أصبح «ابوللو» ثانية حاكم «ميليتوس» وأطلق عليه اسم العام ، وقد استولى «تيماركوس» بجسارة على جزيرة «ساموس» التى كانتاحدى القواعد البحرية المصرية ، وذلك بطبيعة الحال عندما كان اسطولها فى البحر. غير ان «بطليماوس» لم يكن فى استطاعته المقاومة . ومن المحتمل ان ذلك كان بمناسبة قيام ثورة عليه قام بها انصـــار السليوكسيين ، ومن ثم اســـتولى «انتيوكوس» على «افيسوس» ثانيـــة (عام ٢٥٩ ق.م) وبعـــد ذلك فرض «تيماركوس» نفسه حاكما مطلقا على «ميليتوس» ونهب الشعب ، ولكـــن «انتيوكوس» قضى عليـــه فى باكورة عام ٢٥٨ ق.م واســـتولى ثانية على «ميليتوس» حيث كرمت زوجه «لاؤديس» (Laodice) وبعد ذلك استولى على جزيرة «ساموس» وطرد مصر من «أونيا» وأعاد للمدن الاغريقيةحريتها وحكمها الذاتى ، وقد سماه المواطنون فى هذه المدن اعترافا بجميله «الاله»، وهذه علامة تدل على ان مركزه بالنسبة لهؤلاء الحلفاء الاحرار كان كمركز «الاسكندر الأكبر» ، وأن مركزه بينهم يتوقف على تأليهه . اما «ايمنيس» ملك «برجامم» وحليف بطليموس فلم يكن فى استطاعته مساعدته ، وذلك لأنه كان مكبل الأيدى فى ثورة قام بها أحد أقاربه الذى يدعىايمنيس أيضا. ولا بد من ان «انتيوكوس» كان هو المحرض عليها ، يضاف الى ذلك ان جنوده المرتزقةكانوا قد قاموا بعصيانعليه . وفيما بعد نجد أن«انتيوكوس» طرد مصر من «كليكيا» و «بامفيليا» ، وبذلك استرد كل ما فقده والده فى هذه المديريات ، ولكنه لم يستول على «ليسيا» ، والظاهر ان مصر قـــد

حافظت على أملاكها فى «كاريا» . وعلى أية حال نجد أنه اســتولى على «ساموتراس» واماكن مختلفــة فى تراقيا ، وهدد «بيزنتيــوم» ، ولكن «هيراكليا» ارسلت مددا الى السفن البيزنطية وهو أسطولها القوى ، وعلى ذلك اقلــع «انتيوكوس» عن محاربتها . اما فى «ســوريا» فقد استولى «انتيوكوس» على كل فنيقيا الى شمالى «صيدا» ومنح «ارادوس» حريتها، وقد اضاف لها « سليوكوس الثانى » فيما بعد امتيازات مادية كبيرة جدا. ومن ثم نرى أن «انتيوكوس» قد انتقم لوالده انتقاما تاما من الهجوم الذى قام به بطليموس عليه وذلك فى المحيط الاسيوى .

أما فى «افريقيا» فنجد أن الأحداث فيها قد فتحت له بابا للتدخل ، وذلك ان «ماجاس» ملك «سيرينى» مات حوالى عام ٢٥٩ ق.م وترك خلفه وارثة له فى الرابعة عشرة من عمرها تدعى «برنيكى» . وكان قد زوجها وهو على فراش المــوت من بطليموس بن «بطليموس الثانى» ، وهو الذى أصــبح فيما بعد «بطليموس الثالث» . وقد عارض فى هذا الزواج الحزب الوطنى الكبير فى « سيرينى» ، وذلك على الرغم من وجود حزب مصرى هناك . وكان الحزب الوطنى على رأسه الملكة أم وارثة العرش ، وكانت بدورها فى عنفوان الشباب وتدعى «أباما» أخت «انتيوكوس» . وكانت هــذه الملكة ترغب فى استقلال بلادها ، ومن أجل ذلك قدمت عرش ملك زوجهــا لاخ «انتيجونوس» المسمى « ديميتريوس الجميل» وكان بدوره حفيد«بطليموس الأول» من جهة أمه «بطليمايس» . وكان من المنتظر ألا يقبله الحزب الموالى لمصر ، وقد حضر «ديمتريوس» فعلا الى «سيرينى» وتولى عرش الملك ، ولا شك فى ان ذلك أغضب الحزب المصرى ، هذا فضلا عن أن الملك الجديد قد أبعد «برنيكى» عنه لوقوعه فى غــرام أمها التى كانت تأمل بدورها أن تصبح ثانية ملكة على البلاد . وأخيرا نصبت له «برنيكى» كمينا قتلته وهو فى فراش والدتها حوالى عام ٢٥٨ ق.م ، ومن المحتمل ان هذا الحادث كان

قد وقع بعد ذلك بعدة سنوات كما جاء فى رواية أخرى . ومنذ ذلك الحادث قامت الخصومة بين الحزبين المتعاديين فى «سيرينى» . وفى عام ٢٥١ق.م انتصر الحزب الوطنى . ولكن نجد انه قبل ان يلقب «بطليموس الثالث» بلقب «ايرجيتيس» بمدة استولى ثانية على «سيرينى» . وكان لا بد من الاستيلاء على مدينة «ايهسبيريدس» (Euhesperides) على الأقل ، وقد سميت من جديد « برنيكى» .

وقد كانت الحادثة الفاصلة على ما يظهر فى هذه الحروب فى عرض البحر، وذلك ان كلا من «انتيجونوس» و «انتيوكوس» قد توصل الى محالفة «رودس» . وكانت الأخيرة على الرغم من مصادقتها لمصر تعتبر اعتداءات «بطليموس» المستمرة بمثابة خطر على التوازن الدولى . وعلى الرغم من أن اسطول «رودس» كان صغيرا فانه كان احسن أسطول معد فى بحر «ايجة» . ونجد فى أوائل الحرب ان قطع الاسطول المصرى الذى كان يحمى «افسوس» بقيادة «كريمونيديس» الآتينى المنفى قد هزمها أمير البحر الروديسى المسمى « آجاتوستراتوس» (Agathostratus) وكان يساعد وقتئذ «انتيوكوس» على استرجاع «افسوس» (عام ٢٥٩ ق.م) . وفى هذه الفترة تقابل الأسطول المصرى الرئيسى مع الاسطول المقدونى على مسافة من جزيرة «كوس» ، وكان الاسطول المقدونى يقوده «انتيجونوس» بنفسه على ظهر سفينته . وقد دار بين الاسطولين القتال فى اثناء العاب البرزخ الرياضية . والظاهر ان الواقعة وقعت فى عام ٢٥٨ ق.م لا فى عام ٢٥٦ ق.م كما يظن بعض المؤرخين ؛ ويرجع السبب فى ذلك الى ان بعض انتصارات «انتيوكوس» توحى بان مصر كانت قد كسرت شوكتها فى البحر . وعلى الرغم من ان الاسطول المصرى كان يفوق كثيرا اسطول «انتيوكوس» فان الاخير قد انتصر انتصارا تاما على عدوه مما جعل فى يده قيادة البحر ، وقد انتهت الحرب بان ضاعت على مصر فرصة جعل بحر ايجة بحيرة مصرية .

وفى عام ٢٥٥ ق.م عقد بطليموس الثانى صلحا مع «انتيجونوس» ، هـذا ولدينا قصة تحدثنا ان سـفيره «سوستراتوس» مواطن «كنيدوس» وهو مهندس العمارة الذى قام ببناء منـــارة الاسكندرية وبنـاء الخارجـة المعلقـة فى «كنيدوس» ، قد حصـل له على شروط صـلح كريمـة من «انتيجونوس» وذلك بفضل الاقتباس الذى ذكره هذا المهندس بمناسـبة الصلح من الياذة « هومر » وهو اقتباس مناسب للمقام (١) فاستمع اليه : « ان القلب العظيم يرق » . غير انه جاء فى هذا الاقتباس كذلك ما معناه : على الرغم من ان انتيجونوس كان « بوزيدون» (أى اله البحـر الابيض المتوسط فان بطليموس كان لا يزال «زيوس» (أى أخ بوزيدون) .

وقد نزل فى هذا الصلح «بطليموس الثانى» لانتيجونوس عن جزر الحلف، ولكنه استبقى لنفسه تيرا (Thera) وقد اصبحت فيما بعد قاعدة بحرية مصرية فى بحر ايجة . ولا نزاع فى ان «انتيوكوس» قد حافظ على فتوحه باشتراكه فى هذا الصلح ، غير ان بعضهم يقول انه قد استمر فى الحرب مع بطليموس الثانى حتى عام ٢٥٢ ق.م ، ولكن ذلك كان أمرا مستحيلا ، لأنه لو كان «انتيجونوس» قد تخلى عنه فى عام ٢٥٥ ق.م فان علاقاتهم الودية لا بد كانت قد انتهت ، فى حين أنه فى عام ٢٥٣ ق.م نجد ان «ستراتونيس» أخت «انتيوكوس» قد تزوجت من «ديمتريوس» بن «انتيجونوس» .

وقد اثبت «انتيجونوس» أمام العالم بانتصاره هذا استرداد سلطانه على البحر الذى كان يعده ارثا ورثه عن اجداده ، باقامة خارجة ذات عمد على «ديلوس» تحمل اسمه . وهناك أقام أثرا نقش عليه شجرة نسـبه نحت فى الرخام ، ويحتوى على خمسة عشر تمثالا لاجداده فى حين ان «ديلوس» نفسها أقامت تمثالا للملكة زوجة «فيلا» كما أقام خلف الجزيرة تمثـالا «لاجاتوستراتوس» أمير البحر الروديسى ، غير ان معظم احفاله كانت تتركز حول سفينته الحربية التى كانت تحمل علم البلاد ، وهى التى كان قد نذرها

(١) راجع Illiad. XV, II. 201-203

لملك للاله «ابولو» قبل المعركة فى حالة النصر (١)

بداية الحروب السورية الثالثة :

لم يصبر «بطليموس الثانى» على الهزيمة التى منى بها فى عرض البحر على يد «انتيجونوس» بل أخذ يعمل على استرداد سيادة مصر البحرية . فكان أول عمل قام به لتحقيق أمنيته هو انه فى اواخر عام ٢٥٣ أو بداية عام ٢٥٢ ق.م حرض أو ساعد «الاسكندر» ملك كورنثه على القيام بثورة فى وجه «انتيجونوس» ، وكانت النتيجة ان حرم من قاعدتيه الحربيتين فى بلاد الاغريق وهما «كورنثة» و «كالسيس» . ريحتمل كذلك انه استولى على اسطوله هناك ، وبذلك أصبح مشلول اليد فى البحر . على اننا لا نعرف ما الذى حدث فى عرض البحر لقلة المصادر التى فى متناولنا ، ومن المحتمل ان «انتيجونوس» كان لا يزال حتى عام ٢٥٠ ق.م مسيطرا على «ديلوس» . وعلى الرغم من أن بطليموس الثانى قد استعاد هذه الجزيرة الأخيرة فى عام ٢٤٩ عندما اسس عيد الآنية المسمى «بطولميا» (Ptolemaieia) فان «حلف الجزيرة» قد شتت شمله حوالى هذه الفترة . وهذا يعنى ان «انتيجونوس» قد أفلح فى الاحتفاظ ببعض الجزر ، وعلى ذلك فان انتصار بطليموس الثانى فى البحر لم يكن على ما يظن انتصارا حاسما .

ولكن من جهة اخرى نجد ان «بطليموس الثانى» على أية حال قد نال انتصارا سياسيا ، وذلك لأنه حوالى ٢٥٣ق.م قد أفلح فى كسب «انتيوكوس» الى جانبه . فقد تزوج الأخير ابنة عمه لأوديس (Laodice) بنت آخايوس (Achaeus) وهو أخ أصغر للملك انتيوكوس الأول وقد انجبت منه ذكرين وابنتين وكانت امرأة صاحبه شخصية مسيطرة . وقد أفلح بطليموس فى اغرائه اغراءا تاما على التزوج من ابنته «برنيكى» التى كانت اصغر منها سنا ، وقد زاد فى اغرائه بانه سيقدم له مبلغا عظيما من المال مهرا لهـا

(١) راجع (C.A.H. VII. P. 714)

والظاهر ان هذا المهر كان مضرب الأمثال فى تلك الفترة ، ولكن بشرط ان يئول ملك «انتيوكوس» لابن «برنيكى» ان هى انجبت ذكرا . والواقع ان هذه الصفقة كانت كسبا منقطع القرين للملك بطليموس . غير أن السؤال المحير فى هذا الموضوع هو : لماذا قبل «انتيوكوس» هذا العرض ؟ وعلى أية حال فانه على أثر قبول «انتيوكوس» عرض «بطليموس» ارسل الأول زوجه «لاؤديس» وأولادها الى «افسوس» ، وبعد ذلك جاءت «برنيكى» الى «فنيقيا» عن طريق البحر فى أواخر عام ٢٥٣ق.م وتم الزواج فى العام التالى . والآن يتساءل المرء فيما اذا كان «بطليموس الثانى» يأمل فى ان يبذر بذور الشقاق بين أسرة سوريا الملكية على حساب ابنته ، ويعمل على أنه لو حدث ان « انتيوكوس » لم ينجب ذكرا من زواجه الجديد فان حقوق أولاد «لاؤديس» يمكن ان تكون دائما موضع نزاع . ومهما يكن من أمر فان المؤرخ «هيرنوم» قد حدثنا ... ان بطليموس صاحب ابنته حتى «بلوز» ، وانها دخلت انطاكية فى موكب فاخر ، وان الشائعة كانت عظيمة عن الثروة التى حملتها هذه الأميرة لزوجها (١) . وقد حكى عن عظمة هذه الأميرة الرفيعة الشأن العظيمة القوة انها لا تشرب الا من ماء النيل الذى كان يرسله اليها والدها بمصاريف باهظة (٢) . ويجب علينا ألا نغمط «لأوديس» حقها فقد كانت تعتبر قبل زواجها الهة ، هذا الى الغبن الذى لحق بأولادها . وعلى أية حال فان كبرياء «لاؤديس» المنحدرة من ظهر ملك قد أبى عليها ان تكون حظية وحسب . وقد ظن «انتيوكوس» بما فطر عليه من صفات مخزية حرمته الحس الخلقى الرفيع ، ان «لأوديس» ستدخل معه فى مغامرات السياسية النفعية وتخضع لمشيئته وترضى بما عرضه عليها من ثراء ونعيم مقيم اثناء اقامتها فى «افسوس» مقرها الذى أرسلها اليه . وقد كان «انتيوكوس» مع ذلك لا يشك فى الحقد الدفين الذى يكمن فى صدر هذه المرأة ، وبالثمن

---

(١) راجع Hierion, In Daniel CXI

(٢) راجع Polyb, ap. Athen. II. P. 45, b-c.

الذى سيدفعه يوما ما جـزاء خيانته لها ولاولادها عندما تحين الفرصـة . والواقع ان «بطليموس» الذى ظن انه قد عمل عملاسياسيا يعد نسيج وحده لم يكن قد فكر فى انه ارسل ابنتـه لتلقى حتفها ، وان مؤامرته المصـطنعة سيقضى عليها بضربة واحـدة من يد الزوجـة التى ديس شرفها وحط من كرامتها . أما ما كان من أمر «برنيكى» فانها رزقت ابنا من «انتيوكوس» ، وبحلول عام ٢٥٠ ق.م ظهرت مصر وكأنها قد كسبت بالمال والسياسة ما لم يكن فى مقدورها ان تكسبه بحد السيف غير ان مشروعات بطليموس قـد أصابها الفشل لوقوع ثلاث وفيات أولاها موت «الاسكندر» ملك كورنثة الذى وقع فى عام ٢٤٧ ق.م . وعلى أثر ذلك لم يمض عام ٢٤٦ حتى استرد «انتيجونوس» كورنثه وسفنه التى كانت فيها . وعلى حسب ما لدينا من معلومات يمكن ان يكون «انتيوكوس» قد مات ما بين اكتوبر ٢٤٧ ق.م ويناير سنة ٢٤٧ ق.م وهذه هى الوفاة الثانية . .أما الوفاة الثالثة فـكانت وفاة بطليموس الثانى نفسه فى يناير سنة ٢٤٦ ق.م وخلفه على عرش الملك ابنه بطليموس الثالث ايرجيتيس .

هذا ولم يكن لدى بطليموس الثانى فى آخر ايامه شيء يشـغل باله الا شيخوخته فقد اعتلت صحته وانحطت قواه ، وأين المفر ؟ ومع ذلك نسمع انه انكب على النساء . وعلى الرغم من ثقافته العالية وحبه للعلوم الطبيعية وبحثه فيها فان حبه لنفسه وتمسكه باهداب الحياة وطول البقاء قد حوله الى رجل مغفل يصدق ما يقال له ما دام خاصا بصحته . فقد كان يطلب الى الدجالين ما لم يجسر اطباؤه على الوعد به . وفى الحق بلغ هذا الملك مبلغا عظيما من البدانة والرخاوة مما اتلف صحته وأقعده . وقد كان الوهم يسيطر على نفسه لدرجة انه كان يحسب انه سيعيش مخلدا ، وانه هو الوحيد الذى عرف سر الخلود (١) . والواقع ان بنيته التى لم تكن يوما من الايام قوية

(١) راجع Phylarch. Ap. Athen. XII. P. 536; Mahaffy, Empire of the Ptolemies. P. 163.

قد بدأت تنوء تحت عبء السنين التى عاشها ولم يكن يعزف فى خلالها قط الزهد أو الاعتدال . فمما يحكى عنه أنه ذات يوم عندما كان يعانى آلام النقرس الذى كان سببه الافراط الفاحش ، نظر من نافــذة فرأى مصريين يتناولون وجبة غذائهما على شاطىء النهر بما كان لديهم من طعام ، وقــد قعدوا على الرمل فى حرية تامة والصحة بادية عليهما، وعندئذصاح بطليموس قائلا : ما اتعسنى ليتنى كنت واحدا من هؤلاء الناس (١) . على انه ليس لدينا حاجة لذكر مثل هذه الاســاطير التى كثيرا ما نسمعها عن اصــحاب اليسار الذين اصابتهم الأمراض . لاجل ان نقنع بأن «بطليموس الثانى» عندما حلت به الشيخوخة كان يحس أحيانا ان الثراء ضار وان الصــحة والعافية مفضلتان على الثراء . وعلى أية حال فان الموت الذى كان يرهب شبحه ، والذى حلم من أجل تحاشيه سنين طويلة كلها أمل بطول العمر قد وافاه وهو فى التاسعة والثلاثين من سنى حكمه والثالثة والستين من سنى حياته (عام ٢٤٦) . وافاه فى الوقت المناسب فقد خلصه من خيبة أمل كانت لا بد نازلة به فتصيبه فى كبريائه وعظمته .

وتدل الاحوال على ان «بطليموس الثانى» على ارجح الاقوال قد دفن مع والديه الالهيين فى «سيما» Sema الاسكندرية ، وذلك قبل ان يشهد المصائب التى حلت بابنته برنيكى زوج «انتيوكوس» وابنه الصغير . وكان «بطليموس الثانى» يشبه أمنحتب الثالث فى ثروته ورخاء البلاد فى عصره (٢) وكذلك من حيث الفخفخة ، كما كان مثله منكبا على النساء والوقوع تحت تأثيرهن (٣) . والواقع ان الكتاب الاغريق قد ذكروا لنا فيما كتبوه عن عدد من حظياته ونخص بالذكرمنهن مصرية تدعى باسم اغريقى «ديدم» (Didyme)

---

(١) راجع Phylarch. loc. cit.

(٢) راجع مصر القديمة ، الجزء الخامس ص ١٣٢

(٣) راجع مصر القديمة ، الجزء الخامس ص ٢٥١ – ٢٥٣ .

وأخرى تدعى «ميرتيون» (Myrtion) وكانت تعمل فى مسرح كوميديا وهى من أصل وضيع فلما تعلق بها بطليموس واستولت على لبه كان بيتها يعد من أجمل بيوت الاسكندرية ، وكذلك كان بيتا حظيتيه منيسيس (Mnesis) وبوتين (Pothine) وهما مغنيتان صاحبتا شهرة عظيمة ، معروفتين بمظهريهما وكان له حظية أخرى تدعى «كليو» وقد أقبل القوم على شراء تماثيلها الصغيرة والكبيرة بشغف ، وقد مثلت وهى ترتدى قميصا قصيرا فقط حاملة قرن الكثرة تمثلا بالملكة «ارسنوى» (١) ومن حظيات بطليموس الثانى كذلك «سترتونيس» وتعرف بضريحها الفاخر فى «الوسيس» (Eleusis) المقام بالقرب من الاسكندرية. اما اشهر حظيات هذا الملك فهى «بيليستيش» (Bilistiche ، غير ان اسمها لا يدل على انها اغريقية الأصل وذلك على الرغم من أنها على ما يظن اغريقية المنبت . فيقول «بلوتارخ» أنها كانت أجنبية اشتريت من أحدالأسواق (٢) . أما المؤرخ «باوزانيوس» فيقول انها جلبت من ساحل بحر مقدونيا (٣) . ويقص علينا أتناوس (٤) أنها من أهالى «أرجيف» من أسرة كريمة منحدرة من أتريوس (Atreus) وسواء أكان نسبها يرجع الى أصل وضيع نسب اليها حقدا وحسدا أم من أصل رفيع قد اخترع لها من باب الملق ، فانه لا جدوى من الرجم بالغيب فى هذا الموضوع الآن . وقد ذكر عنها انها جرت فى سباق الخيل بعربتها التى كان تجرها كرائم الخيل ، وكسبت الرهان فى ألعاب أولمبيا فى عام ٢٦٨ق.م ، ومن المحتمل ان «بيليستيس» هذه هى ابنة فيلو التى كانت تعمل كاهنة Kanephoros) للملكة «أرسنوى الثانية» عام ٢٦٠ — ٢٥٩ ق.م (٥).

---

(١) راجع Chronique d'Egypte, XXXIII (1957 & Bevan. P. 77
(٢) راجع (Plut. Amator. 9
(٣) راجع (Paus. V, 8, 11
(٤) راجع (Athen. XIII, 596
(٥) راجع Edgar. Zen. Pap. No. 46; see Wilcken Archiv. VI. P. 453

ومن المحتمل ان بطليموس الثانى لولوعه الشديد بها أعلن انها آلهة . وقد أقيمت لها المحاريب وقدمت لها القرابين باسم «افروديت بيليستيش» .

حالة املاك بطليموس الثانى عند وفاته :

شاهدنا فيما سبق ان مصر بعد موت الملكة «ارسنوى الثانية» قد أخذت تتدهور من الوجهة الحربية . وتدل الاحوال على أنه لو امتد بها الأجل لوسعت رقعة الامبراطورية المصرية ، ولكن لحظنا انه منذ وفاتها كانت الحروب التى شق غمارها بطليموس الثانى فاشلة ، فقد رأينا انه فقد السيادة البحرية كما استولت مقدونيا على جزر «سيكلاديس» واحتلت أسرة «سليوكيس» جزءا كبيرا من ساحل آسيا الصغرى ، وكذلك فقدت مصر سلطانها على قرنيقة . ولا غرابة فى ذلك فان بطليموس الثانى كان ماهرا فى كل الميادين الحيوية الا ميدان القتال ، وكان يشعر هو بذلك بدليل انه قبل مماته قد حسن مركزه بين الدول العظمى عن طريق السياسة . وتدل شواهد الأحوال على أن كل هذه الحروب التى خاض غمارها والتى لم تخمد نارها قط طوال مدة حكمه لم تسبب اضرارا مادية كثيرة لمصر نفسها ، ولكن من جهة أخرى نجد انها أوقعت ضررا اخر بالغ الخطورة ، وهو انها قد عاقت سير المدنية الاغريقية عن متابعة توطيد اركانها بقوة اكثر فى مصر . وقد تضاربت الاقوال عن سبب رغبة «بطليموس الثانى» فى العمل على توسيع رقعة امبراطوريته . فهل كان يقصد من ذلك مهاجمة املاك غيره أو كان يقصد الدفاع عن بلاده والمحافظة على تخومها كما فعل من قبله ملوك العهد الساوى وملوك الاسرتين التاسعة والعشرين والثلاثين ؟ وقد تكون الفكرة الاخيرة هى التى كان يرمى اليها بطليموس الثانى ، وذلك ان «سوريا» كانت فى الواقع تعد دائما اقليما واقيا لمصر ، هذا بالاضافة الى ان سورياوجزيرة قبرص كانتا دائما اقتصاديا ضروريتين لمصر . ولا غرابة فى ذلك لأن مصر كانت لا تنتج أخشابا ولا معادن الا الذهب بدرجة محدودة فى تلك الفترة ، هذا الى أن خشب «قبرص» و «لبنان» كان لازما لبناء السفن ، كما كان

فى مصر ويميل اليها المصريون الوطنيون للتعامل بها كما سنرى بعد . ولكن هذه الاماكن كانت فعلا ضمن املاك مصر عندما تولى بطليموس الثانى عرش الكنانة ، ومن جهة أخرى نجد أن فتوحه التى قام بها أثناء حكمه فى آسيا الصغرى ، وكذلك محاولاته للسيطرة على بلاد بحر أيجه وسواحله لا يمكن أن نعدها لازمة للدفاع عن بلاده . وقد رأينا أنه هو الذى قام بالمبادرة الى الاعتداء على هذه البلاد الاغريقية ، وعلى ذلك فانه من المؤكد ان عمله على امتداد رقعة امبراطوريته كان غرضا ثابتا فى قرارة نفسه .

ويمكن الانسان أن يتساءل : هل كان بطليموس الثانى مدفوعا الى هذه الفتوح جريا وراء اضماع أسرية ؟ أو كان يجرى وراء ارباح تجارية ؟ ولا نزاع فى ان التجارة الشرقية والهندية كانت عاملا مهما فى حياة مصر الاقتصادية، وان الطرق البرية التجارية العظيمة فى خلال القرن الثالث قبل الميلاد كانت تصل الى البحر فى «فنيقيا» و «أيونيا» أولا عن طريق «صور» و «افسوس» غير أن بطليموس كان مسيطرا على «صور» دون منازع . هذا الى أنه حصل على أهم الفوائد من التجارة الهندية التى كانت تأتى عن طريق البحر الى جنوب بلاد العرب ، وعلى الرغم من احتمال وجود اعتبارات تجارية دعت لشنه حروبا ، فانه من المرجح ان بطليموس كان طموحا كثير الاطماع ، اذ كان يرغب فى أن يحكم امبراطورية مترامية الأطراف ويستغل مواردها بقدر المستطاع فى نيل أطماعه ، ولا أدل على ذلك من أن كل قطر جديد كان يستولى عليه يجعله مصدر ربح ، فكان يثقله بالضرائب الفادحة ، ولم يكن يفكر قط فى عمل أى اصلاح لتحسين حالة البلاد المفتوحة الا اذا كان هذا الاصلاح لصالحه هو والواقع الذى لا مراء فيه ان «بطليموس الثانى» كان يستغل كل منتجات مستعمراته الى أقصى حدود الاستغلال ، هذا الى تدخله فى الحكم الذاتى الذى كانت تتمتع به المدن الاغريقية قد فاق تدخل الممالك الهيلانية العظمى الاخرى فى زمنه ، هذا فضلا عن انه قد بذل بعض الجهود فى اخضاع تلك

نحاس قبرص ضروريا لضرب النقود النحاسية التي كانت شائعة الاستعمال المدن للادارة المالية المصرية . وقد امتدت علاقاته الخارجيــة الى ما وراء العالم الهيلانستيكى ففى عام ٢٧٣ق.م أرسل بعثا الى رومه يحتمل آنه كان لمهام تجارية ، كما أرسل رسولا يدعى «ديونيسوس» الى الامبراطور «المورانى» امبراطور فندوسارا (Vindusara) فى بلاد الهند للحصول على مدربين للفيلة من الهنود لأجل تدريب فيلته التى اصطادها من افريقيا . هــذا وقد وجد «بوزيون» هنودا فى مصر فى القرن الثالث قبل الميلاد . والمعتقــد أنه شاهد قبرا عليه عجلة البوذى فى الاسكندرية (١) . ومن المحتمل انه قامت صعوبة فى ارسال ديونيسوس الى بلاد الهند عن طريق البلاد «سليوكوس» ويرجح أن بطليموس قد استخدم ضابطا أعرابيا لينقله بطريق البحر كما فعل «بطليموس سوتر» عند ما سدت الطريق فى وجهه الى هذه البلاد فكلف شيخا اعرابيا ليقود رسولا مستعجلا له على ظهور الابل الى بابل عن طريق الصحراء .

اما عن علاقات بطليموس الثانى بالعالم العربى فغامضة . ونعلم انه فى عام ٢٧٣ ق.م عمل الاحتياطات لحماية بلدة «هروبوليس» الواقعــة بالقرب من السويس من غدر بعض العرب سواء أكانوا من القبائل المحلية أم من التى عبر مياه البحر وقد ارسل ضابطا يدعى «اريستون» (٢) ومعه أوامر للكشف عن ساحل البحر حتى المحيط الهندى وقد طاف «اريستون» حول شــبه جزيرة سيناء حتى خليج العقبة ، ولكن لا نعرف الى أى نقطة وصل جنوبا بعد ذلك .

وقد أرسل بطليموس حمـــلة حربيـــة الى بعض الأماكن عــبر البحر الاحمر فزارت بعض اماكن لم تحقق حتى الآن فى بلاد العرب (٣) . ويحدثنا

(١) راجع W. Flinders Petrie J.R.A.S. (1898). P. 875.

(٢) راجع P. Cairo, Zen. 5947.

(٣) راجع عن هــذا الموضــوع اى بطليوس الثانى وبــلاد العــرب J.E.A. Vol. XV, P. 150.

ديدور (١) . انه عندما أخذ البحارة المصريون يختلفون على خليج العقبة هاجمهم النباطيون من بترا (بلاد العرب) وهم الذين كانوا يغيرون على تجارتهم ، وينهبوهم حتى طردوهم من البحر باسطول مصرى . ومن الجائز جدا ان نربط هذا الحادث بحملة بطليموس الثانى ، وعلى ذلك فانه اذا كان قد صور لنفسه الامنية التى كان يحلم بها «انتيجونوس الأول» وهى السيطرة على «بترا» ورأس طريق القوافل العظيمة من بلاد البخور الواقعة فى جنوب بلاد العرب (بلاد بنت) فانه بلا شك قد اخفق فى تحقيق حلمه. ولقد بدأ «بطليموس» حركة كان لها نتائج كبيرة على الجانب الافريقى للبحر الأحمر . والواقع انه اندفع رغبة فى الحصول على فيلة للحرب فابتدأ فى كشف الساحل بصورة منظمة ، فقد أسس ضباطه أثناء ذلك بلادا ومحاط تجارية جنوب «ارسنوى» وهى السويس الحالية ، حتى مدينة بطليمايس الخاصة بصيد الفيلة وتقع بالقرب من «سواكن» الحالية . وقد استمر اخلافه بثبات فى هذا العمل الى أن وصل ضباطهم الى قطر البخور فى بلاد الصومال وقرن الجنوب (أى رأس جاردفوى) . وقد أدت هذه الكشوف فى النهاية لى القيام بسياحات مباشرة من مصر الى جنوب الهند . وقد كانت فيلة بطليموس عندما تصاد تشحن الى «برنيكى» المقابلة لاسوان فى سفن نقل خاصة ومن ثم كانت تساق الى قفط على طريق معبدة مجهزة بكل ما يلزم عمله من قبل، ثم تشحن فى النيل حتى «منف» . هذا وقد ادخل بطليموس الثانى خلافا للفيلة الجمل فى مصر وكانت الجمال تذكر كثيرا فى الوثائق المصرية (٢) .

وفيما بعد توجد محطة جمال تبتدىء من الجنوب حتى الاسكندرية . هذا وقد حفر بطليموس الثانى قناة جديدة بجوار المحطة التى كان قد حفرها ملك

---

(١) راجع (Diod. III, 43, 5

(٢) راجع P. Cairo, Zen. 59143, 59207,
P.S.I. VI, 562, Athen. V, 200 F. Cf. B.G.U., VI, 1351.

الفرس دارا الأول ثم طمرت فيما بعد وقد تحدثنا عن قناة بطليموس هــذا مليا (١) . وهى القناة التى تربط بين النيل والبحر الأحمر وقد طمرت بدورها ثم حفرها الامبراطور هدريان ومن بعده عمرو بن العاص .

الفيوم وفيلادلفيا

أما أعظم شيء عمــله لاصلاح الأراضى الزراعيــة فى مصر فهو أنه عين مهندسين اغريق لتجفيف بحيرة موريس وبذلك كسب مســاحة عظيمة من الأراضى الصالحة للزراعة وهى الفيوم الحالية ، وقدأصبحت مركزا لمستعمرة اغريقية عظيمة . وقد تحدثنا عن الفيوم وما حدث فيها من اصلاح ومشاريع فى مصر القديمة وبخاصة فى عهد الأسرة الثــانية عشرة فى مصر القديمة الجزء الثالث من صفحة ٣١٥ ـــ ٣١٩ . وعندما تولى بطليموس الثانى مقاليد الحكم فى البلاد كان يعمل جاهدا لاصلاح الأراضى الزراعية أينما وجدت فى وادى النيل وذلك لأجل الحصـــول على المال للصرف منــه على حروبه ومشاريعه الأخرى وقد وجــد فى الفيوم ضالته المنشودة وذلك ان أراد أن يستصلح أراضى زراعيـــة وفى الوقت نفسه ينشيء اقليما بكرا يقيم فيه مستعمرة اغريقية مقدونية فى قلب مصرفيقطن فيها جنوده المرتزقة هموأسرهم ومن جهة أخرى لا يحرم الفلاح المصرى من أرض كان يزرعها ويســتغلها لحساب الملك . وقد قام بهذا العمل مهندسون فى عهد كل من بطليوس الأول وبخاصة فى عهد ابنه بطليموس الثانى . ولم تمض بضع سنوات حتى جففت رقعة عظمية من بحيرة موريس وزرعت بكلأنواع الحبوبوالفاكهة والأشجار وربيت فيها الحيوانات من كل نوع وجلبت اليها اصناف عدة من الأشجار والحيوان من خارج البلاد وثمرت فيها ، والواقع أن مساحةالأرض الصالحة للزراعة فى الفيوم بعد تجفيف جزء كبير من البحيرة قد يبلغ أقل من نصفها بشيء يسير ، ولم يبق حتى الآن الا الجزء الشمالى العميق منهــا . ولا تزال

(١) راجع مصر القديمة الجزء ١٢ ص ٧٣٣ .

الأرض التى أصلحها مهندسو بطليموس الثـانى تزرع حتى الآن فى مـديرية الفيوم ، وكلمة الفيوم كلمة مصرية قديمة معناها « الماء » وبالعربية « اليم » وبالاغريقية Helimne أى البحيرة . وقد احتل هـذه الأراضى التى أصلحت طائفة من الاغريق يزيد عددهم فيها اكثر من أى مديرية أخرى من مديريات مصر ولكن اليد العاملة فيها كانت من الفلاحين المصريين والواقع أن معظم الاوراق البطلميـة المبكرة قد وجدت فى الفيـوم مثل الوثائق الثمينة التى وجدها بترى فى غراب وهى التى نشرها المؤرخ مهفى والعالم سميلى (Smyly) (١)

ولدينا سلسلة أخرى من أوراق البردى من الفيوم جمعهـا «جوجيه» «ولفبر» عثر عليها فى فى الركن الجنوبى الغربى من الفيـوم فى الجبانات الواقعة بالقرب من قرية «مجدولا» (٢).

ومن المحتمل أنه وجد كذلك فى الفيوم أكبر ورقة من عهد البطالمة وهى ورقة «قوانين الايرادات» من عهد بطليموس الثانى وقد نشرها «جرنفل»(٣) كل هذه الأوراق وغيرها تلقى ضوءا على تاريخ مصر فى الفتـرة الاولى من عهد البطلة ولكنه كان لا يزال ضوءا ضئيلا . وبخاصة فيما يتعلق بالحيـاة الاقتصادية فى البلاد والدور الذى لعبه الاغريق والأجانب الآخرون، وكذلك العلاقات التى كانت بين الوفود الجـدد على مصر والسـكان المصريين الأصليين ، هذا بالاضافة لأهمية كل من هذين العنصرين فى اصلاح القـوة

---

(١) راجع J.P. Mahaffy and J.G. Smyly, The Flinders Petrie Papyri, 3 vols. (Dublin 1889-1905.

(٢) راجع P. Jouguet, P. Collart, J. Lesquier, M. Xoual, Papyrus Grecs, 2 vols. (Paris, 1907-1912.

(٣) راجع B.P. Grenfell, The Revenue Laws of Ptolemy Philadelphus (Oxford 1896).

الاقتصادية لتلك الدولة الجديدة التى كانت تتألف من اغريق ومصريين على وجه عام . ولحسن الحظ قد عثر فى تربة الفيوم على مجموعة جـديدة من الأوراق البردية تكشف لنا النقاب لحـد ما عن حالة مصر فى هذا العهـد المبكر من تاريخ البطالمة وذلك انه كشف فى خلال الحرب العـالمية الأولى سلسلة من الأوراق البردية غنية بما فيها من وثائق من القرن الثالث ق.م. عثر عليها فى عام ١٩١٥ فى خرابة الجرزة بالفيوم وهى موقع قرية فيلادلفيـا القديمة وهذا الكنز من الأوراق البردية المدونة باللغة الاغريقية يؤلف وحدة غاية فى الاهمية فكل الأوراق البردية الخاصة بهـذا الكنز كانت موضوعة فى ملفات عليها ملخصاتها بخط فرد يدعى «زينون» ومن ذلك نفهم أنها كانت تؤلف جزءا من مراسلاته ، أى سجله الخاص . وقد كان الكشف عن هذه الأوراق مجرد صدفة ، والذين عثروا عليها هم فلاحون مصريون أثناء الحفر فى تلك المنطقة للحصول على سماد لأرضـهم ، والواقع أنه ليس لدينـا أية بيانات حقيقية عن الأحوال التى كشفت فيها وبخاصة عندما نعلم أن تجار الآثار لم يدلوا بأية بيانات عن مصدر هذه الأوراق . وكل ما نعلمه فى هذا الصدد قد ذكره الاثرى «ادجر» فى مجلة مصـلحة الآثار (١) . وكما كانت العادة ــ ولا تزال ــ استولى تجار الآثار على كل المجموعة التى لا يعلم عدد وثائقها أحد ، وقسمت فيما بينهم أجزاء عدة وبيعت هـذه الأجزاء تدريجا للمشترين . فاستولى متحف «فلورنسه» على جزء كبير منها واشـترى المتحف المصرى جزءا آخر وحصل المتحف البريطانى على كميتين هامتين كما استولت مكتبة ميشيجان على كمية منها ، وهناك كميات أخرى لم تظهر بعد وعلى أية حال قامت الهيئات العلمية بطبع الكثير من هذا الـكنز وقد لخص لنا محتويات هذه الأوراق جميعها وغيرها مما كشف عنه فى فيلادلفيا فى كتاب

---

(١) راجع (A.S. XVII, P. 208

فخم ألفه العالم الروسى روستوفيتزف (١) .

والواقع أن الضيعة الكبيرة التى يقصدها «روستوفيتزف» هى قرية فيلادلفيا ، وهذا الاسم يوحى بأن هذه التربية كانت ضمن القرى التى أسست فى عهد بطليموس الثانى نتيجة لاعمال التجفيف التى عملت فى بحيرة «موريس» فى عهده . ونحن نعلم مقدار اتساع الأعمال التى قام بها البطالمة فى الفيوم وعظم نجاحها ، والواقع أن قائمة القرى التى فى الفيوم الموجودة فى عهد البطالمة المبكر قد بلغ ١١٤ قرية ومستعمرة منها الكبيرة ومنها الصغيرة . فمن بين المائة والأربع عشرة قرية السابقة الذكر ست وستون تحمل أسماء اغريقية وثمانى وأربعون تحمل أسماء مصرية ، وحتى القرى التى كانت تحمل أسماء مصرية لم تكن بأية حال من الأحوال كلها قائمة قبل العهد البطلمى بل ان معظمها أنشىء فى العهد البطلمى بالاضافة الى القرى التى تحمل أسماء اغريقية ، ويدل على ذلك أن كثيرا منها كان يحمل نفس الأسماء التى تحملها بعض المدن الكبيرة والصغيرة فى الدلتا ومصر الوسطى والواقع أننا نجد فى الفيوم كما هى الحال فى الولايات المتحدة الأمريكية قطرا عظيما للاستعمار حيث نجد القرية تلو القرية تحمل أسماء موحدة بأسماء مدن شهيرة فى مصر . و فى هذه الحالة التى نحن بصددها نجد هذه المدن تقع فى الوجه البحرى ومصر الوسطى بأسمائها التى تحمل جزئيا الصبغة الهيلانستيكية وجزئيا الصبغة المصرية الوطنية ، ولا نزاع فى أن هذه الأسماء تعيد الى الذاكرة أسماء الأماكن التى أتى منها المستعمرون الجدد الى الفيوم ، ومن المحتمل أسماء المقاطعات التى كانوا تابعين لها من قبل هجرتهم ، وذلك بسبب أن الأسماء المسجلة هى أسماء عواصم مقاطعات فى الدلتا ومصر الوسطى . هذا ومن المحتمل أن اسماء قرى مصرية محضة فى الفيوم يمكن أن تكون استعيرت بنفس الطريقة من أسماء أماكن أخرى أقل شهرة . غير أن هذه

(١) راجع A Large Estate in Egypt in the Third Century B.C., Michael Rostovtzeff (1922).

النقطة تحتاج الى فحص أكثر والمحتمل أن الفرق الوحيد بين المستعمرات التى تحمل أسماء اغريقية والتى تحمل أسماء مصرية هو أن الأولى كانت أغلبية سكانها الجدد من الاغريق والأخرى كانت أغلبية سكانها من المصريين أى أن القرى التى تحمل أسماء اغريقية كان معظم سكانها من الجنود المرتزقين فى حين أن القرى التى تحمل أسماء مصرية كان سكانها فلاحين للتاج.

ومن الغريب أن نجد فى اقليم قد احتل معظمه بجنود مرتزقين ان الأسماء تحتل فيلادلفيا مكانة استثنائية اذ فى الواقع تعد ضمن المستعمرات الجديدة فى الفيوم التى اشتق اسمها من اسم حكام مصر أى البطالمة .

ومن الغريب أن نجد فى اقليم قد احتل معظمه بجنود مرتزقين ان الأسماء الأسرية تؤلف استثناء ولكن هذه حقيقة لا مراء فيها ففى كل اقليم الفيوم ليس لدينا الا اربع عشرة «كاماى» (قرية) تحمل أسماء أسرية وذلك من بين ست وستين تحمل اسماء اغريقية وهى اثنتان تحمل اسم برنيكى واثنتان تحمل اسم «ارسنوى» وواحدة باسم ايريديكى» وواحدة باسم «تيادلفيا» وخمس باسم بطليموس وواحدة باسم فيلوتريس وواحدة باسم«فيلوباتور» وواحد باسم فيلادلفيا .

وقد كانت العادة الأكثر شيوعا أن تسمى القرى بأسماء مشتقة من أسماء الآلهة أو أسماء لها علاقة بالأسرة الحاكمة وبخاصة الأفراد أصحاب المكانة الرفيعة فى البلاد وعلى ذلك فانه من المرجح أن قرية «ابوللونيوس» قد سميت باسم وزير المالية الذى كان يحمل هذا الاسم فى عهد بطليموس الثانى ، ومن المحتمل أن قلة وجود الأسماء الملكية بين هذه القرى هو أن التسمية بأسماء ملكية كان يحتاج الى اذن خاص . وتدل شواهد الأحوال على أن«فيلادلفيا» قد سميت بهذا الاسم بتصريح خاص . وهذا الاسم كما نعلم كان لقبا على كل من بطليموس الثانى و«ارسنوى» (= المحب لأخته) .

والواقع أننا لا نعلم الا القليل جدا عن تاريخها المبكر قبل الكشف عن

مراسلات «زينون» فيما عدا أنها أسست فى عهد بطليموس فيلادلفس . وتدل بعض الأوراق التى كشفها «بترى» على أنه قد نفذت أعمال هامة فى محيط فيلادلفيا على يد المهندسين الملكيين «كليون» و «تيودوروس» وان هذا المكان كان محاطا بمستعمرات تحمل أسماء مصرية ، ومن المحتمل أنها مستعمرات كان يسكنها فلاحون ملكيون وذلك لأن هذه كانت تسمى بأسماء مشتقة من أماكن شهيرة فى الدلتا مثل بوبسطه وتانيس و«باتسوتتيس (Patsonthis) وأنها أصبحت مركزا هاما لمحصول النبيذ(١) . هذا ونعلم أن فلادلفيا فى عهد الملك «ايرجتيس الاول» كانت عاصمة المركز (Toparchy) أى مقر حاكم المركز (توبارك) وفى عهد الملك «فيلوباتور» نعلم أنه كان يسكن فى فيلادلفيا تاجر جملة يملك قطيعا عظيما من الغنم وكان يسكنها فى الوقت نفسه عدد عظيم من الجنود المرتزقة يخدمون فى فرقة الفرسان . وقد كان سكان فيلادلفيا يدفعون مبالغ كبيرة ضرائب على التجارة الداخلية وعلى النطرون وهذا يسمح لنا أن نفرض أن المجتمع فيها كان ناجحا وأنه قد نمى نشاطه التجارى والصناعى الى حد ما فى شئون لنسيج مثلا وفى النطرون الذى يستعمل لغسيل النسيج . وقد كان لهذه القرية نشاط فى عهد الرومان لا يدخل فى موضوعنا هنا .

وهكذا نرى أن الفيوم وقراها التى كان معظمها من عمل عهد بطليموس الثانى كانت مقاطعة ثرية زادت فى ثروة مصر بدرجة محسة فى تلك الفترة وسنفرد فصلا خاصا عن حالة الطبقة الدنيا فى مصر على حسب ما جاء فى أوراق زينون وعن علاقتهم بالادارة الاغريقية .

وخلاصة القول كانت مصر فى عهد بطليموس الثانى قد بلغت الذروة من حيث ثروتها الزراعية والتجارية . ولا غرابة اذن اذا شبهنا عصره كما قلنا بعصر امنحتب الثالث ، وقد فاخر «تيوكريتوس» بأن بطليموس الثانى حكم ٣٣٣ر١٣ مدينة ولكن من المحتمل أن هذا العدد كان عبارة عن عدد كل البلاد

(١) راجع P. Petrie II, 46 (z) - III, 57 (a) and (b)

والقرى الصغيرة فى كل امبراطورية بطليموس الثانى ؛ هذا وقد تنبأ «كليماكوس» بأن بطليموس سيحكم العالم من مشرق الشمس الى مغربها وهذا التعبير هو فى الواقع التعبير المصرى القديم الذى جاء ذكره كثيرا فى المتون المصرية القديمة وبخاصة فى عهد الدولة الحديثة ومابعدها : ان الفرعون يحكم على كل ما تحيط به الشمس ولا يبعد أن هذا التعبير البطلمى مأخوذ من التعبير المصرى القديم .

وقد ظن بعض المؤرخين أن بطليموس الثانى لم يبلغ مثل هذه القوة التى ذكرها «كالليماكوس» (١) . غير أننا نرى مما كتبه «هيروندداس» كيف كانت تمثل مصر فى عينى رجل الشارع فى تلك الفترة حيث يقول فى وصفه الغريب فى مصر : ان مصر هى نفس بيت الآلهة ، وذلك لأن كل ما يوجد وكل ما ينتج فى العالم موجود فى مصر ففيها الكثرة والغنى وميادين المصارعة ، والقوة والسلام والشهرة والمعارض والفلاسفة والمال والشبان وضياع «الأخوين المؤلهين» ، والملك وهو واحد طيب ، والميوزيون ، والخمر ، وكل ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين ، وهذه هى مصر فى عهد بطليموس الثانى ولابد أن سكانها قد زادوا بازدياد ثرائها زيادة عظمية ، وقد قيل ان عدد سكانها بلغ حوالى تسعة ملايين نسمة ؛ وليس هذا ببعيد اذا صدقنا ما كتبه الأقدمون فى أواخر عهد البطالمة .

بطليموس الثانى والنهضة العلمية التى قامت فى عهده

تحدثنا ببعض التفصيل عن النهضة العلمية والأدبية التى نشأت فى الاسكندرية فى عهد بطليموس الأول بوصفه المؤسس الأول على أرجح الأقوال لمكتبة الاسكندر والميوزيون أو بعبارة أخرى أكاديمية العلوم وقد ساقنا الحديث عن التحدث عن هاتين المؤسستين الى نمو العلوم والمعارف فى عهد بطليموس الثانى وأخلافه فيما سبق .

---

(١) راجع (Antigonus Gonatas in Plut. Arat. 15.).

نظام الحكم فى عهد بطليموس الثانى

على الرغم من الكثير الذى نعرفه عن عهد البطالمة فى نواح شتى من حياتهم فانه تنقصنا المعلومات الأكيدة المحددة عن نظام الحكم فى مصر فى عهدهم والواقع أن معلوماتنا فى هذا البا بليست واضحة جلية كالمعلومات التى وصلت الينا عن عهد الرومان فى مصر ، وعلى ذلك فان كل وصف لهذا النظام سيكون ناقصا الى أن تكشف لنا عن معلومات جديدة تسد هذا النقص ، وذلك لأن خيوطه سواء أكانت ادارية أو اقتصادية تتجه نحو الاسكندرية . ولسوء الحظ لا نعرف شيئا عن الادارات الرئيسية فى هذه المدينة العظيمة لقلة المصادر عنها .

وعلى أية حال فانه مما لا نزاع فيه أن نظام الحكم فى مصر كان نظاما ملكيا محضا . وكان الملك فى مصر مثله كمثل فرعون مصر هو الملك لكل البلاد جميعها . ويدل ما لدينا من معلومات على أن البطالمة كانوا يتأثرون خطا الفراعنة فى نظام حكمهم للبلاد . فقد كان معظم مساعديه الأول فى ادارة البلاد من أفراد أسرته ، وهؤلاء بدورهم كانوا مرتبطين ارتباطا وثيقا بأقاربهم ووكلائهم فى العمل ، على أنه من الصعب أن يميز الانسان بوضوح بين المهام العامة والخاصة التى كان يقوم بها أى فرد من أعضاء بيت بطليموس . وقد تطور بيت بطليموس شيئا فشيئا حتى أصبح أعضاؤه يتألف منهم بلاطه . وتدل الظواهر على أن هذا البلاط كان قد اتخذ البلاط المقدونى نموذجا له فى بعض الأمور ، غير أن معظم النظام كان فى صلبه مصريا محضا ، ولا أدل على ذلك من أن البطالمة قد نقلوا الى بلاطهم كثيرا من الألقاب التى كانت مستعملة فى البلاط المصرى منذ الدولة القديمة مثال ذلك لقب «قريب الملك» (رخ نسوت) وقد بقى هذا اللقب يعد ضمن ألقاب الشرف فى البلاط المصرى حتى أواخر العهد الفرعونى ، وكذلك لقب

«السمير الوحيد» (سمروعتى) فقد كان لقبا يحمله رجال البـلاط فى مصر الفرعونية وظل حتى نهاية عهدهم ، وكان كذلك يستعمل لقب «سمير الملك» وحسب . وهذه الألقاب وجدناها فى العهد البطلمى تمنح للمقربين من الملك. يضاف الى ذلك أنه كان فى البلاط البطلمى من يحمل لقب «رئيس الحرس» وهو مصرى أيضا على أنه من جهة أخرى كانت هناك ألقاب مقدونية محضة مثل لقب «الخلفاء» (Diadochoi) وهو لقب كان يحمله أولئك الضـباط العظام الذين خلفوا الاسكندر فى ادارة امبراطوريته ، وفضلا عن ذلك كان هناك موظفو البلاط مثل النحاتين والسـاقين والسائسين وما الى ذلك من وظائف أخرى كان لابد منها فى البلاط . هـذا الى وجود مؤسـسة للغلمان الملكيين وهكذا (١) .

ومن الغريب أن هذا النظام فى بلاط الملك كان له نظيره عند كبار الموظفين وهذا يذكرنا بحكام الاقطاع فى مصر فى كثير من عهودها ، غير أن الفرق بين الاثنين كان كبيرا . وأبرز مثال لدينا فى عهد البطالمة هو النظام الذى كان يسير عليه بلاط وزير مالية بطليموس الثانى المسمى «ابوللونيوس» .

وهذا الوزير الذى يعد أكبر شخصية فى عهد بطليموس الثانى معروف لنا تماما من المراسلات التى كانت تدور بينه وبين مساعده المخلص وان شـئت قل مدير ماليته «زينون» وقد تحدثنا عن الأحوال التى عثر فيهـا على هذه المراسلات .

وقد شغل «زينون» هذا وظيفة مدير أعمال للوزير «ابوللونيوس» مدة الخمس عشرة سنة التى كان فيها «ابوللونيوس» وزير مالية بطليموس الثانى وعندما تبتدىء المراسلات بينهما نجد أن «زينون» كان على سفر فى الخارج يقوم ببعض أعمال التجارة لسيده وتصريف شئونه ، وفيما بعد نجده يرافقه فى سياحات طويلة فى داخل مصر ، وفى نهاية الأمر نجـد «ابوللونيوس» فى

(١) راجع Durrabach Choix, No. 127, S.E.G. 1, 342

عام ٢٥٦ ق.م يأوى الى فيلادلفيا حيث كان لا يملك الا ضيعة كبيرة كان قد وهبها له الملك أو أقرضها له مدة حياته ، ولحسن الحظ أحضر «زينون» معه كل الأوراق التى كان قد جمعها طوال مدة خدمتـه «ابوللونيوس» ويبلغ عددها أكثر من ألفى بردية ثم أخذ يضيف اليها ماكان يصله من مكاتبات حتى عهد بطليموس الثالث ومن هذه المراسلات يمكن أحيانا أن نتبع بوضوح أحوال هذا الوزير «ابوللونيوس» من سنة الى أخرى ، ومن المحتمل أنه مات فى فيلادلفيا ، وعلى أية حال فانه سواءا كان قد مات فى هذه القرية أم هاجر الى أخرى فان الأوراق التى جمعها «زينون» قد ظلت مدفونة فى تربة مصر لم تمس حيث تركها أكثر من عشرين قرنا من الزمان .

وقد كان بلاط «ابوللونيوس» يتـألف من أمين سره وادارته ومن أمين خزائنه ومدير بيته ومديرى الضياع والأطباء ومديرى الشـحن ومديرى التعليم والرياضة البدنية ، هذا الى عشرات المساعدين الذين لايحملون ألقابا معينة ومئات الخدم من الأحرار والعبيد من بينهم الموسيقاريون والفتيـات الراقصات وكل هؤلاء مجتمعين يقدمون لنا فكرة عن تكوين بلاط بطليموس الثانى . والمطلع على تكوين بلاط الفرعون فى العهود القديمة يجد أن نظامه كان مطابقا للنظام الذى اختاره بطليموس الثانى (١).

وأمثال حاشية «ابوللونيوس» هذه كانت تعد فى بلاط بطليموس الثـانى بالعشرات. والواقع أن من يدرس تاريخ ابوللونيوس فى ضيعته فى «فلادلفيا» يجد أن نظامها كنظام حكم بطليموس الثانى فى مصر أى أن نظام الحكم فى ضيعة ابوللونيوس هو مصغر لنظام حكم مصر ذاتها . وسنتناول هنا ادارات الحكومة وأقسامها مدلين بكل ما لدينا منها من معلومات الجيش (٢) .

ولا نزاع فى أن بطليموس الثانى كان يعتمد فى بلاطه على أولئك الرجال

(١) راجع مصر القديمة ٧ ص ٣٤ ، الجزء الثالث ص ٣٧٩ وما بعده .
(٢) راجع عن نظام الجيش فى عهد الرعامسـة مصر القـديمة الجزء الثامن ٤٦ — ٤٩ .

الذين كانوا يديرون له شئون البلاد في داخلها وخارجها، وهؤلاء هم الذين كانوا يشغلون أكبر المناصب فى عهده وبخاصة قواد جيشه وأسطوله ومدير ماليته. ومما يؤسف له جد الأسف أن نظام الادارة الحربية ووظائفها وتسلسلها لم يصل الينا حتى الآن ، وذلك على الرغم من أننا نقرأ عن ضـــباط يقودون الجيوش ، وكان ذلك فضلا عن وجود وزير حربية وسكرتير للقوات المسلحة وكان الأخير يقوم بعملية التجنيد ودفع مرتبات الجنود وتوزيع الأراضى على الجنود المرتزقة . هذا ونعلم كثيرا عن نظام الجيش نفسه وبخاصة فى عهــد بطليموس الثانى وخليفته «ايرجيتيس» وكذلك «فيــلوباتور» . فقد كان الحرس الملكى المعسكر فى الاسكندرية أو على مقربة منها يحتوى بصــفة رئيسية على الجنود المقدونيين والمشاة الثقيــلة الذين كانوا قد دربوا على طريقة الحرب المقدونية . والواقع ان الجيش البطلمى كان يتألف تقريبا من الجنود المرتزقين الذين وفدوا على مصر من ممالك هيلانستيكية مختلفة. وذلك لأن البطالمة منذ باكورة حكمهم لم يثقوا بالجنود الذين من أصل مصرى ، وقد برهن على صدق اعتقادهم هذا ما حدث فيما بعد عندما جند جيش من المواطنين المصريين بدرجة كبيرة وانخرطوا فى سلك الجيش النظامى . وذلك عندما مست الحاجة لاشتراكهم فى الحرب الكبرى التى شنها البطـالمة على «انتيوكوس الثالث» العظيم ، وهى التى انتصر فيها الجيش المصرى عنــد رفح (٢١٧ ق.م) ومنذ انتصار المواطنين المصريين فى هذه الحرب أخذتهم العزة القومية وبدأوا يقومون بثورة على البطالمة ، ومنذ ذلك العهــد أخذ البطالمة على أنفسهم العهد ألا يؤلفوا جيشا يكون فيــه العنصر المصرى بل يختار من المقدونيين والاغريق ومن على شاكلتهم من الموالين للبطالمة . وقد حل ملوك البطالمة هذه المسألة بأن اسكنوا جنودا أجانب فى الأراضى المصرية وبذلك كونوا جيشا جديدا محليا له كل الميزات التى كانت لجيش الجنــود المرتزقين . وهذا الجيش الجديد كان له جنوده النظــاميون ومستحفظوه ومشاته وفرسانه داراته ؛ وكانت فرقة الفرسان التى كانت تعد أعظم فرقة

فى الجيش من حيث الجاه الارستقراطى كما كانت الحال فى الجيش المصرى فى عهد الدولة الحديثة[١] تتألف من كتائب تدعى بالأولى والثانية والثالثة الخ . وكانت تسمى هذه الكتائب بأسماء أقوام مختلفين كما كانت الحال فى الجيش المصرى [٢] .

وكان جنود المشاة مقسمين كذلك الى سرايا تسمى بأسماء البلاد التى أتوا منها فمن بين فرق الفرسان نذكر التراقيين والتساليين والميسيين والفرس وكل هذه الفرق قد نظمت منذ القرن الثالث قبل الميلاد . وكان يشرف على سكنى الجنود الأجانب فى مصر موظفون خاصون كان واجبهم أن يقسموا الأرض اقطاعيات صغيرة المساحة تعطى كل منها جنديا مستعمرا وقد كان نصيب الضباط وبخاصة الفرسان منهم نصيب الأسد فكان نصيبه يتراوح ما بين ثمانين ومائة ارورا ، وكانت تمنح من أقل منه درجة فى الجيش قطعة أصغر تتراوح ما بين ٢٤ و ٦٠ أرروا . وكان الجنود يسكنون فى الأماكن التى تقع فيها اقطاعياتهم ، وذلك فى وقت السلم ، ومعهم أسرهم . وكان الأهالى من المصريين يقدمون لهؤلاء المستعمرين مساكن منفصلة أو مساكن دائمة يقتطعونها من بيوتهم ، وكان فى ذلك اجحاف بالفلاح ومضايقة له فى مسكنه . وكان هؤلاء الجنود يقومون فى وقت السلم بزراعة أرضهم وفى زمن الحرب كانوا يجندون ويرسلون كل الى الفرقة التى هو تابع لها مجهزا بكل ما يحتاج اليه من عدة وعتاد . وقد أصبحت الخدمة العسكرية بطبيعة الحال وراثية فى هذه الأسر . وقد شجع على ذلك البطالمة ، ولا نزاع أنذلك كان من شروط ملكية الأرض التى كان يستولى عليها الجنود المرتزقة ، وقد شجع على بقاء الجنود فى خدمة الجيش أنهم كانوا يتزوجون من المصريات اللائى كن يسكن معهم ويشتغلون فى وسطهن أثناء السلم ؛ ومن ثم كان ينشأ من هذا التزواج جيل صغير يشب على التقاليد الحربية . وكان الجيل الصغير

(١) راجع مصر القديمة الجزء الخامس ص ٥٤١ — ٥٤٩ .
(٢) راجع مصر القديمة الجزء السادس ص ٢٣٨ (صورة رقم ٩)

من أولاد المستعمرين من الجنود يدعى ابيجون (Epigone) ولما كان هذا الجيل يعتبر بمثابة مورد مستديم للجيش فان هذه اللفظة أخذت معنى مستحفظ الجيش . وكان على كل جندى عند تقديم اسمه لأمر رسمى أن يذكر أصله أى الفرقة التى ينتمي اليها (مقدونى أو تراقى مثلا) كما كان عليه أن يذكر اذا كان جنديا نظاميا أو مستحفظا . وهكذا على هذا النظام المركب نشأ الجيش المصرى الذى أوجده البطالمة وبخاصة بطليموس الثانى فى خلال القرن الثالث ق.م (١) .

وعلى أية حال فان هذا النظام قد ضمن للبطالمة جيشا ثابتا من الجنود المدربين السواد الأعظم فيه من الاغريق أو من غيرهم من الذين صبغوا بالصبغة الهيلانية الظاهرة كاليهود وغيرهم .. والواقع أنهم كانوا قد دربوا منذ الطفولة على فنون الحرب ، وكان المفروض أنهم منذ نعومة أظفارهم قد شربوا مع لبان أمهاتهم كأس الحب الخالص لأسرة البطالمة التى كانوا مدينين لها بسعادتهم ومكانتهم الممتازة ، وعلى الرغم من اختلاط الاغريق بالمصريين فان الاغريق كانوا يحتقرون المصريين الذين كانت قيمتهم الحربية فى نظر الاغريق تقاس بملكياتهم الصغيرة التى منحتها لهم الحكومة ، ولكن بعد مدة قصيرة نجد أن الجيش الذى كان أفراده يملكون أطيانا واسعة قد فقد رجاله صفاتهم الحربية وأصبحوا مثل زملائهم من المصريين الذين يحتقرونهم وهذا ما كان يحدث عادة للجنود الذين اتخذوا لانفسهم مستعمرات يعيشون من ثمراتها ، يضاف الى ذلك أن هؤلاء الجنود المرتزقين لم يستمر عددهم كبيرا بل أخذ فى النقصان ، ويرجع ذلك الى أنه عندما أخذت الأراضى الزراعية التى كانت توزع عليهم فى النقصان فان مساحة الأراضى التى كانت لكل جندى أخذت تنقص بطبيعة الحال ؛ وعلى ذلك فان الجنود المرتزقين الذين كانوا يفدون على البلاد من الخارج بسبب الأرض وامتلاكها قد نقص عددهم ،

(١) راجع J. Lesquier, Les Institutions Militaires de l'Egypte sous les Lagides 1911:

ولا أدل على ذلك من أن الجنود المرتزقين قد قل عددهم شيئا فشيئا فى سوق القرن الثانى قبل الميلاد ؛ ومن أجل ذلك لم يكن لدى البطالمة مصدر لتجنيد جيش لمحاربة أعدائهم الا من السكان المصريين الذين أخذ عددهم يزداد فى الجيش بصورة محسة ، هذا على الرغم من أن البطـــالمة كانوا لا يثقون بالجندى المصرى من حيث الولاء ومن حيث الكفاية الحربية .

وهذا النظام البطلمى فى تكوين الجيش ونظامه كان هو نفس النظام الذى سار على نهجه من قبل فراعنة مصر وبخاصة فى الفترة الأخيرة من تاريخهم ، ولا أدل على ذلك من أ نمنح أراضى للجنود المرتزقين كان معمـــولا به فى مصر القديمة منذ العهد الاقطاعى (١) .

وقد استمر هذا النظام فى مصر حتى القرن الخامس قبل الميلاد . فقد كان كل جندى يملك قطعة أرض مساحتها حوالى تسعة أفدنة ونصف الفــدان من الأراضى الصالحة للزراعة . وكان يعد نفسه عائشا فى رغد من العيش (٢).

حيث نجد أنه منذ بداية الألف سنة الأولى قبل الميلاد كان كل جنـــدى من الجنود المرتزقة من اللوبيين وغيرهم يشغل وظيفة متوارثة وكان يسمى « مى » وهى كلمة مختصرة لاسم القبيلة اللوبيـــة المعروفة باسم مشوش ، وهذا الاسم الأخير حرفه اليونان فأصبح ماشيموى (Machimoi) وكان هؤلاء الجنود ينقسمون فرقتين أحداهما تسمى «هرموتبير» والأخرى تدعى «كلازيرى» وكان جنودهم يسكنون فى مستعمرات حربية مغلقة أى قائمة بذاتها فى مقاطعات الدلتا ، وكان كل جندى يملك اقطاعية من الأرض معفاة من الضرائب تبلغ مساحتها اثنى عشر أرورا . وفى عهد بسمتيك الأول الذى أخذ يستعمل الجنود المرتزقة من الاغريق وغيرهم كان يقطعهم اقطاعات تغريهم على البقاء فى مصر (٣) .

---

(١) راجع Revue d'Egyptologie, T. III. P. 213.
راجع مصر القديمة الجزء الثانى ص ٤٩٧

(٢) راجع مصر القديمة الجزء ٩ ص ٤٨٢ — ٤٩١

(٣) راجع مصر القديمة الجزء ١٢ ص ٤٠٠ الخ

وفى عهد الأسرتين الأخيرتين من عهد الفراعنة كان ملوك مصر يستأجرون الجنود المرتزقة من الاغريق للدفاع عن مصر ، غير أنهم لم يسكنوا البلاد الا مدة الحرب فاذا ما انتهت أخذوا أجورهم نقدا وعادوا الى بلادهم ومن ثم لم يكونوا أصحاب اقطاع (١) .

والواقع أننا لو قرنا ما كان يدور فى الجيش المصرى فى عهد الفراعنة حتى نهاية حكمهم وبخاصة فى العهد المتأخر بما كان يجرى فى الجيش البطلمى لوجدنا أن البطالمة كانوا يتبعون نفس الخطط والأنظمة التى كان يتبعها ملوك مصر فى تكوين جيشهم ونظام تموينه مع بعض فروق طفيفة واضافات بسيطة جديدة . والواقع أن أهم تجديد فى الجيش البطلمى هو استعمال الفيلة فى حروبهم ، والظاهر أن ملوك البطالمة أخذوا استعمال هذا السلاح الجديد عن ملوك السليوكيين الذين كانوا يجلبون هذه الحيوانات من الهند ، ثم أخذ بعد ذلك البطالمة يصطادونها من بلاد أثيوبيا . وقد ذكر لنا استرابون حملات بطليموس الثانى فى هذه الاقطار كما حدثنا عن اقامة الموانى التى كانت تقام بمثابة قواعد للقيام منها لصيد الفيلة على أن استرابون» كان يظن أن هذه الرحلات لصيد الفيلة لم تكن الا مجرد هواية عند بطليموس (٢) .

والظاهر كما جاء فى بعض المتون المصرية أن أول صيد للفيلة فى مصر يرجع عهده للملك بطليموس الثانى وذلك فى بلاد التروجليديت(١) .

وقد ظهر فى ركب بطولمايا (Ptolemaieia) الذى وصفه كاليكسين(٤). فيلة هندية وكلها كانت مزينة بالذهب . والظاهر أنها لم تكن بعد قد جهزت

---

(١) راجع مصر القديمة الجزء ١٣ ص ٤٧٢

(٢) راجع Strabo XVI, 769 & XVII, 789, Cf. Agatharchide in Geor. Gr. Min. I, P. 171; Diod. III, 36, 3.

(٣) راجع Adulis (O.G.I.S. 54).

(٤) راجع Athenée, (V, P. 200 d-f.

بمعدات الحرب (١)

على أن صيد الفيلة نجده قد جاء ذكره فى الربع الأخير من القرن الثالث قبل الميلاد . ومنذ عام ٢٢٤ق.م نقرأ فى خطاب مليىء بالنشـاط عن صيد الفيلة كتبه فرد يدعى «مارنيس» (Marnes) وقد وجهه لأهل قريته الذين كانوا فى جزع ليغادروا محط صيد الفيـلة البعيد . وقد أخبرهم بأنهم سيبدلون بغيرهم فى القريب العاجل ، وأنه سيرسل لهم سريعا سـفينة من «هرونبوليس» مشحونة بالغلال هذا بالاضافة الى سفينة خاصة لنقل الفيلة متبجر من «برنيكى» ؛ وهذه السفن التى كانت تحمل المؤن كانت بطبيعة الحال تعود محملة بالفيلة (٢)

وعلى أية حال كانت هذه الفيلة محمية بدروع ، ومعظمها من التى صيد فى افريقيا ، وكان صيدها وتدريبها ينظمه البطالمة .

وأخيرا نجد أنه بجانب الجيش العـامل فوات من الجنود المرتزقة أما المستحفظون المصريون فكانوا يستخدمون لنقل مهمات الجيش .

الأسطول

لم تصل الينا معلومات أصيلة عن الأسطول المصرى فى عهـد البطالمة ، والواقع أن كل ما نعلمه عن الأسطول فى هذه الفترة مستمد من الاشارات التى وردت عنه فى مختلف الحـروب وهـذه بدورها معلومات ناقصـة جدا لا تشـفى غـلة .

---

(١) راجع بداية صيد الفيلة فى عهد البطالمة ما يأتى :
P. Hibeh 110, 1.79; W. Wilcken, Punt-Fahrten in der Ptolemaerzeit. Z.A. 60, 1925, PP. 86-87; Kortenbeutel, Der Agyptische Sud-und Osthandel in der Politik der Ptolemaer, und Romischen Kaiser, Berlin 1931. PP. 24-25.

(٢) راجع M. Merzagora, la Navigazione in Egitto, nell'eta greco-romano (Aegyptus 10, 1929. PP. 119-20.

وعلى أية حـال نعلم من أوراق زينون (١) أنه كان يوجـد أسـطول ملـكى يعـده نواة للاسطول البطلمى ، كانت تسـاعده سـفن أجرة أو أسـاطيل . ومن المحتمـل أن هـذه السـفن كانت مصرية يديرها بحارة مرتزقة من الاغريق ، وكان لزاما على البطالمة محافظة على أملاكهم التى وراء البحار ومحافظة على الاسكندرية وعلى تجارتهم الخارجية أن يكون لهم أسطول عظيم،فنجد أنه منذبداية العصر الهيلانستيكى كان الملوك قدأخذوا فى المسابقة فى التسليح البحرى ليكون لهم التفوق على مناهضيهم من الدول الأخرى المنافسة لهم ، والواقع أن المسـابقة فى التسـلح البحرى بين «انتيجونوس» وأسرة البطالمة كان يشـبه التسليح البحرى الذى نراه بين الدول الكبرى فى عصرنا الذى نعيش فيه . ولا أدل على ذلك من أنه كان قد أصدر الأوامر ببناء سفن حربية من طراز جـديد . والواقع أنه قد فاق كل ملوك عصره من حيث أهمية التسليح البحرى (٢) .

وكان بطليموس يملك سفينتين فى كل منهما ثلاثون صفا من المجدفين . هذا ويصف «كاليكسين» (٣). فى كتابه الاول عن الاسكندرية سفينة تحتوى على اربعين صفا من المجدفين، وهى التى أمر بطليموس «فلوباتور» ببنائها فى مصنع السـفن ، ويبلغ طولهـا حوالى ٢٨٠ ذراعا وكان تناسب أجزائها مدهشا ، وكانت مزينة بأشكال فخمة فى المقدمة ومزخرفة بأكاليل من أزهار مختلفة ألوانها . وهذه السفينة العظيمة كانت تشـتمل على أكثر من ثلاثة

---

(١) راجع P. Cairo Zen. 5903. & P.M. Meyer in Klio XV, PP. 376 sqq; Cf. P. Lond. 1, P. 60, 3 and the Songs of Soldiers and Sailors, Powell Collectanea Alexandrina, Lyr. Adesp. 16-21, PP. 190 sqq. & 32, PP. 195 sqq.)

(٢) راجع Athenée V, 203; Theocrites id. XVII.

(٣) راجع Callexine. Ap. Athenée V, 203-204,d; Cf. Plut. Demetrius 43).

آلاف مجدف وعلى حوالى ثلاثة آلاف جندى مقاتل ، غير أن مصر فى هذا العهد كانت قدفقدت سيادتها البحرية ، وعلى ذلك فان مثل هذه السفينة الجبارة لم تكن الا مجرد سفينة استعراض صنعها ملك مريض يحب العظمة والفخفخة الجوفاء .

والواقع أن كل ما يمكن معرفته عن الأسطول فى عهد البطالمة هو ما أمكن جمعه من تاريخ حروبهم كما أشرنا الى ذلك من قبل ، ومع ذلك فان هذا المصدر لا يكاد يسعفنا كثيرا (١) . ففى خلال القرن الثالث قبل الميلاد لم تقم أية حرب فى الواقع الا ظهرت فيها السفن المصرية . وكانت وظيفتها حماية البحر فى حين كانت الجيوش البرية تسير على السواحل . وكان أول من وضع هذه الخطة فى تاريخ العالم أى السير بمحاذاة الشاطىء لحماية الجيش البرى ومعاونته هو تحتمس الثالث (٢)

وكان الاسطول الذى حارب به بطليموس الأول الملك «ديميتريوس» فى موقعة سلاميس (سلامين) فى رودس يبلغ عدد سفنه مايتى سفينة ، وقد هزم بطليموس الأول فى هذه الموقعة هزيمة منكرة كما تحدثنا عن ذلك من قبل (٣) .

هذا ونلحظ فيما بعد عام ٢٩٦ق‌م عند ما كان «ديمتريوس» قد اوقع «اتيكا» فى شرك الحصار ارسل «بطليموس الاول » مائة وخمسين سفينة لتحتل «أثينا» (٤) . وليمهد سبيلا لحمولة الغلال التىكانتستعود علىمصر تجاريا بفائدة كبرى والقصة التى يقصها علينا «بلوتارخ» عن

---

(١) راجع Lumbroso, Recherches sur l'économie politique des Lagides. PP. 233-234; Lesquier Les Institut Militaires de l'Egypte, sous les Lagides. PP. 256-60.

(٢) راجع مصر القديمه الجزء الرابع ص ٥٠٦

(٣) راجع ; Diod. XX, 49-53; Plut. Demetr. 15; Polyn. IV, 7, 7 Cf. B.L.I., P. 69.

(٤) راجع Plut. Demetr. 33; B.L. I, 38

هذه المحاولة الفاشلة تقدم لنا مقدار ما كان لحرية البحار من أهمية عظمى لاسعاد مصر وثرائها ـ ولا نزاع فى أن أهمية السيطرة البحرية على مستقبل مصر من الوجهة السياسية وكذلك من الوجهة التجارية والاقتصادية كانت عظيمة . ولا ريب فى أن أكبر نقطة ضعف عند المصريين من حيث التجارة البحرية كانت منحصرة فى سفنها ، وقد كان أعداؤها يعرفون موطن الضعف هذا جيدا ، ومن ثم نجد أن « انتيجونوس » الذى كان يريد أن يجبر اهل « رودس » على الدخول معه فى ابرام معاهدة قد نصح سفنها التجارية التى كانت تقلع نحو مصر الا تتجر معها كما أشرنا الى ذلك من قبل ولكن « ديمتريوس » كان يعد اكبر عدو تهابه مصر فى عرض البحار . ففى عام ٢٨٧ ق.م قام ببناء اسطول يبلغ عدده خمسماية سفينة فى عدة احواض خاصة ببناء السفن فى بلاد الاغريق وأوصى بألا تقل عدد السفن المصرية فى جمالها او طولها . يضاف الى ذلك انها لم تكن مجهزة كالسفن المصرية باجهزة لا فائدة منها . واقل ما يقال عنها انها كانت أقل فى سرعتها عن السفن المصرية واكثر فائدة ، وفوق ذلك لم تكن هناك قوة بحرية لمقاومة خطر هذا الاسطول حتى لو عملت أساطيل بطليموس وليزيماكوس وسليوكوس و «بيروس» مجتمعة . وكل هؤلاء كانوا يتنازعون السلطة على بحر « ايجه » (١) .

هذا ولابد ان نعلم انه لحماية السيطرة المصرية التى فرضت شيئا فشيئا على مدن ساحل اسيا الصغرى كانت من عمل السياسة والاسطول ففى اثناء انشغال «انتيوكوس» فى حروب مع الغاليين كان على ملك مصر الذى صار مسيطرا على البحار ، ان يمد يد المساعدة لمدن الساحل وذلك لفائدته هو (٢). وفى عام ٢٧٢ ق.م. ونعلم ان الاسطول المصرى اثناء الحرب التى اعلنها

(١) راجع Plut. Demet. 43-44; Pyrrhus II, Cf. B.L.I. P. 91.
(٢) راجع B.L.I., P. 169.

«انتيوكوس» أن بطليموس الثانى بعـد أن ضمن لنفسه فتح كل ليسـيا و « كاريا » اقلع باسطوله الى الساحل وحرض المدن الاغريقية الخائفة على الخروج على «انتيوكوس» . وقد اتخذ جزيرة «ساموس» قاعدة له وبذلك هدد كلا من «ميليتوس» و « افسوس » (١) . هذا ونعرف ان بطليموس الثانى لضمان السيادة على الجزر ولحماية المدن التى كان يسيطر عليها ، وكذلك للمحافظة على لوبيا، وزع على امبراطوريته فيما وراء البحار اكثر من اربعماية سفينة (٢) . ولكن على الرغم من المجهود الذى بذله بطليموس الثانى فانه لم يكن كافيا لنيل غرضه ، وذلك لان سيادة البحار المصريـة كانت قد تحطمت فقد هزم «انتيجونوس» اسطولا مصريا بالقرب من كوس فى عام ٢٥٦ ق.م. ، أكثر عددا من أسطوله (٣) .

وكانت هذه الواقعة هى نهاية السيادة البحرية المصرية فى بحر ايجة (٤) . وبعد ذلك لم نسمع قط بهزائم تكبدتها مصر ، وذلك على الرغم من انه فى المناوشات التى سبقت موقعة « رفح » رأينا ان القائد المصرى نيكولاوس (Nicolaos) كان يساعده اسطول مؤلف من ثلاثين سفينة مجهزة بكبارى ، هذا بالاضافة الى اكثر من اربعماية ناقلة . والواقع ان تاريخ البحريـة فى عهد البطالمة يحتوى على النقاط الهامة فى تاريخ مصر فى عهد هذه الأسرة . هذا ولا يفوتنا ان نذكر ان مصر كانت تراقب فى هذه الفترة البحر الاحمر ؛ فقد كانت حراسته موكلة الى قائد اقليم طيبة ، وهو الذى كان عليه خلافا لذلك حراسة البحر الهندى ، ويرجع ذلك الى «ايودوكوس» أحد اهـالى

---

(١) راجع B.L.I., 176-177.

(٢) راجع Athenée V, 203d.

(٣) راجع Preaux, l'Economie Royale des Lagides, P. 40.

(٤) راجع S. Fergusson Egypt's Loss of Sea Power (Journal of Hell. Studies (1910), PP. 189-208.

« سيزيكوس (Eudoxus Cyzicus) الجغرافى الذى جاء الى مصر من وطنه وسكن الاسكندرية وقد استخدمه بطليموس ايرجيتيس وزوجه كليوبترا فى سياحات الى الهند ولكن فيما بعد صرف كل متاعه فى عهد بطليموس الثامن سوتر الثانى لاتيروس (Lathyrus) ، وقد انحدر فى سياحته فى البحر الاحمر حتى «جاديس» (Gades) وقد حاول فيما بعد ان يدور حول افريقيا من الجهة المقابلة ولكنه لم يفلح (١) ؛ ومن المحتمل أنه عاش حتى عام ١٣٠ ق.م.

والواقع ان الاسطول المصرى كان لازما للبطالمة بسبب ما كانت تحتاج اليه البلاد من وقاية للمحافظة على ممتلكاتها خارج مصر . هذا بالاضافة لما كانت فى حاجة اليه من خشب وقطران وزفت وحديد ، ومن أجل ذلك نفهم لماذا كان يحتم بطليموس الثانى فرض توريد سفن على مدن آسيا ، وهذا هو ما استخلصناه من وثيقة ضمن أوراق زينون ، وهى توضح لنا بجلاء فرض توريد سفينة على مدينة هليكارناس لملك مصر (٢) . على أنه ليس من الغريب أن نجد البطالمة على اتصال ببلاد شرقى البحر الأبيض المتوسط لان ذلك ليس بالامر المستحدث فقد دلت البحوث الاثرية على أن مصر كانت لها علاقةبجيرانها الاسيويين منذ عهد ما قبل التاريخ ، وبعبارة أصح منذ العهد الجرزى (٣) .

وفى الازمان التاريخية يمكننا ان نعيد بناء السياسة المصرية للعلاقات المصرية مع « أسيا » على الاقل فى خطوطها العريضة ، وذلك على الرغم من أن المصادر التى فى متناولنا ليست جلية تماما من حيث التفضيلات الفنية ، ومن ثم لم يظهر لنا بصورة واضحة الى عهد الدولة الحديثة الى اى حد لعب

(١) راجع (Strabo II, PP. 98-100

(٢) راجع Rostovtzeff, Foreign Commerce of Ptolemaic. Egypt. (Journal of Economic and Business History), 4. (1932). PP. 735-6.

(٣) راجع Scharff, Die Fruhkulturn Aypten und Mesopotamiens. Der Alt Orient, Bd. 41, Lpz. 1941.)

الاسطول المصرى دورا حاسما فى نشاط مصر البحرى .

والباحث فى تاريخ مصرالقديمة يجد ان السياسة المصرية فى اسـيا كان مرماها مزدوجا واعنى بذلك تأمين الحدود المصرية من جهة والحصول على المحاصيل الأسـيوية (سوريا) من جهة أخرى . فنجد فى العـلاقات التى كانت قائمة فى سوريا ان المصالح التجارية كانت اكثر أهمية من غيرها ، فى حين نجد أن فلسطين كانت أهميتهـا لمصر تنحصر بوجه خاص فى موقعهـا الاستراتيجى من الوجهة الحربية . وقد كانت اهمية بلاد أسيا لا تقـل فى نظر مصر عن أهمية بلاد السودان . ومن أجل ذلك كان يقيم فى الاخـيرة نائب ملك مصر الذى كان يسمى ابن الملك ونائب الملك فى بلاد كوش ، غير ان سيطرة مصر على الجزء الاسيوى من امبراطوريتها عندما كانت تفقـد بسبب تراخى الحاكم هناك يعرض مصر الى خطر عظيم وهذا هو نفس ما وجدناه فى عهد البطالمة الأول . ويلحظ أنه كانت هناك مراقبة ملحوظة فى فلسطين كما كانت توجد فى سوريا فى فترات ؛ وهذه المراقبة كانت تتمثل فى اقامة معاقل أو حاميات فى البلاد الهامة[١] . وذلك بمساعدة رؤساء المدن الذين نصبهم فرعون ، لأنهم هناك كانوا مرتبطين معـه بالمواثيق والهبات التى كان يقدمها لهم ، وكذلك بالرهائن التىكانت فى الواقع من فائدة ابناء هؤلاء الحكام (٢) . وهذا هو نفس ما نجده فى عهد البطالمة . ومما تجدر ملاحظته هنا انه لم تدخل فى هذه الاصقاع الاسـيوية أية ادارة مصرية خالصة بالمعنى الذى نفهمه الان .

---

(١) راجع Urk. IV 739, Gebel Barkal Stele of (A.Z. 69. P. 35; Cf. Rowe, The Topography and History of Bethshan, Philad. 1930. P. 21; & for the Amarna period. J., De Konig, Studien over de El Amarnabrieven, Delft 1940, Deel II, Hoofstuch II.

(وراجع كذلك مصر القديمة الجزء الرابع ص ٤٠٦ – ٤١٢)

(٢) راجع Urk. IV, 690; El Amarna Tablet 296, 25 ff.

هذا وكان المصريون مهتمين بالحصول على الخشب الذى كان مصدره بلاد «لبنان» وبخاصة من بلدة «ببلوص» الواقعة على الساحل . وكانت احسن ميناء لتصدير الخشب فى هذا الاقليم ، فقد كان لها نشاط تجارى عظيم مع مصر يرجع الى العهد الطينى ، كما تدل على ذلك البراهين الأثرية(١) ولا نزاع فى أن هذه المواصلات كانت عن طريق البحر ، وقد جاءعلىحجر «بلرم» ان الملك «سنفرو» قد أحضر اربعين سفينة محملة بخشب (عش) من هذه الجهة (٢) ؛ هذا ولدينا رأس بلطة للملك «خوفو» او « سحورع » وجد فى «سوريا» جاء عليه اسم بحار مصرى (٣) ، وفضلا عن ذلك نجد سفنا مصرية مصورة فى معبد سحورع . ولا نزاع فى أنها كانت قادمة الى مصر من السواحل السورية (٤) . واهمية هذه التجارة البحرية بالنسبة لجبيل يمكن أن تفهم منأن السفنالتى كانت تمخرعبابالبحر فىالرحلاتالى بلاد «بنت» كانت تسمى غالبا سفن «جبيل» نسبة الى البلدة التى صنعت فيها . هذا ونجد فى تحذير حكيم مصرى (٥) الفقرة الشهيرة التى تشير الى انقطاع هذه التجارة فى العصر المتوسط الاول من تاريخ مصر ، وهو العهد الذى قامت فيه أول ثورة اجتماعية فى تاريخ البشرية حيث يقول : ان القوم لا يسيحون شمالا الى «ببلوص» (= جبيل) اليوم فماذا سنعمل من أجل خشب الصنوبر (عش) وهو الذى يحنط به الرؤساء حتى «كفتيو» ؛ (اى كريت) .

والواقع أنه كان لابدلتيسير وجودالمواصلاتالنشطة بين مصر و«ببلوص» ان يكون هناك اتصال عن طريق البحر لانه كان منالصعب انتسلكالطريق

(١) راجع Montet Byblos et l'Egypte; Le Drame d'Avaris. PP. 19 ff; J.E.A., 12, P. 83 ff.

(٢) راجع Urk. I. P. 236,

(٣) راجع Rowe Catalogue of Egypt. Scarabs PP. 283 ff.

(٤) راجع (Rowe, op. cit. P. 288.

(٥) راجع Gardiner Admonition of an Egyptian Sage. P. 32.

برابوساطة «فلسطين» . فكان لابد للوصول الى هذه الجهة من وجـود سيطرة قوية على كل الساحل حتى «ببلوص» ، وذلك لأن طريق البر كانت وعرة لقلة الماء فيها، هذا فضلا عن وعورة الشعاب والممرات الجبليـة التى تعترض الانسان فى سيره حتى يصل الى جبيل أو غيرها من البـلدان (١) . ولا نزاع فى ان الاسطول المصرى كان من حين لآخر على الأقل يستعمل فى الحروب فى فلسطين لتجنب وعثاء السير على الاقدام فى الصحراء ، ولا أدل على ذلك مما نقرؤه فى النقوش التى تركها لنا القائد « ونى » وهى التى دونها على لوحته المشهورة ، ويرجع عهدها الى الاسرة الخامسة المصرية . فقد ذكر لنا ان جنوده المصريين قد أرسلوا الى ساحل فلسـطين فى سـفن خاصة للقضاء على عصابات هناك كما اشير الى ذلك من قبل . هذا ولا نعرف الا القليل عن التفاصيل الخاصة بحروب الدولة الوسطى المصرية فى «سوريا»، ومن أجل ذلك لم يكن معرفة الدور الذى قام به الاسطول المصرى فيها ، وفى خلال العصر المتوسط الثانى يمكننا ان نرى من البراهين الاثرية وبخاصة من اوانى «تل اليهودية» العظيمة الانتشار فى ذلك الوقت ، انه كانت هناك اتصالات غاية فى النشاط بين مصر وآسيا ، ولكن دون أن نعرف أى شىء عن التفاصيل الفنية ، وهذا ينطبق كذلك على النشاط المصرى بين البلدين فى خلال الجزء الاول من الاسرة الثامنة عشرة فى عهد ملوكها الاول . فقد ذكرت لنا النقوش ان ملوك مصر كانوا نشطين فى اسيا وان «تحتمس الأول» كان فى استطاعته ان يصل الى نهر الفرات ، وكان رئيس المجدفين «احمس ابن أبانا » قد اشترك فى الحملة التى قام بها «تحتمس الأول» على «نهرين» ، غير انه لا يكاد يكون لنا الحق فى ان نظن ان الاسطول قد قام بدور حاسم فى هذه الحملة . والظاهر انها كانت مجرد غارة عابرة اكثر منها محاولة جدية

(١) راجع Volten Analicta Aegyptiace, IV, PP. 47; Gardiner J.E.A.I. P. 30.

قصد منها جعل كل هذا الاقليم تحت سلطان مصر ، بل كان المقصود على ما يظهر مطاردة «الهكسوس» الى اقصى حد ممكن لابعادهم جملة عن الديار المصرية . وعلى أية حال فانه كان على «تحتمس الثالث» ان يبتدىء فتح هذه البلاد من جديد وذلك لقلة نشاط «حتشبسوت» فى العمليات الحربية بوجه عام .

وحملات «تحتمس الثالث» معروفة لنا جيدا ولا داعى لتحليلها هنا بالتفصيل ويكفى ان نقول انه أولا هدأ الاحوال فى فلسطين وعلى ساحل سوريا . ومن هذه القاعدة نجح فى تخريب بلدة «قادش» التى كانت من أشد المدن مقاومة له ، ثم ضرب قوم «ميتنى» ضربة قاسية وكانت هذه البلاد أقوى اعدائه واخطرهم عليه والواقع انه خرب بلادهم على كلا جانبى نهر الفرات . ولدينا من الاسباب ما يحملنا على الاعتقاد ان هذا النجاح فى شمالى سوريا يرجع بوجه خاص الى استراتيجية جديدة ادخلت فى عام ٣٠ من حكم هذا الفرعون . والواقع ان الحملة التى قام بها تحتمس الثالث فى هذا العام وهى التى انتهت بتخريب «قادش» يعتقد انها أول حملة استعملت فيها السفن لتنقل جنود الجيش ، ومن ثم قد تكون هذه أول عملية بحرية عرفت فى تاريخ العالم اجمع . ومع ذلك فان البراهين المباشرة على ذلك قليلة لدينا . فقد أشير الى هذه الحملة فى تواريخ تحتمس الثالث بكلمة «حملة» وقد خصصت هذه الكلمة بصورة سفينة مما يدل على أن تحتمس قد قام بهذه الحملة عن طريق البحر الى سوريا ، ومن ثم بدأت قوة مصر البحرية تزداد اتصالا ببلاد فلسطين حتى نهاية الاسرة الثامنة عشرة الى ان جاء عهد اخناتون ففقدت فى تلك الفترة سلطانها البحرى كما فقدت كل ممتلكاتها فى الجزء الشمالى من امبراطوريتها الاسيوية ، وقد حل محلها السوريون . وعندما أخذت مصر تفيق من سباتها كان الوقت متأخرا لان تعود الى مصر سيادتها البحرية من جديد ، لأن المواقع الحربية كانت تدور فى فلسطين وجنوبى سوريا . ولم يكن هناك أى أمل فى استرجاع المديريات الشمالية

التى فتحها تحتمس الثالث واخلافه ، كما ان الاسطول الذى كان يستعمل فيما بعد لنقل الجنود ومعدات الحرب لم يكن ضروريا كما كانت الحال من قبل ، وذلك لانه فى الحروب التى جاءت بعد ذلك لم نسمع عنه ابدا فقد سار «سيتى الاول» بجيشه مخترقا الصحراء فى فلسطين ، والظاهر كذلك ان «رعمسيس الثانى» لم يستعمل اسطولا لنقل جنوده عندما شن الحرب على «الخيتا» . هذا الى ان «رعمسيس الثالث» قد قابل سفن أقوام البحر عند مصب النيل وقضى عليهم بمساعدة سفن نيلية ومعاضدة الرماة الذين كانوا يرمون سفن العدو من الشاطىء بالنبال (١) ، وأخيرا يفهم من قصة «ونأمون» الشهيرة ان قوة مصر البحرية التى كانت فى يوم من الايام سيدة الجزء الشرقى من البحر الابيض المتوسط قد قضى عليها قضاء مبرما (٢) .

وقد ظلت الحال كذلك الى ان جاء عهد الاسرة السادسة والعشرين وهو عصر النهضة المصرية وفيه أخذت مصر تتصل ببلاد الاغريق اتصالا وثيقا وبدأت تستخدم الجنود الاغريق والبحارة الاغريق فى حروبها برا وبحرا مع بابل ثم فارس . وقد اضطرت الاحوال العالمية الملك «نيكاو» ثانى ملوك الاسرة السادسة والعشرين (٦٠٩—٥٩٤ ق.م) ان يعزز قوة بلاده البحرية فى البحر الابيض المتوسط وكذلك فى البحر الاحمر ، وذلك ببناء سفن من ذوات ثلاثة الاسطح على كل سطح منها صف من المجدفين وذلك على غرار السفن الاغريقية . وقد لوحظ انه فى السنين الاولى من حكمه قد بدأ بداية حسنة فى تقوية اسطوله لدرجة ان الفنيقيين المعروفين وقتئذ بمهارتهم البحرية قد اصبحوا تحت سلطانه . هذا الى انه قد عمل على اعادة الطرق المائية التى كانت تربط بين البحرين الأبيض المتوسط والأحمر وهى التى على أرجح بالاقوال كانت موجودة من قبل منذ الاسرة الثانية عشرة على الاقل وهى عبارة

---

(١)(راجع مصر القديمة الجزء السابع ص ٣٠١)

(٢) (راجع كتاب الأدب المصرى القديم الجزء الأول ص ١٦١ — ١٧٠)

عن قناة تأخذ ماءها من فرع النيل البلوزى الذى يصب فى البحر الابيض ويوصل الى البحر الاحمر (١) . غير انه لسوء الحظ لم يتم حفر هذه القناة التى توصل بين البحرين . وعلى أية حال فان الاسطول الذى بناه «نيكاو الثانى» كان النواة الاولى فى تجديد مجد مصر البحرى فى خلال الاسرة السادسة والعشرين ، ونجد كذلك انه بعد ان استولى الفرس على مصر ثم جلوا عنها أخذت مصر تعيد بناء اسطولها الذى حاربت به الفرس وساعدت به الاغريق على قهر الفرس . ولا غرابة اذا أن نجد ان «بطليموس الأول» أخذ فى اعادة بناء اسطول مصرى ليتسلط به على البلاد الاسيوية التى كان لا غنى لمصر عنها لحفظ كيانها السياسى والابقاء على حدودها سليمة ومد تجارتها فى كل انحاء شرقى البحر الابيض المتوسط والهند وجنوب افريقيا كما فصلنا فى ذلك القول فيما سبق .

أقسام مصر الجغرافية فى عهد البطالمة الأول :

تحدثنا فيما سبق عن الجيش والاسطول وقبل ان تتناول بالبحث ادارة البلاد الداخلية يجب أن نلقى نظرة خاطفة على نظام تقسيم البلاد جغرافيا فى عهد كل من بطليموس الاول والثانى لنرى ما حدث من تغيير منذ نهاية الحكم الفرعونى .

تحدثنا عن تقسيم مصر الجغرافى الى مقاطعات منذ اقدم العهود فى الجزء الاول من هذه الموسوعة (٢) ، كما تحدثنا عن الآلهة التى كانت تعبد فيها (راجع مصر القديمة ص٢٣٧ـ٢٥٥) وأخيرا وضعنا كتابا صغيرا عن «اقسام مصر الجغرافية فى العهد الفرعونى » وتحدثنا فيه بشىء من التفصيل عن المقاطعات المصرية منذ الدولة الحديثة حتى العهد الفارسى . وقد وجهنا عنايتنا فى هذا البحث الى الاسماء المصرية القديمة التى بقيت حتى عهدنا

(١) راجع مصر القديمه الجزء ١٢ ص ١٩٢
(٢) مصر القديمه الجزء الأول ص ١٦٩-١٧٤

الحالى وان كانت محرفة بعض الشيء . وسنحاول هنا ان نلقى نظرة خاطفة عما وصل الينا من معلومات عن جغرافية مصر فى عهـد الفرس ثم تتناول بالبحث مقاطعات مصر فى عهد البطالمة وما طرأ عليها من تغير خلال حكمهم .

جغرافية مصر فى العهد الفارسى :

ومما يؤسف له جد الاسف انه لم تصل الينا معلومات جغرافية عن مصر فى فترة الحكم الفارسى وما بعده حتى فتح الاسكندر لمصر الا ما ذكره لنا «هردوت» الذى زار وادى النيل فى العهد الفارسى وكتب عنه من عدة نواح ووصف مصر وصفا ممتعا لا يزال يعد المصدر الاول لدينا عن هذه الفترة الغامضة فى جغرافية البلاد . وأغلب الظن أن «هردوت» جاء الى مصر فى عهد الملك «ارتكزركزيس الأول» (٤٦٥—٤٢٤ ق.م) . على ان ما كتبـه «هردوت» عن مقاطعات مصر لا يدل على انه كان يقصد به ان يعددها لنـا بل ان المقاطعات التى ذكرها لنا كان الغرض منها ان يبين لنا المقاطعات التى كانت تورد جنودا ومقدار ما كان يورد من كل منها . ومن المهم لدينا جدا اسماء المقاطعات التـى ذكرها «هردوت» وقال عنها ان هؤلاء الاجناد كانوا يعسكرون فيها ، فنجد من بينها اسماء عدة لا نجدها فى قوائم اسماء المقاطعات فيما بعد فى الكتابات المصرية ولا فى قوائم المقاطعات التى وجدت منقوشة على جدران معابد عهـد البطالمة ، لأنها تختلف عنها اختلافا كليا من حيث المسميات ، ومن ثم استعصى على الباحثين تعيين مواقعها بالضبط او على الاقل تعيين جزء منها وهذه المقاطعات تقع كلها فى الدلتا عدا «طيبة» التى تشمل كل الوجه القبلى ، وسنضع عند تعداد اسماء تلك المقاطعات رقما بين قوسين ليدل على رقم المقاطعة بالنسبة لموضعها الاصلى فى القوائم العادية للمقاطعات فى الوجه البحرى وذلك كما أوردها «هردوت» على حسب توزيع الجنود المرتزقة الذين كانوا يسكنون فى هذه المقاطعات فكان جنود «هرموتيبر» يسكنون فى المقاطعات :

المقاطعة البوصيرية (رقم ٩) ، والمقاطعة الساوية (رقم ٥) والمقـاطعة

الخبية أى مقاطعة «خميس» وهى الجزيرة التى فى «بوتو» (١) حيث نشأ «حور» بن «ازيس» فى مستنقعاتها ، ومقاطعة «بابرميس» Papremis (٢) ومقاطعة بروزوبيتس Prosopitis ، وناتو (٣) وقد جاء ذكرها فى متن «اشور» بنيبال بوصفها اسم امارتين حيث يقول هردوت انها كانت مزدهرة. أما المقاطعات التى كان يسكنها جنود «كلازيرى» فهى : مقاطعة خيبه ومقاطعة بوباسطة (رقم ١٢) ، والمقاطعة المنديسية (رقم ١٦) ، والمقاطعة السمنودية (رقم ١٢) والمقاطعة الاتريبية أى «بنها» (رقم ١٠) ، والمقاطعة الفرباتية وهى على حسب ماذكره «أسترابون» (Strabo XVII, 1, 20 تقع فى الجنوب الغربى من تانيس ، والمقاطعة التموتية (Thmutes) فى «منديس» ، والمقاطعة «انوفيس» (Onuphis) الواقعة شمالى «اتريب» ، والمقاطعة «انيسيس» (Anysis) (٤) وتقع فى مناقع الدلتا وقد نشأ فيها الملك «انيسيس» وهى «خبس» (كوم الخبيزة) فى الوجه البحرى هيركليوبوليس الصغرى فى اقليم بلوز » (الفرما) وهى عاصمة المقاطعة لم يعرف اسمها ، وقد كتبت فى متن اشور بنيبال «هنيشى» (Henisi) وأخيرا مقاطعة «ميكفوريت» وتقع فى جزيرة «قبالة» بوبسطة وهى غير معروفة ولم يذكرها أحد غير هرودت (٥) .

مقاطعات مصر فى العهد البطلمى :

لدينا من العهد الذى يبتدىء بفتح الاسكندر لمصر وينتهى بالاحتلال الرومانى من عام ٣٣٢ — ٣٠ ق.م وثائق عدة عن المقاطعات التى كانت تحتويها مصر ونخص بالذكر منها أولا الورقة الاغريقية المؤرخة بالعام السابع

(١) راجع (Hekat, fr. 303; Jacoby Herod. II, 156
(٢) راجع (Herod. II, 59, 63, 73 III, 12)
(٣) (راجع ما كتب عن هذا المكان فى ورقة فلبور فى مصر القديمة الجزء الثامن صفحة ١٦٨ ومعناها كما يقول (ادوردمير) مناقع الدلتا)
(٤) راجع Herod. II, 137.
(٥) راجع Gauthier Les Nomes D'Egypte. P. 25-27.

والعشرين من عهد بطليموس الثاني وهي المعروفة بورقة «قوانين الايرادات» هذا بالاضافة الى الورقة الجغرافية الموجودة فى مجموعة «امهرست» . وقد دونت فى عهد الملك بطليموس السابع وكذلك الورقة الجغرافيـة المعروفة بورقة «موريس» وهى من عهد نفس الملك السابق ، وأخيرا لدينا القوائم الهيروغليفية التى نقشت على الجزء الأسفل من جدران المعـابد البطلميـة وبخاصة معبد «ادفو» ويرجع تاريخها الى حكم بطليموس السابع «ايرجتيس الثانى» وابنيه «بطليموس الثامن» «سوتر الثانى» و «بطليموس التاسع» «الاسكندر الأول» .

وقد صرح بعض المؤرخين على حسب ما رواه لنا المؤرخ أريان (١) ، ان مصر كان قد قسمها « الاسكندر الأكبر» قطرين اداريين يشـمل احدهما مقاطعات الوجه القبلى والآخر مقاطعات الوجه البحرى أو الدلتا . ويضيف أحد هؤلاء المؤرخين : « ومع ذلك فانه على ما يظهر نجد ان الملوك المقدونيين والرومان الذين اتوا بعد الاسكندر لم يقيموا وزنا لهذا التقسيم . ولكن اذا قرأنا بالتفات عبارة «اريان» نجد ان احد هذين الحاكمين المصريين الذين قسم بينهما الاسكندر ادارة البلاد المصرية قد تنحى عن عمله ، وان الاخر وهو المسمى «دولو ابيبس» قد أخذ كل مقاليد الحكم جميعها فى يده. ومن جهة أخرى نعلم انه لم يكن بطليموس الثانى الذى جعل من اقليم طيبة قيادة حربية واحدة ، وبذلك اصبحت كل مقاطعات الوجه القبلى تنطوى تحت لوائها باسم «توبوس» . والواقع ان اقليم طيبة بوصفه مركز قيادة عليا يجمع تحت قيادته العليا كل المقاطعات المصرية من أول الاشمونيين فصاعدا لا يبدو انه يرجع فى تأريخه الى عهد «بطليموس السابع » .

وعلى الرغم من أن ملوك البطالمة قد أظهروا ما أمكنهم من براعة ليسلكوا سياسة تنطوى على المحافظة على تقاليد الشعب المصرى وعاداته القديمة التى كان يسير على هديها منذ أقدم العهود فى كل الشئون الممكنـة . هذا مع

(١) راجع Arrian, Anabase III, 5.

جعلها تتفق مع الاراء الاغريقية التى كانوا هم الممثلين لها وجالبيها فى البلاد فأن مقتضيات الأحـوال التى كانت تحتمهـا الضرورة من حيث الادارة ، وبخاصة الالتزامات المالية الملحة قد أوجبت عليهم ان يكمشوا أو يغيروا الى درجة محسة نظام المقاطعات التى كانت تنقسم اليها البلاد . ونحن نعلم انه منذ عهد الفرس قد طرأ تغير على نظام المقاطعات ومساحاتها واسـمائها فى كثير من جهات القطر وبخاصة فى الوجه البحرى .

ويدل ما وصل الينا حتى الآن من معلومات انه ليس فى متناولنا قائمـة رسمية باسماء المقاطعات التى كانت تحتويها مصر باللغة الاغريقية كما انه ليس فى متناولنا حتى الان قائمة هيرغليفية غير القائمة التى عثر عليها فى نقراش (كوم جعيف) عام ١٩١٤ . وعلى أية حال لا يمكننا ان نستخلص منهـا اية معلومات تفيد فى الموضوع الذى نحن بصدده . وهذه القطعة نشرها الأثرى «ادجار» (١) . وفى العام السـابع والعشرين من حـكم بطليموس الثانى (٢٥٩ ق.م) صدرت وثيقة مالية رسمية حصل عليها لحسن الحظ (فى عام ١٨٩٣ — ١٨٩٥) كل من «بترى» والاستاذ «مهفى» وتعرف باسم قوانين الايرادات (٢) . ويوجـد فى هذه الورقة فى الاسـطر من ٢١ و ٦٠ الى ٧٢ سلسلتان من المقاطعات المصرية يحتمل ان السلسلة الثانية كانت أسـبق من الأولى من حيث التأريخ وهاتان السلسلتان هما قائمتان باسـماء المقاطعات المصرية التى كانت تحتويها مصر . غير انهما لا يتحدان مع القوائم القديمة التى وجدت منقوشة على جدران المعابد المصرية كما لا تتفقان مع القوائم الاغريقية التى تركها لنا «هردوت» من حيث مقاطعات الدلتا ، وفضلا عن ذلك نلحظ ان هاتين القائمتـين لا تتفقان معا . ولا شك فى ان كلاهما يحتوى على عـدد

---

(١) راجع A. S. XXII, P. 2-6.

(٢) راجع Revenue Laws. P.P. Grenfell, Revenue Laws of Ptolemy Philadelphus (Oxford) 1689; Ibid., vol. I, Introduction, P. XLV sq.

موحد من المقاطعات وهو اربع وعشرون مقاطعة لا يدخل فيها اقليم طيبة . هذا الى ان كل قائمة من القائمتين تحتوى على ثمانى عشرة مقاطعة خاصة بالدلتا وست مقاطعات فقط خاصة بمصر الوسطى . ومن المؤكد ان ست المقاطعات الخاصة بمصر الوسطى هى نفس المقاطعات فى كل من القائمتين وتقابل فى القوائم الهيروغليفية المنقوشة على جدران المعابد المقاطعات ١٥ ، ١٧ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ . وعلى ذلك نجد ان المقاطعتين السادسة عشرة والثامنة عشرة من هاتين القائمتين قد اختفتا فعلا ، اذ قد امتصتهما المقاطعات المجاورة لهما . اما من حيث مقاطعات الدلتا فان الفروق بين القائمتين كثيرة.

ويطيب لنا ان نلحظ هنا انه من بين مقاطعات الدلتا التى توجد فى قوائم المعابد ولا توجد فى قائمتى بطليموس الثانى وهى المقاطعات ٣ ، ٦ ، ٨ ، ١٥ ، ١٧ . ومن جهة أخرى نجد ان البردية تذكر ثلاث مقاطعات من مقاطعات الدلتا لم يأت ذكرها فى قوائم المعابد التى من قبل «بطليموس الرابع» وهى المقاطعة ١٨ أى المقاطعة البوبسطية والمقاطعة التاسعة عشرة (أى ليونتوبوليس) والمقاطعة العشرون أى مقاطعة العرب . وعلى أية حال فان السبب فى عدم وجود خمس المقاطعات هذه هو انه قد حل محلها ثلاث أخرى وهى التى زيدت فى كل من قائمتى بطليموس الثانى .

والآن بعد ذكر هذه الملحوظات الأولية ، وهى فى الواقع ملحوظات عامة يجب علينا ان نبحث عن التجديدات التى ظهرت فى قائمتى بطليموس الثانى وهما اللتان وجدتا فى بردية قوانين الايرادات فمن جهة مقاطعات مصر الوسطى فليس لدينا الا القليل الذى يدعو الى البحث فيه ، اذ أن كل ما يجب الاشارة اليه هو ان المقاطعتين السادسة عشرة والثامنة عشرة قد اندمجتا فى المقاطعات المجاورة لهما والدليل على ذلك انهما لم يذكرا فى كل من القائمتين . ومن ثم لم يذكر فى مصر الوسطى الا المقاطعة الخامسة عشرة وهى مقاطعة هرموبوليس ، والمقاطعة السابعة عشرة سينوبوليس (قيس) ، والمقاطعة

التاسعة عشرة وهى اوكسيرنيكوس (البهنسا) ، والمقاطعة العشرون وهى اهناسيا المدينة ، والمقاطعة الواحدة والعشرون (كروكودبوليس) و(= الفيوم) والمقاطعة الثانية والعشرون (افروديتوبوليس) (= اطفيح) .

هذا وقد جاء اسم مقاطعتين كل منهما باسم مقاطعة البحيرة فى كل من قائمتى بطليموس الثانى وقد اطلق عليهما اقليم البحيرة . وقد وجدتا ثانية فى ورقة «بترى» ثم اختفتا فيما بعد فى اواخر عهد «بطليموس الثانى» عندما سميت مقاطعة «الفيوم» باسم الملكة «ارسنوى الثالثة» وبذلك حل هذا الاسم الاخير محل الاسم القديم « مقاطعة التمساح » وعاصمتها «شدت» المشهورة بمحرابها الخاص بالاله «سبك» وهى المعروفة الآن « بكيمان فارس» القريبة من مدينة «الفيوم» الحالية .

هذا ويمكن توحيد ست عشرة مقاطعة من مقاطعات قائمتى بطليموس بقوائم المعابد المصرية القديمة وهى :

١ ـ مقاطعة لوبيا وتقابل المقاطعة السابعة فى القائمتين .

٢ ـ المقاطعة الساوية وتدخل فيها «نقراش» وقد كانت مستقلة عن ادارة المقاطعة وتمثل المقاطعة الخامسه

٣ ـ مقاطعة «بروزوبيتيس» (Prosopitis) وتقابل المقاطعة الرابعة وهى التى عدها هردوت جزيرة .

٤ ـ مقاطعة اتريبيتس وهى المقاطعة العاشرة فى قوائم المعابد

٥ ـ مقاطعة سبنوتوس أى المقاطعة السمنودية وتقابل المقاطعة الثانية عشرة فى قوائم المعابد .

٦ ـ مقاطعة بوزيريس ، وتقابل المقاطعة الثانية عشرة (بوصير) .

٧ ـ مقاطعة «منديس» وتقابل المقاطعة السادسة عشرة .

٨ ـ مقاطعة «ليونتوبوليس» والمقاطعة التاسعة عشرة («تل المقدام» الحالى) .

٩ ـ مقاطعة فرابوتوس (=هربيط) وتقابل المقاطعة الحادية عشرة .

١٠ — مقاطعة أرابيا (= العــرب) وهى المقاطعة العشرون وعاصــمتها «صفط الحناء» .

١١ ، ١٢ — المقاطعتان «ستوريت» و «تانيس» وتقابلان المقاطعة الرابعه عشرة .

١٣ — مقاطعة «بوباسترِيت» وتمثل المقاطعة الثامنة عشرة من مقاطعــات قوائم المعابد .

١٤ — مقاطعة «منفيس» وتمثل المقاطعة الاولى من مقاطعات قوائم المعابد.

١٥ — ليتوپليتيس (أوسيم الحالية) وتمثل المقاطعة الثانية

١٦ — مقاطعة (هليوبوليتيس) وتمثل المقاطعة الثالثة عشرة .

وعلى أية حال فان هذه المقاطعات اذا كانت تقابل بصفة عامة الاسماء التى وجدت فى القوائم الهيرغليفية فانه من المفروض انها من حيث المساحة والحدود لا تقابل بالضبط ما كانت عليه فى العهود القديمة . ومن المعلوم ان البراهين التى تؤكد لنا ذلك تنقصنا ، ولكن على أية حال لدينا مثال واحد يوضح لنا ذلك تماما ، ونجده فى مقاطعتى سوتيريت و «تانيس» فهما فى الواقع مركــز مقاطعة فرعونية واحــدة بعينها وهى المقــاطعة الرابعة عشرة المعروفة بنهاية الشرق وعاصمتها تل أبو صيفة الحالى (تانيس) .

وفى النهاية يجب ان نذكر هنا ألا جدوى فى ان نقابل بين مقاطعات ورقــة بطليموس الثانى والمقاطعات التى ذكرها «هردوت» . والاخيرة تعد أقدم من الأولى بنحو قرنين من الزمان ، وذلك لانه توجد سبع مقاطعــات من التى ذكرها «هردوت» لا توجد بوجه خاص فى قائمتى بطليموس الثانى وهى :

« انيسيوس » (Anysios) و « أفتيت » (Aphthite) و « خميــت » Chemmite و «ميكفوريت» Myecphorite ونصــف « ناتو » (Natho) و «باريميت» (Papremite) و «تمويت» (Thmouite)

ومع ذلك فليس لنا الحق بأن نقرر ان هذه المقاطعات قد اختفت اختفاء تاما

وان ما وقع هو انه قد حدث بعض تبسيط فى الانظمة الادارية فى عهد بطليموس الثانى فمزجت بعض المقاطعات ببعضها الآخر بعد ان كانت فى الأصل مميزة . هذا ولما كان الرومان قد انشئوا فى الدلتا بوجه خاص مقاطعات جديدة فانه من المدهش لحد ما انهم لم يعيدوا أية مقاطعة من المقاطعات القديمة من التى ذكرها هردوت الا مقاطعة تمويت (Thmouiti) ، وعلى ذلك فانه يكون أكثر صوابا أن نعترف بأن تلك المقاطعات التى ذكرها هردوت لم تذكر فى ورقة بطليموس الثانى المالية . اما انها لم توجد قط بوصفها مقاطعة بالمعنى الحقيقى واما انه قد تغير اسمها بسبب الانظمة الادارية البطلمية الجديدة . وعلى ذلك محيت اسماؤها القديمة التى كانت تحملها فى القرن الخامس ق.م ولم يبق منها الا اسم مقاطعة «تمويت» ، وقد حول تقريب هذه الاسماء التى أوردها «هردوت» مثل انيسيوس (Anysios) و «افتيت» Aphthite ، ولكنها لا تزال موضع شك حتى الآن وعلى أية حال سنضع الآن جانبا الاسماء غير المؤكدة ونكتفى بدرس اربع مقاطعات لا شك فى وجودها فى ذلك العهد وهى لوبيا و «منيلايوس» و «الدلتا» ونيتريوتيس Nitriotis : أى مقاطعة وادى النطرون .

١ ـ **مقاطعة « لوبيا »** : جاء ذكر هذه المقاطعة فى القائمتين اللتين فى ورقة بطليموس الثانى المالية غير انها لم تسبق فى كل من القائمتين بكلمة مقاطعة ، ومع ذلك نجد ان الاستاذ «زيتة» قد ذكر مقاطعة لوبيا فى مقال له (١) . وليس لدينا ما يؤكد ان مقاطعة «لوبيا» كانت موجودة فى البلاد اللوبية القديمة التى ذكرها «هردوت» (٢) . وقد جاء ذكر هذه المقاطعة فى نقش يرجع تاريخه الى القرن الثالث ق.م (٣) . هذا ولم يذكر «استرابون» هذه المقاطعة فى وصفه للمقاطعات المصرية ، ويحتمل ان السبب فى ذلك يرجع الى ان هذا الاقليم

(١) راجع Pauly-Wessowa-Kroll, Real. Encyc. IV. Col. 2701-2702.

(٢) راجع Herod. II, 18.

(٣) راجع Dittenberger, O.G.I.S. No. 54, 1, 6.

الذى يقع فى أقصى الشمال الغربى من البلاد على امتداد البحر الابيض المتوسط لم يكن وقتئذ ضمن المملكة المصرية . هذا ونجد «لوبيا» تظهر ثانية فى القرن الاول الميلادى باسم «اقليم لوبيا» فى كتاب «بلينى» (١) .

وجاء ذكر «لوبيا» على أوستراكا مختلفة ، وفى اوراق بردية وبخاصة الورقة رقم ٢٣ التى عثر عليها فى الفيوم وتؤرخ بالقرن الثانى (٢) ، على غرار ما جاء فى الورقة المالية التى من عهد بطليموس الثانى ، هذا وكان أول من استعمل عبارة مقاطعة «لوبيا» هو الجغرافى بطليموس حوالى عام ١٥٠ بعد الميلاد . والظاهر ان هذه المقاطعة كانت قسمت وقتئذ قسمين كل منهما يحمل اسم مقاطعة ، وذلك لان «بطليموس الجغرافى» قد عدد فى فقرتين من جغرافيته الواحدة منهما بعيدة عن الأخرى . فذكر أولا واحدا وعشرين مكانا من مقاطعة «لوبيا» التى على شاطىء البحر ثم ذكر عشرين بلدة من مقاطعة لوبيا (٣) . والأخيرة من هذه البلدان هى « مريوط» التى تتاخم من جهة الشرق مقاطعة «لوبيا » .

ومن ثم نرى ان هذه المقاطعة لا توجد بأية حال من الاحوال كما ظن «بركش» بالمقاطعة الثالثة من قوائم المعابد أو مقاطعة الغرب التى عاصمتها «بر — نب — يامو» (= بيت شجرة يامو) وكانت تقع مكان «كوم الحصن» الحالى مديرية البحيرة مركز «كوم حمادة» (٤) .

وهذه المقاطعة على حسب ما جاء فى الجغرافية بطليموس بوضوح عظيم تقع بين « مرمريقا » فى الغرب و « مربوط » فى الشرق ، وواحة «آمون» (واحة سيوة) فى الجنوب . وعلى ذلك فانها توجد جزئيا

---

(١) راجع Pline, Hist. Nat. V, 49.

(٢) راجع Preisgke, Worterbuch der Griecheschen Papyruskunde III, P. 309.

(٣) راجع Ptol. IV, 53; IV, 5, 14.

(٤) راجع Sethe, Die Aegypt. Ausdrucke fur rechts und links (1922) P. 229, note 2 & P. 237; Urgeschichte (1930). P. 55. IV, 5, 23, 31.

على الاقل فى المقاطعة السابعة فى القوائم المصرية القديمة وهى المسماة مقاطعة الخطاف الغربى ، وتصل حتى البحر الأبيض المتوسط . ومن بين مدنهـا الرئيسية الموانى العديدة التى كانت على الساحل الغربى «الاسكندرية» ، وكانت تمتـد فى الجهة الغربيـة حتى كاتاباتموس (Katabathmos) التى كانت تفصلها عن مرمريقة. هذا وكانت «مرمريقة» تعد فى العهد الرومانى فى سرينيكى أى خارج مصر . و «بطليموس الجغرافى» هو أول من أدخلها فى قائمة المقاطعات المصرية .

٢ — **مقاطعه منيلايت** : نجد اسم هذه المقاطعة للمرة الاولى فى الورقة رقم ٩ من أوراق «زينون» التى من عهد بطليموس الثانى . وقد جاءت فى العبارة التالية : فى معبد «منيلاديس» من مقاطعة «فيلايت» (١) .

ومن ثم ليس هناك أى شك فى وجود مقاطعة بهذا الاسم فى عهد «بطليموس الثانى» ، وفضلا عن ذلك فان «سترابون» قد ذكرها أيضا . ولدينا مصدران هامان لتحديد موقع مقاطعة «منيلايت» هذه وهما برديتان فى «برلين» جاء فيهما ان هذه المقاطعة ملاصقة لاقليم الاسكندرية (٢) . وفى عهد الامبراطور «جلبا» أى عام ٦٨ ميلادية نقرأ ان فى منشور الحاكم «تى» ان «يوليوس ، الاسكندر» يقرب كذلك كثيرا هذه المقاطعة من اقليم الاسكندرية (٣) .

وبعد هذا التاريخ بقليل نجد «بلينى» يذكر اسم «منيلايت» بانها تقع بين «جتيكوبوليتيس» واقليم الاسكندرية . وعلى أية حال ظل موضوع هذه المقاطعة موضع نقاش الى ان تناوله الاثرى «دارسى» (٤) ، وأخذ يشرح حقيقة اسطورة «كانوبوس» بحار البطل المسن «منيلاوس» الذى ذكر فى «أودسى» «هومر» ، والخلط بين منيلاوس هذا سميه وهو أخ بطليموس الأول مما

(١) راجع Edgar, Zenon Papyri in the University of Michigan Collection (Ann. Arbor 1931). P. 69.

(٢) راجع B.G.U., No. 1123, 1, 2, et No. 1159, 1, 5.

(٣) راجع Dittenberger. O.G.I.S. No. 669, 1, 59-60.

(٤) راجع Revue d'Egypte Ancienne II, P. 20 sq.

أدى الى الخطأ الذى وقع فيه بطليموس الجغرافى ، وهو الذى على حسب رأيه تكون « كانوب » عاصمة مقاطعة منيلاليت . والواقع أن ما جاء فى «استرابون» من أن «منيلايت» تقع على اليمين ، اى شمال قناة «كانوب» يحتم علينا أن نضع هذه المقاطعة على الحافة الشمالية الغربية من الدلتا بين فرع كانوب وبحيرة «مريوط» وفيما بعد فى عهد «بلينى» عندما حدث تقسيم مقاطعة منيلايت مقاطعتين وحدت مقاطعة جديدة تسمى «ميتليت» ومن ثم نلحظ أن مقاطعة منيلايت قد نقصت مساحتها نقصانا محسا ، وبذلك انحصرت فى الجهة الشمالية القصوى من مقاطعة منيلايت البطلمية ، ولكن فى العهد الذى كتب فيه سترابون كانت هذه المقاطعة متصلة بجزء من اقليم الاسكندرية وبجزء آخر من مقاطعتى «جنيكوبوليتس» (المقاطعة الثالثة فى قوائم المعابد «هرموبوليس برفا» وعاصمتها (دمنهور) والمقاطعة الساوية (المقاطعة الخامسة = سايس) . وكانت تشمل على الأقل الجزء الأعظم من المقاطعة السابعة من مقاطعات قوائم المعابد (مقاطعة الخطاف الغربى ميلتيس فوه) ، وعلى ذلك لم تكن عاصمتها قريبة من «كانوب» ولا من «أدكو» على ما يظن بل كانت تقع عند تل «لوكين» على مسافة ٣٥ كيلو مترا من الجنوب الغربى من «الكريون» وعلى مسافة ٣٢ كيلومترا من «الاسكندرية» وهذا التل يمثل لوكيتا (= بلد الكلب) ، هذا ويضيف «دارسى» الى ذلك أنه فى عهد البطالمة قد تخلت هذه المدينة عن مكانتها بوصفها عاصمة المقاطعة السابعة ، غير أنه لم يعط براهين على ذلك .

واذا كانت مقاطعة «منيلايت» تقع فى المكان الذى اقترحه «دارسى» فانه لا يوجد ما يعارض أنها كانت المقاطعة «منيلايد» التى وجد اسمها ممزقا فى السطر السادس من العمود الواحد والثلاثين من ورقة بطليموس الثانى الخاصة بقوانين الايرادات ، وذلك لأننا فى هذه الفقرة نجد أنفسنا فى الاقليم المناسب لموقع هذه المقاطعة .

أما عن مدينة «منيلاوس» التى جاء ذكرها فى فقرة من «سترابون» وهى

غير المتعلقة بمقاطعة «منيلايتيس» الواقعة فى وادى النظرون فانها تختلف بالتأكيد عن مقاطعة «منيلايت» ومع ذلك فاننـــا لا زلنا غير متأكدين من موقعها تماما .

٣ – **مقاطعة الدلتا** : جاء فى ورقة «بطليموس الثانى» الخاصـــة بقوانين الايرادات فى السطر السادس من العمود الواحد والثلاثين أن بعد كلمة متيلايدس وقبل كلمة سبنوتوس (سمنود) ذكرت مقاطعة «الدلتا» وقد وحدها المؤرخ «مهفى» بمقاطعة هليوبوليس، غير أن بعض العلماء شكوا فى ذلك، الى أن جاء الأثرى وهــذا هو الرأى الصواب اذ نعرف من «سترابون» أنه توجد فى قمة الدلتا قرية تدعى «دلتا» .Strabo, XVII(19, 4 (C. 788) وقد يكون من الجائز أنه أطلق اسم هــذه القرية على كل الاقليم الذى كانت عاصمته هليوبوليس الواقعة قريبا جدا من نقطة انفراج فرعى الدلتا على الشاطىء الأيمن للنهر .

٤ – **مقاطعة نتريون (وادى النطرون)** : يظهـر أن هـــذا الاســم ليس له الا وجــود مؤقت وذلك خــلافا لذكره مرة واحـــدة فى ورقة « بطليموس الثـانى » المـــالية فى احـدى القـــائمتين جاء ذكــره فى (اســترابون) (١) وقــد ظن كل من المــؤرخ مهفى والأثرى جرنفــل ان عدم ذكر هذه المقاطعة فى القائمة الثانية من الورقة قد يفسر بأنه يقابل اسم المقاطعة «منيلايد» المهشم ، غير أن هذا فيه شك كبير . والواقع ان اسم مقاطعة «نتريوتيس» قد اشتق من وادى صحراء لوبيا المعروف عنـد قدماء المصريين من اسم «حقـل الملح» (شخت حمات) وعاصمته « شرب » (= مدينة النطرون) . وهذا الوادى يعرف كذلك بالأسماء التالية نيتريا ، نيتريوتاس ، نيترياڤليس (Nitria Vallis) واحة بحيرات النترون والواحة نترية الخ . وهذا الاقليم يتبع فى قوائم المعابد الجغرافية المقاطعة الثالثة من

---

(١) راجع Strabo XVII, C. 803.

مقاطعات الوجه البحرى أى مقاطعة الغرب وهى بلا شك الذى أطلق عليها بطليموس الجغرافى اسم سكياتيك كورا (Ptol. IV, 5, 15)

وفى منتصف القرن الثانى بعد الميلاد لم تعد بعد مقاطعة مستقلة بذاتها بل أضيفت من جديد لمقاطعة الغرب التى أصبحت تدعى جينكوبوليت Gynecopolite وهى التى كانت مميزة عنها تماما فى القرن الثالث قبل الميلاد .. ومن الجائز أن مقاطعة نيتريوت ينبغى أن تشمل فوق وادى النطرون واقليم اسكياتيك جزءا من الأرض الزراعية على حافة الدلتا أى جزء من المقاطعة التى سماها استرابون فيما بعد جينكوبوليت .

قوائم المقاطعات فى المعابد البطلمية

وبعد التحدث عن قوائم المقاطعات وما فيها من ملابسات كما جاء فى الأوراق البردية الاغريقية يجدر بنا أن نتحدث بعد ذلك عن قوائم المقاطعات كما جاءت على المعابد البطلمية وما طرأ عليها من تغييرات بالنسبة للعهد الفرعونى .

تدل الوثائق التى فى متناولنا على أن القوائم الجغرافية الخاصة بالمقاطعات المصريه التى وجدت على جدران المعابد فى العهد البطلمى كانت مجزأة الى الى وحدات كثيرة أكثر مما كانت عليه فى عهد الفراعنة ، وذلك بصورة محسة .

فمنذ الأسرة التاسعة عشرة يلحظ أن قائمة المقاطعات التى نقشت على جدران معبد «رعمسيس الثانى» بالعرابة المدفونة قد زيد فى عددها مقاطعتان على ما كانت عليه قبل ذلك العهد .

حقا نجد كذلك فيما نقله الأثرى «دميخن» فى كتاباته الجغرافية (١) ومن بعده «ماريت» أنه قد نقل قائمة أشخاص جغرافيين من القاعة I من معبد سيتى الاول ، وكان الذين مثلوا الوجه البحرى فيها ثلاثون بدلا من العدد العادى وهو عشرون (وأحيانا ستة عشر فقط) . وقد فحص «بترى» هذه

(١) راجع Geographische Inschr. I, P. 32-4 & PL. XCI, b.

القائمة فى عام ١٩١١ فى كتابه « دراسات تاريخية » (١) .

ولم يتردد فى القول بوجود ثلاثين مقاطعة فى الوجه البحرى بدلا من عشرين، غير أن البحوث الجغرافية الدقيقة التى قام بها «بترى» نفسه ثانية و«دميخن» وأخيرا « دارسى» قد أسفرت عن أن نصف هؤلاء الأشخاص الجغرافيين لا يدل على مقاطعات ومن ثم يتبين أن قائمة القاعة D فى معبد سيتى الأول كانت بعيدة كل البعد عن أن تقدم لنا أقساما جغرافية جديدة للدلتا اذا ما قرنت بالقوائم التى سبقتها ، بل على العكس نجد أنها كانت ناقصة (٢) .

أما عن التغيرات التى وجدت فى قوائم البطالمة بالنسبة لعـــدد المقاطعات وحدودها بالتوالى فلدينا معلومات فى هذا الصدد خلافا لمـا جاء ذكره فى ورقة قوانين الايرادات التى من عهد بطليموس الثانى ، وذلك فى وثائق عدة من أصول مصرية ، فلدينا قوائم جغرافية بأسماء المقاطعات نقشت على الجزء الأسفل من جدران المعابد. هذا بالاضافة الى بعض أوراق هيراطيقيـــة ذات صبغة جغرافية أسطورية . ويكفى أن نذكر هنا بوجه خاص البرديات المسماة «أوراق موريس» الجغرافية وهى موجودة بمجموعة «أمهرست» .

« أوراق موريس »

قام بنشر أوراق «موريس» بعض العلماء وأهمها مخطوط «هاريس» رقم ٧ وقد نشره «لانزون» (٣) .

ولم يذكر فى هذه البردية فى الواقع أسماء مقاطعات بل ذكرت عواصم المقاطعات مع ذكر الآلهة المحليين الذين كانوا يعبدون فيها بالتوالى . وعدد هذه العواصم أربعون ، ويلحظ أنها قد مثلت دون مراعاة أى ترتيب جغرافى حقيقى وفضلا عن ذلك نجد أن بعضها قد ظهر عدة مرات فى حين أن بعضها الآخر على العكس قد حذف ، وعلى ذلك نجد أنه من بين اثنتين وأربعين

(١) راجع (Historical Studies, P. 22-29

(٢) راجع (Gaurhier Ibid. P. 50.

(٣) راجع Lanzone, Les Papyrus du Lac Moeris, Turin (1896).

عاصمة قد ذكر اثنتان وثلاثون فقط . خصصت منها ست عشرة للوجه القبلي والست العشرة الأخرى للوجه البحرى فنجد أن المقاطعات الأولى والثانية والثالثة من مقاطعات الوجه القبلي والمقاطعتين الحادية عشرة والتاسعة عشرة (وهما مقاطعتا الآله «ست») والمقاطعة السابعة عشرة لا وجود لها . وكذلك المقاطعات السادسة والحادية عشرة والرابعة عشرة والثامنة عشرة من مقاطعات الدلتا ليس لها وجود .

أما ورقة «أمهرست» الجغرافية فتحتوى على صفحتين كل منهما مقسمة أربعة أعمدة عمودية وتحتوى كل صفحة على عشرين قسما (١) .

وقد خصصت كل خانة من هذه الأقسام للآله الذى فى صورة تمساح «سبك» آله الفيوم بوصفه سيد عاصمة هذه المقاطعة أو تلك . هذا عدا مقاطعة «الفيوم» . ومن ثم نفهم أن هذه ليست أسماء المقاطعات نفسها بل عواصمها كما جاء فى مخطوط ورقة بحيرة موريس ؛ وذلك فى حين أن «الفيوم» تشغل وحدها (خانتين) . هذا ونجد أن عاصمة المقاطعة الثانية والعشرين من مقاطعات الوجه القبلي التى تواجه الفيوم على الشاطىء الأيمن للنيل قد حذفت ، أما عن الوجه البحرى فليس لدينا الا ثمانى عشرة عاصمة بدلا من عشرين ويلحظ أن ترتيبها الجغرافى لم يكن مقيدا قط .. ولدينا من بين هذه المقاطعات واحدة تختلف عن القائمة التقليدية وهى العاصمة «رع ـ نفر» « = نوفريس » أو «أونوفيت» وهى التى جاء ذكرها فى قائمة «هيردوت».

ومما سبق نفهم أن أوراق البردى الهيراطيقى المؤرخة بالقرن الثانى ق.م لا تمدنا بأية معلومات عن المقاطعات .

---

(١) راجع The Amherst Papyri, being an account of the Egyptian papyri in the collection of the Right Hor. Lord Amherst, etc., London (1899) see P. 44-46, ans PL. XV XVII for the Georgr. pap.

قوائم المعابد

ننتقل بعد ذلك الى قوائم المعابد التى نقشت على الأجزاء السفلية من جدرانها بالهيرغليفية فى عهد البطالمة . فمن بين هذه القوائم اثنتان جديرتان بالاهتمام أولهما القائمة التى نقشت فى عهـــد الملك «بطليموس السابع» «ايرجيتيس الثانى» على الجزء الأسفل من الدهليز الكبير لمعبد «ادفو» وهو الدهليز الذى يحيط بكل البناء الذى ســماه الأثرى «شاسينا» الناووس . فنشاهد منقوشا عليه فضلا عن العشرين مقاطعة العـــادية للوجه البحرى وكذلك أسمائها ، بعض أسماء مقاطعات اضافية (١) .

ولكن نشاهد بوجه خاص على الجزء الأسفل من الواجهة الداخليـــة من جدار الحرم الغربى للمعبد قائمة أحدث من السابقة بعض الشىء أى من عهد «بطليموس التاسع الاسكندر الأول» ، وتحتوى على عـــدد أكبر بكثير من المقاطعات الاضافية لكل من الوجهين القبلى والبحرى . وسنقتصر هنـــا فى التحدث عن مقاطعات الوجه البحرى على ذكر مقاطعتين جديدتين ذكرتا فى القائمة الأولى ويرمز لهما بصورة سمكة ومزلاج على التوالى ، وقد خصص لهما العددان ٢١ و٢٢ على التوالى . هذا ولدينا قائمة أخرى جاء عليها ذكر مقاطعة ثالثة اضافية وخصص لها رقم ٢٣ (٢) .

وسنوجه العناية هنا بوجه خاص لقائمة «بطليموس التـــاسع الأسكندر الأول » وهو الذى يطلق عليها بعض المؤلفين اسم « قائمة الثمانى والاربعين مقاطعة » .

وكان أول من لاحظ وجود هذه القائمة وأهميتها البـــالغة هو الأثرى «دميخن» ومن بعده «هنرى بروكش» (٣) . وقد تناول هذه القائمة بالفحص

---

(١) راجع Chassinat, Le Temple D'Edfu, t. IV, P. 39-4; & t. X PL. XCVI.

(٢) راجع Chassinat, Le Mammisi D'Edfu. P. 66 & Pl. XXI.

(٣) راجع A. Z. I., P. 2- 9.P. 16.

والدرس علماء الاثار ، غير أن فحصـــها المثمر لم يبتدىء الا بعـــد أن نشر «شاسينا» نقوش معبد «ادفو» (١) . والواقع ان هذه القائمة الغربيةفي بابها وهي التي نقشت على جدران حرم المعبد من الجهة الغربية من معبد ادفو تتبع القائمة التي نقشت على الجزء الأسفل من جدار الحرم الشرقي وجدت بكل أسف مهشمة جدا ، وذكرعليها أسماء الاثنتين والعشرين مقاطعة التي يحتوى عليها عـــادة الوجه القبلي ، وذكر مع كل مقاطعـــة عاصمتها على التوالي (٢) .

وبعد ذلك ذكرت مقاطعات الوجهالبحرى العشرين ، ولكنالقائمة لم تقف عند هذا الحد بل نجد بعد المقاطعة العشرين من مقاطعات الدلتا وهي مقاطعة العرب ، أنه قد أضيف ثمانية وعشرون شخصا يحمل كل واحد منهم رمزا خاصا بالمقاطعة فوقه اسم مصحوب بسطر من النقوش على غرار المقاطعات السابقة (٣) .

والآن يتساءل الانسان ما الذى يمثله الثمانية والعشرون شخصا الجددهذه التى أتت بعد مقاطعات الوجه البحرى العشرين ؟ والواقع أنه عنـــدما ينظر الانسان الى هذه الشخصيات بامعان يفهم بسهولة ان هذه المراكز الثمانية والعشرين الاضافية تنقسم بالضبط قسمين كل منهما أربعة عشر ، والقسم الأول خاص بالوجه القبلي والثاني بالوجه البحرى . وهنا يتعرف الانسان مرة أخرى على مبدأ الثنائية عند قدماء المصريين فى كل شيء ، وذلكمحافظة على توازن المساواة بين القطرين أى بين شطرى الوادى ، وعلى ذلك فان الملك البطلمى الذى انشأ هذه المراكز قد أراد أن يعدل بين القطرين اتبـــاعا لسنة الثنائية التى كانت متبعة فى كل شيء بالنسبة للقطرين الوجه القبـــلي والجه البحرى .

(١) راجع Le Temple d'Edfu t. VI. P. 38-48.

(٢) راجع Chassinat, Le Temple d'Edfu, t. VI. P. 209-213.

(٣) راجع Chassinat, op. cit. P. 42-48, No. LXXII- XCIX

وعلى ذلك نجد أن الشخصيات الجغرافية التى تبتدىء من رقم ٢١ حتى رقم ٣٤ من هذه القائمة ، وهى التى كان يجب على حسب الوضع الصحيح أن تمثل على جدار حرم المعبد شرقا عقب الاثنتين والعشرين مقاطعة التى يتألف منها الوجه القبلى ، تمثل أقاليم خاصة من مقاطعة كذا أو مقاطعة من مقاطعات الوجه القبلى وهى التى لأسباب مجهولة — قد يمكن أن تكون أسبابا مالية على الأرجح — قد فصلت من اقليم المقاطعة التى كانت تؤلف منها جزءا لتصبح مستقلة اداريا بثرواتها وتكون خاضعة لنفس النظام الذى عليه المقاطعات القديمة التى خرجت منها . وليس لدينا حتى الآن البرهان على أن هذه التغيرات والانشاءات يمكن أن ترجع بالنسبة للوجه القبلى الى عهد قبل حكم «بطليموس الاسكندر الاول » اللهم الا اذا قبلنا ما ذكره «بركش» عن حدوث مثل هذا الانفصال منذ عهد الدولة الحديثة (١) .

غير أنه لا يوجد مثل ذلك الانفصال فى الوجه البحرى حيث كان يوجد كما ذكرنا من قبل — منذ حكم «بطليموس ايرجيتيس الثانى» على الأقل مقاطعتان (؟) كونتا حديثا وأضيفتا الى العشرين مقاطعة العادية التى كانت تتألف منها أرض الدلتا .

المراكز الاضافية فى الوجه القبلى:

(١) المركز الأول : وهو الواحد والعشرون من قائمة الأثرى «ديمخين» (Dumichen) وهو الذى يأتى مباشرة بعد المركز العشرين والأخير من مراكز الدلتا ويحمل رقم ٧٢ فى نقوش «ادفو» التى نشرها الأثرى «شاسينا» واسم هذا المركز «نبى» واسم جبانته «نبتى» (وهو الاسم المدنى) أما الاسم المقدس فهو «بر — حر» ومما يطيب ذكره هنا انه لما كان «بركش» متشبعا بفكرة أن هذا الاقليم يقع فى الدلتا فانه قرب الاسم «نبى» من المسميات الجغرافية العربية مثل «بانوب» و «تانوب» و«تحانوب» وكذلك الى الاسم الاغريقى «كانوبس» (Kanobos) وقد ترجمه «مدينة

(١) راجع Brugsch, Die Aegyptologie, P. 441-442.

الذهب» غير أن المقصود هنا مجرد المركز الذى كانت فيه أمبوس (كومأمبو الحالية) وهى العاصمة.

وهذا المركز يؤلف الجزء الشمالى من المقاطعة الأولى من مقاطعات الوجه القبلى التى عاصمتها «ابو» = «الفنتين» وهى الآن جزيرة أسوان . وهـــذا المركز لم يكن مفصولا فى الأصل عن هذه المقاطعة .

ولدينا بعض متون اغريقية من العهد البطلمى تبرهن على أن هذا المركز وقد استمر يؤلف جزءا من مقاطعة «الفنتين» حيث نجد أن مدينة «نبى — أمبوس» قد أخذت الصدارة بدلا من «الفنتين» وهذا التبديل يؤدى الى جعل عاصمة بدلا من أخرى يرجع عهده على الأقل الى عهد بطليموس السادس «فيلوميتور» (١٧٠ — ١٤٥ق.م) وهو الذى فى عهده نجد ذكر المقـــاطعة «أمبوس» . هـــذا وكانت قائمة «بطليموس العـاشر الاســكندر الأول» (١٠١ — ٨٨ق م) فى معبد «ادفو» عبارة عن صورة تغايرهذا الوضع ، وذلك انه منغير احلالالاسمالقديم « تا — ستى » وهو اسم المقاطعة الأولى محل الاسم الجديد «نبى» ذكر الاسمان الأول فى مكانهالعادى على رأس مقاطعات الوجه القبلى والثانى على رأس سلسلة المراكز الاضافية التى أنشئت حديثا.

وفيما بعد فىنهايةعهد البطالمة نلحظأنالفصل بين «الفنتين» و «أمبوس» قد تم نهائيا وأصبحت مقاطعة «أمبوس» منفردةوعاشت طويلا ؛ وذلك لأننا لا نجدها تذكر فى ما كتبه المؤلف القديم «بلينى» ، وكذلك على النقــود المحلية للمقاطعات فى القرن الثانى من العهد المسيحى .

والاسم المقدس «بيت حور» المخصص هنا لمدينة «أومبوس» قد ثبتــه ما جاء على معبد «كومأمبو» الذى كان مقدسا مناصـــفة بين ألهين وهما «سبك» (التمساح) و «حور الكبير» (الصقر) . ولكن من الاشياءالغريبة أن نجد أن مركز «أمبوس» لميصور فى قائمة المراكز الاضافيةالمنقوشةعلى هذا المعبد وكان حريا بذلك .

المركز الثانى والعشرون (١) . عاصمته السياسية تسمى «مخنت» واسمها المقدس «بيك» (= باشق) أى مدينة الباشق أو الصقر . واسم المدينة هذا يوجد فى قائمة معبد «كوم أمبو» الجغرافية ويرجع تاريخها الى عهد الامبراطور «فسبسيان» . أما اسم العاصمة السياسى فقد كتب فى معبد ادفو «مخنت» وعلى ناووس العريش «مخنوت» . والأرجح أنه يمثل الاسم القديم «نخن» وهو اسم المدينة التى يسميها الاغريق «هيركونبوليس» أى مدينة الصقور هى الآن «الكوم الأحمر» الواقعة على الشاطىء الأيسر للنيل وهى تواجه مدينة «نخبيت» القديمة وهى «ايليتياسبوليس» (Eeileithyaspolis) عند الاغريق والكاب الحالية

ومدينة «نخن» هذه التى ترجع الى عهد ما قبل التاريخ وكانت فى الوقت نفسه عاصمة الوجه القبلى تعد من المدن التى نشأ فيها الآله حور (الصقر) . ومن ثم نجد فى العهود المتأخرة هذه الذكرى العتيقة للآله الأول الذى كان يعبد فى الجنوب فى شكل صقر جاثم معبرا عن اسم المركز الجديد الذى أسس فى «هيراكونبوليس» بعد انتزاعه من المقاطعة الثالثة وأصبح مركزا مستقلا ، له عاصمته الخاصة . والتسمية الاغريقية « هيراكنبوليس » هى بطبيعة الحال الترجمة للاسم المصرى «مدينة الصقر» . وهى الكوم الأحمر الحالية الواقعة قبالة «الكاب» الحالية .

ومن المحتمل أن « نخن » كانت العاصمة القديمة للمقاطعة الثالثة من مقاطعات الوجه القبلى ، ولكن كان قد حل محلها فى وقت مبكر «نخبيت» أى الكاب الحالية . وهذه الأخيرة بدورها قد انطفأ سراجها وحل محلها مدينة أخرى تقع على مسافة قليلة شمالا وتقع على نفس الشاطىء الذى تقع عليه نخن ، وهى أونيت (مدينة العمد ؟) (٣). وهى «لاتوبوليس» فيما بعد

(١) راجع Chassinat. LXXIII

(٢) راجع D.G. III, P. 17-18; Sethe Urgeschichte § 200; Gnomastica. II. P. 7 (No. 320).

(٣) راجع P, (Hommel Ethnologie, P. 802 ff.

الاغريق (مدينة سمكة اللوت) وهى «اسنا» الحالية ، والظاهر أنه بعد عهد طويل من التدهور تمتعت «نخن» (الكوم الأحمر) فى عهد البطالمة باستعادة مجدها القديم ، وذلك لأننا نراها فى قائمة «بطليموس الاسكندر الأول» فى معبد «ادفو» أصبحت عاصمة مركز خاص .

ويطيب لنا أن نضيف هنا انه اذا كانت مقاطعة «أومبوس» قد ثبت وجودها من الوثائق الاغريقية الرومانية ، فان الحالة لم تكن كذلك فى مقاطعة «هيراكونبوليس» ؛ اذ الواقع ان مثل هذه المقاطعة لم توجد قط ، ومن ثم كانت هذه الملاحظة محرجة وتدعونا لحد ما أن نتحفظ بشدة عند تفسير المراكز الاضافية التى دونت فى قائمة «بطليموس العاشر الاسكندر الأول» ، وذلك لأن كل هذه المراكز لم تكن بالتأكيد مقاطعات أى أنها ليست وحدات ادارية مستقلة يقوم بالاشراف عليها حاكم خاص ، والواقع أن البطالمة كانوا بعيدين عن مضاعفة عدد المقاطعات المصرية ، بل يظهر العكس من ذلك ، فقد كانوا يختصرون عددها ولا أدل على ذلك من أن «استرابون» الذى زار مصر بعد حكم «بطليموس الاسكندر الأول» بزمن قليل — وهو الذى كان يأخذ معلوماته الجغرافية من أحسن المصادر ، ومن ثم فان قائمة المقاطعات المصرية التى وضعها لنا عن عصره كانت تمثل أوثق صورة للاقسام الادارية فى نهاية عهد البطالمة . وقد ذكر لنا «استرابون» عن قصد أن مقاطعة «سخا» (المقاطعة السادسة من مقاطعات الوجه البحرى) قد امتزجت بالمقاطعة السمنودية (المقاطعة الثانية عشرة) و لاشك فى أن المسألة كانت أدق بالنسبة لمقاطعات الوجه القبلى ، وذلك لأن «سترابون» لم يقدم لنا قائمة مرتبة منظمة لهذه المقاطعات ، ولكن اذا فحصنا بصورة عاجلة الوثائق الادارية للعهد الاغريقى الرومانى فانه يكفى أن نجد أن المقاطعتين السادسة عشرة والثامنة عشرة قد اختفتا بالنسبة للقوائم المصرية ، وان المقاطعة الرابعة عشرة قد اندمجت فى مقاطعة «هرموبوليس» (المقاطعة الخامسة عشرة) وان المقاطعة الثانية عشرة

قدانضمت للمقاطعة العاشرةأىمقاطعة افروديتوبوليس والمقاطعة الحاديةعشرة قد امتزجت فى المقاطعة الثالثة عشرة (أىمقاطعة ليكوبوليس) «أسيوط» .

وعلى ذلك نجد أنفسنا أمام أحد أمرين : اما أن يكون الموكب الجغرافى الذى مثل على جدران معبد ادفو فى عهد «بطليموس الاسكندر» من نسج الخيال مجرد زينة وأن الصور الجديدة التى يحتوى عليها هذا الموكب لا تمثل تقسيما حقيقيا لعصر هذا الملك وزيادة عدد عظيم من المراكزالجديدة، بل انه نتج عن مجرد تحليل تصويرى خصص عدة أشكال لمقاطعة واحدة (١).

وأما على العكس يقدم لنا فعلا هذا الموكب أقساما جديدة للعصر الذى صور فيه ، غير أن وجود هذا التقسيم كان عرضا ولم يستمر فيما بعد ، وعلى حسب النظرية الأخيرة يلحظ أن مقاطعة «هيراكنبوليس» الجديدة (؟) التى ليس لدينا أى دليل على وجودها فى مؤلفات المؤلفين القدامى أو فى النقوش والأوراق البردية الاغريقية واللاتينية) لم يكن هناك ما يمنع من أن تضاف من جديد لمقاطعة لاتوبوليت (المقاطعة الثالثة) التى تفرعت منها .

المركز الثالث والعشرون :

يدعى «جحستى» أى مركز الغزال ومن المحتمل أن كلمة «جحستى» تطلق على المكان الذى جاء ذكره فى متون الأهرام بأنه المكان الذى مات فيه أوزير ، وفيما بعد كان يعبد فيه الالهين «خنوم» و «نفتيس» . وعلى أية حال فان قائمة «ادفو» جاء فيها أن عاصمة هذا المركز المقدسة هى «بر — عنقت» أى بيت‌عنقت فى حين أن قائمة كومامبو تقول ان العاصمة هى «بر — مرو» . وهذا المكان الأخير موحد ببلدة كومير الواقعة على الشاطىء الأيسر للنيل على مسافة ١٢ كيلو مترا فوق «اسنا» . والواقع أنه توجد فى الصحراء خلف «كومير» جبانات مكدسة بموميات غزلان ، وكذلك يوجد فى المتحف المصرى أوستراكا عثر عليها فى الدير البحرى وقد مثل عليها كاتب

(١) راجع B.L. III. P. 128-9

يتعبد الى غزال واقفا عند سفح جبل ومعه النقش التالى : صلوات قدمها .. «حامى» الآلهة «عنقت» (١) . وكذلك نجد فى قوائم الكرنك ومدينة هابو للبلدان أن «انوكيس» بوصفها آلهة «بر — مرو» ومن أجل ذلك نجد أن الغزال كان بلا نزاع مقدسا للآلهة «انوكيس» وان هناك علاقة بين الغزلان وكومير من جهة وبين عنقت و «بر — مرو» من جهة أخرى وفضلا عن ذلك نجد مقطع «بر» فى تركيب كلمة «كومبر» فى ألفاظ قبطية وقد ذكر مسبرو أنه نوجد بقايا معبا فى «كومبر» وقد ذكر «ويجول» هذا الاسم بصورة أخرى كوم المرة وكومير الخ (٢). وعلى أية حال نجد مركز الغزال هذا قد مثل فى قائمة معبد «كوم أمبو» الجغرافية التى يرجع عهدها الى حكم الامبراطور «فسبسيان» حيث نجد اسم العاصمة السياسى وهو «جحستى» والاسم المقدس « بر — عنقت » .

المركز الرابع والعشرون :

صور اسم هذا المركز بطائرين وقراءة الاسم غير مؤكدة ويحتمل أنه يلفظ «رخوى» أو «رخيت» وعاصمته تدعى «أونيت» والعاصمة المقدسة «رخويت» أو «رختى» وفى حين نجد ان المقاطعة الأولى من مقاطعات الوجه القبلى قد قسمت مركزين وهما «الفنتين» و «أومبوس» وأن المقاطعة الثانية وهى «بحدت — ابو للونوبوليس مجنا؟ = «ادفو» لم تكن قد تأثرت بالنظام الجديد الذى كان معمولا به فى عهد «بطليموس الاسكندر الأول»، فان المقاطعة الثالثة (لاتوبوليس = اسنا) قد حل محلها فى قائمة «بطليموس الاسكندر الأول» أربعة مراكز (١) . هذا ونجد أن نواة هذه المقاطعة أى مركزها الدينى الذى كان يقع على الشاطىء الأيمن للنيل قد بقى فى عاصمتها القديمة «تحبيت» (الكاب الحالية) وهى التى على أية حال لم تكن بعد منذ

---

(١) راجع A.S. XIII, 77.

(٢) راجع Onomastica II. P. 9.

(٣) راجع Gauthier Nomes. Ibid. P. 61, note 1.

زمن طويل عاصمة مقاطعة ، وذلك لأنه كان قد حل محلها بلدة أونيت (اسنا) ولكن توجد مدينتان هامتان تابعتان للجزء الغربى من المقاطعة الثالثة من القوائم التقليدية قد رفعتا لأسباب غابت عنا الى عاصمتى مركزين مستقلين: وهاك هذين المركزين من الجنوب الى الشمال على حسب الترتيب الذى تذكره القائمة التى نحن بصددها :

(١) مخت = هيراكنيوليس = الكوم الأحمر

(٢) جحستى (؟) = كومير وهو اسم اغريقى غير معروف .

(٣) أيونيت = لاتوبوليس = اسنا

أما عن المدينة الثالثة الغربية «أونيت» فان قائمة «فسباسيان» بمعبد «كوم أمبو» تبرهن على أنها لم تكن شيئا آخر غير عاصمة المركز«رختى».

المركزان الخامس والعشرون والسادس والعشرون :

ويقعان بين «لاتوبوليس» (= اسنا) فى الجنوب و «أرمنت» فى الشمال. والظاهر أنهما يحتلان موقعين متقابلين على كلا شاطىء النيل ويحملان الاسمين «شرق حور» و «غرب حور» على التوالىوكذلك فان عاصمتيهما المقدستين تسميان على التوالى «مسكن حور الشرقى» و «مسكن حور الغربى» أما عاصمتاهما المدنيتان فهما «حقات» و «حسفن» على التوالى أيضا . وعلى أية حال فان العاصمتين «حقات» و «حسفن» وهما اللتان كانتا على التوالى عصمتين لمركزين قديمين كنتا قد رفعتا الى مقاطعتين وهما «شرق حور» و «غرب حور» وهما معروفتان تماما . فالأولى وجودها ثابت منذ عهد الأسرة الحادية عشرة وهى موجدة بقرية «المعلة» الحالية الواقعة على الشاطىء الأيمن للنيل (١) . والأخرى وهى «حسفنت» أو « حسفن» هى اسفنينيس Asphynis الاغريقية الرومانية وموقعها الآن « اصفون المطاعنة» على الشاطىء الأيسر للنيل قبالة «المعلة» ، ولكن على مسافة قليلة

---

(١) راجع D.G. IV, P. 27-28.

شمالا أى على مسافة اثنتى عشر كيلومترا تحت «اسنا» (١) .

المركز السابع والعشرون :

ويسمى «ايونو شمعو» أى «ايون» الوجه القبلى مقابل «ايونو محو» أى أيون الوجه البحرى أى هليوبوليس . وندعى كذلك ايون منت (؟) وبالاغريقية «هرفتس» وأقدم كتابة لها «أونى» وكتب بالقبطية «أرمنت» وبالعربية «أرمنت» أيضا ، وتقع على الشاطىء الأيسر للنيل بالقرب من النهر على مسافة ١٣ ١/٢ كيلومترا جنوبى الأقصر .

هذا وقد برهن «لاكو» على أن الاسم الاغريقى كان مشتقا من «اون منتو» لا من «برمنت» (بيت منتو) كما كان المظنون من قبل (٢) .

وهذا المركز الذى لم يصبح مقاطعة مستقلة الا فى عهد البطالمة يظهر أنه قد انتزع من المقاطعة الرابعة التى عاصمتها ««واست»»=(طيبة) .

وعلى أية حال فان مقاطعة «هرمنتيس» تعد الوحيدة من بين المراكز السبعة الجديدة من القائمة الهيروغليفية التى من عهد «بطليموس الاسكندر الأول» مع مقاطعة أونيت ، التى وجدت فى الوثائق الاغريقية . ومما يؤسف له جد الأسف ان الاسمين المدنى والدينى لعاصمة هرمونتيت قد فقدا مع المتن الخاص بهذه المقاطعة ، ولكن يجب أن يكونا على التوالى«اونوشمع» أى «أونو» الوجه القبلى و«برمنتو» «مسكنمنتو» اله الحرب .

وبقيت مقاطعة هرمنتيت مدة طويلة مذكورة فى العهد الرومانى ، ذكرها «بلينى» (٣) ، وكذلك جاء اسمها على نقود الامبراطورية للمقاطعات وأخيرا ذكرها «بطليموس الجغرافى» (٤)

المركز الثامن والعشرون :

ويقع شمالى طيبة ويسمى «قس» واسم العاصمة المدنى هو «قست» واسم

(١) راجع Ibid. IV. P. 42.

(٢) راجع Gnosmastica II. P. 22.

(٣) راجع Pline V, 49, G. Nomes. P. 64.

العاصمة المقدس هو «حت قرست» (أو«حتت قس») والمقصود هنابداهةهو «قوص» عاصمة مركـزقوص الحالى الواقع على الشاطىء الأيمن للنيـــل . ويحتمل أن هذه البلدة تابعة للمقاطعة الخامسة (أى قفط) وقد انتزع منها لتصبح عاصمة مركز مستقل . ولما كانت هذه المدينة تعبد الآله «حورالكبير» فانها أصبحت بالاضافة الى «ادفو» و «كوم‌اسفات» واحدة من ثلاثةالأماكن المصرية التى أطلـقعليها الاغريق اسم «ابوللونوبوليس» وذلك لتوحيدهم الآلهة «حور» بالآله «ابوللون» (٢) .

المركز التاسع والعشرون :

قرأ «پركش» اسم هذا المركز «اون محيت» والواقع ان اسم المركز فى المتن الذى يصحبه‌هشم تماما . والظاهر ان «پكش» كان فى فكر مقاطعة «دندرة» المقاطعة السادسة من مقاطعات الوجه القبلى ، غير أنه قد يظهرغريبا ان هذه المقاطعة تمثل هنا بين هذه المراكز الأضافية ، فى حين أنها قدمثلتفى مكانها العادى فى نفس القائمة بين المقطعات المتفق عليها .

المركزان الثلاثون والواحد والثلاثون .

وهذان المركزان قد احسم اسماهما كذلك الاكلمتين قرأهما «پركش» . «تاانوب» . والظاهر ان القراءة الصحيحه هى «تاوى سوتنج اى بلاد الاله «سوتنج» = (ست) . ونحن هنا فى اقليم المقاطعة السادسة (دندرة) او فى المقاطعة السابعة (ديوسبوليس الصغرى) «هو الحالية» . والواقع ان ورقه «جوليتشف» الجغرافية تذكر بعد مدينة «اون ــ تانترت» الخاصة بالالهة حتحور اى «دندرة» عاصمة المقاطعة السادسة مكانا يدعى «ناشوو - ن ــ سوتخ» أى سنط الاله «سوتخ» هذا ويؤدى بنا الى مكان مقــدس يوجه خاص للاله المناهص حور ، ومن الجائز ان له علاقه ببلاد الأله «سوتخ» التى جاءت فى القائمة التى تفحصها الأن . وقد ذكر هذا المكان فى قائمة جغرافية

---

(١) راجع Wilcken, Archiv. Fur Papyrusf., IV. P. 163-164.

نقشت على معبد «هابو» من عهد «رعميس الثالث» باسم «سوتخ ناشنو» وقد وجده دراسى بحق باسم «خنوبوسيون Chenoboscion الاغريقية وموقعها الآن قرية القصر والصياد بمركز نجع حمادى حيث توجـد جبانة قديمة (١)

المركز الثانى والثلاثون

وجد هذا المركز مهشما ولم يبق منه الا الجزء الاخير من اسم العاصمة المدنية ويحتمل ان يكون «تاور» (المقاطعة الثامنة اى مقاطعة طينة) ويحتمل جدا انها بالقرب من جرجا وذلك لان الهها «أوزريس» (ان ــ حرت) وانما يركب تركيبا مزجيا فى اسماء الاعلام مع المواقع القريبة من «نجع الدير» « ونجع المشايخ » . وهناك مكان آخر يمكن ان يكون الموقع الذى قامت عليه هذه المدنية وهو «البربا» وتقع على مسافة نحو الغرب ، ولكن عند هذه النقطة يطيب لنا ان تحذيرا عاما بالنسبة للجيانات الى تقع على الشاطىء الايمـن اذ نجد هنا ان التلال تقترب جدا من النيـل ولا تترك مكانا لوجود مقابر صخرية ، فى حين أنه لا يوجد مكان لاقامة بلدة عظيمة مثل «نس»، التى يمكن ان تكون قد أقيمت فى المزارع عبر النهر مع مسافة من الجهة الغربية (٢)

المركز الثالث والثلاثون

وجد اسم هذا المركز مهشما ولم يبق منه الا كلمة «حور» مما يدل على ان المركز كان مخصصا لعبادة صورة من صور الاله «حور» والاسم المدنى هو نشيت والاسم المقدس لم يذكر . وقد جاء ذكر مدنية «نشيت» من قبل فى قائمة جغرافية من عهد الاسرة التاسعة عشرة فى نقوش العرابة المدفونة . وقد وجد الاسم بصورته الكاملة «نسيت» فى ورقة هاريس الكبرى (٣) ، والظاهر ان هذا الاسم قـد اختفى عنـدما اقام «بطليموس الاول» على

(١) راجع (D.G. V. P. 139.
(٢) راجع Gnomastica II, 18.
(٣) راجع مصر القديمة الجزء السابع ص ٤٥٤

انقاضها مدنية «بطولمايس» وتقع على الشاطىء الايسر بالقرب من النهر وقد بقى اسمها فى العربية «المنشاة» و (المنشية» وتوحيدها «ببطولمايس» قد برهن عليه من عدة نقوش وجدت فى نفس المكان (١) . ويقول «مسبرو» انه أخذ بعظمة التلال التى اقيمت عليها المدنية الحديثة وبجمال المراسى ذات الجهاز الاغريقى وتمتد هذه المدينة لمسافة تتراوح ما بين ستماية وثمانماية متر أمام البيوت ا»ولى ، ولا تزال تستعمل مرسى للسفن حتى يومنا هذا (٢).

ويلحظ من قائمة «ادفو» التى نتحدث عنها أن هذا الاقليم قد سمى فى عهدبطليوس الاسكندرالأول باسم الأله«حور» وقد انتزع من المقاطعةالثامنة (المقاطعة الطينية) ليصبح مركزا مستقلا . ومما تطيب الاشارة اليه انه لأجل تمييز «بطولمايس» هذه من المدن الكثيرة التى تحمل هذا الاسم سميت «بطولمايس الطيبية» وكذلك لتميز «المنشاة» التى تقع على انقاض «المنشاة» القديمة من البلاد الاخرى التى تحمل هذا الاسم قد سميت «منشاة اخميم»

المركز الرابع والثلاثون هذا الاقليم يقع فى اسبوس « ارتميدوس وبنى حسن» . واسمهذا المركز معناه «سلة الجبل»(٣) او نعجةالجبل (؟) وهو (٤) ينفرج فى جبال العرب على مسافة قريبة من الجنوب من مقابر «بنى حسن» وذلك لان عاصمة هذا الاقليم المقدسة هى مدينة « الآلهة » «بخت) وهذه الآلهة لصيادة مثلت فى صورة لبؤة وقد وحدها الاغريق بالآلهة «ارتميس»

---

(١) راجع (.Dittenberger O.G.I.S II, 736

(٢) راجع Plaumann, Ptolemais, in Oberagypten, 109

Gnomastica II, P. 39 ff.

(٣) ومما تجدر ملاحظته هنا أنالسلة والالهة نجت قد قرنتاالواحدةبالاخرى فى الجملة الآتية عملت فى صورة نجت التى تطير كالسلة فى وجه الناس

وكذلك جاء فى نقش فى هذا المعبد الصخرى يدل أن الالهة نجت قد حفرت وادى الجبل الذى يقع فيه محراب سبوس‌أرتميدوس ، وكذلك المحراب‌الصغير المعروف ببطن البقرة

(٤) راجع Onomastica II. P. 90 & P. 277, J.E.A. Vol. XXXIII, P. 13 ff.

عندهم وكذلك اطلقوا على المعبد الجبلى الذى نحت فى الجبل منـــذ الأسرة الثانية عشرة اسم «سبوس ارتميدوس» (Speos Artimidos) وهذا الاقليم وعاصمته كانا يؤلفان جزءا من المقاطعة السادسة عشرة وكان يذب اليه فى كل عيد محلى عدد عظيم من السكان الجائلين ، مما جعله «يضفى اهمية على المدينة المنذورة للالهة «نجت ـــ ارتميس» لدرجة ان الادارة البطلمية على ما يظهر جعلتها عاصمة لمركز خاص .

المراكز الاضافية للوجه البحرى

يبلغ عدد المراكز التى أضيفت للوجه البحرى اربعة عشر مركزا . وهى كعدد مراكز الوجه القبلى بالضبط وتبتدىء من اول المركز الخامس والثلاثين حتى المركز الثامن والاربعين كما ذكرها الاثرى «دميخن» ومن ٨٦ الى ٩٩ كما جاءت فى مؤلف شاسيتا عن ادفو .

المركز الخامس والثلاثون

ويسمى «برجعبى» مسكن «جعبى» (اله النيل) . وعاصمة هذا المركز تسمى بنفس الاسم . والمقصود هنا هو الجزء الجنوبى من المقاطعة الثالثة عشرة من مقاطعات الوجه البحرى اى مقاطعة هليوبوليس . و«مسكن جعبى» هـــذا معروف منذ الاسرة العشرين من ورقة هاريس الكبرى (١) وقد لعبت دورا هاما منذ الفتح الكوشى كما جاء على لوحة بيعنخى (٢) . وقد اختلفت الآراء فى موقع «برجعبى» غير ان «جاردنر» قد بحث هذا الموضوع بحثا مسهبا . ويظن فى النهاية ان مكان هذه المدينة هو « اثر النبى » الحالية ويقول ان « خرعحا » و «برجعبى» موحدان تقريبا لانهما متلاصقتان (٣) .

المركز السادس والثلاثون

ويسمى «عين» ويقول «جاردنر» بعد بحث طويل انه من الممكن ان يعد

(١) راجع مصر القديمة الجزء ٧ ص ٤٠٣
(٢) راجع مصر القديمة الجزء الحادى عشر ص ١١
(٣) راجع Ancient Egyptian Onomastica. vol. II. P. 131. No. 379

مرادفا لطرة الحالية او طرة وما جاورها (١) .

المركز السابع والثلاثون

ويسمى «حتب» وكذلك تسمى عاصمته بنفس الاسم وهو اقليم يقع فى ضواحى هليوبوليس اى المقاطعة الثالثة عشرة وهو مخصص لعبادة الاله «حتحور» .

المركز الثامن والثلاثون

ويسمى (شن — قبح) ، وعاصمته تسمى «است — اب» ويحتمل أنه فى المقاطعة الثالثة عشرة أيضا (٢) .

المركز التاسع والثلاثون

ويدعى «منستى» (٣) واسم عاصمته تسمى بنفس الاسم . وهو فى المقاطعة الثالثة عشرة ايضا . والظاهر انه فى عصر متون الاهرام كان يوجد فى مدينة «هليوبوليس» او بجوارها مكانان يدعيان منست العليا و «منست» السفلى (٣) ولابد ان هذين الاسمين هما اللذان اطلق عليهما المصريون مثنى لفظة «منست» ويجوز ان المقصود هنا هو «منستى العليا» التى كانت على الارجح اهم المكانين ، وذلك على الرغم من ان الكلمة فى المتون المتأخرة فى صورة

(١) راجع Ibid. P. 130

(٢) راجع Gauthier Les Nomes, etc., P. 73.

(٣) يظهر ان كلمة منست تدل على اسم مكان فى هليوبوليس او بالقرب منها (Wb. 11, 88) فعبارة منست العليا متصلة بالاله شو والسفلى (Cl. 1811 b) متعلقة بروجة تفنوت . وفى الدولة الحديثة نجدهما بوصفهما اماكن امون (Wb II, 88) ومخصصها هنا يمكن ان يشير الى جزيرة سماويه (راجع عن هذه الكلمة A.Z. 57. P. 111, Urgeschichte, 126 & No. 2 & 6

وترجمة السطرين هى : كما أن اسم الاله شر رب « منست العليا يبقى فى « هليوبوليس » فكذلك ليت اسم الملك يبقى .

وكما يثبت اسم «تفنوت» فى «منست» السفلى فى «هليوبوليس» فكذلك ليت اسم الملك يثبت (راجع The Pyramid Texts by Samuel A.B. Mercer. Vol. II. P. 785; Vol. I. P. 254, L. 1661 a & 1662 a.

(٣) راجع Texte Pyr. 4, 1661 a, 1662

المثى . وعلى اية حال فان الآراء مختلفة فى موقع هذا المركز (١) .

المركز الأربعون

من الصعب تحديد موقع هذا المركز كما انه من العسير الوصول الى معرفة نطق اسمه وهو يقع على ارجح الأقوال فى الاقليم الشرقى من الدلتـــا . والكلمات الجغرافية الأخرى التى بقيت فى متنه هى «ختم خنمت» مكــان مربية الطفل ؛ و«شن ــ ن ــ تا» = «دائرة محيط الارض(؟) ويقـــول «جو تيبه» ان هذا الاقليم هو وعاصمته يدعى «خنس» أو «شنس» دون ان يفضل أحدهما على الآخر . اما عن موقعه فانه على ما يظهر يقع فى الاقليم الأوسط من برزخ السويس . والمحتمل انه فى محيط وادى الطميلات أو اعلى من ذلك شمالا فى قليم «دفنى» وهو تل دفته الحالى (١) .

المركز الواحد والأربعون

ويدعى اتف حز (؟) (= مركز الشجرة اتف البيضاء كما نجده مذكورا بانه فى المقاطعة الثالثة والعشرون من مقاطعات الدلتا فى فى قائمة العهد الأول للملك بطليموس التاسع . سوتر الثانى (٨٨ ــ ٨١ م)

فى «ادفو» وقد حاول بعض العلماء جعل عاصمة هذا المركز «سمابحدت» أى تل البلامون الحالى فى المقاطعة السابعة عشرة الواقعة على مسافة خمســة كيلومترات فى الجنوب الغربى من محطة «رأس الخليج» على خط الســكة الحديد «المنصورة» «دمياط» (٢) .

المركز الثانى والأربعون

ويسمى «حت نجم (ومعناه مكان الرقة) ويقع فى اقصى الشمال الشرقى من

---

(١) راجع Gauthier Les Nomes. P. 74.

(٢) راجع Budge Egyptian Dictionary. P. 1040, Cledat. Bull. Instit. Franç. d'Archéol. XXIII. P. 41, note 2.

(٣) راجع D.G.I. P. 13 & 5. P. 33-4

الدلتا فى محيط « بلوز (الفرما)» (١) .

المركز الثالث والأربعون

وبدعى «انبو» (=الجدران) وكذلك تدعى عاصمته «مدينة الجدار» (أو الجدران) . والمقصود هنا ليس «منفيس» التى كانت غالبا تدعى «الجدار» او «الجدران» او مقاطعة «منفيس» ولكن المقصود هو المركز الذى كان يقع فى اقصى الحد الغربى لمصر اى فى اقليم «خليج السويس» . وفى بداية الاسرة الثانية عشرة جاء فى قصة «سنوهيت» هذا الاسم : «انبو حقا» = «جدار الملك» ، وهو جدار طويل للحماية وكان مقاما على طول «خليج السويس» ويفصل مصر عن صحراء سيناء وفلسطين . وكذلك جاء ذكر هذا الجدار فى لوحة «بتوم فى السطر السادس عشر : «انبو ــ اتى» = جدار الملك . وكان لا يزال موجدا بعضه فى عهد البطالمة . ومن المحتمل ان هذا الاقليم هو الذى نحن بصدده الآن . وقد اتى فى صيغة الجمع : «الجدران» .. هذا وقد جاء ذكر مكان يدعى «تا انبت» : اى اقليم الجدار» ويقع بجلاء على الطريق الحربى الذى يؤدى من مصر الى فلسين فى الشمال من النقطة المحصنة (المجدل) التى اقامها الملك «سيتى منفتاح» اى فى جهة ما فى الشرق او فى الشمال الشرقى من القنطرة الحالية (٢) .

المركز الرابع والاربعون

وجد اسم هذا المركز مهشما على الاصل فى القائمة ، غير ان ما بقى من اسم العاصمة يمكن ان يكون «شدنت» . وهذه المدينة معروفة باسم «سدنو» وهى مؤسسة حديثا نسبيا لاننا لم نجدها مذكورة فى المتون التى قبل العهد البطلمى الا فى العهد الساوى . والظاهر انها حلت محل عاصمة المقاطعة الحادية عشرة «حبس» وهى حبست القديمة وتعد مدينة سيتية اى منسوبة للاله «ست» اله الشر ومن اجل ذلك كانت تعتبر بخسة مما ادى الى حذفها احيانا

---

(١) راجع D. G. T. I., P. 191 & t. IV. P. 127.

(٢) راجع Gauthies Les Nomes, P. 76-77.

فى القوائم الجغرافية الرسمية . وموقع مدينة «شدن» هذه هو «هربيط» الحالية على مسافة عشرين كيلومترا من الزقازيق واسمها الاغريقى «فرباتوس» ومن المحتمل ان هذا الاسم مشتق من اسم العاصمة المقدس وهو بر - حر - مرتى (= بيت الاله حر - مرتى) . وقد لفظ اسمها فى القبطية «فربيط» كما جاء فى المقريزى وينطق الآن «هربيط».

المركز الخامس والأربعون

ويسمى «ر - نفر» (= الباب الطيب) . والظاهر كما يقول «جوتيه» انه توجد مدينتان بهذا الاسم واحدة منهما فى الشمال الغربى من مقاطعة الخطاف الغربية وهى المقاطعة السابعة وقد اصبحت فى العصر المتأخر عاصمة مقاطعة «أونوفيب» التى لم يعرف مكانها بالضبط ، والثانية فى الشمال الشرقى فى المقاطعة السادسة عشرة المنديسية أو فى الشرق فى المقاطعة الثامنة وهى مقاطعة الخطاف الشرقى . ومن المحتمل انه بسبب الموقع الذى يحتله مركز «ر نفر» فى القائمة التى نحن بصددها هنا اى بين المركز «شندت» (هربيط) والمركز «حبت» اى «بهبيت الحجر» ، ينبغ علينا ان نفضل وقوعه فى الدلتا الشرقية. وعلى أية حال فان بلدة « ر - نفر» كانت منذورة للآلهة «ازيس» كما نجد ذلك على لوح صغير من البرنز من عهد الأسرة السادسة والعشرين وهو محفوظ الآن بمتحف القاهرة ، وكذلك فى متن من معبد أوزير «بدندرة» وكانت تعبد هناك كذلك الآلهة نفتيس (١) . والظاهر انها كانت مجاورة للمدينة التى خصصت لعبادة «ازيس» وهى المعروفة باسم «ازيوم» وهى الآن «بهبيت الحجر» مركز طلخا مديرية الغربية ، غير ان الأمر الذى ليس مؤكدا فى هذا الموضوع هو ان الاسم المصرى «ر - نفر» قد اخذ صورة غريبة فى الاغريقية وهو «انوفيس» . وهذا لا يساعدنا على تحديد موضع «ر - نفر»، لأن مقاطعة «اونوفيت» التى عاصمتها «أنوفيس» قد ذكرها لنا «هردوت» ثم

(١) راجع Dumichen. Geogr.. Inschr. II. Pl. LXXIII, No. 12; Ibid. I Pl. LXXIII, No. 12

جاء ذكرها ثانية على ما نعلم بعد ستة قرون فى جغرافية «بطليموس» . وعلى أية حال لم يمكن تحقيق موقعها بصورة قاطعة فيتردد العلماء فى وضعها بين تل طبللة وبين محلت منوف ، ومن المحتمل انه كانت توجد مقاطعتان مختلفتان باسم «أوتوفيت» ، الأولى التى ذكرها «هردوت» والثانية التى ذكرهـا بطليموس الجغرافى (٢) .

المركز السادس والأربعون

وجد اسم هذا المركز مهشما وقد اقترح «بركش» مما بقى منه ان يسمى «حب» وان اسم العاصمة الذى اختفى كذلك كان يدعى «حبت» . والواقع اننا الآن امام مركز يقع فى المقاطعة الثانية عشرة اى المقاطعة السمنودية وقد أصبح مركزا مستقلا فى عهد البطالمة . والاسم «حبت» قد ركب تركيبا مزجيا فى اسم الملك نقطاتب الثانى آخر ملوك العهد الفرعونى (نخت ــ حر ــ حبت) وقد ظهر فى العربية «بهبيت» على ما يظن . ولما كانت هذه المدينة منذورة للآلهة «ازيس» فقد سماها المؤلفون الاغريق واللاتين «ازيـون» او ازيوم واسم المدينة المقدس كان «نتريت» أو «نترت» (=المقدسة) . هذا ولم تذكر لنا الوثائق الاغريقية الرومانية مقاطعةمنذورة خصيصا للآلهة «ازيس»، وعلى ذلك فانه لما كان وجود المركز الاضافى لم يظهر الا فى قائمة «بطليموس الاسكندر الأول» بادفو فانه من المحتمل ان كان قصير العمر .

المركز السابع والأربعون

وجد اسم هذا المركز مهشما ، ولكن تدل شواهد الاحوال على انه كان يقرأ على ما يظهر «محيت» اى «الشمالى» . وقد اختفى اسم عاصمته . ولكن نجد فى المتن الذى يتبع هذا المركز أثرا لاسم مدينة «ب» مما يخول لنـا القول اننا فى اقليم مدينة «بوتو» وهى التى كانت مؤلفة من مكانين قديمين جدا وهما «دب» و «ب» ويضع حجر «بلرم» هذه المدينة (بوتو) فى عهد الأسرة الخامسة فى المقاطعة الخامسة . وعاصمتها «سخا» ، ولكن نجد انها فى

(١) راجع Gauthier Les Nomes. P. 79.

العهد المتأخر تابعة لمقاطعة «فتنيتو (Phtenetou) او بوتيــكوس Buticus في الوثائق الاغريقية الرومانية وكانت العاصمة ، وهى الآن تل الفراعــين فى مديرية الغربية مركز «دسوق» (١) .

المركز الثامن والأربعون

ويسمى «بحدتى» وتسمى عاصمته بنفس الاسم . وفى المتن الذى يتبـع هذا المركز جاء ذكر مدينة «دمنهور» الواقعة فى الاقليم الشمالــى الغربى للدلتا . مما يجعلنا نفكر فى أن القائمة التىنحن بصددها ينبغى ان تستمــر ويذكر بعد اقاليملشرق والوسط اقليم الغرب بدلا من ان تنتهى بهذا المركز والواقع أن بلدة «بحدت» التى فى الدلتا كانت منذورة للاله «حور» وهى بلاشك أقدم بكثير من التى تسمىباسمها فى الجنوب وهىالمنذورة للاله حور (ابوللينوبوليس) وتحتل الآن مكان «ادفو» الحالية وهى التى على مــا يظهر كانت مستعمرة لها . ولكن الأخيرة اى «ادفو» فاقتها فى الأهمية والشهرة على مر الايام . واذا كانت «دمنهور» بدلا من ان تسمى فى العهد الرومانى اسم «ابوللينوبوليس برفا» قد سميت كما هو المعتقد بوجهعام «هرموبوليس برفا» فانه يجب علينا ان نعترف انه بجانب عبادة الاله «حــور» التى نمت وقويت هناك منذ اقدم العصور ، قدظهرت فيما بعد بجانبها عبادة الأله تحوت. وعلى أية حال فانه ليس لدينا اى أثر او متن يؤكد هذا الزعم . وعلى ذلك فان «جاردنر» لا يميل الى توحيد هذين البلدين بصورة قاطعة (٢) .

هذه نظرة عاجلة على حالة البلاد من الوجهة الجغرافية وما تحتويه مــن مقاطعات ومراكز مستقلة .

أما عن نظام الحكم فى هذه المقاطعات فقد ذكرنا فى بادىء الأمـــــر ان «الاسكندر الاكبر» لم يغير كثيرا فى النظم المصرية القديمة ، ولكن فى عهد البطالمة اخذ الحكم فى المقاطعات يتشكل بصورة جديدة الغرض منها جعل

---

(١) راجع (Gauthier Les Nomes, P. 80-81.

(٢) راجع Onomastica II. P. 196-7, Gauthier Les Nomes. P. 81-2.

مقاليد الحكم فى أيدى الاغريق ، وجمع اكبر مقدار من المال بشتى الطرق لخزانة البطالمة . وبعد هذه النظرة السريعة فى نظام المقاطعات تنتقل الى نظام الحكم فيهـا .

نظام الحكم فى المقاطعات

كانت البلاد المصرية مقسمة مقاطعات ومراكز (Toparchies) وقرى (Komai) وكان يدير شئونها موظفون يعينهم الملك . وهؤلاء الموظفون كانوا يستمدون قوتهم قانونا من الملك مباشرة ، ولكن عمليا كان يعينهم موظفون كبار من رجال البيروقراطية البطلمية . والواقع انه كان من الصعب ان نرسم خطا فاصلا مضبوطا بين السلطات التى كان يتمتع بها موظف عن الذى يليه ، ولم يكن ذلك سببه قلة المعلومات لدينا وصعوبة تتبع التطور التاريخى لكل وظيفة ، ولكن يحتمل ان ذلك كان يرجع الى عدم وجود تمييز مضبوط وضع للوظائف التى كان يشغلها الموظفون المختلفون . فقد كانوا اعمال الملك وكانوا يعملون على حسب التقليد الذى وضع قبل عهد البطالمة وعلى حسب التعليمات والتوجيهات التى كانت تصل اليهم من رؤسائهم أو من الملك . وهذه التعليمات على حسب ما وصل الينا حتى الآن لم تدون فى قانون خاص بل صدرت فى مراسم الواحد تلو الآخر دون نظام معين ، وكثيرا ماكانت تتضارب بعضها مع بعض . يضاف الى ذلك ان الموظفين كان رائدهم فى سلوكهم توجيهات ذات صبغة عامة وصلت اليهم من الملك وتحمل اسم «القانون» (Nomoi) . ولا أدل على تعقيد النظام الادارى فى مصر البطلمية من قصة المجند الصغير «ابوللونيوس» الذى عاش فى عهد بطليموس «فيلوموتور» (٢٢١–٢٠٥ ق.م) الذى منحه تصريحا لينتقل الى «منف» فنشاهد كيف ان «ابوللونيوس» هذا لأجل ان يثبت مكانه ويحصل على مرتبه الذى يستحقه (على الرغم من أنه كان فى استطاعته أن يطلع الذين فى أيديهم الأمر على

التصريح الذى تسلمه من الملك نفسه) كان عليه أن يمر من موظف مسئول لآخر فى مصلحة الحربية ثم الخزانة والسلطة المحلية ، وأخذ ملفه ينتفخ من كثرة المكاتبات بدرجة مدهشة . ويمكن ملاحظة نفس الاجراء المعقد فى فرع القضاء (١) .

ومن الغريب ان تأليف وظائف العمال الذين يديرون المقاطعات المختلفة لم يكن قط ثابتا فنراهم يتغيرون امام اعيننا ، ومع ذلك لم يكن فى استطاعتنا معرفة السبب الذى كان يدعو لهذه التغيرات . والظاهر أنه فى عهد « بطليموس الأول» كان لا يزال النظام العادى الادارى المتبع هو الذى كان سائدا فى الازمان السابقة وهو الذى لم يكن قد تغير فى اى من اصوله فى عهد «الاسكندر الاكبر» فكان رئيس المقاطعة كما كان فى الازمان القديمة هو الحاكم اى حاكم المقاطعة ، وكان أحيانا يعين من المصريين ، وهو الذى كان فى الازمان القديمة سيدا اقطاعيا عظيما . وفى عهد الملك بطليموس الثانى تغيرت الاحوال كلية فقد اختفى حكام الاقطاع نهائيا ولم يبق لهم أثر ، فقد قسمت ادارة المقاطعة ووكل امرها لكل انواع الموظفين ، وكلهم كانواتحت إشراف ملك ووزرائه، ولم يكن بعضهم يشرف على بعض . فكانت الشئون الحربية فى المقاطعة فى يدى قائد حربى (Strategos) وكان له بعض السلطة القضائية وبخاصة فيما يخص مسائل الجرائم . وكان تحت سلطانه الى حد ما شرطة المقاطعة ، وقوادها والمشرفون على ادارة القضاء (Epistatai) ورؤساء الشرطة (Archiphylaktai) وكبار رجال الشرطة وصغارهم . وكان يقوم جنبا لجنب معه السكرتير المالى وكانت له فى العادة وظائف واسعة النطاق متعددة النواحى فى الاقتصاد والمالية (Oikonomos) وكان بجانبه مديرو مالية ،حليوز (Dioiketai) ووكيل مالية (Hypodioiketai) وكان يشتغل معه المراقب (Antigrapheus) ويقول «فلكن» ان هذا الموظف كان له عمل مستقل عن كل من مأمور التحصيل (Epimeletes)

(١) راجع C.A.H. VI, P. 178.

وعن السكرتير المالى (Oikonomos) بوصفه موظفا فى ادارة المالية عامةوكان يمكن الرجوع اليه امابوساطة وكيل مدير المالية (Hypodioketes) أو بوساطة مدير التحصيل (Epimeletes) للاستعلام عندما يكون الأمر خاصا بالصادر أو الوارد من المال . وكان الأقليم الذى يسيطر عليه كل مراقب محددا من حيث المساحة . على أنه لم يكن من الضرورى ان يكون الاقليم الذى يسيطر عليه موحدا مع المقاطعة (١) وكان هذا المراقب بالنسبة لحاكم المقاطعة يعد زميلا لا مرءوسا له . وكان أمراء المقاطعات القدامى لايزالون موجودين ، غير انهم لم يكونوا فى قوة الحكام الحربيين ولم يكونوا اصحاب جاه ، ومع ذلك فانهم لم يكونوا تحت سلطان السكرتير المالى ولم تكن حدود سلطتهم دائما موحدة كحكام المقاطعة . فقد نجد فى مقاطعة واحدة احيانا مثلا عدة امراء مقاطعات ، كما كانت الحال فى مقاطعة «ارسنونيت» (الفيوم) ، والواقع ان وظائفهم كانت منوعة ومن الصعب تعريفها . والظاهر ان عملهم الرئيسى كان متصلا بتنمية أرض الحكومة فى المقاطعة . ومع ذلك فان هذا العمل لم يكن خارجا بالكلية عن سلطة السكرتير المالى للمقاطعة (Oikonomos) هذا وكانت كل الاعمال الخاصة بالتقويم ، وعدد السكان وكيفية تقسيم الأرض والأعمال الأخرى الخاصة بالعقار وواجبات السكان للحكومة مثل الضرائب وأعمال السخرة ، وعمل المذكرات عن الضرائب المستحقة . وبالاختصار فان الاعمال الكتابية واعمال الحسابات الخاصة بالمقاطعة والبلد والقرية كانت تقع على عاتق سلسلة من الكتاب الذين كانوا يعتبرون أعظم ما تميز به مصر القديمة من حيث الموظفون .فكان الكاتب الملكى (Basilikos Grammateus) يتخذ مقره فى عاصمة المقاطعة كما كان يوجد كاتب مركز (Toparch) فى كل مركز من مراكز المقاطعة (Topogrammateus) وكذلك كان لكل قرية كاتبها (Komogrammateus)

(١) راجع Wilcken, Urk der Ptol. I. P. 162.

هذا وكان جمع المحصول ونقله وتخزينه بوصفه ضرائب وايجارات مستحقة على الاهالى من عمل رؤساء المراكز والقرى فى كل مركز وفى كل قرية وهؤلاء كانوا منتخبين ومعينين بوصفهم ممثلين للسكان المصريين وكانوا يعملون بالتضامن مع رؤساء مخازن الحكومة (Thesauroi) الذين كان يطلق عليهم اسم محصلى الغلة (Sitologoi) ، ومع مديرى الفروع المحلية للخزانة (Trapezitai) وهؤلاء كانوا نصف موظفين ونصف جامعى ضرائب يقومون بعمليات بنوك مختلفة على حسابهم الخاص . وكان هنالك جامعو ضرائب خاصون (= Logeutai) وملتزمون Praktones) يعملون مع الموظفين السابقين ، ومع صنف من مؤجرى الضرائب. وهؤلاء كانوا وسطاء بين الحكومة ودافعى الضرائب من الفلاحين واصحاب الحرف والصناع والتجار . وكانت توكل مهمات خاصة تتعلق بفروع الدخل الذى كان يجبى ، وبفروع أخرى خاصة بالحياة الاقتصادية لمديرى التحصيل (Epimeletai)

هذا وكانت ادارة المقاطعة متصلة بالمعابد بوساطة مشرفين (Epistatai' كانوا يسيرون على أحسن الأنظمة وأثبتها . والواقع أن الحكومة يديرون اعمال المعابد ، وكانوا مسؤلين عن تأدية واجباتهم للحكومة ، وذلك لأنهم كانوا الممثلين أمام الدولة عن كل طائفة الكهنة المصريين العديديين الذين كان لديها سلسلة من الموظفين يقومون بشئون المعبد ، وهؤلاء كانوا أحيانا يعينون لغرض خاص ، غير ان تفاصيل ذلك لا تزال تعوزنا .

وأخيرا كان يقف على آخر درج السلم الادارى آلاف الحراس من شتى الانواع قد وكل اليهم أمر السدود والترع والطرق ، والمحاصيل المزروعة والكروم والمخازن والمراعى والماشية وما شاكل ذلك . وهذه الالتزامات كانت تقع على عاتق القرويين الذين كانوا يتحملونها على مضض بوصفها أعباء ممقوتة بغيضة .

ومما تجدر ملاحظته هنا ان موظفى العهد البطلمى لم يكونوا طائفة منفصلة،

فلم يتلقوا تعليما حرفيا كما انهم لم يتعلموا تعليما خاصا يتعلق بوظائفهم ،وكان معظمهم مهاجرين من الاغريق (اللهم الا الطبقة الدنيا من الموظفين ورجال الشرطةومشايخالقرى Komogrammaties &Phylakitai الذين كانمن الممكن أن يكونوا من الأهالى الذين كانوا محاسيب موظف كبير من الاغريق ، وغالبا ما يكونون من أهل البلد الذى أتى منه ، وهؤلاء كانوا ينحرطون فى سلك الوظائف من أجل المرتب الذى كانت تدفعه لهم الحكومة . هذا الى أنالرجل المستقيم صاحب الكفاية كان يطمح فى ان يصبح غنيا ويتخذ مكانة سامية بين اخوانه من المهاجرين الذين لم يأتوا الى مصر الا من أجل الغنى ، ونجد فى التظلمات العديده الدالة على منتهى الخضوع التى كان يقدمها افراد الشعب المصرى لكبار المصريين انهم كانوا يتمنون لهم مجال الحياة فى نطاق حظوة الملك وميله . ومن جهة أخرى نجد أن الوظائف الدنيا الخاصة بالقرى لم تكن الا أعباء ذات مسئولية ثقيلة لا توصل الموظف الىالغنى أو المستوى الرفيع

ويجب ان نشيرهنا الى ان ملخص النظام الادارى الذى ذكرناه عن مصر لا منطبق الا على القرن الثالث قبل الميلاد وذلك لانه فى نهاية القرنالثالثوفى خلال القرن الثانى حدثت عدة تغيرات على هذا النظام ، لا نعرفه الا القليل جدا منها وكل ما يمكن التصريح به ان نظام الادارة كان يتجه نحو التركيز والتجمع للقوى المحلية فى يدى قائد المقاطعة الذى كان أحيانا يقبض فى يديه وظائف الحاكم المالى الذى أخذ مكان السكرتير المالى العام فى المقاطعة (Oikonomos) وهى وظيفة أصبحت من الدرجة الثانية . ومن التجديدات التى حدثت فى القرنين الاخيرين ق.م فى الادارة هو دخول العناصر الفنية والمتمدينة من المصريين الذين صبغوا بصبغة اغريقية سطحية . غير أن ذلك كان تدريجا وقد كان من نتائج ذلك فى نهاية القرن الاول ق.م تجدد فى مصر النظام نصف الاقطاعى الذى كان سائدا فى مصر قبل عهد البطالمة على يد المصريين الذين

اصبحوا حكاما للمقاطعات التى كان لا يشغلها الا حكام عسكريون اغريق (Strategoi) يضاف الى ذلك أن المصريين الأغنياء أخذوا يشغلون الوظائف الحكومية اكثر فأكثر . ولما كان الموظف مسئولا أمام الملك عن شخصيه وماله فانه كان من فائدة الحكومة ان تجند موظفيها ومؤجرى جمع الضرائب (= الملتزمين) من الطبقة الغنية بصرف النظر عن أصلهم . ولم تكن الوظيفة حتى الان تعد عبئا ولكن كانت تقترب جدا من هذا المصير . وأخيرا نجد انه تحت ضغط الحاجة بسبب ازدياد التذمر فى الوجه القبلى والثورات المتتالية اضطر الملك الى ضم كل الوجه القبلى تحت حكم قائد عام واحد (Epistrategos)

الادارة فى الممتلكات المصرية خارج مصر

تحدثنا فى الفصل السابق عن الادارة الداخلية فى البلاد فى عهد البطالمة الأول ، ويجدر بنا ان نتحدث هنا عن نظام الادارة فى الاقاليم التى اخضعتها مصر لحكمها وبخاصة فى عهد كل من «بطليموس الأول والثانى» اذ الواقع ان مصر قد ضمت لها املاكا شاسعة خارج حدودها وسارت فى حكمها ونظام ادارتها على حسب مقتضيات كل بلد ضمته اليها . والواقع ان مصر فى خلال القرن الثالث قبل الميلاد وهو أزهر عصر فى عصور تاريخها وبخاصة فى عهد كل من بطليموس الأول وبطليموس الثانى ، قد فتحت أقاليم عدة وضمتها تحت سلطانها كما اشرنا الى ذلك من قبل. ولا نزاع فى ان بعض هذه الممتلكات كان ضروريا لحفظ كيان مصر من الغارات الاجنبية كما كان ضروريا لتجارتها الخارجية ونخص بالذكر من هذه الممتلكات جزيرة «قبرص» و «سيرينى» و «قرنيقا» ، وشمال سوريا (سوريا الجوفاء) هذا بالاضافة الى «فنيقيا» و «فلسطين». اما فى «اسيا الصغرى» فكانت مصر تسيطر على «ليسيا» الشهيرة بغاباتها الثمينة التى كانت مصر تحتاج الى خشبها ، وعلى «كاريا» المشهورة بتجارتها مع مصر ومصنوعاتها، يضاف الى ذلك جزء من «أونيا» و «ميليتوس» و «افسوس» كما كانت تسيطر على حلف من جزر بحر ايجا وكان أكثر هذه

الجزر ولاء لمصر جزيرة «تيرا» THERA وجزء من جزيرة «كريت». كل هذه البلدان والجزر كانت تؤلف جزءا من الامبراطورية البطلمية . واخيرا كان لمصر سلطان على جزء من بلاد تراقيا بما فى ذلك «كرسونيس» (Chersonese) وجزيرة «ساموتراس» ، وكذلك وطدت قدمها لمدة قصيرة فى «بلوبونيز» وقد تحدثنا فيما سبق عن كيفية استيلاء مصر على هذه الممتلكات وعن ضياعها فى الحروب التى استعر لهيبها بينها وبين الممالك الأخرى التى كانت تناهضها فى تلك الفترة .

نظام الحكم فى «قبرص» فى عهد البطالمة الاول : الواقع انه لدينا معلومات تامة عن نظام الملك فى جزيرة قبرص فى عهد البطالمة فقد كان يحكمها قائد حربى (Strategos) يسيطر على قوات كبيرة معسكرة فى مختلف مدن الجزيرة وكان نظام الجنود على الطريقة المصرية . وهؤلاء الجنود كانوا بطبيعة الحال قد أخذوا من الجيش المصرى النظامى . وفى خلال القرن الثانى كان حاكم الجزيرة له أسطوله الذى كان من المحتمل ان يستمد جنوده ويجهزها من بلدان سواحل «قبرص» نفسها، وكان يحمل لقبا اضافيا هو أمير البحر (Nauarchos) هذا وكان هذا الحاكم يحمل لقبا رئيسا آخر ، وذلك بسبب الدور الذى كانت تلعبه معابد قبرص الكبيرة الغنية فى حياة الجزيرة الاقتصادية والسياسية . يضاف الى ذلك انه كان يوجد فى هذه الجزيرة على الدوام حاكم خاص يحتمل انه كان يتمتع بسلطة حربية تامة (Antistrategos) ، كل اليه أمر ادارة مناجم قبرص الثمينة . وكانت كلها على ما يظن ملك الحكومة التى كانت تستغلها أيضا . ومن المؤكد ان مدن قبرص لم تتمتع قط بالحكم الذاتى الذى كانت تتمتع به المدن الاغريقية . والواقع اذا ان حكام المدن الفعليين كانوا قواد الحاميات . وكانوا هم الذين يصدرون أوامرهم للاعضاء الوطنيين المنتخبين فى الحكومة . وكان الدخل الذى تأخذه مصر من قبرص بلا شك هائلا جدا فمن هذه الجزيرة كانت مصر تحصل على كل ما تحتاج اليه من نحاس وفى موانى قبرص

كانت مصر على ما يظن تبنى كثيرا من السفن اللازمة لأسطولها وتجارتها هذا ولا نعلم الا القليل جدا عن نظام قبرص المالى والاقتصـادى . ويحدثنـا «بوليبيوس» (١) أن قبرص فى العهد الأخير من حكم البطالمة كانت تجبى منها الضرائب ثم ترسل الى وزير المالية فى الاسكندرية . وتدل شـواهد الأحوال على ان ما ذكره المؤرخ «بوليبيوس» ينطبق فقط على القرن الثانى الميلادى وذلك لانه قبل ذلك كان لوزير المالية عمال فى قبرص وغيرها من الممتلكات المصرية يقومون بجمع الضرائب (٢) .

نظام الحكم فى « قرنيقا » : الواقع اننا لا نعلم شيئا تقريبا عن النظام الذى كان متبعا فى قرنيقا فى خلال حكم البطالمة . والواقع أن المسألة الكبرى هو تقرير طريقة للسير على مقتضاها مع مدينة «سيرينى» الاغريقية القديمة.وهذه الطريقة كانت قد وضعت على حسب القانون الجديد الذى كشف عنه وهو الذى يرجع تاريخه لعهد الملك بطليموس الأول حوالى عام ٣٢٢ أو ٣٠٨ ق.م. وفى هذه الطريقة للتعايش ثبت الملك وغير دستور الحلف السيرينى فنجد انه أساسا لم يغير الدستور القديم لسيرينى الا قليلا . هذا مع زيادة بعض مواد اضافها بطليموس ليضمن مراقبة شئون «سيرينى» ، وبها حفظ «بطليموس» لنفسه بعض الحقوق والامتيازات بوصفه المنسيطر على المدينة : أولا جعـل لنفسه الحق فى ان يضيف للقبائل بعض مواطنين جدد ويحتمل ان هؤلاء كانوا مستعمرين من جيشه المرتزق ، ثانيا جعل لنفسه الحق فى اعادة المنفيين الذين كانوا من حزب بطليموس مع حفظ حقوقهم. ثالثا كان له الحق فى تعيين أعضاء فى مجلس شيوخ اليهود (Gerusia) رابعا يكون لبطليموس حق التصرف فى وظيفة الحاكم . خامسا يكون له الحق فى التدخل فى الشئون القضائيـة فيما يخص المنفيين السابقين . سادسا جعل لنفسه بعض امتيازات فى منح لقب

(١) راجع Poly. XVIII, 55

(٢) راجع A History of Cyprus by Sir George Hill. Vol. I, P. 173 ff.

(٣) راجع كذلك P. Cairo Zen. 59016; P.S.I. 505, & 429.

مواطن . وكما يفهم كانت بعض هذه الامتيازات مؤقتة مثل الامتيازات الخاصة بالمنفيين . ولكن حقه فى تعيين أعضاء فى مجلس الشيوخ اليهودى والحق فى ان يكون الحاكم العسكرى الدائم كانت بطبيعة الحال مواد مستديمة كما كانت حقوق ملوك براجمين على مدينة «برجامم» . ونظام الحكم فى مدينة «بطلومايس» فى الوجه القبلى التى أسسها على نظم اغريقية . والواقع ان البناء الاجتماعى لسيرينى و«قرنيقا» كما عزى للجغرافى «استرابون» (١) يشبه تماما ما كان فى الاسكندرية ومصر . وذلك ان المدينة كانت تحتوى على عـدد كبير من السكان من غير الاغريق وبوجه خاص من اليهود فكانوا يعيشون جنبا لجنب مع المواطنين الذين لهم حقوق كل المواطنين ، أولئك الذين كانت حقوقهـم محدودة ، يمثلون عددا عظيما من الاجانب ولم يكونوا مواطنين ابدا بل كانوا جزئيا من أهالى لوبيا . وكان سكان الارياف يتألفـون من فلاحين يزرعون أراض تملكها المدينة أو يملكها الملك ، وهؤلاء كانوا على أغلب الظن جنودا استعمروا البلاد بوصفهم جنودا مرتزقة أصحاب ضياع صغيرة .

على أن المسألة الأساسية التى واجهت البطالمة فى قرنيقا قد واجهتهم كذلك فى كل مستعمراتهم التى كان يقوم بالدور الهام فيها المدن الاغريقية وفى حلف سكان الجزر والجزر الاغريقية المنفصلة ، وفى «كاريا» و «أونيا» و«ليسيا» والى حد ما «تراقيا» . واذا حكمنا بما لدينا من مادة ضئيلة فان البطالمة كان احترامهم قليلا للحكم الذاتى الذى كانت تتمتع به المدن الاغريقية فقد كان سلطانهم على هذه المدن بصورة واضحة ، وذلك لان كل الوثائق الرسـمية للمدن الاغريقية فى الممتلكات البطلمية كانت تبتدىء لا بأسماء المدن وأهلها ومجلسها وحكامها بل باسم الملك ، والواقع ان أكثر احترام البطالمة كان موجها لحلف سكان الجزر ، وذلك لأنه كان قوة عظيمة منظمة تنظيما حسنا يدعو فعلا الى الاجلال ، ولكن نشاهد حتى فى هذا الحلف ان ممثل البطالمة الذى

---

(١) راجع Ap. Joseph, Ant. XIV, 115. sq.

يحمل لقب نيزيارك (Nesiarch) كان هو الحاكم المطلق للحلف . فهو الذى يأمر بعقد اجتماعات نوابه ، وهو الذى ينفذ قرارات مثل هذه الاجتماعات، وهو الذى يصدر الاوامر للقوات الحربية التابعة للحلف ، ويطهر البحار من القرصان ويجمع المال من أعضاء الحلف ويعين المحكمين للفصل فى المنازعات. ومن جهة أخرى نلحظ ان البطالمة عملوا من جهتهم أثناء سيطرتهم القصيرة على ألا يتدخلوا فى شئون هذه الجزر الداخلية .

هذا وكانت الأحوال على خلاف ذلك مع البلاد الاغريقية التى فى الاقاليم القرية . فنجد انه على الرغم من وجود مؤسساتهم وجمعياتهم العامةومجالسهم وحكامهم فانه لم يكن فى استطاعتهم ان يبتوا فى أى أمر هام دون الحصول على الموافقة الأولية من الملك . أى من موظفيه . وخلافا لذلك كانت الادارة دائما تتدخل فى أمور الحياة الصغيرة للمدينة ، وذلك اما مباشرة باعطاء أوامر معينة أو بطريقة غير مباشرة ، وذلك بالرسائل الخاصة والتعليمات . فمثلا نشاهد ان «هليكارناسواس» لا يمكنها ان تبنى جمنازيوم دون تصريح من الملك . ونجد فى «ساموتراس» ان الملك هو وحاكمه هما صاحب الحق فى التصريح باستيراد القمح الى الجزيرة أو منعه . كما كان لحاكم الجزيرةالصوت الأعلى فى تقسيم الاراضى بين المواطنين . وفى جزيرة «ميلينوس» كان الملك هو الذى يمنح الاراضى كما يحب ، وان كانت ليست ارض المدينة . ومن الوثائق المفيدة بوجه خاص رسالتان عثر عليهما فى أوراق «زينون » وهما يتحدثان عن «كاليندا» فى اقليم «كاريا» . ففى واحدة منهما نقرأ انه لأجل الحصول على دفعة صغيرة من المال من المدينة لجأ أحد المواطنين الى الوزير « أبوللونيوس » ليضغط على الحاكم العسكرى وعلى موطف المالية فى المديرية لاجابة طلبه ، وكذلك ليضغط على الجمعية ومجلس المدينة لتلبيةطلبه والرسالة الثانية أكثر أهمية من الأولى وذلك انه فى «كاليندا» كما هى الحال فى المدن البطلمية فى الاقاليم الأخرى كان الملوك يحتفظون بحاميات وكان

الجنود فيها عيالا على المواطنين فكانوا يقدمون لهم المسكن والمأكل دون مقابل. هذا الى ان بعض اصحاب الاملاك كان عليهم ان يقدموا العلف للخيل التى يملكها فرسان معينون وبدهى أن هذا العبء كان يسبب استياءا بالغا عند المواطنين ، ومن أجل ذلك نجد ان أحد هؤلاء الذين وقعوا تحت هذا العبء كان من ذوى رحم «زينون» وقدتوصل بوساطته ان يحصل على اعفاء من هذه الضريبة. ولكن بعد وفاته كان على أسرته ان تخضع لاداء هذا العبء القديم وقد قابلت هذه الرسالة هـوى فى نفس «زينـون» فقدمـه بدوره الى «أبوللونيوس» لأجل ان يعيد الحق الذى انتزع من اقاربه . ولم يكن هناك أية فائدة من الاحتجاج على حكم القوة والتدخل المستمر ، وذلك لأن المدن كانت تحت رحمة حامية البطالمة وقائدها . وتدل الاحوال على ان البطالمة كانوا يعلنون بالقول انهم يأتون بالحرية للمدن الاغريقية ولكن كانوا بالفعل أقل تسامحا من السـلـيوكيين بل من الانتاجونيين جيرانهم واصـحاب الجاه فى تلك الفترة .

والواقع ان اظلم نواحى الحكم البطلمى كان فرض الضرائب بصورة مستمرة منظمة لفائدة الحكومة المركزية وذلك ان المدن الاغريقية قبل ان تخضع لحكم الدول الهيلانستيكية كانت لها نظامها الخاص بالضرائب والعوائد والاحتكار، ومن المحتمل ان هذه الانظمة قد بقيت معمولا بها مع قليل من التعديلات . ولكن المهم هو ان جزءا من دخل المدينة كانت تستولى عليه خزانة الملك . وقد زاد الطين بلة ان الموظفين الملكيين كانوا يراقبون ما بقى من دخل الاهالى وهذه المعاملة تتفق تماما مع ما جاء من بيان فى هذا الصدد فى أوراق نشرت أخيرا وفى نقوش أيضا . ففى احدى هذه الاوراق (١) . التى تحتوى على مقتطفات من رسائل موجهة من وزير الماليــة الى مديرى الخزانات فى مختلف الاقاليم البطلمية ، نجد صورة عامة عن الضرائب تتفق فى جملتها مع ما نعلمـه عن

(١) راجع P. Tebt. 8, Wilcken

الصورة العامة للنظام المالى البطلمى وبما يجرى فى المدن المتعددة . فنرى ان ضرائب الأطيان (Phoroi) وعلى حدة منها ايجارات الامتعة العامة ، كان يدفع جزء منها نقدا والجزء الاخـر عينا وكانت العوائد تحددها الحكومـة المركزية ، هذا وقد ادخلت الاحتكارات فى الاصباغ الارجوانية والزيوت العطرية .

وعلى أية حال فان النظام الذى كانت تجبى به هـذه الضرائب كان على اساس اغريقى وهو نظام تأجير المحصول . فكان مؤجـرو الضرائب افرادا محليين ، ولكن الضرائب كانت تشهر فى المزاد فى الاسـكندرية لا محليا ، يبرهن على ذلك الرسائل العدة التى وجدت فى مكاتبات زينون (١) ، حيث نجد ان صورة المزاد الخاصة بضرائب اقليمية وهى التى رسمها لنا جوزيفس فى قصته العجيبة عن مؤجر للضرائب من سوريا الشمالية (٢) ، كانت بوجه عام مضبوطة . هذا وعندما كانت توضع الضرائب فى مزاد لسـنة جديدة ، كان أشهر الناس واغناهم فى المكان الذى يعلن فيه المزاد يذهبون الى الاسكندرية ويتنافسون بتقديم أى مبلغ من الرشوة ، وكذلك الغش فى المزاد الذى يعقد لبيع الضرائب والخراج . واذا حكمنا من المبالغ التى اقتبست فى البردية التى ذكرناها الآن (٣) فان الدخل الذى كانت الحكومة تتسلمه من الأقاليم التى تسيطر عليها كان هائلا . ولا نزاع فى ان دخل البطالمة من الذهب والفضة كان ناتجا من مكاسب تجارتهم الخارجية كما كان كذلك من ابتزاز الأموال من الاقاليم التى كانت تحت سـلطانهم . وكان أهم مورد لهم من ذلك العوائد والضرائب التجارية التى كانت تجبى من مدن الساحل فى سوريا الشـمالية و «فنيقيا» و «فلسطين» وبخاصة «غزة» وكذلك الضرائب التى كانت تجبى

---

(١) راجع بوجه خاص الرسالة رقم ٥٩٠٣٦ ، من رسائل زينون = P. Cairo. Zen. 59037, 59039

(٢) راجع Ant. XII, 169 sqq.

(٣) راجع P. Teb 8

من «الاسكندرية» و «بلوز» على السلع التى كانت تأتى من «سوريا» و«فلسطين» كما يمكن ان نستخلص ذلك من مراسلات «زينون» (١) ، ففى الورقة رقم ٥٩٠٧٧ نجد اشارة الى توريد زيت أجنبى لمصر .

هذا وكان مؤجرو الضرائب المحليين يعملون تحت مراقبة موظفى البطالمة المستمرة وهم عمال وزير المالية فى الاسكندرية يساعدهم فى انجاز عملهم جنود الحاميات واسماء هؤلاء المؤجرين قد كررت باستمرار فى مراسلات«زينون» الذى كان بدوره وكيلا فى سوريا وفلسطين لسيده الوزير «ابوللونيوس» . ونجدهم كذلك مذكورين فى الرسائل التى كان يرسلها أو تأتى اليه من اقليم «كاريا» موطنه ومن «كاونوس» (Caunus) و «كاليندا» (Calynda) و «هليكارناسوس» . ويوجد من بين رسائل«زينون» رسالة كلها من مساعده مؤجر ضرائب فى الاسكندرية (٢) ومن المحتمل انه كان يريد تأجير الضرائب . ومن ثم يمكن ان نرى ما يعنى ذلك من وجود شبكة دسائس ورشاو ومناورات تنطوى على الغش والخداع .

هذا وكان وكلاء الوزير كما كانت الحال فى مصر يحملون اللقب المتواضع صراف الخزينة وكان مساعدوه يسمون كتابا ، ولكن يلحظ أن معظم مساعديه لم يكونوا يحملون القابا فكان الرجل يدعى رجل ابوللونيوس وحسب ، كما كانت الحال فى مصر الى عهد قريب جدا ، وهذا يدل بوضوح كيف كانت المديريات التى تحت سيطرة البطالمة تعد مثل مصر نفسها ملكية شخصية للبطالمة الواحد تلو الآخر . هذا وكان وكلاء الوزير كذلك يقومون بتجارته الشخصية وكانوا يسعون فى ايجاد وقت للتجارة الحسابه الخاص فكانوا يشترون له زيت الزيتون والنبيذ والروائح العطرية والخيل والعبيد ، وكانوا يقرضون قروضا محلية فى ضيعته المشهورة «بفيلادلفيا» من أعمال الفيوم ، وكانوا يسعون فى القيام بتهريب البضائع دون ان يدفعوا عليها ضرائب

(١) راجع P. Cairo. Zen. 59037
(٢) راجع P. Cairo Zenon · ,7

والحصول على ترخيص قانونى وهو ما يفعـــل فى كثير من البلدان المتحضرة حتى الآن .

والواقع ان وزير المالية كان فى يده كل ادارة الحياة الاقتصادية والعناية بخزانة الدولة وما يتبع ذلك من دخل سواء أكان ذلك نقدا أم عينا . ولكن مما يؤسف له ان هذا النظام العظيم وما يحتويه من مؤسسات وادارات كان يقع تحت اسم مبهم وهو «الملكية» وذلك لان الملك والحكومة كانا موحدين. وذلك لانه لم يكن من الممكن التمييز بين ما هو للملك وبين ما هو للدولة . وهذه الظاهرة بعينها كانت سائدة فى العهد الفرعونى . والرجل الذى كان يدير حركة هذه الآلة المركبة المعقدة لحياة البلاد اقتصاديا وماليا كان يحمل لقب مدير Dioiketes . ولدينا معلومات كثيرة كما اشرنا من قبل عن أحـــد هؤلاء المديرين (وهذا اللقب يقابل فى عهـــدنا وزير الخزانة) وهو «ابوللونيوس» الذى عاش فى عهد بطليموس الثانى وشغل وظيفته حوالى عام ٢٦٨—٢٦٧ ق.م وبقى يشغلها طوال مدة عهد هذا الملك . وهناك ادلة على انه كان قد خلع من وظيفته فجأة وحرم من ثروته فى أوائل حكم بطليموس الثالث كما سنرى بعد، هذا ونعرف بعض الشىء عن حياة واحد أو اثنين ممن تولوا بعده هذا المنصب غير انه يصعب علينا ان نميز بين أمور هـــذا المدير الشخصية وبين نشـــاطه الرســـمى ، اذ نجد كما اشرنا الى ذلك من قبل ان مســـاعديه ورجال بلاطه وسكرتاريته كانوا يقومون باعماله الخاصة ويشتركون كذلك فى أعمـــاله الرسمية . وكان يرتبط باعمال هذا الوزير ارتباطا وثيقا موظف آخر يدعى محاسب (Eklogistes) وكان يجمـــع فى شخصه عمل مراقب الماليـــة وأمين الخزانة وكان له عماله فى كل انحاء البلاد يحمل كل واحد منهم على ما يظهر اللقب الاغريقى Antigrapheus اى مراقب كما اشرنا الى ذلك عند التحدث عن المقاطعات ونظامها .

وان عدم وجود وزير للشئون الداخلية ليكون على ر ں الادارة العامـــة

وليكون فى قبضته كل سلطات وواجبات وزير المالية لما يوضـــح لنا الموقف الفريد الذى كان يحتله دخل البلاد فى نفس بطليموس الثانى . ولا نزاع فى ان وزير ماليته «ابوللونيوس» كان عند بطليموس الثانى فى مركز نائب عنه تقريبا ولا أدل على ذلك من انه كان يستعمل لفظة «نحن» الذى كان لا يستعملها الا الملك كما انه كان يصدر أوامره بالفاظ لا ينطق بها الا الملك (١) .

وهذا يتمثل فيما قاله خدام معبد بوبسطه فاستمع اليهم وهم يقولون : لقد اعفانا الملك من القيام بالخدمات الشعيرية وكذلك اعفانا منها «**ابوللونيوس**»(٢). وفضلا عن اشراف «ابوللونيوس» على كل موظفى المالية وضيعته الخاصة، فانه كان يهتم باعمال أخرى مختلفة مثل التأثير على حكومة مدينة اغريقية من التى تسيطر عليها مصر فى «كاريا باسيا الصغرى» ، بسبب مسألة مالية (٣) . وفى حالة أخرى نجده مهتما بتجهيز السفن التى حملت ابنة بطليموس الثانى الى «فنيقيا» لزواجها (٤) . فقد أمر هذا الوزير وكيله «زينون» ان يجهز المعدات اللازمة للسفن التى ستحمل الأميرة ومتاعها ، فى حين كان على «ثيون» ان يشحن هذه المعدات على ظهر السفن ويحضرها بالنهر ، وكان كذلك ملزما بان يقوم بهذا العمل على وجه السرعة ، لانه قـــد وصلت الى ابوللونيوس رسالة مستعجلة لارسال السفن الى الاسكندرية استعدادا للقيام برحلة بنت الملك لزوجها ملك سوريا «اتيوكوس» . يضاف الى ذلك ان «ابوللونيوس» كان يقوم بالاتجار لحسابه الخاص وعلى ذلك كان فى استطاعته ان يؤثر على سير العدالة فى البلاد لمصلحته هو .

القضـــــاء :

وكان نظام العدالة فى عهد البطالمة غاية فى التعقيـــد ، ودلك لان الاساس

---

(١) راجع P. Hal. I, L. 200

(٢) راجع P.S.I. IV, 440

(٣) راجع A.S. XX. P. 32. Cf. Cairo. Zen. 59037, & Wilcken Arenivj VII, 75

(٤) راجع P. Cairo. Zen. 59242

الذى بنى عليه تطبيق العدالة هو ان القانون لم يكن مرتبطا فى أية مسألة بالمكان الذى يسكن فيه الفرد ، ولكن كان يحدد الدائرة التى يتبعها هذا الفرد . وكانت فى البلاد محاكم وقضاة ، كما كان يوجد قانون مدنى وآخر جنائى خاص بالمدن الاغريقية وهى الاسكندرية وبطلومايس ونقراش، وقانون للطائفة اليهودية الذين يسكنون خارج المدن وللموظفين الاصليين . وكان يطلق على قضاة السكان الاغريق اسم Chrematistai . وكان عليهم ان يقوموا بجولات فى انحاء البلاد ، ولكن لدينا بردية عثر عليها حديثا فى أوراق «زينون» نعلم منها وجود قضاة يعملون بوصفهم نائبين عن «ابوللونيوس» ويتلقون الاوامر منه (١) . هذا ونلحظ انه حتى عندما كان الأمر خاصا بافراد من الاغريق فان دخل الملك كان يوضع فوق القانون ، وهذه كانت حالة مفزعة تدل على منتهى التعسف والاجحاف ، اذ نجد ان استيلاء الملك يمتد حتى الى مصالح الاغريق الذين كانت ترتكز عليهم قوته وسلطانه . فلم يكن مسموحا لأى فرد من أفراد الرعية ممن يقفون فى وجه الخزانة ان يعين محاميا محترما للدفاع عنه . ولا أدل على ذلك من رسالة فى متناولنا كتبها بطليموس الثانى بنفسه لابوللونيوس (أى لم يكتبها سكرتيره) خاصة بهذا الموضوع وهى توضح لنا هذه النقطة بجلاء . ولذلك يطيب ان ندونها هنا فاستمع لما جاء فيها تحية الملك بطليموس الى «ابوللونيوس» . لما كان بعض المحامين ممن ذكروا بعد هنا قد أخذوا فى الدفاع فى قضايا خاصة بالدخل مما يضر بدخل البلاد فعليك ان تجعل هؤلاء الذين وكلوا عن انفسهم محامين أن يدفعوا ضعفى مقدار الخسارة بزيادة العشر للتاج ، وامنعهم من ان يكونوا محامين فى أية قضية مهما كانت . واذا حدث ان ضبط أحد هؤلاء الذين يقومون بالاضرار بدخل البلاد ، يقوم بالمحاماة فى أية قضية فعليك ان ترسله الينا مقبوضا عليه وجرده من ممتلكاته بجعلها ملكا للتاج (٢) . ومن ذلك نفهم أنه عندما نقرأ فى

(١) راجع Ibid. Zen. 59202, 59203
(٢) راجع P. Amherst II, 33

الازمان التى تلت عصر بطليموس الثانى التظلمات التى كان يقدمها صغار القوم وكذلك ما كان يقصه علينا الرواة مظهرين فيه ما فطر عليه هذا الملك من عدل وحق فما علينا الا ان نعود الى قراءة رسالاته كالتى خطها بيده هنا لنعرف الحقيقة الناصعة ، وكيف يكذب الناس على التاريخ ارضاء للملك .

هذا ولم يكن من الواضح أن تسوى القضايا عندما كانت مصلحة فرد من المصريين المواطنين تتعارض مع فرد آخر من الاغريق المستعمرين . وقد رأينا أنه فى وقت من الأوقات كانت اللغة التى كتبت بها الوثيقة التى يرتكز عليها عصب لقضية المدنية هى التى كانت تحدد فيما اذا كان الفصل فى القضية القاضى الاغريقى أو القاضى المصرى ومن أجل ذلك نجد أن المبالغ التى كانت تذكر فى الوثائق الديموطيقية قد ذكرت بالعملة المصرية التى كان يتعامل بها المصريون المواطنون وبجانبها تقديرها بالعملة الاغريقية الحديثة المتداولة فى هذا العهد. وكان من الطبيعى أن المصريين أهل البلاد كانوا يفضلون أن يفصل فى قضاياهم عند أقرب موظف من أن تفصل فيها المحاكم المعقدة التى كانت تحتاج الى وقت طويل وتجهيزات طويلة شاقة وبخاصة انهم كانوا لا يعرفون اللغة اليونانية عندما تكون القضية بين مصرى واغريقى . هذا وكانت منشورات الملك ومرسوماته وقوانينه هى القوة المنظمة التى كان لابد للمحاكم والموظفين السير على مقتضاها ، وهى التى بمقتضاها وعلى أساسها أخذ يتألق شيئا فشيئا فى البلاد ما يشبه قانونا موحدا .

القانون المصرى :

والقانون الذى تحدثنا عنه كان فى الواقع قانونا مختلطا ولكن المصريين كان لهم قانونهم الخاص الذى كانوا يسيرون عليه منذ عهد الفراعنة ويرجع الى أقدم العهود وكانت سياسة البطالمة منذ تولى الحكم فى مصر أن يتركوا المصريين بقدر ما تسمح به أحوال الحكومة ونظمها أن يتمتعوا بنظمهم القانونية التقليدية التى كان يسميها الاغريق قانون البلاد والريف فى حين كانوا يطلقون على

قوانينهم القوانين المدنية التى كان يصدرها الملك لأولئك الذين كانوا يتمتعون بلقب المواطنين وهم الاغريق . وهذه القوانين كانت للاغريق فقط وقد راعى البطالمة فى وضعها القانون الاغريقى وعلى ذلك كان هناك نظامان من القوانين يسيران جنبا لجنب فى مصر وقد تحدثنا فيما سبق عن القانون الاغريقى الذى كان مستمدا من الوثائق الاغريقية أما القانون المصرى فقد استخلص من الوثائق الدموطيقية وسنفرد له بابا خاصا فيما بعد .

النظام الاقتصادى فى عهد بطليموس الثانى :

تحدثنا فيما سبق عن الحكم فى عهد بطليموس الثانى من حيث الملكية والجيش والأسطول وأقسام البلاد الجغرافية وما طرأ عليها من تغيير ونظام الحكم فى المقاطعات وفى المديريات التى كان يسيطر عليها البطالمة خارج مصر وعلاقته بها وعن الوزير والمهام التى كان يقوم بها ، وأخيرا تحدثنا عن النظم القضائية الاغريقية . والآن يجدر بنا أن نتحدث عن النظام الاقتصادى نفسه الذى كانت تسير عليه البلاد وأساسه تربة مصر التى كانت ملكا لبطليموس الذى كان فى تصرفاته من حيث ملكية الأرض لا يختلف عن تصرفات الفراعنة طوال مدة حكمهم لأرض الكنانة من أول «مينا» مؤسس المملكة المصرية المتحدة حتى نقطانب الثانى آخر من اعتلى عرش الفراعنة . ولما كانت مصر تعد دائما فى الأزمان الغابرة بلدا زراعيا لخصب تربتها فان جل هم بطليموس الثانى الحصول من تربة أرضها على أكبر محصول ممكن . فكان يعطى جزءا من أراضى مصر لآخرين لزرعه ويقوم هو بزرع جزء كبير لحسابه الخاص ، ولاسيما فى أرض الدلتا والفيوم التى قام باصلاح مساحة عظيمة منها بتجفيف جزء كبير من بحيرة قارون وكانت هذه الأراضى فى يده فعلا يقوم بتثميرها له الفلاحون المصريون الذين دربوا على هذا النوع من العمل منذ أزمان سحيقة . وهذه الأراضى كان يطلق عليها أراضى الملك كما أن الفلاحين الذين كانوا يقومون بفلاحة الأرض وزرعها يلقبون بالفلاحين الملكيين .

وكانت الأراضي التي يمنحها الملك موزعة على أربع طبقات(١) من سكان مصر . فأراضي المعابد كان يتولى الملك زرعها على غرار زرع أرضه هو ، على أن يعطى المعبد ما يحتاج اليه من محصولها ، ثم الأراضي التي كان يمنحها الملك للجنو دالمرتزقين وقد تحدثنا عنها فيما سبق ، أما الطبقة الثالثة من ملاك الأرض فكانت تمنح لملاك خاصين وهذا النوع من الملاك قد زاد كثيرا فيما بعد. وهذه الأرض كان يقصد بها في العهد الأول من عصر البطالمة في الواقع البيوت والبساتين . والطبقة الرابعة من هؤلاء الملاك كان يقصد بها ملاك الضياع الكبيرة وهي التي كانت تعطى منحة . وذلك أن بطليموس الثاني كان يمنح بعض كبار الموظفين مساحات عظيمة من الأرض لزراعتها وتنمية مواردها ، على أن الملك كان له الحق في أن يستردها عندما يريد . وقد وصلت الينا معلومات كثيرة عن احدى هذه الضياع الشاسعة في الفيوم وتبلغ مساحتها حوالى ٥٥٠٠ فدان وتشمل قرية فيلادلفيا وكانت منحة من بطليموس الثاني لوزيره «ابوللونيوس» . ويرجع الفضل في معرفة الشيء الكثير عن هذه الضيعة الى الكشف عن معظم المراسلات الخاصة بمدير بيت ابوللونيوس هذا المسمى زينون ، ويمكن أن نتتبع أحوال هذه الضيعة وريها ومبانيها وزراعتها بصورة دقيقة لحد كبير وتدل هذه المراسلات على أن «ابوللونيوس» هذا كان ملكا صغيرا كما أشرنا من قبل ، في ضيعته هذه . والواقع أن مثله كان كمثل أمراء الاقطاع في العهد المتوسط الأول من تاريخ مصر القديمة فكان ابوللونيوس كأمير الاقطاع يتمتع بكل ما كان يتمتع به الملك ولا ينقصه الا الاعتراف له بلقب الملك قانونا ، فقد كان له بلاطه وجيشه من الموظفين الخاصين به ولكن الفرق الوحيد هنا بينه وبين الأمير المصري الاقطاعي هو أن بطليموس كان على اتصال تام بمملكة ابوللونيوس الصغيرة ، يدل ذلك على أن الملك ذات مرة

---

(١) راجع نظام تقسيم أرض مصر في عهد الرعامسة في مصر القديمة الجزء الثامن صفحة ١٥٧ — ٢٤٦

أمر ابوللونيوس أن يجرب فى تربة ضيعته بعض المزروعات وذلك أن ابوللونيوس كتب لمدير ضيعته «زينون» يخبره أن الملك أمر بأن يزرع زرعة أخرى فى ضيعته التى لم تكن تزرع الا مرة واحدة ، وقد فعل ما أمر به وبعد حصاد الغلة المبكرة كان على «زينون» لأجل أن يحصل على محصول ثان أن يروى الأرض بالشادوف اذا احتاج الأمر الى ذلك ، أمر بألا يغرق الأرض بالماء أكثر من خمسة أيام ، وبعد جفاف الارض كان عليه أن يزرع القمح الذى كان لا بد أن يمكث فى الأرض ثلاثة أشهر . وأخيرا كان عليه أن يخبر «ابوللونيوس» عن الميعاد الذى سيكون فيه قادرا على جنى المحصول . والواقع أنه ليس فى الامكان معرفة مايقصده الملك بالضبط اللهم الا اذا كانت طريقة تثمير الارض مرتين فى السنة قد عرفت فى عهد بطليموس الثانى فتروى زرعة بالحياض وأخرى بالشادوف وهذا جائز جدا (١) .

ومما سبق نفهم أن أرض مصر كانت على الأقل نظريا ملك بطليموس الثانى ، كما كانت ملك كل فرعون فى العهود القديمة وكان الفرعون أو بطليموس فى كلتا الحالين يمنح آخرين حق القيام باجراء تجارب معينة فيها . ويمكن القول بصورة عامة أن هذا التصرف كان يتخذ ثلاث طرق رئيسية :

(١) : كانت توجد معاملات يقبض بطليموس على زمامها ويديرشئونها هو بنفسه وهذا كان نظام الاحتكار المشهور (٢) وهناك معاملات أخرى كان له فيها قسط فقط أى أنه كان يأخذ قسطا من أرباحها ويسمح لأفراد رعيته بأن يأخذوا الباقى من انتاجها (٣) وأخيرا كانت هناك عمليات ليس للملك فيها أى قسط من الربح ، ولكن كان له مبلغ معين سواء أكان ذلك جزءا من المحصول

---

(١) راجع Zenon Pap. Edgar, vol. II, P. 13-14.

أم دفع مبلغ للترخيص باجراء أشغال وهذا يعنى أن الملك قد باع لرعاياه حق السماح بالقيام بعمل أو مصلحة .

أما حرية التجارة أو القيام بمزاولة عمل حر فلم يكن على ما يظهر من الأمور المعروفة فى مصر البطلميـــة الا فى ثلاث من المدن الاغريقيـــة وهى نقراش والاسكندرية «بطليمايس» وهى التى كانت تعتبر مدنا حرة على غرار المدن الاغريقية الى حد معين كما شرحنا ذلك من قبل . ومن المحتمل أن تجارالتجزئة لم يكونوا الاعلاء للحكومة فى توزيع السلع وبخاصة فى السلع المحتكرة . هذا وقد كان الفرد يدفع للحكومة ضريبة للحصول على امتياز كسب اللقمة . حقا كلنا يدفع ضرائب ، ولكن فى مصر فى عهـد البطالمة كان القوم يدفعون ضرائب فادحة تتعدى حدود الضرائب المعقولة . ولم يشذ عن هذا النظام الا المدن الثلاث السالفة الذكر على ما يظن ، فقد كانت الارض التى يستغلونها ملكا لهم ، وكذلك يحتمل أنه كان لهم حق التجارة الحرة بالتجزئة ومن الجائز أنه كانت فى الاسكندرية جمعية تصدير السلع تتمتـع ببعض حقوق وحرية خاصة ، وذلك لأنه ليس فى استطاعة الانسان أن يفهم كيف كانت الصادرات تسير بغير هذه الطريقة . والواقع ان الحكومة كانت تراقب كل شىء خـلافا لما كانت تتمتع به هذه المدن ، وتدل الظواهر على وجود ثلاثة أنظمـة كانت تتبعها الحكومة لجمع دخل البلاد وهى أولا مبـــالغ معينة تدفع للحكومة

وثانيا : نصيب من أرباح الأفراد يستولىعليه التاج وثالثا : دخل ما ينتج من الاحتكار الحكومى لبعض السلع ، وكل هـذه الأمور كانت تسير جنبا لجنب فيما يخص ثلاثة أنواع الأغذية الرئيسية وهى القمح والنبيذ والزيت . ويمكن أن نفحص عن هذهالمواد الثلاث لنرى ماذا كان يفعل بطليموس الثانى ومن جاء بعدهوسارعلى منهاجه لجمع المال بصورة لم يعرفها التاريخ من قبل:

القمح : كانت مصر فى كل عهودها القديمة بلادا زراعيـة وأهم محاصيلها القمح فى كل العصور ، وفى عهد البطالمة نجـد أن كل الأراضى كانت تزرع

قمحا بالأيدى العاملة وكان للملك جزء من محصولها .

ولكن نجد فى الأرض التى كان يقوم الملك بزرعها لحسابه تجديدا مثيرا فى نصيب الملك فقد كانت العادة منذ أقدم العهود الفرعونية والأسيوية أن يستولى الملك على عشر المحصول . وهذا كان يعنى أنه كان شريكا أمينا مع فلاحيه فقد كان ما يأخذه من المحصول لا يزيد عن كسر بسيط وهو العشر ومن ثم فانه كان فى السنة التى ينقص فيها المحصول بسبب الآفات أو قلة المـاء كان يشارك المزارع فى النقص الذى كان يلحق بالأرض التى يزرعها ، ولكن نجد أن بطليموس الثانى كان فى عهده لا يتحمل أية خسارة من ذلك . فقد كان يأخذ من كل فلاح مقدارا معينا من القمح سواء أكان المحصول حسنا أم سيئا، وعلى ذلك كان الفلاح لا يأخذ أى شىء من محصول أرضه الا بعد أن يوفى بطليموس نصيبه المحدد ، فكان على الفلاح أن ينقل نصيب الملك من جرن القرية الى مخازن بطليموس وهناك كان يوزن ويتسلم به ايصالا من الموظفين المختصين. ولانزاع فى أن هذا التغير عما كانت عليه الحال فى عهد الفراعنة يعد خرقا فظيعا لما تعوده الفلاح واجحافا بحقه ، وفى الوقت نفســـه كان ربحا عظيما للملك . وقد كان القمح يؤخذ من جرن القرية الى جرن المقاطعة ثم يشحن فى سفن تسير على النيل الى مخازن الملك فى الاسكندرية ليكون جاهزا للتصدير . وكان بطليموس الثانى أكبر مصدر للقمح من بين تجار مصر ، هذا وقد حفظ لنفسه كذلك الحق فى شراء الفائض من الغلال فى البلاد بالثمن الذى كان يحدده هو .

وكان بطليموس الثانى يصدر أمرا سنويا بتحديد مساحة الأرض التى تزرع قمحا من الاسكندرية . وعندما كانت تصل القائمة بمقدار الارض التى كانت ستنبت القمح من الاسكندرية الى عاصمة المقاطعة كان يبتدىء عمال الملك فى توزيع كمية البذور التى ستزرعها كل قرية . والظاهر أن هـذا الاجراء كان خاصا فقط بأراضى التاج أو الاراضى التى كانت تحت اشرافه كأراضى المعابد

أما الاراضى الأخرى مثل أراضى الجنود المرتزقين فكان ملاكها يتصرفون فى زرعها حسبما يشاءون وذلك فى عهد بطليموس الثانى .

وكان المواطنون المصريون يزرعون أراضيهم قمحا فى حين أن السكان الاغريق كانوا بوجه عام يزرعون أرضهم كروما ، وكذلك كان مباحا للجنود المرتزقين أصحاب الأراضى الصغيرةالمساحة أن يزرعوا أرضهم كروما اذا رغبوا فى ذلك . وكثيرا ما كانوا يفعلون ، وذلك لأن الفائدة من محصول الكروم كانت تبلغ على وجه التقريب خمس مرات قدر فائدة محصول نفس المساحة من الأرض المزروعة قمحا (١) .

هذا وكانت توجد ضريبة قديمة تسمى ابومويرا (Apomoira) تقدر بسدس المحصول على الكروم وكانت تدفع للمعابد . وقد حول بطليموس الثانىهذه الضريبة لاقامة شعائر دينيةلزوجهالمؤلهة «ارسنوى فيلادلفس». وقد ظن بعض المؤرخين أن هذه الضريبة كانت تدفع لبيت مال بطليموس الثانى ، وعلى أية حال قد تنفس الصعداء الاغريق الذين كانوا يدفعونها لأنهم تحلصوا من دفعها لرجال الدين المصريين الذين كانوا على غير دينهم.وسنتحدث عن هذه الضريبة فيما بعد .

والواقع أن زراعة الكروم كانت من أهم المحاصيل المصرية القديمة ، وكانت توجد كروم ملكية تعتبر فى الأصل ضياعا شخصية للملك وأفراد أسرته وكانت البيوت الملكية محاطة بالكروم (٢) . وكان من المعقول أن يكون للفرد الذى يزرع الكروم أوالأشجار المثمرة حق ملكية ثابتة نسبيالأنكل الاراضى كانت تعتبر ملكا بطليموس ، وذلك لأن أشجار العنب كانت لا تؤتى ثمارها الا بعد عدة سنوات ، هذا فضلا عن أن الكروم كانت تحتاج الى التهذيب والرى كما كانت تحتاج الىمهارة كبيرة . ومع ذلك فان الملك كان يشرف على زراعة

(١) راجع A. Jardé, Les Céréales dans l'Antique Grec : I, 1925, 187

(٢) راجع Preaux, L'Economie Royale des Lagides. P. 165; Rostovtzeff Kolonat. PP. 14 ff; & A Large Estate. P. 94.

الكروم والفاكهة ، ومع السماح بانشاء كروم جديدة كان فى استطاعته أن يشرف على تقدم محصولها كما كان فى مقدوره أن يمنع ازدياد الأرض المزروعة بالكروم على حساب الأراضى التى كانت تزرع قمحا ، ومن أجل ذلك كان يفضل الاغريق دون المصريين على زرع الأرض التى أصلحت حديثا أو التى لم تكن صالحة لزراعة الحبوب بالكروم ، وكان من اجراءات التسهيل التى نهجها الملك فى هذه السبيل أنه أعفى الأراضى التى كانت تزرع حديثا بالكروم والبساتين من الضرائب كما خفض الضرائب من السدس الى العشر . والواقع أن أهمية الكروم كانت عظيمة فى نظر ملوك البطالمة كما كانت عند قدماء المصريين وترجع زراعة العنب فى مصر الى أقدم العهود وكذلك استخراج النبيذ منه يرجع الى عهد الأسرة الأولى (١) . وقد اهتم بطليموس الثانى بزراعة أشجار العنب بوجه خاص فى الضياع الواسعة المساحة، ولا أدل على ذلك من أنه يلحظ فى ضيعة «ابوللونيوس» فى «فلادلفيا» من أعمال الفيوم اهتمام عظيم من قبل الملك بزراعة الكروم فنقرأ فى سلسلة من الرسائل المستعجلة ما بين عامى ٢٥٧ الى ٢٥٥ق.م ان آلافا من شجيرات العنب وشجر الزيتون والتين والنخيل والتفاح والكمثرى والجوز والرمان قد نقلت من ضياع «منف» وحتى من بساتين الملك لتزرع فى فيلادلفيا ، وهكذا نقرأ فى بطاقة من وزير المالية «ابوللونيوس» أنه يعلن أن مدير بيته «زينون» بارسال عشرة آلاف شجرة عنب وألف وسبعمائة شتلة وخمسماية شجرة رمان(٢). فى حين نجد شكوى قد وجهت الى رئيس الشرطة فى «فيلادلفيا» أعلن فيها مقدمها سرقة ٣٠٫٠٠٠ من قوائم الغاب من كرم مساحته ستون أرورا ملك «زينون» وصديقه «سوسترات» (٣) ، وهذا يقدم لنا دليلا على أهمية الكروم فى اقتصاد

---

(٢) راجع مصر القديمة الجزء الثانى ص ٨٣ – ٨٥

(٢) راجع P. Cairo, Zenon 59162

(٣) راجع

مصر (١) . وقد تحدث «روستو فتزف» عن الاهتمام بزراعة أنواع عنب من أجود الأصناف مجلوبة من بلاد الاغريق واستخراج أنواع جيدة من النبيذ منها (٢) . هذا نجد اهتماما بأقلمة انواع الاشجار الغريبة وجعلها تنمو فى مصر . من ذلك أن «زينون» وجه لأحد رجال الكروم نصائح منقولة عن بحث فى زراعة الكروم (٣) . ونجد فى قائمة النباتات التى أمر بزرعها فى ضياع «ليزيماكوس» الثرى (ويحتمل أن يكون ابن الملك) وهى من أهم الوثائق التاريخية المثيرة ، وتحتوى على شتلات تين برى من كيوس Chios وتين ليدى حلو وأحمر ورمان ثمرته بدون بذر وشجر مشمش يثمر مرتين وعنب قطوفه قاتمة اللون من كليكيا وغير ذلك من أنواع الفاكهة النادرة (٤) . وهذا المجهود الذى بذل لأقلمة أشجار ثمار جديدة فى مصر لتدر الأموال الكثيرة لزيادة دخل بطليموس الثانى كان عملا قام به الاغريق فى مصر لصالحهم هم ، وقد جلبت هذه الأشجار من مقدونيا وتراقيا وجزر بحر ايجه . وكانت كلها أنواعا مثمرة طعمها لذيذ وألوانها مختلفة . ولا نزاع فى أن بطليموس قد شجع هذه المشروعات الزراعية ، بل ويجوز أنه هو الذى أمر بها . وذلك لأن النبيذ الاغريقى كان محببا بدرجة عظيمة لأهل الاسكندرية وكان يباع بأثمان أغلى من أثمان النبيذ الوطنى الذى كان أقل جودة ، وكان الأخير هو المحصول القديم الذى يستخرج من الكروم التى كانت منذ أقدم العهود ويزرع فى جهات مختلفة فى أنحاء القطر المصرى ، ونخص بالذكر منها «بوتو» و «بلوز» و «مريوط» والوجه القبلى والوجه البحرى عامة. وقد تناولت موضوع النبيذ وأنواعه وألوانه فى غير هذا المكان (٥) .

(١) راجع A Large Estate 93-103

(٢) راجع A. Large Estate. P. 95.

(٣) راجع P.S.I. 624; A Large Estate 96

(٤) راجع P. Cairo Zenon 59033

(٥) راجع Excavations at Giza. The offering List in the Old Kingdom. Vol. VI. Part II. P. 399-402.

وقد كان يسبق جمع الضرائب مراقبة شديدة على عصير العنب. ولا غرابة فى ذلك لأن «بطليموس الثانى» كان له ضريبة على محصول الكروم تقدر بنحو ٣٣ ١/٢ ٪. وذلك على قاعدة متوسط ثلاث سنوات ، كما كان له عوائد بنفس النسبة على أنواع النبيذ الأجنبى . ولكن مما تجب ملاحظته فى هذا الموضوع هنا أن النبيذ بخلاف القمح كانت تؤخذ ضريبته بنسبة معينة من المحصول أى أن الحكومة كانت تشارك أصحاب الكروم وهم اغريق فى الخسارة فى حين أنها لم تشارك زراع القمح فى خسارتهم ، اذ كان عليهم أن يدفعوا مقدارا معينا من القمح عن كل أرورا من الارض سواء أكان المحصول جيدا أم رديئا . وهذا مثال صارخ فى تفضيل الاجانب على المصريين .

احتكار الزيت

من أهم السلع الضرورية للحياة فى مصر الزيت بأنواعه وقد أحدث بطليموس الثانى أعظم تجديد عرف من الوجهة الاقتصادية فى هذه المادة ، وذلك بادخال نظام الاحتكار فى الاتجار به . ولا نزاع فى أن بطليموس قد اقتبس فكرة الاحتكار هذه عن نظام الاحتكار الذى كان سائدا فى المعابد المصرية وعند ملوك مصر القديمة ومن المحتمل أنه قد نقلها عن ممالك أخرى مجاورة له ولكن الأمر الذى يلفت النظر فى نظام الاحتكار الذى اتبعه بطليموس الثانى هو أنه قد بالغ فى تنفيذه الى حد لم يعرف من قبل (١).

وقد أصدر «بطليموس الثانى» مجموعة قوانين للدخل فى السنة السابعة والعشرين من حكمه أى عام ٢٥٩ق.م والظاهر أن هذه الوثيقة عبارة عن مجهود لوضع تشريع للقواعد التى تنظم أجزاء اقتصاد الدولة ودخلها الذى كان يجمعه مؤجرو الضرائب . ويلحظ أن بعض الضرائب التى تناولها القانون الجديد كانت تجبى قبل صدور هذا التشريع . ويلحظ كذلك انه بالنسبة

(١) راجع Claire Preaux, L'Economie Royale Des Lagides, P. 65 ff.
Real Encyclopadie de Paul-Wissowa by Fè Heichelheim (1930).

لبعض الضرائب نجد نظام بيع الضرائب قد أدخل أولا فى القانون الجديد وقد نشر مخطوط القانون بأمر من بطلميوس الثانى وقام بنشره الوزير «ابوللونيوس» وقد ألفه موظفوه . والملحوظات التى وجدت فى نسخة القانون وهى التى حفظت لنا الأنظمة واللوائح كتبها الرجل الذى أرسل الى الاسكندرية بنسخ القانون الخاص بموظفى الفيوم وهو الذى نسخ الصورة التى كانت فى مكتب الوزير «ابوللونيوس» (١) . وكان من أهم المواد التى جاء ذكرها فى هذا القانون احتكار الزيت بكل أنواعه . والواقع أننا نجد فى هذا القانون وصف استيلاء الملك على محصول المواد التى كان يستخرج منها الزيت ، كما كان يسيطر على معامل الزيت وتجارته فى داخل البلاد وخارجها . هذا وكانت أنواع الاحتكار الأخرى للسلع والمواد المنوعة تسير على نفس النظام الذى اتبعه فى احتكار الزيت وسنتحدث أولا عن احتكار الزيت لأنه كا نيعد مصدر دخل عظيم لبطليموس الثانى . وكان أعظم شىء اهتم به بطليموس الثانى بطبيعة الحال فى هذا الصدد هو زراعة النباتات الدهنية التى يستخرج منها الزيت فكان أول عمل يقوم به عمال بطليموس هو حصر الأراضى التى خصصت فى كل مقاطعة لزراعة السمسم ونبات حب الملوك (كرتون) . هذا ولم يذكر حصر الأراضى التى كانت تزرع زيتونا لأنه كان خارجا عن حدود الاحتكار ؛ وكان يعرف فى مصر القديمة ؛ غير أنه لم يكن يزرع على نطاق كبير (٢). وكان من محصول هذه المواد يورد على الفور الى محصل الاحتكار. واليك مثال يضع أمامك صورة الزراعة ففى المقاطعة الساوية بما فيها مدينة نقراش المستقلة كانت المساحة التى تزرع سمسما تبلغ عشرة آلاف أرورا وزراعة حب الملوك ٣/٤ ١١٤٣٣ر١١ أرورا وكان يزرع لتموين الاسكندرية

---

(١) راجع A Large Estate. P. 166.

(٢) راجع مصر القديمة الجزء الثانى ص ٨٧ — ٨٨ .

وحدها حوالى ٢/١ ٦٦٦ر١٠ أرورا(١) . وكان الملتزم بمنتجات هذه المساحات فى المقاطعة الساوية لا يحصل أية ضريبة . وخلافا لذلك كانت تستولى الاسكندرية على ثلاثة آلاف أردب من السمسم لاستهلاكها الخاص . وهاك حالة مقاطعة أخرى لا تنتج من هذه المادة بقدر ما تستهلك ، ففى مقاطعة وادى النطرون كانت مساحة الأرض التى تزرع سمسما هى ثلثماية « ارورا » وعلى ذلك كان يورد اليها من مقاطعات أخرى أربعة آلاف اردب من حب الملوك . وكان يجب معالجتها بمعرفة مؤسسة التأمين . هذا وكانت الضريبة المفروضة على «حب الملوك» يدفعها العميل الذى كان يؤجر ضرائب مقاطعة وادى النطرون . ومن ثم نرى أن ادارة الوزير كانت تنظم بين المقاطعات التبادل فى المواد الأولية فتمد المدن والأقاليم الفقيرة بما تحتاج اليه ، وذلك بأن تفرض على المقاطعات الخصبة مقادير معينة من الاراضى الصالحة لزراعة الحبوب . هذا ونجد خلافا للمقاطعة الساوية أن المقاطعة اللوبية (بروبوزيت المقاطعة الرابعة من مقاطعات الوجه البحرى) والمقاطعة السمنودية واقليم طيبة كلها كانت تزرع نبات «حب الملوك» لتموين الاسكندرية ، وكانت تمون «منف» مقاطعة الفيوم فى حين أن مقاطعة وادى النطرون وكذلك المقاطعات غير الصالحة لانتاج هذا الصنف كانت تأخذ ما تحتاج اليه من جيرانها الغنية فى زراعته وعلى أية حال فانه اذا كان هناك نظام يسيطر على توزيع مادة أولية فى كل أنحاء البلاد فانه لم تكن مصر بل كانت المقاطعة هى التى تؤلف الكيان الاقتصادى ، وذلك لأنه لم تكن تجمع فى كل مصر مخازن موحدة عامة لكل محاصيل البلاد ، وذلك لأن الشىء المثالى فى هذا الصدد كان على العكس هو أن كل مقاطعة كانت تعمل على أن تكفى نفسها بنفسها فى حدود مواردها ، وان تستورد أو تصدر قليلا بقدر المستطاع . وكانت الضمانات أو الالتزامات لتأجير الضرائب تباع فى كل

(١) الارورا — ٢٧٣٥ مترا

مقاطعة . ولا نزاع فى أنه لم يكن فى مصر أصـحاب رءوس أموال كبيرة من أولئك الذين كانت عندهم القدرة المالية لشراء ايجـار كل الأراضى المصرية الخاصة بالاحتكار الملكى لصناعة الزيت . واذا كان «بطلبموس الثانى» قد أدار على الفور زرع أراضى هذا النوع من الاحتكار بد لامن تأجيرها فانه بذلك كان فى مقدوره أن يكون من مصر وحدة اقتصادية ويحقق نظام المركزية التام ، ولكن الاتجار من جانب الملك كان يكشف عن قصدين يرمى اليهما . أولهما أنه يؤكد ضمانات للدخل وثانيهما ألا يربط نفســه برءوس اموال فى استغلال الأرض ، وهذا الحذ رالمزدوج ــ وقد كان بلا شك أمرا ضروريا ــ يسيطر كما سنرى على طرق ادارة الجزء الأعظم من الدخل ــ وسنفسر هنــا كيف كان يتفق استقلال المقاطعات مع وجود الحكومة المركزية . ويتســاءل المرء كيف يتسنى للملك أن يأخذ على عاتقه توريد كمية معلومة من المواد الأولية للملتزمين ؟ ولا نزاع فى أن الملك بأخذه على عاتقه هذه المسئولية كان ينتظر حدوث عجز ، ولكن الجهاز الملكى كان كفيلا فى حالة وقوع عجز لسد هذا العجز بواردات تأتى اليه من مقاطعات أخرى ، ولأجل أن يكون هذا الجهاز كفيلا بتوريد الملتزمين محصولا معينا ، فانه من الواجب أن يكون لهم بعض الحق لأخذ هذه المحصولات من المزارعين وهؤلاء فضــلا عن أنهم كانوا يخضعون لمراقبة كان مفروضا عليهم تأدية ما عليهم من التزامات ومن الجائز أن هذا الأمر كان سهلا ميسورا اذا كانت كل مصر ضـيعة الملك وحسب . ولكن الأمر لم يكن على هــذا الزعم ، وذلك أنه لو كانت الأملاك الملــكية بالمعنى الحقيقى ممتدة جدا فى الفيوم فى خلال القرن الثالث ق.م فانه مع ذلك كانت هناك أراض قد نزل الملك عن حق استغلالها مثل الاقطاعات التى يملكها الجنود المرتزقة والضياع وأراضى المعبد هذا بالاضافة الى الأراضى الخاصة. وتدل الشواهد على أن موظفى الملك كانوا يشرفون على كل هذه الأراضى ، ولكن اذا شاهدنا فى الضياع كتبة الملك يقومون بمســح الأراضى المزروعة

سمسما وكذلك اذا لاحظنا أن أحد الجنود المرتزقة من المستعمرين يشهد على عقد تم ابرامه مع حاكم البلد بأنه بذر اقطاعته التى تبلغ مساحتها ثمانين أرورا وأنه تسلم مقدما مبلغا للصرف منه على زراعة الاقطاعة فان ذلك لا يدلنا على أن زراعة الحبوب الدهنية أمرا مفروضا على هذه الأراضى وأخيرا نقرأ فى ايجارات أراضى الجنود الاقطاعيين مادة نفهم منها أن المؤجر يسمح للمستأجر أن يبذر الأرض بالحب الذى يرغب فيه وأحيانا يضيف بذر سمسم . وهذا الشرط الخاص بالسمسم يفسر بلا شك بأن مقدار الايجار يجب أن يختلف باختلاف الزرع الذى ينبت فى الأرض (١) . وعلى ذلك لا يمكن أن نؤكد أن المستولين على الأرض التى نزل عنها الملك وهى الضياع والأراضى المقدسة كانوا مرغمين على زرع نباتات دهنية ، ولكن هذا كان ضروريا ، ومن جهة أخرى كانت الأراضى التى فى حوزة الملك فعلا تؤجر ، ولكن لا نفهم بالضبط كيف كانت تفرض على المؤجرين الالتزام الذى كان ضروريا لتحقيق منهاج الانتاج بصرف النظر عن قبول العقود التى أبرمت بحرية . وتلافيا لهذه الصعوبة كان هناك علاج للتغلب عليها وهو مسولية الموظفين . وذلك أنه كان عليهم فرض قائمة المزروعات على المستأجرين . ولدينا وثائق عدة تظهر لنا العناية التى كانت تقوم بها الادارة لتحديد أرض قرية لم تكن قد زرعت ذلك بغرض زراعة انواع ذكرت فى قائمة المزروعات .

هذا وقد ثبتت مسئولية الموظفين بصورة أوضح فى قانون الايرادات فنجد فيه أن حاكم المقاطعة وحاكم المركز ومعهما وكيل الخراج وسكرتيره والمراقب كانوا يطلعون النائب على زراعة الأرض المستأجرة فاذا لم يجدوا بعد مساحة الأرض أن عدد الأرورات المحدد لم يبذر فانه كان على كل من حاكم المقاطعة وحاكم المركز والمحاسب والمراقب أن يدفع غرامة على غلطته للخزانة الملكية قدرها تالنتان كما كان عليه أن يدفع لأصحاب الضمان غرامة مشروطة

---

(١) راجع P. Teb. 105, 106

قيمتها . وكذلك كان هؤلاء الموظفون مسئولين عما يجب توريده لمؤجرى الاقطاعات التى فيها نقص فى التوريد . هـذا وكانت البـذور المحفوظة فى مخازن الدولة تباع لموظف خاص بتوزيع البذور سواء أكان حاكم مقـاطعة أم حاكم مركز . وكان يدفع ثمنها من النقود التى دفعها له السكرتير المالى . وكانت توزع بعد ذلك على الزراع قبل ميعاد الحصاد بستين يوما . واذا كان موظف التوزيع لم يقم بواجبه لدرجة أن الزراع لم يبذروا المساحة المحددة على حسب القانون فانه كان يلزم بأن يدفع للمؤجر الغرامة المقررة ، ويكون له الحق فى الرجوع على الزراع اذ اكانوا قد عصوا أوامره . وعلى هـــذا الوضع كان ينظم بين الموظف والفلاح اختيار المزروعات ، ويرجع الفضل فى ذلك الى نظام الاقراض على البذور التى كانت توزع قروضا .

وكان الأفراد المعفون من الضرائب وكذلك ملاك الأراضى والقرى بوصفها ضياعا ، وأولئك الذين كان لهم حق التمتع بالأرض بوصفها هبـة كل هؤلاء جميعا كان لهم الحق فى استعمال البذور التى احتفظوا بها عندهم من المحصول السابق .

وعندما يقارب المحصول النضج يعلن الزراع رجال ادارة الملك سواء أكان حاكم المقاطعة أم حاكم المركز أم صراف الخزينة . وهؤلاء كانوا يحضرون الى الى الحقول مع مؤجر الأرض (الضامن) ويأخذون فى تقـدير المحصول . وكان كل المزارعين وهم مزارعو أرض الملك وغـيرهم يقـدرون المحصول ويكتبون محضرا بذلك مع الملتزم ويختمونه . أما عن مزارعى الملك فكانوا يعلنون كتابة بعد حلف اليمين كمية الحبوب من كل نوع بذروه والقيمة التى يساويها ، ثم يختمون هذا الاعلان الذى كان يضع عليه منـدوب عن حاكم المقاطعة أو حاكم المركز ختمه ، وبعد الانتهاء من ذلك كان يباع المحصول للملتزمين بأسعار على حسب التعريفة الموضوعة لذلك ، وكان محـرما على المزارعين بيع الحبوب الدهنية لأى شخص آخر خلاف الملتزم . وكانوا يدفعون

عينا ضريبة تساوى ربع ثمن البيع . ومما يجدر ذكره أن هذه الضريبة لم تكن تحصل على الثمار الدهنية التى كانت تورد للمقاطعات التى كانمحصولهـا لا يكفيها .

وكانت الحبوب الموردة يتسلمها عمال صراف الخزانة . وكانت تودع فى مخازن خاصة . هذا وكان الصراف يراجع الحسابات والسلع ، وكل عجـز كان يقع على عاتق حاكم المركز والملتزمين (١) .

ومن بين الوثائق التى تثبت هذه التوريدات عدد كبير عثر عليه فى أوراق «رينون» أو فى ملفات الجنود المرتزقين أصحاب الاقطـاعات الصغيرة (٢) . وكانت الميزة الوحيدة التىيتمتع بها ملاك الأرض التى نزلعنها الملكلتثميرها، وكذلك الأفراد المعفون من الضرائب هى أنهم كانوا يحفظون عندهم الحبوب الضرورية للبذر المقبل (٣). أما عن دفـع الضرائب فان هـؤلاء لم يكونوا يتمتعون باعفاء حقيقى فيما يخص الضرائب التى كانت تجبى على الحبـوب الزيتية ، وذلك لأن الملتزم كان يدفع لهم تقريبا ثلاثة أرباع الثمن الذىيدفعه للمزارعين الآخرين . وهكذا نرى أنه من وقت البذر الى وقت الحصاد كان محصول الحبوب الزيتية مفروضا على المزارع ومراقبا ، وكان كله يبتلعـه رجال الملك الذين كان يشرف عليهم الملتزمون . والواقع أنه لم يكن هنالك أى نوع من الارض ولا أى طائفة من المزارعين تفلت من قبضة الملك . ولم يحذف من قائمة الاحتكارات فيما يخص المواد الدهنية الا أشجار الزيتون لأنها لم تكن تزرع كثيرا فى مصر لعدم صلاحية التربة والمناخ .

ولا نزاع فى أن المراقبة الشديدة التى وصفناها فيما سبق لم يكن لها أى غرض الا المحافظة على الاحتكار المطلق لصناعة الزيت والاتجار فيه اذ كان المقصود من كل ذلك العمل على أن تصادر الحبوب الدهنية التى أخـذت

(١) راجع P. Tebt 703, II. 126-134.

(٢) راجع Large Estate 90-91.

(٣) راجع P. Columbia Zenon, 53.

خلسة والا تستعمل خفية ، وللوصول الى ذلك كان يوضع تصدير الحبوب الدهنية تحت مراقبة يشرف عليها حاكم القرية فكانت الحبوب لا تخرج من القرية بأية كمية كانت من مادة أولية دون أن تكون قد سلمت له من مكتب الملتزمين وعمال الملك بمستند عن كل ما ورده كل مزارع ، وفى حالة وقوع جزاء فان حاكم القرية كان يدفع غرامة قدرها ألف درخمة للخزانة الملكية كما كان عليه أن يدفع للملتزم خمسة أضعاف الخسارة التى تصيبه .

صناعة الزيت :

وكانت آلات صنع الزيت مميزة بنقش تعرف به . والظاهر أن هذا النقش يعد بمثابة تصريح يضعه الصراف وعامل مالية الملك على الآلة يشاركهما فى ذلك المراقب ، ومن المحتمل أن الملتزم كان يشاركهم فى ذلك ، لأن هؤلاء كما سنرى بعد هم الذين كانوا يختمون الآلات التى تصنع الزيت وهذه المصانع كانت تورد على حساب الأفراد ؛ غير أنه كان لابد من طابع الملك عليها ، ومن ثم نرى أن مراقبة الملك كانت قد أدخلت فى اقتصاد منظم . فكان الملك له حق ملكية الجهاز الصناعى فى مصر دون أن يستولى عليه أو يدفع ثمنه .

هذا وكانت مطاردة المصانع التى تقام خلسة عنيفة شديدة. فكان محرما على الفرد ان يملك فى بيته لأى سبب من الاسباب، مهاريس أو اهوان .. أو معاصر أو اية آلة تستعمل لعصر الزيوت ، ومن ثم كان يعاقب صاحبها بدفع غرامة قدرها خمسة تالنتات للخزانة الملكية ، كما كان عليه أن يدفع للمؤسسة (الملتزمين) خمسة اضعاف الخسارة التى كانت تتحملها : اما هؤلاء الذين كانوا يملكون آلات عصر زيت قبل صدور القانون فكان عليهم ان يبلغوا عنها فى مدة عشرين يوما لنائب المؤسسة والسكرتير المالى والمراقب ، وعليهم ان يطلعوهم على المهاريس والمعاصر التى فى حوزتهم وكان على الملتزمين ونوابهم والسكرتير المالى والمراقب ان ينقلوها الى معاصر الزيت الملكية . على ان كل من كان يضبط فجأة مستعملا بأية صورة من الصور وهو يعصر السمسم أو حب الملوك (أو بزر الكتان) فانه يقدم لمحاكمة خاصة من قبل الملك للملتزمين غرامة قدرها

ثلاثة الاف درخمة وكذلك كان يصادر الزيت الذى استخرجه والمواد الأولية التى كانت توجد عنده ، وكان على السكرتير المالى والمراقب ان يحصلا منه الغرامة واذا كان المجرم عاجزا فانهما كان يدفعانها ... أما الألات التى كانت لا تستعمل للعصر سواء اكان بسبب فصل العطلة ام بسبب عدم وجود مادة للعصر فانها كانت تؤخذ من المعامل الملكية وتنقل الى مستودعات حيث كانت تحفظ مختومة حتى لا يمكن لأى فرد ان يستعملها خلسة (١) .

وكان رجال الشرطه فى اراضى الضياع يقومون بتأدية وجباتهم باشراف صاحب الضيعة . ومن ثم كانت مراقبة عمال الملك تنفذ فيها بصعوبة ، وعلى ذلك لم يكن من المستطاع اقامة معاصر زيت فيها اما أولئك الذين كانوا يصنعون الزيت فى المعابد فكان عليهم ان يعلنوا الملتزم ومندوب السكرتير المالى والمراقب بعدد المعامل التى فى المعبد وكذلك بعدد المهارس والمعاصر فى كل معمل ، كما كان عليهم ان يقدموا معاصرهم للتفتيش عليها وان يختموا المهارس والمعاصر.... واذا حدث تقصير فى تنفيذ ذلك ، كان على موظفى المعبد ان يدفعوا — كل رئيس على حسب مسؤليته — ثلاثة تالنتات للخزانة الملكية ويدفع للملتزمين خمسة اضعاف الخسارة التى تحملوها . وكان عندما يريد المعبد صناعة زيت سمسم فان القائمين بذلك كانوا يجتمعون بنائب الملتزم والسكرتير المالى والمراقب المالى وفى حضرتهم يصنع الزيت. هذا وكان المعبد يصنع ما يحتاج اليه لاستعماله خلال السنة فى مدة شهرين اما ما كان يحتاج اليه المعبد من زيت الخروع فكان يورده لهم الملتزمون بالسعر المعين الجارى ومن كل ذلك نفهم انه لم يفلت مصنع واحد من مراقبة عمال الملك . وكان الضرب على ايدى الغاشين شديدا ، وذلك لأن الملك كان يقيم نفسه من أجل ذلك قاضيا خارقا حد المألوف (٢) .

---

(١) راجع P. Tebt. 703 II, 149-158

(٢) راجع E. Berneker, Die Sondergerichtsbarkeit im Griechischen Recht Aegyptens. (1935). PP. 59 sq.

فقد كانت الغرامة هائلة ، ولما لم يكن يستطيع دفعها الا القليل من الناس؛ كان العقاب البدنى جزاء كل غاش لم يدفع الغرامة. والواقع ان مثل هذه القسوة فى المعاملات توضح لنا صعوبة احترام الناس قانونا صار ما بهذه الصورة . والواقع ان الاقتصاد الملكى كان مضرا هنا ضررا كبير بمصالح عديدة . وقد اوشك ان يجد معارضين له . اما اصحاب الحرف الذين كانوا يرغبون فى ان يدبروا لانفسهم مصانع خلسة فلم يكن لدى الملك اى وسيله لردعهم . اما الكهنة فكانوا يحترمون التقاليد المصرية القديمة ، وذلك لأن المعابد كانت تعد مراكز اقتصادية مزهرة . فكانت تبقى على معاصرها ، ولكن صناعاتها كانت مراقبة رقابة شديدة من قبل الملك (١) .

ومما يلفت النظر ان الملك كان يعامل الاغريق الذين من طبقة رفيعة، وبخاصة الذين يساعدونه فى تنفيذ مشروعاته واصحاب الضياع معاملة أخرى وذلك انه كان قد وضع اتفاقا بينه وبينهم . فاذا كانت مراقبة الملك تقف عند حدود أراضيهم فانهم مع ذلك كانوا لايصنعون فيها زيتا ، غير ان هذا الاجراء الاخير قد عدل بعد زمن قصير جدا ومهما يكن من أمر فانه حتى لو كان نفس النظام المتبع فى المعابد قد اصبح يشبه الذى فى الضياع من حيث الاعفاء ، فان الملك كان لا يعطى المستفيدين من الاغريق بمقدار ما كان يعطى الكهنة ، اذ فى الواقع كان يهبهم امتيازات ضئيله لا تؤثر بشىء فى مراقبة الملك المطلقة .

ومما لا نزاع فيه ان كل المصانع والألات التى تصنع الزيت كانت ملك الالهة فى المعابد . وكان استيلاء الملك عليها يعتبر مراقبة ، اما المصانع الأخرى فكانت طوال مدة قيامها بصنع الزيت تحت مراقبة السكرتير المالى والمراقب والملتزم وكانت سلطتهم فى ذلك تحفظية . والواقع ان هؤلاء العمال لم يكونوا بعيدين عن هذه المصانع . ولم تكن حقوق الملتزم الا لمدة سنتين . وليس له من الحقوق على المصانع الا حق الاستعمال . والان يتساءل المرء هل كان للملك

(١) راجع Rostovtzeff, C.G.A. 1909. P. 630-632, Cf. W. Otto; Priester Und Tempel I, PP. 291 ff.

حق الملكية على هذه المعاصر الملكية حيث كانت تنقل الالات التى كان يملكها الافراد او كان يؤجرها منهم فقط فيسخرها لنفسه ؟ والواقع انه لا يمكن الاجابة على هذا السؤال الا بموازنة ذلك بمصانع النسيج التى ظلت ملك النساجين . غير ان هذه كانت طريقة غير مؤكدة تماما وعلى ذلك يجب علينا منذ الآن ان نرفض فهم أساس قانونى للحق الذى كان يستعمله الملك فى صناعة الزيت وهو حق المراقبة او حق الملكية .

وكانت معامل الزيت ممونة بالمادة الأولية بوساطة الجهاز الملكى فكان الصراف يتسلم الحبوب الدهنية التى كان المزارعون مجبرون على بيعها له فكان يجمعها فى مستودعات يقوم هو بحراستها (١) . وبعد ذلك كان على كل من السكرتير المالى والمراقب ان يمد كل معمل بالسمسم وحب الملوك وبزر الكتان اللازمة، واذا حدث انهما لم ينظما المصانع كما هو المطلوب او اذا لم يمداها بالمواد الأولية بكمية كافية وبذلك يسببان ضررا للملتزم فانه كان عليهما ان يدفعا الخسارة التى تنجم من ذلك . وكان الوزير يحاكم السكرتير المالى الذى ارتكب الخطأ . وهذا الاخير يكون عرضة لدفع غرامة درخمتان وضعفا الضرر الذى نجم عن ذلك .

وكان من المهم الا تعطل المعاصر بسبب عدم وجود مادة اولية لتشغيلها ، كما انه كان من الواجب تجنب تقديم مواد تزيد من قدرة انتاج المصانع وذلك لأجل الا يقع الفائض فى ايدى المختلسين كما جاء ذلك فى بردية يوصى فيها النص بألا يورد للعمال مادة اولية لا يمكن عصرها فى المهارس التى توجد فى المعامل (٢) . و لانزاع فى ان ذكر وجود هذين الاجراءين فى قانون الدخل وفى ورقة تبتنيس يظهر لنا مقدار الدقة التى يدار بها الاقتصاد فى مصر . وهذا الاجراء المزدوج كان متبعا فى الآلات التى كانت تستعمل فى المعامل وذلك ان

(١) راجع P. Tebt., 703, II, 145.

(٢) راجع P. Tebt. 703, II, 145-148

المحصول كان فى الواقع متقلبا كل سنة ، فكان لابد من مهارس كافيةللمادة التىكانتتعصر كلسنة . وقد نصحالوزير السكرتير المالىبما يأتى : « اعمل بطريقة بحيث انه اذا كان ممكنا ان تكون كل المعاصر فى حركة او على الاقل أكبر عدد منها . أما العاطلة منها فراقبها تماما . وضع عليها أختاما ، واجمع كل الآلات الزائدة والتى لا تعمل ويجب ان تكون مختومـــة ومحفوظـــة فى مستودعـــات » .

ننتقل الآن الى نظام العمال . كان على السكرتير المالى والمراقب والملتزم ألا يسمحوا للعمال المعينين للعمل فى كل مقاطعة با نينتقلوا من مقاطعة الـــى مقاطعة اخرى ، وذلك لمصلحة الملتزم والسكرتير المالى والمراقـــب . وكان محظورا على أى فرد أن يجمع عمالا ، وكل شخص يجمع عمالا عن فصـــد او يمتنع عن تسليمهم متحديا أمرا صدر بذلك، فانه كان يدفع غرامة قدرها ثلاثة آلاف درخمة عن كل عامل ، كما انه يصبح عرضة للقبض عليه وسيكون للملتزمين والكاتب الذى ينوب عن السكرتير المالى والمراقب حق التسلط على كل عمال مصانع الزيت فى المقاطعة ، وكذلك على المصانع نفسها مع كل معداتها ويختمون الآلات فى خلال فصل العطلة .

وكانت صناعة الزيت يشرف عليها السكرتير المالى وكان هو ومعه المراقب والملتزم يجبرون العمال على القيام بعملهم اليومى كما كان يساعدهم فى عملهم. وهذا الواجب كان محددا كما كان مرتبهم يحسب بالاردب من القمـــح . وخلافا لذلك كان السكرتير المالى او نائبه يعطى العمال درخمتين وثلاثـــة أوبولات عن كل متريت سعته اثنا عشر خوس (Ghoes) منحا درخمة واربعة أوبولات لعمال مصنع الزيت وكذلك للطحانين ، وخمسة أوبولات للملتزمين، واذا لم ينفذ ذلك فانه يدفع للخزانة ثلاثة آلاف درخمة وللعمال اجورهـــم وللمؤسسة ضعفى الخسارة التى نجمت عنذلك . وكان من المحـــرم على السكرتير المالى وعلىالملتزم لأى سبب أن يبرما اتفاقا مع العمال يخصانتاج

الزيت وكان عليهما الا يتركا فى المصانع الآلات التى ليست مختومة اثناء فصل العطلة واذا حدث ذلك كان عليهما ان يدفعا غرامة قدرها تلنتا واحدا لخزانة الملك ، وكذلك غرامة للمؤسسة . وهذه المراقبة الشديدة قد عرفتنا ورقة «تبتنيس» بأنها من الواجبات الجبارة التى يقوم بأعبائها السكرتير المالى وقد آكد تاثيرها بما جاء من زيادة فى دخل الخزانة . اما نظام العمل فيستنبط من أمرين وهما توريد عمال للملتزمين دون ارتكاب خطأ ومنع عمل الزيت خلسة .

وارتباط العمال بالمقاطعة يجيبنا عن الأمر الأول . فهل فى الاستطاعة توحيده بمؤسسة معروفة ؟

وقد اتجه التفكير الى نوع العمال المستديمين اى الذين كانوا مرتبطين بالأرض التى يعملون فيها ، ولكن نظام العمال المستديمين نظام متغير وغاية فى التعقيد الى درجة ان مثل هذه المقارنة لا تؤدى الى أية نتيجة دقيقة. والواقع اننا لا نعلم اذا كانت حالة عامل مصنع الزيت من الحالات الدائمة او الوراثية، كما لا نعلم الى اى حد كان الفرد مضطرا لمزاولة هذه المهنة ، وكذلك لا ينبغى ان نفكر فى أنها كانت سخرة . وذلك لان المهنة كانت تتطلب كفايات خاصة .

والواقع أن نظم «قوانين الدخل» التى وضعها «بطليموس الثانى» تحترم الاتفاقات ولكى يبقى الفرد فى مكانه توجد عقود عدة خاصة بالاعمال الحرة المتفق عليها (١) .

والواقع انه كان يوجد فى العقد شرط جزائى يطبق ينص على كل من تخلف عن العمل الذى اتفق على مزاولته .

تجارة الزيت

وبعد الانتهاء من عصر الزيت كان لابد ان يصرف ، وفى هذا الصدد تقول قوانين الدخل : كان على السكرتير المالى والمراقب ان يقوما بعمل قائمة

(١) راجع P.S.I. 515; P. Cairo-Zenon 59133; B.G.U. 12057; P.S.I. 1001 & 1002.

باسماء التجار المحليين وتجار التجزئة وكان الفرد الذى يستمد منه السكرتير المالى والمراقب سلطانه يقوم بعمل قائمة بالتجار المحليين وتجار التجزئـــة وباتفاق مع وكلاء المؤسسة يعين نوع زيت السمسم والخروع الذى يجب تسلمه للبيع اليومى . وفى الاسكندرية كانوا يبرمون اتفاقا مع كبار التجار، يضاف الى ذلك انهم كانوا ينصون فى عقد كل اتفاق من هذه الاتفاقات على تجار الاقاليم الذين يتعاملون كل شهر مع تجار الاسكندرية . وكانت الكمية التى تخصص لكل فرد تجهز قبل تسلمها بعشرة ايام وكانت النتيجة تدون وتعلن فى خلال عشرة الايام هذه فى عاصمة المقاطعة ، وكذلك فى القرية ، كما كانوا يحررونها فى عقد .

وكانت كمية زيت السمسم وزيت الخروع التى اتفق على بيعهـا للتجار المحليين وتجار التجزئة فى كل قرية يوردها لهم السكرتير المالى والمراقب قبل بداية الشهر . وكانوا يقدمون لهم الزيت كل خمسة ايام ويحصلون الثمـن اذا كان ممكنا فى نفس اليوم . واذا لم يمكن فى ظرف خمســة أيام وكانوا يدفعون هذا الثمن فى المصرف الملكى . وكانوا يخصمون مصاريف النقـل من حساب المؤسسة Farm وكان حق بيع الزيت يعطى للملتزمــين اى أصحاب الضمان . وقد يتفق احيانا على ان يكون الشخص الواحد تاجـرا ومستأجرا للاحتكار (١) .

ولم يكن الثمن الذى يشترى به تاجر التجزئة الزيت هو الذى يـكون موضوع الفصل بل هذا الثمن كان يقرره الملك . ولدينا متون من عهـــد «ايرجيتيس» يظهر منها التسعيرة التى عمل بها فى سنة معينــة ؛ وهو اثنان واربعون درخمة عن كل متريت (٢) .

وتحتوى قوانين الدخل على التعريفة التالية : كان يباع فى الدلتـا زيت

(١) راجع P. Lille 9 (3rd Century)

(٢) راجع P. Petrie, II, 28 = III, 66a & III, 66 b., Grenfell. R.L. P. 197.

السمسم وزيت الخــروع بسعر ٤٨ درخمة تدفع بالعملة النحاسية عن كل متريت مكون من اثنى عشر كوس(١) Choe، من زيت الخروع وكذلك كان يباع زيت الحنظل وزيت الاستصباح (ا ى زيت الكتان) بسعر ثلاثين درخمة. وكان يباع كل ربع لتر Cotyle بؤبلين ، غير ان الاسعار تغيرت فجأة فقد بيع الزيت الذى من صنف ردىء بنفس السعر الذى كان يباع به زيــت السمسم وزيت الخروع . وقد اتخذت مثل هــذه الاجراءات فى تجــارة الزيت فى الاسكندرية .

هذا وتكشف لنا العوامل التى رفعت سعر الزيوت الرديئة النوع خمسين فى المائة على مقدار سيطرة الملك على هذه التجارة ، فقد كان هو فى الواقــع المنتج الوحيد والصانع الوحيد والبائع الوحيد لها وكان هو المسيطر على كل العناصر الخاصة بهذه التجارة ما عدا القوة الشرائية لزبائنه فقد كانت خارجة عن ارادته وكان الملتزم هو المعرض للتأثر بهذا العامل .

والواقع ان ثمن الزيت الذى فرض بهذه الصورة المرتفعة كان يفوق كثيرا جدا الثمن الذى كان متداولا فى العالم الاغريقى . وتدل وثائق «ديلوس» فى العصر الذى نشرت فيه (قوانين الايرادات) على اثمان تتراوح مابين ١٧ و ٢١ درخمة اتيكى عن كل متريت . ومن ذلك نفهم ان سعر الزيت فى مصر كان أعلى بكثير عنه فى غيرها . ومن ثم كان لابد من حماية الاسعار من المنافسة الاجنبية، وكذلك أصدر بطليموس الثانى منشورا بألا يسمح لأى سبب من الاسباب توريد زيت من الاسكندرية الا اذا كان للمخازن الملكية . وكل من يستورد كمية زيت من الاسكندرية اكثر مما يلزم لاستعمال مدة ثلاثة ايام يستولى على بضائعهم ويدفعون فضلا عن ذلك غرامة قدرها مائة درخمة عن كل متريت، وكذلك كان محرما استيراد زيوت لمصر بقصد البيع من الاسكندرية و«بلوز» أو من أى مكان . وكل من فعل ذلك كان يعاقب بغرامات مماثلة . اما الزيت الذى كان للاستعمال الشخصى وهو المجلوب من الاسكندرية الى مصر فكان

(١) الكوس = ٣/٤ جالون وعلى ذلك الزيت يساوى ثمانية جالونات .

لابد من اعلانه فى الاسكندرية . وكان يدفع عنه ضريبة على حساب اثنى عشر درخمة عن كل «متريت» . ولابد من أخذ ايصال يدل على دفع الضريبة. وكان نفس هذا الاجراء يتخذ لواردات الزيت التى لم يكن الغرض منها التجارة فى «بلوز» . وكان العمال الذين يجبون هذه الضريبة فى الاسكندرية وفى «بلوز» يدفعونها لحساب المقاطعات التى تورد اليها السلفة . أما اولئك الذين كانوا يستوردون الزيت من الخارج لاستعمالهم الشخصى ولا يدفعون ضرائب فكان يستولى على زيتهم وتفرض عليهم غرامة قدرها مائة درخمة عن كل متريت . اما الواردات التى صرح باستصدارها من «بلوز» الى الاسكندرية من الزيت الاجنبى أو السورى فكان لا يدفع عليها ضريبة ، ولكن كان ينسلم عنها اعلاما من محصل «بلوز» ومن السكرتير المالى كما وضح بالقانون . والواقع انه لما كان محرما تصدير حبوب دهنية الا اذا كان ذلك بتصريح ، فانه كان كذلك محرما تصدير زيت الا اذا كان معه ورقة تدل على أن صاحب السلعة قد دفع للجابى كل ما عليه من ضرائب . ولسوء الحظ وجدنا متون تسوية واردات الزيت الذى كان يذهب الى مستودعات الملك قد فقدت ، على انه يمكن فهم هذه العملية من متنين من المتون التى عثر عليها فى أوراق «زينون»(١) والمتن الأول من هذه المتون مؤرخ مايو — يونيو عام ٢٥٩ ق.م. ونجد فيه تقدير السلع المختلفة الواردة من «سوريا» ومن «بلوز» الى «ابوللونيوس» فنجد فى التعداد العجيب الذى جاء فيه ذكر النبيذ والشهد والسمك المحفوظ واللحوم المحفوظة والجبن والاسفنج، ان الزيت الابيض قد ذكر ؛ وكانت الضريبة المفروضة عليه خمسين فى المائة من ثمنه . فاذا كانت هذه السلع مصيرها الاستعمال الشخصى للوزير «ابوللونيوس» فان ضريبة الخمسين فى المائة التى فرضت على الزيت تقابل فى الضريبة اثنتى عشر درخمة عن كل متريت وهى التى نجدها مفروضة فى «قوانين الدخل» ، ولكن يحتمل

(١) راجع P. Cairo-Zenon, 59012 & 59015; Cf. A.S., 23 (1923) PP. 73-98.

كذلك ان هذا الزيت كان مصيره الى المخازن الملكية : وهذه هى الحالة التى نجدها مذكورة فى البردية رقم ٥٩٠١٥ من أوراق «زينون» ويرجح انهـا مؤرخة بعام ٢٥٩ او ٢٥٨ ق.م . وهذه الوثيقة تحتوى على شحنة زيت ثمن المتريت فيها قدر باثنين وخمسين درخمة وقد وصلت السفينة الى الاسكندرية غير أنه لم يذكر من اين أتت . وكتب لنا «زينون» فى ملاحظة علـى هامش البردية قرر فيها قيمة العملية التجارية فقال : قيمة ما نزل عنه لمستودع الملك بسعر ٤٦ درخمة عن كل متريت هو تسعة تالنتات و٣٦٥١ درخمة وأوبول». ويخصم من هذا المبلغ عوائد جمرك ٥٠ ٪ وكذلك ضريبة صغيرة مصاريف نقل . ومن ثم نرى ان الملك يشترى بسعر ٤٦ درخمة المتريت الواحد مـن الزيت ويجبى عليه ضرائب قدرها ٢٨ درخمة ويكسب ستة درخمات ببيعه بمبلغ ٥٢ درخمة ، وعلى ذلك يكون دخله ٣٤ درخمة عن كل متريت. وكان المستورد يجب ان يشترى الزيت بسعر أقل خمسة عشر او اربعة عشر درخمة ليكون له مكسب بسيط . هذا وقد رأينا ان ذلك كان ممكنا . وعلى أية حال فانه من المحتمـل ان الزيت المستورد هنـا كان مجلـوبا من احدى ضياع «ابوللونيوس» فى اسيا الصغرى وبخاصة بتانات (Betanat) (١) .

والواقع اننا نرى انه فى عام ٢٥٧ ق.م كان يستورد الزيت من عنده ويرجو «زينون» فى ان يذهب لتسلم الشحنة من الميناء لتخزينها ـ ومن الممكن ان الاستيراد فى هذه الاحوال يكون مربحا وعلى ذلك نرى ان عددا كبيرا من نواجيد الزيت قد عدد فى قائمة بضائع مخزونة فى المستودعات التى كان يملكها الوزير التاجر (٢) وكان زيت سوريا المستورد للملك يوضع فى مخازن مختومة بعناية على يد وكلاء أرسلوا من قبل الملتزمين فى «بلوز» وفى «الاسكندرية» وكانوا هم الذين يتولون عملية البيع .

والواقع ان الملك كان يجنى ارباحا طائله من تجارة الزيت المصـنوع فى

(١) راجع P.S.I. 594

(٢) راجع P.S.I. 535

داخل البلاد لبيعة للسكان كما كان يربح كثيرا من الزيت المستورد من الخارج نبيعه فى الاسكندرية للسكان الاغريق . وعلى ذلك نجد ان مصر من حيث تجارة الزيت كانت مفصولة تماما عن العالم ، وذلك لأن الاحتكار الملكى لهذه السلعة قد أدى الى اقتصاد مغلق لا يتأثر بتقلبات الأسواق الخارجية .

ولكن فى داخل البلاد كانت هذه التجارة محمية من نزول الاسعار بالنسبة للملك ، غير انه من جهة أخرى لا بد له من تفادى صعود الاسعار كذلك ، لان ذلك كان فيه خطر تقييد الطلبات ، ومن ثم ينقص دخل الملك ، وذلك لأن التجار الذين حصلوا على حقوق بيع الزيت بالتجزئة فى المدن والقرى كانوا متحررين من كل منافسة بعد ان أعلن انهم أصحاب الحق فى هذه التجارة . وعلى ذلك كان هناك خوف فى ان يبيعوا خلسة باسعار عالية (السوق السوداء) بالتجزئة ، وفى هذه الحالة كان الملك يتدخل ، ولا ادل على ذلك من توصية عامة ارسلها الوزير للصراف وهى توضح اهتمام الملك وآراءه فى هذا الصدد : وهى : لا تدع السلع تباع باثمان تفوق الاثمان التى فرضها المنشور (١) .

وقد كان من الضرورى كذلك ألا يغش التجار الزيت الذى ورد لهم ، لأجل ان يحصلوا على ربح اكبر . وهذه العملية كانت تؤدى الى نقص فيما يبيعه الملك . هذا وكان الملك يراقب شحم الحيوان . فكان على الجزارين ان يبيعوه يوميا امام الملتزم وكان محظورا عليهم بيع الدهن غير المتبل لأى فرد لأى سبب كان ، وكذلك كان عليهم ألا يتخذوه مؤنا ، وكل فرد يخالف ذلك كان عليه ان يدفع غرامة للملتزم قدرها خمسون درخمة .

هذا وكان للمعابد حق صناعة الزيت الضرورى لاستهلاكهم الا زيت الخروع فكان الملك يمدهم به والمقصود من ذلك هنا هو الابتعاد عن بيع الزيت المصنوع فى المعابد بقصد التجارة : ولذلك فان كل من يتجر فى زيت صنع فى المعبد كان يستولى على الزيت الذى يباع ويغرم مالكه بمبلغماية

(١) راجع P. Tebt, 703, II, 174-176.

درخمة عن كل مترية (١) هذا وكان الملك يمد المعابد التى يريد محاباتها بزيت الخروع بثمن مخفض (٢) .

الضرائب على الزيت

هذا وكان الملك فضلا عن الاحتكار المطلق المادة الزيت يجبى ضرائب على هذه السلعة . وقد ذكرنا من قبل الضرائب التى كانت تحصل من المزارعين على المواد الغفل التى يصنع منها الزيت وعلى الزيوت التى كانت تستورد والظاهر انه كانت توجد ضريبة أخرى لم يعرف كنهها بعد .

نتائج احتكار الزيت فى الاقتصاد البطلمى

الواقع ان الفرق بين نفقات استخراج الزيت وثمن بيعه بالتجزئة كان عظيما . وقد حددت «قوانين الدخل» السعر الذى يسترده الملك للزيت الذى لم يصرفه الملتزمون . وهذا يدلنا على وجه التقريب على ثمن النفقات : فكانت اثمان البيع المفروضة تفوق اثمان التكاليف بسبعين فى المائة فى زيت السمسم وثلثمائة فى المائة فى زيت الحنظل (المستخرج من لب القرع) . على ان ذلك ليس هو المكسب الصافى الذى يبيع به الملك، وذلك لأن سلسلة من الملتزمين والبائعين للمؤسسة يضيفون مكسبهم فى سلسلة عملياتهم التجارية ، ذلك الى أن السلعة كانت خاضعة لعدة ضرائب . والواقع ان دخل الاحتكار كان عظيما ومؤكدا ومنتظما لانه كان مضمونا بالمستأجرين ومحميا من الغش .

ولا نزاع فى أن زيت السمسم الذى كان يعادل الزبد والسمن عندنا الآن قد اعتبر من المحاصيل الغذائية التى لا غنى عنها (٣) . وفى الحق افلح البطالمة فى المحافظة على ميزتهم التجارية الثمينة اذ تفهم من بردية من القرن الثانى ان ثمن حبوب السمسم كانت تساوى سبعة أضعاف حبوب القمح هذا

---

(١) راجع Rev. Laws. Col. 51, II, 248

(٢) راجع P.S.I. 531

(٣) راجع L. Bandi, I. Conti privati (Aegyptus, 17, 1937, PP. 403-407 & 437-438.

مع العلم ان الزيت والقمح كانا يعدان العنصرين الدائمين اللذين وهبتهما الطبيعة أرض مصر (١) . اما الزيت الذى كان من نوع ردىء فكان يستعمل للاستصباح ، ولدينا حساب فى السجلات التىتركها لنا «زينون» فى الفيوم يقدم لنا مقدار ما كان يصرف فى البيت الواحد من بيوت ابوللونيوس ، وكذلك كان يستعمل فى تحضير الأدوية والألوان اللازمة للرسم وفى العطور وفى المواد الصابونية وفى اماكن الرياضة .

ولا نزاع فى أن اختيار مادة الزيت للاحتكار فى الحضارة المصرية كان من الاعمال التى تدل على مهارة كبيرة جدا . وقد كان الملك فى الواقع بما يملك من حقول شاسعة وبماله من حق المراقبة على كل أرض مصر يساعده فى ذلك رجال ادارة عديدون لديهم احصاءات هامة وجمهرة من الملتزمين وهم اصحاب رءوس الأموال ، يحذقون كل عناصر التجارة على حسب القانون ، لا يجد أية مقاومة لهذه التجارة الرابحة الا المقاومة النفسية ، غير انها كانت عنيفة : وذلك لأنه كان امامه صعوبة اجبار الفلاحين على زرع المحاصيل التى فرضها هو ، يضاف الى ذلك رغبة العمال فى الحصول على حريتهم ، وحيل المختلسين التى لا يكبح جماحها واهمال نواب الملك فى اداء اعمالهم وامتيازات المعابد وأصحاب الضياع . كل هذه الامور النفسية كان لابد للملك من ان يعالجها وتلك كانت العقبات التى تقف فى سبيل الاحتكار الملكى .

وبعد هذا الاستعراض المطول عن احتكار الزيت يتساءل المرء من أين اتى هذا الاحتكار أهو مصرى قديم أم اغريقى اتى به البطالمة من بلادهم او من جهة أخرى ؟ والواقع ان هذا الموضوع قد بحثه «اندريدس» فى مقال خاص (٢) . وقد قال هذا المؤلف ان هذا الاحتكار قد أخذ عن قدماء المصريين بداهة ولما لم يكن فى امكانه اعطاء براهين قاطعة فانه يميل الى الظن انه

---

(١) راجع Preaux L'Economie, etc. P. 92.

(٢) راجع A. Andreadés, De l'origine des Monopoles Ptolémaiques Melanges Maspero II, Le Caire, (1934). PP. 89-295.

لأسباب نظرية قد أخذ البطالمة هذا النظام من احتكار الصناعة التى كانت تتمتع بها المعابد المصريه بالنسبة للمصانع . وقد وافقه على هذه الفكرة المؤرخ العظيم فلكن (١) الذى اقتبس رأى المؤرخ «روستوفتزو» (٢) فى موضوع مصانع النسيج فى المعابد قبل اقامة المعابد البطلمية . غير انه حديثا كتبت الباحثة كليربريو مقالا عن أصل الاحتكار فى مصر (٣) . فتقول ان البحوث عن أصل الاقتصاد المصرى فى عهد البطالمة قد كشفت عن مصدر جديد اضاف الكثير وذلك بما جاء فى ورقة «فلبور» وقد عالج هدا الموضوع المؤرخ هيخلهيم (٤) . والواقع انه قد كشف عن اوجه شبه بدهية وعديدة بين الادارة الرعمسية وادارة عهد البطالمة خاصة بتثمير الارض بزرعها قمحا على حسب تصميم ملكى . ويقول انه لن يكون جدال فى المستقبل عن وجود بعض مبادىء بارزة وتعبيرات بطلمية خاصة بالتصميمات الزراعية أخذت عن تقليد فرعونى على الرغم من انها قد تغيرت كثيرا بالعقلية الاغريقية . وقد تناولت هذا الموضوع فى كتابى مصر القديمة (الجزء الثامن ص ١٥٩—٢٤٦) وبخاصة الأطيان ونظم زرعها وانواعها وايجارها الخ غير ان «بريو» تقول ان نظام الاحتكار الذى وضعه بطليموس الثانى على الزيوت فى مصر البطلمية كان له نظير فى العهد الهيلانستيكى عند السليوكيين فى عهد «انتيجونيوس» ، ولكنه كان احتكارا للقمح وتظن ان بطليموس الثانى قد نقل هذا الاحتكار الى بلاده، ولكن فى الزيت بدلا من القمح وذلك لأن القمح المصرى فى العهد الهيلانستيكى كان يصدر الى بلاد كثيرة فى عالم البحر الابيض . وعلى أية حال لا يمكن

---

(١) راجع Wilcken, Grundzuge, PP. 245-6.

(٢) راجع Rostwzew Gottengische Gelehrte Anzeigen (1909), PP. 632.

(٣) راجع Chronique D'Egypte, Tome XXIX, No. 58, Juillet 1958. P. 512-527.

(٤) راجع Heichelheim, Recent Discoveries in Ancient Economic History, [illegible]oria II, (1953), PP. 129-136.

الجزم بالرأى القائل ان بطليموس قد قلد «اتنيجونيوس» عندما احتكر القمح فى بعض اجزاء آسيا الصغرى فاخذ عنه ذلك وطبقه على الزيت وبعض مواد أخرى .

احتكار ورق البردى

وتدل شواهد الاحوال على ان بطليموس الثانى لم يكتف باحتكار الزيوت فى مصر بل تعدى ذلك الى بعض مواد أخرى ولكن بطريقة مخففة ونخص بالذكر منها الورق .

والورق مادة من اختراع قدماء المصريين . وقد بدأت صناعته فى مصر منذ عهد الدولة القديمة ، وقد كان ذلك أمرا طبيعيا لان الكتابة قد اخترعت أولا كما هو الرأى السائد فى مصر منذ ظهور الملكية المتحدة . والورق مادة مستخرجة من نبات البردى الذى كان ينمو فى مصر بدرجة كبيرة ، وبخاصة فى مستنقعات الدلتا وغيرها من جهات القطر . وقد تحدثنا عن نبات البردى وصناعة الورق منه فى الجزء الثانى من هذه الموسوعة (١)

وتدل شواهد الاحوال على ان الورق الذى كان يصنع فى عهد البطالمة ويصدر للخارج من السلع التى كانت تجلب الى مصر من الخارج ما كان ينقصها من نقد أجنبى ومعادن مفيدة وخشب

وعلى الرغم من الرأى السائد القائل ان بطليموس الثانى كان يحتكر تجارة الورق فانه ليس لدينا وثيقة واحدة تشير الى ان الملك كان يسيطر على زراعة نبات السقى (البردى) ، بل الظاهر ان زراعته كانت خاضعة للقواعد العامة التى كانت تسير على حسبها الزراعة بعامة . ومن المحتمل ان الملك كان يراقب زراعة البردى من الوجهة المالية كالمراقبة التى كان يفرضها على زراعة الكروم والاشجار .

(١) راجع مصر القديمة الجزء الثانى صفحة ٧٧ ومن صفحة ٨٨ الى ٩٠ راجع كذلك عن صناعة الورق فى العهدين البطلمى والاغريقى راجع
N. Lewis, L'industrie du Papyrus dans l'Egypte Greco-Romaine, Paris, 1934; Heichelheim, Monopole, Pauly-Wissowa, Real Enc. (1933), Coll. 185-186.

والظاهر ان صناعة البردي كانت تحتم ان يكون صنعه بالقرب من الاماكن التى يزرع فيها وذلك لأن الجزء الذى كان يصنع ورقا من البردى هو سيقانه، وكان يجب ان تكون هذه السيقان غضة طرية ليمكن صنعها ، ومن أجل ذلك كان لابد ان تكون مصانعه قريبة جدا من مزارع البردى حتى لا يحتاج الى نقل هذه السيقان الى أماكن بعيدة فتجف ، ومن ثم لا تصبح صالحة لصنع الورق . وعلى ذلك فان هذا لا يمنع وجود مصانع ملكية كبيرة . وعلى أية حال فانه وان لم يكن يوجد احتكار ملكى لبيع الورق فانه كان هناك مراقبة مالية على صناعته وبخاصة ان مصانعه على ما يظهر كانت متفرقة فى انحاء البلاد

هذا وليس لدينا وثائق عن سلسلة العمليات الخاصة بالبردى الا وثيقة واحدة وهى الخاصة ببيعه ، وما جاء فيها غامض بعض الشىء وهذه الوثيقة ليست من عهد بطليموس الثانى وتفهم من محتوياتها وجود تجارة ملكية فى الورق (١) . ويستخلص من مضمون هذه الوثيقة ان الملك كان يحتكر تجارة الورق الملكى وكان يحدد فى الوقت نفسه تجارة انواع الورق الاخرى ويفرض عليها الضرائب ويراقبها كما كان يفعل فى صناعة الكتان والمنسوجات الاخرى هذا وتدل الوثائق على ان المعابد كانت تصنع ما يلزم لها من الورق فى مصانعها الخاصة قبل عهد البطالمة . واذا كان بطليموس الثانى قد أسس احتكارا شديدا بعض الشىء للورق فانه لابد كان قد ترك للمعابد بعض الأمتياز فى صناعة الورق ، غير أن هذا الرأى لا يخرج عن انه مجرد نظرية مقبولة . والواقع أن كل الوثائق التى اعتمد عليها المؤرخون فى احتكار الورق فى عهد البطالمة مأخوذة من العهد الرومانى فى مصر ومن ثم لا يمكن الباحث المدقق ان يعتمد على ذلك بصفة قاطعة .

والآن يتساءل المرء هل يوجد فى القرن الثالث توزيع التجارة والعملاء بين الملك والتجار الاحرار وان الآخرين كانوا مقيدين ويدفعون ضرائب بصورة ما؟

(١) راجع P. Tebt. 709; Cf. Wilcken Archiv. II, (1933). P. 150; Cf. Lewis, Ibid. PP. 128-133.

والواقع أنه كانت توجد فى هذا العهد تجارة حرة فى الورق ، ولا أدل على ذلك من أنه فى ضيعة «ابوللونيوس» كان يستعمل بدرجة عظيمة فنجد فى أحد مكاتب مسك الدفاتر التى كانت تصحب الوزير ابوللونيوس فى تنقلاته انه كان يلزمه ما يبلغ ستين اضمامه (١) لمدة عشرة ايام . وكانت بعض هذه الاضمامات تبلغ خمسين صفحة وكان متوسط عدد ورقات الاضمامة فى العادة عشرين صفحة (ورقة) . هذا وقد حسب عدد الاضمامات فى بعض المكاتب الخاصة بالحسابات والسكرتارية التابعة للوزير «ابوللونيوس» فى مدة ثلاثة وثلاثين يوما فبلغ اربعمائة واربعة وثلاثين اضمامة (عام ٢٥٨–٢٥٧ ق.م) ونحن نعلم ان الموظفين لم يكونوا يتسلمون الورق اللازم لهم من الملك (٢) .

هذا وقد رجا أحد مراسلى «زينون» عندما كان يجهز نفسه لرحلة ان يأمر له بصرف خمسين اضمامة من البردى تحتوى كل منها على خمسين ورقة ومائة اضمامة من أجود الورق الموجود فعلا (٣) ، هذا ونعلم أنه عمل صفقة شراء ورق مع صانع ورق او بائع (٤) يضاف الى ذلك أن مصنعا فى «تانيس» ورد الى «ابوللونيوس» دون وسيط صفقة ورق قيمتها اربعمائه درخمة (٥) . وكذلك كان عمال وزير المالية عندما يسيحون فى انحاء البلاد كانوا يقومون بأنفسهم بمشترياتهم من الورق ويضيفونها على الحساب ضمن المصروفات العادية . ويلحظ ان ثمن الورق كان متقلبا ، ولكن لما كانت مقاييس الورق ونوع الاضمامات متغيرا فان ذلك لا يدل على ان التجارة كانت حرة . ومع

(١) راجع P. Cornell I.

(٢) راجع P. Columbia-Zenon 4, Complété par P. Cairo-Zenon, 59688 verso, Cf. P. Cairo-zenon 59687 & P. Cairo-Zenon 59317.

(٣) راجع P. Cairo-Zenon, 59054, II. 46-48.

(٤) راجع P.S.I. 519

(٥) راجع P.S.I., 333 = Sel. Pap. 1, 89. 11

ذلك نلحظ ان كل شيء كان يسير طبعيا فان زينون قد اشترى الورق اللازم له من عند تجار احرار تماما فى تجارتهم ؛ ومن ثم لا يمكننا ان نحكم ان بطليموس الثانى كان يسيطر بطريقة ما على تجارة الورق . ولكن تدل الظواهر على ان بطليموس الثانى كان قد اكتفى بالنزول للمصانع التى تصنع الورق عن بعض انواع من الورق فى مقابل دفع اجر لذلك او ليعطى تصريحا فى مقابل مبلغ من المال على حسب المكسب الذى سيجنيه صاحب العمل . وكان الصانع هو التاجر وهو ملتزم الحكومة على مايظهر ويراقبه احد اعمال الملك ينتدبه السكرتير المالى .

اما عن نظام تصدير الورق فانا لا نعلم شيئا عنه . غير أن المؤرخ جلوتز الذى درس ثمن الورق فى «ديلوص» (١) ، يقول : كان ثمن الورق غاليا فى بلاد الاغريق قبل ان يحتل الاسكندر مصر ولكن الحرية الاقتصادية التى أقامها هذا الفاتح فى بلاد مصر كان من نتائجها نزول ثمن الورق ، وقد لوحظ ذلك فى بلاد الاغريق حتى عام ٢٩٦ ق.م على أقل تقدير ، وبعد ذلك نجد ارتفاعا فى ثمن الورق فيما بين عامى ٢٩٦ ، ٢٧٩ ق.م من أبول واحد الى درخمة واربعة اوبولات وحتى الى درخمتين عن كل اضمامة . ومن أول عام ٢٧٩ ق.م كانت أسعار الورق فى اتزان ملحوظ . ويقول المؤرخ «جلوتز» ان هذا الارتفاع فى الاثمان هو نتيجة الاحتكار الذى وضعه «بطليموس الثانى» على الورق ، وقد يكون ذلك برهانا على ان نجعل بداية الاقتصاد الذى كان يدير دفته بطليموس الثانى فى سياسته عام ٢٨٠ ق.م اى قبل عشرين عاما من صدور قوانين الايرادات التى سنها لاقتصاد مصر .

واذا أمكن موازنة اسعار الورق فى «ديلوص» باسعاره فى مصر كان فى استطاعتنا تقدير أهمية الضرائب التى كانت تفرض على تصدير الورق . فقد

---

(١) راجع G. Glotz, Le prix du Papyrus dans l'Antiquité Grecque (Annales l'Histoire Economique et Sociale I, 1929. PP. 1-13, et Bull. Soc. Arch. d'Alex. 25 (1930). PP. 83-96.

كانت الاسعار فى (ديلوص) تتراوح مابين درخمة وثلاثة اوبولات ودرخمتين وابول واحد اما الاسعار فى مصر فكانت تتراوح ما بين اربعة اوبولات ودرخمة وثلاثة أوبولات . هذا ونجهل بالتأكيد اذا كانت الاثمان التى ذكرناها كانت تدفع ثمنا لورق من نوع واحد ومقاييس واحدة ، ولكن الظاهر ان الفروق لم تكن كبيرة جدا فى الاثمان وبخاصة اذا فكرنا فى مصاريف النقل . ويتساءل الانسان لماذا لم تكن هذه المصاريف كبيرة . والواقع ان الورق ليس بالسلعة الغالية ، وذلك على الرغم من انه مادة مفيدة فانه ليس من المنتجات الضرورية مثل القمح الذى لا يمكن الاستغناء عنه . ولا نزاع فى ان ما يحدد ضرورة الاحتكار هو قلة الطلب ومنافسة المواد الأخرى التى تستعمل عوضا عن السلعة المعروضة . ومن ثم يمكن ا نتتصور ان أحد البطالمة الاول قد قلل أو حرم لمدة من الزمن تصدير الورق ليرفع ثمنه كما اتخذ نفس هذا الاجراء كليومنيس النقراشى فى القمح . غير أن اختراع مواد أخرى للكتابة عليها كالكاغد واللوحات والاستراكا والنسيج يدل على وجوب تحديد الحاجة الى الورق . ومن الجائز ان مثل هذا الاجراء يرجع أصله الى الاسطورة التى رواها المؤرخ بلينى (١) . نقلا عن فارون (Varron) (٢) . وتحدثنا الاسطورة أن الملك بطليموس بعد أن حرم تصدير الورق بسبب المنافسة بينه وبين الملك ايمنيس فى موضوع « المكتبات » اخترع الأخير الكاغد (جلد الغزال) للكتابة عليه بدلا من الورق فى «برجام» وسواء اكانت هذه القصة حقيقية ام لا فانها قد تترجم عن محاولة مشابهة فى النظام الاقتصادى ، وتتفق مع اقتصاد الاحتكارات . ومن الجائز ان المادة التى كانت تقدم للتصدير كانت تنقص على قدر المطلوب منها ولم يكن ذلك على حسب قانون التصدير بل بتحديد زراعة البردى .

---

(١) راجع **Pline Hist. Nat. XIII, 70.**

(٢) أحد العلماء الواسعى المعرفة عاش فى أوائل القرن الثانى وولد حوالى ١١٦ - ١٢٧ م

ومهما يكن من أمر فان قبضة الملك بطليموس الثانى على التجارة الخارجيه للورق لم تكن بادارة مباشرة ، فقد كان من المحتمل ان بطليموس الثانى كان يريد ان يتجنب الاخطار بنزوله للمصنع عن حـق تصديـر الورق واكتفى بفرض حقوق مالية على تصديره .

احتكار الثروة المعدنية

تدل البحوث على ان المواد التى كانت تحتكر فى مصر لم تكن قاصرة على الزيت والورق بل امتد هذا الاحتكار الى منتجات البلاد المعدنية بوجه عـام وقبل ن تتحدث عن تثمير الثروة المعدنية فى مصر فى العهد البطلمى يجدر بنا أن نلفت النظر الى اننا قد تحدثنا عن احجار مصر ومعادنها بشىء من التفصيل فى بعض اجزاء هذه الموسوعة وكذلك عن الدور الذى لعبتـه فى الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والحربية فى تاريخ دولة الفراعنـة من أول نشأتها حتى دخول الاسكندر الاكبر ، ويكفى ان نشير هنا الى بعض احجار مصر ومعادنها . والواقع ان الطبيعة حبت أرض مصر انواعا عدة من الاحجار الصلبة واللينة الجميلة مما جعل مصر مهد صناعة الاحـجار واستعمالها منذ عصر ما قبل الاسرات (١) وهناك أحجار اخرى استعملها المصرى فى غير البناء مثل حجر الظران والبرشيا وغيرهما (٢) . هـذا وتحتـوى أرض مصر على احجار كريمة وشبه كريمه استعملوها للزينة (٣) .

هذا وتدل الاثار المكشوفة فى مصر على ان سكان وادى النيل كانوا يستعملون معادن مختلفة الانواع وجد معظمها فى تربة مصر وكان الملك هو المسـيطر على استخراجها وصناعتها وأهمها الذهب والحديد والقصدير والفضة والرصاص والسام والنحاس والشب والنطرون قد تحدثنا عنها ببعض التفصيل فى الجزء

---

(١) راجع مصر القديمة الجزء الثانى من صفحة ١٤٤ — ١٥٥
(٢) راجع مصر القـديمة جـزء ٢ ص ١٥٥ — ١٦٤
(٣) راجع مصر القديمة جـ ٢ ص ١٦٩ — ١٨٠

الثانى من مصر القديمة (١) ، وقد كانت كل هذه الاحجار والمعادن تستعمل فى مصر بدرجة كبيرة ويسيطر على استخراجها فراعنة مصر الى حد بعيد فى العهود الأولى من تاريخ البلاد عند ما كانت كل السلطة تتجمع فى يد الفرعون وقد بقيت على أية حال ملك الفراعنة بدرجة عظيمة حتى نهاية حكمهم .

وتدل كل الظواهر على ان البطالمة قد استغلوا هذه المحاجر والمناجم وان كان المصريون القدامى لم يتركوا لهم شيئا كثيرا فى مناجم المعادن وبخاصة الذهب والنحاس . وعلى أية حال استولى البطالمة على كل المحاجر والمناجم حتى أصبحت شبه احتكار لهم ، كما كانت الحال فى مصر القديمة وكذلك لم يستعمل البطالمة الاحجار الصلبة فى مبانيهم الدنيوية بل كانوا يقيمونها على غرار بيوت قدماء المصريين من اللبن . وقد لوحظ ذلك فى مبانى المستعمرين من الاغريق فى قرية فيلادليفيا من أعمال الفيوم (٢) . هذا وكان الاهالى يضعون على المبانى المصنوعة من اللبنات طبقة ملاط بلون المرمر ، كما كان يفعل المصريون من قبلهم . وقد شوهد ذلك فى مبانى مدينة تل العمارنة «اختاتون». ولم تستعمل الاحجار فى المبانى الدنيوية الا فى الاسكندرية التى كانت مقر البطالمة اما معظم استعمال الاحجار الصلبة فكان فى اقامة المعابد وصنع التماثيل .

والظاهر ان البطالمة كانوا يطرحون قطع الاحجار فى مزاد وكان المقاول يتسلم أجره من بطليموس نقدا أو عينا كالقمح والزيت ، وكانت المستودعات الملكية هى التى تمد العمال بالالات اللازمة لقطع الاحجار وتهذيبها . وكان الملك هو الذى يقوم بنقل الاحجار .

والظاهر ان اعمال السخرة واستعمال الاسرى والمجرمين فى المحاجر لم يكن

---

(١) راجع جزء ٢ ص ١٨٠ — ٢٠٦

(٢) راجع P. Columbia-Zenon 38 & P. Cairo-Zenon 59758; Columbia-Zenon 36-39.

شائعا وذلك لان المحاجر دائما كانت قريبة من الاراضى الزراعية . وكان الملك يفضل بقاء الفلاحين فى زراعة الارض لان المحاصيل الزراعية كانت مفضلة على قطع الاحجار لحاجة البلاد الى قوتهم . يضاف الى ذلك ان قطع الاحجار وتهذيبها كان يحتاج الى عمال مهرة . وفى كثير من الاحيان كان الملك يستعمل الجنود فى غير أوقات الحرب فى قطع الاحجار منذ أقدم العهود (١)

هذا وكان العمال الاحرار الذين يعملون فى المحاجر يتقاضون أحيانا اجرا محترما نسبيا فكان مرتب الفرد فى الشهر يبلغ احيانا اثنى عشرة درخمة ، هذا بالاضافة الى أردب من القمح ومقدار من الزيت شهريا أيضاما الاسرى فكان على كل واحد منهم ان يقطع اكثر من متر مكعب يوميا (٢) وذلك على حسب ما جاء فى احدى برديات «زينون» الذى عاش فى عهد بطليموس الثانى . واذا قرنا ما كان يأخذه العامل الماهر من أجر بما كان يتقاضاه العامل فى عهد الفراعنة وجدنا ان الاخير كان أحسن حالا بدرجة عظيمة فقد ذكر لنا « رعمسيس الثانى » فى احدى لوحاته التى يتحدث فيها عن قطع تمثال ضخم له بما لم نسمع به حتى فى أيامنا هذه من حسن معاملة العمال والعناية بأمرهم (٣) . فاستمع اليه وهو يخاطب عماله : « كل واحد منكم عليه عمل شهر ولقد ملأت لكم المخازن من كل شىء من خبز ولحم وفطائر ونعال وملابس وعطور لتعطير رؤسكم كل اسبوع ولأجل كسائكم كل سنة ولأجل أن تكون أخمص أقدامكم صلبة دائما ، وليس من بينكم من يمضى الليل يئن من الفقر ، ولقد عينت خلقا كثيرا ليمونوكم من الجوع وكذلك سماكين ليحضروا لكم سمكا وآخرين بستانيين لينبتوا لكم الكروم ، وصنعت أوان واسعة على عجلة صانع الفخار لتبريد الماء لكم فى فصل الصيف . وفى الوجه القبلى يحمل لكم

---

(١) راجع A.S. 25, 1925. PP. 242-255

(٢) راجع (P.S.I. 423

(٣) راجع مصر القديمة الجزء السادس ٦٢٣ — ٦٢٤

حب للوجه البحرى ، والوجه البحرى يحمل للوجه القبلى قمحا وملحا وفولا بكميات وفيرة . ولقد قمت بعمل كل هذا لأجل أن تسعدوا وأنتم تعملون بقلب واحد . » ولسنا فى حاجة الى التعليق على ماجاء فى خطاب «رعمسيس الثانى» هذا فهو حلم العامل الحديث ولا أظن بعد هذا يمكن أن يصدق ماجاء فى الاساطير عن ظلم الفراعنة وجبروتهم .

واذا قرنا ما جاء فى خطاب رعمسيس الثانى هذا بالمعاملة التى كان يعامل بها البطالمة المصريين وجدنا انه كان هناك فرق شاسع وعسف وظلم لايتصوره العقل . فقد حدثتنا بردية من هذا العصر انه فى الاقاليم الصحراوية التى كانت مهددة بالقحط والبرد اذا تأخرت عن العمال البعير أو السفن لتسليم الاحجار التى تم قطعها فان ذلك كان خطرا على العمال الذين كانوا كثيرا ما يكون قد أعياهم العمل ، هذا فضلا عن عدم تسلم اجورهم بانتظام فيشيع بينهم الجوع (١) ، وسواء أكان هؤلاء العمال من الذين يعملون بأجر أم من الجنود أم من الاسرى فانهم كانوا يشكون فى مثل هذه الاحوال مر الشكوى بل كانوا أحيانا يهددون بالعودة الى بلادهم العامرة ، واذا لم تجب طلباتهم فانهم كانوا يهددون بالاضراب عن العمل خوفا من ان يتركوا فى مجاهل الصحراء فى بؤس وضنك قاتلين (٢) .

هذا وكان العمل فى مناجم المعادن وبخاصة مناجم الذهب قاسيا فقد صور لنا بأبشع وأفظع صورة كما سنرى بعد .

والآن نتحدث عن بعض هذه المنتجات الطبيعية التى كانت تستخرج من مصر :

الملح : الواقع ان الملح قد لعب دورا هاما فى تاريخ الضرائب فى معظم ممالك العالم فى الازمان الحديثة . ولا غرابة اذا ان نجد احتكار الملح فى مصر

---

(١) راجع P. Petrie. II, 13, 1

(٢) راجع P. Petrie II, 13 (1) = III 42, C (12); Ibid. II, 4 (8) = III, 42 C. III 43 (3); P. Hibeh 71; P. Petrie II, 4 (9).

كان شديدا وعليه مراقبة تامة ، غير اننا لا نعلم بكل أسف النظم التى كانت تستعملها البطالمة للحصول على الملح ولا شك فى انه كان يحصـــل عليه من مناجم الملح ومن بحيرات ملحة ومن ماء البحر . ولا نزاع فى ان اوانى الملح كانت ملك الحكومة . وعلى أية حال لم تكن تجارة الملح حرة فقد كان حق بيعه بالتجزئة يعلن فى مزاد علنى . والوثيقة التى تحدثنا عن ذلك يرجع عهدها الى حوالى عام ١٤٢ ق.م ولكن تدل شواهد الاحوال على ان هذه العملية كانت ترجع الى القرن الثالث (١) . هذا وكان مثل الملح كمثل السلع الأخرى كالزيت والشعير والنطرون يسلم للتجار بوساطة عمال الملك. هذا ونجد فى الوثائق الاغريقيـــة التى عثر عليها فى «الفيوم» وترجع الى القـــرن الثالث ضريبة كانت تضرب على الملح (٢) تتسلمها الحكومة .

الشب : ومن المواد التى كانت تجبى عليها ضرائب يفرضـــها الملك مادة الشب وكان مثلها كمثل المعادن الأخرى التى تستخرج من أرض مصر ،وكانت ملكا لملكها . وهذه المادة تستعمل فى تثبيت الوان النسيج . ومما يؤسف له انه ليس فى متناولنا وثائق من العهد الهيلانستيكى تؤكد فرض ضريبة على الشعب والوثيقة الوحيدة التى لدينا تؤكد دفع ضرائب على الشعب ترجع الى نهاية النصف الأول من القرن الثانى بعد الميلاد (٣) . وهذه المادة كانت تستخرج من الواحتين الداخلة والخارجة . هذا وكانت أول اشارة لوجود انشب فى مصر قد جاءت على لسان «هردوت» وذلك عندمـــا قال ان الملك أمسيس الثانى (٥٦٩ — ٥٢٦ ق.م) قد أرسل كمية من الشب لبلاد اليونان ، وذلك عند اعادة بناء معبد «دلفى» وقد سمى مادة قابضة (٤).

تتحدث بعد ذلك عن المعادن الشهيرة التى كانت موجودة فى مصر منـــذ

(١) راجع Heichelheim, Monopole Coll. 159-161; B.L. III. P. 239
(٢) راجع Petrie III, 121 (B).
(٣) راجع B.G.U. 697 = Wilcken Chrest. No. 321.
(٤) راجع مصر القديمة الجزء الثانى صفحة ٢٠٤ — ٢٠٥

لقدم واستغل مناجمها البطالمة :

المعادن : ولا نزاع فى ان شهرة مصر من حيث المعادن الثمينة كانت تنحصر فى كمية الذهب التى كانت تستخرج من مناجمها التى كانت عالمية ويضرب بها الامثال . والواقع ان قدماء المصريين قد استغلوا المناجم الشاسعة الواقعة بين وادى النيل والبحر الاحمر وبخاصة الصحراء الشرقية جنوبا من طريق قنا والقصير الى حدود السودان . والوديان التى وجد فيها الذهب كانت مجهزة بطرق معبدة ومحاط قديمة حفرت فيها ابار ماء (١) .

هذا ولا تزال اثار عمليات استخراج الذهب فى العهد الفرعونى باقية فى اماكن عدة ببلاد النوبة . ونجد كذلك فى وادى فواخير بالقرب من مناجم وادى حمامات على الطريق الذى يربط قفط بميناء « لوكوس ليمن » Leukos Limen معبدا أقامه بطليموس «ايوجيتيس» للاله « مين » وهناك نقوش تدل على ان الاغريق قد جاؤا الى هذا المكان للبحث عن الذهب (٢) . وكذلك وجدت فى نقط كثيرة فى الصحراء شرقى «ادفو» وفى وادى علاقى ببلاد النوبة اثار لاستغلال البطالمة لمناجم الذهب (٣) .

ومن أهم المعادن التى كانت تحتاج اليها مصر الفضة غير انها لا توجد فى التربة المصرية كثيرا (٤) . وقد كشف أن الذهب يحتوى أحيانا على جزء من الفضة أما الحديد الذى يستخرج الان من الصحراء الغربية فلم يكن معروفا عند قدماء المصريين . هذا ولا نجد أثرا للحديد الا فى منجم واحد يرجع الى عهد قدماء المصريين (٥) .

(١) (راجع مصر القديمة الجزء الثانى ١٨٩ — ١٩٥ ،والجزء السادس ٢٣١ — ٢٣٦ ، والجزء العاشر ١٣٥ — ٤٠٤ — ٤٠٥) .

(٢) راجع Wilkinson, The Manners and Customs of the Ancient Egyptians II. P. 238.

(٣) راجع K. Fitzler Steinbruche und Bergwerke. PP. 6-7; J.E.A. (1925), Pl. XI; Dykman, Histoire Economique, etc. PP. 142-146.

(٤) (راجع مصر القديمة الجزء الثانى ص ٢٠٠ — ٢٠٣) .

(٥) راجع Wilkinson, Op. Cit. II, p. 250. ومصر القديمة الجزء الثانى ص ١٩٥ — ١٩٩ .

أما النحاس الذى كان يوجد فى مصر بكثرة فى العهد القديم وبخاصة فى شبه جزيرة «سيناء» فلم يهتم بالبحث عنه البطالمة لانه كان يوجد بكثرة فى جزيرة قبرص التى كانوا يسيطرون عليها (١).

وأخيرا نجد فى الصحراء الشرقية بالقرب من برنيكى فلزات زمرد فى «سكت» حيث يوجد معبد منحوت فى الصخر عليه نقوش اغريقية تشهد بنشاط البطالمة فى هذه الجهة (٢) .

وكل هذه الفلزات المعدنية والحجرية تقع فى الاقاليم الصحراوية أو فى مواقع جبلية وعرة . غير ان المعضلة كانت فى كيفية استخراج هذه المواد سواء أكانت مناجم نحاس أم فلزات كوارتز تحتوى على ذهب أم أستخراج قطع الزمرد والزبرجد والكورنالين والامتست والاحجار نصف الكريمة . والواقع أن استخراج هذه المواد من الصحارى والجبال كان يحتاج الى عمل شاق مضن .

تنظيم العمل : كان لا بد من جمع العمال المهرة المختصين فى استخراج هذه المعادن وامدادهم بكل ما يلزم فى مكان العمل نفسه . كما كان يحتاج الى عمال آخرين لنقل هذه الكنوز بعد استخراجها . وهذا كان من أصعب الأمور . يضاف الى ذلك ان الأمر كان يحتاج الى معالجة هذه المعادن فى المكان الذى عثر فيه عليها الى درجة يمكن بعدها ان يصبح الشىء الذى سينقل أقل ما يمكن من حيث الوزن .

هذا وكان لا بد من تنظيم جماعة من رجال المناجم على ان يكون معسكرهم محروسا بشرطة خاصين بهم ، ويكون لهم رؤساء وآلهة يتعبدون لهم وأخيرا كان لا بد من المحافظة على المناجم والطرق المؤدية لها . ومما سبق نفهم ضمنا

---

(١) راجع J.R. Partington, Origin and Development of Applied Chemistry (1935). PP. 362-5.

(٢) راجع Murray, J.E.A. Vol. II. Pl. XI, P. 144, Pl. XV, I; Strabo, XVII, P. 815.

ان الملك وحده هو الذى كان فى استطاعته القيام بكل ذلك كما كانت الحال فى عهد الفراعنة . أما من الناحية المالية فكان الملك يمكنه ان يعطى المشروع لملتزمين من اصحاب المؤسسات المالية الذين كانوا يقومون بمثل هذه الاعمال. ولا نعلم اذا كان البطالمة قد مارسوا مثل هذه العمليات المالية الخاصة باستغلال المناجم أو أنهم لم يمارسوها .

اليد العامله : ومما سبق لا يمكننا ان نصف سير العمل فى مثل هذه المناجم الا التى كانت تحت السلطة الملكية مباشرة . ولحسن الحظ لدينا سلسلة قصص مما تركها لنا «ديدور» الذى عاش فى عهد قيصر وأوغسطس (١) ، أى انه كان قريبا من عهد البطالمة وسأنقل هنا الصورة التى وضعها «ديدور» للعمل فى مناجم الذهب والمعاملة التى كان يعامل بها العمال المصريون فى عهد البطالمة وعلى القارىء أن يحكم بعدها على هؤلاء الملوك بعد قرنها بالصورة التى نقلناها عن رعمسيس الثانى ومعاملته للعمال فى مناجم قطع الاحجار .

وهاك ما ذكره ديدور حرفيا :

« عند نهاية حدود مصر وفى الاقليم المتاخم لكل من بلاد العرب واثيوبيا يوجد اقليم يحتوى مناجم ذهب كبيرة عدة حيث كان يمكن الحصول على الذهب بكميات عظيمة بعد متاعب كثيرة ومصاريف كبيرة . وذلك لأن الارض هناك سوداء بطبيعة الحال وتحتوى على طبقات وعروق من حجر الكوارتز وهى على غير العادة بيضاء وتفوق فى نصوع بياضها أى شىء آخر يلمع باشراق بطبعه . وهنا يحصل المشرف على العمل فى المناجم على الذهب بوساطة جم غفير من الكادحين وذلك ان ملك مصر كان يجمع سويا لاستخراج الذهب أولئك المدنيين الذين أدينوا بجريمة . هذا بالاضافة الى أسرى الحرب وأولئك الذين اتهموا ظلما والقى بهم فى السجن بسبب غضبهم . على ان ذلك لم يقتصر على مثل هؤلاء الاشخاص بل أحيانا كان يؤخذ معهم كل

(١) راجع Diod. III, 12-14; Muller G.G.M.I., PP. 123-129.

أقربائهم أيضا . وبهذه الكيفية لم يكن العقاب يوقع على أولئك الذين وجدوا مجرمين بل كان فى الوقت نفسه يجنى الملك دخلا عظيما من كدحهم . وهؤلاء المحكوم عليهم بهـذه الطريقـة ــ وكانوا جمهرة عظيمـة كبلوا كلهم فى الاغلال ــ يكدحون فى عملهم دون انقطاع ليل نهار لا يتمتعون براحة كما أن سبل الهرب قد انقطعت عنهم ، وذلك لانه كان يراقبهم حراس من الجنود الاجانب يتكلمون لغة مختلفة عن لغتهم لدرجة ان الفـرد منهم لم يكن فى استطاعته بالمحادثة أو التحاب ان يغوى واحدا من حراسه . وكانت الارض التى تحتوى على ذهب وهى اصلب ما يكون تحرق أولا بنار حامية وبعد ان يفتتوها بهذه الكيفية يستمرون فى العمل فيها باليد ، وكان الصخر اللين الذى يمكن التغلب عليه بقوة معتدلة يهشم بمطارق من الحديد يسـتعملها عشرات الالاف من أولئك الاشقياء الذين أخطأهم الحظ . وكانت ادارة كل العملية فى يد عامل ماهر يعرف كيف يميز الحجر ويريه للعمال ، وكان أقوى هؤلاء الذين خصصوا لهذا العمل المضنى هو الذى يوكل اليه كسر صخر الكوارتز بمطارق من حديد ، وكان لا يقوم بأى عمل يحتاج الى مهارة غير مجرد القوة . وكانوا يقطعون النفق فى الحجر لا فى خط مستقيم بل على حسب ما يقودهم اليه الصـخر البراق . وهؤلاء الكادحـون الذين كانوا يعملون فى الظلام كانوا يحملون مصابيح معقودة على جباههم بسبب الانحناءات والالتفاتات التى فى الممرات ، ولما كانوا فى معظم الوقت يغيرون أوضـاع اجسامهم ليتتبعوا طبيعة الحجر فانهم كانوا يلقون قطع الحجر كلما قطعوها على الارض ، وكانوا يكدحون فى هذا العمل دون هوادة خوفا من صرامة سوط المشرف وضرباته القاسية .

أما الاولاد هناك الذين لم يكونوا قد بلغوا الحلم فكانوا يدخلون النفق فى الممرات التى تنتج من ازالة الاحجار ويجمعون بمشقة قطع الصخر الملقاة قطعة قطعـة ويحملونها الى الخارج فى خارج المدخـل . واما اولئك الذين

جاوزوا الثلاثين من عمرهم فكانوا يأخـذون هـذه الاحجار التى قطعت ويطحنون مقدارا مميزا منها فى هاونات من الحجر الى أن تصبح كل قطعة فى حجم حبة الجلبان (مثل الفول) وبعد ذلك كان على النساء والرجال الأكبر سنا ان يأخذوا منهم الاحجار التى بهذا الحجم ويلقونها فى المطاحن المنصوبة صفا هناك ويأخذون اماكنهم فى جماعات مؤلفة كل واحدة من شخصين أو ثلاثة عند مقبض كل طاحون ويطحنون هذه الأحجار الصغيرة الى ان تصبح كالدقيق الناعم جدا . ولما لم تكن لدى أى واحد منهم فرصة للعناية بجسمه ولم يكن لديهم كذلك من الملابس مايستر عورتهم فانه لم يكن فى استطاعة أى فرد ان ينظر الى هؤلاء النساء دون ان تأخذه الشفقة بسبب الآلام البالغة التى يقاسونها . وذلك أنه لم يكن يمنح أى تساهل أو هدنة من أى نوع لأى فرد أصابه المرض أو بتر عضو من اعضائه ، أو اقعدته الشيخوخة . اما النساء فلم يكن يشفع لهن ضـعفهن أو مرضهن بل كان الكل سـواء دون استثناء مضطرين تحت تهديد السياط الى الاستمرار فى كدحهم الى درجة أنهم كانوا يموتون غارقين فى آلامهم وعذابهـم . ومن ثم فان هؤلاء الفقـراء البائسين كانوا يعتقدون بسبب ما كانوا يلاقون من عقاب صارم ان المستقبل سيكون أعظم فظاعة اكثر مما هم فيه الآن ، ومن أجل ذلك كانوا يتطلعون الى الموت على انه أحب اليهم من الحياة .

وفى آخر خطوة من البحث عن الذهب كان مهرة العمال يتسلمون الحجر الذى طحن حتى أصبح كالدقيق لآخر مرحلة من معالجته ، ودلك أنهم كانوا ينظفون بالفرك قطع الكورتز التى كانت قد وضعت على لوح عريض مائل بعض الشىء وصب عليه الماء كل الوقت ، وعلى ذلك كانت المادة الطينية التى فيه تذوب بفعل الماء وتجرى الى اسفل اللوح المائل فى حـين ان المادة التى تحتوى على الذهب تبقى على الخشب بسبب ثقلها . وكانت هذه العملية تكرر عـدة مرات ، فكانوا أولا يفركون المادة برفق بايديهم ثم يضـغطون عليها

باسفنج ذى مسام مفتوحة وبذلك كانوا يزيلون الأجسام الغريبة ولا يبقى الا التبر فقط . وبعد ذلك يأخذ عمال آخرون مهرة ما بقى ويضعونه بمكيال ووزن محدودين فى أوانى من الطين ويخلطونه بكتلة من القصدير مناسبة للمادة وكذلك بقطع من الملح وبعض الصفيح ثم يضاف الى ذلك نخالة شعير. وبعد ذلك يسد الاناء بسدادة محكمة ويوضع عليه ملاط من الطين ، ثم يؤخذ الى الفرن لمدة خمسة ايام متتالية بلياليها وفى نهاية هذه المدة تبرد الاوانى ، وبعد فتحها لا يوجد فيها الا الذهب الخالص ، وليس هناك من المواد الغريبة الا الشيء القليل » .

هذا وكان الاشراف على مثل هذه المناجم موكلا الى ضباط عظام كان عليهم ان يؤمنوا السلع التى كانت تأتى من الشرق كما كان عليهم ان يؤمنوا الطرق المؤدية الى قطع الاحجار والبحث عن المعادن . وأكبر دليل لدينا على ذلك نقش عثر عليه للاله «مين» رب «قفط» الذى يحفظ الطريق ويؤمنها للباحثين عن المعادن والاحجار الصلبة (١) .

ومما يؤسف له ان الأوراق البردية لم تكشف لنا عن شيء عن الاعمال الثانوية الخاصة بالقرى التى كان يعيش فيها عمال المناجم من حيث نقلهم وتجهيزهم ونظامهم المدنى ومن المتوقع أن يكون لهم فى هذه القرى على الأقل قضاتهم وشرطتهم . والآن يتساءل المرء هل يمكن أن نقرن ذلك بما كان عند قدماء المصريين فى مثل هذه الأحوال وان نفرض أن الأحوال لم تتغير منذ عهد الفراعنة ؟ اذا كان ذلك صحيحا فان النص الذى تركه لنا رعمسيس الرابع فى نقش شهير نعرف منه انه أرسل بعثتين الى محاجر « وادى حمامات » : الأولى كشفية والثانية عملية وتعد أكبر بعثة معروفة لدينا حتى الآن فقد كانت تحتوى على كل ما يلزم على غرار الحملات الحديثة الآن فلم يكن ينقص رجالها شيء قط وقد تحدثنا عنها باسهاب فى الجزء

(١) راجع G.I.S. 132.

الثامن من مصر القديمة ص ٣٤ — ٤٩ . ولم تكن هذه هى الحملة الأولى المنظمة التى أرسلت لقطع الأحجار بل سبقتها حملات (١) .

قيمة المناجم : ليس لدينا نقوش تمكننا من تقدير محصول المناجم فى عهد البطالمة كالتى وجدت فى عهد الفراعنة وان كانت الاخيرة غير شاملة كما جاء فى حملات تحتمس الثالث من ذكر محصول مناجم بلاد النوبة من الذهب . غير أن الذهب لم يكن المادة الهامة التى يحتاج اليها ملوك البطالمة كما كانت الحال فى عهد الفراعنة ، بل ان مقتضيات الأحوال كانت تحتم الحصول على الحديد حتى تقوم بدورها فى العالم الهيلانستيكى ، وذلك لأن الحديد كان ضروريا لصناعة آلات الحرب والزراعة وكان لابد لهم من الفضة كذلك لأنها كانت تعد العيار النقدى الاغريقى السائد فى تلك الفترة من تاريخ العالم (٢) .

والآن يتساءل الانسان هل كان فى مقدور مصر أن تدفع بما لديها أو بما تستخرجه من مناجمها ثمن البضائع التى تشتريها من الخارج . ويجيب على ذلك «ديدور» بقوله ان مناجم الذهب كانت تدر على الملوك دخلا عظيما(٣) غير أن هذا لا يخرج عن كونه تعبيرا نسبيا . وذلك لأن مناجم الذهب فى مصر كان استغلالها صعبا ومحصولها قليلا لا يكفى ثمنا لتبادل السلع . وهذا هو السبب الذى يفسر لنا الجهود التى كان يبذلها البطالمة فى التشديد على زيادة المحصول ومراقبة الاحتكار للبضائع التى كانت تصدر للخارج مقابل نقد . وهذا يكشف لنا الغطاء عن الربح المفرط الذى نلحظه فى الاقتصاد البطلمى (٤) .

---

(١) (راجع مصر القديمة جزء ٣ ص ١٠٩ — ١١٠) .

(٢) راجع Rostovtzeff Foreign Commerce of Ptolemaic Egypt. Journal of Economic & Business History IV, (1932). PP. 732-4.

(٣) راجع Diod. 12, 2.

(٤) راجع Wilcken Alexander der Grosse und hellenistische Wirtschaft (Schmollers Jahrb, 45 (1921). PP. 387-389).

وسنرى بعد فى السياسة النقدية التى سار على نهجها البطالمة أن مصر استعانت بالذهب الأجنبى وفق سياسة بطليموس الثانى الى أن زيفت قطع النقود فى البلاد، كما نشاهد ذلك فى نهاية القرن الثالث مما أفقر البلاد فى المعادن الثمينة .

والواقع أن ثمن تكاليف الذهب الذى كان يستخرج من تربة مصر كان أغلى من الذهب الذى يدخل البلاد بوصفه ثمن بضائع مصـــدرة فقد دل الفحص على أن ثمن تكاليف الدرخمة الواحدة من الذهب المستخرج من أرض مصر لايساوى أكثر من الذى يبذله الانسان من تكاليف من مقدار القمح المباع فى الخارج فى مقابل درخمة من الذهب . وعلى أية حال يظهر أن المصريين القدامى كانوا قد استنفدوا كل مناجم الذهب فلما جاء البطالمة لم يجدوا فيها مايساوى النفقات التى تصرف عليها كما هى الحال فى أيامنا .

ولم تقتصر مصادر مصر المعدنية على وادى النيل فى عهد البطالمة ، وذلك لأنه عندما مد البطالمة سلطانهم فى عهد بطليموس الأول ومن بعده ابنه بطليموس الثانى على أقاليم كانت فيها النقود وفيرة ، هذا بالاضافة الى أن الخراج الذى يجبى من هذه الأقاليم والأسلاب التى يستولى عليها بالفتح كان كل ذلك يؤلف دخـــلا من المعادن الثمينة عظيما لايكلف مصر شيئا . يضاف الى ذلك مقدار ما كانت تجلبه تجارة مصر من ذهب الى خزانة البلاد. ويقول استرابون ان الاسكندرية فى زمنه كانت تصدر أكثر مما تستورد ، غير أننا لا نعلم اذا كانت قيمة البضائع المصدرة أقل من المستوردة أم لا. وعلى أية حال فان الأحوال كانت قد تغيرت فى مدة ثلاثة القرون التى حكمها البطالمة حتى العهد الذى كتب فيه «استرابون» . وأخيرا يجب علينا كذلك بهذه المناســـبة أن نفرق من الوجهة الاقتصادية بين مصر وبين ملك مصر . والواقع أن ريف مصر وقراه فى مقدوره أن يعيش باقتصاد مغلق (مكتفى ذاتيا) فى حين أن ملك مصر كان مرتبطا بالمعاملات الخارجية، ولذلك فان سكان مصر الاصليين كان لهم تاريخهم وحياتهم التى ورثوها منذ أقدم العهـــود وظلوا محافظين عليها حتى نهاية العهد الرومانى .

وبجانب المصادر الخارجية التى لها علاقة بثروة البلاد المعدنية لابد أن نشير هنا الى كنوز المعابد المصرية ، فهذه كانت تكدس فى خزائن الكهنة منذ قرون طويلة ، وكانت تعتبر دليلا على جمود اقتصادى . ومع ذلك نجد على نقود عهد البطالمة خاتم الآلهة كما نجد أن تماثيل العبادة كانت مصنوعة من الذهب ومرصعة بالأحجار الكريمة ، وكذلك نلحظ أن الأثاث المقدس كان كله مشغولا بالفضة هذا الى القرابين التى كان يقدمها الأتقياء للمعابد ، وهذه الكنوز هى التى كانت تبهر الغزاة الاجانب من آشوريين وفرس هذا ولابد أن نفهم ان ثروة البلاد كانت أحيانا فى يد الملك وأحيانا فى يد المعابد عن طريق القربان والمصادرات ، وهنا كذلك نجد دورة فى نقل المتاع لم يكن للقرى فيها نصيب .

وسواء أكانت المعادن تأتى عن طريق المنــاجم أم عن طريق الخراج من البلاد الاجنبية أم كانت تمثل أثمان البضائع المصرية المصدرة الى الخارج فانه كان لايدخل البلاد المصرية الا القليل من المعادن التى لم تكن معروفة للادارة الملكية . غير أننا نجهل اذا كان هناك احتكار مطلق لتجارة المعادن الثمينة وبخاصة الطرق التى كان يمكن ان تدخل بوساطتها هذه المعادن فى الاقتصاد المصرى ولم يكن للملك حق فى السيطرة عليها بطرق قانونية مختلفــة .

وهاك الأوجه الرئيســية لبيــان المصروفات والواردات من الذهب أو المعادن الثمينة كان على الملك أن يدفع مرتبات موظفيه وجيشه والاشغال العامة وشئون العبادة ومصاريف السياسة الاجنبية ، غير أنه يجب علينــا ألا ننسى أن جزءا كبيرا من مرتبات رجال الحكومة كان يدفع عينــا وذلك اما قمحا أو مقابل ايجار أرض .

وكان الملك يشترى من الفــلاحين منتجات متنوعة كالقمح والنســيج والحبوب الدهنية ، ولكن النقود التى كان يدفعها تعود اليه ثانية من وجوه

عدة ، وذلك أن المنتجين الذين تسلموا هذه النقود كانوا يشترون بها عن طريق الملتزمين منتجات مصنوعة مثل الجعة والزيت ، وكانوا يدفعون له فضلا عن ذلك بعض ضرائب ، وفوق كل ذلك كان الملك يشترى منتجات أخرى ويبيعها فى الخارج اما بنفسه أو بأشخاص اشتروا حقوق بيعها . ومن جهة أخرى كانت مصر تشترى بضائع من الخارج لاتنتجها مصر ، ويقول «استرابون» أن البضائع التى كانت تصدر من الاسكندرية أكثر من التى ترد اليها بدرجة ملحوظة ، ولكن لايغيب عن الذهن انه على الرغم من ان كثيرا من البضائع المصدرة كانت قد أتت من الخارج من الجنوب والشرق ، فان الاسكندرية لم تكن ميناء التوريد للشرق بل كانت السلع السورية تأتى عن طريق « بلوز» . وكانت «رودس» على ما يظهر فى خلال القرن الثالث مستودع تجارة الشرق .

ومن بين « الدخوليات » التى كانت ترد الى مصر دون مقابل جزية البلاد البطلمية فى البحار النائية فى خلال القرن الثالث . وأخيرا كان الملك مضطرا أن يقدم للمعابد هدايا نقدية أو أشياء ثمينة . وكانت هذه عبارة عن حماية اجبارية .

ويبقى بعد ذلك كمية قليلة نسبيا تورد للصناعة . والآن يتساءل المرء هل الملك هو صاحب الحق الوحيد فى أن يبيع مايحتاجه الصياغ وصناع الجواهر الذين كان عددهم كبيرا فى الاسكندرية وفى المدن الكبيرة من الذهب والفضة والأحجار شبه الكريمة والنحاس والصفيح لصناعى البرونز ؟.

والواقع انه ليس لدينا معلومات عن نظام صناعة المعادن الثمينة . وأقل ما يقال فى هذا الصدد أن تجارة الذهب والفضة التى لم تصنع نقودا كان يفرض عليها دفع مبلغ من المال بمثابة ترخيص أو ضريبة ، وذلك لأننا وجدنا فى قرية مقاطعة « البهنسة » فى خلال القرن الثالث أو القرن الثانى ملتزمين

ينزلون لفرد آخر عن حقوق جمع دخل على الذهب (١) .

هذا ولدينا قائمة ضرائب جمعت من قرى عدة بالفيوم جاء فيها ما يثبت وجود ضريبة على صناعة الصياغة التى كانت على ما يظهر تباع لملتزمين فى كل قرية لجمع الضرائب عليها (٢) .

وليس لدينا شك فى ان صناعة المعادن وبخاصة انتاج الالواح من الذهب والفضة والبرنز كانت منتشرة فى مصر القديمة ، كما انه ليس لدينا اى ريب فى أن مصر الهيلانستيكية قد ورثت هذه التقاليد القديمة الفاخرة. ولدينا براهين كثيرة على ذلك نشاهدها فى الكنوز العدة من الواح الذهب والفضة واوانى العبادة والمجوهـــرات التى عثر عليها فى باكورة القرن الثالث ق.م فى مصر وسنذكر هنا بعض الامثلة وأغنى الكنوز التى عثر عليها من هذا القبيل كنز طوخ «القرموص» (٣) ويحتوى على نقود من عهد بطليموس الأول والسنين الأولى من عهد بطليموس الثانى وقد كشف عام ١٩٠٥ ميلادية وهذه القرية تقع فى شمال الدلتا. وتحتوى على مجموعة مؤلفة من لوحة من الذهب والفضة ومقدسات شعيرية ومجوهرات مصنوعة محليا طرازها اغريقى ومصرى واغريقى فارسى ويشبه هذا الكنز ولكنه أقدم منه بقليل الآثار التى عثر عليها فى منديس (٤).

ويأتى بعد كنز «طوخ القرموص» بمدة قصيرة الكنز الذى عثر عليه فى «ميت رهينة» ويحتوى على قوالب من الجبس مصنوعة من أوان من المعدن وأشياء أخرى من المعدن ، ومعظم هذه الأشياء ترجع الى القرن الثالث ق.م ولا نزاع فى أن هذه القوالب كانت لمصنع مملوء بالمعادن فى «منف» . هذا ولا يغيب عن الذهن أنه توجد قوالب ونماذج كثيرة مصنوعـــة من الجبس

(١) راجع B.G.U. 1242.

(٢) راجع P. Petrie III, 117 (e) (f), 119 (a); Heichelheim Monopole, Col. 186.

(٣) راجع Edgar, Le Musée Egyptiens II, (1907). PP. 57 ff.

(٤) راجع Social & Economic History of the Hellenistic World. Vol. III, P. 1410.

والطين والحجر لأشياء مختلفة من المعدن عثر عليها فى مصر . والعدد الأكبر من هذه القوالب التى يرجع الى العهد الهيلانستيكى وجد فى مصانع «منف». والكشوف العديدة التى عثر عليها فى «منف» تشــــهد بأهمية هذه المدينة بوصفها مركزا لصناعات الأدوات المعدنية .

الحــــديد :

وأخيرا نجد أن البطالمة قد أدخلوا صناعة الحديد فى مصر وتعد من أعظم الأعمال التى تمت على أيديهم . وقدتحدثنا عن الحديد فى عهــد الفراعنة ورأينا أناستعمالهكانمحدودا (١) والواقع أنالحديد لميدخلفىمصر الا منذ الدولة الحديثة. والآن يتساءل الانسانهلاحتكر البطالمةتجارة الحديدفىمصر وهل سيطروا على مراقبة تجارة استيراده من الغرب وبخاصة من ايطاليــا ؟ وقد شرح لناالاجابةعلى هــذا الســؤال المؤرخ رستوفتزوف فقــد عزاها لأسباب اقتصادية ترجع الى مهارة بطليموس الثانى فى الاقتصاد . وفى خلال الحرب التأديبية التى وقعت بين «روما» و «قرطاجنة» عرف كيف يظهــر ميوله الى «روما» التى كانت قابضة على مواد الحديد كما أظهر عطفه على قرطاجنة التى كانت مشهورة بمواردها من القصدير ، وذلك دون أن يغضب واحدة منهما (٢).

وعلى أية حال يظهر أنه حتى فى مصر لم يكن اســـتعمال الحديد سائدا بالدرجة المطلوبة فى خلال القرن الثالث ق.م على الأقل اذ نجد أن الفلاحين كانوا لا يملكون آلات من الحديد اذ فى ضيعة «ابوللونيوس» نجــد أن المناكيش والمسامير والمحاور والأذرعة (للمقاس) والخردوات والسلاســل وســنارة الصيد كل هذه الأشياء كانت توزن بعناية قبل أن تعطى الصــناع

(١) (راجع مصر القديمة الجزء الثا نى ص ١٩٥ — ١٩٩) .

(٢) راجع Rostovtzeff, Foreign Commerce of Ptolemaic Egypt. (Journal of Economic & Business History), 4, (1932). P. 754.

لاستعمالها . هذا وقد وجدت قائمة من هذه الأشياء المصنوعة من الحديد مدونة على احدى أوراق «زينون» (١). هذا ولدينا دفتر تسجيل من السنة التاسعة والثلاثين من عهد بطليموس الثانى يحتوى مناكيش وزعتها الادارة على موظفين وأصحاب كروم يظهر أنها كانت كروما ملكية .

وفى خلال القرن الثالث كذلك كان نقل الحديد اما محرما أو مراقبا كما يشهد بذلك موظف كبير . وذلك أ نقاربا من التى كان يملكها هذا العظيم قد جرده مراقبو الملك من آلات السياحة التى لا غنى عنها (٢) .

ولا بد أن نبحث عن أسباب هذا لاحتكار المشدد ، فالواقع أن بطليموس لم يكن يريد من وراء ذلك أن يجنى كسبا بل كان يريد الاقتصاد فى هذه المادة الى وقت الحاجة وبخاصة فى الاستعمال الحربى ، ولاسيما أن الحديد لم يكن بعد مادة غزيرة فى مصر فى تلك الفترةمن تاريخها وعلى أية حال فان الحديد لم يكثر وجوده فى مصر الا تدريجا عن طريق الاستيراد ، هذا فضلا عن أنه لم يبحث عنه بطرق علمية .

وعلى أية حال نجد أن الحديد المستورد كان مستعملا بدرجة عظيمة فى فيلادلفيا . ويحتمل أن السبب فى ذلك لأنهاكانت قرية نموذجية أريداستعمال كل الآلات الحديثة فى تنمية ثرواتها (٣) .

احتكار النقد والمصارف فى عهد البطالمة الاول :

تحدثنا فيما سبق عن المواد والأشياء التى كان يحتكرها بطليموس الثانى وتكلمنا عن احتكار الزيت والبردى ثم الثروة المعدنية وسنتحدث الآن عن احتكار النقود والمصارف فى العهد البطلمى . ولكن قبل أن نتحدث عن المصارف والدور الذى لعبته فى تاريخ الاقتصاد البطلمى يجدر بنا أنتتحدث

(١) راجع P. Cairo-Zenon 5978.

(٢) راجع P.S.I., 629, 630.

(٣) راجع Social & Economic History of the Hellenistic World. P. 362-363.

عن النقود وتاريخ استعمالها فى مصر منذ أقدم عهودها الى أن أصبحت مادة تودع فى المصارف التى يراقبها الملك ويحتكر استعمالها . والواقع أننا لم نسمع بوجود مصرف أهلى فى العهد البطلمى الأول . ولا غرابة فى ذلك فان البطالمة كانوا هم القابضين على زمام كل ثروة البلاد تقريبا ، ومن ثم كان على الملك أن يختار العيار الذى تضرب على حسبه النقود ، وكان هو الذى يحدد احتكار العملة وانقاص وزنها وهبوط سعرها كما يشاء .

النقود فى مصر القديمة :

تحدثنا عن النقود فى العهد الفرعونى فى الجزء الثانى من مصر القديمة من صفحة ٢٣٧ الى ٢٤٦ ، وقد برهنا فى هذا الباب بقدر ما وصلت اليه معلوماتنا على أن مصر كان لها نقدا ، وان لم يكن مسكوكا ، تتعامل به منذ الأسرة الرابعة وهو «الشعت» وقد استمرت البلاد تستعمله مع بعض تغيير فى الاسم حتى نهاية العهد الفرعونى اذ قد استعملت «الدبن و « الكدت » طوال الدولة الحديثة حتى نهاية الأسرة الثلاثين . وحتى فى عهد البطالمة استمر السكان المصريون يستعملونه أول ظهور النقد المسكوك فى مصر القديمة(١).

دلت المعلومات التى وصلت الينا حتى الآن على ان النقود المسكوكة بمعناها ومنظرها الحقيقيين لم تظهر فى دائرة البحر الأبيض المتوسط حتى عهد الأسرة السادسة والعشرين المصرية ، ولم تظهر هذه النقود فى مصر وقتئذ لان اقتصاد مصر لم يكن فى حاجة الى وجود نقد . وعلى أية حال لم يعثر على اى نقد بمعناه المتعارف بيننا فى مصر فى تلك الفترة (٢) .

هذا وتوجد لدينا الآن بعض البراهين الدالة على وجود نقد فرعونى خاص

---

(١) راجع J.E.A. Vol. 43. P. 71; Preaux. L'Economie Royale Des Lagides. P. 267; Rostovtzeff Social and Economic Hist. P. 89, 263, 264.

(٢) راجع Curtis Media of Exchange in Ancient Egypt in the Numismatist 1951. P. 482-491.

ضرب فى مصر فى عهد الأسرتين التاسعة والعشرين والثلاثين (١) .

والدوافع الأولى التى اقتضت ضرب عملة نقدية فى مصر كانت فى الواقع مفقودة ، فقد كان انعدام المشاريع الحرة ووحدة البناء الاقتصادى والقوى المنتجة بالاضافة الى انعزال سكان مصر عن باقى العالم نسبيا واحتكار الفراعنة للتجارة وعيشة ملايين الفلاحين الذين يتألف منهم السواد الأعظم من سكان مصر على هامش الاقتصاد، كل هذه الأمور مجتمعة كانت عوامل لا توحى بضرب نقود بل كانت تكتفى البلاد بالمبادلة . ولكن عند قيام الأسرة السادسة والعشرين ونهوضها بالبلاد دفعة واحدة كان قد تغير كثير من هذه العوامل ، اذ قد تطورت الحياة الاقتصادية فى الوجه القبلى بسبب الفتح الفارسى ، وأهم من ذلك التأثيرات التى أحدثها التجار الاغريق الذين كان قد شجعهم ملوك الأسرة السادسة والعشرين على التعامل مع مصر بدرجة محسة مما زاد فى المعاملات التجارية بين البلدين ، غير أنه كان لا بد من وجود دافع أقوى للاسراع الى ضرب نقود وقد خلق هذا الدافع عندما وجدت مصر نفسها فى حاجة الى استخدام جيش قائم من الجنود المرتزقين فقد كان الملك «أوكوريس» ثانى أحد ملوك الأسرة التاسعة والعشرين هو الذى ألف شبه فرقة ثابتة من الجنود المرتزقة من الاغريق فى مصر ، وذلك عندما أجبر قوة بلاد الفرس الحربية على التحول عن بلاده بالثورة التى هبت فى قبرص على يد ملكها «افاجوراس» وظلت أمدا طويلا كما شرحنا ذلك فى غير هذا المكان ، غير أنه مع ذلك لم يهمل المحافظة على وجود جيش من الجنود المصريين فى نفس الوقت . هذا وقد حافظ أخلاف «أوكوريس» فى عهد الأسرتين التاسعة والعشرين والثلاثين على هذا الجيش الاغريقى أكثر من خمس واربعين سنة ، وكان من جراء ذلك أنه صد غزو الفرس عن البلاد

---

(١) راجع Jenkins, Greek Coins recently acquired by the British Museum in The Numismatic Chronicle (1955). PP. 144-50.

خلال السنين الأولى من عهد كل من نقطانب الأول ونقطانب الثانى .

والمهم فى بحثنا هنا أن نشير الى أن هؤلاء الأجناد المرتزقين من الاغريق لم يطب لهم تسلم أجورهم عينا أى بمحاصيل البلاد الطبيعية بل حتموا أن يتقاضوا مرتباتهم نقدا ؛ ومن ثم كان لزاما على ملك مصر الدفع بالعملة النقدية ذهبا أو فضة . وقد حلت المعضلة منذ بدايتها بمهارة ، وذلك أن «أوكوريس» بعد توليه عرش البلاد بأربعة أعوام عقد محالفة مع «أثينا» فحواها انخراط الاغريق فى صفوف جيشه . وقد كان ضمن التزامات «أثينا» أن تمد مصر بعملة من نقودها المعترف بها لتستعمل فى مصر لدفع أجور الجنود المرتزقين. وقد وجد عدد من هذه النقود المضروبة فى مصر (١). ولكن هذه النقود لم تكن توجد قط خارج «أثينا» ، وكانت الفضة التى استعملت فى النقود التى قدمها «أوكوريس» وأخلافه من بعده قد حفظت من حيث نقائها على حسب معيار النقود التى كانت تضرب فى «أثينا» . فقد حافظت على وزن العيار المتفق عليه ، وقد كانت هذه النقود الأثينية التى ضربت للفرعون على غرار التى كانت تضرب فى «أثينا» من حيث النقاء والوزن والشكل .

هذا ويجدر بنا أن نبين عند هذه النقطة أنه قد عملت محاولات للتمييز بين قطع العملة الآثينية التى تساوى قيمتها أربع درخمات وهى التى ضربت لحساب ملك مصر وبين القطعة العادية التى تساوى أربع درخمات التى ضربت لأثينا ، وذلك بوساطة رسم مميز بين النقدين . ويمكن تمييز أى من هذه النقود التى عثر عليها فى مصر وضربت فيها ، اذا أمكن توحيد الطابع الذى على وجه النقد أو ظهره بطابع نقد كان قد وجد فى مصر أيضا ، وعلى أيةحال فانهذا التميز على الرغم من امكان قبوله الا أنهيحيطه الشك فيما

(١) راجع Vermeule Ancient Dies & Coining Methods in The Numismatic Circular (1953). PP. 397-401).

يخص نقود عثر عليها فى كنوز يظن أنها وجدت فى صناديق حربية أو فى كنوز تحتوى على نقد واحد او أكثر مرتبط بالطابع الخاص الذى ذكر آنفا ، ففى كنزتل المسخوطه (١) الذى يحتوى على عـدة قطع من التى قيمتهـا ثلاث درخمات من الطراز الذى نبحثه يمكن أن يحتوى على نقود ضربت فىمصر. (راجع اللوحة رقم ٩)

على أن ضرب النقود باسم مصرى لم يظهر الا فى عهـد الأسرة الثلاثين عندما استقر الحكم فى البلاد ، وقد ظهرت أربعه أنواع من هذه النقود كما يشاهد ذلك فى اللوحة (رقم ٩ ــ ٢،٣،٤،٥)

فالعملة رقم ٢ يمكن أن تكون قد ضربت فى مصر فى عهد «نقطانب الأول» والعملتان رقم ٣ و٤ يمكن أن تكونتا قد ضربنا فى عهد الملك «تيوس» ؛ فى حين أن العملة رقم ٥ يظهر أنها ضربت فى عهد «نقطانب الثانى» . على أن الآراء قد اختلفت فى ذلك .

أما العملة الصغيرة التى ضربت للملك «نقطانب الأول» فيظهر أنها أول عملة يمكن نسبتها للعهد الفرعونى من حيث الأسلوب والطراز . والواقع أن صورة الآلهة «أثينا» الخشنة الصنع التى ظهرت على وجه العمـلة كان لا يمكن أن تظهر الا فى نقود ضربت بعد بداية القرن الرابع ق.م بقليل . أما طراز صورة ظهر هذا النقد فهو تنويع لبومتين تمثلان الآلهة « أثينـا » . أما النقد المصرى الصريح فهو الذى أدخلت فى سكه علامتان هيروغليفيتان. (نفر ، نب) على ظهر النقد ، وقد ظهرت علامة «نفر» بين بومتين متقابلتين فى حين أن علامة «نب» قد ظهرت فى الجزء الأسفل .. والمعنى الذى تحمـله هذه العلامات الهيروغليفية يمكن ترجمته ببعض التصرف هـكذا . الكل (فضة) خالصة أو « صالح لكل (الأغراض) » .

وهذا النقد السالف الذكر كان قد عرض فى المتحف البريطانى ، ثم سحب

---

(١) راجع The Numismatic Chronicle (1947). Nos. 12-14, Pl. 5.

من هناك . وعلى أية حال لا يمكن تحديد مكانه بين النقود بدقة. أما العملتان رقم ٣، ٤ اللتان فى اللوحة وهما من الذهب الخالص فيحمـــلان بعض اسم «تاخوس» بالحروف الاغريقية على ظهر العملة . هذا ويلحظ أن طراز طابع الوجه والظهر قد عمل على حسب المتبع فى النقد الأثينى وهو يحتوى على رأس «أثينا» وبومة واقفة . أما قطعة الفضة رقم ٣ فليس من المؤكد نسبتها على وجه التأكيد الى عهد الملك «تيوس» . وقد طبع على الوجه صـــورة ابن آوى (انوبيس) ويقول «جنكنز» ان ظهر هذه العملة يحتوى فضلا عن صورة البومة طغراء ملك مصرى غامض ، وقد ظهر من تكبـــير صورة هذه العملة وجود الاشارة الهيروغليفية = ماعت = الصدق وهى تعنى أن قيمة هذه العملة ونوعها قد تؤكد من صحتهما أى لا غش فيها ولا خسران فى وزنها وهناك تفسير آخر لهذه العملة وهو نسبتها الى الملك «تيوس» على الرغم من أنه قد مات .

هذا ولدينا فى هذه المجموعة عملة أخرى يمكن نسبتها الى الملك «تيوس» بشىء كبير من التأكد وهذه العملة تشبه القطعة التى قيمتها أربعة درخمات (انظر اللوحة رقم ٩) ونقش عليها حروف اغريقية وعلى ظهر هذه العملة من الجهـــة اليمنى حل محل الحـــروف الاغـــريقية نقش ديمـــوطيقى يقـــرأ هكذا = تيوس فرعون . ومن ثم يمكن أن نذهب الى أن «تيوس» الذى ذكر هنا هو والد «نقطانب الأول» أو أمير البحر المصرى للاسطول الفارسى فى نهاية القرن الخامس قبل الميلاد والمرجح أنه الفرعون الذى حكم فى عهد الأسرة الثلاثين . هذا ومن بين النقود التى تساوى أربعـــة درخمات والتى وصلت الى مصر نجد فيها خلافا من حيث الأسلوب والنوع ، وعلى ذلك قد يكون من الغريب اذا لم يكن بعضها يحتوى على صور تدل على قدم أصلها .

بعد ذلك نعود الى النقود المصورة فى اللوحة ونفحص النقد الذى يحمل

رقم ٥ وهو الذى يشار اليه بعيار « نفر ـــ نب » . والظاهر أن هذه القطعة قد ضرب منها عدد كبير ، اذ عثر منهـــا على ٢٤ قطعـــة حتى الآن على وجه التقريب .وقدطبع على وجهها ثلاثة طوابع مختلفة وعلى ظهرها على اقـــل تقدير طبعتان ، وقد نسبت الى عهد البطالمة الأول منذ عدة سنين ، ولـــكن «جاستون مسبرو» أثبت على أية حال بعد فحص دقيق أنها أقدم من ذلك ، وترجع للعهد الفرعونى . وقد وافقه معظم العلمـــاء على رأيه هـــذا . ومن المحتمل جدا أن هذا التقدير يرجع الى عصر الملك نقطانب الثانى (١) .

هذا وقد طبع على ظهر هذا النقد حصان فى منتهى الروعة والجمال الفنى وهو يثب الى الامام بروح عالية ، ويطيب لنا أن نذكر هنا أن النقد المصرى الذى كان قد ضرب فى بادىء الأمر ليكون حلا لدفع أجور الجنود المرتزقة يعتبر نقدا ذا صبغة أجنبية تماما ثم أخذ يتطور شيئا فشيئا ليصـــبح مصرى الصبغة فى عهد الأسرة الثلاثين الى أن صار فى نهاية الأمر منطورا الى عملة ذهبية تعد من القطع الفنية العظيمة القيمة وهذا التطور الذى جاء شـــيئا فشيئا يظهر أنه كان قد جاء طبقا لضرورة محلية اذ الظاهر أنه كان يعد شيئا اضافيا لاستمرار ضرب نقود آثينية الطراز وهى التى كان يحتاج اليها بمثابة قاعدة لدفع أجور الجنود الاغريق المرتزقين .

والواقع أن النقد الذى يحمـــل اسم « نفر ـــ نب » قد يكون له علاقة بالجيش،وذلك على غرار «الذبابة الذهبية» التى كانت تمنح نيشاناللشجاعةعند المصريين فقد وجدت مرسومة بفخار واعجاب فى كثير من القبور المصرية فى عهد الدولة الحديثة ولكنها قدأصبحت فى العهد المتأخر مهملة . وكانت الحاجة الآن تدعو الى منح مكافآت من الذهب فى صورة أكثـــر فائدة وأكبر قيمة للجنود المرتزقة ، كما كانت أحسن قبولا عند الشجعان من أبناء الوطن ؛ ومن الجائز اذا أن العملة «نفر ـــ نب» قد استعملت لهذا الغرض وبخاصة عندما

(١) راجع Curtis, loc. cit.

نعلم أن صورة الجراد المتوثب المرسوم على ظهر هذا النقد كان علامة على الشجاعة والاقدام فى كثير من ثقافات البحر الأبيض المتوسط فى هذا العصر

وبالاضافة الى قطع النقد الفضية الصغيرة التى وصف سابقا قد نشر غيرها فى مطبوعات منوعة ، وتدل الظواهر على أنها ضربت فى عهد الأسرة الثلاثين . فقد شرح جنكنز (Jenkins) فى مقاله السابق الذكر قطعةتشبه فى حجمها وصناعتها القطعة التى نقش عليها «انوبيس — ماعت» وهى التى تحمل رقم ٣ فى اللوحة . وطبع على وجه هذه القطعة رأس الآلهة «أثينا» فى حين أنه رسم علىظهرها بومة ، غير انه رئى على الظهر كلمة «واح» ومعها حروف اغريقية وهذه القطعة محفوظة الآن بالمتحفالبريطانى ، ويميلالانسان الى نسبتها الى السنين الأخيرة من عهد نقطانب الأول لا بعد ذلك ، لأنها لا تزال تحتفظ كثيرا بالصبغة الآثينية وتترجم كلمة «واح» بمعنى «مستمر» أو باقى أو الكثرة أو الوفرة .

وقد يدهش الانسان عند استعراض ما نسب الى عهد الملك «تيوس» من نشاط نقدى ، ولكن لا يلبث أن تزول هذه الدهشة عندما يعلم ما كانت عليه نفسية هذا الفرعون وما له من سمعة تاريخية مجيدة فقد كان ملكا طموحا ثائرا يطمع فى أن يعيد الى مصر ما كانت عليه من مجد غابر فى عهد أسلافه وبخاصة تحتمس الثالث . ومن ثم أخذ فى اعداد حملة جبارة لاسترجاع امبراطورية مصر فى آسيا . ومن أجل ذلك فانه جمع كل ما يمكن جمعه من ذهب وفضة من بلاده بالاضافة الى الضرائب الفادحة التى ضربها على التجارة ، وما استولى عليه من كنوز المعابد التى كانت مكتظة بكل غال وثمين . ومن كل ذلك أمكنه جمع مقادير هائلة من المعادن النفيسة ليدفع معظمها أجورا لآلاف الجنود المرتزقة من الاغريق ومن ثم نجد أن هذا الفرعون قد جمع مادة هائلة لضرب النقود التى سكت على عجل ؛ ولكن كان من جراء تعسفه فى جمع المال أن قامت ثورة داخلية كان من نتائجها أن

عرقلت فى الحال حملته ثم أدت الى خلعه عن عرشه ، على أن أنانية هـذا الرجل لم يكن فى الامكان اقناعها بسك نقود دون أن يكون عليها اسمه بل كان لابد أن يحمل بعضها اسـمه بالاغريقية لتوطيـد جنـوده المرتزقين . وبالديموطيقية لفائدة رعايا المصريين . والخلاصة أنه يمكن أن نضع تاريخا لاستعمال العملة المسكوكة فى مصر الفرعونية كالآتى : من ٣٩٢ — ٣٨٠ق.م. كان الملك «اوكوريس» يناهض بلاد الفرس وقد عقد محالفات مع أثينـا وقبرص واستخدم فى جيشه فرقا اغريقية بقيادة قواد اغريق . وقد ضرب من أجل ذلك نقودا من طراز اثينى لدفع أجور الجند الاغريق .

وفى ٣٧٨—٣٦١ ق.م هزم نقطانب الأول نفريتيس الثانى وبذلك وضـع أساس الأسرة الثلاثين وكان للجنود المرتزقين الذين جهـزهم «أوكوريس» اليد العليا فى حماية البـلاد المصرية من هجـوم الشطربة «فارناباسوس» واستمر استعمال قطع النقد المضروبة على النمط الاغريقى . وفى العهد الذى تلا ذلك — وكان عهدسلام ورخاء — استمر ضرب بعض نقود اضافية من العملة الفضية الصغيرة عليها صور اغريقية ، غير أنها كانت تحتوى علىصور هيروغليفية وبذلك كانت تؤلف أول نقد مصرى حقيقى .

٣٦١ — ٣٥٩ ق.م وفى تلك الفترة كان الملك «تيوس» يجهز جنـودا مرتزقين وجيشا مصريا لغزو «آسيا» . وقد ابتز من مصر مقادير كبيرة من الذهب والفضة لضرب العملة وكان منجراء ذلك أن ضربت نقود آثينيـة أضيف اليها الاستاتر الاغريقى (Staters = ١٠٥ قرشا تقريبا) عليه اسم الفرعون بالاغريقية ، وكذلك قطع من ذوات ثلاث الدرخمات عليها اسم فرعونى ولقب ، وقطع صغيرة من الفضة تشبه قطع نقود «نقطانب الأول» ولكن على ظهرها رسم مصرى .

٣٥٩ —٣٤١ ق.م قمع فى هذه الفترة نقطانب الثـانى بمساعدة الجنـود الاسبرتيين الاضطرابات الداخلية التى قامت بسبب عزل «تيوس» وتولى

هو حكم مصر . وبعد ذلك بعامين هزم الحملة الفارسية التى حاولت غزو مصر بمساعدة جيش من المصريين والاسبرتيين والآثنيين ، وفى خلال سنين الرخاء التى تلت ذلك بقى جيش الجنود المرتزقين قائما يتألف من عدد كبير من هؤلاء الجنود لدرجة أن فرقا منه كانت ترسل لمساعدة حلفاء مصر مثل «صيدا» وفى تلك الفترة استمر ضرب النقود الآثينية وأدخل كذلك ضرب النقود الذهبية بالأسلوب المصرى . وكانت تسك بعدد لا بأس به ، ومن المحتمل أن نقودا مصرية مختلطة الأسلوب قد استمر سبكها حتى نهاية هذا العصر .

٣٤١ ق.م وفى هذا العام هزم الفرس على يد القائد الفارسى « باجوس» الملك نقطانب الثانى الذى هرب الى أعالى النيل ومعه كنز كبير يشمل عددا كبيرا من النقود التى نقش عليها «نفر-نب» .

النقد المصرى فى العهد الهيلانستيكى البطلمى

عندما تولى الاسكندر الأكبر زمام الأمور فى مصر لم يكن استعمال النقود المسكوكة باسمه بالشىء الغريب عن المصريين وبخاصة بين الأوسط الراقية ، فقد كانت هناك نقود مسكوكة باسم آخر فرعون وان كان معظمها يصرف أجورا للجنود المرتزقين . وتدل شواهد الأحوال على أن كثيرا من من النقود التى كانت تتداول فى مصر وقتئذ قد أحضرها المهاجرون الى مصر معهم (١) هذا الى قطع نقود عليها صور أخرى .

وفى خلال العهد الذى كان فيه بطلميوس شطربة مصر وكذلك فى السنين الأولى من توليه عرش مصر نجده قد قفا السياسة النقدية التى كان يسير على نهجها الاسكندر فسك نفس العملة الذهبية والفضية التى كانت تتبع المعيار الاتيكى ، كما كان المتبع فى كل العالم الهيلانستيكى. ونجد أنه فى عهد «الاسكندر الرابع» كان النقد الذى سك فى حكمه مميزا بخاصية وهى أن

(١) راجع Svoronos, Co 3-4 ; W. Grisecke Das Ptolemaergeld. PP. 3-4.

رأس الاسكندر المصورة على النقد كانت مغطاة بمسلاخ فيل بدلا من مسلاخ الأسد الذى كان مستعملا من قبل هذا ونشاهد على ظهر النقود فى تلك الفترة صورة الإلهة «آثينا» المحاربة وبذلك حلت محـل الآله «زيوس» الذى صور قاعدا على عرشه . هذا وقد شـوهد كذلك نسر بطليموس على النقد ، وأخيرا نجد على بعض قطع أن اسم بطليموس قد أضيف الى اسم الاسكندر . ومن سلسلة هذه الصور يمكن تتبع ما كانت تنطوى عليه نفس بطليموس من طموح متزايد شيئا فشيئا (١) . ويلفت النظر أنه فى عقد زواج مؤرخ بالسنة ٣١١ق.م أى عندما كان بطليموس لا يزال شطربة قد اشترط فيه أن يكون المهر بالدرخمات المسكوكة من الفضة التى عليهـا صورة الاسكندر . وهذا العقد عثر عليه فى الفنتين (٢) وهـذه الدرخمات كان عيارها كعيار الدرخمة الاتيكى .

وعلى أية حال فان بطليموس الأول لم يلبث ان ابتدع سـياسة نقـدية جديدة فغير العيار بسك عملة فضية أخف وزن من العملة الاتيكية ؛ وربما كان غرضه من ذلك أن يجعلها تتفـق مع أثمان المعادن الثمينـة التى كانت آخذة فى الارتفـاع بثبات فى حالة الفضة وآخـذة فى النقصـان من حيث الذهب . فضرب نقوده على حسب العيار المتبـع فى جزيرة «رودس» وهو الذى كان أخف وزنا . وربما كان الغرض من ذلك تسهيل التجارة بين مصر وهذه الجزيرة . وفى عام ٣٠٥ ق.م بدأ «بطليموس الأول» يسك نقوده مزينة بصورته ؛ فكانت أول نقود بطلمية عرفت لنا ، وكانت نقوده عبـارة عن استاتر اغريقى (= ١٠٥ قرشا تقريبا) ، وقطعا من ذوات ثلاث الدرخمات من الفضة و«ابولات» من النحاس . وقد تخلى عن المعيار الروديسى واستعمل العيار الفنيقى وبخاصة فى سيرينى . وكانت مصانع السكة موجودة فى «سيرينى»

(١) راجع Seltman, Greek Coins. P. 240.
(٢) راجع P. Eleph. 1.

والاسكندرية (١) .

ومما تجدر ملاحظته هنا أن «بطليموس الأول» لم يتخذ المعيار الفنيقى الا فى أواخر حكمه وقد كان غرضه من ذلك أن يخفض وزن النقد الفضى على حسب العيار الذى كان مستعملا فى البلاد الفنيقية وهذا المعيار قد قد استمر حتى نهاية العهد البطلمى .

وقد كانت الفضة التى استعملت العيار الرئيسى تتبع تقلبات السعر التجارى للذهب والفضة فى عالم البحر الأبيض ، فكانت السكوك المتتابعة تعطى للقطع النقدية الوزن الذى يجعل النسبة دائما محفوظة بين كل النقود المسكوكة من حيث القيمة دائما . فكانت نسبة الذهب للفضة واحدا الى عشرة فى القرن الخامس ، وقد نزلت هذه النسبة الى حوالى واحد الى عشرة بعد حملات الاسكندر الذى شتت شمل خزائن الدولة الفارسية .

وفى بداية القرن الثالث ازداد نزول قيمة الذهب كذلك فى كل العالم الاغريقى ؛ ومن ثم كانت نسبة وزن العملة هى واحد الى ثمان . وفى نهاية النصف الأول من القرن الثالث ازدادت قيمة الذهب شيئا فشيئا . ويرجع السبب فى ذلك الى انقطاع وصول الذهب من « البنجاب » فى نفس الوقت الذى انسحب من هذا الاقليم التسلط المقدونى ؛ يضاف الى ذلك أن استغلال مناجم الفضة فى اسبانيا بكثرة قد حط من قيمة هذا المعدن بالنسبة الى الذهب . وفى حوالى ٢٥٨ — ٢٥٧ ق.م وجد فى تقدير محتويات كيس من المال جاء ذكره فى ورقة من أوراق «زينون» ما يدلنا على أن النسبة بين الذهب والفضة هى واحد الى ثلاث عشرة وثلث أى أنها بالضبط النسبة التى كانت متبعة فى القرن الخامس . وقد أكد ذلك أن استغلال مناجم الذهب فى مصر لم يكن له تأثير على سوق هذا المعدن .

أما من حيث المكانة التى كان يشغلها الذهب بالنسبة للفضة فأن مصر

---

(١) راجع Gresecke, Das Ptolemaer geld, PP. 4-7, Pl. 1, Nos. 5, 6, 7.

الفرعونية كانت حتى عهد الرعامسة على أقل تقديرفيموقف مختلف عن الذى كان فيه عالم شرقى البحــر الأبيض المتوسط فلابد من أن الفضـــة كانت تستورد اليها بمصاريف باهظة فكانت غالية نســبيا ونادرة . ففى الأسرة العشرين كانت نسبة ثمن الذهبللفضة ، كنسبة اثنين لواحد . هذا ولا نعلم ماذا حدث لهذه النسبة عند فتح الاسكندر للبلاد المصرية (١) ، حيث يقول ان النسبة كانت تتراوح ما بين ١٥ و ١ وهــذا يختلف عما ذكره المؤرخ «ملن» (Milne) وعلى أيةحال فانه ليس لدينا ما يجعلنا نأخذ بهذه النسبة فى آخر العهد الفرعونى .

والواقع ان الفضة التى كانت نادرة فى مصر فى عهد البطالمة كما يدل على ذلك قلة ذكرها فى ورقة «هاريس» الكبرى قد أخذت تدخل الى البلاد بفتح باب التجارة بين مصر وبلاد الاغريق بمقدار قليل ، ونجد فى المعابد الكبيرة سبائك فضة كانت تتداول . وقدجاء ذكر الفضة فى العقــود والأثاث وشراء العبيد والحيوان وبوجه خاص ذكرت بمثابة مهر زواج .

اصلاح العملة فى عهد بطليموس الثانى

تحدثنا فيما سبق عن التغيير الذى أدخله «بطليموس الأول» فى عيـــار الذهب والفضة على حسب العيار الفنيقى . وهذا النظام فى العملة كان على حسب النظامالمتبع فى كلالعالم الهيلانستيكى. ويتلخصفىأنه ضرب عملة من الذهب والفضة مقدرة علىحسب قيمة هذين المعدنين فى السوق كما ضرب قطع عملة من النحاس يصل قطرها حتى ثلاثين مليمترا ذات قيمة اسمية ، أو يعبر عنها بمثابة رمز لقيمتها كما هو الواقع فى أيامنا .

ولكن فى عهد بطليموس الثانى حدث تغير محس فى عام ٢٧٠ ق.م وأهم مميز لهذا التغير وهو ادخال قطع كبيرة من النقد النحاسى يحتوى على ثلاثة مسميات جديدة فى العملة النحاسيةيبلغ قطر كل منها علىالتوالى ٤٨،٤٢،٣٦،

(١) (راجع عن هذه النقطة) Segré, Metrologia. PP. 257. 258

وهذه العملات هى التى أصبحت قطع العملة السائدة الاستعمال فى كل بلاد القطر ، وهذا التغيير لم تكن أهميته اقتصادية وحسب، بل كان له أهمية أخرى سنذكرها . وأول ما يجب ملاحظته فى هذا الصدد أن مثل هذهالقطع الضخمة من النحاس لم يكن لها نظير فى كل العالم الاغريقى . والواقع ان هذا التجديد يعد انفصالا مميزا عن تقاليد النقد الهيلانستيكى بالنسبة لملك من أصل هيلانى كبطليموس الثانى .

والسبب فى هذا التجديد مقتضيات الشئون الداخلية للملكة المصرية . وذلك ان استعمال النقود المسكوكة فى البيع والشراء لم يكن يعد تجديدا فى مصر وحسب ، بل ان فكرة استعمال عيار للفضة كانت فكرة غريبة لدى عامة الشعب المصرى الأصيل . فان معاملتهم التقليدية منذ أقدم العهود كما أشرنا من قبل كانت بالنحاس ؛ وعلى ذلك فانه من المحتمل أن التجار قد أظهروا ميلهم بصورة محسة الى بقاء استعمال النحاس فى معاملتهم لدرجة جعلت الحكومة تمدهم بنقود من المعدن الذى اعتادوا التعامل به ، وهذا الغرض قد يعضده الطابع الذى كان على ظهر العملة الجديدة . ففى ماسبق كانت الصور التى تطبع على النقود ذات طابع اغريقى ، بل وكانت اغريقية محضة فنجد على وجه النقود المصنوعة من الذهب بعد أن أصبح بطليموس ملكا على البلاد صورة رأسه ، فى حين كان على النقد النحاس صورة رأس الاسكندر (وذلك فى نوعين واحد منهما بمسلاخ فيل والثانى عار) ورأس الآله «زيوس» وفى حين نجد من جهة أن هذه الصور قد بقيت لمدة على قطع النحاس الصغيرة القديمة ، نجد من جهة أخرى أنْ القطع الأكبر التى ضربها بطليموس الثانى قد طبع عليها رأس اله له علاقات محلية بمصر وهو الاله «آمون» فى «سيوه» . ومن الجائز أن هذا الطراز قد انتخب ليميز هذه النقود بأنها نقود مصرية محضة .

ومما تجدر ملاحظته أن صورة «آمون» التى انتخبت هنا كانت صورة

«آمون» فى شكله الاغريقى أى آلة ذو لحية وقرن قصير ملتو حول الأذن ؛ ومن الجائز أنه قد جيء به الى «سيرينى» بالمستعمرين الدوريين ، ومن هناك حمل الى الواحة . وعلى أية حال فان طراز هـذا الاله كان موجـودا فى «سيرينى» من أقدم عهد فنى سجلتفيه صورته ، هذا وقد أشرنا فيما سبق الى أن الوحىفى«سيوة» قد ظهر فى التاريخ الاغريقى قبـل أن يظهـر فى التاريخ المصرى . وان كان وجود الاله آمون فى «سـيوه» يرجع الى زمن بعيد ، ولكن منذ غزو الفرس لمصر كانت عبادة آمون رع قد وحدت بعبادة «آمون» سيوة كما أوضحنا ذلك فى غير هذا المكان فى فصل سابق من هذا الكتاب . ومن المحتمل أن سبب ذلك يرجع الى جماعة من كهنة آمون طيبة قد هربوامن الاضطهاد الفارسى واحتموا فى واحة سيوةوغيرها حيث كانت المعابد المصرية قائمة هناك . وكان توحيد الالهين سهلا ميسورا ، وذلك لأنه كان يوجد فى «سيوة» اله يتفق فى الاسم والمظهر مع الههم آمون وكان له قرنان ، غير أن قرنى الاله المصرى الذى كان يمثل فى طيبة وغيرها فى صورة انسان برأس كبش من فصيلة أخرى . وهذا التوحيد بين اله اغريقى والـه مصرى كان يتفق معالسياسة البطلمية كما تحدثنا عن ذلك من قبل . وعلى ذلك فانه عندما دعت الحاجة الىانشاء طراز ليوضع على النقـود بوصفها مصرية فانه كان لابد أن يوجد فى رأس اله صفاته وعلاقاته معترف بها من قبل الكهنة المصريين .

هذا وقد قال بعض المؤرخين أنه توجد علاقة فى هذا الاختيـار — وبين التطور الذى حدث فىنفسالمدة على ما يظهر ، بالنسبة لقصة الاسكندر التى تؤكد بحق الأهمية الدينية لزيارته آمون بواحة سيوة . هذا ولابد أن نلفت النظر الى التطور الفنى فى تمثيل الاسكندر بقرن على معبـده فقـد كان المقصود أن يعبد بوصفه ابن آمون . ويقول بعض الاثريين ان هـذا القرن ليس مأخوذا بوجه التأكيد عن آمون أى أنه ليس مشتق من قرن آمن — رع

وذلك لأنه صور دائما قرنا قصـــيرا مقوسا من طراز اغريقى أى أنه ليس بالقرن الطويل المزدوج الالتواء الذى نشـاهده فى قرنى آمون المصرى ، وعلى الرغم من أنه مثل قرن آمون فان رأسه الذى يدل على الشباب يشبه أكثر الرأس الذى يظهر على نقود سيرينى الاغريقية الصبغة ، وقد وحـد برأس الاله الدورى «كارنيوس» (Carneius) الذى كان يعبد هناك . وفى أجزاء عدة من بلاد الاغريق مع آمون وكان له قرن مثـــله . والواقع أن «كارنيوس» قد يعد بأنه ابن آمون ، وهذا يمكن أن يفسر استعمال رأسه ليمثل رأس الاسكندر ، غير أن النقطـة الهامة بالنسـبة للموضوع الذى نبحثه هى أن صورة الاسكندر ذى القرنين لم تظهر الا بعد موته بعدة سنين ولم تظهر وقتئذ فى مصر بل فى «تراقيا» على نقود «لزيماكوس». ولما لم يكن لدينا برهان على عبادة آمون و «كارنيوس» فى شمالى بحر ايجـه فانه من المحتمل أن «ليزيماكوس» قد أخذهذا الطراز من عبادات محليـة وأنها قد جلبت الى مصر على يد «أرسـنوى» كما تحدثنـــا عن ذلك من قبـل . وعلى أية حـال يحتمـــل أن « أرسـنوى » هى التى ابتـدعت ضرب العملة الجـديدة من النحـاس التى تتفق مع التقـاليد والعادات المصرية وصور عليها رأس آله معروف فى مصر وكانت علاقته مع الاسكندر معروفة بأنه ابنه ووريثه على عرش الفراعنة ومن ثم أخذت «أرسنوى» كما تحدثنا عن ذلك من قبل ، تعمل على احياء هذه الفكرة التى ظلت سائدة حتى نهاية عهد البطالمة . ومن المحتمل انه اعترافا لهذه الملكة بايقاظ هذه الفكرة التى وضع أساسها الاسكندر ، من مرقدها ، أن القوم قد أتبعوا ضرب هـذه النقود النحاسية الضخمة الحجم لضرب عدة نقود كبيرة ذات روعة من الذهب والفضـة كان حجمها خارجا عن حد المألوف مزينة بصـورة «أرسنوى» واسمها (١) .

---

(١) راجع Ancient Egypt, 1928. Part II. PP. 37-39.

ومما تجدر ملاحظته أنه منذ ظهور العملة النحاسية الكبيرة الحجم فى عهد «بطليموس الثانى» وانتشارها اختفت العملة الفضية من خزائن العملة فى مصر وأخذت تحل محلها العملة الجديدة ، ومن ثم نفهم أن النقد النحاسي الذى ابتدعه «بطليموس الثانى» كان رمزا آخر وتوضيحا للثنائية التى أسست فى مصر على طريقة النظام البطلمى . فمصر القديمة أى مصر التى كان يقطنها الفلاحون كان لها عملاتها الثقيلة العتيقة المصنوعة من النحاس، وجنبا لجنب معها قامت مصر الجديدة أى مصر الاسكندرية والاغريق بنقدها الأنيق الخفيف الوزن من الفضة والذهب الفاخرة . غير أن غرض بطليموس لم يكن ارضاء مطالب المواطنين المصريين بادخال هذه العملة المصنوعة من البرنز بل رأى أن هذا النقد الجديد يمكن أن يمنع الفضة والذهب من التداول ، وأن العملة المصنوعة من هذين المعدنين يمكن أن تعود شيئا فشيئا الى الخزانة الملكية حيث تكنز هناك ويستعملها الملك لأغراضه الخاصة . وهذا هو نفس ما حدث بعد حكمه .

والواقع أن نقد البطالمة كما ذكرنا كان الغرض منه أولا أن يستخدم فى شئون تجارتهم وفى حاجيات مصر كما نظموها . وهذا الغرض نجده واضحا فى فرض قطع عملة ثقيلة الوزن كان مصيرها أن تصبح لعملة الرئيسية فى الأرياف (القرى) ، هذا الى قطع العملة التى تساوى ثلاثة درخمات المصنوعة بكثرة من الفضة ، وهى التى كان لها عيار ثابت ، وكانت لا تستعمل تقريبا الا فى الاسكندرية والأملاك المصرية فى الخارج وفى الممالك الاجنبية التى تتجر مع مصر . ولكن نجد من جهة أخرى أن العملة البطلمية كانت سلاح دعاية داخلية ، وكان الذهب هو الوسيلة . وذلك ان الذهب لم يكن يستعمل فى تجارة البلاد الداخلية وبخاصة أجمل النقود ونخص بالذكر منها القطع ذات خمس الدرخمات التى ظهرت فى عهد «بطليموس سوتر» . وفيما بعد القطع ذات ثمانى الدرخمات ، وغيرها التى ضربت فى عهد «بطليموس الثانى»

كانت تستعمل بوجه خاص فى التجارة الخارجية والأمور السياسية، ولانزاع فى ان هذه النقود كان لها تأثير على معاصرى بطليموس بما كانت تدل عليه من فخامة وغنى وقوة .

وبعدأن وطد «بطليموس الثانى» نقده وأصبح يباهى به أخذ يراقب استيراد النقود الاجنبية ويفصل النقد المصرى عن نقد العالم الهيلانستيكى ، وذلك لأن «بطليموس الثانى» أراد ان تكون امبراطوريته وحدة محكمة النسج وبناء قويا له نظام نقد منسجم . وهذا الميل الى نظام نقد منسجم والكفاية الشخصية قد ظهر فى اتخاذه عدة اجراءات فى هذا الصدد وذلك انه سعى فى ان تكون عملته هى النقد الوحيد لكل امبراطوريته المترامية الاطراف وبهذا يكون قد خالف ماكانت عليه مملكة السليوكيين فى سوريا و «بابل» ، وأول خطوة اتخذها فى هذا السبيل أنه عمل على اجبار ممتلكاته على ان يستعملوا نظامه النقدى وعملته المصرية وكانت القاعدة أن المدن الاغريقية التى كانت تحت حكم «بطليموس الثانى» لم يكن مسموحا لها ان تبقى على عملتها الخاصة ، وفى الحالات الخاصة التى كان يسمح لها بذلك كان لزاما على البلد المصرح له ان تحول عيار عملته الى العيار الفنيقى . يضاف الى ذلك ان هذا الخطر الذى فرضه بطليموس على النقد قد فرض على المدن الفنيقية وفلسطين ،وعلى ذلك بطل العمل بنقدهم . وقد اتخذت اعظم هذه المدن «فنيقية» مراكز لضرب النقود البطلمية ، وكان من جراء هذه السياسة ان أصبح النقد البطلمى النقد الوحيد المستعمل فى الأملاك البطلمية . هذا ولم تسفر اعمال الحفر الحديثة عن وجود اى نقد بطلمى فى الطبقات الأرضية التى تنسب الى عهد البطالمة وبخاصة فى المدن الفلسطينية التى عمل فيها حفائر على الطرق العلمية مثل «جيزر» و «ماريسا» و «سماريا» و «بيت زور» . والواقع انه لم يكن هناك شىء غير عادى فى مثل هذا التوحيد فى عملة الممتلكات المصرية . وهذا هوما و «ارسنوى» وعليها صورتا بطليموس وزوجه «ارسنوى» . وهذه النقود

نجده الآن فى توحيد عملة الاسترلينى والدولار ، ولكن بنظام آخر يختلف بعض الشيء عن نظام البطالمة . وعلى أية حال نجد ان «بطليموس الثانى» لم يكتف بهذا الوضع بل اتخذ خطوة أخرى أكثر اهمية واكثر اعتيادا فى نفس الاتجاه اذ نجد انه لم يفعل ما كان يفعله السليوكيون وهو السماح بدخول النقد الأجنبى الذى كان بنفس العيار فى بلادهم والتعامل به بل اتخذ اجراءات خاصة لمنع النقد الاجنبى من دخول السوق المصرية وهذا يمكن ان يفسر به ما جاء فى بردية وصلت الينا من سجلات « زينون » . وهذه الوثيقة عبارة عن خطاب ارسله موظف يدعى «ديمتريوس» (يحتمل انه كان هو المسيطر على العملة فى الاسكندرية) الى «أبوللنيوس» وزير مالية «بطليموس الثانى» وقد كتب «ديمتريوس» هذا الخطاب بسبب صعوبات قد ظهرت له بسبب منشور الملك عن اعادة سك النقود الذهبية الممسوحة وكذلك النقود الأجنبية التى لم تضرب فى مصر وجلبت اليها (١) .

وهذا الخطاب يقدم لنا برهانا واضحا على اقامة مصر نوعا من الاحتكار لتبادل العملة وعلى الاقل العملة الذهبية التى كانت مربحة جدا للملك وخسارة ظاهرة للتجار ، وذلك ان لم يكن مسموحا بوجود صراف عملة خاصين ولا يوجد مصارف حرة او ملكية للقيام بهذه العملية بل كانت كل هذه العملية مركزة فى الاسكندرية فى يد موظف ملكى خاص . ولم تكن مثل هذه الاجراءات معروفة فى العالم الاغريقى فيما مضى . والواقع ان مجرد وجود هذا الاحتكار كان يعنى منع الذهب الاجنبى من دخول السوق المصرى ، يضاف الى ذلك ان أمر الملك بضرب هذه النقود من جديد كان أشد خطرا . وهذا يعنى ان الملك قد فرض انه من المسلم به ان كل اعمال التجارة الهامة فى مصر التى كان الذهب ستعمل فيها سبيلا للمبادلة ، لابد ان تقام على أساس العملة البطلمية

---

(١) راجع P. Cairo-Zenon, 59021; A.S. 18, P. 167-171 ; Bekerman, Inst. des Seleucides. PP. 213-214 ; Preaux Econom. PP. 271 ff.

على ان مثل هذا الحظر على حرية التجارة قد زاد فىخطورتهاتسير على حسب النظام البيروقراطى المبالغ فيه مما جعل عملية الصرف واعادة ضرب النقود الأجنبية بطيئة وغير منظمة مما سبب غضب التجار الأجانب وسخطهم .

ومما سبق نفهم ان السياسة النقدية فىعهد كل من بطليموس الأول والثانى كانت تتمثل فى وجهتين فمن وجهة تدل شواهد الاحوال على ان مصر كانت ملك بطليموس أو بعبارة أخرى ضيعته التى كان لها وجود منفصل ، وكانت متصلة بسائر العالم الهيلانستيكى عنطريقه هو وحده وهذا كان معناهادخال العملة المضروبة من النحاس فى مصر وتعميمها فيها ومن وجهة أخرى قد ادعى البطالمة الأول لانفسهم مكانةاستثنائية فىالعالم الهيلانستيكى، ولم يرغبوا فى أن يكونوا أعضاء فى توازن القوى الهيلانستيكية بل صمموا على أن يعيشوا فى برج عاجى ، اللهم الا اذا كان فىمقدورهم انيجذبوا شيئا فشيئا سائر العالم الهيلانستيكى الىحظيرة دائرة نفوذهم، ومن أجل ذلك مالوا الى قبول عيار النقد الفنيقى وفرضهم الاحتكار الملكى وذلك باستعمال نقدهم على كل امبراطوريتهم. وقد توجت سياستهم بالنجاح ، وعلى الرغم من أنه لم يكن فى مقـــدورهم فرض سيادتهم على العالم الهيلانستيكى، فانهم بلا نزاع اصبحوا بمعزل عن سائر هذا العالم وهذه العزلة قد أصبحت شيئا فشيئا المميز الرئيسى لحياة البلاد المصرية وقتئذ .

وعلى الرغم من ان النقد البطلمى كان فى جملته اداة سياستهم الخارجية ومعاملاتهم التجارية مع المديريات التى يسيطرون عليها ، وكذلك سائر العالم فانه غير كثيرا من أحوال مصر نفسها ، فكما نعلم لم يكن استعمال العمـــلة المسكوكة مجهولا قبل عهد البطالمة فى مصر كما ذكرنا من قبل . فقد كانت هناك كميات كبيرة من العملة الأجنبية والمحلية المسكوكة متداولة فى البلاد، غير ان استعمالها بمثابة عملة كان محصـــورا فى الطبقات العليا من السكان وبخاصة بين الاجانب . وكانت المعاملة بالمبادلة تضرب باعراقها بين السكان

الاصليين وبعد عهد «الاسكندر» أخذت النقود المضروبة تحل محل التبادل، وقد استعمل النقد بين سكان البلاد من الاغريق كأنه أمر طبيعي ، ولكن لا نعرف لأى مدى وبأية سرعة حلت النقود محل المبادلة بين المصريين انفسهم اذ الواقع ان هذا موضوع يصعب البت فيه . وعلى الرغم من ان معلوماتنا عن هـذه النقطة كثيرة فانها ليست كافية وذلك انه فضلا عن ماجاء فى سجلات «زينون» وبخاصة ما كان منها خاصا بالاحصاءات لدينـا مئات من الوثائق هـذا بالاضافة الى مواضيع خاصة متعلقة بسياسة البطالمة الداخلية : مثال ذلك أجور الجنود والموظفين والعمال الذين يأخذون أجورهم عينا ومنح الجنود اراضى مقابل أجورهم كل ذلك يوحى بنقص فى العملة فى مصر، ومن جهة أخرى نجد ان الاهالى المصريين كانوا متمسكين بعاداتهم القديمة مما أدى الى تعلقهم بالمبادلة فى كثير من نشاطهم الاقتصادى فى مصر . فمن ذلك نجد فى سجلات زينون حسابات نقد وحسابات سلع قد سددت بأرقام تكاد تكون متساوية ، ونجد مشابها لذلك فى النظام البطلمى المالى المبكر ضرائب كثيرة دفعت عينا مثال ذلك أجور فلاحى الملك وضريبة السدس Apomoira وغيرها ، وذلك جنبا لجنب مع الضرائب التى دفعت نقدا . وتدل شواهد الاحوال على ان قلة النقد المسكوك قد ادت الى رفع سعر الفائدة على كل القروض فى كل من المصارف الملكية وعند عامة الناس، غير ان سعر القرض كانت تحدده الحكومة وقد حدد سعر الفائدة وهو ٢٤ ٪ . وكان أعلى بكثير عن السعر الجارى فى بلاد اليونان حيث كانت النقود المسكوكة كثيرة (١) .

تلك كانت حالة النقد فى عهد كل من «بطلموس الأول» و «بطليموس الثانى» بشىء من الاختصار .

المصارف وأعمالها فى عهد بطليموس الثانى :

لا نزاع فى أن تطور النقد فى العهد البطلمى ووضعه على أسس قويمـة

(١) راجع Wilcken Alexander etc., Schmollers Jahrb. XLV (1921). PP. 78 (382) ff.

بوصفه وسيلة للتعامل كان له دخل فى اقامة مصارف فى طول البلاد وعرضها شيئا فشيئا ، ثم امتد هذا لنظام الى الخارج والواقع ان النقـد هو اداة للمعاملات المنوعة يقوم بها رجال المصارف بوجه خاص ولكن المصارف لم تكن فى مصر البطلميه حرة كما كانت فى الممالك الهيلانستيكية المحاورة لها، ودلك لاننا نجد أن المصارف منذ بداية نشأتها كانت كسائر معظم المؤسسات الأخرى يحتكرها البطالمة ويؤجرونها لملتزمين ، كما كانت الحال فى احتكار الزيوت بأنواعها . والواقع اننا نجد فى حتويات «قوانين الايرادات» منشورا خاصا بتأجير المصارف ، غير انه لسوء الحظ وجد هذا المنشور ممزقا ولم يبق منه الا بعض أسطر مهلهلة . ومع ذلك يمكن ان نستخلص منه بعض حقائق (١).

فكان بطليموس يضمن لاصـحاب الامتياز أو بعبارة أخرى اصـحاب المؤسسة الحق المطلق فى بيع العملة وشرائها وتحويلهـا . وكان الملك يورد للمصارف جزءا من المال الذى تتعامل فيـه المؤسسة ، وذلك لأن الخزانات الملكية التى فى القرى والمدن والمصارف الملكيـة كان يودع فيها حصـيلة الضرائب لحساب المصارف المؤمن عليها وهى صاحبة الامتيـاز ، كل عشرة أيام والا عوقب من خالف ذلك بدفع غرامة ، من ثم نفهم ان الملك كان يمون ملتزمى المصارف بالمادة الأولية وهى العملة كما كان يضـمن لمعاصر الزيت المواد الدهنية التى يستخرج منها الزيت وهى السمسم وغيره .

وكان الملك يصدر مرسوما بسعر النقد كما كان يحدد سعر بيع الزيت. وكان على أولئك الذين يشترون حق ادارة هذا المورد الملكى (أى المصرف) ان يجعلوه ينمو ويربح . هذا وقد وصفت لنا العمليات التى خولت لرجـال المصارف فى العمودين ٧٧ — ٧٨ من «قوانين الايرادات» ، غير ان هـذين العمودين بكل أسف قد وجدا ممزقين فى البردية كل ممزق ، ومن الجائز ان الملك قد دون فيها سعر الفائدة التى تقرر على القروض . وتدل الظواهر على

---

(١) راجع Rev. Laws Coll. 73-78; Wilcken Chrestomathie No. 181.

ان رجال المصارف لم يكونوا محصنين ومحميين فيما يخص موضوع القروض كما كانوا محصنين فى موضوع سعر تحويل النقد والاتجار فيه من جهة المنافسة الحرة فقد وجدنا فى سجلات بردى «زينون» المشهورة انه توجد بوجه خاص وسائل عدة للاقراض عقدت بوساطتها قروض بين أفراد الشعب . والواقع ان السعر القانونى للوارد من العملة يجب ان يكون محــددا بحيث يكون هناك توازن بين الشارى والمشترى وقبل كل شيء فى صالح الملك الذى كان يقرر هذا السعر . ولذلك كان على الملك أن يحتفظ بسعر مرتفع لخدما، لأجل ان يشترى منه الملتزمون بثمن أغلى حق ثمن ادارة المصارف ، وكذلك لأجل أن يودع أصحاب رءوس الأموال نقودهم عن طيب خاطر فى مصر . غير ان هذه الاتجاهات التى ترمى الى ارتفاع السعر كانت محددة فيما يخص المقرضين من أفراد الشعب، ولكن منافساتهم كانت فى الواقع ضعيفة، وذلك لان طلب رءوس الأموال كان يأتى غالبا من الملك نفسه أو من ملتزمى المصارف . هذا وكانت رءوس الأموال كذلك مقيدة بصعوبات الدفع التى كانت تجــر فى ذيولها ربحا فاحشا . وعلى أية حال اذا كنا لم نجد سعر القرض قد دون فى « قوانين الايرادات » فان سعر القروض الحرة كان قد حدد بمقتضى القانون منذ منتصف القرن الثالث ق.م (١) . وهذا الســعر هو على وجه التقريب ٢٤٪ وقد استمر ثابتا طوال عهد البطالمة . هذا ونعــلم من القانون الذى وضعه الملك «بوكوريس» فرعــون مصر على حسب ما رواه ديدور (٢) . انه بمقتضى القانون كان محرما ان يكون مجموع الارباح المتراكمــة على المدين زائدا عن قيمة القرض الاصلى وهذا القانون كان لا يزال معمولا به فى عهد « بطليموس الثانى » أو انه جدد فى عهده وأصبح معمولا به ، ويمكن ان نستنبط ذلك مما جاء فى احدى وثائق «زينون» التى تحدثنــا عن قضية

---

(١) راجع P. Columbia-Zenon 272.

(٢) راجع Diod. I, 79.

راجع كذلك مصر القديمة الجزء الحادى عشر ص ١٠٧ — ١٠٩) .

أقامها دائن تعس (١) .

واذا قرنا سعر الفائدة فى مصر بغيرها من بلدان العالم الهيلانستيكى لوجدنا انها كانت مرتفعة فى مصر بدرجة كبيرة فكان فى «ديلوس» وفى «رودس» مثلا من ٨./ الى ١٠./ (٢) . وعلى أية حال فان هذا الفرق فى سعر الفائدة كان لا يمكن ان يستمر فى بلد فيها نظام اقتصادى حر ، فاذا كانت هذه الحرية الاقتصادية موجودة فى مصر لرأينا رءوس الاموال الاجنبية تغزو البلاد ، ومن ثم كان لا بد ان ينخفض السعر ، ولهذا السبب اتخذ « بطليموس الثانى» الحيطة للاحتفاظ بهذا السعر المرتفع . وذلك باصدار قانون غاية فى الشدة فيما يخص استيراد رءوس أموال أجنبية ، كما نص على احتكار ذلك لنفسه . وذلك لانه كان فى حاجة لرءوس اموال أجنبية ، ومع ذلك نجد انه اذا اجتذب أصحاب رءوس الأموال الى بلاده فانه كان لايسمح لهم بصورة أكيدة ان يقوموا بأية منافسة مالية فى مصر ، ومن ثم نصل الى نتيجة واحدة وهى ان مصر كانت لا تتصل بالعالم الخارجى الا عن طريق ملوكها .

وكان يجب ان تحدد قوانين الايرادات والضمانات التى فى أيدى رجال المصارف بالنسبة للافراد الذين يقرضونهم من أموال الملك. ولم يكن الضمان الذى يقدمه أصحاب المصارف من ممتلكات كافيا على وجه التأكيد . ومن ثم نجد ان الملك كان حذرا اكثر من اللازم من هذه الناحية ، فلم يكن يسمح أن يقرض نقد ايراداته الا اذا كان ذلك مقابل رهن عينى أو ضمانات عقارية. وسنفحص هنا بعض الوثائق الخاصة بالضمانات التى كان يتخذها الملك لحفظ أمواله فى المصارف ونرى اذا كانت تؤكد وتكمل ما جاء ناقصا فى «قوانين الايرادات» ومن أهم هذه الوثائق خطاب جاء فى برديات «زينون» (٣) وهذا الخطاب يكشف لنا فى سياقه عن نظام ترتيب الوظائف فى المصارف

---

(١) راجع P. Cairo-Zenon 59355 = P. Edgar 365.

(٢) راجع Heichelheim Wirtschaftliche Schwankungen. PP. 126-127

(٣) راجع P. Cairo-Zenon, 59503.

ومما يؤسف له ان كلمة مصرف قد وجدت ممزقة فى هذا الخطاب الذى كتبه رجلان من رجال المصارف بعد بضع سنوات خلت من وضع « قانون الايرادات » ولكن لما كان هذا الخطاب صادرا عن رجل يدعى « بيثون » (Python) الذى كان يشغل وظيفة مدير مصرف فى مقاطعة «ارسونيت » (= الفيوم) ومن أحد زملائه ، فانه من المحتمل ان الكلمة الممزقة هى كلمة مصرف . وهذان الماليان قد عرضا هذا الخطاب على « باناكستور » Panakestor. الذى كان وكيلا لوزير المالية وقتئذ الذى اتفق على ان يأخذ هذا المصرف لنفسه ولا يؤجره لأحد لانه ملك الملك . ولكن كان فى مقدوره ان يؤجر المصارف الاخرى التى فى المقاطعات التابعة له . وقد نسلم هذان الماليان من «ابوللونيوس» الوزير هذا الضمان .

والمصرف الذى أقامه الملك هو على ما يظهر المصرف المركزى بالاسكندرية فهل كان «أبوللونيوس» يديره بوصفه أحد موظفى الملك ومدير ماليته أو بوصفه ملتزما ؟. وتدل شواهد الأحوال على ان الوزير «أبوللونيوس» كان ملتزم مؤسسات . وعلى أية حال فان المتن يكشف عن وجود مصرف رئيسى وهو مصرف الملك ، وكذلك مصارف المقاطعات التى تعمل تحت اشرافها مصارف المراكز والقرى ، غير اننا لا نفهم على وجه التأكيد وظيفة المصرف المركزى بالاسكندرية . ولكن يحق لنا ان نقول انه كان يدير مجموع كل ايرادات الملك ويمد مشاريعه الكبرى بالمال اللازم لاتمامها .

وقد ذكرنا أن رءوس أموال المصارف كانت تحتوى على الاقل على جزء من أموال المصارف الملكية التى فى المدن والقرى . ونشاط هذه المصارف معروف جيدا فقد كانت تتسلم من الممولين ومن جباة الضرائب أو من الملتزمين كل المبالغ المستحقة بكل أنواعها للخزانة . وبخاصة الأموال المحصلة على رخص الحرف والضرائب بكل أنواعها ، وكذلك حقوق نقل الملكية وعلى اثمان المشتروات التى تعمل للملك أو لملتزمى احتكارات البيع ، وعلى ثمن

شراء الأرض التى باعها الملك، وعلى ثمن بيع الوظائف الدينية [1] والغرامات. هذا وكانت مؤسسات الايداع بوصفها ادارات ايرادات ملكية تتسلم كذلك الرهونات العينية أو الرهونات العقارية التى أودعها الملتزمون الملكيون أو من ضمنهم ، والاثمان التى حصلت عن بيع المنتجات التى قدرهن عليها وفاء ضرائب معينة ، والمبالغ المستحقة للحكومة على المدينين .

وقد استنبطت المهام لتى تقوم بها هذه المصارف من وثائق عدة . وهى عبارة عن المخالصات التى كان يصدرها رجال المصارف وايصالات الدفع ، كما جاء ذكر دفعات أودعت لحساب الملك فى كثير من حسابات أوراق «زينون» أو فى خطابات من سجلاته وفى دفاتر الوارد التى كان يستعملها رجال المصارف ، وتسجيل عقود بيع حيث كان يشهد موظف المصرف بأن حقوق نقل المدفوعات قد حصلت . ومن جهة أخرى نجد ان المصارف كانت تدفع مبالغ بمقتضى مستند يصدره موظف مختص ، كما كان يؤخذ عن بعض المصاريف الملكية ايصالا ، وذلك مثل المرتبات ومصاريف الادارة وصيانة الضيعة وثمن المشتروات والمبالغ اللازمة للمشروعات العامه . والظاهر ان عمليات بعض المصارف كانت مقصورة على هذه المبالغ الخاصة بايرادات الملك ومصروفاته . ووظائف هذه المصارف نجدها موضحة فى اليمين الذى اقسمه «سمتوس» عندما تسلم مهام وظيفته بوصفه مندوب مدير مصرف المقاطعة فاستمع اليه : اقسم : بان ادير بمقتضى أوامر كليتارك (Clitarque) مساعد مدير المصرف «اسكلبيادى» خزانة الايرادات فيبيخيس (Phebichis) من أعمال «مقاطعة «كويتيس» (Koites) وان أقدم على نهج صحيح وبأمانة تقريرا عن كل المبالغ التى تودع امانة فى الخزانة الملكية وعن النقد الذى سأتسلمه من «كليتارك» عدا النقود التى احفظها (؟) ، وان ادفع هذه

---

(١) راجع P. Mich.-Zenon 9; P. Eleph. 21, 24, 17, 16.

المبالغ فى «مصرف» «اهناسية المدينة» (أى مصرف المقاطعة) ، واذا طلب منى بعض مصاريف فانه يجب على أن أدفعها فى الحال ، وأن أقدم حسابا الى كليتارك من المبالغ المدفوعة ، وكذلك عن الرصيد وعن المستحق وان اقدم ايصالات عن كل ما صرفته فاذا وجد أننى مدين بشىء ما عند تقديم الحساب فانى ساكون ملتزما دفعه للمصرف الملكى فى مـدة خمسة ايام . وسيكون لكليتارك الحق فى تنفيذ الحكم على شخصى وعلى ممتلكاتى. وأقسم بأنى لن أبدد شيئا من هذه الممتلكات ، واذا خالفت ذلك فان الاتفاق الحالى سيكون حربا على . واقسم بأنى لن أخفى شـيئا من «كليتارك» ولا عن وكلائه ، وان ابقى خارج اى معبد أو مذبح أو حرم مقدس ولن التجىء لأى حماية . واذا حافظت على قسمى فمن صالحى ، واذا حنثت فى يمينى فأنى اكون قد ارتكبت اثما . والواقع ان «كليتارك» ، هذا كان المدير العام لمصرف (Koites) فى نهاية عهد «ايرجيتيس الأول» وهو معروف لنا من اضمامة بردى عثر عليها فى الحيبة (١) اما «اسكليبيادس» رئيسه الذى جاء ذكره فى نفس لاضمامة فيظهر انه كان فى وقت واحد السـكرتير المالى والمدير العام لمصرف مركز «كويتيس» Koites . وهذه الاوراق ترينا بالضبط ان «كليتارك» هو الذى كان ينفذ فى المصرف الذى تحت ادارته كل العمليات التى وعـد «سمتوس» Senmeus نائبه بالقيام بها .

ووكلاء خزانات الملك لم يكونوا ملتزمين ، وعلى ذلك يتساءل الانسان عن الفائدة التى كانوا يجنونها فى الواقع من مثل هذه الادارة ؟ ولا نزاع فى ان «سمتوس» الذى نتحدث عنه كان موظفا من موظفى المالية، ولكنه كان موظفا مسؤلا ، قد كان محصلا فى المصرف وكان عرضة لان ينفذ على شخصه أو على ممتلكاته اى حكم عند ظهور عجز فيما عهد اليه. هذا وكان التعهد باليمين على أية حال يقويه تعهد برهن أخذ على نفسه ان يقدمه عند أى طلب (٢) .

---

(١) راجع P. Hibeh, 66-70 (b) & 160-3.

(٢) راجع P. Gradenwitz, 3.

ومهما يكن من أمر فان ادارة هذه الخزانات كان يراقبها السكرتير المالى وهاك ما يقول فى أعلام ورقة من أوراق تبتنيس (١) . راجع حسابات الايرادات فى كل قرية اذا أمكن — وهذا على ما يظهر ليس بالامر المستحيل اذ كنت مخاصا للاعمال — والا ففى كل مركز ، ثم صوب مراجعتك فيما يخص الدخل النقدى على المبالغ الوحيدة التى أودعت فى المصارف ، وفيما يخص الايرادات التى دفعت قمحا أو ثمارا دهنية على الدفعات التى وردها مديرو مخازن القمح ، واذا كان هناك بعض عجز فعليك أن تجبر حكام المراكز والملتزمين بالايرادات على أن يدفعوها فى المصرف . أما عن العجز فى القمح فعليهم أن يدفعوه بالثمن المحدد وعن المواد الدهنية بثمن الزيت الذى كان يجب أن تباع به المواد الدهنية وذلك بالسعر المحدد لكل نوع من الزيت » . ومن ثم نرى أن مخازن الغلال العامة والمصارف كانت مراقبة بنفس الطريقة وبنفس الموظف . وقد يلحظ الانسان أن المسئولية المالية الواقعة على عاتق مدير المصرف وهى التى اعترف بها «سمنوس» لم يأت ذكرها هنا .

والواقع أن هذه المسئولية قد جاء ذكرها فى أوراق أخرى وذلك أن اليمين الذى جاء فى ورقة «تبتنيس» السالفة الذكر واليمين الذى ذكره فى ورقة أخرى (٢) هما من عهد واحد ويظن المؤرخ «روستوفتزف» الذى علق على هذه الورقة السابقة ان مطاردة مديرى المصارف المسئولين لا تدين السكرتير المالى فى شىء . والواقع أن ورقة تبتنيس رقم ٧٠٣ ليست الا ملخصا لواجبات السكرتير المالى . وعلى ذلك لا يجب أن نستنبط شيئا من هذا السكوت عن مسئولية السكرتير المالى ؛ ولكن من الممكن أن المطاردات كانت رسالة الموظفين المكلفين خاصة بجميع المبالغ المتخلفة .

وأخيرا لدينا وثيقة ترجع الى القرن الثالث تدل على أن السكرتير المالى

(١) راجع P. Tebt. 703 II, 117-134.

(٢) راجع P. Gradenwitz 4.

هو الشخص الذى يلى الوزير بعد الوكيل العام فى شـئون المقاطعة المالية، وذلك لأن موظفى الخزانة كانوا يعينون عن طريقه ، ولدينا خطاب توصـية ورد فى سجلات «زينون» يثبت ذلك (١) .

وقد اتضح من قوانين الايرادات أن الارصدة الفعلية من الايرادات التى دخلت الخزانة الملكية قد وكل أمرها لمديرى لمصارف الذين أجروا من الملك الحق المطلق لاستثمارها .

وكان مجمل المبلغ الذى تملكه المؤسسة يمثل الربح لصافى الذى يجنيه الملك من محصول ايراداته .

ولم يكن عمل رؤساء المصارف قاصرا على أموال الملك فى التعـامل بل كانوا يستغلون رءوس الأموال التى كان يودعها أفراد الرعية . فمن ذلك أن الوزير «ابوللونيوس» كان له حساب فى عدة مصارف فى القرى . والظاهر أن هذه الأموال لم تكن تستعمل بالربا .

وكانت الودائع فى المصارف تزداد بايداع دفعات متتالية ، فقد وجدت بعض ايصالات تدل على توريد مبالغ مضافة الى الرصـيد الأصلى . وهاك مذكرة بايداع نقود لحساب الوزير ابوللونيوس جاء فيها : « تسلم المبلغ المذكور أدناه وقيد لحساب «ابوللونيوس» ... » . وكان مديرو المصارف يقومون لعملائهم بعمليات مختلفة . والواقع أن الصـيغة التى ذكرناها هنا تظهر أنه كان فى الامكان اضافة مبالغ لحساب شخص ثالث ، وذلك بأمر من صاحب الرصيد . ولدينـا عدة برديات تبرهن على ذلك ، وذلك أن وكلاء «زينون» و«ابوللونيوس» الذين كانوا يقومون بأسـفار لبيع محاصـيل الضيعة وشراء السلع التى كانوا يبيعـونها فى أماكن أخرى ، كان لابد أن يجدوا لتيسير أمورهم فى محاط تنقلاتهم مصارف يمكنهم أن يودعوا فيهـا

---

(١) راجع P. Cairo-Zenon 59342. (Cf. Wilcken Archiv. (1930) P. 231.

أو يسحبوا نقودا منها (١) .

من ذلك نفهم وجود مراسلات بين مديرى المصارف مما يجعل عمليات التعامل فى نقل النقود عملية واحدة لرصيد شخص بعينه .

والواقع أن عدد الدفعات التى أجريت بوساطة المصارف بهذه الصورة بين رجال الأعمال الذين التفوا حول «أبوللونيوس» كانت كثيرة فكانت المرتبات تصرف بشيكات، وكذلك تعطى وكلاء التجار شيكات لمدهم بالمال، كما كانت تدفع حسابات مقاولين عدة من الذين يعملون فى الضيعة بالشيكات، وتحول مبالغ من حساب شخص لآخر بشيكات ، غير أنه ليس لدينا أمثلة مؤكدة فى هذا الصدد . ومع ذلك فانه كان لابد أن «ابوللونيوس» عندما كان يدفع بعض الضرائب المستحقة على ضيعته للملك قد اتبع طريقة التحويل . وعلى أية حال فان هذه الطريقة لم تكن معروفة فى العالم الاغريقى خلال القرن الرابع ق.م كما لم تكن معروفة فى مصر فى العهد البطلمى ، ومع ذلك فانه ليس لدينا ما يدعو لعدم استعمالها فى حسابات أبوللونيوس المختلفة .

والمصارف الملكية التى وصفناها حتى الآن تعد مؤسسات ايداع ولكنها كانت كذلك تقرض النقود اذ توجد فقرة فى « قوانين الايرادات » توحى بشروط بمقتضاها كانت المصارف الملكية تقرض المال والواقع أن أصحاب المصارف كانوا يقرضون نقودا مقابل رهونات (٢)

وكذلك كانت تعطى قروضا على رهن عقارى . حقا أن الوثيقة الوحيدة التى تبرهن على الرهن العقارى كانت لصالح عميل من عملاء صاحب المصرف (٣) . ومن ثم نفهم أنه لم تكن نقود الملك هى التى يقرضها مدير

(١) راجع P. PSI., 333, 324 & 325; P. Lond, Inv. 2093; P. Mich. Zenon 32. P. Col.-Zenon 43.

(٢) راجع P. Cairo-Zenon 59327, 1, 95.

(٣) راجع P. Cairo-Zenon 59327, 1. 95; P. Enteuxeis 38; P.S. 512; P. Tebt. 890, 1. 130 (Second Century B.C.

المصرف الملكي .

وتصريف عمليات المصارف بهذه الصورة تفسر لنا النشاط الاقتصادي حيث كانت تستخدم واردات الملك وهي محصول العمل في مصر ، وكذلك رءوس الأموال التي كان يدعها الاغريق على قيمة العمل المصري

وكانت أعمال المصارف هذه تجري بوجه خاص بين السكان الاغريق ، ولكن الصانع المصري كان له كذلك حسابه في المصرف ، ولا نزاع في أن مصرف الايداع كان أداة لا يمكن الاستغناء عنها لتجارة نشطة . بل هو في الواقع المنشيء للحياة التجارية . ومما تجدر الاشارة اليه هنا أن رجال المصارف في القرن الثالث الذين ظهرت أسماؤهم غالبا في أوراق «زينون» وأوراق «بترى» وأوراق «ليل» وفي خلاصات الملح (١). وحتى في الاستراكا وفي تسجيلات المصارف التي من القرن الثاني ق.م. في اقليم طيبة اننا نجد كل أصحاب هذه الوثائق كانوا يحملون أسماء اغريقية . حقا نوجد أسماء كتبة مصريين وكذلك بعض موظفين يعملون في المصارف مثل «سمتوس» (راجع P. Gradenwitz 4.) كانوا على الأقل من أصل مصري ولكن نجد أن «بيثون» في «أرسنوى» (الفيوم) و «ستراتوكليس» (Stratokles) في «ديوسبوليس» الوجه البحري و «برومتيون» (Prometheon) في «منديس» (تل الربع الحالية) و «بوزيديوس» (Posidonios) في «منف» و «أرتميدوروس» (Artemidoros) وعشرين غير هؤلاء كانوا رجال أعمال من أصل اغريقي يعاملون اغريقا مثلهم ، والظاهر أن طرقهم في المعاملة كانت لاتختلف عن طرق رجال المصارف الاغريق في القرن الرابع ق.م.

ولأجل أن نقدر أهمية المصرف المصري كان لابد من معرفة عنصر هام وهو مقدار الأعمال التي كان يقوم بها والواقع أنه ليس لدينا أية فكرة عن مقدار المبالغ التي كان يتصرف فيها فرد مثل «بثون» أو المبالغ التي كانت

(1) Peremans, Vreemdelingen en Egyptenaren in Vroegypto-lemaeish Egypt, Louvian (1937). PP. 49-53.

تعامل فيها مصارف «الاسكندرية» .

هذا وكانت نسبة العمليات المالية التى تجرى لحساب الملك كما وجدت فى الوثائق الخاصة بالقرى تؤلف الجزء الأكبر من حيث النقد ، وذلك لأن الفلاح المصرى كان لا يظهر فى المصارف الا عندما كان يأتى اليها لدفع مبالغ لحساب الملك أو ليتسلم مرتبه ؛ ولكن من جهة أخرى نجد أن الصانع أو التاجر المصرى أو الاغريقى كان يحتاج الى خدمات المصرف الذى كان يصفى له كل أعماله .والواقع أن المصرف الاغريقى كان متأصلا فى حياة المجتمع المصرى. ومع ذلك فان ما كان يؤديه المصرف من خدمة للمواطنين المصريين لم تكن الا عملية مربحة تنحصر فى دفع مبالغهم التى كانت كل فائدتها تعود على الملك وحده ، ومن ثم نجد أن الأوضاع الاغريقية التى أدخلت فى مصر لم تغير من حياة الفلاح المصرى ، ومن أجل ذلك نفهم لماذا كانت تعود الحياة المصرية الى ماكانت عليه عندما كان يضعف سلطان الملك فى البلاد . هذا واذا كان لدينا معلومات عن مصارف الاسكندرية التى كانت لا تعتبر جزءا من مصر لأمكننا دون شك أن نرى ونقدر اقتصادا مختلفا حيث كانت الاعمال الحرة فى بلد حرة هى صاحبة السيادة .

ومع ذلك فان الشعب المصرى لم يفقد كل شخصيته من هذه الناحية فى أمور أخرى ، فقد كانت هناك وحدات اقتصادية قائمة بذاتها منذ أقدم العهود وأعنى بذلك الشعائر الدينية التى كان يمدها الملك بالمال والآلهة المصريين الذين كانوا يملكون الحدائق والكروم الشاسعة التى كان دخلها من النقد ينفق منها على خدمتهم ، وجماعات الكهنة الذين كانوا يتمتعون بمعاشات ملكية ، والمعابد التى كانت تنظم مراكز صناعة مزدهرة ، كل هذه الوحدات كان مثلها كمثل المعابد القديمة تعتبر مؤسسات تملك أموالا هامة . وهذا أمر لا نزاع فيه لأن الامتيازات كانت من الأشياء الموروثة عن مصر الفرعونية وظلت باقية مستمرة فى عهد البطالمة الذين كانوا يعملون جهدهم فى اكتساب

حب رجال الدين الى جانبهم وأهم وثيقة تحدثنا عن مبلغ سلطان رجال الدين ومقدار نفوذهم وامتيازاتهم فى عهد الفراعنة هى ورقة « هاريس » الكبرى التى خلفها لنا رعمسيس الثالث . ففى هذه الوثيقة نجد شرحا مستفيضا عن مكانة رجال الدين والآلهة فى العهد الفرعونى. وقد أسهبنا القول فىمحتويات هذه البردية وبخاصة أن كل التراجم التى وضعت لها قد اخطـأها التوفيق بصورة مشينة مما قلب الأوضاع رأسا على عقب (راجع مصر القديمة الجزء السابع من صفحة٣٣٧ — ٤٩٤) . وسنتحدث فيما بعد عن الحياة المصرية فى عهد البطالمة الأول بما لدينا من وثائق ديموطيقية من عهدى بطليموس الأول والثانى .

وعلى أية حال لابد أن نميز وجود عهدين فى تاريخ اقتصاد المعابد المصرية فى عهد البطالمة فالعهد الأول يمتد حتى ظهور منشور «حجر رشيد» حيث كانت ممتلكات المعابد على ما يظهر تديرها الحكومة بقوة وحزم ، والعهـد الثانى وهو الذى أعقب الأول وأصبحت فيه المعـابد ثانية بفضل الهبـات والمصانع والاعفاء من الضرائب ، وحدات سياسية واقتصادية . ففى العهد الأول كان النشاط الاقتصادى فى المعابد نشاطا ملكيا . ولدينا ما يبرهن على أنه كان للملك فى حرم هذه المعابد خزانة للايراد والمصروفات ، وأن نقـود الآلهـة قد أودعت فى مصارف للقرض كما كانت تقـرض نقـــود الملك لاستثمارها (١) . هذا ومن الجائز أن المعابد قد حصلت على بعض امتيازات فى هذا الصدد منذ القرن الثالث ، غير أنه ليس لدينا وثائق تشير الى ذلك .

وعندما تخلى الملك عن حقوق ادارة ثروة المعابد أصبح من البدهى أنهذه المعابد قد شرعت فى القيام بأعمال مالية لاستثمار عقاراتهم ومحاصيلهم ؛ ومن

---

(١) راجع P. Eleph. 10 = Wilcken Chrestomathie. No. 182 (223-232); U.P.Z. 149, 1. 30 (time of Philopator); Wilcken Archiv. 5, 1913, PP. 211 Sqq.

الجائز أنهم كانوا يقرضون أموالهم للملك (١) وسنتحدث عن ذلك فى حينه

هذا وقد كانت للمصارف أوجه نشاط اخرى لا نعرف عنه الا القليل وأعنى بذلك الرصيد الدولى . ولابد أن ذلك كان معمولا به فى الاسكندرية بوجه خاص لأنها كانت بلدا حرا ، غير أنه مما يؤسف له أن الوثائق التى وصلت الينا من هذه المدينة فى هذا الصدد نادرة . وهاك مع ذلك عملية تسليف دولية حفظت لنا فى احدى أوراق «زينون» (٢) . وتتلخص فى أن مدينة «هليكارناسوس» التى كانت تعتبر جزءا من امبراطورية بطليموس الثانى قدأجبرها الملك على مده بسفينةووكل تنفيذ هذا الامرلرجل يدعى «كزانتيب» (Xanthippe) ولما لم يكن لديه المال اللازم لتنفيذ أمر الملك فان «أبوللونيوس؟ الذى كان على ما يظهر يقوم بوظيفة السكرتير المالى للملك فى «هلكارناسوس» قد أقرضه مبلغ ألفى درخمة من خزانة المدينة خصما على المتحصل من ضريبة الطب ؛ على أن يعاد هذا المبلغ يدا بيد لشخص يدعى «مديوس» (Medios)

ومن جهة أخرى كلف «ابوللونيوس» مدير المصرف المسمى «سوبوليس» Sopolis الذى دفعت له خزانات مدينة « هليكارناسوس » المبلغ المتحصل من ضريبة Stephanos وهى المستحقة للملك على أ نيدفع على حساب هذه الوظيفة الى «كزانتيب» مبلغ ثلاثة آلاف درخمة . وقد ضمن الوزير « أبوللونيوس » كزانتيب هذا ودفع له هذا المبلغ ، ومن ثم كان على «كزانتيب» أن يعترف بدفع مبلغ ثلاثة الآلاف درخمة فى الاسكندرية .

ومن هذا التتابع فى العمليات نفهم أن المبالغ التى كان يستحقها الملك من مدينة « هليكارناسوس » قد أودعت فى المصرف ، وأن هذه الأموال كان يمكن أن تستعمل فى عمليات مالية ، وأن سلفيات هامة كانت تعمل بمال

(١) راجع P Tebt. 6, 140 ff.

(٢) راجع P. Cairo-Zenon 59036 = P. Edgar 67.

الملك الذى كان يعتبر صاحب رأس مال ضخم ، وأن النقل الفعلى للنقد الى ما وراء البحار قد تجنب ، وذلك لأن المال المقترض كان قد استعمل فى مكانه فى «هليكارناسوس» لاعداد سفينة ، وانه كان سيدفع ثانية فى الاسكندرية للوزير «ابوللونيوس» ممثل الملك ودائن المقترض وهو مدينة «هليكارناسوس» . هذا ولا نرى أن هذه السلفيات كانت مربحة ، ولكن من المحتمل أنها كانت تأتى بأرباح غير مباشرة .

هذا وتدل شواهد الأحوال على آن البطالمة كانوا يربطون برباط وثيق بين السياسة والشئون العامة . وهذا أمر عام فى كل العالم ، فمن الممكن مثلا أن سلفية تمنح فى مناسبة طيبة قد تكون سببا فى أن تجذب محبة الشعب نحو الملك وهذا نفس ما فطن له وعمل به «بطليموس سوتر» عندما أقرض الكهنةالمصريين مبلغ خمسين درخمة لتجهيز حفل دفن العجل أبيس (١) . وقد قدمها لهم دون فائدة والظاهر أنه لم يستردها . وهذه لفتة تدل على حكمة وبعد نظر من جانب بطليموس الذى كان يرى أنه فى حاجة الى محبة المصريين .

ومن جهة أخرى نجد أن البطالمة الأول كانوا على استعداد لقرض سلفيات للممالك الأجنبية . فقد طلب القرطاجنيون الى بطليموس الثانى أن يقرضهم ألفى تلنتا .(٢) واذا كان بطلميوس الثانى قد رفض اقراضهم هذا المبلغ فى نهاية الامر فان ذلك لم يكن بسبب أن هذا الطلب فى غير موضعه ، بل لأنه لم يكن يريد أن يغضب الرومان الذين بدأوا يلعبون دورا هاما فى السياسة العالمية وقتئذ . وكانوا فى الوقت نفسه أكبر مناهضين للقرطاجنيين .

---

(١) راجع (Diod, I, 84, 8).

(٢) راجع Arch. Pap. IX (1930). P. 233 f.

موارد الضرائب الأخرى التى لم يشدد عليها الاحتكار الخانق بصورة سية :

(١) النسيج : كان النسيج من أهم موارد الايرادات للدولة فى عهد البطالمة وقد عنى «بطليموس الثانى» بأمر هذه الصناعة فقد ذكرها فى بردية «قوانين الايرادات» ولكن مما يأسف له أن الفقرة التى جاء فيها ذكر هذه الصناعة وجدت ممزقة .

وصناعة النسيج صناعة قديمة فى مصر ترجع الى أقدم العهود . وكان النبات الوحيد الذى استعملت أليافه فى صناعة النسيج طوال عهد الفراعنة هو الكتان ، وتقول الأساطير أن «أوزير» آله الموتى كان أول من كفن فى نسيج الكتان بعد انتقاله الى عالم الآخرة . وتدل بقايا النسيج الذى عثر عليه منذ عصر «البدارى» على ان صناعة النسيج الكتانى كانت منتشرة فى مصر منذ أقدم عهودها وبخاصة عندما نعلم أن الأستاذ «ينكر» عثر فى مقابر «مرمده» (بنى سلامة) على قطع من غزل الكتان أقدم عمرا من التى وجدت فى «البدارى» (١) وكذلك عثر على قطع نسيج من العهد الحجرى فى منطقة الفيوم (٢) .

لا نزاع اذا فى أن الغزل والنسيج كانا من أقدم الحرف فى مصر القديمة ، ولكن تمثيل هذه الصناعات لم يعثر عليه بصورة جلية الا فى عهد الأسرة الثانية عشرة المصرية فى مقابر «بنى حسن» حيث مثلت الأدوار التى تمر بالنبات بعد نضجه من تعطين ودق وتمشيط وغزل ونسج. هذا الى أنه كشف عن نماذج لنساء يشتغلن بالغزل والنسيج فى مقابر الأسرة الحادية عشرة فى طيبة وهذه النماذج محفوظة الآن فى متحف القاهرة (٣) .

---

(١) راجع Badarian Civilisation. Brunton. P. 46-7.

(٢) راجع Caton Thompson, The Neolithic Industry of the N. Fayum Desert, in Journal of Anth. Inst. LVI (1926). P. 315.

(٣) راجع H.E. Winlock, The Egyptian Exp. 1918-1920. In Bull. Met. Mus. of Art, New York, 1920. P. 22.

والواقع أن النماذج التى وجدت فى مقبرة «مكت رع» التى عثر عليهـا «ونلك» فى جبانة طيبة من عهد الأسرة الحادية عشرة تعد الأولى من نوعها قبل المناظر التى وجدت فى مقابر بنى حسن . وقد ظهرت هـذه النماذج فى كتاب حديث أصدره الأستاذ «ونلك» وشرح فيه الخطوات التى اتخـذت لاعداد النسيج فى صورته النهائية (١) .

وتدل البذور الكثيرة التى عثر عليها فى المقابر المصرية على أنه كان هناك نوع خاص من الكتان يختلف عن النوع الذى يزرع فى البلاد (٢) الآن . وقد تكلم مؤرخو الاغريق عن نسيج الكتان المصرى ودقه وصنعه وبخاصة عن نوع منه دقيق جدا حتى أنهم قالوا أنه نسج بالهواء ، ويطلق عليـه اسم «بيسوس» Byssus, (٣) . ويعتقد الأثرى «لوريه» أن هذه اللفظة تقابل فى الهيروغليفية الكلمة القديمة «نيسوت» أى الملكى للدلالة على انه أفخر نوع من نسيج الكتان (٤) . وقد استمرت هذه الصناعة حتى العهد الهيلانستيكى حيث نجـد أن البطالمة كانوا يهتمون بها بل كانوا يحتكرون صناعتها الى حد ما (راجع عن صناعة النسيج واحتكاره) (٥) .

والواقع أن ايرادات النسـيج كان مثلهـا كمثـل ايرادات الزيت تؤجر للملتزمين ويشرف على تحصيلها السكرتير المالى للمقاطعة ومندوبوه ، أما المواد التى كانت تستعمل للنسيج فهى الكتان والصوف والقنب .

وكان وزير المالية يصدر قرارا سنويا يحدد فيه مقدار المساحات التى كان لابد من بذرها بالكتان . وقد علمنا ذلك من شكوى وصلت الينـا مؤرخة

---

(١) راجع Winiock Models of Daily Life in Ancient Egypt, From the Tomb of Meket-Re at Thebes. P. 29-33, Pls. 25-28.

(٢) راجع Bull. Inst. Egypte, 1884. (P. 5)

(٣) راجع Decret de Canope, Ligne 17.

(٤) راجع Loret, l'Egypte au temps des Pharaons. P. 178,

(٥) راجع Heichelheim Pauly-Wissowa, Real Enc. Coll. 175-181; Wilcken Grundzüge, pp. 245-246.

بنهـاية القرن الثالث ق.م ، غير أنه مما يؤسف له أنه عثر عليها ممزقة (١) ويتلخص ماجاء فيها ان ماتزماسيىء الطالع وصفلنا فىهذه البردية أن ادارة مزارع كتان واسعة قد تعهدها هو خلال فصول عدة . ويذكر لنا بعد ذلك هذا الملتزم بوجه خاص أن الوزير قد أصدر أمرا بأن يبذر العـــام التاسع بعناية واخلاص ما مساحته ألف وخمسمائة وخمسون أرورا كتانا اضافية ، وأنه اذا لم يكن لدى الفلاحين بذور فيقـرضون ثمنها ولا نزاع فى أن مثل هذا الأمر يؤكد وجود عجز فى زراعة الكتان يرجع عهده الى القرن الثالث(٢)

وفى هذا المصدر نجد أن الكتان قد اعتمد من بين النباتات التى فرضت زراعتها والرقابة عليها وتدل شواهد الأحـوال على أن توزيع البـذور أو القرض لشرائها قد وكل أمرهما لحكام المقاطعات أو المراكز المسـئولين أمام الملك والملتزم المسئول عن توريد دخل المحاصـيل فى الحال . هـذا وكان السكرتير المالى موكلا بالاشراف على جمعها (٣) « والظاهر أن تحديد زراعة المساحات المخصصة للكتان لم تكناجبارية كما أن زراعة الكتان لم تكن قاصرة على أراضى الملكية وحسب .

---

(١) راجع P. Tebt. 769 (237-6 or 212-11.

(٢) راجع S.B. 4369 a. I. 40 ; Cf. Petrie III. 75.

Rev. Laws, Col. 87.

صناعة النسيج

وتدل ظواهر الأحوال على أن صناعة النسيج كانت مسألة عويصة أكثر تعقيدا من صناعة الزيت ، يضاف الى ذلك أنها كانت من الصناعات التى امتازت بها مصر القديمة كما أشرنا الى ذلك الآن .

صناعة الصوف

وتاتى بعد صناعة الكتان فى الأهمية صناعة المنسوجات الصوفية ، وأخيرا منسوجات أخرى كانت تصنع من القنب وبخاصة فى تجهيز معدات السفن . ويجدر بنا عند التحدث عن المنسوجات أن نذكر المقادير الضخمة من الغزل التى كانت تصنع فى البيوت المصرية الخاصة ، وكذلك التقدم العظيم الذى وصلت اليه صناعة النسيج فى المعابد المصرية . ولا نزاع فى أن «قوانين الايرادات» التى وضعها «بطليموس الثانى» ذكرت المواد الثلاثالتى كانت تستعمل فى النسيج وهى التى ذكرناها فيما سبق ؛ وقد ذكرت تحت عنوان واحد . غير أننا نجد فى التعليمات التى تركها لنا وزير المالية فى ورقة «تبتنيس» (١) أنه لم تذكر الا صناعة الكتان ؛ ومن ثم يجوز أن صناعة المادتين الأخريين وهما الصوف والقنب كانتا منظمتين على نفس النسق الذى كانت تسير عليه صناعة الكتان .

على أن ما لدينا من مصادر يدل على أن ادارة صناعة الكتان كانت معروفة أكثر من غيرها، وعلى أية حال لاتزال توجد بعض نقاط غامضة فىادارة هذه الصناعة . وقد قدمت لنا ورقة «تبتنيس» التى تعد أحسن مصدر لدينا حتى الآن الخطوط العريضة عن نظام هذه الصناعة . ويتضح من فحص محتويات هذه الورقة أن نظام صناعة الكتان يشبه كثيرا نظام صناعة الزيوت النباتية.

---

(١) راجع Tebt, 703.

والظاهر كما ذكرنا آنفا أن صناعة انتاج الكتان لم تكن محددة ، غير أنها مع ذلك كانت تحت مراقبة الحكومة (١) ، وذلك لأن الفلاح كان يورد من المحصول مقدارا معينا للحكومة ، فى حين أن الفائض كان يتصرف فيه المنتج كما شاء . هذا وكان للملك مصانع كتان خاصة لصناعة ما تحتاج اليه الحكومة . ويحتمل كذلك أن ماكان يبيعه أو يصدره للخارج كان لحسابه أيضا . وكانت جهات القطر المصرى تعج بأعداد عظيمة من النساجين المدربين الذين يعملون لحساب الملك ، غير أن السواد الأعظم من بينهم كانوا ينتجون فى بيوتهم ، حيث كانت توجد أنوالهم الخاصة بهم. وكانت تصنع فى كل عام كمية من النسيج والملابس للادارة الحكومية الرئيسية . وهذه الكميات كانت تخصص لكل من المقاطعات وكان العمل يوزع بمقتضى هذا النظام فى كل من المدن والقرى التى تحتويها المقاطعة . وكانت الأخيرة توزع بدورها أنصبتها بين أفراد النساجين . وكانت الحكومة تبرم عقودا مع هؤلاء النساجين فيتسلم كل وحد نصيبه المفروض عليه نسجه أو الذى كلف بعمله ملابس من التى ميز نوعها بدقة . ويلحظ أن بعضها كان يحلى أحيانا بالتطريز . أما ما كان يلزم هذه المنسوجات من خيوط وترات لغسلها فكانت الحكومة على مايظهر توردە للنساجين . وعلى الرغم من أن المصادر البطلمية لم تذكر لنا من الذين كانوا يغزلون هذه الخيوط فان المنطق والقياس يحتمان علينا القول أنها كانت تغزل فى البيوت ، كما كانت الحال فى مصر القديمة كما أشرنا الى ذلك من قبل ، وكما كانت الحال فى مصر الحديثة حتى عهد قريب جدا ، بل ولا زلنا نرى هذه الصناعة فى بعض القرى التى لم تدخلها المدنية بصورة ظاهرة فى عصرنا الحالى .

وبعد توريد النسيج والملابس على الوجه المطلوب كان يفحصها السكرتير المالى بكل دقة وعناية وكانت تدفع للنساجين أجورهم على حسب التعريفة

(١) راجع Tebt, 769.

الموضوعة لذلك . واذااتفق حدوث نقص فى الكمية أو النوع المتفق عليه فكان يغرم النساجون بالفرق على حسب التعريفة التى على ما يظهر كانت كالسابقة . أما فيما يتعلق بالأنوال التى كانت لا تدار فكانت تؤخذ من النساجين وتحفظ فى مخازن عاصمة المقاطعة خوفا من تشغيلها خلسة .

أما عن بيع المنسوجات فليس لدينا الا بيانات ضئيلة جدا ؛ ولم تحدثنا ورقة «تبتنيس» (١) بشىء عنه ، فى حين أن ماوصل الينا من وثائق أخرى يتضارب مع بعضه بعضا والظاهر أن النسيج والملابس التى كانت تصنعها المصانع الملكية أو التى كانت تنسج للملك فى مصانع خاصة كان الغرض منها هو أن تسد قبل كل شىء حاجة الملك الخاصة ، وكذلك ما يلزم لأفراد بيته وحاشيته وهؤلاء كانوا عديدين . ومن الجائز أن بعض المنسوجات الدقيقة الصنع كانت تباع لتجار أجانب غير أننا لا نعرف مقدار ما كان يوز ع منها على السوق المصرى ، كمالا نعرف الشروط التى كانت توزع على حسبها . هذا وليس لدينا أى بيان عن التحفظات التى كانت تفرض على الانتاج المحلى وعلى المصانع الحرة . أما المعابد فكانت لا تزال تنتج على ما يظهر على نطاق واسع الكتان الجميل المسمى بيسوس (Byssus) منذ أقدم عهود التاريخ المصرى ، وكان جزء منه يورد للملك الذى كان يشدد بدرجة عظيمة فى توريد طلباته كاملة من حيث النوع والكمية . وكان نساجو المعبد مثلهم كمثل نساجى الملك يدفعون غرامة عن مقدار النسيج الذى يعجزون عن توريده، كما كان عليهم أن يدفعوا غرامات خاصة عن النسيج الجميل الذى لم يكن قد نسج على حسب الحجم والنوع المطلوبين . ومن الجائز أن بعض النساجين الأحرار كان لديهم تصريح أو رخصة لانتاج المنسوجات اللازمة للسوق الحرة ، وهذا التصريح كان على ما يظهر تدفع عليه ضريبة . هذا ولا نعلم حتى الآن اذا كانت مثل هذه

(١) راجع وضوع مذالا Tebt, 703.

المنسوجات تباع بثمن محدد وضعته الحكومة أو بثمن وضعه تجار مرخص لهم من قبل الحكومة . أما المعابد فكان لها الحق على وجه التأكيد فى بيع نسيج كتانها لتجار أجانب . ولدينا نقش نعلم منه أن تاجر عربيا — كان فى الوقت نفسه كاهنا لمعبد مصرى قد — قد استورد بعض العطور من بلاد العرب وصدر مقابلها كتان بيسوس من المعبد الذى يعمل فيه (١) .

ومما يؤسف له أن معلوماتنا عن صناعة النسيج المصنوع من الصوف أقل من معلوماتنا عن صناعة الكتان . وكان على ملوك البطالمة أن يعتنوا اعتناءا كبيرا بتنميتها . فقد كانت الملابس الصوفية والأبسطة والسجاجيد والمراتب تستعمل كثيرا فى مصر وبخاصة عند الاغريق ؛ وذلك لأن المصريين كانوا يرتدون الملابس المصنوعة من الكتان ويستعملون الحصر المصنوعة من البوص وخوص النخل ومن مواد أخرى . ولما استوطن الاغريق مصر كانوا قد أحضروا معهم عادة صنع ملابسهم وملابس أسرهم بأيدى زوجاتهم وخادماتهم . هذا ويذكر كل فرد وصف « تيوكريتيس » لربة البيت الاسكندرى ، فقد كانت تتميز من الغيظ من زوجها بسبب شرائه صوفا من نوع رخيص له من السوق . والظاهر من ذلك أن البطالمة على ما يظن لم يضعوا تحفظات بعيدة المدى على تجارة الصوف أو على الانتاج المحلى من النسيج والملابس والصوفية ، ويجوز أنه كانت لهم مصانعهم الخاصة للصوف فى الاسكندرية وأماكن أخرى فى مصر . ولدينا برهان على ذلك فى الاسكندرية فى خلال القرن الأول ق.م(٢) ولا يحتمل ان البطالمة قد انشأوا أى شىء يشبه الاحتكار الملكى لنسيج الصوف وتجارته ، ومما لا شك فيه أنه كانت هناك بعض لوازم للحكومة من الصوف ، كتوريد نوع خاص من نسيج الصوف الذى يعرف « بالسورى» وكان مستعملا كثيرا فى الجيش ، فقد كان ينسج اجبارا بأيدى صناع اخصائيين قد نظموا بنفس الطريقة التى نظمت بها صناعة الملابس الكتانية ، غير أن هذا كان اجراء استثنائيا .

(١) راجع Rost. S. Econ. P. 388.
(٢) راجع Ibid. P. 307.

ولدينا وثائق عدة تحدثنا عن تجارة الصوف بعبارات تدل على أنها كانت تجارة حــرة ؛ فمثلا نعــلم من مراســلات «زينون» أن ســـيده الوزير «ابوللونيوس» كان له مصانع فى مدينة « منف » ويحتمل كذلك فى بلدة «فيلادلفيا» وكان يصنع فيهما الصوف بكميات كبيرة . ونعلم أن المصــانع فيهما كانت تعمل لسد حاجات أولئك الذين كان يستخدمهم «ابوللونيوس» فى ضيعته وللسوق أيضا . ولا نظن أن حالة «ابوللونيوس» هذه كانت حالة فردية ، اذ لدينا وثائق عدة تتحدث عن النسيج ويحتمل أن معظمه ملابس من الصوف كان يبيعها لخلق مختلفين ، وعلى وجه عام يظهر من المحتمــل أن صناعة الصوف كانت منظمة بنفس الطريقة العامة التى كانت متبعــة فى الكتان مع الفارق أن التحفظات التى كانت تتبع فى صناعتها أقل .

ولا يفوتنا أن نذكر هنا أن الصوف كان ينتج فى مصر نفسها ، وذلك لأن «ابوللونيوس» كان يستورد الغنم من آسيا الصغرى ويأقلمها بجو «الفيوم» على يد رعاة أحضروا معها خصيصا (١) ، وسنتحدث عن ذلك فيما بعد .

وعلى أية حال كان البطالمة يبذلون مجهودا لانتاج صوف يعادل فى جودته الصوف الذى كان ينتج فى بلاد الاغريق و«آسياالصغرى» و«بلادالعرب» ، وأسهل طريق للوصول الى ذلك كان باستيراد غنم أجنبية وأقلمتها فى مصر. وقد كان للوزير «ابوللونيوس» اليد الطولى فى مساعدة «بطليموس الثانى» فى تنمية هذا المورد من الثروة فقد كان « ابوللونيوس » هذا يملك قطيعــا مدهشا من غنم «ميليتوس» . وقد جاء ذكره كثيرا فى أوراق «زينون» (٢) وقد كتب «ابوللونيوس» الى «زينون» و«باناكستر» خطابا مؤرخا بعــام ٢٥٤ ق.م (٣) وهذا الخطاب له أهمية خاصة وذلك لأن «ابوللونيوس» كان قد أرسل راعيا مدربا يدعى «مارون» الى «فيلادلفيا» لأجل أن يقوم على رعاية القطيع الميليزى . وكان على «باناكستر» و«زينون» أن يسلما له الغنم

(١) راجع P. Cairo-Zenon, 59430, 59195.
(٢) راجع P. Cairo-Zenon, 59142, 59195, 59430.
(٣) راجع P. Cairo-Zenon, 59195.

وكل الأدوات اللازمة ، وأن يضعا رعاة الغنم وأربعة صبية تحت أوامره . وكان هناك أمل كبير فى أقلمة الغنم الميليــزية ، وذلك لأن مراعى الفيــوم المشبعة بالماء لم تكن تختلف كثيرا عن تلك التى علىشواطىء نهر «مايندر»

هذا وكانت التجربة أكثر نجاحا فى أقلمة الأغنام العربية وذلك لأن الأغنام العربية والرعاة العرب كان يشار اليهم كثيرا فى مراسلات «زينون»وغيرها(١) ومما تجدر ملاحظته أن الموكب العظيم الذى نظمه «بطليموس الثانى» قد وصــفه « كاليكزينوس » (Callixenus) (٢) وكان قد عرض فيه على العــامة أغناما عربيــة و « أثيوبية » و « ايوبية » (Euboean) ؛ وذلك ليبرهن على اظهار المجهودات العظيمة التى كا نيبذلها «بطليموس الثانى» لسد حاجيات رعاياه من الاغريق حتى من صوف الأغنام الذى تعودوا لبسه فى بلادهم .

صناعة الجعة

كان قدماء المصريين يعدون على ما يحتمل أعظم قوم فى العالم يحتســون الجعة . وتدل الاثار الباقية على ان الشعب المصرى كان يشرب الجعة منــذ عصر ما قبل الاسرات . فقد وجد مدفونا مع رجل ما قبل الاسرات وما قبــل التاريخ جرار من الجعة فيها بقايا هذا الشراب . وعلى أية حال لا يمكــن ان نضع تاريخا محددا لبداية استعمال المصرى للجعة . وبعــد ان بدأ المصرى يعرف الكتابة والقراءة وجدنا على كل لوحة قبر صلاة ودعاء يطلب فيها ان يمون المتوفى بأهم مقومات الحياة فى نظره وهى الخبزوالجعة ، وأحياناالنبيذ. هذا ونجد أحيانا قائمة حقيقية بالمواد التى تتألف منها وجبة المتوفى . فكانت الجعة تعد من الزم المواد وأهمها له . وأقدم مصادر ذكرت فيها الجعة قوائم القربان ويرجع عهدها الى حوالى ٥٤٠٠ سنة ق.م أى منذ عصر بناة أهرام

(١) راجع P. Cairo-Zen. 59430, Cf. 59405 & Perhaps 59404; PSI. 429. 17, 377, 14; Hib. 36. 6. 11; Arabian wool, P. Cairo 59287; if. Edgar 107.

(٢) راجع Athen. V, P. 201.

الجيزة وقبله . وتسمى الجعة فى المصرية القديمة « حنكت » ، وكانت تصنع بنقع الخبز المصنوع من الشعير أو الشعير المحمص بعض الشيء فى الماء لمدة يوم ثم ينشر فى الهواء ثم ينقع فى الماء ثانية لمدة خمس ساعات يصفى بعدها ثم يوضع ثانيا فى مكان دافىء حتى يتخمر ثم يوضع عليه نقيع بعض الاعشاب المرة وفى هذا الوقت كانت تؤخذ المادة المرة من الترمس لأن المصريين كانوا لا يعرفون وقتئذ حشيشة الدينار الأصلية .

والمناظر التى كان يرسمها المصريون والتى لا تزال باقية حتى الان على جدران مقابرهم التى عثر عليها منذ زمن قريب ، تدلنا على الطرق المختلفة لصناعة الجعة . وكانت تصنعها عادة النسوة . هذا وكان الملوك والاشراف واثرياء القوم يضعون جعتهم فى منازلهم ، أما رجل الشارع فكان يحتسى جعته فى حوانيت الجعة العامة التى ترجع اقامتها وفتح أبوابها للشعب الى ما يقرب من أربع آلاف سنة مضت ، وكانت تعرف باسم حوانيت الجعة .

وعلى مر الزمن أصبح التعبير أقامة حانوت جعة يعنى حفلة سمر . ولا أدل على ذلك من انه فى عهد رعمسيس الثالث أى حوالى ١١٩٨ ق.م قد اتهم بعض رجال المحكمة العليا للقضاء بأنهم أقاموا حانوت جعة بصحبة بعض السيدات الهينات الفضيلة من حريم القصر الملكى وكن قد اتهمن بالخيانة العظمى فى مؤامرة لاغتيال حياة رعمسيس (١) .

هذا وكان المصرى القديم يحتسى أنواع عدة من الجعة . وقد وصلت الينا قائمة بأنواع الجعة التى كان يعدها الملك «أوناس» (حوالى ٢٦٢٥ ق.م) ضرورية لحياته الآخرة . ولا نزاع فى أنه كان يفرج بها عن نفسه من هموم الحكم ومتاعبه . ومن هذه الانواع الجعة العادية (حنكت) وجعة الصداقة (خنسس) والجعة الفاخرة (سزرت) وجعة زويو . وكلها قد نقشت اسماؤها على جدران قاعة دفنه بهرمه فى «سقارة» . وكانت الجعة السوداء كذلك

(١) راجع مصر القديمة الجزء السابع ص ٥٤٧ — ٥٥٨ .

معروفة فقد جاء اسمها بعد ذلك بالف سنة فى النقوش أى منـــذ ٣٠٠٠ سنة مضت . وتدعى «شدح» وكانت تحلى بعسل النحل ، وهناك نوع آخر يدعى «قده» كان يؤتى به من بلاد تحمل نفس الاسم فى آسيا الصغرى . ولكن على الرغم من ذلك كانت مصر تعد أهم بلد لانتاج الجعة والموطن الاصلى لصناعتها. وكانت الجعة تلعب دورا هاما فى حياة المصرى القديم فقد كانت تستعمل كاحدى وسائل المعاملة (التبادل) ولدينا نقش من عهد الاسرة الخامسة تركه لنا أحد نبلاء القوم دفن فى مقبرة عظيمة بجوار الهرم الاكبر بالجيزة ويقـــول فيه : لقد أقمت قبرى هذا ودفعت أجر اقامته خبزا وجعة ، وعلى أية حال كانت الجعة من أهم دواعى جلب السرور للقوم حتى ان التعبير «شرب الجعة» كان معناه اقامة وليمـــة وقد أخبرنا «هردوت» ان الاعيـــاد التى كانت تقـــام فى «بوبسطة» كان شراب الجعة فيها هو الشراب المفضل .

وقد استمرت الجعة تحتل مكانة الصدارة بين المشروبات المصرية فى عهـــد البطالمة وكانت تصنع من الشعير كالعادة وهناك صنف منها كان يصنع من الجميز (١) .

وكان استغلال مصانع الجعة فى طول البلاد وعرضها فى يد مؤسسات يديرها ملتزمون قائمون على ادارتها . هذا وليس لدينا الا بعض خطابات من قانون بلدة فيلادلفيا وهو الذى نظم حقوق الملتزمين ، غير اننا نجد بين أوراق البردى الاغريقية عناصر تدل على احتكار الملك للجعة . ويوجد أوجه شبه بين احتكار صناعة الزيت وصناعة الجعة . فقد كان صناع الجعة يأخذون على عاتقهم صناعة كمية من الشعير جعة . وهذه الكميـــة كانت توردها لهم مصالح الحكومـــة المختصة بذلك مقابل ثمن معين. ففى القرن الثالث كان السكرتير المالى بمساعدة

---

(١) راجع Reil, Beitrage sur Kenntnis des Gewerbes im Hellenistischen Aegyptens 1913(PP. 164-165; Heichelheim Monopole, Pauly-Wissowa, Real. Enc. Coll. 170-1720; Wilcken Grundzuge, PP. 251-252; Rost, Large Estate. 118-120.

الكاتب الملكى هما اللذان يموقان مصانع الجعة فى المقاطعـــة (١) . كما كان السكرتير المالى هو الشخص المكلف بتوريد مصانع الزيت بالبذور الدهنية .

هذا وكانت توجد مصانع جعة فى القرى التى كانت تعتبر ضياعا . ولدينا خطاب من سجلات «زينون» تكشف محتوياته عن المشاكل التى كانت تنشأ عن الاتجار فى هذه المادة . ففى عام ٣١ من حكم الملك «بطليموس الثانى» كتب «ابوللونيوس» خطابا الى «زينون» جاء فيــه : « لا بد ان تعــلم ان «بياس» قد أجر حانوت الجعة الكائن ببلدة «فيلادلفيا» . وقد أخذ على عاتقه أن يدفع للخزانة على حسب الانتاج اليومى من بيع الجعة من اثنى عشر اردبا من الشعير . فحرر معه عقدا . وبعد حلف اليمين سلمه حانوت الجعة ، وكذلك عين معه محصلا أمينا مراقبا [illegible] أما عن صانع الجعة الحالى فيجب عليه ان يقوم بالتزاماته عن المدة التى كان يدير فيها هذا العمل » . ثم تحدث بعد ذلك بقليل فى نفس السنة قائلا : ان صانع الجعة «أمناس» قد اتهمه صراف الخزينة أو المراقب بانه فاه بكلام يعد جريمة ومن أجل ذلك ارسل «أبوللونيوس» قاضيا خاصا ليستمع للقضية ، فهدد «أمناس» بانه اذا ثبتت عليه التهمة فانه سيساق فى الشوارع وبعد ذلك ينفذ فيه حكم الشنق . والظاهر ان الموضوع كان سياسيا اكثر منه اقتصاديا وسيأتى ذكره فيما بعد .

أما عن «بياس» السالف الذكر فانه على أثر وصوله الى فيلادلفيا ادعى ان اتفاقه مع «ابوللونيوس» كان على أحد عشر اردبا . فكتب زينون فى هـــذا الى الوزير «أبوللونيوس» ، وبعد مضى ثمانية أيام جاء رد الوزير على ذلك مظهرا فيه دهشته وحيرته وقد أخبره الوزير بانه كذب عليه ، ثم قال : « أحجزه حتى أصل ومر بملاحظة حانوته » . وتحليل هذا الموضوع هو ان الملتزم الذى قيد اسمه ضمن جماعة صناع جعة مقاطعة «أرسنوى» قد اتفق مع «أبوللونيوس» على ان يدير حانوت جعة بلدة «فيلادلفيا» بصنع اثنى عشر اردبا من الشعير

(١) راجع P. Lille, 3 II, 49-52.

يوميا جعة . وقدأخذعلى نفسه عهدا بأن يشتريها يوميا من مخازن الدولة . ومن الواضح أنه بصرف النظر عن ضيعة «ايوللونيوس» نجد أن مثل هذه العقود لم تكن تبرم بوساطة الوزير بل بوساطة مدير مؤسسات المقاطعة وهو السكرتير المالى الذى يورد الشعير يوميا لحانوت الجعة وكان العقد يوافق عليه بحرية غير ان الخطابات التى أوردناها هنا تكشف عن الحالة السيئة التى كانت عليها الادارة التى تبيع مثل هذه الامتيازات للملتزمين . فنجد ان «بياس» لاجل ان يحصل على الصفقة وعد بشراء كمية إعلى من التى كان يمكنه ان يصرفها ، ولكنه بمجرد تسلم حانوت الجعة نجده أخذ يتلاعب بالتراجع فى قوله وبدلا من شراء ١٢ اردبا لم يرغب الا فى شراء أحد عشر اردبا على اننا نعرف قبل العثور على هذه الاوراق التى حللناها هنا بأن صانع الجعة وصاحب حانوتها كان فى العادة فردا واحدا فى كل حالة أى أنه هو الذى كان يصنعها ويبيعها ، وذلك لان صناعة الجعة كانت لا تحتاج الى كبير عناء أو الى الات خاصة كما شرحنا ذلك من قبل . هذا ونعلم ان حقوق صناعة الجعة وبيعها لم تكن مباحة لكل فرد . فقد كان على صناع الجعة ان يحصلوا على رخص خاصة بذلك يدفعون عليها رسوما . وهذه الرخص كانت تحرر فى صورة عقد خاص يبرم بين صانع الجعة وهو صاحب الحانوت والملتزمين بصناعة الجعة وموظفى الحكومة . والآن نعلم أكثر من ذلك فنعرف ان صناع الجعة كانوا يتسلمون موادهم الغفل أى الشعير من الحكومة أو من ملتزم صناعة الجعة فى صورة «قرض» كان عليهم ان يصنعوه جعة ويبيعوه . وكان كل مقدار من الشعير يتسلمه صانع الجعة يحدد المبلغ الذى كان عليه ان يدفعه من ايجاره . أما الجعة التى كان يصنعها فكانت تباع كلها فى حانوته . وكان ثمن ما يباع لا يتسلمه هو بل كان يستولى عليه الصراف والمراقب وعلى ذلك فكانا اما مشتركين معه فى الجريمة أو من الد اعدائه . وكانت النقود المتحصلة تدفع لخزانة الدولة وتضاف الى حساب المؤسسة . وبعد خصم ثمن الشعير يعمل

حساب ختامي عام ، وبعد خصم المصروفات كلها منه كان صناع الجعة يتسلمون ما يبقى بوصفه دخلهم الخاص .

ومما هو جدير بالملاحظة هنا ان الملك وبخاصـة «بطليموس الثاني» كان يستغل المنافسة التي كانت تقوم بين الملتزمين عند تقديم عطاءاتهم فيكسب بذلك أعلى الاثمان لايجاره . ولكن لما لم يكن فى مقدور من رسى عليهم العطاء ان يقوموا بالتزاماتهم دفعة واحدة ، فانه كان ينجم عن ذلك سلسلة مشاكل تؤدى الى استيلاء الملك على ما قدمه الملتزمون من ضمانات أو الحبس بسبب الدين للخزانة . وكان أحيانا يستولى على الملتزمين الفزع فكانوا يعملون على التخلص من الوقوع فى الخطأ وذلك بارتكاب الغش والتزوير فى امضاءاتهم أو بالبيع بأثمان أعلى من التسعيرة المفروضة . وفى هذه الحالة كانوا يعرضون انفسهم للمراقبة والمحاكمة . ولا أدل على ذلك مما فعله «بياس» السالف الذكر .

هذا وكان العقد الذى يصحبه اليمين يحتوى فضلا عن ذلك على الرهونات الخاصة به كما هى العادة . ومعلوم أن الجعة غذاء ضرورى ، غير ان استهلاكها كان أقل من استهلاك زيت الاستصباح على وجه التأكيـد . وعلى ذلك كانت فرص المؤسسة قليلة فى الربح . فكل نقص فى عدد السكان وكل تأخير فى دفع المرتبات وكل تخفيض فى عدد سكان القرية كان يؤثر فى دخل حوانيت الجعة . وكذلك نجد فى جانب اولئك من كان ينازع مثل «بياس» وهو من القـلة الذين كانوا يأملون فى استغلال كبير وخاب ظنهم فكانوا يطلبون اعادة النظر فى عقودهم .

والواقع أن الملتزم لم يخرج عن أنه كان وقتئذ فى أغلب الأحيان رجل مال يضمن للملك تحصيل ايراده . فقد كان يؤجر ايراد قرية أو عدة قرى دفعة واحدة . ولم نجد فى الاقتصاد الملكى ما يشير الى وجود مشاريع تدار بالوراثة من الأب الى الابن مع العناية بالمحافظة على نقل ثمرة مجهود طويل فى الأسرة . والواقع ان الاقتصاد البطلمى كان يجهل الصناعة الأسرية اى التى كان يرثها

الأبن من الأب ولذلك نجد ان الفرد يكون مده عام ملتزم زيت قرية مثلا وبعد ذلك يكون فى عام آخر مؤجرا للجعة ، وفى الوقت نفسه مؤجرا لمادة الملح مثلا. وعلى أية حال نجد أن العمال الذين يعملون فى ذلك كانوا مرتبطين بمقاطعتهم فلا يغادرونها الى مكان آخر . هذا ويلحظ اختفاء هذا التشمير فى المجهود الذى يسعى اليه الانسان ليصبح ملتزما ، وذلك عن طريق اشتراك رجل مال وعامل لايعرف الواحد منهما الآخر . وهذا من خواص اقتصاديات أصحاب رؤوس الأموال فى هذه الفترة . وقد ظهر فى نظام حانوت الجعة هذا الخطأ فى الاقتصاد البطلمى أكثر مما ظهر فى احتكار الزيت ؛ وذلك لأن البطالمة أرادوا تفريق الخطر والعمل والمكسب والمبادرة ، وبذلك خنقوا عند الفرد حاسة التجارة . ومن المحتمل أن هذا هو سبب الركود الاقتصادى الذى وقعت فيه مصر منذ القرن الثانى ق.م .

هذا وكانت المعابد دائما صاحبة امتياز بصوره ما حتى لايبتلعها الاقتصاد الملكى ؛ ولذلك كانت لها حوانيت جعتها الخاصة بها(١) وأخيرا نجد ثانية أن البطالمة وفقا لنظام الاحتكارات البطلمية أعطوا مركزا قانونيا منفصلا لحانوت الجعة (٢). والمنشورات التى صدرها بطليموس «ايرجيتيس الثانى» وهى التى تعطى امتيازات فى صالح كل أولئك الذين كانوا فى خدمة الدخل الملكى بصورة ما ، تعفى أصحاب حوانيت الجعة من تحمل تقديم مسكن للجنود المرتزقة (٣). هذا وتدل شواهد الأحوال على أنه كانت تفرض ضريبة على كل ما يستهلكه كل فرد من الجعة (٤)

---

(١) راجع Otto, Priester und Tempel, I, PP. 298-300; & II. P. 60.

(٢) راجع P. Cairo-Zenon 59202. Cf. E. Berneker, Die Sondergerichtsbarkeit im Griechischen Recht Aegyptens (Munich 1935). PP. 146 & 166.

(٣) راجع P. Tebt, 5, II, 168-173.

(٤) راجع O. Tait. Bodl. 125 (122).

زراعة الزيتون والنباتات الأخرى التى غرست فى عهد « بطليموس الثانى »

كانت اشجار الزيتون تزرع فى مصر فى العهود المصرية القديمة لاستخراج الزيت منها (١) ، غير انها كانت تزرع على نطاق ضيق . ولكن لما جاء البطالمة والسكان الاغريق الذين وفدوا معهم الى مصر قاموا بعمل يعد فتحا جديدا فى زراعة الزيتون فى مصر ، ولا غرابة فى ذلك فقد كان ولا يزال الزيتـــون وزيته يعدان من أهم المواد الغذائية عند الاغريق ولا يرضون عنه بديلا ، وذلك لأنهم منذ نعومة أظفارهم قد اعتادوا على استعمال زيت الزيتون الاصيل . وقد صمموا على ان يكون لديهم الكمية الكافية منه فى مصر . حقا كانت تزرع فى مصر بعض اشجار زيتون كما قلنا من قبل ، ولكن كان المقصود منها الحصول على زيت الطعام . هذا ونجد فى بعض الاماكن ان زراعة اشجار الزيتون كانت ثابتة ، ومن ثم يحدثنـــا « ثيوفراستوس » (الفيلسوف الاغريقى مواطـــن ارسوس (Eresus) (أحدى مدنجزيرة «لربوس» . وقد عاصر كلا من «أفلاطون » و «أرسطوطل» وله كتب فى الخطابة والشعر) انه عرفت زراعة الزيتون فىاقليم «طيبة» ، ويحتمل كذلك فىالواحة الخارجة بوجه خاصحيث لا تزال زراعة الزيتون باقية حتى الان ، ثم يحدثنا ان زيت الزيتـــون الذى كانت تنتجه مصر لم يكن أقل جودة من الذى ينتج فى بلاد الاغريق . وعلى أية حال كان للبطالمة الفضل فى زيادة مساحة الارض التى تزرع اشجار زيتون، وتكثير مقدارالزيت الذىيستخرجمنثمارها . وليسلدينامنالقرنالثالثق.م بيان كاف عنزراعة الزيتون ، ولكننعلم من مراسلات «زينون» أى فى عهد بطليموس الثانى ان «أبوللونيوس» غرس أشجار زيتون فى ضيعته وأراد ان يزيد فيها شيئا فشيئا (٢) . وكانت نتيجة هذا المجهود ان أصبح بلا ريب

(١) راجع مصر القديمة — الجزء الثانى ص ٨٧ — ٨٨ .

(٢) (راجع مصر القديمة الجزء الثانى ص٨٧ — ٨٨
P. Cairo-Zenon 59072, 59125, 59157, 59148, 59244, 59737, 59788, II, 18 & 27; P. Mich-Zen. 45. I, 26.

أحد المنتجين لزيت الزيتون فى السوق . ومن الجائز ان هذا الوزير حـرر لزينون رسالة فى هذا الصدد (١) . وفى هذه الرسالة يقول «ابوللونيوس» الوزير لوكيله «زينون» ان يفرغ شحنة زيت الزيتون عند وصولها الى ميناء الاسكندرية من قرية «ايكوس» Οἴκου وأن يحافظ عليها بقوة فى مخزن حصين الى أن يصبح فى مقدور «أبوللونيوس» الحضور بنفسه بمصرويبشرها ويظن الاثرى «ادجار» ان زيت الزيتون قد جيء به من ضيعة سورية ملك «أبوللونيوس» وهذا جائز. ولكن يجوز كذلك أن تكون رسالة صدرت من الفيوم الى الميناء النهرية للاسكندرية وفرغت هناك .

والواقع ان «أبوللونيوس» عندما زرع اشجار الزيتون بكثرة لم يكن قد اتى بعمل استثنائى. فقد حدثنا «استرابون» (٢) ان مقاطعة «ارسنوى» (الفيوم قديما) كانت تنتج فى أيامه مقادير وفيرة من زيت الزيتون، فى حين ان الاراضى التى كانت حول الاسكندرية كانت مغروسة باشجار الزيتون لتغذى المدينة بما تحتاج اليه من هذه المادة . وهذا دليل على ان الزيتون كان يزرع فى مصر فى العهد الهيلانستيكى بمقدار كبير وبخاصة فى العهود المتأخرة عن عصر البطالمة. وقد عزز بيان «استرابون» هذا وثائق عدة تثبت كثرة اشـجار الزيتون فى «الفيوم» فى العهد الرومانى كما كانت تزرع فى جهات أخرى من مصر . ولابد ان نلحظ هنا على أية حال ان زيت الزيتون الذى كان يستخرج فى مصر من صنف ردىء جدا .

هذا ولا نعرف الى أي حد كانت الحكومة المصرية فى عهد البطالمة تراقب انتاج زيت الزيتون المصرى وبيعه . ولم تتناول «قوانين الايرادات» التى سنها «بطليموس الثانى» زيت الزيتون . على ان هذا لا يعنى ان الكمية التى كانت تنتج من هذا الزيت فى مصر كانت قليلة بحيث انها لم تلفت نظر الحكومة . ومن المحتمل ان موضوع زيت الزيتون قد عولج فى لوائح خاصة به وعلى أنة

(١) راجع P. Col. Zen. 14; Arch. Pap. XI (1935). P. 218.

(٢) راجع (Strab. XVIII, I, 35).

حال قد يجوز على حسب ماجاء فى الرسالة السالفة الذكر انه قد فرضت بعض تحفظات على توريد زيت الزيتون الى الاسكندرية من مصر . وذلك لان «ابوللونيوس» على ما يظهر قد اراد ان يحضر بنفسه لعمل الاجراءات الرسمية والمبالغ الخاصة بتوريد كمية عظيمة من زيت الزيتون الذى يعد أمرا مستحدثا (هذه الوثيقة مؤرخة بعام ٢٥٤ ق.م.) هذا وليس لدينا معلومات عما اذا كان زيت الزيتون يخضع لنفس القواعد التى كانت تخضع لها النباتات الأخرى الدهنية . ولم يكن ثمن زيت الزيتون أقل من ثمن الزيوت النباتية المحددة وعلى أية حال لم نعرف حتى الآن ثمن زيت الزيتون . وكانت الضريبة التى تجبى على زيت الزيتون المستورد كبيرة جدا فقد بلغت ٥٠٪ من ثمنه . وكان الغرض من ذلك حماية الزيت الوطنى بما فى ذلك زيت الزيتون . يضاف الى ذلك اننا لا نعرف الى أى زمن بقيت حماية الزيت . وفى خلال القرن الثانى لم تكن هذه الحماية شديدة كما كانت فى القرن الثالث (١) .

وعلى أية حال نعلم على وجه التأكيد انه قد عملت محاولة فى عهد البطالمة الأول لامداد السكان الاغريق فى مصر بزيت وطنى وبذلك اصبحت مصر من هذه الوجهة كذلك مستقلة عن الوارد الأجنبى من هذه السلعة .

الفاكهة والخضر :

هذا ونعلم ان البطالمة الأول قد قاموا بعمل تجارب عدة خاصة بزراعة نباتات كثيرة لم تكن معروفة فى مصر من قبل . وقد كان الغرض من ذلك هو مد الاغريق الذين يعيشون فى مصر بالخضر والفاكهة التى تعودوها فى بلادهم، وبذلك يقللون من استيرادها ، ومن أجل ذلك غرست أشجار فاكهة منوعة فى ضيعة «ابوللونيوس» فى بلدة «فيلادلفيا» بنفس النشاط الذى بذل فى زراعة العنب والزيتون . فغرست احسن انواع اشجار التين الوارد من البلاد الأجنبية (٢) كما غرست أشجار السفرجل والرمان وأشجار التفاح المبكر

(١) راجع Tebt. 728.
(٢) راجع P.Cairo-Zen. 59033.

والمتأخر والمشمش (؟) والبندق . وهناك اسباب تدعو الى الاعتقاد ان اشجار الفسدق قد زرعت فى مصر للمرة الاولى خلال تلك الفترة . وقد اتخذت خطوات مماثلة لزراعة الخضر فنعرف مثلا ان الثوم قد ادخلت زراعته فى مصر وهو نبات يستعمل بكثرة عند الاغريق والطليان حتى يومنا هذا ، وقد زرع منه نوعان فى ضيعة «أبوللونيوس» والنوع الشهير أتى به من «تلوس» فى «ليكيا» من أعمال آسيا الصغرى ، ونوع آخر كان ينمو فى واحات مصر (١) .

وقد عملت محاولة فى نفس الوقت لتحسين نوع الكرنب الذى كان يزرع فى مصر ، وذلك باستيراد بذوره من جزيرة «رودس» (٢) .

هذا ويمكن الاشارة هنا الى احدى وثائق مراسلات «زينون» وهو خطاب من «ابوللونيوس» الى زينون (٣) . يطلب اليه فيه أن يغرس على أقل تقدير ثلاثمائة شجرة من شجر الصنوبر فى كل البستان فى «فيلادلفيا» ، وكذلك حول كرم العنب ومزارع الزيتون ، ثم قال : « لان الشجرة (أى الصنوبر) لها صورة تجذب النظر ، وستكون ذا فائدة للملك » . المقصود من عبارة «فائدة للملك» هو ان هذه الشجرة كانت مفيدة بوصفها خشب يحتاج اليه فى مصر . هذا وكان فى نفس البستان مزارع واسعة من الورود لم تكن قد غرست لمجرد الزينة وحسب (٤) .

الافاويه وسيطرة الملك عليها

كان الملك فى مصر يسيطر على تجارة الافاويه وهى المر والقرفة والقثاء الهندى وغيرها . وهذه الاشياء كانت تعرف عند الاغريق بالعطريات . وكان معظمها يرد الى مصر من بلاد العرب وشرقى «افريقيا» وبلاد «الهند» . وكان الاستهلاك

(١) راجع P.S.I. 428, 85 & 433; Cf. Lond. Inv. 2097, 14 ff.

(٢) راجع Diphilus of Siphnos, Contemporary of King Lysimachus in Athen. IX. 9. P. 369.

(٣) راجع P. Cairo-Zen. 59157.

(٤) راجع P. Cairo-Zen. 59269, 59735 & 59736, 23.

المحلى من هذه الافاويه بوصفها موادغفل أومصنوعة من روائح عطرية، وكذلك تصدير جزء منها ان لم يكن كلها بمقادير عظيمة بمراقبة الادارة الملكية . والظاهر ان تجارة التجزئة كانت اثمانها محدودة ؛ ومن ثم يظهر من المؤكد ان الملك خلافا للمراقبة الشديدة التي كان يفرضها على الزراعة التي كانت تدر عليه دخلا كبير من المأكولات والمواد الغفل وعلى المعادن والمحاجر وصيد الاسماك والصيد الخ ، كانت له مراقبة أخرى تامة وأحيانا جزئية على فروع كثيرة من النشاط الاقتصادى . وبهذه الطريقة كان انتاج المواد الأساسية وبيعها فى يدى الملك . وكانت تدار على حسب نظام قويم .

ولنه لمن المستحيل أن نذكر بالضبط عدد فروع الانتاج التى كانت تدار بالطريقة التي وصفناها . ولكن من المهم أن نلحظ هنا ان البيانات الضئيلة التى فى متناولنا لم تظهر لنا أى فرع من فروع الانتاج سواء أكان زراعيا أم صناعيا لم يكن منظما ويدار الى حد كبير بطريقة أو أخرى باشراف من للحكومة . وهذا النظام بعينه كان ينطبق على كل فروع الانتاج الاخرى التى حفظت لنا الصدف بعض معلومات عنها . والواقع ان التجار الذين نصادفهم فى الوثائق كانوا كلهم ملتزمين للحكومة . وهم رجال كانوا يتسلمون رخصا أو تصاريح مقابل دفع أجرة عنها ، ومن ثم كان لهم الحق فى الاتجار فى مؤن خاصة. فنسمع من وقت لآخر عن ملتزمى بيع الزيت والجبن والخبز واللحم والسمك المحفوظ وحتى العدس المطبوخ ولب القرع الملح والنباتات . وكان بعض المواد ثمنها محددا وبعضها الآخر لم يحدد ثمنه . ولكن كانت كل فروع التجارة تحت رقابة الحكومة . هذا ولدينا فقرة فى بردية من «تبتنيس»(١) ، تقدم لنا معلومات غاية فى الأهمية عن السلع والتصرف فيها . فقد ذكر فيها الوزير التعليمات التى يجب ان يسير على مقتضاها السكرتير المالى فاستمع الى ماجاء فيها : « انتبه كذلك حتى لاتباع السلع المعروضة للبيع بأسعار أعلى مما هو

(١) راجع Tebt. 703, 1. 174 ff.

محدد لها . وقم بفحص دقيق لهذه السلع التى لم يحدد ثمنها ، وهى التى يمكن التجار ان يضعوا لها اثمانا على حسب أهوائهم . وبعد ان تضع زيادة معقولة على السلع التى تباع اعمل ... التصرف فيها » .

وسائل النقل

تحدثنا فيما سبق عن ادارة الانتاج والبيع فى داخل البلاد ، وذكرنا أنهـا كانت منظمة لصالح الملك قبل كل شىء . هذا وكانت وسائل نقـل المنتجات منظمة على نفس المبادىء العامة التى تسير على مقتضاها السياسة البطلمية . حقا لم تكن وسائل النقل المحلى منظمة بدقة وقوة ، وذلك على الرغم من انه كانت تحصل ضرائب معينة على دواب الحمل وبخاصـة الحمير ، كما كانت تجبى ضرائب خاصة على أولئك الذين يشتغلون فى أعمال النقل . وهذا النظام كان ينطبق كذلك على طرق النقل النهرية بسفن ذات شحنات مختلفة . ولم تكن قاصرة على الملك ، فقـد جاء فى وثائق كثيرة ذكر سفن يملكها أشخاص احرار ، وكذلك ذكـرت دواب حمل لافراد من الشعب فنجـد مثلا ان «ابوللونيوس» وزير الملك «بطليموس الثانى» كان يملك طرقا كثيرة للنقل برا وبحرا استعملها لنفسه ولموظفيه لتنقل السلع التى كانت تنتجها ضيعته فى الفيوم . وكان له قائد بحرى خاص يشرف على أسطوله الخاص ، غير أن حالة «ابوللونيوس» يمكن ان تكون فردية استثنائية . والواقع اننا لا نعلم اذا كانت هـذه السـفن التى كانت تحت تصرفه يملكها «بطليموس الثانى» بوصف ان «ابوللونيوس» وزيره أو كانت تابعـة لضيعته . ولا شـك فى ان موضوع النقل كان مسـألة هامـة فى نظـام الاقتصـاد البطلمى ، ولا أدل على ذلك من ان لوازم الجيش فى وقت السـلم والحـرب وفى اسفار الملك العديدة ، وكذلك فى اسـفار رجال حاشيته وموظفيه الآخـرين وتنقلات البريد وبخاصة نقل كميات ضخمة من الحبوب والمواد الأخرى من كان الذى كانت تنتج فيه الى المخازن الملكية فى الاسكندرية وفى الارياف

كل هذه الاشياء كانت تحتاج الى الآلاف من دواب الحمل وسائقيها ، وكذلك الى المئات بل الالوف من السفن الصغيرة والكبيرة مع نواتيها .

وكان الملك كغيره من اصحاب البيوت يملك تحت تصرفه لخدمته الخاصة طرق نقله ، فكان له جياده وجماله وحميره وبغاله وعرباته الخ ، هذا من جهة كما كان من جهة أخرى يملك سفنا منوعة مجهزة بنواتيها . ومما يؤسف له أن معلوماتنا عن هذه الادارة الخاصة ببيت الملك ضئيلة جدا الا ادارة البريد فلدينا عنها بعض المعلومات . والظاهر ان السائقين والمجدفين كانوا على ما يظن من المصريين الذين كانوا يعملون بمقتضى عقود ، ولكنهم عند الضرورة كانوا يسخرون ؛ ولا غرابة فى ذلك لأن الاغريق كانوا الأسياد والمصريين هم العبيد فيقومون بالاعمال الحقيرة .

وفى زمن الحرب على آية حال نجد أن حركات الجنود فى داخل البلاد أو الأسفار الطويلة التى كان يقوم بها الملك للتفتيش كل سنة فى فصل الحصاد ؛ وعندما كانت آلاف الآلاف من مكاييل الحبوب ومن المنتجات الأخرى تنقل بالطرق البرية والنهرية والترع ، كانت طرق النقل التى يملكها الملك غير كافية. وفى هذه الأحوال كانت الحكومة البطلمية تحشد كل ما لها من حقوق ثابتة لهـذه الأغراض من رجال ودواب حمل وسـفن . وفى الأوقات العادية كان استخدام الطرق الخاصه بالنقل تنفذ بمقتضى عقود تبرم مع أصحابها ؛ فكانت العقود تبرم بوجه خاص مع الحمارة المحترفين وكذلك مع البحارة المحترفين. وفى حالة الطوارىء كان البطالمة يلجأون لنظام السـخرة القديم ؛ فكانوا يسخرون لخدمة الحكومة دواب الحمل والرجال والسفن . وهذه السخرة كان المصريون يخشون حدوثها لأنها كانت تنفذ فيهم لا فى غيرهم . وهـذا ما كان متبعا فى عهد اسماعيل وعهد الاحتلال قبل استقلال مصر .

التموين

وكان التموين بطبيعة الحال له علاقة وثيقة بنظام النقـل وبخاصة المواد

الغذائية والتوريدات الأخرى اللازمة للملك والجيش وكبار الموظفين عندما يكونوا على سفر . وهذا التموين كان يطلق عليه لفظ «هبات» غير آننا لا نعرف الى أى حد كانت تستعمل هذه الهبات لتغذية فرق الجنود فى سيرهم أو فى مكثهم فى البلاد وبخاصة فى عهد بطليموس الأول (١) . ومن المحتمل جدا أن ثمن هذا التموين كان على حساب السعر الذى حددته الحكومة ، وقد كانت هذه هى الحالة مثلا فى شراء الحبوب على يدى الحكومة . وكانت تعد صورة من صور التموين .

الضرائب

وفضلا عن الأعباء الفادحة العديدة التى كان يرزح تحت وطأتها السكان، وهى التى وصفناها فيما سبق كانت هناك ضريبة أخرى منظمة . وقد ذكرنا ضرائب عدة من قبل كالضرائب التى كان يدفعها المزارعون وأصحاب الأملاك على أنواع مختلفة من المحاصيل ، والتى كان يدفعها الصناع والعامة جميعا (وهى ضريبة الرءوس الخاصة بالاحتكارات) . وخلافا لذلك وجدت أنواع كثيرة من الضرائب .

ويمكن القول أنه لم تظهر ضريبة رءوس شخصية فرضت على المصريين فى عهد بطليموس الأول ، ولكن من جهة أخرى كانت هناك ضريبة أخرى منظمة على الملكية مثال ذلك ضريبة على البيوت وضريبة على العبيد وعلى العقود القانونية الخاصة بالملكية كتسجيل الوثائق الخاصة والبيوع والمزادات والوراثة وعلى التجارة الخارجية للصادرات والواردات وعلى التجارة الداخلية وبخاصة فيما يتعلق بتبادل السلع بين الوجه القبلى والوجه البحرى وعلى استعمال المين والمراسى والطرق الخ . وعلى أية حال كانت الضرائب منوعة كثيرا وفادحة (٢) .

(١) راجع P. Ryl. Zen. 9 (251 b.c.); & Tebt. 729 (2nd cent. b.c:)

(٢) راجع U. Wilcken, Ostraca I, PP. 199; and Grundzuge. PP. 169 ff.; Cf. Alexander & C., Schmollers Jahrb. XIV (1920). PP 81 (385) ff.

وسنتحدث عن هذه الضرائب كما وردت فى العقود الديموطيقية فى فصل خاص .

الأحوال الاقتصادية والاجتماعية فى العهد البطلمى الأول

لا نزاع فى أن النظام الاقتصادى كما لخصناه فيما سبق كان هدفه الوحيد تنظيم الانتاج وذلك بقصد الوصول الى جعل الدولة أو بعبارة أدق الملك صاحب ثروة وقوة وجاه . ومن أجل ذلك كانت كل قوة الشعب وجهوده مركزة فى الوصول الى هذا الغرض الرئيسى . فكان على كل فرد من أفراد الرعية أن يعمل أولا وقبل كل شىء للملك على حسب تصميم رسمته المحكمة وأعدته الادارة ، وفرض تنفيذه بشدة وحزم بكل أنواع الاعتمادات اللازمة ، هذا الى أن المسئولية المادية وكذلك الشخصية كانتا متحدتين فى انجاز هذا التصميم بحكمة ونفاذ رأى .

وكان الدور الذى يقوم به الموظفون المصريون أهل البلاد فى تنفيذ هذا النظام الاقتصادى شاقا مرهقا . هذا بجانب أنه لم تتخذ أية مبادرة أو تعطى أية فرصة لتحسين حالة هؤلاء الاشقياء من حيث مصالحهم الخاصة بالنسبة لسائر السكان الذين وفدوا على البلاد من جهات شتى أجنبية .

وطبيعى أن مجال الفائدة الفردية لطائفة المواطنين المصريين كانت ضئيلة جدا ، بل الواقع أنهم لم يكونوا يجنون أيةفائدة . فقد كانت تقع عليهم أعباء فادحة تفوق الوصف . ولا بد أن نذكر هنا أن السواد الأعظم من المصريين كانوا بطريقة أو بأخرى مرتبطين بالعمل للدولة سواء أكانوا مزارعى الملك أم كانوا ممن تتألف منهم الطوائف المختلفة الذين يدفعون الضرائب ، أم الرجال المتصلين بدخل البلاد ، وهم عمال المصانع وتجار التجزئة ، ورعاة الأغنام والماشية وصيادو الحيوان والأسماك المحترفون ، والغطاسون المحترفون والمجدفون ، والنواتى ، وعمال المناجم والمحاجر ، وهلم جرا. ومما زاد الطين بلة أنهم بالاضافة الى أعمالهم العادية كانوا عرضة لأعمال

السخرة بدرجة كبيرة فكانوا يعملون فى اعمال كرى الترع، واقامة السدود، ثم العمل فى المناجم والمحاجر من وقت لآخر ؛ كلما دعت الأحوال الى ذلك ويحتمل كذلك فى صيد السمك ، والطراد ، وزرع الأشجار ، وأعمال النقل. وكثيرا ما كانت تعترض هذه السخرة أعمالهم اليومية العادية . ونحن لانعلم بالضبط الصيغ القانونية التى كانت تتخذ فى تنفيذ هذه الأمور . والمظنون أنه فى أغلب الأحيان كانت تبرم مع هؤلاء التعساء عقود فى هذه المناسبات ، غير أن العقود التى كانت تبرم بين الحكومة والفلاحين الذين يعملون لها كانت ذات طابع خاص ، فقد كانت تلك العقود تحتوى بين موادها على مادة هامة ؛ وذلك أنه فى حالة عدم دفع الديون كانت الأحكام تنفذ فيما يدعيه الملك ، أما فى حالة وفاء دين على الحكومة فكان الأمر خلافا لذلك . ولدينا وثيقة كشف عنها حديثا تبرهن على أن هذه الصيغة تدل على حق الحكومة فى الاستيلاء على ما هو مستحق للتاج بتنفيذ الحكم على المدين ، وهذا كان يقضى بالسجن أو بالرق ، وتشير الوثيقة التى تتحدث عنها الى الأحوال فى سوريا وهى تعالج طبقة العمال فقط . فهل هذا يعنى أنهم وحدهم كانوا معرضين للاستعباد ؟ ومن المحتمل أن نفس هذه القاعدة كانت مطبقة على مصر نفسها . هذا وكان أكثر اعتماد الحكومة أو بعبارة أخرى الملك على هؤلاء المواطنين من المصريين الذين كانوا يرهقون بالعمل والمسئولية وبخاصة فى حقول الزراعة . والواقع أن مسئوليتهم الشخصية والمادية كانت ثقيلة كما أن عملهم كريها لأنفسهم . ولا غرابة اذن أن نجدهم يسعون بكل ما لديهم من قوة الى الفرار من هذه السخرة . هذا وكانت المسئولية أكثر من الفائدة لأولئك الذين كانوا يشتغلون فى وظائف صغيرة فى الادارة الملكية . وهذه الوظائف الحقيرة كانت الوحيدة المفتوحة أمام المواطنين المصريين ، فكانوا يعملون رؤساء قرى وكتاب قرى . حقا كان هؤلاء يتمتعون بمكانة بارزة فى القرى ، ولكن من جهة أخرى كانت أعمالهم شاقة معقدة كما كانت تنطوى

على مسئوليات مقيدة مرتبطة بعملهم ، ولكن الفائدة الرئيسية كانت سخرة لا شرفا ، فقد كان الاستحواذ عليها يوقع صاحبها فى خطر ومسئولية أكثر مما كان يتمتع به من سلطان وفائدة . ومما لا ريب فيه أن الفلاحين المصريين لم يكونوا أرقاء حرف يشترون ويباعون مع الأرض التى يعملون فيها (هؤلاء كان يطلق عليهم لفظ التملية) ، وذلك لسبب بسيط وهو أنه لم تكن فى مصر أرض تباع فى عهد بطليموس الثانى ، وعلى ذلك لا يمكن قرنهم بطبقة العمال الذين يعملون بمثابة أرقاء فى الممالك الشرقية والمعابد أو بأولئك الذين كانوا يعيشون وقتئذ فى دنيا الاغريق . والواقع أن العامل (الفلاح) المصرى لم يكن مرتبطا بالأرض ارتباطا وثيقا بأملاكه أو بمكان سكنه بل كان يتمتع بمقدار عظيم من الحرية الاقتصادية بوجه عام كما كان يتمتع بحرية التنقل بوجه خاص . وكانت علاقته العادية بالحكومة فيما يخص نشاطه الاقتصادى ترتبط بعقود . أما الخدمات الاجبارية التى كانت تفرض عليه فكان يتقاضى عليها أجرا ، غير أنه كان أجرا ضئيلا . وعلى أية حال لم يكن حرا تماما بل كان مرتبطا مع الحكومة ، ولم يكن فى مقدوره أن يفلت من هذه الحالة التى كانت تشبه العبودية لأنه كان يتكل على الحكومة فى كسب قوته . والحقيقة أن هذه العبودية لم تكن لا حقيقية ولا اسمية ، وذلك لأن الموظفين الملكيين وجباة الضرائب كانوا يتجسسون على الأمور المحلية الخاصة بأولئك الذين يعملون للحكومة ، فقد كان كل عمل يقوم به عمال الملك يمكن أن يؤثر على ايرادات التاج ، وهذا كان شيئا مقدسا فى عينى الموظف ، وكذلك الهدف النهائى الذى كان يجب أن تتجه نحوه كل مجهوداته ، وهؤلاء العمال كانوا يلقنون جيدا أن الحكومة كانت مهتمة بوجودهم بوجه خاص لأن صيانة الدخل الملكى كان يتوقف على مجهوداتهم ، ومن ثم نجد أنه فى شكاياتهم المتكررة لم يلجأوا لعدالة الملك وانصافه ، ولكن غالبا جدا ماكانوا يعلمون أن المعاملة السيئة التى يعاملون بها قد تمنعهم من اداء عمل الملك وان

ذلك تكون نتيجته النقص الفاحش فى دخله . ولا عجب أن الفلاح المصرى كان تحت هذه الظروف لا يظهر حماسا كبيرا أو نشطا منتجا فى عمـله . وكثيرا ما كان يلجأ الى الهرب من عمله كما سنشرح ذلك فيما بعد هذا ولا يمكن أن نحدد نسبة عدد المواطنين المصريين الذين كانوا مرتبطين بالحكومة فقد كان الكهنة وموظفو التاج بما فى ذلك عدد قليل من الطبقة العليا ، وكذلك ملاك الأراضى الحرة يعدون خارج نطاق دائرة الاستعباد ، يضاف الى ذلك أصحاب الحرف الأحرار — اذا كانت هناك طبقة من هذا الصنف فى مصر — كانوا فى نفس الموقف ، ويشك الانسان فى وجود عدد كبير من الوطنيين الذين كانوا يكسبون عيشهم بوصفهم عمالا مأجورين ليس لهم عمل آخر فى الوقت نفسه غير ذلك . وكان النساء والأطفال بطبيعة الحال ليسـوا مرتبطين بالحكومة بطريقة مباشرة (١) .

العبيد

ولم تكن تجارة الرقيق بالمعنى الحقيقى موجودة فى مصر على ما يظهر عند دخول الاغريق مصر بصورة محسة ، ولكن باستيطان المقدونيين والاغريق الديار المصرية كانت تعد تجارة الرقيق مورد دخل لملوك البطالمة . والواقع أن الوثائق الديموطيقيـة التى يرجع تاريخهـا الى القرن الاخير قبـل الفتح الاسـكندرى يفهم منها أنه اذا كان الفـلاحون وأصحاب الحـرف فى الوجـه القبلى لا يزالون مرتبطين بصـورة ما بالأرض أو بحـرفهم فانهم لم يكونوا فى الوقت نفسه عبيدا أرقاء . وعلى الرغـم من الاجراءات التى أصدرها الملك «بوكوريس» خـلال حكمه (٢) . فان أمر بيع الفرد نفسه ليكون عبدا لمن يشتريه وبعبارة أخرى تأجير نفسه طوال مدة حياته كما ورد ذكر ذلك فى العقود المصرية القديمة فى العهد الفارسى (٣) ، لدليل

(١) راجع Rost. Kolonat. PP. 62 ff; U. Wilken Grundzuge. P. 481 f.; P. 276 f.; U.P.Z.I. No. 110, P: 490; & J.E.A. Vol: VI PP. 166 ff.

(٢) راجع Diod. 179.

(٣) راجع مصر القديمة الجزء ١٢ ص ٣٤٤ — ٣٤٢ والجزء ١٣ ص ١٣٤

على بقاء نظام اقتصادى فى كثير من العقود حيث كان النقد نادرا والثروة قليلة النشاط ؛ غير أنه ليس لدينا دليل على وجود رءوس مالية زراعية أو صناعية تشبه التى كانت سائدة فى «اتيكا» خلال القرن الرابع ق.م وهى التى كانت تستعمل اليد العاملة المستعبدة . ومن ثم يتجلى أمامنا السؤال التالي : هل جلب الاغريق معهم طرازهم الخاص من اليد العاملة فى الصناعة الى مصر ؟ وهل النشاط الذى أحدثوه فى الحياة الاقتصادية فى مصر قد تطور الى استخدام الرقيق كما كانت الحال فى بلادهم ؟ والواقع أن هذا السؤال قد اختلف الباحثون فى الاجابة عليه . فيقول المؤرخ «فلكن» (١) . ان الرق فى مصر كان محدودا لدرجة انه كان أمرا شاذا تقريبا فى الاستغلال المحلى ، وعلى العكس من ذلك يقول المؤرخ «روستوفتزف» ان الاغريق قد أسسوا مصانع كبيرة فى مصر حتى فى القرى حيث كان يعمل فيها عبيد (٢) .

ولكن نجد «فسترمان» من جهة أخرى يقول ان المتن الذى يرتكز عليه «روستوفتزف» فى استنباطه لا يؤدى الى هذه النتيجة (٣) .

والواقع أن هذا السؤال هام وذلك لأن ادخال الرق فى الانتاج الصناعى والزراعي يكون معناه صورة تدل على تأثر مصر بالحضارة الهيلانستيكية. والظاهر أنه للاجابة على هذا السؤال لابد أن نحذف أولا من حسابنا بالنسبة للاسكندرية التى كانت مرتبطة اقتصاديا بمصر ، ولكنها مع ذلك كانت تختلف عنها ، وذلك لأنه من البدهى أن فى هذه البلد الجديد الاغريقى النزعة كانت توجد معامل حيث كان يشتغل فيها العبيد على غرار ما كان يحدث فى المدن الاغريقية . أما فى القرى فتدل شواهد الأحوال على أنه لم يوجد فى معامل الزيت ولا فى معامل النسيج ولا فى المناجم والمحاجر والمزارع الملكية

(١) راجع Wilcken, Griechische Ostrka I, 681-707; Grundzuge. PP. 27 & 260.

(٢) راجع Rost. A Large Estate. PP. 116, 135.

(٣) راجع Westermann Upon Slavery. PP. 54-57.

أى فرد رقيق ، ومع ذلك كان فى مصر أرقاء . وعلى أية حال لابد أن نميز بين العبيد المصريين والعبيد الاغريق فالنوع الأول كان نتيجة لبعض نوع من الاسترقاق وليس لدينا عنه الا معلومات ضئيلة جدا (١) فى عهد البطالمة . أما النوع الثانى فقد جلب الى مصر من بلاد الاغريق . وأحسن مصدر لدينا عن الاسترقاق المصرى هو ما نجد نماذجه فى المعابد المصرية . ولا نزاع فى أنه كان الأساس الاقتصادى لنشاطهم ، وبلا شك كان حائلا دون جلب الرقيق من الخارج ، كما منع توغل الرق الاغريقى من اقتحام هذه المعابد ، وعلى أية حال يجب أن نفهم أن الرق لم يكن له أى مجال يذكر بأية حال من الاحوال فى حياة الشعب المصرى ، وذلك لأن الفلاح الملكى أو العامل فى أى من أنواع الاحتكارات الملكية لم يكن لديه من الثروة بحيث يصبح له عبدا مملوكا سواء أكان ذلك العبد مصرى أو أجنبى جلب من خارج البلاد . اذ الواقع أن كلا من الفلاح الملكى والعامل المصرى كان من الفقر بدرجة لا تمكنه من أن يشترى مما يكسبه من عمله الرخيص من يخدمه . ومن أجل ذلك نجد أن ازدياد عدد الأرقاء فى أى من الصنفين السابقين على نطاق واسع يكاد يكون معدوما .

وكانت الطائفة الوحيدة الثرية من السكان الذين كان فى استطاعتهم أن يملكوا عبيدا من الوطنيين أو من الأجانب هى الطائفة الجديدة التى حكمت البلاد وأصبحت مسيطرة على أرزاقها وأعنى بذلك الملك وبلاطه وحاشيته وكبار الموظفين والضباط وجنود الجيش الذين كثيرا مانشاهد منقوشا على صفائح قبورهم أسماءهم واسماء عبيدهم ، وكذلك بالمثل أعضاء الجالية الاغريقية الذين كانوا فى ازدياد مستمر ؛ يضاف الى ذلك أفراد الطبقة المتوسطة من الهيلانستيكيين ، كل أولئك كانوا قد اعتادوا استخدام العبيد فى أعمالهم ، والواقع ان الكثير منهم لم يكن فى استطاعتهم الاستغناء عن العبيد. وقد أخذ العبيد يظهرون فى مصر بوجه خاص أثناء الحرب العظمى التى شنها

(١) راجع Slavery in Ancient Egypt (Bakir).

«سوتر الأول» و «بطليموس الثانى» و بطليموس الثالث» و «ايرجيتيس» ؛ وكذلك بعد هذه الحروب وجدت العبيد ، ومن ثم كانت سوق العبيد تزخر بمادة انسانية كبيرة للبيع . وقد عرف هؤلاء الأغنياء كيف يمكنهم أن يحولوا بعض الأهالى الى عبيد من الذين كان لهم عليهم سلطان فى العمل . وكانوا يستعملون عبيدهم بوجه خاص فى الأعمال المنزلية ، ولكنهم على وجه التأكيد كانوا يستعملونهم فى الأعمال الحقيرة من الصناعة والتجارة وبخاصه فى الاسكندرية . وعلى أية حال لا ينبغى علينا أن نبالغ فى تقدير عدد العبيد الذين كانوا يعملون فى بيوت أسياد مصر وحكامها ؛ وذلك لأن موضوع العبيد لم يكن يلقى قبولا أو تشجيعا من قبل الملوك الذين فرضوا لهذا الغرض قيودا عدة على نشر نوع الاسترقاق الاغريقى ، وذلك بمصادرة بيع الرقيق المصرى وبتحديد عدد العبيد المصدر والمستورد منهم ، وبضرب ضرائب فادحة على الاتجار فى العبيد فى داخل البلاد . وبالاختصار لم تكن تجارة الرقيق من السلع الهامة فى مصر كانت فى الممالك الهيلانستيكية الاخرى.

ومما يطيب ذكره هنا أنه كان للآلهة عبيدا خاصون بهم ، فلم يكونوا تابعين لأية طبقة من الكهنة بل كانوا يكدحون فى فلاحة الأرض المقدسة التى كان يملكها الآلهة ؛ وكذلك كانوا يعملون فى مصانعهم ويحرسون قطعان معابدهم ويقومون بالأعمال اليدوية ــ (رجالا واناثا) ــ المتعلقه بادارة المبانى والمعبد والشعائر الدينية المنوعة ، ولانزاع فى أن اعتبار هذه الطائفة الكادحة عبيدا فى نظر الاغريق يعد أمرا مضللا . ونحن فى الواقع فى حاجة الى ايضاحات أكثر فى هذا الصدد . وهذا ما ننتظره من الوثائق الديموطيقية التى لم تنشر بعد . ويتساءل الانسان هل كان مزارعو المعابد فئة من الفلاحين الملكيين ؟ وهل كان أصحاب الحرف والصناعات الذين يعملون فى المعبد يحسبون مع العمال المتصلين بالدخل الملكى ؟ والجواب على هذين السؤالين لا يمكن الادلاء به الآن (١). وكل ما يمكن قوله هو أن هؤلاء كما يقول

(١) راجع Rost. Social & Econ. Hist. III. (P. 1383 note 90).

المؤرخ «ريخ»(١) الذى اقتبس بيانات وافيـــة من المصـــادر الديموطيقية والاغريقية عن حرف هؤلاء العبيـــد ، انهم كانوا فلاحين ورعاة وســماكين وملاحظى أشغال على التـــرع .أما عن مركزهم المدنى فيقول أنهـم كانوا يملكون عقارا ويبيعون ويشترون ويقرضون ويقترضون (٢) .

ومما سبق نجد أن المواطنين المصريين باستثناء موظفى الحكومة وقله من ملاك الأراضى ، ومن المحتمل الـــكهنة وبعض أصـــحاب الحرف كان لديهم فرصة صغيرة فى أن يصبحوا أغنياء عن طريق الاقتصاد والنشاط والقـــدرة والمهارة الحرفية . ولكن من جهة أخرى نجد أن طائفـــة أخرى مميزة وأعنى بذلك الأجانب المهاجرين الذين اســـتوطنوا مصر وأصبحوا رعايا البطالمة المفضلين قد أصابهم حظ أسعد من حظ أهل البلاد الأصليين .

وقد تحدثنا فيما سبق عن الحالة السياسية والقانونية فيما يخص الأجانب فى العهد البطلمى المبكر وذلك على الرغم مما فيها من أقوال متباينة وعلى أية حال ليس لدينا أى شك فى أنه يمكننا أن نتحدث عن الأجانب الذين تدفقوا على البلاد بالآلاف من مختلف الرتب والطبقات المتباينة والوظائف المختلفة فى خلال القرن الثالث ق.م. بوصفهم جزءا منفصلا عن السكان وقد انعزل هؤلاء الوافدون عن عامة الشعب انعزالا بينا وانقسموا فيما بينهم طوائف مختلف وبخاصة من الوجهة القومية . هذا وكان انتقـــال فرد من جماعة الأهالى الى الأجانب أو بالعكس ، أو انتقال فرد من قسم صغير من الأجانب الى آخر دون أمر الملك يعد من الأمور المحرمة . وعلى الرغم من أن الأجانب كانوا يؤلفون طائفة منفصلة فانهم مع ذلك كانوا يعدون من وجهة نظر الملوك والحكومات من رعايا الملك قانونا ، كما كانت الحال مع المصريين ، مع الفارق أنهم كانوا يتمتعون بميزات خاصة منحت لهم بارادة الملك وقرار منه ، وأولئـــك الذين من بينهم لم يكونوا زوارا مؤقتين أو عابرى سبيل ـــ وهذه كانت حالة

(١) راجع J. Reich Mizriam II (1936). P. 36.

(٢) راجع Sethe. Dem. Urk. Z. Ag. Burgschaft. P. 36, 830; U. Wilcken, U.P.Z., I. PP. 46, 571, Notes 3 & 5.

معظم السكان الأجانب فى مصر فى العهد الأول من الحكم البطلمى – ولكن كانوا مستوطنين دائما فى البلاد وكانوا معرضين مثل الأهالى لدفع الضرائب التى كانت مفروضة عليهم ، ولم يكونوا معفـون من الاحتكارات ، وكان عليهم أن يتحملوا نصيبهم من الأعباء المالية الخارقة حد المألوف المفروضة على الأهالى ، كما كان ينتظر منهم أن يؤدوا أى عمل تكلفهم به الحكومة . وعلى أية حال فانهم مع ذلك كانت لهم بعض خاصيات تبرزهم فى نظام حياتهم وفى حقيقة موقفهم بصورة واضحة عن المواطنين المصريين . ويمكن أن نعد هـذه الخاصيات بأنها امتيـازات ، وكانت أكبر جماعة بينهم وأحسـنها نظاما هو الجيش البطلمى فقد كان يعيش عيشته الخاصة بماله من امتيازات ، ويسير على حسب تقاليد ثابتة الأصول وعلى حسب لوائح وضعها الملك لضـباطه ورجاله . ويأتى بعد الجيش من بين هـذه الجماعات الأجنبيـة فى الأهميـة السكان الاغريق القدامى الذين آوتهم البلاد قبل فتح الاسكندر المصر وهؤلاء هم الاغريق الذين كانت تتألف منهم بلدة نقراش القديمة (كوم جعيف الحالية) وكذلك سكان مدينة «باراتونيوم» (مرسى مطروح) والاسكندرية ثم مدينة بطليمايس (المنشاه الحالية القريبة من جرجا) . وسكان هذه المدن كان لهم بعض حقوق دستورية من حيث الحـكم الذاتى ، وكان نظامها من هـذه الوجهة الدستورية لا يختلف كثيرا عن نظام الحكم فى المدن الاغريقية الحرة بوجه عام ، وقد تحدثنا عن هذه المدن فيما سبق .

وتدل المصادر التى فى أيدينا على أن معظم السكان الاغريق الذين كانوا يقطنون قرى مصر لم يكونوا يتمتعون كما هو ظاهر بحكم ذاتى معترف به من قبل الحكومة ، ولكن لهم مؤسسات تعليمية خاصة بهم تدعى الجمنازيا ، وهذه المؤسسات كانت تتمتع ببعض الامتيازات مثل حق ملكية أطيان وتسلم دخلها . وهؤلاء الاغريق كانوا يؤلفون جمعيات ذات صبغة دينية أو قومية أو اجتماعية ، وأكبر هذه الجمعيات فائدة وأهمهـا على الرغم من أنها غير معروفة الى حد بعيـد هى الجمعيات الوطنيـة التى تدعى « بوليتيماتا »

(Politeumata) ومعظمهـا متصلة بالجيش . وكان من الممكن أن كل بوليتيماتا تمنح بعض حقوق وامتيازات . ولدينا مثـال حى فى بوليتيماتا اليهود بالاسكندرية ، فقد كان لها بيتها الخاص للعبادة . ومن المحتمل كذلك نظامها القـانونى الخاص بها وسـنتحدث عن ذلك فيما بعد . ويأتى بعـد «البوليتيماتا» فى الأهمية جمعيات «ألومنى» (Alumni) وهى التى كان على ما يظن تتصل بها . وكانت جمعيات «ألومنى» الخاصة بالجمنازيا وهى التى كانت تعيش بمساعدتها ، وتداربهذه المؤسسات التى كانت تعتمد عليهاالحياة الاغريقية فى مصر .

وهذه الجمعيات كانت مرتبطة تمام الارتباط بالجيش البطلمى أيضا . هذا وكانت توجـد محاكم خاصة منظمة للاجانب . ولا نزاع فى أن الملك كان يعترف بصلاحية القـانون المدنى الاغريقى كما وضع فى تشريع القـانون الاسكندرى ، ويحتمل كذلك لمـدن اغريقيـة فى مصر ولبعض الجمعيات الوطنية ، ومع ذلك فلابد أن نؤكد هنا أنه كان لزاما على القضـاة الاغريق الرجوع الى هذا القانون كما كان ذلك من واجب موظفى الملك الذين كانوا يقومون أحيانا بدور القضاة ، وكان ذلك ينحصر فقط فى القضايا المعروفة فى القوانين أو فى الأوامر الملكية المنوعة . ولكن لابد أن يلحظ هنا أن المواطنين المصريين كان موقفهم هنا مشابها لموقف الاغريق ، فقـد أبقوا على محاكمهم الأهلية الخاصة (يحكم فيها قضاة مصريون) .

وكانت أحكامها على حسب القانون المدنى المصرى ، وذلك عند عدموجود منشورات أو تعليمات خاصة تنافى ذلك . وأخيرا كان بعض رعايا الملك من غير المصريين كالمهاجرين أو من تناسل منهم معفون من السخرة ، يضاف الى ذلك بعض طوائف من بينهم ، وكذلك أفراد كانت لهم ميـزات خاصة فيما يخص الضرائب . وكانت كل هذه الامتيازات والتميزات فى معاملة الأجانب هى بالضبط ما تعنيه كلمة « امتياز » وهى فى الواقع منح أو هبـات من الملك لأفراد أو جماعات ، وهذه الهبات كان لا يمكن استردادها . والواقع

أنها ليست حقوق معترف بها من قبل الملك بوصفها حقوق. ولا يغيب عن بالنا أن جزءا كبيرا من سكان مصر الأجانب كانوا بطريقة أو بأخرى فى خدمة الملك

وقد تحدثنا فيما سبق عن الجيش ، وفيه نجد ان العلاقات كانت علاقات غير عادية ؛ ولكن لابد ان نؤكد هنا مرة اخرى ان الجيش كان ملك الملك ، ولم يكن عليه مسئولية امام البلاد لانه لم يكن جيش مصر بل جيش بطليموس وحسب . أما من حيث الأجانب المدنيين فان الجزء الأعظم منهم أو على الأقل الذين نعرف عنهم شيئا كانوا تابعين لبيت الملك الخاص فكانوا خدمه الخصوصيين ، وكان لكل منهم بيته الخاص الذى كان بدوره فيه جماعة من اتباعه . فكان «ابوللونيوس» وزير بطليموس الثانى مثلا يملك تحت تصرفه رجاله الخاصين؛ وكان مدير ضيعته فى «فيلادلفيا» المسمى «زينون» له بدوره بيته الخاص (Oikos) ؛ ومن ثم كان له اتباعه . والواقع أنه من الصعب اذا استثنينا المدن الاغريقية وجود اجانب فى غير المدن اى فى القرى ، لم يكونوا تابعين لبيت من البيوتات بل كانوا دائما وتحت حماية رؤسائهم الذين يشتغلون لحسابهم. أما أولئك الذين لم يكونوا كذلك فكانوا ينساقون الى نفس دائرة البيوتات بالدور الذى كان محفوظا لهم فى النظام الاقتصادى البطلمى . وسنتحدث عنهم . والواقع ان مراسلات «زينون» تعد منجما من المعلومات عن هذه النقطة . والحديث عن المسألة الهامة الخاصة بالعلاقات بين الذين يضعون انفسهم تحت حماية عظيم او حام «حماتهم» فى العهد البطلمى الأول ليس هنا موضع التحدث عنه بالتفصيل بل سنتناوله فيما بعد فى فصل خاص ولا نزاع فى ان هؤلاء المحميين كانوا من ارث التراث القديم(١) ومع ذلك يمكن أن نقتبس هنا وثيقة من وثائق زينون (٢) حيث نجد أن عظيما يدعى كريتون (Criton) قد حمى شخصا يدعى « ديموكراتيس » امام آخر يدعى موشيون (Moschion) . ويحتمل ان الأخير كان موظفا ذا مكانة عالية . ولدينا حالات عدة تشير معظمها الى علاقات بين اغريق من طبقة عالية

(١) راجع H. Kees Aegypten, P. 124.

(٢) راجع P. Cairo-Zen. 59322

وآخرين من طبقة دنيا . ويطيب أن نذكر وجهـــا آخر من أوجه الرعاية ، مما نشاهده من الحماية التى كان يمنحها موظفون مختلفون من حيث المكانة ، لرجال كانوا يشتغلون لهم أو كانوا مرتبطين بهم بصـــورة أخرى مثال ذلك الخطاب الشهير المنسوب الى «أبوللونيوس» (١) وفيه يحمى مزارعيه من محصلى الضرائب على الملـــح ، أو شـــكوى «مطعمـــو القطط» وهم عبيد مقدسون فى مدينة «بوباسطة» (٢) وقد احتجوا فى هذا الخطاب على أعمال السخرة التى فرضت عليهم ، بسبب أن أولئك الذين كانوا عليهم تأديتها كانوا فى حماية موظف (٣) وفضلا عن ذلك نجد أن حقيقة موقف الأجانب اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا كان مختلفا تماما عن موقف المواطنين المصريين . فقد كان حال الاجانب احسن بكثير الى درجة عظيمة .

فكان كل الموظفين المدنيين أصحاب المراتب العليا من الاجانب ومن بينهم ضباط الجيش وجنوده ، أضف الى ذلك ان مواطنى الاسكندرية وسكانها الاجانب كانوا يتمتعون بمكانة سياسية استثنائية كما كانت لديهم فرص عدة لتنمية ثروتهم . وكان لدى الاجانب فى الزراعة فرصة احسن مما لدى الأهالى اذ كان فى مقدورهم ان يصبحوا أصحاب املاك تنتج لهم دخـــلا كبيرا من الزراعة (٤) . وفى الصناعة كان الأجانب هم المتعهدين ، لا رجال الطبقـــة العاملة . وفى ادارة الضرائب كانوا هم المشرفين والكفلاء والوكـــلاء ، ولم يكونوا قط من صغار العمال . وكانـــت معظم المصارف الملكية والاهلية يديرها اغريق . وقصارى القول كان الاجانب على الرغـــم من انهم بحكم القانون من رعايا الملك مثل المواطنين المصريين ، فى الواقع شركاءه ومساعديه الذين يقتسمون معه حكمه للشعب المصرى . ويذكرنا نظام الحكم البطلمى الأول من هذه الوجهة الى حد ما هو جار فى المستعمرات الأوروبية وبخاصة

---

(١) راجع P. Cairo-Zen. 59130

(٢) راجع P. Cairo-Zen. 59451.

(٣) راجع P.Cairo-Zen. 59307; P. Hib. 35.8 & 95.9

(٤) راجع A. Segré and C. Preaux, L'Ec. Lag. PP. 133 ff.

فى العصر المبكر للتطور الاستعمارى ، فقـد كانت العلاقات بين الاوربيين والاهالى فى تلك الفترة علاقة التسلط لا علاقة الاشتراك فى احوال البلاد ، فكان كل ما يرمى اليه المستعمر فى واقع الأمر هو استغلال القطر المستعمر لفائدته الشخصية . وهكذا كانت حال البطالمة وعملائهم فى مصر لحد كبير مع المصريين .

على انه يجب علينا الا نبالغ فى قوة الأجانب مهما كانت حالهم . حقا كان كبار الموظفين بطبيعة الحال أصحاب نفوذ عظيم فى شئون البلاد ، غير أنهم كانوا تابعين للملك كلية أو لرؤسائهم الذين يحمونهم ، وكانت مسئوليتهم من الوجهة المادية والشخصية عظيمة . فقد كان الرجل الذى يعد نصف اله فى ذلك العهد يمكن ان يغضب عليه الملك ويسجنه ثم ينفذ فيه حكم الاعـدام فى الغد ، كذلك كان يصادر الملك كل ما جمعه من ثروة ومال . وحتى مالدينا من سجلات ضئيلة يحتوى على أمثلة كثيرة من اصحاب المكانة الذين طوح بهم الملك من عليائهم وقضى عليهم قضاءا نهائيا . ومثل هذا المصير كان من الممكن ان يصيب موظفين من الطبقة الثانية ، كما نجد ذلك مذكورا كثيرا فى مراسلات «زينون» فقد كان هؤلاء الرجال من وكلاء الملك ، فاذا برهنوا على أنهم خونة او غير اكفاء ، فان الملك لم يتردد قـط فى ان ينتقم منهم بمصادرة املاكهم .

ضباط الجيش وجنوده

ننتقل بعد ذلك الى طائفة أخرى من الاغريق الذين كانوا يسعون فى جمع المال والغنى وأعنى بذلك ضباط الجيش وجنوده . فقد كان من الجائز ان حربا مظفرة قد تأتى بغنائم مادية لرجال الجيش . والواقع اننا لا نعلم كيف كان البطالمة يتصرفون فى غنائم الحرب ، وكل ما وصل الينا فى هذا الصدد هو أن الملك بطليموس «فيلوباتور» بعد انتصاره فى موقعة «رفح» أعطى هبات سخية من غنائم الحرب لجنوده وقد تفاخر ضباط الملك «بطليموس

الثالث» «ايرجيتيس» بانهم تسلموا هبات من الذهب من الملك (١)

وأخيرا نجد ان الجنود عندما استقر بهم المقام فى البــــلاد وأصبح لهم مساحات من الأرض ملكا لهم ، كانت الفرصة سانحة امامهم لتنميه أرضهم وتحسين حالها بالعمل المتواصل ، وباضافة أراض أخرى لهـــا ، وبزراعة الكروم وشجر الزيتون وأشجار الفاكهة . وكانت الضرائب التى يدفعها هؤلاء الجنود المرتزقون أصحاب الأراضى لم تكن عالية كالتى كان يدفعها مزارعو الملك . هذا وكانوا يدفعون بوساطة ضريبة خاصة عشر المحصول بدلا من السدس ، يضاف الى ذلك انهم كانوا يتمتعون بحريه اقتصادية اكثر من اهالى البلاد بدرجة عظيمة . وفعلا نجد ان بعض الجنود المرتزقين قد أصابوا نجاحا بوصفهم ملاك ارض ، ولكن ليس فى استطاعتنا ان نحصى عددهم . وعلى أية حال لم تكن النسبة بينهم قليلة . وكان اصحاب الاطيان هم من المقدونيين والاغريق والتراقيين والسوريين والاناضوليين ، اى انهم كـــانوا ينتمون الى سلالات تنتج عمالا كادحين ورجالا أصحاب نشاط ومبادرة . ومع ذلك كانت تعترضهم عقبات فى سبيل نجاحهم الاقتصادى . اذ الواقع ان الخدمة العسكرية فى عهد الملـــك «بطليموس الثانى» لم تـــكن خدمة دعة وراحة بل كان الجنود دائما فى ميدان القتال لكثرة الحروب فى عصره وكانت أراضيهم تستردها الحكومه أحيانا أثناء غيابهم أو كان يدير شئونها أجانب .

والواقع انهم لم يكونوا احرارا تماما فى عملهم الزراعى ، فقـــد كانوا مراقبين بعناية ، وكانوا يعانون متاعب لا تكاد تقـــل عن متاعب الفلاحين المصريين من عدم كفـــاية الموظفين الذين يتعـــاملون معهم وخيـــانتهم ومن الصعوبات التى كانت تنجم عن نظام الاقتصاد الذى وضعه البطالمة . فقـــد

(١) راجع H. Gauthier and H. Sottas, Un Decret trilingue en Honneur de Ptolemée IV, (1925), and by W. Spiegelberg und Otto, Bay, S.B., 1925, 4; Cf. H. Sottas. Rev. de l'Eg. Anc. I: (1927) PP. 230 ff.; Bevan Hist. of Egypt. P. 388 ff.

كانوا أحيانا مجبرين على ان يبيعوا حتى حبوبهم لا فى السوق الحرة بـل للحكومة بالثمن الذى حددته .

ملاك الأراضى والبيوت

ومما لا نزاع فيه أنه كان يوجد فى مصر فى عهد البطالمة طبقة من الملاك أصحاب يسار يملكون ارضا وبيوتا ، هذا خلافا لطبقة الضباط وموظفى التاج وطبقة الجنود الذين كانوا يقطنون فى البلاد . ولا أدل علىّ ذلك من البيانات التى ذكرناها من قبل ، وكذلك من المواد الخاصة التى نجدها فى نظام مصر الاقتصادى فى تلك الفترة . والمعلومـات التى لدينا عن هـذا الموضوع مستقاه من بعض وثائق هامة نخص بالذكر منها المقدمة التى صدر بها ما يسمى «قوانين الايرادات» التى وضعت فى عهد «بطليموس الثانى» وهى تحتوى على القواعد العامة الخاصة بتأجير الضرائب ، كذلك وثيقـة مشابهة يرجع عهدها الى حـكم الملـك بطليموس الخامس «ابيفانيس» (٢٠٥ــ١٨٠ ق.م) وتحتوى على مجموعه من اللوائح تبحث فى كل الضرائب التى كان يؤجرها متعهـدون فى مقاطعة «البهنسة» (١) . والمعلومات التى استنبطت من هاتين الوثيقتين قد استكمـلت بمعلـومات استخلصت من وثائق أخرى عديدة لها علاقة بالموضوع .

وقد رأينا فيما سبق كيف نظمت الحياة الاقتصادية فى مصر . وذلك أن آلاف الآف من المنتجين والمستهلكين والممولين ــ وكان بعض رجال الفئة الأولى مرتبطين مع الحكومة بعقود ــ كانوا يضيفون الى ثروة الملك . وكان مـا يوردونه لخزانة الملك ، ولمصارفه ومخازن غلاله يجمعه آلاف من الموظفين من درجات منوعة تنتهى بأسفل درجة . وهؤلاء الموظفون كانوا مسئولين امام الملك عن اداء واجباتهم التى نص عليها فى العقـود التى كانت تربط مزارعى الأرض والطبقات المختلفة بالملك .

---

(١) راجع U.P.Z. 112.

ملتزمو الضرائب أو مؤجرو الضرائب

وقد أدخل البطالمة فى هذا النظام المتزن من حيث الممولين من جهة ومن حيث الجباة من جهة أخرى عنصرا ثالثا من الرجال متصلين بجمع الايرادات. وهؤلاء كانوا يعدون وسطاء او مؤجرى ضرائب ، وقد يكونوا افرادا أو جمعيات ، وكان يوكل اليهم القيام بدور خاص فى تحصيل ضرائب الايرادات الملكية . ونلحظ أنه فى بلاد الاغريق كان هؤلاء الوسطاء هم المحصلون الفعليون للايرادات فكانوا يدفعون مبلغا اجماليا للحكومة ضمانا وبذلك كانوا يعطون حق تحصيل مبلغ خاص من الممولين . ولكن فى مصر نجد أن الحالة كانت مختلفة ، فقد كان تحصيل الايرادات الفعلى من واجب موظفى الحكومة الذين كانوا يوردون المبالغ والسلع التى يحصلونها الى المصارف الملكية والمخازن الحكومية . وكان الملتزم المصرى أو مؤجر الضرائب لا دخل له فى التحصيل الفعلى الا بقدر ضئيل جدا ، ولكن كان له فى تحصيله فائدة حيوية فكان يقوم بجزء فعال فى مراقبة كل من منتج الايرادات ومحصل الضرائب ، وذلك لأنه بمقتضى عقودهم التى أبرموها مع الملك قد تعهدوا وأمضوا له بتحصيل تام لأيراد خاص أى تحصيل مقدار معين من السلع أو مبلغ معين من النقود . وكانوا فى حالة عجزهم عن دفع المطلوب منهم يقوم الشركاء بالاضافة الى الضمانات التى دفعوها بسد العجز . أما فى حالة الافلاس فان الاملاك التى رهنها المتعهدون وكذلك الضمانات تأخذها الحكومة وتبيعها . ومن جهة أخرى اذا سار كل شيء وفق المطلوب ، وكان ما جمع زائدا عن المطلوب فان هذه الزيادة تكون هى المكسب ، وفوق ذلك كانت الحكومة تقدم لهم هبة أو مرتبا .

وهذا النظام البطلمى الخاص بتأجير الضرائب وهو الذى يرجع فى اساسه الى نظام اغريقى كان نظاما يدل على عبقرية اقتصادية ، وذلك لان البطالمة بادخالهم وسطاء بينهم وبين الممولين والجباة قد حافظ على مصلحتهم

بحذق ومهارة . اذ الواقع أنه كانت توجد جماعتان وهما محصلو الضرائب والملتزمون ، وكانت كل جماعة منهما مسئولة امام التاج ، وكلاهما كانتا تعملان فى تحصيل الايرادات من الممولين . وكانت اهمية كلا الطرفين من هذه الوجهة موحدة كما كانت معاونة الواحدة الأخرى تجعل من المستحيل على الممول أن يحيد عن دفع ما عليه ، ومن جهة أخرى كان ارتكاب خيانة أو اظهار تراخ من جانب موظفى الملك لابد أن يلحق ضرر بصالح جماعة مؤجرى الضرائب . وعلى ذلك كان هؤلاء يعملون بمثابة مراجعين على اعمال الموظفين . اما الخاسرون فى هذا النظام فهم الممولون . والواقع ان الموظفين ومؤجرى الضرائب كانوا مقيدين بدفع غرامات فادحة ان هم لم يحصلوا الايرادات كاملة . وسواء فى نهاية العملية قد أصاب الممول الخراب أم لا ، فان ذلك لم يكن ذات أهمية لديهم . ولكن ذلك كان من جهة أخرى أمر يهم الملك كثيرا بطبيعة الحال . ومن أجل ذلك كان يشدد فى ألا يعامل الممول معاملة سيئة فلا غش ولا نهب يصيبه . وعلى أية حال كانت القاعدة أنه اذا اتحد الموظفون ومؤجرو الضرائب معا فانهم يكونون اقوى من الملك اذ كان فى امكانهم أن يختلسوا من الأموال كما يشاءون .

وعلى الرغم من أن مهنة تأجير الضرائب كانت تتعرض لأخطار فانها كانت على ما يظن بوجه عام مربحة فنجد فى العهد الأول من عصر البطالمة انه كان يتقدم الى الدخول فى غمارها طلاب كثيرون لامضاء عقود بصفقات ، وكانوا لا يحرمون ضمانات تساندهم . والظاهر ان عدد المتعهدين بتأجير الضرائب كان كبيرا نسبيا ، وذلك لأن الايرادات الملكية المؤجرة كانت كثيرة ، وذلك على الرغم من أنه ليس فى مقدورنا ذكر عدد المؤجرين . وعلى الرغم من وجود رجل من أصحاب الثروة هنا وهناك احيانا فى انحاء البلاد يكون فى مقدوره ان يعقد عدة صفقات ايجار فى أن واحد وبذلك

يجمع جزءا عظيما من الاشغال فى يديه ـ كما يحتمل أن «زينون» قد فعل ذلك وبخاصة بعد اعتزاله أعمال الحكومة وأصبح حـرا ـ فان القـاعدة المتبعة على ما يظن كانت توزيع عقود تأجير الضرائب على عـدة افراد لا تجميعها فى يد فرد واحد . ولابد ان نضع في ذاكرتنا أن صفقات الاطيان وغيرها كانت تؤجر محليا ، وذلك لأن المراكز الصغيرة لم تكن قط اكبر من المقاطعة ، وانه كان لابد لكل مؤجر من معرفة تامة للأحوال المحليه . هذا اذا كان المؤجر أو الملتزم عليه أن يقدر المحصول بنجاح ، وذلك لأن عمله لم يكن من الاعمال المريحة بل كان يتطلب حضوره الشخصى فى عمليات لا حصر لها متعلقة بتقدير الأسعار الفردية وجمعها . ومن ثم كان معظم مؤجرى الضرائب محليين واعنى بذلك أنهم كانوا رجالا من أهل الجهة وعلى معرفة حقة بكل من الممول والمحصل . وكان كل المؤجرين من أهل اليسار ولهم علاقات و اسعة بالاشغال ، كما كان من واجبهم ان يقدموا ضمانا كافيا تماما . وهذا الضمان كان فى العادة عقارا حقيقيا كبيوت أو كروم اوحدائق أو أرض زراعية .

وعلى ذلك نرى انه بوجود نظام تأجير الضرائب والاحتكارات كان فى مصر فى عهد بطليموس الثانى طبقة عديدة من اصحاب اليسار معظمهم كانوا يملكون عقارا حقيقيـا أى أنهم كانوا رجالا لهم مال مدخر ويرغبـون فى تثميره فى اعمال تدر عليهم ارباحا وفيرة . وتدل شواهد الاحوال على ان السواد الأعظم منهم كانوا اغريقا . ومن ثم يمكننا أن نستنبط أنه فى عهد بطليموس الثانى قد نمت طبقة متوسطة من الاغريق لم تكن موحدة بطبقة الموظفين الذين كانوا فعلا فى خدمة التاج (لأن هؤلاء كان محرما عليهم ان يدخلوا فى تأجير الضرائب او أن يشتركوا معهم أو يضمنـوا مؤجرى الضرائب) أو بالجنود المرتزقين أصحاب الأراضى .

هذا وكانت توحيد طبقة اقل من الطبقة السالفـة الذكر تحتـوى على آلاف من تجار التجزئة الذين أجروا من الحكومة حق الاتجار فى انـواع خاصة من السلع ، وكانوا هم المسؤلين عنها . وكان مثل هذا العمل يحتاج بطبيعة الحال الى بعض رأس المال . ومما تجدر ملاحظته هنا ان هذه الطبقة من التجار لم تكن مؤلفة من اغريق فقط وذلك لان تجار التجـزئة كان معظمهم من الوطنيين ، غير ان وجودهم يعد دليلا على وجود طبقة من صغار «الطبقة الوسطى» لهم علاقة وثيقة بالنظام المصرى الجديد .

والآن يتساءل المرء من هم اعضاء الطبقة الوسطى (البورچوازية) الاغريق كان بعضهم يمكن أن يكونوا من الموظفين والضباط أو الجنود المتقاعدين ونسلهم ، وبعضهم من نسل الاغريق الذين كانوا قد استوطنوا مصر قبـل الفتح الاسكندرى ، غير ان عددا منهم لم يكن من أحد الصنفين السابقين. والمحتمل جدا انهم كانوا مهاجرين من بلاد الاغريق وهم الذين وفدوا على أرض الكنانة لا بوصفهم جنودا وموظفين بل أفرادا يملكون بعض المـال جاؤوا لتثميره فيما يدر عليهم الثراء . وقد نوهنا فيـما سبق عن اسباب صعوبة الحياة فى بلاد الاغريق فى عهد الاسكندر وما قبله ، ولا غرابة ان نرى مثل هؤلاء الافراد ينجذبون الى مصر حيث الطمأنينة ووفرة اسباب العيش والسيادة على اهل البلاد وعلى أية حال كان يتألف فى مصر وقتئذ طبقة من البرجوازيين . وكان ملوك البطالمة يعلمون هذا الأمر وقد فتحوا أبواب نظام اقتصادهم الجديد امام هذه الطبقة الجديدة من الاغريق . ومن الجائز ان مشاطرة الحكومة فى الربح كان مغريا جدا لهؤلاء الاغريق . وقد كان بعضهم من مهرة مؤجرى الضرائب فى بلادهم ، ومن ثم كان أملهم أن يقوموا بمزاولة هـذه المهنة بنجاح فى مصر كما زاولوها فى بلاد الاغريق مسقط رأسهم . وفضلا عن ذلك لم تكن فى مصر فرص عدة اخرى للنشاط

فى الاعمال . وكانت فرص التجارة محددة : حقــا كانت « الاسكندرية » مفتوحة أمامهم ولكن جزءا عظيما من التجــارة الداخلية فى البــلاد كان معظمها فى يد الحكومة ، وكانت الصـــناعة بعضها فى يد الحكومة فى حين ان جزءا عظيما كان فى يد الاهالى وذلك باستثناء الصناعة فى الاسكندرية كما هو المحتمل لانها كانت بلدة اغريقية لحد ما . ولم يبق امام الاغريق الا تثمير اموالهم فى الارض والاسهام بصورة محسة فىادارة الايرادات الملكية.

وخلافا للطبقة العليا من سكان مصر الأجانب ، كان يوجد دون اى شك عدد كبير من المهاجرين الذين كانوا يكسبون قوتهم بالعمل بجد فى الزراعة والصناعة والتجارة بوصفهم عمالا وأصحاب سفن ، وكتبه وغير ذلك . ومن تم يمكن أن نسلم مطمئنين بوجود مثل هذه الطبقة فى الاسكندرية . ولكن لابد ان نلحظ ان جماعات الرجال الذين من هذا الصنف كانوا منتشرين فى كل قرى مصر . واذا القينا نظرة سطحية على قائمة الافراد الذيــن كانوا يعملون فى مختلف الانواع الزراعية والصناعية والاعمــال المنزلية (وهى التيجمعها المؤرخ «برمانز» (Peremans) ومعظمها من أوراق «زينون» ،) لرأينا عدد الاغريق الذين كانوا يشتغلون فى الاعمال الاقتصادية المنوعة فى ضيعة «ابوللونيوس» ببلدة «فيلادلفيا» كانوا يتنافسون فى هذه الأعمال مع الأهالى . وبطبيعة الحال كان بعضهم يملـــك بعض الثروة بان كانوا متعهدين يباشرون تنفيذ بعض الاعمال ، أو كانوا افرادا قد ثمروا اموالهم فى زراعة الكروم وزراعة القمح . وهؤلاء لابــد ان نعتبـرهم من طبقــة البوارجوازية ولكن بعضهم كانوا مهنيين عاديين وعمالا (١) .

وانه لمن المهم أن نعرف عدد الأجانب الذين استوطنوا مصروكانوا يعملون

(١) راجع Rost. Geschichte der Staatpacht, U. Wilcken, Ostraca I. PP 650; & Grundz., PP. 182 ff., G. McLean Harper Jr. Tax-Contractors and their relations to Tax-collectors in Ptolemaic Egypt. Aeg. XIV (1934), PP. 49 ff.

فى مهن منوعة . ولكن مما يؤسف له انه ليس لدينا مصادر يمكن الاعتماد عليها فى هذا الصدد . وقد عملت محاولة حديثا قام بها المؤرخ «سجرى» (Segré) . وذلك بعمل احصائية لعدد السكان الاغريق فى مصر وقد اعتمد فى احصائه هذا فقط على قاعدة ما هو معروف من عدد الجيوش التى حشدت فى مصر على يد البطالمة وبخاصة فى عهد بطليموس «فيلوباتور» وهو موثوق به . والنتائج التى وصل اليها «سجرى» هى ان مصر قد امتصت ماية وخمسين ألفا من الشبان الاغريق والمقدونيين ، وامتصت «سوريا» و «آسيا الصغرى» ضعفى هذا العدد أى ما يعادل خمس سكان بلاد الاغريق . غير أن هذه الأعداد على أية حال لا تعد أساسا متينا بل فيه شك كبير ، وذلك أن «سجرى» أخطأ فى احصاء عدد الفرسان والمشاة فى موقعة «رفح» ولم يأخذ فى حسابه اغريق الاسكندرية ومن خارجها من الذين لم يكونوا سكانا عسكريين . وليس لدينا أية فكرة فيما اذا كان اى من هؤلاء الاغريق قد جندوا مع السكان العسكريين ، واذا كان الأمر كذلك فبأية نسبة جند منهم . وفضلا عن ذلك فانه من المحتمل جدا ان عدد الاغريق فى مصر فى عام ٢١٧ ق.م اى فى عهد بطليموس «فيلوباتور» لم يكن يمثل العدد الأصلى للمهاجرين من بلاد الاغريق و«مقدونيا» ، يضاف الى ذلك انه حتى الاغريق الذين يسكنون مصر فانهم كانوا محصيين تماما (١) . ولا غرابة فى ذلك فانهم كانوا يعيشون فى بحبوحة من العيش وفى ايديهم كل مرافق الحياة فى حين كان الشعب المصرى نفسه بوجه عام يقاسى آلام الفقر والحرمان وكانت تقع على عاتقه كل الأعمال التى تحتاج الى مجهود جسمانى مضن جبار فى حين أن ثمار كدحه كان يجنيه

(١) راجع A. Segré, Note Sull'economia dell'Egitto ellenistico nell'età Tolemaica; Bull. Soc. Arch. Alex. XXIX (1934). PP. 265 ff.

الملك أولا والاغريق والمقدونيون الذين احتلوا البلاد وسيطروا على أرزاقها.

ولقد حاولنا فيما سبق ان نرسم بعض الخطوط العريضة التى وضعها البطالمة للاصلاحات الاقتصادية فى الديار المصرية بشىء من الدقة ، غير انه لا تزال هناك مسائل كثيرة غاية فى الأهمية ، موضع نقاش حاد . ومن اهم هذه المسائل وأظلمها العلاقات التى كانت بين الاغريق وأصحاب السيادة فى البلاد وبين الطبقة الدنيا من الشعب المصرى او بعبارة أخرى بين الاغلبية العظمى من المصريين لأنهم كانوا كلهم فقراء ـ وبين الاغريق الاغنياء الذين كانت فى أيديهم ادارة البلاد . ولحسن الحظ كشف اخيرا عن سجلات ضخمة يبلغ عددها حتى الآن حوالى ألفى وثيقة تكشف لنا عن نواح عدة من الحياة المصرية ومن بينها هذه الناحية التى نتساءل عنها . وهذه السجلات هى مجموعة المراسلات التى تركها لنا زينون وكيل الوزير ابوللونيبوس فى عهد بطليموس الثانى ، وسنحاول ان نكشف فى الفصل التالى عن علاقات الطبقة الدنيا من المصريين الكادحين مع طبقة الحكام والاغنياء من الاغريق الذين كان على رأسهم الملك .

الحياة الاجتماعية للطبقة الدنيا فى مصر وعلاقتها بطبقة الحكام الاغريق فى خلال القرن الثالث قبل الميلاد

تحدثنا فيما سبق عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فى مصر من الوجهة الاغريقية او بعبارة أخرى من وجهة الطبقة الحاكمة التى كان بيدها كل شىء ولم نتعمق قط فى كيفية معاملاتهم واختلاطهم بصورة واضحة مع افراد الشعب المصرى الذين ينتمون الى الطبقة الدنيا وهى الطبقة الكادحة التى كانت تقوم بأعباء الأعمال الهامة كلها التى كانت العماد الأساسى لحياة الاغريق أنفسهم والتى بها كانوا ينفذون سياستهم الداخلية والخارجية . والواقع أنه مما يؤسف له ان نرى المؤرخين الذين خصصوا أنفسهم فى تاريخ عصر البطالمة بل وفى تاريخ العالم الهيلانستيكى قد

تعمعوا بوجه خاص فى المسائل المنوعة التى تتصل بحياة السكان الاغريق أو الذين صبغوا بالروح الهيلانستيكية فى حين نرى أن اهتمامهم بالمجتمع المصرى وبخاصة الطبقة الدنيا التى لم تصبغ بالثقافة الاغريقية لم يكن الا لماما وبخطا وئيدة عرجاء لم تبلغ فى سيرها نحو هدفها شوطا بذكر . والأسباب التى ساعدت على وجود هذه الحالة هى الصورة التى وجدنا عليها المصادر التى فى متناول الباحثين فى هذا الموضوع . وليس من شك فى أن المصادر الاغريقية الهائلة العدد التى كشف عنها قد فرضت على المؤرخين والباحثين هذا الموقف أو هم فرضوه على أنفسهم . فقد أخذوا بالآداب والثقافة الاغريقية الاتباعية وبطرق الاقتصاد البطلمى الغريب حتى أعماهم كل ذلك عن رؤية العالم القديم الا بأعين الاغريق والرومان الذين من طبقات رفيعة بوجه خاص . ولا غرابة فى ذلك فان الباحثين الأحداث يجدون بين أفراد هذه الطبقة الكتاب العظام الذين أخذوا من كتاباتهم ما دونوه لنا من معلومات عن مصر فى هذا العصر . حقا يلحظ أن العلماء قد بدءوا حديثا يظهرون اهتمامهم بالبحث عن حياة الشعب المصرى نفسه ، غير ان هذا الاهتمام لم يراع الا عرضا خلال القيام بدراسات عامة أكثر منها خاصة تنحصر فى العلاقات المتبادلة بين المصريين أهل البلاد الاصليين وبين الاغريق الأجانب . وعلى أية حال لم تؤلف كتب خاصة فى هذا الموضوع حتى الآن، الا مقالا واحدا كتبته عالمة بولندية (١) حديثا قد ينير الطريق لبحوث أخرى فى هذا الصدد .

ولا نزاع فى أن تاريخ مصر ومصادره فى العهد الهيلانستيكى كان معروفا أكثر من تاريخ كل الممالك المعاصرة المعروفة لدينا . ويرجع الفضل فى ذلك الى تربة أرض الكنانة وما حفظته لنا بمناخها المدهش من أوراق بردية

(١) راجع The Journal of Juristic Papyrology, Vol. VII-VIII, 1953-1954. Anna Swiderck. P. 231 ff.

وآثار منقطعة القرين . ولذلك قد أصبح لزاما علينا أن نسير الى ذلك قبل كل شيء اذا اردنا أن نحاول رسم صورة للمجتمع المصرى الأصيل الذى كان يعيش فى احدى الدول التى قامت على أنقاض امبراطورية «الاسكندر الأكبر» ، على أنه يجب ألا يغيب عن أذهاننا أنه يوجد عقبات تقوم فى وجهنا خلال بحثنا هذا الموضوع . وأول هذه العقبات أنه لم يكن فى استطاعتنا أن نفرق بين مصر واغريقى الا فى القرن الثالث أى فى العهد الأول للسيطرة الاغريقية فى مصر ، وذلك لأن صبغة سكان أهل البلاد بالصبغة الهيلانستيكية وامتزاج الهيلانيين بهم قد خلق فيما بعد خليطا كبيرا من الناس لدرجة ان مجرد ذكر الاسم قد أصبح لا يدل على قومية الفرد . والعقبة الثانية هى أن الغالبية العظمى مما وصل الينا من الاضمامات البردية كان مثلها كمثل المصادر الأخرى التى وصلت الينا من العصر الهيلانستيكى قد دون باللغة الاغريقية، يضاف الى ذلك أن الأوراق الديموطيقية التى نشرت حتى الآن لا تقدم لنا الا معلومات قليلة عن المجتمع المصرى . هذا فضلا عن أن معظم الأوراق البردية الديموطيقية التى وصلت الينا لم يدرس بعد ولا يزال ينتظر الحل والفحص . وعلى أية حال فان هاتين العقبتين السابقتين تفرضان على دراسة هذا الموضوع طرقا وحدودا لا مفر من اتباعها . ومن ثم يجب أن يكون اساس هذا البحث المصادر التى وصلت الينا حتى الآن من القرن الثالث ق.م وهو موضوع بحثنا فى هذا الكتاب ، وفى الوقت نفسه يجب علينا أن نتعمق فى تحليل هذه المصادر قدر المستطاع لنخرج منها بصورة تكشف لنا الحجاب عن حالة المجتمع المصرى الذى ظل مجهولا لنا حتى الآن . والمصدر المنقطع القرين الذى سيكون عمادنا فى هذا البحث وهو سجلات «زينون» وقد انتفع به من قبل الباحثون بدرجة كبيرة فى دراساتهم للحياة الاقتصادية فى مصر البطلمية . وقد تحدث المؤرخ الكبير

«روستوفتزف» عن هذه السجلات فى كتابه الخالد المسمى «ضيعة كبيرة»(١) هذا وقد ذكرت لنا الانسة بريو قائمة بمحتويات سجلات زينون (٢) والى سجلات «زينون» يرجع الفضل فى درس هذا الموضوع بما تحتويه من مادة غزيرة وما تشمله من معلومات منوعة مما يفتح لنا الطريق وينيره حتى نرى البناء الداخلى للمجتمع المصرى الأصيل خلال القرن الأول من السيطرة الاغريقية وموقفها المادى ، فسنرى فيه العداوة بين الحاكم والمحكوم ، والكراهية المتبادلة التى نبتت بسبب ما ارتكبه الحاكم من جور واضطهاد بينهما ، كما سنرى الروابط الأسرية وحياة الأسرة الخاصة وحالة السكان الأصليين بالنسبة للفاتحين الاغريق ، وكذلك سيتضح لنا تضامن المصرى مع أخيه المصرى على الغاصب الأجنبى ، كما سنشاهد انقسام بعض الجماعات على بعضهم بعضا ، والتنافس الذى يقوم بين أصحاب الحرف والمهن . وكل هذه الأمور قد تسمح لنا أن نفهم بصورة أفضل سياسة البطالمة نحو رعاياهم غير الاغريق ، كما تسهل لنا بوجه عام التعمق فى معلوماتنا التاريخية للمؤسسات الهيلانستيكية ، كل هذه الموضوعات لم يكن درسها حتى الآن مما كشف من الاوراق الديموطيقية التى لا تزال فى مستودعات المتاحف والمكتبات لم تحل بعد !!

ومما يجب التنويه عنه هنا اولا ان المصريين الذين جاء ذكرهم فى رسائل سجلات زينون هم من الطبقة الدنيا والقليل منهم من الطبقة الوسطى . والشخصية الوحيدة التى تعتبر فى هذه السجلات من علية القوم هو الكاهن الأكبر «بتوزريس» على ما يظن ، وهو الذى أمر «زينون» بتوصيل رسالة

(١) راجع M. Rostovtzeff. A Large Estate in Egypt, in the Third Century.

(٢) راجع C. Preaux, Les Grecs en Egypte d'après les Archives des Viereck, Philadelpheia, Morgenland, Beiheft Zum Alten Orient XVI, C.C.; Edgar, Introduction to the Zenon Papyri in the University of Michigan Collection

اليه كما جاء ذلك فى وثيقة (١) .

وعلى الرغم من ذلك فان هذا المجتمع الذى يصادفنا فى هذه السجلات لم يكن متجانسا . اذ نجد أن المصريين كانوا يمارسون عددا كبيرا من الحرف والمهن فكان جم غفير منهم يفلح الأرض ، فى حين نجد نفرا منهم كانوا يربون الخنازير ، كما وجدنا من بينهم نحالين وضاربى طوب وقاطعى أحجار وصناع فخار وبنائى سفن ، وصغار موظفين يعملون فى ادارات الحكومة أو الشرطة . هذا وكان آخرون يشتغلون فى ضيعة «ابوللونيوس» وزير «بطليموس الثانى» تحت ادارة «زينون» وكيله ، أو كانوا يعملون فى التجارة اما بوصفهم عملاء «زينون» او يعملون لحسابهم الخاص . وأحيانا نجد فى هذه السجلات ذكر كهنة وبخاصة من الطبقة الدنيا ، كما نجد فرقا محسا بين أفراد حرفة واحدة . وبصورة عامة يلحظ أن كل هؤلاء المصريين كانوا يحتلون مكانة اجتماعية أقل من التى كان يتمتع بها الاغريق المحتلون ، وذلك على الرغم من أنه يوجد بين الاغريق من ينتمى الى الطبقة السفلى من طبقات المجتمع المصرى .

والخاصية التى يتميز بها المجتمع المصرى كما يستنبط من سجلات «زينون» — عندما يتناول البحث ضيعة «أبوللونيوس» فى «الفيوم» وهى نفس الحالة تقريبا فى كل المتون — هى أن الاغلبية كانت مؤلفة من وافدين جدد : وهذا ينطبق على المصريين وعلى المهاجرين الاغريق على السواء وذلك لأن «فيلادلفيا» كانت مؤسسة جديدة . وكان معظم السكان الذين وفدوا عليها من القرى المجاورة ، ولكنا نرى بينهم كذلك رجالا وحتى

(١) راجع Papiri greci e latini (Publicazioni della Società Italiana per la ricerca dei Papiri greci e latini in Egitto) by G. Vitelli, M. Norsa and others. Florence 1912, etc. P. 642. (The latest part is fasc. I, of Vol. XIII. (= PSI.).

موظفين هاجروا اليها من مقاطعات نائية (١) . هذا ونجد فى أسفل درج هذا السلم الاجتماعى الطبقة المغمورة الذكر وهم الفقراء والمعوزون من أبنـاء الشعب المصرى ويؤلفون وحدة مميزة . ونعرف فى معظم الاحيان اسماءهم وكذلك نعرف أن الجزء الأعظم منهم كانوا مصريين ، والكلمة الاغريقية «لاوس» (Laos) كما لاحظ احد العلماء لا تدل على الفريق المصرى من الطبقات الاجتماعية الدنيا ، ولكن تدل على مجموع الطبقة السفلى دون تمييز قومية (٢) .

ويندر فى الواقع ان نجد فى المتون ذكر قومية هذه الطبقة من السكان (= لاوى) ومع ذلك نصادف فى متون سجلات «زينون» سوريين وعربا وبدوا (٣) .

ومن المحتمل أنه كان من بينهم أسرى حرب قدامى جلبوا من الحـروب الكثيرة التى شنها «بطليموس الثانى» وأخلافه من بعده «ايرجيتيس» (٤) وأفراد هذهالطبقة السفلى = (لاوى) كانوا قبل كل شىء مزارعين ملكيين(٥) حيث نجـد أنه قد ميزت ثلاث طرق لاستغلال الأرض التى اسـتعملت فى ضيعة «أبوللونيوس» . وهاك هذه الطرق : (أولا) كان «زينون» وكيل «أبوللونيوس» يؤجر الارض الى ملتزمين بطريق المزاد العلنى . وهؤلاء الملتزمون كانوا فى معظم الأحيان من الاغريق أو من المقدونيين ، كما كان يوجد من بينهم عدد قليل من المصريين . هؤلاء المؤجرون . أو الملتزمون من جهتهم

(١) راجع C. Preaux, Les Grecs. P. 68.
(٢) راجع (W. Peremans. V.E.) P. 266.
(٣) راجع Ibid. P. 86; F. Heichelheim Auswartige Bevolkerung in Ptolemaerreich, P. 70.
(٤) راجع Rostov, H.W. P. 203.
(٥) راجع Rostov, (L.E. 72 ff.)
وكذلك راجع وسترمان W.L. Westermann. A Lease from the Estate of Apollonios, Memoirs of the American Academy in Rome, Vol. VI. P. 13.

كانوا يستخدمون عمــالا بمرتبــات يكاد يكونون كلهم من المصريين ، أو كانوا بدورهم يؤجرون جزءا من النصيب الذى أجروه الى مؤجرين آخرين مصريين . (ثانيا) كان «زينون» يعقد عقودا مع جماعات من المزارعين الذين كانوا يؤجرون قطعا صغيرة من الأرض وتسمى الأرض التى يزرعها الناس ويظن المؤرخ «فسترمان» ان القطعة التى كان يؤجرها كل مزارع سواء أكان هذا الايجار مباشرا أو غير مباشر تتراوح مساحتها ما بين ١٥ الى ٢٠ أرورا. (ثالثا) كان الجزء الباقى من الأطيان تزرعه ادارة ضيعة «ابوللونيوس» دون وسيط ، وذلك بمساعدة عمال مأجورين ؛ كانوا بوجه عام مصريين . ومن ثم نرى أن الطبقة السفلى كان أفرادها يشتغلون فى أرض «أبوللونيوس» بوصفهم صغارا مؤجرين أو عمالا مأجــورين . وكان هؤلاء الكادحون يعملون فى الأرض بالمشاركة وكذلك أتبعت نفس الطريقة فى الحيوان (١) ؛ كما كانوا يستخدمون فى أعمال الرى التى كانت كثيرة فى الفيوم (٢) ؛ وكذلك كانوا يستخدمون عمالا فى المبانى العامة والخاصة (٣) وتدل شواهد الأحوال على أن علاقات هــــذه الطبقة من العمال مع الموظفــين الاغريق كانت موحدة ؛ ويظهر أنهم كانوا يؤلفون كتلة قوية كانت الادارة تحسب حسابها (٤) وذلك على الرغم من وجود شجار خطير بين طبقــة العمال هذه الذين ينتمون الى أقاليم مختلفة (٥) هذا وكانت هذه الطبقة الكادحة تمثل أمام الادارة الاغريقية

---

(١) راجع P. Cairo-Zenon, 59362.

(٢) راجع PSI 577.

وكذلك راجع Sammelbuch Griechischer, Urkunden aus Agypten by F. Preisiger and E. Kiesling. (P. 6797).

(٣) راجع P. Cairo-Zen. 59294.

(٤) راجع Cairo-Zen. 59815, 59203; PSI. 380; P. Mich. I, Zenon Papyri in the University of Michigan Collection by Edgar. P. 98; P. Lond. Inv. 2090 & 2094 (Sb. 7986); Rostov. L.E. 73 ff.

(٥) راجع P. London Inv. 2088, Rostov. L.E. P. 80.

فى أغلب الأحيان بمجلس من الشيوخ (١) . وكذلك برجال يسمون رؤساء العشرات (٢) ، وفى حالات قليلة جدا كان يمثلهم حاكم القرية (٣) .

وكانت الادارة الاغريقية تمد (صغار الفلاحين «لاوى») المزارعين بالبذور والحيوان والآلات وحتى بالمساكن اللازمة لهم (٤) وكان الكادحون يتسلمون أحيانا القمح لأجل أسرتهم فى بعض الحالات (٥) . وكانت الادارة أحيانا تحمى هؤلاء الكادحين من الأعباء المالية المرهقة .P.SI 483 فكانت تقرضهم النقود لدفع ضرائبهم (٦) . ولما كان ايجار الأرض مرتفعا فان المزارعين كانوا غالبا ما يصبحون عاجزين عن دفعها (٧) . كما كان من الصعب أن يتفقوا مع الموظفين الاغريق . هذا وكان تغير أحوال العمل فى أرض الاقطاع التى كانت ملك الجنود المرتزقة يؤدى الى قيامهم باحتجاجات شديدة بل والى اضرابهم ، كما يلحظ ذلك فى حالات معينة مثال ذاك ما جاء فى وثيقة من سجلات زينون .P.C.Z. 59245 حيث نجد أن المزارعين قد تركوا الأرض التى كانت ملكا لجنود مرتزقة اغريق ثم لجئوا الى المعبد . يضاف الى ذلك أن مسألة السكن لم تكن دائما متفقا عليها بطريقة مرضية كما نعلم ذلك من وثيقة سجلات « زينون » (٨) . غير أن هذه

---

(١) راجع P.C.Z. 59699, 59520; PSI. 380, 627; P. Lond. Inv. 2090; Rostov. L.E. P. 73.

(٢) راجع P.C.Z. 59294; PSI. 676, P. Mich. Z 98.

(٣) راجع P. Lond. Inv. 2088; Rostov. L.E. 73 (?)

(٤) راجع Preaux, Les Grecs, P. 50, No. 9. (+ PSI. 675; P. 51, nn. 1, 2, 3, P. C.Z. 59316.

(٥) راجع P.C.Z 59294, USI. 498.

(٦) راجع P. Lond. Inv. 2097; Rost. L.E. P 81.

(٧) راجع Preaux L'Economie Royale des Lagides (Cité-ci après C. Preaux E.R.) P. 131 ff.; C. Preaux, Les Grecs. P. 49 f. Rostov. H.W. PP. 279, 1102; PSI 502; P.C.Z. 59640.

(٨) راجع P.C.Z. 59410.

الوثيقة بكل أسف وجدت ممزقة . وفى بردية أخرى (١) . نجد أن قلة الماء قد سببت منافســات بين جمــاعة مختلفة من طبقة الكادحين فى الأرض ، يضاف الى ذلك أن حوادث السرقة العدة تنير لنا الطريق كثيرا عن أحوال معيشة الفلاح المصرى . فمن ذلك ما نقــرأه فى بردية (P.C.Z. 59368) أن الأهالى سرقوا دريسا ترك لمدة دون حراسة ، وفى وثيقة أخرى (٢) نقرأ أن المصرى «باوس» (Paues) وهو عامل بمرتب عند مصرى آخر يدعى فابيس (Phabis) قد هرب بحمار وحقائب ، هذا وقد كتب حاكم القاطعة «داميس» (Damis) الى «زينون» فى موضوع مزارعين قد سرقا بقرة (PSI. 366) ، وكذلك تحدثنا ورقة من أوراق سجلات زينون المحفوظة فى مشيجان (٣) ان سكان قرية عن بكرة أبيها قد وحدوا كلمتهم على مايظهر للدفاع عن بقرتين وعجل قد شك فى أنها قد سرقت . ومن المحتمل ان موقف الفلاحين كان يزداد سوءا عندماكانت حريتهم فى التنقل لم تكن تامة على الأقل لمده فترة معينة (٤) .

ومما يجب ملاحظته هنا ان عبارة مزارعى الملك لا تعنى فقط الفلاحين الذين يؤجر لهم زينون الأرض بعقود جماعية بل هم كذلك مزارعون مستقلون لديهم عقود منفصلة ، وكانوا يثمرون ، قطع أراضيهم على حسب رغبتهم تحت المراقبة الشديدة من قبل الحكومة أو من قبل ادارة الضيعة . ومساحة قطع الارض التى كان يزرعها المصريون كما وردت فى وثائق «زينون» مختلفة

---

(١) راجع P. Lond. Inv. 2088 24.
(٢) راجع P. Mich. Zen. 31 (?)
(٣) راجع P. Col. Zen. 85 27.
(٤) راجع P. Mich. Z. 98.
W. Peremans V.E. P. 109; Westermann, Agricultural History I. P. 24 ff; C. Preaux Les Grecs. P. 19ff., Rostov. H. W. P. 320; Rostov. L.E. P. 71.

جدا فأصغر قطعة مساحتها ثلاثة أرورات (١) ولكن نصادف بينها كذلك قطعة كبيرة جدا مثال ذلك قطعة مساحتها حوالى ٢٠٠ أرور في نفس المجموعة (P. Col. Zen. 78) ونجد قطعة تبلغ مساحتها ٨٨٠ أرورا (٢) .

أما الجنود المرتزقون من الاغريق والمقـدونيين الذين لا يريدون زراعة أرضهم بأنفسهم فانهم كانوا ينزلون عنهاغالبا الى مؤاجرين مصريين مثل «جامبيس» (Gampis) ورفاقه كما جاء فى ورقة من مجموعة أوراق كولولمبيا (٣) هامة كذلك من وجهـة نظر آخـرى ، اذ نرى فيهـا أربعـة مزارعين من مقاطعـة «اهناسـيا المدنية» وهم «جامبيس» (Gampis) و «بوكاس» (Pokas) و «بتوباستيس (Petobastis) وباسيس يمضون عقـدا جماعيا من مالك أرض اغريقى من الجنود المرتزقين يدعى أسكلبيادس (Asklepiades) وهو مالك لقطعة أرض مساحتها مائة أرور ، هذا ونجد فى حالات أخرى كذلك شركاء يزرعون الأرض سويا كما هى الحال فى احدى وثائق مجموعة زينون .

وتدل شواهد الأحوال على أن حالة بعض هؤلاء المزارعين كانت لا بأس بها نسبيا . اذ نجد مزارعين مؤجرين لقطع أرض وفى الوقت نفسه يملكون قطع أرض صغيرة مثل الكهنة والموظفين (٤) . ونجد كذلك عددا كبيرا منهم كانوا مرؤسين «لزينون» و «لأبوللونيوس» فى الوقت نفسه ويتقاضون

---

(١) راجع Business Papers of the third Century B.C. dealing with Palestine and Egypt, 2 vols. by W.L. Wiestermann and others New York, 1934-1940, P. 85 27 (= P. Col. Zenon).

(٢) راجع P. Mich. Zen. 31 (?)

(٣) راجع P. Col. Zen. 85 27.

(٤) راجع W. Peremans V.E.P.O. 7.

أجورهم منهما . وكانت الادارة تقدم البذور (١) والآلات (Ibid. P. 51, والحيوان للمزارعين (PSI 422) وكانوا يقرضون القمح والنقودلمساعدتهم فىوقت الأزمات الموسمية (٢) . وكانوا كذلكيتسلمونأربعة أوبولات مقدما عن كل أورور مقابل قطع الأشجار والأعشــاب وحرق الأخشــاب المضرة وفى احدى متون لندن (P. Lond. Inv. 2316 36. (Preaux Les Grecs, P. 17, No. 9) نجد أن «بأوبيس» وهو مالكقطعةأرض فىضيعة «ابوللونيوس» أقام لنفسه بيتا فى «فيلادلفيا» . ونعلم كذلك من بردية فى القاهرة (٣) أن مزارعا آخر كان عليه أن يقيم بيتا لنفسه ، وان «زينون» أقرضه مبلغ عشرين درخمة لهذا الغرض . والظاهر أن بعض المصريين كان يملك ممتلكات أخرى . فنسمع كلاما عن كرم «كليزيس» (Keleesis) و «فانيوس» (Phaneuis) و «حوروس» .(PSI. 393, 508).

فهل المقصود هنا من هذه الحالات أنها أرض اقطاع مؤقتــة ؟.. وكان المزارعون المصريون يستخدمون غالبــا أعمــالا بمرتب (٤) ، ومع ذلك فان السواد الأعظم من الفلاحين كانت حالتهم لم تكن سهلة ميسورة . ناهيك عن الضرائب والايجارات التى كانت أحيانا فادحة حتى أصبح من الصعب دفعها (٥) . يضاف الى ذلك اعمال السخرة العديدة التى كانت غالبا تنتزع الفلاحين من أعمالهم العادية .

---

(١) راجع Preaux, Les Grecs, P. 51, n. I; P.C.Z. 59719.

(٢) راجع P. Mich. Zen. 119, P. Cairo-

(٣) راجع Zen., 59113, 59114, 59173, 59176.

(٤) راجع PSI 398; P. Lond. Inv. 2316; Rostov. L.E.P. 117.

(٥) راجع Rostov. H.W. P. 279. P. 1102.

وعندما كانت الأزمات تشتد بدرجة لا تطاق كان المصرى يلجأ أحيانا الى ملاذه الوحيد وهو الهرب والالتجاء فى المعبد الذى كان دخوله محرما على الاغريق (١) . وفى كثير من الأحوال كانت ادارة الضيعة أو ادارة الحكومة سجن لفلاحين لذين لم يكن فى مقدورهم دفع ديونهم (٢) .

وأهم مجموعة من السكان بعد الكادحين فى الأرض فى سجلات «زينون» تتألف من مربى الخنازير ويبلغ عدد ما ورد منهم فى سجلات «زينون» حوالى اربعين ، نذكر بعضهم على سبيل المثال «أمنوس»(Amenneus) و «أبيوس» (Apeus) (٣) ، «ثوتيوس» (٤) . (Thoteus)

ومما يجب ملاحظته فى هذا الصدد ان الاغريق كانوا لا يمارسون هذه المهنة (٥) . وحراس الخنازير هم بوجه خاص كانوا مؤاجرين ، وذلك لأن ادارة الضيعة هى التى كانت تكل اليهم أمر تربيـــة الخنازير أو انهم كانوا يشتغلون بتعهد قطعان كانت ملكا خاصا لاغريق من سكان فيلادلفيـــا أو غيرها من القرى (٦) . ولا بد أنه كان يوجد مربون للخنازير بمرتب ، وذلك على الرغم من انه من الصعب تمييزهم فى المتون التى فى متناولنا (٧) . ومع ذلك لدينا بعض وثائق نجد فيها أن مؤاجرى الخنازير يدفعون اجرها وذلك

---

(١) راجع P.C.Z. 59329 1.14.

(٢) راجع P.C.Z. 59130, 59329, 59496; S.B. 7285.

(٣) راجع P.C.Z. 59397)
P.C.Z. 59652.

(٤) راجع P.C.Z. 5933, 59439
The Journal of Juristic Papyrology 1953-54. P. 237, Note 43.

(٥) راجع W. Peremans V.E. 277 (135 ff.)

(٦) راجع بوجه خاص زينون واخيه ابقارموستوس (Epharmostos)
P.C.Z. 59312, 59334, 59346, 59310.

(٧) راجع C. Preaux, Les Grecs, P. 34.

بتوريد عدد محدد من الخنازير سنويا ، هذا ولدينا وثيقة (١) ، جاء فيها ذكر عقد برم مع مربى خنازير .

وكان يدير استثمار مزرعة خنازير فيلادلفيا مدير يدعى «هيراكليديس» (٢) ومع ذلك لابد ان نلحظ ان اسم أخاه «باأبيس» وهو اسم مصرى يدل على اختلاط فى الدم أى اغريقى مصرى (٣) . ولم يكن مربو الخنازير مرتاحين لمديرهم فى كثير من الاحوال ولدينا شكاوى عدة موجهة لزينون فى هـذا الصدد . وقد شـكا «هيراكليديس» مربى الخنـازير نفسـه كذلك من المتاعب التى كان يسببها له مرءوسوه . P.C.Z. 59439

ونجد أحيانا ان مربى الخنازير كانوا يقومون بتربية قطعان كبيرة أحيانا مثل بتوس Petos (٤) . فقد كان يرعى اربعمائة خنزيرا ملك «ارتيميدوس» (Artemidoros) وكذلك نجد مربين خنازير آخرين جاء ذكرهم فى وثيقة (٥) كان كل واحد منهم يحرس قطيعا عدده سبعين حيوانا ، ومع ذلك فان حالتهم المادية لم تكن سهلة ميسورة . والظاهر أنه بين الذين كانوا يربون الخنازير التى كانت ملك الضيعة كانوا يتسلمون لقطعانهم العلف الذى توردده لهم ادارة الضيعة (٦) . ولكن لدينا شكاوى عدة من مربى خنازير يشكون فيها لزينون

---

(١) راجع P.C.Z. 59228.

(٢) راجع PSI 384
C.Z. 59330, 59331, 59831

(٣) راجع P.C.Z. 59310

(٤) راجع P.C.Z. 5652.

(٥)

(٦) راجع P.C.Z. 59439

بأنه لا يوصل اليهم ما هو حقهم ومن ثم يطلبون اليه يد المساعدة . وفى رسالة الى «زينون» من «امنوس» (١). تقول ان «امنوس» حارس الخنازير قد امره «زينون» ان يسمن خنازير لعيد «ارسنوى» . وقد فعل ذلك ورهن ملابسه ليحصل على النقود ، ولكن عندما أحضر الخنازير الى قرية معينة سرق منها اثنان ، وقد رفض الرجل الذى سرقهما ان يعترف بجريمته مدعيا ان الخنزيرين اللذين اختفيا قد آكلهما تمساح، وعلى ذلك رجا «زينون» ان يكتب لأهل القرية وحاكم المقاطعة بألا يسمح باتيان مثل هذه الاشياء، كما شكا كذلك ان رجلا بعينه قد شكاه من قبل لزينون لم يسمح له برعى خنازيره . وفى متن آخر (٢) نقرأ أن مربى خنازير (اللهم الا اذا كان مربى ماعز) وفد حديثا على «فيلادلفيا»، وهو يطلب حماية «زينون» لأنه تعترضه عقبات فقال لقد مضى على اربعة أشهر فى أرض غريبة ونحن فى موقف حــرج . وقد رفض حارس الباب ان يسمح له بالدخول على «زينون» ، وربما كان ذلك هو السبب فى تقديم هذه الشكاية كتابة وفيها يشكو من سوء حاله ويقدم بعض المعاذير لنفسه على عدم قدرته على دفع ما عليه من دين . ومن أكبر الهموم التى كانت تقض مضجع مربى الخنازير هو اضطرارهم لتوريد عدد معين من الخنازير بمثابة ايجار لصاحب الخنازير فمن هؤلاء «بتوس» مربى الخنازير (٣) وهو الذى كان قد وكل اليه أربعمائة خنزير وعددا غير معروف من الخنازير الصــغيرة وكان مدينا له بايجار قدره ٢١١ خنزيرا صغيرا . وقد هرب ولم يترك خلفه الا سبعة خنازير . ولدينا مربى خنازير آخر P.C.Z. 59279. رفض ان

---

(١) راجع p.c.z 59376

(٢) راجع P.C.Z. 59493.

(٣) راجع P.C.Z. 59310

يدفع ما عليه من ايجار وقد سجن من أجل ذلك ووكل أمر قطيعه الى آخر.

وفى رسالة أخرى كتبها «بتنوريس» (Peterouris) وآخر يدعى «ساموبس» (Samoys) الى «زينون» وهما مربيا خنازير وكانا قد سجنا لجرم ارتكباه وقد اعترفا انهما قد ارتكبا خطأ ولكنهما مع ذلك يطلبان الرحمة من «زينون» خوفا من أن تموت قطعانهم لعدم عنايتهما بها شخصيا وهما كذلك يحتضران لعـــدم حصولهما على ما يقيم أودهما . والظاهر ان «هيراكليديس» نفسه أو فردا آخر غيره (لان الاسم سقط) . وكان يشغل وظيفة أعلى من غيره بين مربى الخنازير ـ كان قد قبض عليه قائد الجيش المحلى لبلدة الفيوم (١) .

ولا بد أنه كانت توجد هناك أحيانا صعوبات أخرى من المستحيل علينا فهمها تماما وذلك لاننا لا نعرف الاحوال التى كانت تحيط بها مثال ذلك حالة مربى الخنازير تموس (Thamoys) الذى جاء ذكره فى بردية بالقاهرة (٢) وكان يشكو من ان رجلا يدعى «بزوستاو» (Psosnau) هاجمه هو وزوجه. أما حراس الماعز والغنم فكان معظمهم من العــرب (٣) . ومن الصعب أن نميز قوميتهم وذلك لأنهم يحملون أسماء مصرية أو اغريقيه . وكان «زينون» بوصفه مدير ضيعة «أبوللونيوس» أو باسمه الخاص بوصفه مالكا حرا يؤجر هذه القطعان الى أصحاب المراعى . هذا ويمكن أن نفهم من متن (٤) . أن هؤلاء كان لهم مدير فقد كان «حرمياس» على ما يظهر يعمل بوصفه ممثلا لزينون ومن جهة أخرى نعلم أن «هرمياس» بوصفه مربى غنم (٥) . وقد عده المؤرخ «روستوفتزف» عربيا Rostov. L.E. P. 179 f.

---

(١) راجع P.C.Z. 59819

(٢) راجع P.C.Z. 59443.

(٣) راجع Rostov. L.E. P. 113, Preaux Les Grecs, P. 33.

(٤) راجع PSI. 380

(٥) راجع P.C.Z. 59328, 59340? 59429; P. Mich. Zen 67, S.B. 7984.

وعلى الرغم من ان حراس الماعز كانوا تابعين الى الادارة الاغريقيـــة والى شخص زينون ، فانهم فى كثير من الاحيان كانوا فى حالة بؤس ، ومن أجل ذلك فانهم أحيانا كانوا يلجأون الى طرق لكسب قوته لم تكن دائما شريفة، ومن ثم نجد صاحب مرعى (١) يتهم عند «زينون» رفيقه بأنه يبيع كلا المرعى لآخرين . ونجد أحيانا ان العقبات التى تعترض هؤلاء التعساء تكون ذات صبغة أخرى ، فمثلا نجد فى متن (٢) أن فردا من الطبقة الدنيا يهاجم رعاة غنم «زينون» . والظاهر أن سبب الشـــجار فى هذه الحالة كان على المرعى. هذا ونجد فى نهاية الأمر ان «هرمياس» الذى كتب هذه الرسالة الى «زينون» يذكر كذلك حارس ماعز اتهم بالنهب وانه حبس من أجل ذلك .. وعلى أية حال نلحظ ان قليلا من المصريين كانوا يهتمون بتربية الخيل والبقرات (٣) ومع ذلك يصادفنا مصريا يربى عجوله يتحدث عن الخيل وغذائها (٤) ولكن نجد المصريين يهتمون فى أغلب الأحيان بتربية الطيور . ففى متن C.Z. 59715, (1-22) نجد مربى أوز يتسلم قمحا لغذائها وفى متن آخر P.C.Z. 59498 نقرأ أن «بتوباستس» مربى حمام «زينون» كان يشكو من انه لم يتسلم مرتبه منذ اربعة أشهر ، وان الشعير الذى يقدم له لطعامه لا يؤكل ومن ثم يرجوه ان يتدبر الامر حتى يمكنه هو وأولاده ان يقوموا بواجباتهم .

المواصلات :

وكانت المواصلات برا مضمونة فى أغلب الاحيان بوساطة الحمير وكانت ادارة الضيعة تورد القمح للحمارة (٥) هذا ونقرأ فى رسالة هامة جدا (٦). أن

(١) راجع P.C.Z. 59628.

(٢) راجع PSI. 380.

(٣) راجع Rostov. L.E. P. I 11

(٤) راجع PSI 9lî; P.C.Z. 5936; 6. 18, 59659, 1. 139, PSI, 371, 1. 18.

(٥) راجع P.C,Z. 59176, 59292, 59715 (1.18).

(٦) راجع (P. Col. Z. 21).

فردا يدعى «نيكون» (Nikon) يخبر «باناكستر» ان هناك حمارة ممن ينقلون الامتعة قد استهلكوا مكيالا من زيت الخروع (كوس) وانه يطلب اليه أن يجبرهم على اعادة الزيت أو أن يدفعوا ثمنه وهو أربعة درخمات . ومما يجدر ملاحظته هنا أن أربعة درخمات فى هـذا الوقت كانت تساوى مرتب حمار لمدة اربعة وعشرين يوما (١) .

وطريقة النقل هـذه كانت فى «فيلادلفيـا» تحت ادارة اغريقى . وهو «نيكياس» الذى يصادفنا كثيرا فى «متون» سجلات «زينون» . فهو الذى كان ينظم عمل الحمارة أصحاب المرتبات فى ضيعة «أبوللونيوس» ، هـذا وكان هناك ملاك حمير مستقلون يؤجرون حميرهم (٢) .

يضاف الى ذلك أن «نيكياس» (Nikias) بوصفه مديرا كان مصدر مضايقات كثيرة للنحالين الوطنيين . فقـد كانت الحمير أغلى ما يملكون اذ كانوا يستعملونها لنقل خلايا النحل الى المراعى الجديدة (٣) . ومن أجل ذلك طلبوا الى «زينون» ان يحميهم من طلبات «نيكياس» المتكررة فى اعماله(٤). ففى المصدر الاخير نجد ان «زينون» كان قد أمر النحالين ان يرسلوا حميرهم الى «فيلادلفيا» ليعملوا هناك مدة عشرة أيام ، ولكنهم شكوا من انه قـد حجزها لمدة ثمانية عشر يوما وأنه ليس لديهم حمير لاعادة نقل خلاياهم من المراعى . وان مؤجرى الأطيان ينذرونهم بأنهم سيطلقون المـاء ويحرقون الحشيش ، وعلى ذلك فانه ان لم تأت الحمير فى الحال لنقل الخلايا فان خلايا

(١) راجع Fr. Heichelheim, Wirtschaftliche Schwankung en der zeit von Alexander bis Augustus. P. 123, Cf. Calculs de W.L, Westermann, Zenon Papyri, Vol. I. P. 70 (ad. P. Col. Z. 21).

(٢) راجع W.L. Westermann Zenon Papyri, Vol. I. P. 67 (Introd. P. Col. Zen. 20.)

(٣) راجع C. Preaux E.R.P. 233 ff.; Les Grecs. P. 36. f:

(٤) راجع P. Mich. Zen. 29; P.C. Z 59467.

تحلهم ستتلف ومن ثم سيخسر الملك كثيرا من دحله . وقد وعدوا ان يعودوا بالحمير بمجرد نقل خلاياهم .

هذا وكانت خلايا النحل فى معظم الاحيان ملك ضيعة «ابوللونيوس» (١) أوملك اغريق مهاجرين(٢) وكذلك ملك معابد P.C.Z. 59520 وكانت تؤجرها الى مصريين . ونجد من بين النحالين رجالا لهم مكانة فى المجتمع مثال ذلك «تيوس» (Teos) الذى جاء ذكره فى بردية (٣) ، فقد كان يكتب الى «زينون» كأنه فى مستواه ، ولكن لدينا كذلك امرأة تدعى «سنخنسو» وهى أرملة فقيرة (٤) وقد كتبت الى زينون تشكو اليه «نيكاس» الذى أخذ منها أتانتها الرحيدة وقد رجت «زينون» فى ان يعيد اليها أتانتها وقد وعدته مقابل ذلك أن تهديه وليد هذه الاتان .

وكان مربو النحل يئنون تحت أعباء عدة ضرائب (PSI 510) وكانوا تابعين للملاك من اغريق وكانوا يتصادمون بعقبات أحيانا لم يكونوا هم المسئولين عنها على ما يظن (٥) حيث نجد ان النحالين كانوا يملكون الف خلية نحل أجروا بعضها لأهالى مختلفين فى «اهناسية المدينة» وبعضها الآخر فى مقاطعة «منف» . وقد نقلت الخلايا الأخيرة الى مقاطعة اهناسيا المدينة دون اذن منهم وعلى ذلك نجد ان «أمونيوس» السكرتير المالى سجن حراس النحل وبذلك أحدث ضررا كبيرا بالخلايا ، وان كان فيما بعد قد اطلق سراحهم .

الجعة :

وكان المصريون الأكثر اقداما يشتغلون فى صناعة الجعة فكانوا يشترون

(١) راجع P.C Z. 59467, 59516
(٢) راجع P.C.Z. 59368
(٣) راجع P.C.Z. 59516.
(٤) راجع P. Mich. Z. 29
(٥) راجع P.C.Z. 59368.

رخصا لبيعها ولما كانت طلبات الادارة من حيث الضرائب تكاد تكون اكثر مما يجب ، فقد أدى ذلك الى أن أصحاب الحانات كانوا يتقضون تعهداتهم مع الادارة مما كان يؤدى الى متاعب كثيرة كانت تنتهى بالسجن (١) . وقد تحدثنا عن ذلك من قبل فى مكانه .

وهناك من كان يؤجر الحمامات (٢) . وكذلك كان يجد مؤجرو الحمامات متاعب عدة (٣) . فقد شكا «انارويس» (Inaroys) من انه لا يمكنه ان يدفع ايجار الحمام . وقد كتب كذلك صاحب حمام يدعى «باثيوفيس» (Pathiophis) (٤) الى «زينون» يتضرع اليه فى رسالة مؤثرة أن يطلق سراح زوجه المسجونة التى ينفطر قلبها شفقة ورحمة على أولادها كما أنه هو نفسه أصبح غير قادر على مزاولة عمله ويسأله أن تأخذه الشفقة بهم هذه المرة واذا وجد انهما يأتيان مثل هذا الذنب مرة اخرى فانهما لن يسألانه الرحمة . والمفهوم من هذه الرسالة أن مؤجر الحمام وزوجه لابد كانا قد أتيا مخالفة نكراء (٥) .

ونقرأ فى بردية أخرى حالة مؤجر حمام آخر : وذلك ان «بايس» قد سجن كذلك بسبب حمامه وانه حتى بعد خروجه من السجن كان يعانى مصاعب مع السكرتير المالى ، وفضلا عن ذلك لم يكن فى حمامه ماء للمستحمين .

ونصادف فى سجلات زينون أحيانا ذكر مصريين يمارسون تجارات صغيرة (٦) . وكانوا كذلك يعانون الم الفقر . ففى متن (٧) . نجد ان

(١) راجع P.C.Z. 59202, 59204, 59297, 59403; P. Mich. Z. 36;
W.L. Westermann Zenon Papyri, Vol. I, P. 83 ff.

(٢) راجع P.C.Z. 59453; PSI 355; P. Col. Zen. 57, 103; SB. 6800.

(٣) راجع P.C.Z. 59453.

(٤) راجع SB. 6800.

(٥) راجع P.C.Z. 59482.

(٦) راجع P.C.Z. 59490, Ibid. 59499 1.96; 59795 1.10; 59297, 59450, 59470, 59567 1.16; 59736, 59261 1.5.

(٧) راجع PSI. 402

«حارتتوتس» وهو تاجـر «فول مدمس» يطلب بكل خضـوع تخفيـض الضرائب المطلوبة منه ، كماكتب «ياسون» الى «زينون» عن صاحب حانوت من أهالى «تانيس» (١) يستعطفه من اجله .

مهندسو المعمار وعمال لما كانت قرية « فيلادلفيا » وكل ضيعة «أبوللونيوس» تعتبر مؤسسة حديدة فلن يكون من المدهش أن يصل الينا من وثائق سجلات زينون صدى هذا النشاط الكبير فى اقامة المبانى فى الفيوم خلال حكم بطليموس الثانى . فتحدثنا الوثائق عن مهندسى عمارة من الاغريق يديرون عدة أعمال هناك . وسنرى فى هذه الوثائق اسماء معروفة لنا تماما مثل «كليون» (Kleon) و «تيودوروس» (٢) .

هذا وجاء ذكر اغريقى آخر يدعى «هيديلوس» (Hedylos) كان يلاحظ بناء المدينة (٣) .

وكان تحت ادارة هؤلاء مهندسـو عمارة من المصريين أو كانـوا حتى يشتغلون مستقلين عنهم مثل «كوموأبيس» (Komoapis) (٤) وسلفه (؟) «بتخنس» P.C.Z. 59172 وكذلك اثنان من مرءوسى زينون وهما «حوروس» و «بتوزريس» (٥) .

وكان يعمل مع هؤلاء جم غفير من العمال الذين كانوا يقطعون الاحجار ويهذبونها من المصريين . وكانت ادارة الضيعة تسلفهم الآلات المصنوعة من

---

(١) راجع P.C.Z. 59450.

(٢) راجع P.C.Z. 59499, 11.43 & 74, P. Col. Zen. 104 1.1 (?); P. Lond. Inv. 2311 (?); Rostov L.E. P. 176 f; P. Petrie III 13, 5; 13, 11; P.C.Z. 59620 1.2 (Cf. Petrie III 43); P. Lond. Inv, 2089.

(٣) راجع P.C.Z. 59302, 59531, 59666 1.5: 59762 1.5

(٤) راجع P.C.Z. 59109

(٥) راجع P.C.Z. 59291; 59176 1.80, 59592. P. Mich. Zen. 37; P. Col. Zen. 36; Wester - Zen. 37, P. Zenon Papyri, Vol. I, P. 88. (Introd. P. Col. Zen. 36.

الحديد وتدفع مرتباتهم وتقدم لهم جراياتهم من القمح والجعة (١) . ونقرأ في متن .P.C.Z. 59499, 11, 26-43 ذكر مخالفات ارتكبها نحات أحجار، وفى متن آخر (Ibid. 59664) نقرأ أن عاملا قد اتهم بأنه تسلم نقودا ولم يؤد مقابلها عملا . هذا ويحتمل ضاربو الطوب مكانة حقيرة بين كل أصحاب المهن ولا يتقاضـــون الا أجرا ضئيلا جدا حتى بالنسبة للعامـــل المصرى . والواقع أن مرتب الواحد منهم لم يصل الى نصف «أوبول» يوميا فى حين أن متوسط أجر العامل الذى ليس له مؤهل هو «ابولا» واحدا يوميا ، كما نجد ذلك مذكورا فى سجلات «زينون» (٢) .

وكان لا بد ان يحلف ضاربو الطوب اليمين على ان ينجزوا عملهم (٣) . الذى كان بوجه عام يعد من أعمال السخرة التى كانت تفرض على السكان المصريين (٤) .

وهناك مهنة أخرى كانت موقوفة بصورة عامة على المصريين وهى صناعة الفخار (٥) . ونحن نعرف الكثير من اسماء صناع الفخار . ويمكن ان نلحظ بكل دقة علاقاتهم المتبادلة وموقفهم تجاه الادارة الاغريقيـــة . والواقع أنه توجد فروق كبيرة بين أفرادها من حيث المركـــز . فنجد من بينهم صـــناعا مســـتقلين واثقـــين من مكانتهم الممتـــازة مثـــال ذلك « بتيكاميس » (Pettykamis) (٦) . الذى سمح لنفسه ان يفرض شروطه على «زينون». فقد كتب «بتيكاميس» «لزينون» يقول له : انه يعرف بالتجارب اذا كان يعتقـــد فيه انه رجل قدير فى عمله أم لا ، وانه اذا كان يريد استخدامه فانه

(١) راجع Preaux Les Grecs, P. 40, nn. 7, 8, 9.

(٢) راجع Heilchelheim Wirschaftliche Schawankungen der zeit von Alexander bis Augustus, P. 123.

(٣) راجع PSI. 1002; P.C.Z. 59133.

(٤) راجع P.C.Z. 59230, 59451; P. Vierick Philadelpheia; C. Preaux Les Grecs. P. 40 ff.

(٥) راجع W. Peremans V.E.P. P. 121

(٦) راجع P.C.Z. 59500 83.

لا بد له من مساعدين يكونون قادرين على العمل معه . وقد اقترح مساعدا اضافيا له يدعى باسيس (Paesis) وأولاده معه وذلك لانه يعتقد فى قدرتهم وأنهم على علم تام بالتربة . ولابد أن يبدءوا فى شهر توت حتى يتم العمل فى زمن مناسب وتكون نتيجته مفيدة . ثم يختم رسالته بطلب رؤية المكان الذى سيعمل فيه . هذا ولدينا صانع فخار آخر يدعى «نيئسيس» (Neesis) وأحيانا يدعى «نيس» (Nees) يملك مصنع فخار فى اهناسيا المدينة، ولكن فى الوقت نفسه كان يدير اعمالا فى «فيلادلفيا» . وقد كتب الى زينون (١) انه سافر الى أهناسيا ليدفع أجور العمال ، وكذلك أرسل الى فيلادلفيا أربعة مساعدين وستة عمال . وأخيرا نجده يشكو من انه لم يتسلم الا ستين درخمة ، وذلك على الرغم من ان «زينون» قد أمر «بتوباستس» أن يعطيه مائة درخمة وعلى ذلك فانه ترك هذا المبلغ فى «اهناسيا المدينة» حتى لايتوقف العمل فى المصنع . هذا ويدل عدد الرجال الذين ارسلوا الى فيلادلفيا وكذلك مبلغ المائة والستين درخمة هذا ، بالاضافة الى أن «نيئسيس» كان له مصالح فى المدينتين السابقتين ، على انه كان صانعا ميسور الحال نسبيا (٢)

ولا بد أن هذه كانت كذلك حال «حوروس» النقراشى الذى كما نعلم (٣) قد تعهد بتوريد كل الفخار اللازم للمركز لمدة سنة . ويتلخص هذا الموضوع فى ان «دماس» (Demeas) أحد اصدقاء «زينون» قد جعل نفسه ضامنا لصانع الفخار «حوروس» الذى تعهد بتوريد الفخار خلال السنة الرابعه من حكم الملك ايرجيتيس للمركز الذى كان ذات يوم يؤلف ضيعة «أبوللونيوس» ولما اخفق «حوروس» فى الوفاء بما جاء فى العقد أصبح «دماس» مسئولا

---

(١) راجع (P. Col. Z. 52.

(٢) راجع P.C.Z. 59271, 59427, 59471, 59742 11.8 & 26.

(٣) راجع P.C.Z. 59366

عن دفع العجز الى بيون (Bion) وقد كان العجز ٢٧٠٠ جرة وقيمتها ٢٧٠ درخمة (هذا المتن يشير الى حكم الملك بطليموس الثالث) ومن الممكن ان نفرض ان «بائسيس» الذى كان يشتغل وحده مع أولاده وهو الذى طلب اليه بتيكاميس (P.C.Z. 59500) ليكون مساعده يعتبر من طبقة أقل بين صناع الفخار . ولكن هؤلاء هم الصناع الميسورون الذين نصادفهم فى كل المتون تقريبا . وليس فى ذلك ما يدعو الى الدهشة فهم الذين يكثرون القول والذين يشكون كثيرا من زملائهم ونحن لا زلنا نشعر فى أيامنا بهذا الجو الملىء بالمنافسة والحسد الذى كان لا بد أن يسود فى المصانع (١) .

هذا ونصادف كذلك اصحاب حرف آخرين فى سجلات «زينون» ولكن بقلة . ويمكن ان يفرض الانسان انهم كانوا فى معظم الاحيان يعملون بمرتبات فى ضيعة «أبوللونيوس» ، غير أننا لا نعلم عنهم شيئا على وجـه التأكيد . وعلى ذلك سنكتفى هنا بالاشارة الى بعضـهم فنجد من بينهم أموتس الصباغ (٢) وحوروس سـائق العربة P.C.Z. 59176, 1, 352 ونختيوس النخال . والخباز بتارموتيس P.C.Z. 59206 وتارس وصانع السجاجيد وصانع الحبال والنجار والنساج والمبيض الخ .. (٣) .

ولدينا مجموعة أخرى من أصحاب الحرف وبخاصة حرفة صيد السمك . فنقرأ فى بردية (٤) عن جماعة من صيادى السـمك يظهر انهم كانوا ملاك قارب صـيد ، وكانوا مشتغلين بالصـيد ويؤجرون انفسهم فى ضـيعة «أبوللونيوس» .

والواقع أن المصريين كانوا بوجه عام متعودين على الماء ، هذا اذا كنـا

(١) راجع P.C.Z. 59481; PSI 420.

(٢) راجع P.C.Z. 59481, PSI 420.
P.C.Z. 59326 bis 1.22

(٣) راجع The journal of Juristic Papyrology, Vol. VII-VIII (1953-54) P. 244.

(٤) راجع P. Col. Zen. 71.

تفهم بهذه العبارة النيل وترعه أما البحر فكان على الارجح غريبا عليهم ، وهذه الحالة ينعكس ضوؤها فى الأوراق البردية حيث نجد جما غفيرا من قواد السفن على النهر ، ولكن عندما يكون الموضوع خاصا بالملاحة البحرية فانهم كانوا مجرد بحارة معتادين فلا تتحدث أحد عنهم (١) . وكان ضباط السفن فىأغلب الاحيان يتقاضون مرتباتمن «ابوللونيوس» أو من«زينون» الذى كان يقود سفن الوزير وكان هناك ضباط آخرون مشتغلون على ما يظهر بالأجر عند زينون هم وسفنهم (٢) ووظيفةربان السفينة كانتتحتاج الى رجال أذكياء يوثق فيهم ، اذ لم يكن يوكل اليهم أمر قيادة السفينة وحسب بل كذلك قيادة البحارة الذين يكونون تحت أمرتهم ، وعلى ذلك فانه ليس من المدهش ان نجدهم قد ذكروا فى العقود بدرجة ملحوظة بوصفهم ضامنين (٣) .

وهذه المسئولية كانت تضع أحيانا قواد السفن فى مراكز حرجة مثال ذلك ما حدث لرجل يدعى «فامونيس» (Phamounis) الذى شكا فى رسالة بعث بها الى «زينون» (٤) فيقول له فيها أنه كان مضطرا لبيع قميصه ليدفع أجور العمال ، وذلك لأنه لم يكن قد تسلم النقود التى كان مفروضا ان يرسلها اليه «زينون» . ومن الجائز ان المقصود هنا بالعمال هم الذين كانوا يشتغلون فى بناء القوارب واصلاحها ، وهم الذين لم يكونوا على ما يظهر يتمتعون بسمعة حسنة (P.C.Z. 59270)

ومما يطيب ذكره هنا ان كل الحرف التى ذكرناها فيما سبق كان أصحابها تحت ادارة «زينون» أى مستخدمين عند «أبوللونيوس» . ومن

---

(١) راجع Rostov. H.W. P. 262.

(٢) راجع P.C.Z. 59449, 59649; C. Preaux Les Grecs, P. 47.

(٣) راجع P.C.Z. 59172, 59745, 1.55, etc.

(٤) راجع (P. Col. Z. 44.

الجائز ان هذه كانت الحالة العامة فيما يخص المصريين الذين جاء ذكرهم فى سجلات «زينون» . وعلى أية حال فانه من الصعب جدا فى أحوال كثيرة بل من المستحيل ان نقرر هنا بصورة قاطعة اذا كان الفرد المعنى تابعا «لزينون» أو انه كان مجرد مزارع أو صانع . ومما لا ريب فيه ان الموقف يصبح أكثر تعقيدا عندما نريد ان نحدد بصورة قاطعة لا لبس فيها ولا ابهام العلاقات التى كانت بين بعض المؤاجرن وأصحاب الضيعة، أو اذا كانت هذه العلاقات لا تشمل فى بعض الحالات التزامات أخرى خلافا لدفع الأجر . هذا ولدينا عقبة أخرى وهى انه على الرغم من بحوث عدة علماء (١) ، فانه ليس فى استطاعتنا ان نحدد بصورة جلية الموقف الرسمى الذى كان يقفه «زينون» من بلدة «فيلادلفيا» ، ومن ثم أصبح من المستحيل أحيانا ان نقرر بصورة قاطعة العلاقات التى كانت بين بعض المصريين وبين زينون . ومع ذلك فانه يمكن ان نفرق بين بعض طوائف العمال والموظفين فى ضيعة «ابوللونيوس» التى كان يديرها زينون : أولا يجب ان يلحظ وجود طائفة الفلاحين الكادحين وهم الذين كانوا يزرعون اقطاعاتهم الصغيرة من الأرض فى ضيعة «ابوللونيوس» ، وقد كانوا فى الوقت نفسه مرءوسين وعملاء مزارعين «لزينون» على ما يظهر . ونذكر منهم «أمولبس» أو اميليس (Amyles or Amoles) و «لابوس» أو ليوبس (Labos or Labois) و «أونوفريس» وابنه «حوروس» وبايس (٢) .

البستانيون

ويطيب لنا أن نذكر هنا على حدة العمال المصريين الذين كانوا يعملون فى الحدائق والكروم فى «فيلادلفيا» . ومما يلفت النظر ان الوظائف الهامة

---

(١) راجع Preaux E.R. P. 19, No. 5,5.

(٢) راجع P.C.Z. 59167

هنا كان يشغلها أجانب فقد كانت الحاجة ماسة للاخصائيين الذين لم يكن فى الاستطاعة الحصـــول عليهم من بين المواطنين المصريين (١) . فمن هــؤلاء البســـــتانيون « ستوتوتيس » (Stotoetis) «نختوزيريس» (Nechthosiris) و «بتموتيس» (Petimouthes) الذى كان يشتغل مــع أولاده و «بتوريس» و «أنوفريس» ابن افتيوس (Ephtheus) وهم الذين كان يطلق عليهم رراع كروم ، وأخيرا بايس (Paies) الذى يحمل لقب رئيس البستانيين. (P. Mich. Z. 45, 11, 21-22) هذا وكان يشتغل فى زراعة الكروم : أرانوس وعدد وفير من المصريين (٢).

وهناك مصريون آخرون من عمال «زينون» كانوا يشتغلون بالمشــاركة ونذكر من بين هؤلاء أولا أمورتايس أو «امورتايوس» (Amortais) الــذى كان يعمـــل بالشرك فى قطعـــان ماعــز ويعتنى بتــكاثرها ، ونذكر كذلك «فامونيس» (Phamounis) الذى كان على ما يظهــر يشترك فى تربية عجول وماأشبه اليوم بالبارحة (٣) ومع ذلك فانه كما سبق ذكره كانت وظائف المديرين والمشرفين على الشرك يشغلها اغريق فى معظم الأحيان .

وقد ذكرنا عند التحدث عن أعمال البناء العامة التى قامت فى «فيلادلفيا» اسمى «بتوزريس» و «حوروس» ويجب أن نعيد الكرة للتحدث عنها هنا فقد كان «حوروس» على ما يظهر يدير أعمالا من قبل الضيعة ، وقد وقع

(١) راجع Peremans, V.E. P. 21.

(٢) راجع The Journal of Juristic Papyrology, ibid. P. 248.

(٣) لاتزال طريقة المشاركة فى الاطيان وفى الحيوان سائدة فى كل أنحاء القطر حتى يومنا هذا P.C.Z. 59328, 59429, 59771 11.14; P.C.Z 59744 1.15, 59787 1.32; PSI 361, 368 1.15; P. Mich. Zen. 119 1.25.

خلاف بينه وبين المهندس الاغريقى «هديلوس» (Hedylos) بسبب ذلك (١) . اما «بتزيريس» فكان فى أغلب الاحيان يقوم بأمر صرف مرتبات ضاربى الطوب وغيرهم من العمال الذين يقومون بنصيب فى هذه الأعمال.

وفى متون أخرى نجد وكلاء لزينون مثل «بكيزيس» (Pekysis) و «سارانيس» (Saranis) وسيسنوكوس (Sisenkos) وهؤلاء لم يكن من المستطاع الوقوف على حقيقة وظائفهم من المتون التى جاء ذكرهم فيها (٢). هـذا ولا نجد الا اغريقيا فى خدمة «ابوللونيوس» الشخصية وفى حاشية «زينون» المقربة اليه جدا والظاهر ان البائس «يتاكوس» الزمار (٣) الذى كان يتضرع لزينون ليطلق سراحه كان يعد أمرا شاذا على مايظهر ، أو فى هذه الحالة هل نفهم أن هـذا الرجل كان من الطبقة السفلى من خدام «زينون» وهى الطبقة التى لا يظهر ممثلوها فى المتون التى تتحدث عنها ؟ والواقع أنه فى كل طبقة من مرءوسى «زينون» نجد اغريقيين ومصريين جنبا لجنب، ولكن يلحظ أن الاغريق كانوا دائما يشغلون أعلى الوظائف من بين أتباعه .

ومما يجب التنويه عنه هنا أن العمال الذين كانوا يعملون فى صـيعة «أبوللونيوس» كانوا يتقاضون مرتبا اضافيا بمثابة بدل ملابس، وكان هذا المرتب يصل أحيانا الى أربعة عشر درخمة سنويا . وكان مجموع المرتب وفريضة القمح يختلفان على حسب مرتبة الموظف (٤) . غير أن هذا المرتب كان دائما على وجه التقريب يدفع متأخرا ، وقد كان ذلك هو الهم الدائم لكل أولئك

---

(١) راجع P.C.Z. 59531.

(٢) راجع P.C.Z. 59218 1.16, 59315, 59316, PSI. 387 (?) 857.

(٣) راجع PSI. 416.

(٤) راجع Westermann Zen. Papyri, Vol. I, P. 80 (ad. P. Col. Zen. 31).

العمال (١)

وكان بعض الموظفين فى الضيعة يمنحون كذلك مساكن على حساب الادارة(٢) وفى بعض الحالات كان مرءوسو «زينون» يشغلون أعمال موظف الحكومة على ما يظهر ، وليس فى هذا ما يدعو الى الدهشة اذا فكر الانسان فى الدور والمكانة اللذان كان يشغلهما «زينون» فى «فيلادلفيا» .

والموظفون المصريون الذين نصادفهم فى أوراق سجلات زينون ليسوا كثيرين ؛ ونعرف من بينهم أربعة (٣) .

أما أحوال معيشة الموظف المصرى فكانت دون شك منوعة جدا ، فكان الكثير منهم يعملون مزارعين للملك أو عمالا فى ضيعة «ابوللونيوس» بوصفهم من مستخدمى «زينون» . وعلى الرغم من ذلك فقد كان البؤس حليفا لهم كما نشاهد ذلك فى احدى الوثائق (٤) ، وذلك أنه من الصعب أن تتصور عمدة قرية لا يتورع عن سرقة خنزير الا اذا كان فى حاجة ملحة من الفقر اللاذع دفعته الى ارتكاب مثل هذه الجريمة .

رجال الشرطة:

يوجد فى الصفوف السفلى من رجال الشرطة أعراب جنبا لجنب مع المصريين (٥) ، وهم الذين يقابلهم فى أيامنا الخفراء وكانوا يعرفون باسم حملة العصى . وهؤلاء كانوا يعاملون باحتقار حتى من العبيد (٦) . ومن بين رجال الشرطة المصريين نذكر « حوروس » وكان يعمل فى « فيلادلفيا »

---

(١) راجع P.C.Z. 59489; PSI 421, 488, 611, 638; P. Mich. Zen. 89.

(٢) راجع Westermann Ibid. Vol. II, P. 42, (introd. to P. Col. Zen. 75.

(٣) راجع The Journal of Juristic Papyrology, Ibid. P. 249.

(٤) راجع P.C.Z. 59379.

(٥) راجع P.C.Z. 59230, 59296, 59745.

(٦) راجع P.C.Z. 59080

فى السنة السابعة من عهد « ايرجيتيس » بوصــفه حارسا و « باتيس » (Patis) والظاهر أنه كان يشغل هــذه الوظيفة قبل هذا التاريخ بخمسة عشر عاما (١) . هــذا ونعرف كذلك اسمى اثنين من القــواد المحليين وهما «حوروس» وهو مواطن «فيومى» والآخر هو «حاربيتريس» ويصادفنا فى هذا الصدد متن غاية فى الأهمية (٢) نقرأ فيــه أن رجال الشرطة حراس السدود كانوا يهددون «زينون» بالتخلى عن العمل اذا لم يدفع لهم مرتباتهم، ومن جهة أخرى نقرأ عن مخالفات ارتكبها موظفون نظاميون (٣) . فقد شكى «باتميس» (Patymis) لزينون انه حبس ظلما على يد «باتيس» ويحتمل أنه شرطى ، وقد ذكر فى شكواه الجانى الحقيقى فيقول ان «باتيس» قد حماهم لأنه اقتسم معهم الغنيمة . ولكن فى هذه الحالة يتعذر معرفة المذنب الحقيقى كما يحدث فى أحوال كثيرة .

وكان جنود ماشيموى (٤) الذين نجدهم مذكورين فى سجلات زينون (P. Lille 58) يقومون أحيانا بوظيفة الشرطى فنعــــرف أنهم كانوا يتسلمون القمح والشوفان . وفى بردية من « الحيبة » (٥) يظهر أن طائفة هؤلاء الجنود كانوا يؤلفون فرقة كانت الادارة تستعملهم فى زمن الحصاد ولكن فى الواقع نجد أن الحديث فى أغلب الأحيـــان يكون عن جنــود الماشيوى على انفراد . والواقع أن لدينا متنين معروفين تماما (٦) . وهما يقصان علينا قصة فرد يدعى «باريس» كان يسعى فى الخلاص من التجنيد

---

(١) راجع P.C.Z. 59172, 1.23, 59491.

(٢) راجع PSI 42

(٣) راجع P.C.Z. 59491.

(٤) راجع عن هؤلاء الجنود مصر القديمــة الجــزء ٩ ص ٤٨٢ — ٤٩١ والجزء ١٢ ص ٣٩٦ — ٣٩٧ .

(٥) راجع P. Hib. 44.

(٦) راجع P. Mich. Z. 82. P.C.Z. 59590

وقد ساعده فى محاولته هذه موظف اغريقى . وتدل الظواهر على أن مركز هذا الصنف من الجنود لم يكن مريحا فى تلك الفترة، وذلك على الرغم من أن بعضهم كان له ملكيات صغيرة مثال ذلك «سوكوس» (Sokeus) ابن «نخايس» (Nechauis) (١) . فقد كان يملك بيتا فى قرية «أوريس» (Aueris) (٢) .

الكهنة

كان الكهنة كما هو معروف يؤلفون طائفة منفصلة فى المجتمع المصرى ونقرأ عنهم كثيرا فى سجلات «زينون» ، غير أننا لا نجد مذكورا فيها الا الكهنة الذين من الطبقة الدنيا وذلك باستثناء رئيس الكهنة «بتوزيرس» الذى جاء ذكره فى متن واحد (٣) . والواقع أننا لا نعرف شيئا عنه الارسالة أرسلها له «زينون» . أما عن كهنة الطبقة الدنيا فى سجلات زينون فنقرأمثلا أن «زينون» كتب لموظف آخر عن كاهن الآلهة «توريس» صاحبة «فيلادلفيا» وكان يستحق مرتبا قدره اثنى عشر درخمة فى السنةمن كاهن «توريس» فىمكان آخر لم يعين (٤) . وفى وثيقة أخرى (PSI. 539) نقرأ أن فيمناس (Phemennas) كاهن الآله «سرابيس» والآلهة «ازيس» يطلب مساعدة «زينون» ليعفيه من استيلاء ظالم على نبيذه ، وكذلك نقرأ فى وثيقة أخرى (٥) عن موضوع خاص بكاهن الآله هركيل

---

(١) راجع P. Rylands 563

(٢) (راجع عن هذا الصنف من الجنود فى عهد البطالمة الاول PSI. 642.

(٣) راجع Wilcken Grurdzuge, P. 382.

(٤) راجع P.C.Z. 59308

(٥) راجع P. Hamb. 117

يسمى «تائس» (Taes) (١) . ثم نجد بعد ذلك جمهره من الكهنة العاديين خدام المعابد من مربى القطط وصغار الكهنة (٢)

ومما هو جدير بالذكر أن المتون الخاصة بالكهنة فى سجلات زينون تشير فقط الى الطبقة الدنيا من الكهنة المصريين ، ومن ثم لا يمكننا أن نضع صورة كاملة عن مستوى معيشة الكاهن هنا . والواقع أنه كانت توجد فروق هائلة ، ولكن وثائق سجلات زينون لا تحدثناالا قليلا فى هذا الصدد . وعلى أية حال نجد فيها نداء لكرم زينون الذى طلب اليه التدخل لصالح معبد الآلهة «عشتارت» ربة «منف» (٣) . هذا ونعلم من وثيقة أخرى (٤) أن كاهنا يدعى «حوروس» قد تسلم من «أبوللونيوس» قطعة أرض مساحتها خمسة أرورات ، وفى أخرى (P. Hamb. 117) نقرأ أن «تايس» كاهن «هركيل» تسلم جراية من القمح. ومما يؤسف له اننا لانجد شيئا يذكر عن موضوع الدخل العادى للكهنة فى سجلات «زينون» ، الا ما جاء فى وثيقة واحدة (P. Mich. Z. 9) حيث تقرأ أن مواطنا من بلدة زيفيريون (Zephyrion) القريبة من « الاسكندرية » ويدعى «اسكلبيادس» (Asklep) (Iades) قد اشترى وظيفة كاهن (خادم الاله) بمبلغ خمسماية درخمة فى معبد «منيلايس» (Menelais) . وتحدثنا بردية (٥) عن كاهن كان يبيع خشب الجميز الذى كان يؤتى به الى المعبد. والظاهر أن علاقات «زينون» مع الكهنة المصريين وبخاصة كهنة الطبقة

---

(١) راجع عن موضوع الآلهة المصريين الذين تسموا بأسماء اغريقية W. Otto, Priester und Tempel im hellenistischen Aegypten, Vol. II. P. 167 ff; C. Preaux Les Grecs, P. 7 ff. U. Wilcken Grundzige, P. 107 ff.

(٢) راجع P.C.Z. 59270.

(٣) راجع P. Col. Zen. 107.

(٤) راجع P. Mich. Z. 31 (1.8)

(٥) راجع P. Rylands. 569

«باتيميس» (Patymis) وهى التى كانت ملك «ازيس» و«أوزير» الدنيا كانت مريحة له فنعلم من وثيقة (١) . أن البقرات التى كان يملكها اسما قد استغلها فى الواقع «زينون» ، ولا غرابة فقد ساعد فى مقابل ذلك «باتيميس» فعلا عندما كان فى ضائقة . هذا ونجد فى نفس هذه الوثيقة السالفة الذكر أن «باتيميس» قد استعان من جديد «بزينون» طالبا المساعدة وقد وعده فى مقابل ذلك أن يهديه بقرة ان هو لم يتخل عن مساعدته .

واذا كان «باتيميس» على الرغم من ذلك قد حبس، فان «فيمناس» كاهن «سيراپيس» و «ازيس» قد تظلم كما سبق ذكره من مصاعب مالية ، وذلك لأن موظفا غيورا قد صادر نبيذه ومع ذلك فانه لم يسبب له اية مضايقة مع أى انسان ، بل كان فى مقدوره أن يقدم القربان فى سلام لصحة الملك. هذا وكانت مخالفات موظف آخر موضع شكوى وجهت الى «زينون» من كهنة مربى القطط فى «بوبسطة» (٢) . فقد شكوا من انهم يسخرون فى الحصاد ، وان الموظف الاغريقى يحمى ضاربى الطوب الاخصائيين وذلك فى مقابل منفعة شخصية له ، ومن ثم نرى أن حالة صغار الكهنة لم تكن تختلف كثيرا عن حالة السواد الأعظم من السكان المصريين (٣) . وبوجه عام نلحظ أن المصريين الذين نصادفهم فى سجلات «زينون» كانوا اما تابعين للادارة الاغريقية للبلاد أو تابعين لادارة الضيعة . ولم تكن هذه التبعية تفسر فقط رسميا بدفع ما يجب دفعه من ضرائب ، وسخرة وجمع المأكولات لصالح الملك وموظفيه ، وذلك بحجة أن كل المصريين كانوا مزارعين ملكيين ومن دافعى الضرائب ومن الذين تحت سيطرة الدخل الملكى .

---

(١) راجع P.C.Z. 59270.
(٢) راجع P.C.Z. 59451.
(٣) راجع W. Otto, Priester und Tempel im hellenischen Aegypten, Vol. I. P. 7 ff;

ولكن كانت هناك فضلا عن ذلك تبعية قتصادية لأولئك الذين كانوا من بينهم من يشتغلون لحسابهم الخاص على ما يظهر ، ويكفى أن نذكرهنا على سبيل المثال حالة مربى الخنازير والماعز فى «فيلادلفيــا» . فالواقع أن الاغريقى هو الذى كان يدفع المرتب والذى يسلف النقود أو الغلال لهؤلاء الانسان مصريين من أصحاب الملكيات الصغيرة فانهمن المحتمل أنهم كانوا فى الوقت نفسه من فلاحى الملك أو كانوا بصورة أخرى تابعــين للادارة الاغريقية ، ومن المحتمل أن هذه أميز ظاهرة لهذا المجتمع المصرى كما نفهمه من بين سطور سجلات «زينون» ، وذلكلأننا لو وجدنااغريقيا فى مثل هذا الوضع فانه يوجد الكثير من بينهم من هم من الوجهة الاقتصادية مستقلين. ويمكن أن نضع موازنة بين أحوال الحياة اليومية التى كان يعيشها الاغريق والتى كان يحياها المصرى فنجد بعد الدرس أن العامل الزراعى كان يتقاضى مرتبــا قدره خمسة درخمات شــهريا وأردبا واحــدا من القمــح ، وقد كان هذا هو المعدل العادى . وهذا المرتب يمكن أن يضمن تعيينا منالقمح لستة أشخاص علىالأقل وهذا قليل جدا . وعلى العكس من ذلك نجــد الجندى المرتزق صاحب الاقطاع من الأرض الذى كانت تبلغ مساحة اقطاعه مائة أرور فقد كان عند تأجير اقطاعه يحصــل منه على أربعــة أو خمســة أرادب كل عام وهذا ما يعــادل ما بين أربعمائة وخمسماية درخمة وهــذا ما يكفى لمعيشة ثلاثين شخصا على الأقل ، وبموازنة هاتين الحالتين يمكننا تقدير قوة الاغريق الذين منحوا اقطاعات من الأرض كما يمكننــا من أن نقيس الفرق الذى يفصل فى الأرياف بين المصريين المعوزين وبين الاغريق الأغنياء أصحاب الاقطاع (١) . وهذا الفرق هو الظاهرة الثــانية المميزة للمجتمع المصرى . وهاتان الظاهرتان اللتان يقسم بهما المجتمــع المصرى

---

(١) راجع C. Preaux Les Grecs, P. 64.

الأصيل يمكن أن نفهمهما مما جاء في وثيقة من سجلات زينون محفوظة الآن في مشيجان (١) وهي موجهة الى «زينون» على ما يظن .

والواقع أنه عند تحليل وثائق سجلات «زينون» نرى من جهة أن السواد الأعظم من الشعب كان فقيرا ويتألم من شدة الفاقة ، والأغلبية منهم كانوا مصريين ؛ ومن جهة أخرى نجد أن الموظفين والجنود المرتزقة ورجال البلاط والأفراد الاحرار أصحاب المشـاريع المثابرين كانوا يجمعون الثراء بسرعة وكلهم على وجه التقريب من الاغريق . وحتى في وسط الطبقة المتوسطـة التي نحدفيها خليطا من القوميات نلحظ أن الاغريق بوجه عام هم الأكثر ثروة والأكثر استقلالا . وعلى ذلك يمكن أن نوازن بين الاعريقي والمصري لا من حيث القوميات المختلفة وحسب بل كذلك ـــ وهذا على ما يحتمل بحـق ـــ من حيث الغنى والفقر ، بل وأفضل من ذلك من حيث الضعف والقوة ومع ذلك وهذا تقييد لابد ان نضعه نصب أعيننا ـــ اذا كان الاغريق بوجـه عام هم الأكثر ثراء من المصريين ، واذا كانت حالتهم في معظم الأحوال أحسن ، فاننا مع ذلك نصادف أحيانا من منهم في أسفل درك من السـلم الاجتماعي . واليك مثال لذلك ففي وثيقة (P.C.Z. 59477) نقرأ أن «نيكولاوس» رجا « زينون » أن يقرضـه أربعة عشر درخمـة حتى لا يصـبح خاوي الوفاض بادي الانفاص وفي وثيقة أخـرى (٢) . نقـرأ أن « نيكياس » الذي يحتمل أن يكون مواطنا من نفس بلدة «زينون» قد استحلفه بصحة والده وابنه الصغير «أفارموستوس» (Epharmostos) أن يمد اليه يد المسـاعدة . ومن هذه الوثيقـة مهشم ، غير أن نهايتـه تعبر تعبيرا صادقا عن حالة الرجـل اذ يقول سـيؤل أمرى الى الدمار لأني أصـبحت عاريا كالهارب وكذلك نقرأ أن فردا يدعى « بيرون » (PSI. 418) قدتضرع

(١) راجع P. Mich. Zen. 90.

(٢) راجع P.C.Z. 59474

« لزينون » فى ان يخلع عليه عباءة قديمة او اذا كان يرى ان العباءة عالية أكثر من اللازم فليعطه شيئا آخر أقل قيمة . ولدينا رسالة كتبها « نيكون » راجع(١) أرسلها الى «زينون» يطلب فيها مساعدة مالية لأنه أصبح معوزا فيقول اذا لم تتسلم شيئا منك فاننا سنتضور جوعا. وعلى أية حال قد يكون من الحزم الا نأخذ ما جاء فى هذه الشكاوى حرفيا، وذلك لأنه يشتم فيها رائحة المبالغة المفتعلة . ومع ذلك فان عدد هذه الشكاوى من كل صنف معبر بنفسه . ولدينا رسالة من « زويلوس » (٢) . كتبها الى «زينون» يخبره بمرض فرد يدعى « فيليسكوس » (Philiskos) وبمتاعبه وقد رجا « زينون » أن يرسل اليه نقودا . فى رسالة أخرى من فرد يدعى مناسيستراتوس (Mnasistratos) وكان مريضا وقد كتب يطلب مساعدة «زينون» (٣) . وكتب اليه رسام يدعى «تيفيلوس» (Theophilos) يرجوه فى أن يحصل له على عمل واذا لم يتيسر ذلك فيعطيه شيئا ليعود الى الاسكندرية عند اخيه . والظاهر مما سبق انه يمكننا ان نحكم بان نغمة التراجى التى كان يكتبها الفقراء الاغريق كانت بوجه عام أقل حطة وتذللا من التى كان يكتبها المصريون. ومع ذلك نجد فى هذه التضرعات كذلك أحيانا جملا تدل على منتهى الملق والذلة كما جاء فى التظلم الذى أرسله «ديونيسوس» الى «زينون» اذ نجده يرمى نفسه بين يدى رحمة « زينون » معتبرا اياه بانه مثيل «ابوللونيوس» وقد اعلن انه مستعد لقبول حكمه ، وذلك بعد ان احتج على القبض عليه بسبب انه غش فى الكيل على ما يظن وكانت حرفته كيالا (٤) . ويقول فى ذلك حرفيا : « انى أرجوك واتوسل اليك وأستحلفك باسم آلهة وطنك وبصحة ابوللونيوس الا تتغاضى عنى والا تعاملنى معاملة سيئة »

---

(١) راجع P.C.Z. 59160
(٢) راجع P.C.Z. 59435
(٣) راجع P. Col. Z. 10
(٤) راجع P.C.Z. 59421.

هـــذا وقد رأينا فيما ســـبق ان مرتبات المصريين الذين كانوا فى خدمة «ابوللونيوس» كانت فى معظم الاحيان يؤخر دفعها . وقد كانت هذه هى الحال كذلك مع الموظفين الاغريق . ولدينا شكايات عدة وتظلمات فى هـــذا الصدد . ونقرأ غالبا رسائل خاصة بمخالفات ارتكبتها الادارة فى حق السكان الاغريق(١) . وكذلك نجد شكايات ضد رجال الشرطة (٢) .

وكان الجزء الاعظم من الطبقة الســـفلى من المجتمع المصرى مؤلفا من المصريين القح ، اما الاغريق فكانوا نسبيا قلة . هذا ونجد كثيرا من العرب والســـوريين واليهود والبدو أيضـــا (٣) . والظاهر أننا نجد بوجه عـــام كانت حالة الرجل الفقير سواء أكان مصريا أم اغريقيا أم سوريا أم عربيا أم من أى قومية كانت تقريبا واحدة ، كما لاحظ ذلك «برمانز» بقوله ان الأعمال كانت تحتل الصدارة ، وفى معظم الحالات كانت القومية قليلة الأهمية (٤) . وعلى أية حال فانه عندما يكون الموضوع خاصا بهذه الطبقة من الناس نجد ان الرجال الذين من قوميات مختلفة يمارسون أحيانا نفس المهنة ويشـــتغلون سويا جنبا لجنب . ففى وثيقة (٥) . نجد ان كلا من «فاريتيس» (Phareitis) و «ديونيسيوس» يدفع بالاشتراك مع رفيقه ايجار مؤسسة حمـــام ، وفى وثيقة أخرى (٦) . يدور الموضوع حول سائسين لفرد يدعى «هجيزيلاوس» (Hegesilaos) احدهما يدعى «حوروس» والآخر يدعى «ابوللونيوس» وهما يعملان سويا والاول مصرى والآخر اغريقى . ولدينا وثيقة (٧) ذكـــر فيها خمسة مساعدى محاجر ، وكلهم يحملون أسماء اغريقية الا واحد كان يحمل اسما مصريا وهو « حوروس » . وفى نفس الوثيقة جاء ذكر حوذيين

(١) راجع P.C.Z. 59322, 59343; USI. 301, 591.

(٢) راجع P. Rylands 570

(٣) راجع Peremans V.E. P. 86 ff.

(٤) راجع Peremans V.E. P. 158.

(٥) راجع P. Col. 2, 57.

(٦) راجع PSI. 371 (1.11)

(٧) راجع P.C.Z. 59176 (II. 114-115.

وهما حوريس وأمينتاس ، وفى وثيقة أخــرى (١) . نجــد أن تيوفيلوس وبنوريس يشتغلان معا فى بستان وفى بردية بالقاهرة (P.C.Z. 59752) نصادف فردا يدعى ديديماركوس يشــتغل فى كرم بجانب كل من ميزيس وحوروس ، وفى بردية أخرى بالقاهرة كذلك (٢) نجد صناع فخار يعملون معا وأسماؤهم هى «بأسيس» وتفوريتيس و «هريسوس» وليزيماكوس .

والظاهر أنه لأجل أن يرسم الانسان صورة للمجتمع المصرى على حسب ما جاء فى سجلات زينون لنصل منها الى حياته الخاصة وكذلك للوصول الى مدى تأثره بالاغريق المقدونيين وادارتهم فكان لا بد أحيانا من أن يحسب حساب المتون التى تتحدث عن غير المصريين .

الاسرة المصرية : لم تقــدم لنا سجلات «زينون» الا معلومات قليلة من حياة الأسرة المصرية . ومع ذلك يمكن أن نذكر على الرغم من كل شىء بعض ملاحظات لها قيمتها

والواقع انه من السهل ان نلحظ انه غالبا ما يكون افراد الاسرة يعملون معا ، ويمارس أفرادها حرفة واحدة وهذه الحرفة قد تنتقل فى حالات كثيرة من الاب للابن (٣) . ففى احدى الوثائق (٤) نقرأ عن قاطعى احجار وهمــا «حوروس» بن «باسيس» (Pasis) و «باسيس» بن «حوروس» ومن المحتمل اذن انهما الاب والابن ، وفى وثيقة أخرى (٥) . نجد ان «بائيسيس» (Paesis) صانع الفخار يشتغل مع ابنه وفى ثالثة (٦) . ونعرف أن «بانيس» (Panes) وابنه كانا يعملان فى كرم ويتسلمان نقودا . وتحدثنا وثيقة رابعة (٧) . عن بساتين

---

(١) راجع PSI. 366

(٢) راجع J. Kaerst, Geschichte des Hellenistischen Zeitalters, B. II, 1, Halfte.

(٣) راجع (P.C.Z. 59481.

(٤) راجع (P.C.Z. 59745.

(٥) راجع P.C.Z. 59500

(٦) راجع P.C.Z. 59827.

(٧) راجع P. Mich. Z. 45.

وهم « بتموتيس » وأولاده الذين كانوا يشتغلون على مايظن فى حديقتهم حيث كانوا يقومون بعملهم ، فيها وكذلك نجد ان « بتوباستيس » الذى كان يطلب مرتبه (١) يشتغل مع أولاده فى تربية الحمام . وفى وثيقة اخرى نقرأ ان « حوروس » وأولاده قد أجروا خلايا نحل ، كما نجد ان الأرمل « تامويس » (Thamoys) تمارس نفس المهنة السابقة ومن المحتمل انها قد ورثتها عن زوجها هى وأولادها (٢). وأحيانا نجد أن اخوة يشتغلون سويا كما هى الحال مع«اتفوس» (Etpheus) وأخويه (٣) . وهم الذين نقرأ انهم كانوا يتعاقدون مع « زينون » فى موضـــوع عزق أرض وعمارتها . أو كما نشـــاهد فى وثيقة أخرى رجلا يدعى « نيمسيس » (Neemsesis) وأخاه «ساموبس» (Samoys) وهما من قرية « كرك » (Kerke) يتسلمان شعيرا (٤) . ونعلم من وثيقة أخرى (PSI. 422) ان الاسرات التى نشـــاهد فيها ان اعضاءها من الاب للابن يمارسون حرفة واحدة يمكن ان يوجد فى اعضائها طموحا واعتزازا بوراثة حرفتهم . وقد كتب «بزنتائس» (Psentaes) الى زينون فى هذا الصدد (٥) فيقول ليس هناك شخصا يعمل أحســن منى وبسرعة مثلى فى مقاطعة « سايس » ووالدى هو أول رجل بين كل الناس هنـــاك .

وكانت الأبناء تعتنى بشــــيخوخة أبائهم وهم الذين من جانبهم كانوا

---

(١) راجع C.Z. 59498.
(٣) راجع PSI. 532.
(٢) راجع P.C.Z. 59182
(٤) راجع P.C.Z. 59292, 11. 382-3).
(٥) راجع (1.30 * fall.)

يعتمدون على مساعدة أولادهم فنقرأ فى متن(١) شكوى «باورس» (Paosis) والد «حوروس» أحد موظفى «أبوللونيوس» أنه يعيد الى ذاكرة «زينون» ان ابنه عند سفره قد وكل أمره اليه ، وهو الآن يطلب الى « زينون » مساعدته . وعلى العكس من ذلك نقرأ فى وثيقة أخرى (٢) ان امرأة عجوزا كانت تعمل وكيلة فى محل بيع جعة ، وكانت تتكل فى كسب عيشها على ابنتها ، ولما رأت ان الأخيرة قد هجرتها بسبب اغراء رجل قد هجر بدوره زوجه وابنه (٣) كتبت فى ذلك تتضرع لزينون فى ان يمد لها يد المساعدة : فتقول له انى اسألك أن تأتى لمساعدتى بسبب شيخوختى وترد الى ابنتى(٤)

والخلاصة انه فى كل المتون التى اقتبسناها عن الأسرة يمكن ان نلحظ فيها شعور التضامن الذى تمتاز الأسرة المصرية به حتى ولو كان هذا الشعور ينحصر غالبا فى الفوائد المادية . وأحيانا نشاهد المرأة كذلك غالبا. بجانب زوجها فمن وثيقة بالقاهرة (٥) نعلم أن « زينون » قد أمر بسجن زوجة رجل يدعى « باتيوفيس » (Pathiophis) وهو مؤجر حمام . وكان « باتيوفيس » يتحدث فى شكواه كأنه هو وزوجه مجرمان وهذا يعد دليلا على أنها على ما يظهر كانت تساعده فى عمله ، وذلك على الرغم من انه فى الجزء الأول من هذه الشكوى يظهر انه هو الذى كان يشتغل فى الحمام اثناء ان كانت هى ترعى شئون اطفالها فى البيت .

واذا كان « باتيوفيس » هو المسئول عن العمل . وهذا على ما يظهر ليس فيه شك ــ فكيف يفسر بقاؤه حرا فى حين ان زوجه كانت فى غياهب السجن » ولدينا كذلك متن آخر (٦) تدل شواهد الاحوال على انه يتحدث

(١) راجع C.Z. 59492
(٢) راجع (P. Lond Inv. 2660)
(٣) راجع Preaux (Chronique d'Egypte XIX. P. 288.
(٤) راجع P. Lond. 2660.
(٥) راجع P.C.Z. 59482
(٦) راجع P.C.Z. 59209

عن سجن امرأة وأخوى المجرم ، ولكن ذلك لم يكن ليحـدث الا فى حالة هرب المجرم ، والظاهر ان الادارة الاغريقية كانت تعامل الأسرة المصرية بوصفها وحدة لا تتجزء وأن المسئولية كانت تقع على كل اعضائها ، ولذلك نجد انه فى حالة « باتيوفيس » قد فضل زينون على ما يظن ان يسـجن المرأة ويخلى سراح الزوج الذى كان العمل يحتاج اليه . وقد كان مثل هذه الحالة تحدث فى عهد اسماعيل عند تقصير الاهلين فى دفع الضرائب وكذلك كانت تحدث عندما كان أحد افراد الأسرة يفر بسبب جريمة حتى عهد قريب جدا . ونعرف فضلا عن ذلك بعض وثائق من سجلات «زينون» ظهرت فيها المرأة المصرية . فمثلا نعلم ان « أوافروس (O Aphrous) ابنة « اناروس » قد جاء ذكرها بوصفها معترضة (١) ـــ ولابد انها كانت امرأة غنية حتى تؤتمن على قرض قدره ٢٨٤ درخمة . ومن جهة أخرى نعرف حالة الأرمل الفقيرة « سنخنسو » والمـرأة « تاموپس » التى تعمـل مع أولادهاوقدجاءذكرهما فيماسبق . يضافالىذلكالمرأة«أماموس (Amamos) أمـرأة « بيروس » ؛ Pyrrho التى كانت تتسلم الشعير لها ولأبنتها على سـبيل الاحسان وهى من نفس الطبقة الدنيـا (٢) وهذا المثل الأخير هام لسبب آخر وذلك أن « أماموس » المصرية كانت امـرأة « بيروس » الاغريقى ويجب ان يلحظ هنا ان « بيروس » كان رجلا متواضعا وهـو ينتمى الى الطبقة السفلى من المجتمع الاغريقى وعلى ذلـك فانه كان من المفهوم جدا ان نرى القوميات المختلفة تمتزج بسرعة كبيرة فى حياة الأسرة التى تنتمى الى أسفل طبقة فى المجتمع . والمتن الذى نحن بصدده يرجع عهده الى عام ٢٥٦ ق.م وفى عام ٢٤٨ــ٢٤٧ ق.م. نجد فعـلا ان أخين أحدهما يسمى « هراكليدس » وهو اسم اغريقى والآخر يدعى «با أبيس»

(١) راجع P.C.Z. 59529

(٢) راجع P.C.Z. 59292 (1.300)

وهو اسم مصرى (١) ومن ثم يظهر ان الاختلاف فى جنسية الاسماء يدل على انهما ولدا من أبوين مختلفى الجنسية ، وهذا ما يبرهن على ان امثال هذا الزواج كان فعلا موجودا فى مصر فى السنين الأولى من العهد الهيلانستيكى (٢) . هذا ونجد فى حالة الأخرى (٣) ان فردا يدعى «تيون» (Theon) وهو اسم اغريقى ووالده هو كوللوتس (Kollouthos) وهو اسم مصرى . وكذلك فى وثيقة مؤرخة بعام ٢٤٦ ق.م (٤) نقرأ أن «سيسوخوس» (Sisouchos) المصرى يقدم لزينون ابنه «بطلمايوس» وهاتان الحالتان لهما أهمية مزدوجة ، وذلك لأنه لتفسير القوميات المختلفة لهذه الاسماء يجب ان نفرض ان مصريا قد تزوج من امرأة اغريقية وهذا مايظهر غريبا جدا فى هذا العهد . ومن المحتمل اننا امام ظاهرة أخرى وهى صبغ الاسرات المصرية القحة بصبغة هيلانستيكية. وقد بدأت هذه النزعة بتسمية أولادهم باسماء اغريقية وبخاصة تلك الاسماء التى كانت عظيمة الانتشار مثل « ثيون » أو باسماء شهيرة جدا ومحترمة فى مصر مثل اسم « بطليمايوس » ويجب ان نضيف الى ذلك أن « سيسوخوس » كان أحد مرؤسى « زينون » أو « ابوللونيوس » وان علاقاته مع « زينون » كانت على ما يظهر علاقات ود وصفاء ، وهذا ما يدل على أنه كان يحتل مكانة اجتماعية رفيعة . وفى هذه الطائفة من المجتمع المصرى كانت الصبغة الهيلانستيكية تنتشر بسرعة كبيرة . هذا وقد لاحظنا فيما سبق ان المجتمع المصرى لم يكن بأية حال من الاحوال منسجما ، اذ كان يوجد فيه اختلافات كبيرة اجتماعية واسباب عديدة للمشاحنات والأحقاد .

وعلى ذلك فانه ليس بمدهش ان نسمع عن خلافات خطيرة قد وقعت

---

(١) راجع PSI 384

(٢) راجع W. Peremans V.E. 229

(٣) راجع P.C.Z. 59394 (1.34)

(٤) راجع P.C.Z. 59342

حتى بين المصريين أنفسهم فمن ذلك أن «بزنموس» (Psenemous) تقص على «زينون» الشجار الذى وقع بين سكان «فيلادلفيا» وبين المؤجرين الذين على حدود ضيعة « أبوللونيوس » . هؤلاء المؤجرون كانوا قد حفروا آبارا للحصول على الماء ، قد هاجمهم سكان « فيلادلفيا » .

ومن المعلوم ان الماء مادة ثمينة جدا فى مصر ، ولذلك فانه ليس بالشىء الخارق لحد المألوف فى ان يكون الحصول عليه سبب للنزاع . وهناك حوادث أخرى نتج عنها نزاع فنجد مثلا ان سكان قرية قد دافعوا عن مراعيهم على ما يظهر من تعدى رعاة زينون عليها (١) . وحتى اذا كان هذا الخلاف قد انقلب الى شجار بين السكان المصريين والادارة الاغريقية فان الرعاة الذين هاجمهم سفلة القوم كانوا دون أى شك مصريين أو عرب ونجد كذلك ان المزارعين كانوا يشتكون من انهم قد اعطوا مساكن أقل جودة من التى أعطيت رفاقهم (٢) وفى هذه الحالة كذلك نجد أن نشكوى كانت موجهة أكثر ضد ادارة الضيعة ، وذلك لأنها هى التى توزع المساكن. والواقع انه حتى اذا صادفنا حالات تعد بين المصريين ، او اذا سمعنا عن عامل من اصحاب المرتب من المصريين قد هرب بعد ان سرق سيده المصرى (٣) فاننا فى معظم الحالات لا نجد فى حقيقة الأمر الا عراكا قد وقع بين المواطنين الأصليين تدخلت فيه الادارة الاغريقية لتزيد فى خطر المنازعات التى كانت قد وقعت فعلا . على ان ذلك كان لا يعنى ان هذه الادارة قد حرضت على هذه المنازعات بتدبير منها او عن قصد . هذا وتدل الاحوال على ان شكاوى المصريين من الموظفين المصريين انفسهم كانت عديدة والظاهر ان مسألة القومية كانت قليلة المفعول فى العلاقات مع

(١) راجع P. Lond. Inv. 2088, 150.
(٢) راجع PSI. 380.
(٣) راجع P.C.Z. 59410
(٤) راجع P. Mich. Z. 98, PSI. 359.

الادارة ، اذ نجد ان الموظفين المصريين كانوا ينحازون فى معظم الأحيان الى جانب رؤسائهم الاغريق . ومع ذلك فلا يغيب عن ذهننا انه حتى من صبغة الوثائق التى نبحثها الآن نجد فيها بوجه خاص شكاوى واتهـامات . وفى معظم الحالات نجد أن هذه الشكاوى الموجهة الى زينون تكون تظلمات من موظفى الشرطة ، وهـذا يمكن تفسيره بسـهولة (١) فنجـد فى وثيقة (٢) أن « باتيميس » (Patymis يدعى « باتيس » شرطيـا فى « فيلادلفيا » ، وكذلك نقرأ فى وثيقة أخرى (٣) ان حارس خنازير يشـكو من انه قـد سيئت معاملته هو وزوجه على يد « بسوسناو » (Psosnau) . ومن المحتمل ان هذا الرجل هو الذى جاء ذكره فى مصدر آخر بوصفه حارس المحصول (٤) . والظاهر ان الموظفين الاداريين كانوا أحيانا يقومون باعمال رجال الشرطة فمن ذلك « حوروس » (٥) الذى سـجن « اخومنيس » (Achmneuis) أحد أتبـاع « زينون» بسبب ضريبة الملح . وفى وثيقـة أخرى (٦) نجد أن ضرابى طوب وهما « هرمايس » و « تيوس » (Teos) قد طلبا الى « زينون » حمايتهما من مساعـده « حوروس » الذى لـم يعطهما حقهما وأنهما يخشيان بسبب ذلك الموت جوعا .

هذا ونجد كذلك فى وثائق سجلات « زينون » ما يثبت وقوع سـوء تفاهم بين الموظفين المصريين انفسهم . نذكر من ذلك بوجه خاص المشاحات التى وقعت بين كل من «ستوتوتيس» (Stotoetis) و«فانسيس (Phanesis) فقد اتهم الاخير الأول بالاهمـال ، وذلك لانه شغل فضلا عن وظائفه وظائف

---

(١) راجع P.C.Z. 59491, P. Col. Z. 103.
(٢) راجع P.C.Z. 59275.
(٣) راجع P.C.Z. 59275.
(٤) راجع P. Mich. Z. 73.
(٥) راجع P.C.Z. 59275
(٦) راجع P.C.Z. 59291

زميله فى مخازن غلال «فيلادلفيا». والظاهر مع ذلك ان «انوسيس» الذى فى «فيلادلفيا» مع اثنين من الاغريق من وكلاء «زينون» وهما «كليتاركوس» (Kleitarchos) و «مارون» (Maron) قد نظروا الى الأمر من وجهة أخرى وذلك لانهم طردوا مساعدى «فانسيس» واستخدموا من جديد مساعدى « ستوتوتيس » . وقد حدثت هذه الفضيحة فى غياب « زينون » وهذا مما يجب الاشارة اليه . وانه لمن السهل ان نفهم ان الاحقاد كان لا ينفجر بركانها بهذه السهولة تحت عينى « زينون » الساهرتين .

وعندما نحلل المجتمع المصرى كما يظهر امامنا فى سجلات « زينون » فانا لا نجد فيه أى شعور بالوحدة القومية وذلك لأن هذا المجتمع لم يكن فيه انسجام من الوجهة الاقتصادية اذ قد مزقته الأحقاد والمشاحات التى كان غالبا سببها أن هذا الحزب أو ذاك من المتخاصمين يلقى بنفسه فى أحضان الاغريق اسياد البلاد وهذا بالضبط ما كان يحدث فى عهد الاحتلال البريطانى البغيض قبل قيام ثورة عام ١٩٥٢ ميلادية ومن قبلها فى عهد الحكم التركى .

موقف المصريين من الادارة الاغريقية

والآن يتساءل المرء : ما هو موقف المصريين ازاء الادارة الاغريقية ؟ ولحسن الحظ نجد ان سجلات زينون مليئة بالمعلومات عن هذا الموضوع، وهذه على أية حال نتيجة حتمية مما ينطوى عليه المضمون العام لهذه السجلات فمما تجدر الاشارة اليه أولا ان «ابوللونيوس» كان يحتل فى نظر المصريين مكانة فريدة تشبه مكانة الملك . فقد كان المصريون لايعرفونه الا بالاسم ، ومن ثم لم يكنوا له أية ضغينة . واذا كان هناك ظلم يقع عليهم فانه كان من جانب اتباعه الذين كانوا يظلمون الناس او يقسون عليهم ولم يكونوا فى الوقت نفسه اكفاء فى عملهم . وعلى ذلك فانهم اذا دعوا

« ابوللونيوس » فانهم كانوا على يقين بان كل ما حاق بهم من ظلم او جور سيقضى عليه اذا امكنهم رؤيته شخصيا وبث شكواهم اليه (١) والواقع ان « ابوللونيوس » من ناحيته كان يجيبهم بكل رزانة وبشاشة على رسائلهم وكان يعتذر اليهم حتى من أن يفحص بنفسه شكاواهم كما نجد ذلك فى وثيقة بالقاهرة (٢) . ففى هذه الوثيقة وهى رسالة من أبوللونيوس الى زينون ، نجد أن أبوللونيوس يقول أنه قد أرسل صورة من هذه الرسالة التى كتبها للفلاحين المصريين فى «هفايستياس» (Hephaistias) يأمرهم فيها بالحضور الى «فيلادلفيا» عند طلوع النهار وألا يتأخر «بتون» المحصل للثروة، ومع هذه النسخة رسالة جاء فيها : انه يخبر الفلاحين أنه مثقل بالأعمال فلا يمكنه ان يسمع القضية بنفسه ولكنه أرسل « بتون » بدلا عنه الخ . وعلى أية حال فان العلاقات التى كان يرجو السكان ان تكون بينهم وبين أبوللونيوس لم تكن الا علاقات خيالية ولم تكن توجد الا على البردى وحسب .

ومن جهة أخرى نجد ان علاقات المصريين تجاه الموظفين الاغريق الذين فى مرتبة أقل من مرتبة « أبوللونيوس » كانت شيئا آخر بالمرة . فلا شك اننا نسمع دائما عن وقوع مخالفات ومظالم . والواقع ان المصرى كان حذرا يسىء الظن وتملؤه الشكوك ولم يكن ذلك دون أسباب فالتجديدات التى أدخلها الاغريق على حياة الفلاح الهادئة لم تكن بطبيعة الحال موجهة لغير صالحه ، وذلك على الرغم من انه قد فهمها فى اغلب الأحيان بهذه الصورة، ومع ذلك فانه مما لاشك فيه أن الموظفين الاغريق لم يكن لهم هم الا دخل الحكومة وفائدتهم الشخصية . ولم تكن احوال معيشة المصرى تهمه قط

---

(١) راجع P. Lond. Inv. 2090 & 2094.

(٢) راجع P.C.Z. 59203.

ما دام يدفع الأخير ما عليه من ضرائب ويؤدى كل ما عليه من التزامات أخرى . ومن ثم كان المصريون يشعرون أحيانا بأنهم محتقرون وفى أغلب المواقف مهملون ، وليس لهم ثقة بهؤلاء الاجانب الذين أتوا من بلاد نائية ثم اخذوا يغيرون نظام حياة بلادهم العريقة فى القدم مدخلين طرقا جديدة فى الزراعة ، ولم يفكروا الا فى جمع الثروة لأنفسهم ويظهروا بانهم اكثر منهم علما وأعز جاها (١) . هذا ونجد فى المتون الشهيرة المحفوظة بالمتحف البريطانى (٢) شكاوى فلاحين أتوا الى « فيلادلفيا » من مقاطعة « هليوبوليس » . وهذه الشكاوى المرسلة الى « زويلوس » (Zoelos) والى « أبوللونيوس » كانت موجهة بصورة خاصة ضد حاكم المقاطعة « داميس » ، وذلك لان أحد وكلاء « أبوللونيوس » لم يسمح لهم بالسكنى فى المدينة ، وفضلا عن ذلك سجن « داميس » رجالهم وأجبرهم على أن يتخلوا عن الأرض التى كانوا قد وعدوا بها ، على ما يظهر بمقتضى عقد سابق . وفى وثيقة بلندن (٣) نجد ان الفلاحين قد كتبوا للمرة الثالثة الى «زويلوس» وقالوا : ان داميس يهملنا ولا يعتبرنا ويمنعنا (ان نشتغل فى) الخشب على هذه الأرض ، وهو الخشب الذى يجب أن ننهى به العمل ، والآن فان هناك خطرا فى ان تبقى الارض دون بذور » وقد ختموا شكايتهم بطلب مثولهم أمام «ابوللونيوس» وذلك لأنهم كانوا يريدون أن يعرضوا عليه شيئا مفيدا . وفى وثيقة أخرى (٤) نقرأ فيها نقدا موجها من الفلاحين المصريين لادارة ضيعة «ابوللونيوس» فاستمع اليه : « انه توجد عدة اخطاء فى عشرة الآلاف ارور (أى ضيعة أبوللونيوس) وذلك لأنه لا يوجد رجل مجرب فى الزراعة ومن ثم نلحظ على ما يظن عدم ثقة الفلاح

(١) راجع عن موقف الفلاحين بالنسبة للادارة الاغريقية Rostov, L.E. P. 85
(٢) راجع . P. Lond. Inv. 2094. 2090, 160.
(٣) راجع P. Lond. 2094.
(٤) راجع Inv. 2090. P. Lond.

المحافظ فى الاصلاحات الجديدة التى أدخلها الاغريق ، ولكن اذا نسب الانسان — وذلك بحق — هذا المتن الى العهد الذى كان يدير فيه « باناكستر » الضيعة فانه يتضح لنا ان « أبوللونيوس » كان متفقا فى الرأى مع الفلاحين المصريين . وبوجه عام يشعر الانسان ان المصريين لم يكونوا يثقون الا قليلا فى علوم هؤلاء الاجانب وتجاربهم . وهذا ما لم يكن منتظرا تماما اذا فكر الانسان فى أن « أبوللونيوس » قد عمل عن قصد على احضار اخصائيين اغريق وبخاصة لحدائقه وكرومه . ولكن كل اغريقى كان يعتقد انه بلا شك واحد من هؤلاء الاخصائيين دون ان تكون عنده المواهب التى تؤهله لذلك . ومن المحتمل ان هذا هو المعنى الذى ورد فى متن من متون زينون المحفوظة بالقاهرة (١) حيث نقرأ : « وعندما وصل « ديونيسودوروس » وأراد أن يقطع الأشجار فان باسيس (Pasis) بن «بايس» منعه من قطع الكرم (منعه عندما رأى انه عديم الخبرة) ، وقال له أنه أعطى أندرونيكوس لأجل ألا يقطع الكرم ، أربعة درخمات ، وكذلك لأجل ألا يأخذ الورد ، وأعطاه أربعة درخمات ، ووعده بثمانية درخمات عندما رأى أنه سيحدث تلفا فى الكرم وأنه ليس بصاحب خبرة .

ومع ذلك نجد فى متن « لندن » ان الفلاحين لم يكتفوا بنقد الادارة الاغريقية بل اتهموا كذلك حاكم المقاطعة « داميس » بسوء النية ، وحتى على ما يظهر بالخيانة . يضاف الى ذلك أن شكوى سكان بلدة « هفايستيايس » الذين كانوا يتظلمون من فرد يدعى « سوباتروس » وهو أحد مرءوسى « داميس » ، لابد كانت من نوع مماثل : ففى متن فى القاهرة (٢) نجد ان «ابوللونيوس» بعد ان أوضح انه ليس لديه الوقت

---

(١) راجع P.C.Z. 59736, 1.15 etc.
(٢) راجع P.C.Z· 59203 1.7 ff

سماع شكواهم بعث اليهم انه ارسل « بتون » القاضى الى « فيلادلفيا » وهو الذى كان عليه ان ينظر فى شكواهم .

وينطوى عدم ثقة المصريين بالاغريق كذلك على الخوف ممن هو اقوى منهم بأسا وهذه الظاهرة كانت على الأرجح أبرز شيء فى متن هام لدينا (١) وهو عبارة عن رسالة طويلة أرسلها «هرمياس» الى «زينون» حارس قطيع ماعز ضيعة « أبوللونيوس » (وهو عربى ؟) وذلك ان « هرمياس » كان يشكو من «مترودوروس» (Metrodoros) الذى كان قد فقد اوامر « زينون » وكان عليه ان يحضرها له . ويضيف : وحتى اللحظة التى كان ينتظر وصولها ، ولكن كان له المكانة الأولى وذلك لانه كان هناك الخوف من أنه يحضر شيئا معه أكثر خطرا (11. 2-4) ولكن الموقف يتغير فى الحال عندما ذهب عنه الخوف : وذلك عندما وصل وعلم أنه لم يحمل شيئا. وقد هاجمنا الشعب وضربوا الرعاة ومنعوهم من الرعى فى الأحراش . وتدل شواهد الأحوال على أن الهجوم اليائس الذى قام به السكان كان ذا أثر فعال وبخاصة اذا حللت الكلمات الأخيرة من رسالة « هرمياس » . والواقع أن المسألة هنا ليست مسألة عصيان مصريين وقيامهم على الاغريق بل الواقع كان المهاجمون دون شك كذلك مصريين أو اعراب ، لكن كراهية القومكانت موجهة ضدهم لأنهم كانوا يمثلون فى هذه الحالة مصالح علية القوم والأجانب الغزاة .

وفى وثيقة أخرى (٢) تفهم من مغزاها أن السكان المصريين عندما شعروا بأنهم نهبوا على يد ادارة ضيعة « أبوللونيوس » أظهروا شعورهم بالظلم بصورة «محسة تماما» وهناك رعاة آخرون قد اختاروا طريقا أكثر مهادنة فقد شكوا حالتهم الى «زينون» من مرءوسه الذى لم يرع شروط عقودهم .

(١) راجع P.SI 380.

(٢) راجع PSI 380.

بأن أعطاهم مراعى رديئة غير التى فى العقود ، وقد جاوب الموظف المتهم «زينون» برسالة (١) جاء فيها انه راعى مواد العقد وان احتجاجات الرعاة خاطئة بل على العكس أعطاهم اكثر مما يستحقون . وليس فى مقدورنا الان أن نستخلص الحقيقة ونعرف من الذى على حق . ومع ذلك فانه اذا كان عدم ثقة الرعاة لم تكن فى موضعها فى هذه الحالة الخاصة ، فانها كانت دون أى شك صحيحة فى حالات أخرى عدة .. وبوجه عام يلحظ ان المصريين كانوا دائما على حذر منتبهين الى الميول الجديدة للادارة الاغريقية ، التى كانت على أية حال عالمة بما تنطوى عليه نوايا الاهلين . فى مثل هذا الموقف. هذا ونقرأ فى وثيقة أخرى (٢) أن «زينون» طلب الى «سوستراتوس» ان يرسل رجلا ليختار له رجالا من أهل حرفته ، وكذلك يرسل اليه « ضاربى طوب» ، ولكن لفت نظره أن يكون حذرا ، وذلك لأن أصحاب المهن المعنيين يمكن أن يولوا الادبار اذا عرفوا مقاصده . والمحتمل أن «زينون» كان ينتظر مقاومة من جانب هؤلاء الصناع وذلك لانه أضاف فى نهاية خطابه أن يرسل كذلك اعرابيا «شرطيا» . والظاهر أن الموضوع المقصود كان سخرة ، هذا ويجدر بنا أن نؤكد هنا كذلك مرة أخرى وجود الجو الملىء بعدم الثقة والحذر اللذين يميزان موقف السكان المصريين تجاه الادارة الاغريقية . وهذا يقرؤه المرء بين السطور بوضوح فى المتن الذى نحن بصدده .

وعلى أية حال فان هذا الجو القاتم الملىء بالمخاوف يسود معظم الوثائق التى من هذا الصنف فى سجلات «زينون» : فنجد مثلا ان «ميوس» (Meieus) (٣) قد أرسل خطابا الى «زينون» يطلب اليه أن تنظر قضيته

---

(١) راجع P.C.Z. 59362.

(٢) راجع P.C.Z. 59230.

(٣) راجع P.C.Z. 59466.

مـع «ستاخيس» (Stachys) فى البـلدة التى يسكن فيها . وقد أخبره «زينون» انها تنظر فى البلد الذى يسكن فيها الاخير . والظاهر انها كانت الفيوم . وقد عارضه «ميوس» فى ذلك وطلب انه يجب ان تنظر فى بلدة يكون فيها الفريقان غريبان عنها مثل «منفيس؟ أو اهناسيا المدينــة وذلك لأجل أن يحاكم بمثابة غريب عنها مثلنا وقد أضاف أن «باسيس» عندما سمع ان القضية المرفوعة عليه من ستاخيس ستنظر فى الفيوم احتمى خوفـا فى مذبح الملك (المعبد) .

هذا ولدينا وثيقة أخرى هامة (PSI. 422) تقرأ فيها ان مزارعا يدعى «بزنتائس» (Psentaes) بث شكواه الى زينون من « كركيون » الذى لم يعطه أولا الا اربعــة ازواج من الثيران لحـرث الارض فى حـين ان «اونوفريس» قد ورد ثمانية ازواج الى «بزنوباستيس» (ولا يفوتنا ان ننتبه هنا الىان «كركيون» و «أونوفريس» هما وكيلان زراعيان لزينون)، وعندما ألح «بزنتائس» أعطاه «كركيون» زوجا خامسا ، ثم زوجا سادسا ، ولكنه انتخب له أهزل الحيوانات . ومع ذلك فان أرض «بزنتائس» كان من الصعب حرثها ، ولكن كان يمكن بذرها كلها لأنها كانت مغرقة بالمياه تماما. ومن المحتمل أنه ليس من باب الصدفة ان يكون الوكيل المتهم بالاهمال أو حتى ســوء النيــة من قبـل المزارع المصرى كان يحمل الاســم الاغريقى «كركيون» ، وبخاصة اذا لاحظ الانسان ان الذى كان يقرن نفسه به فى شكوى «بزنتائس» كان مصريا (١) .

وموضوع حراس خنازير فيلادلفيا يستحق التفاتا خاصـا هنا ، وقد أشرنا اليه فيما سبق عندما ناقشنا نظامهم ومكانتهم الاقتصادية . والشخص

(١) راجع PSI. 603, P.C.Z. 59270; P. Col. Zen. 44.

الذى نال أشـد السـخط من بين حـراس الخنـازير هو على ما يظهـر «هيراكليديس» مديرهم . وقد رأينا من قبل انه لا بد كان من دم مختلط: اغريقى مصرى وذلك لانه كان له أخ يدعى «باأبيس» (Paapis) ، وربما كان ذلك من الاسباب التى دعت لحقد مرؤسيه المصريين عليه وقد كتب (فى ٣٠ يونية ٢٤٨ ق.م «بمناس» وهو مربى خنازير معروف تماما (١) . الى «زينون» أن «هراكليدس» قد تفاهم مع «توتيس» على حساب مربى خنازير آخرين ، وانه يحفظ كل العقـود عنده ولم يسمح له بمراجعـة الحساب . وفى رسالة أخرى بنفس التاريخ واليوم (٢) نقرأ أن «بمناس» (Pemenas) يوبخ «هراكليدس» بسبب انه لم يطلعه على الحسابات ، ومن المحتمل انه اتهمه أكثر مما ينبغى . ومن جهة أخرى نجد ان « توتيس » (Thoteus) لما اتهم بالاشتراك فى الجريمة مع «هراكليدس» كتب كتـابا «لزينون» مؤرخا ١١ يونية سنة ٢٤٨ ومتن هذا الخطاب (P.C.Z. 59830) وجد ممزقا جدا ، ولكن نفهم مما بقى أن «توتيس» قد هوجم من رعـاة خنازير آخرين . وقد وجد اسم «هراكليدس» مذكورا بينهم . وأخيرا نجد فى متن آخر (٣) مذكرة مرسلة الى «زينون» كالعادة . وفى هذا المتن نراه يشكو فيه من أنه قد اضطهده رعاة الخنـازير فيقول : « انى مضطهد من حراس الخنازير هناك . ويلحظ ان بداية المذكـرة يحيطها بعض الغموض والظاهر أنها منصبة على «توتيس» شريكه المزعوم فى الجريمة .

أما عن الاعتراف الذى أعطيته عن خنـازير توتيوس ، فانك تحسن لو أرسلت معى شخصا لأجل أن أعطيه اياه قبل أن يبيعه .

ومن القصص الشيقة قصة « بائيس» وان كان يحيطها بعض الغمـوض

(١) راجع P.C.Z. 59330.
(٢) راجع (P.C.Z. 59331)
(٣) راجع P.C.Z. 59439

وقد سماه «بتوزريس» المزارع المحرض على العصيان (١) . والمتن عبارة عن مسودة مذكرة كتبها «بتوزيرس» الى «زينون» . والظاهر ان «بائيس» كان يسكن على أرض من املاك الملك وذلك على الرغم من انه كان لزاما عليه ان يبنى لنفسه بيتا . وقد اقرضـه «زينون» المال لبنـاء البيت ولكن «بائيس» باع البيت كما باع معه قصة أرض من أرض الملك أيضا . وقـد جاء ذكر هذه القصـة مرة أخرى فى نفس البردية السابقة أى فى مسـودة الرسـالة التى بعث بها «بتوزوريس» الى «كليـون» ، غير ان المتن هنا غامض المعنى .

وأحيانا نجد كذلك شكاوى من اغريق ضد مصريين ، بعضها يقدم لنـا صورا رائعة عن حياة الريف المصرى التى يصحبها هذا الجو المليء بالحذر والبغضاء المتبادلين اللذين لابد كانا سـائدين وقتئـذ ، فمن ذلك (٢) أن «كريتون» شكا الى «زينون» ضارب الطوب الذى كان عليه أن يشتغل عنده مدة عشرين يوما ، ولكنه حتى نهاية المدة لم يقم بضرب طوبة واحدة ومع ذلك فان هذا ليس كل ما حدث فاستمع لكلماته : وعندما كنت نائمـا فى الحقل أثناء الليل طارد خنزيرة حاملا من فناء البيت كانت تضع حملها ثم نادى على زوجى وأخبرها انه سيقتلها ثم نادى على كذلك ظنا منه اننى كنت موجودا فى البيت وعنـدما عدت من الحقل اخبرتنى زوجى بكل ما حدث ولكنى لم أبلغ أحدا بالحادث منتظرا الى ان ينتهى الوقت المحدد للعمل الذى يقوم به ، وفى الوقت نفسه أبقى كريتون الخنزير خارج الردهة . وبعد ذلك شكا الى زينون مستحلفا اياه باسم الالهين الأخوين والملك أن يفصـل فى موضوعه والا يجعله يهان مرة أخرى. وقد اقسم باسم روح الملك و «برنيكى» أنه لم يتسلم منه حتى طوبة واحدة . وعلى أية حال اذا لم تكن هذه القصة

(١) راجع P.C.Z. 59499.

(٢) راجع P.C.Z. 59462.

واضحة كل الوضوح فانها تظهر مع ذلك غريبة (١) حيث نجد اغريقيا يهاجمه مصرى (؟) .

ولا نزاع فى ان عدم رضى الاهلين وعدم تقتهم بالاجانب سيؤل فيما بعد الى الاضطرابات والثورات (٢) ولكن لا نجد فى سجلات «زينون» الا اضطرابات عابرة سببها عدم الصبر والمشاحات .

وعلى أية حال فانه عندما كانت الحال تشتد بالمصرى فانه لم يكن يفكر بعد فى القيام بمقاومة شديدة بل كان كل مافى استطاعته هواللجوء الى الهرب(٣). ولدينا أمثلة على ذلك من سجلات زينون . والواقع ان الهرب لم يكن فقط من جانب المصريين بل كان يتعداهم الى غيرهم .. وقد كان فى الحقيقة آخر وسيلة لكل رجل سواء أكان مصريا أم عربيا أم اغريقيا لأن القومية هنا لم تلعب دورا أصيلا — عندما تشتد وطأة الادارة عليه ، وعندما يتخلى عنه أصدقاؤه أو يخونونه ، وعندما كان يهدده خطر داهم من أى صنف ففى بردية (٤) نقرأ ان راعى خنازير لطبيب يدعى «ارتميدوروس» قد هرب لعدم استطاعته الوفاء بما عليه من مسئوليات والواقع أنه وجد عددا من الخنازير قد اختفى من قطيعه . ومن ثم نجد ان «أرتميدوروس» يرجو «زينون»أن يأمر بالبحث عن الهارب حتى لاتضيع علينا كل الخنازير .وفى وثيقة أخرى(٥) هرأ ان «باتايكيون» أحد وكلاء «زينون» كتب له انه علم ان بعض رعاة الماعز قد هربوا وان احدهم وهو «ليمنايوس» (Limnaios) قد هرب

---

(١) راجع (PSI. 542)

(٢) راجع W. Peremans, Revue Belge de la Philologie et d'Histoire XII. P. 1022; Preaux Chron. D'Egypt. XI. P. 522.

(٣) راجع Preaux E.R.P. 500 ff.; Rostov. H.W.P. 1548.

(٤) راجع P.C.Z. 59310.

(٥) راجع S.B. 7984

فعلا ، وان «ديمتريون» قد عزم على الهرب. وهذان الراعيان من العرب (١) وكذلك نقرأ فى وثيقة محفوظة بلندن (٢) ان راعيين آخرين وهما «سكلبيادس» (Asklepiades) و «ابوللونيوس» كانا يهددان بالهرب ان هما لم يتسلم مرتبهم . وفى وثيقة بالقاهرة (٣) نجد الحديث فيها عن هرب فرد يدعى «اتفيس» (Atpheus) وذلك تخلصا من دفع ضريبة أو غرامة خاصة بقطعه أرض مزروعة خضرا . وفى رسالة كتبها «نكتوزيريس» (Nektosiris) صانع حبال السفن الى «زينون» يطلب اليه فيها ان يكتب لكل من «هرمولاوس» (Hermolaos) و «بتوزيرس» كاتب الملك فى « اطفيح » لاحضار شريكيه لانهما مدينان له بأجر عمل ، وذلك لأنهما على أثر رحيل «زينون» هربا . وتدل شواهد الأحوال على انهما كانا قد أجبرا على هذا العمل . هذا ونجد مرة فى متون القاهرة (٤) ان الحديث كان عن مصرى قد هرب تفاديا من انخراطه فى سلك صفوف الجنود الوطنيين . وذلك ان مصريا يدعى «باريس» كان قد اختير لتأدية الخدمة العسكرية ، وكان الذى اختاره هو «اكزابيس» (Axapis) الكاتب الملكى لمقاطعة «البهنسا» ، ولكنه هرب من الجندية وقد طلب الى «زينون» ان يكتب فى هذا الصدد لاعادة الجندى الهارب .

وفى بردية أخرى (٥) نقرأ ان خادمة (Pedishi) قد طلبت مساعدة «زينون» وذلك لانها لم يعد عندها القوة على العمل ، ومع ذلك لم ترد الهرب كما يفعل الآخرون . هذا ونجد فى خطاب غاية فى الأهمية ولكنه بكل أسف ممزق (٦) ان «أبولاس» وهو نساج يشكو الى «زينون» من امة تعمل فى

(١) راجع (P.C.Z. 59340)

(٢) راجع P. Lond. Inv. 2095 176 .

(٣) راجع P.C.Z. 59329.

(٤) راجع P.C.Z. 5990 177.

(٥) راجع PSI. 667.

(٦) راجع P.C.Z. 59080.

النسيج ، تدعى «بيا» كانت تعربد مع كل الناس (١) وقد عزمت على الهرب عند «زينون» ولكن «زنودوروس» حجزها حتى لا يتعطل العمل .

ومن اسباب الهرب كذلك العلاقات السيئة مع الزملاء أو انعدام التضامن فيما بينهم فمن ذلك قضية نختميس (Nechtembis) ، صانع السجاجيد (٢) وذلك ان «بايس» ناسج السجاد كان قد أرسل فعلا شكوى ضد زميله فى العمل المسمى «نختمبس» ، وهو الآن يضع امامه بعض البراهين الدالة على احتياله وغشه . فيقول ان السجادة التى وزنت البارحة قد غمست فى الماء لتصبح اثقل وزنا من وزنها الحقيقى ، وقد عرف انها أقل من الوزن الحقيقى يضاف الى ذلك انه انتقص من طول السجاجيد وعرضها حتى اصبحت لا تصلح لفرش الارائك بسبب قصرها ، وعند وزنها وضعت بعض مواد اضافية فى كفة الميزان ومن أجل كل ذلك فانه يستحق على ذلك قطع يديه ، وفضلا عن ذلك فانه اتلف اخلاق النساجين الآخرين . واذا سمح زينون بعمل تجربة فان «بايس» كان مستعدا ان يعمل بنفس المادة ست عشرة سجادة بدلا من الاربع عشرة التى نسجوها ، وعندما سمع «نختمس» بهذا الاتهام حاول الهرب ، ولكن «بايس» قبض عليه وارسله الى السجن . وقد كشف «لزينون» عن هذه الحقائق حتى لا يغش ثانية .

وفى حالة أخرى نجد ان الهرب كان سببه نظر قضية فى أحوال غير ملائمة . وذلك ان «بايس» (٣) قد احتمى فى مذبح الملك عندما سمع ان قضية خصامه مع «ستاخيس» ستنظر فى محكمة مدينة الفيوم وقد اشرنا الى ذلك من قبل .

ومع ذلك فان أهم حوادث الهرب ليست هى التى يكون فيها الهارب شخصا أو شخصين بل عندما يكون الهرب جماعيا ، والاسباب التى تدعو الى ذلك مماثلة للتى ذكرناها فيما سبق ، وهى طلبات الادارة الزائدة عن حد

(١) راجع P. Mich. Z. 16 & 19.

(٢) راجع P.C.Z. 59484.

(٣) راجع P.C.Z. 59466.

المعتاد ، أو التأخر فى دفع المرتبات الخ . وفى معظم الحالات يكون الهرب محاولة يائسة فيهرب المظلوم الى أى مكان ، وقد يكون غرضه البحث فى مكان آخر عن عيشة أفضل . ولا نزاع فى أن هرب العمال كان يشل حركة العمل ، ومن ثم نجد ان الهرب كان يعتبر تهديدا مستمرا للادارة الاغريقية مثال ذلك ان «زينون» (١) كان يخاف أن يهرب ضاربو الطوب ان هم فهموا ان المقصود هو أجبارهم على العمل . وكانت الطبقة الدنيا تعلم تماما أن الهرب يمكن ان يكون سلاحا فى أيديهم لمحاربة الادارة ، وكانوا يستعملونه كسلاح مشهور . مثال ذلك ما قام به حراس الجسور من مناورة فقد هددوا «زينون» بالهرب اذا لم يتسلموا مرتباتهم وجراياتهم من القمح (٢) . ولكن نعرف كذلك حالات كان ينقلب فيها الهرب الى مقاومة سلبية ويكون المقصود منها معروفا وهو الحصول على امتيازات من الادارة الاغريقية . واشهر وثيقة يجب اقتباسها هنا هى .(PSI. 502) وقد تناول الكثيرون فحصها (٣) . وعلى ذلك لن نتحدث عنها هنا طويلا بل سنظهر هنا بعض نقاطها الاساسية وهى أولا ان الفلاحين كانوا لا يريدون ان يقبلوا شروط الايجار التى عرضها عليهم «باناكستر» وكيل «أبوللونيوس» . ثانيا : انهم حبسوا أنفسهم فى معبد وهددوا بترك حقولهم . ثالثا : نجد ان «باناكستر» بعد أن استنفد كل مافى جعبته من طرق لاقناعهم اضطر فى نهاية الامر ان يقبل شروطهم . وهاك ما جاء فى المتن : عندما عدنا الى فلادلفيا بعد ثلاثة أيام قررنا — بما أنه لم يسمح بعمل التقدير كما هو موجود فى المذكرة ، وكذلك بما أننا لم نجن أى تقدم فى مفاوضاتنا ، بأن نطلب اليهم ان يعطونا تقديراتهم كما يرى كل واحد أنه فى صالحه . وفى متن آخر مماثل للسابق (٤) تقرأ ان «كوللوتيس» كتب الى «زينون» يخبره ان الفلاحين الذين يزرعون ارض الجنود المرتزقة قد

(١) راجع P.C.Z. 59230.
(٢) راجع PSI. 421.
(٣) راجع بصفة خاصة Restov, L.E. P. 78; C. Preaux, E.R. P. 442, etc.
(٤) راجع P.C.Z. 59245.

هربوا واحتمو فى معبد «ازيونمنف» وعلى ذلك كتب لحاكم المقاطعة المسمى «مايماخوس» (Maimachos) الذى كان عليه ان يضطر الفلاحين الى معادرة المعبد ويلوح ان سبب هذا الهرب هو اعطاء الارض للجنود المرتزقين وان الفلاحين لم يكونوا مرتاحين من تغير أحوالهم هذه فى عملهم ، ولكن مما يؤسف له ان هذا الموضوع لم يصل الينا حله .

وقد وجدنا فيما سبق ان كل حالات الهرب الجماعية كان العامل فيها هم أفراد الطبقة الدنيا اذ كانوا يؤلفون كتلة متراصة متضامنة، وهذا التضامن وهو كما يلوح لنا من الوثائق ابرز ظاهرة فى الهرب الذى من هذا الطراز . فتجده فى أحوال المقاومـــة التى كان لها هدف مبيت كما نشــاهد ذلك فى الوثيقـــة (PSI. 502) ولكن نجده كذلك حتى فى الهرب الأعمى الذى كان يقوم به أصحاب الحرف المضطهدون (١) وليس بمدهش كذلك ان يكون هذا الهرب الذى يقوم به الفلاحون هو الذى يتخذ فى أغلب الاحيان صورة المقاومة المدبرة العارفة بقصدها وفيه نجد أن التضامن قد أصبح من أقوى ما يكون ، ومن المستطاع ان يتطرف الانسان الى القول بان هذا التضامن كان أساسه نظاما قديما يرجع فى أصوله على ما يظن الى العهود الفرعونية وأمثلة الهرب كثيرة فى مصر القديمة فى عهد الامبراطورية وهذا التضامن يظهر لنا بدرجة واضحة فى صورة أخرى غير الهرب ففى موضوع حاكم المقاطعة «داميس» الذى استعرضناه فيما سبق وما حدث له مع فلاحى «هليوبوليس» وكذلك قضة «سوباتروس» مع سكان قرية «هفاياستياس» (Hephaistias) نجد ان رجال الطبقة الدنيا كانوا متضامنين سويا على الادارة الاغريقية

ويتضح هذا التضامن هنا بصورة أعنف وذلك لأنه يظهر أن كل القرية كانت تهاجم رعاة الماعز التعساء اتباع ابوللونيوس كما اشرنا الى ذلك من

(١) راجع PSI 498 P.C.Z. 59230.

قبل . هـــذا وقد اتخذت قرية بأكملها كذلك (١) لأجل أن تحمى مواطنا من اهلها قد اتهم بسرقة بقرات .

ومع ذلك نجد من جهة أخرى فى سجلات «زينون» حالات قد حل فيها فرد عقدة هذا التضامن وذلك باعلان عدم كفاية زملائه للادارة الاغريقية ، ثم حاول بعد ذلك أن يخدعهم لأجل أن ينال الحظوة ويتقرب من رئيســه الاغريقى . وانه لمن المهم جدا ان نلحظ هنا أمرا يستحق الابانة فيه وهو اننا لا نقصد قط ان نتحدث عن فلاحين مزارعين من المصريين قد أقدموا على حل عقدة ما كان بينهم من تضامن بل ان اولئك الذين كانوا يرتكبون مثل هذا الجرم هم أصحاب الحرف والصــناعات . فمن بين هؤلاء ضــاربو الطوب وقاطعو الاحجار وفى حالة واحــدة نفر من النحاتين ، ولكن المتون الاكثر تمييزا فى هذا الصدد قد كتبها لنا صناع فخار وصانع ســجاد . وفى بعض حالات يكون سبب عدم التضامن خاصا بموظف أو رئيس لم يكن قد عمل الا ما يفرضه عليه واجبه نحو رئيسه الاغريقى ، وفى حالات أخرى نجد ان المبلغ الخائن لاخوانه يكون قد اضطرته لذلك الادارة الاغريقية . مثال ذلك الخطاب الذى أرسله «زينون» الى «سوستراتوس» وفيه يسأل «زينون» صديقه وشريكه « سوستراتوس» ان يرسل اليه أحد بنائيه ليختار له ضاربى الطوب والبنائين الآخرين معه ولكنه يطلب اليه ان يحذر هــذا البناء بالا يكشف عن مهمته امامهم مخافة ان يفروا جميعا . وتدل شواهد الاحوال على ان هؤلاء المحترفين كانوا يخشون ان يؤدوا هذه الاعمال بصفة سخرة ويكون مثلهم فى ذلك كمثل غيرهم الذين شكوا من انهم قد اضــطروا الى ضرب طوب فى حين ان ضاربى الطوب الحقيقيين لم يكلفوا بذلك (٢) . ومع ذلك نقرأ فى وثيقة أخرى مايترك فى نفوسنا تأثيرا آخر (٣) وذلك ان مدير حانوت جعة قد حبس بأمر من «زينون» لأنه قد اتهم بصورة خطيرة «أمنوس» تاجر

(١) راجع P. Mich. Z., 98.

(٢) راجع USL 440.

(٣) راجع P.C.Z. 59202.

الجمة ، والظاهر أن التهمة كانت ذات صبغة سياسية أكثر منها مادية ، وذلك لأن «ابوللونيوس» قد أضاف فى آخر رسالته أن أمنوس سيشنق اذا كان قد قال حقا ما اتهمه به المدير. ويلوح أن هذا الرجل لم يتهم زميله دون سبب ، ومن المحتمل أنه كان يأمل بهذه الخدعة أن ينال حظوة «أبوللونيوس» . وكذلك اتهم النحال «فاراتيس» (Pharates) أمام «زينون» من زميله لسبب خلاف بينهما (١) . فقدكتب شكوى الى «زينون» محتجا فيها بأنه برىء ، ويتضرع الى «زينون» ان يرد اليه حريته وذلك بقوله « ان بينى وبينه خصومة وقد سبقنى باتهامه لى أمامك يضاف الى ذلك اننا نصادف فى وثيقة أخرى (٢) قاطع أحجار يخون زملاءه فقد قيد لحسابه العمل الذى أنجزه غيره بل قبل أن يسجن زميل له بسبب دسائسه هو . ولدينا وثيقة أخرى لها نفس الصبغة (٣) . ولكن نقرأ فيها شكوى الطرف المهاجم وذلك أن «نكتوزيرس» (Nektosiris) صانع الحبال شكا الى «زينون» من شركائه الذين هربوا وهم مدينون له بأجور عمل . ونقرأ كذلك فى وثيقة (P.C.Z. 59451) أن طاعمين للقطط المقدسة فى خدمة معبد «بوبسطه» فى قرية «سوفتيس» ، ذكر أن الملك وكذلك «أبوللونيوس» قد أمرا أن يعفى الأفراد الذين من مهنتهم من الأعمال الاجبارية فى كل البلاد ولكن «ليونتسكوس» (Leontiskos) رئيس الشرطة قد أرسلهما للعمل فى الحصاد وقد فعلا ما أمرا به لأنهما لم يرغبا فى مضايقة «زينون» وقد أرسلهما الآن ثانية ليضربا طوبا فى حين أنه ترك ضاربى الطوب المحترفين دون تكليفهم بذلك لحاجة فى نفسه . وهذا المتن كذلك لم نعثر فيه على أى أثر للتضامن القومى بين المصريين .

والظاهر أنه فى حالات عدة تنتصر المصلحة الشخصية على الشعور

---

(١) راجع (P.C.Z. 59520)

(٢) راجع P.C.Z. 59499. 11. 26-43.

(٣) راجع P.C.Z. 59472.

بالتضامن ، وتغرى الأفراد الى اتهام زملائهم والى تهالكهم على ارضاء الادارة الاغريقية . ومن جهة أخرى نجد أن الادارة كانت تشجع الواشين بمنحهم أحيانا مكافآت مالية على خدماتهم (١) . والواقع أننا نقرأ فى وثيقة بمتحف القاهرة فى هذا الصدد (P.C.Z. 59484) مذكرة غاية فى الأهمية قدمها «باييس» (Pais) صانع السجاد الى «زينون» وقد اتهم فيها «باييس» زميله «نختمبس» بالخيانة والغش وانه يستحق قطع يديه ! وذلك أنه لم يقتصر على عمل سجاجيد قصيرة جدا وخفيفة ، ولكنه فضلا عن ذلك يفسد أخلاق رفاقه الآخرين . وعندما علم نختمبس أنه أراد ان يوشى به الى زينون حاول الهرب ولكن باييس قبض عليه وسجنه . ونهاية هذه المذكرة غريبة فى بابها : لقد أخبرتك بهذه الأشياء لأجل الا يضرك انسان ولأجل أن أحصل على الحظوة عندك .

وفى وثيقة أخرى بالقاهرة (راجع ٢) نقرأ أن «بازيس» صانع الفخار قد وشى الى «زينون» أمر اهمال زملائه الذين يعملون فى تزفيت جدران أوانى الفخار ، ولأجل أن يظهر اسرافهم اقترح أن يوكل اليه هو هذا العمل كله والى ثلاثة آخرين من صناع الفخار يسمى أحدهم «ليزيماكس» وبعد ذلك شكا من بعض زملائه بأنهم يحملون له ضغنا ويقولون انه يكتب دائما ضدهم الى «زينون» وهنا نجد المتن شيقا وهاك ما جاء فيه : « يجب عليك أن تعرف أنى أغتاب بين صناع الفخار ، وذلك لأنهم يقولون ، أنى أكتب اليك دائما أشياء سيئه عنهم، وهذا لا يهمنى قط ، ذلك لأنى اجتهد دائما أن أعرف بعض أشياء مفيدة » ولكنه لم يعرهم التفاتة وصمم على أن يبلغ كل شىء ينبغى أن يعرفه «زينون» . وقد ورد أخيرا الى «أنوسيس» (Anosis) الفى غطاء جرة فى حين أن صناع الفخار الآخرين لم يوردوا شيئا ، ومن أجل ذلك فانهم

(١) راجع P.C.Z. 59489
(٢) راجع P.C.Z. 59481.

ينظرون اليه بعين الحسد . ومن ثم نرى أنه لم تكن هذه المرة هى الأولى التى أساء فيها «بابيس» الى زملائه وانه مصمم على أن يكيل لهم بنفس الكيل فى المستقبل . ولدينا متن آخر كتبه صانع فخار يشكو فيه من زملائه (١) . وكذلك نلحظ فى الموضوع رعاة الخنازير الذين سبق ذكرهم أنه لا يوجد تضامن بينهم وذلك عندما نرى أن «توتيس» قد أصبح شريكا فى الجريمة مع هراكليس للاضرار بزملائه المصريين مثله .

ولأجل أن نلخص مسألة التضامن فى المجتمع المصرى كما تظهر لنا فى سجلات زينون لابد أن نضع سؤالا : كيف يجب علينا أن نتناول هـذه الوشـايات والاتهامات ؟ والجواب على ذلك نجد بعضه فى المقـال الذى كتبـه المؤرخ «برمانز» عن ««بطليموس الثانى» «فيلادلف» والسـكان المصريين (٢) . وذلك لأنه لم يناقشها الا من وجهة نظر الادارة الاغريقية . والواقع أنه من الممكن بل من المحتمل أن «نختمبس» صانع السجاد قد خان رؤسـاءه وان زملاء «بابيس» كانوا مهملين فى أعمالهم ، ولكن يجب ألا يعيب عن بالنا الموقف الحرج الذى كان يحتله الصانع المصرى الذى كان مضطرا أن يغش الادارة التى كانت تبالغ فى طلباتها ، وذلك لأجل أن يكسب عيشه . فهل يمكننا أن نفرض أن «نختمبس» لم يكن يفكر الا فى أن يسرق ؟ أما الجزء الثانى من الاتهام ــ وهو الذى يتحدث عن افساده لاخـلاق زملائه ــ فيظهر ان المقصـود منه هو فائدته الشخصية وكذلك يفهم أن «بابيس» لم يعامله بوصفه لصا منحطا وذلك لأنه يسميه محرضا على الثورة أو العصيان . وعلى ذلك فان الدور الذى لعبه الواشى لم يكن دور رجل شريف غضب للحق. ووصف زملاءه بعدم الاستقامة (وهذا هو التأثير الذى يمكن أن يستخلصه الناقد من قراءة رسالته وبذلك نجده قد فك عرى التضامن مع قومه وطبقته وانحاز الى الأجانب أسياده سواء كان ذلك قد حدث منه

(١) راجع PSI. 420.

(٢) راجع Revue Belge de Philologie et Histoire XII. P. 1005 ff.

بقصد أو جاء عفو الخاطر وانه لمن المهم أن نلحظ ماقد أشرنا اليه فيما سبق وهو أننا لم نصادف مثل هذه الحالة بين طبقة الفلاحين المصريين ، وذلك لأن شعورهم بالتضامن الذى كان على أية حال مؤسسا على نظام قديم كان غاية فى القوة . ولا نزاع فى أنه فى مصانع أصحاب الحرف حيث كان يسود — كما ذكرنا من قبل — جو التسابق والحسد ، نجد أن تفكير الانسان فى التضامن كان يقل عن تفكيره فى الربح العاجل وفى اكتساب حظوة اصحاب السلطان والجاه من الاغريق .

نظرة المصريين للاغريق : لقد تحدثنا حتى الآن عن وضع المصريين بالنسبة للادارة الاغريقية . ومع ذلك فانه لمما يستحق الاعتبار هنا أن نتساءل كذلك عن العلاقات الشخصية التى كانت توجد بين المصرى والاغريقى فى الحياة الحرة وهل سجلات زينون تسعفنا بالجواب على ذلك ؟ والواقع أن الجواب على هذا السؤال الأخير يحتمل الاثبات والنفى فى آن واحد . وذلك أن كمية من الرسائل والشكاوى التى وجهت الى «زينون» فى هذه السجلات تهيىء لنا أن نكون رأيا عن وضع المصريين بالنسبة « لزينون» نفسه وهذا هو كل مالدينا من المعلومات فى هذا الصدد تقريبا وحتى فيما يتعلق «بزينون» نفسه فانه يمكن أن يكون لدينا شكوك . وتفسير ذلك أنه حتى يومنا هذا لم نصل الى حالة تمكننا من أن نحدد بصورة دقيقة موضع زينون الرسمى . وعلى ذلك فانه من الصعب أن نعرف مايجب أن ينسب الى مركزه الحكومى . ومع ذلك فان الفرد الاغريقى الذى كان يمكن للمصرى أن يتصل به كان دائما على وجه التقريب موظفا ، وعلى أية حال كان رئيسه وفى أعين المصريين كان يجب أن يمتزج الرجل فى معظم الأحيان بمركزه الرسمى . ومن وجهة النظر هذه تهيء لنا الرسائل التى كانت توجه الى زينون أن نكون فكرة صحيحة لا بأس بها عن وضع المصرى بالنسبة للاغريقى الذى ينتمى الى طبقة أعلى . ففى كل الرسائل الموجهة الى «زينون» تقرأ

أن المصريين كانوا يرجونه أن يأخذ بناصرهم ، ويمنع عنهم الظلم الذى يئنون تحت عبئه ، وان يمد لهم يد المساعدة وان يكشف عنهم ضرهم . والواقع أنه كان الرجل صاحب السلطان فى نظرهم وهو العماد الكلى لهم وفى مقدوره أن يزلل كل صعاب ، وكان ينتظر منه العدالة المنصفة (١) . ومع ذلك يتساءل الانسان هل كانت هذه الحالة عنده دائما تنطوى على الاخلاص، وننتقل الآن الى استعراض أبرز هذه الشكاوى وأكثرها ميزة فى هذا الصدد لنرى مقدار اخلاصه فى معاملة المصريين الفقراء .

فمن ذلك التضرع المؤثر الذى وجهته امرأة عجوز الى «زينون» (٢) . وذلك أنها عندما هجرتها ابنتها التى تعولها كتبت الى زينون تقول : انى أسألك أن تأتى لمساعدتى رحمة بشيخوختى وان ترد الى ابنتى . وكتبت اليه امرأة أخرى وهى أرملة رجل يدعى «سنخنسو» ترجوه فى أن يرد اليهاأتانهاالتى كان كان قداغتصبها « نيكياس (Nikias) (٣) . فتقول: سأرسل اليك مولودها ، وانى أرجوك وأتوسل اليك ، ألا تهمل مسألتى فانى امرأة أرمل . وكتب اليه كذلك راعيا خنازير وهما «بتنوريس» و «ساموريس» شكوى وكانا سجينين بسبب جرم ارتكباه (٤) . والطريف أنهما لم ينكرا جريمتهما ولكنهما يلجآن الى رحمته وعطفه فى أن يطلق سراحهما خوفا من أن تهلك قطعا نهما لعدم العناية بها ، وهما نفسهما يموتان جوعا لعدم وجود ما يسد رمقهما . وفى ذلك يقولان : أرجوك أن تأخذك الشفقة بنا ، فقد عوقبنا بسبب خطئنا ، وليس هناك فرد بغير خطيئة ، وعلى ذلك ينبغى لك أن تمحص موضوعنا ، اذا رأيت حسنا أن تحررنا ، لأنه ليس لنا سيد غيرك ، ومن ثم فانا نكتب اليك نطلب الرحمة .

هذا ويظهر «زينون» فى عدد كبير من سجلاته بأنه هو المحامى الوحيد

(١) راجع Chronique d'Egypte XIX. P. 288.

(٢) راجع P. Lond. Inv. 2660.

(٣) راجع P. Mich. Z. 29.

(٤) راجع P.C.Z. 59495.

للمظلومين . ولكن يجب أن نلحظ هنا أن هذه الحالة الخاصة بالطبقة الدنيا من السكان كانت عامة وليست قاصرة على المصريين الأصليين وحسب وذلك لأنه لدينا متون مشابهة حررها اغريق فى هذا الصدد (١) . هذا ولدينا رسالة من فرد يدعى « بمناسيوس» (Pemenasios) يشكو فيها من أن بواب «زينون» لم يسمح له برؤيته ليشكو اليه أمره . والظاهر أن كل هؤلاء التعساء كانوا يعتقدون أنهم سيصلون الى أغراضهم ان هم أمكنهم التحدث مع «زينون» شخصيا. وقدكانهذا الزعم هورأى «أوللاس» (Iollas) (٢) الذى أراد أن يهرب الى جوار «زينون» وكذلك كان هذا هو رأىالعبد(٣) الذى لم يرد أن يترك عمله كغيره من زملائه ولكنه طلب حكم العدالة فى أمره من «زينون» . فيقول : بما انى أعلم من أخلاقك أنك عدو السوء فانى لذلك لم آته .

هذا ونجد أحيانا أن هذه الحماية التى كان يمنحها «زينون» لبعض المصريين كانت توضح بصورة بينة ويقول فى ذلك «روستوفتزف» (٤). وهناك صورة أخرى للحماية وهى الحماية التى كان يعطيها موظفون من مرتبة عليا أو من مرتبة صغرى لرجال كانوا يعملون لهم أو كانوا مرتبطينبهم بصورة أخرى » هذا ونجدفىبعض الحالاتمثلحالة «باتيميس» (Patymis) الذىجاء ذكرهفى وثيقةأخرى (P. Rylands 569 208.) مايشعر الانسان أن «زينون» كان يحمى المصريين لمصلحته الشخصية فقد كرر «باتيميس» بقوة حمايته له فيقول مخاطبا له : لقد حميتنا منذ البداية وكذلك الآن وليس هناك أحد آخر سيحمينا ، وليس لدى ثقة الا فيك لحمايتنا .

والظاهر أن مستخدمى «زينون» كانوا هم الذين يفيدون فى معظمالأحيان

(١) راجع P.C.Z. 59421; P. Mich. Z. 107.
(٢) راجع P.C.Z. 59080.
(٣) راجع P.SI. 667.
(٤) راجع Rostov. H.W. 1396.

من حمايته أكثر من غيرهم . وأبرز متن فى هذا الصدد (١) . وهو يحدثنا عن اعرابى كتب الى «زينون» رسالة طويلة شيقة يطلب فيها مساعدته . وذلك انه لما كان عليه أن يبقى فى « سوريا » مع «كروتوس» (Krotos) فقد قضت الأحوال أن يقوم بخدمة الجمال ، غير أن الأخير لم يعطه مرتبه ، وقد انتظر بعض الوقت حتى يعود «زينون» ، ولكن الجوع فى نهاية الأمر قد اضطره الى الهرب فى داخل البلاد وهنا يضيف فى خطابه الى زينون بقوله : « انى أكتب اليك لتعلم أن «كروتوس» هو المذنب » . وبعد ذلك أرسله «زينون» الى «فيلادلفيا» حيث كان يعمل تحت أوامر «ياسون» (Iason) ، ولكنه عومل هناك معاملة سيئة كأنه متوحش ، وعلى ذلك تضرع الى «زينون» أن يأتى لمساعدته . وعندما يقرأ المرء هذه الرسالة يشعر الى أى حد من التعبة الشديدة كان يعيش كاتبها وفيها يقول يجب عليك أن تعرف انك قد تركتنى فى سوريا مع كرونوس ولم ارتكب خطأ فى حقك ، وعندما أمرت أن أعطى المرتب الذى أمرت اعطاءه فانه لم يعطنى شيئا . وعندما رجوته كثيرا أن يعطينى ما أمرت به فان كرونوس لم يعطنى شيئا . ولكنه أعطانى الأمر بالانصراف وقد صبرت بعض الوقت فى انتظارك ... وقد كتبت اليك لأجل أن تعرف أن كروتوس هو المذنب . وعندما أرسلتنى الى فيلادلفيا عند «ياسون» وعندما فعلت كل شىء أمرتنى به .. انى أرجوك .. وانك على ذلك ستعمل عملا حسنا اذا اهتممت بى . وانى أتوسل لكل الآلهة وكل أرواح الملوك أن تكون فى صحة جيدة، وأن تأتى بسرعة عندنا لأجل أن ترى أنت بنفسك بأنه لاغبار على وهذه الرسالة تبتدىء بصيغة الصحة والسلامة مما لا نجده فى معظم الرسائل التى وجهت الى «زينون» من تابعية . يضاف الى ذلك أن تكرار ضمير المخاطب بقوة وبكثرة كان كذلك غريبا فى هذه الرسالة . هذا ونجد أن موقف «كليسيس» (Kelusis) الذى يلوم كلا من «سوسيتراتوس» و «زينون»

(١) راجع P. Col. Z. 66.

بأنهما سافرا دون أن يعلماه ماالذى قاله «أمونيوس» عنه ، كان مماثلا لما جاء فى الرسالة السابقة (١) .

ولدينا رسالة «لزينون» من «باؤزيس» الذى كان تحت حمايته ، وتستحق ان تفحص فحصا خاصا فهى تكشف لنا عن احدى مواقف «زينون» بالنسبة للمصريين وذلك أننا نفهم منها أن « زينون » كان أحيانا يمنح حمايته الى بعض أسر مستخدمى «ابوللونيوس» . وخلاصة القصة ان «باؤزيس» (Paosis) كان قد وضعه ابنه «حوروس البحار» تحت حماية «زينون» وهو أحد بحارة «ابوللونيوس». وقد شكا من ان«هراكليدس» رييس ضيعة «فيلادلفيا» قد سجنه لاجل ان يبتز منه مائة درخمة غير ان «باؤزيس» لم يكن يملك الا حمارا وبعض اغنام قد تركها له ابنه «حوروس» لتكون تحت رعايته ، ومن أجل ذلك يرجو «زينون» ان يسرحه من السجن حتى يكون فى مقدوره الاتصال «بحوروس» الذى سيضع شكواه امام «ابوللونيوس»

وقد كتب باؤزيز لزينون يقول :

الى زينون السلام عليك من «باؤزيس» والد «حوروس» بحار أبوللونيوس، وهو الذى أخذ يدى وأعطاها اياك وقال لك : اذا ارتكب معه أحد ذنبا قله الى .

هذا ونقرأ فى بردية أخرى قصة عكس ذلك فاستمع اليها (٢) . وذلك ان الوالد «سيخوس» فى هذه الوثيقة هو الذى وكل أمر ابنه «بطليموس»

الى زينون السلام عليك من «باؤزيس» والد «حوروس» بحار أبوللونيوس (Hermaphilis) والى «بيثون» (Python) صاحب المصرف والى غيرهما كذلك بخصوص ضرورة تعيين ابنه . فى وظيفة كاتب . وقد ارسل «سيخوس» ابنه شخصيا لىرى «زينون» ويرجوه فى ان يكتب فى الحال

(١) راجع P.SI 410.
(٢) راجع P.C.Z. 59342.

أمرا بتعيينه فى وظيفة بمرتب حسن .

والواقع ان خطاب التوصية السالف الذكر يعد من الرسائل النادرة التى كتبها مصرى فى هذا الصدد ، هذا وفى سجلات «زينون» رسائل كثيرة من هذا النوع كتبها اغريق لا مصريون (١) .

هذا ولدينا بعض رسائل موجهة الى «زينون» من مصريين عليها مسحة الألفة وذلك على الرغم من ان القارىء يحس ان كاتبيها يوجهونها الى مدير ادارة «ابوللونيوس» القوى بوصفه صديقا لهم يحتل وظيفة عالية ويشغل مكانة تمكنه من مساعدتهم . وهذا هو التأثير الذى تركته رسالة «فانئزيس» (Phaneisis) كيال الحبوب (٢) . فقد كتب الى « زينون » أنه سجين فى الاسكندرية بأمر من «ديونيسودوروس» (Dyonysodoros) والظاهر معذلك أنهلميكن يفكرفىهمالغد،وهو يرجو فىرسالته«زينون»فىأن يرسل اليهفقطخادما لانه ليسلديه بجواره احد فى المدينة ، وكذلك طلب اليه ان يرسل اليه عباءة وما تيسر من النقود . هذا ولدينا رسالة أخرى (٣). تذكرنا كذلك بالرسائل التى كتبت الى «زينون» من اصدقائه الاغريق . وقد سأله فى هذه الرسالة «حارمايس» (Harmais) ان يتدخل فى صالحه امام «أبوللونيوس» وقد أرفق بخطابه صورة من الشكوى التى قدمها(٤).

ويجب انتفحص علىحدة موقفالكهنةالمصريينتجاه «زينون» ، وذلك على الرغم من أن الوثائق لم تحدثنا فى سجلات « زينون » الا عن الكهنة الذين يشغلون وظائف صغيرة . والواقع انه فى كل المتون المحفوظة لدينا يظهر فيها «زينون» بأنه الحامى والمحسن لرجال الكهانة . فلدينا مثلا متن (٥) . خاص بمصالح «كوللونيس» كاهن الالهة «توريس»

(١) راجع W. Keyes American Journal of Philology LVI. P. 28 ff.
(٢) راجع P.C.Z. 59519
(٣) راجع PSI. 488.
(٤) راجع الرسالة التى كتبها «بانا كستر» الى «زينون» PSI. 502.
(٥) راجع P.C.Z. 59308

(ربة الولادة) فى «فيلادلفيا» وفى متن آخر (PSI. 531) تقـرأ ان كهنة «عشتارت» صـاحبة منفه يلجئون الى كرمه وسخائه ، كما نجد كاهـن «ازيس» (٥) . يطلب مساعدته وحمايته من تعدى موظف . وفى أحد متون القاهرة (١) . نقرأ ان مربيى القطط فى بوبسطه يتضرعان اليه ان يخلصها من سخرة فرضت عليهما بغيا وظلما . هذا وقد رأينا من قبل أنه منح حمايته الى كاهن صغير (Isionomos) (٢) . وذلك على الرغم انه كان يعمل ذلك على مايحتمل لوجه الله . وقد كان كذلك على علاقة مع كاهن اكبر ولكن المتن المختصر الذى جاء فيه ذلك (٣) لا يسمح لنا أن تتنبأ بما يقصد منه

والخلاصة يظهر انه لأجل ان يميز الانسان وضع المصريين بالنسبة للاغريق يجب ان نبرز النقاط التالية (أولا) تبعية المصريين الاقتصادية التى ينتج منها عدم ثقة المصريين وعدواتهم للاغريق (وذلك على الرغم من اننا نجد مصريين من الطبقة الراقية من هم على وداد ومصافاة مع الاغريق ، وانه فى طبقة أقل من السابقة نجد ان بعض اصحاب الصناعات ينقضون تضامن طبقتهم جريا وراء نيل حظوة الاغريق (أصحاب السلطان) ، (ثانيا) ومن جهة أخرى اعتقاد المصريين انه يجب عليهم ان يبحثوا عن التآزر والحماية اذا ما ارادوهما فى كل مشكلات الحياة عند الاغريق اصحاب السلطان . والظاهر ان الشعور الوطنى لم يكن له دور يقوم به فى هذه الحالة الا دورا ثانويا ، لا يكاد يذكر .

والآن نجد انه قد حان الوقت للاجابة على السؤال التالى : ما هو وضع الاغريق بالنسبة للسكان المصريين ؟ (كما نفهمه فى وثائق سـجلات زينون)

(١) راجع PSI. 539.
(٢) راجع (P.C.Z. 59492)
(٣) راجع P.C.Z. 59451.
(٤) راجع P. Ryland 569
(٥) راجع PSI. 641.

والواقع ان هذه المسألة كانت موضع نقاش كبير . ولكن لندع أولا الوثائق تتكلم فى هذا الصدد والواقع انه حتى لو كان موقف الاغريق غالبا كما سنرى فيما يلى — معاديا أو بالاحرى موقف ازدراء ، فانه لدينا مع ذلك أوراقا بردية اغريقية نعلم منها ان الاغريق كانوا يتدخلون لاجل صالح المصريين . فرسائل التواصى التى كتبها زملاء زينون الاغريق له تعتبر غاية فى الأهمية من هذه الوجهة ففى وثيقة (١) . كتب «أمينتاس» أحد موظفى «أبوللونيوس» وزميل «زينون» الى الاخير يرجوه ان يصفح عن فرد (Kiolourgos) قد التجأ اليه طالبا الحماية . والمتن شيق اذ يقول : ان كولورجوس قد وصل عندنا وهو يطلب الحصول على صفحك عنه ، وألا يعتبر مذنبا ، وعلى ذلك تكون قد أتيت عملا طيبا اذا أطلقت سراحه اذا كان لم يأت ذنبا عظيما، وانه بعد أن يكون كما يجب فى المستقبل وقد وبخناه هو نفسه بأنه متسكع ولا يقوم بعمل . وهو يطلب أن يطلق سراحه فى «منف» وان يسمح له بالعمل. واذا لم يعط «أبوللونيوس» أوامر مضادة فانك تعمل حسنا اذا سرحته ومع ذلك فان اسم الراجى لم يذكر كما لم يعرف احد معنى الكلمة الدالة على وظيفته . والناشر للمتن وهو «بتروبولوس» (Petropoulos) يظن أنه صانع من صناع الفخار أو عامل يشتغل فى بناء السفن فاذا كان الامر كذلك، فانه يمكن ان نفرض انه كان مصريا ورسالة «امينتاس» لطيفة جدا، ومنها نفهم ان الاغريقى قد سلك فيها مسلكا محايدا . اذ نقرأ بين السطور بسمة حلوة تدل على السماحة : « آه من هـذا الشيطان المسكين فى استطاعتك ان تسامحه ! » ولكن هذه الرسالة تعد كذلك شيئا استثنائيا — ولدينا رسالات توصية اخرى بعث بها الى «زينون» لصالح مصريين ، ولكن فى بعضها يرى الانسان بجلاء ان الموضوع لا يتناول قط اغراضا انسانية وان الاغريقى الذى يتدخل فيها لم يكن لمصلحة المصرى بل لمصلحته هو وحسب

(١) راجع P. Athen. I.

ففى متن (١) نجد ان «كاساندروس» (Kassandros) وهو أحد جنـود «أبوللونيوس» يرجو «زينون» ان يخلص رجلا قد أرسـل من مقاطعة «منف» الى «فيلادلفيا» للحصاد ، وذلك لأن هذا الرجل كان ضروريا له(١). وفى متن آخر (٢) . طلب الى «زينون» ان يفحص موضـوع «بزيناتس» (Psinates) بن «باجاتس» (Pagates) وان يتكلم فى ذلك لموظفين آخرين . وفى بردية (٤) لم يبق لنا منها الا بداية رسالة كتبها الى « زينون » فرد يدعى «ديوكليس» يتشفع فيها لدى «زينون» لصالح «باريس» الـذى هرب من مقاطعة «البهنسا» (٥) . هذا ونجد فى ورقة اخـرى وهى (٦) . جزء من المسودة التى فيها جواب «زينون» على الرسالة السابقة جاء فيها ان ديوكليس أحد رجال الجيش المستعمرين فى «ارسنوى» وهو صديقى ويهمه كثيرا أمر مصرى اسمه باريس وعلى أية حال ليس لدينا آية فكرة يمكن ان تكون لجندى مرتزق اغريقى يطلب فيها حماية حارس هارب ومع ذلك فان المتن ممزق ولا يقدم لنا معلومات كافية فى هذا الصدد .

هـذا ونلحظ فى كثير من مجريات الاحوال مع ذلك الاحتقار والعداوة اللذان يظهرهما الاغريق نحو السكان الاصليين أو بعبارة ادق نحو ممثلى الطبقة الدنيا من المجتمع المصرى . ففى أوراق «ريلندز» (٧) نقرا ان فردا يدعى «باتايكيون» (Pataikion) كتب الى «زينون» فى موضوع شرطى يدعى «سوكيس» (Sokeus) وكان قد أفسده ، انه قد سافر الى «ابوللونيوس» ليعرض عليه ظلامته ، ومن ثم رجا «باتايكيون» «زينون» ان يقيم العقبات فى وجه المصرى ، ثم يضيف فى خطابه انه قد كتب كذلك

(١) راجع P.C.Z. 59301.
(٢) راجع Preaux(Chron. Eg. X. P. 112 f.
(٣) راجع P.C.Z. 59303
(٤) راجع P.C.Z. 59303.
(٥) راجع P.C.Z. 59590
(٦) راجع P. Mich. Z. 82.
(٧) راجع P. Ryland 563.

لمترجم « أبوللونيوس » لأجل أن يلعب معه دورا خسيسا اذا أمكنه.

فيقول له انك تفعل حسنا اذا وجدت فرصة وأمكنك ان تلتفت الى موضوع هذا الرجل حتى لا تكون سخرية فى أفواه الآخرين . وقد كتب كذلك الى مترجم ابوللونيوس فى هذا الصدد بان يعمل على الاضرار به اذا امكنه

ويمكننا ان نؤكد مع ناشر هذا المتن ان المترجم لابد كان لديه الامكانيات لمضايقة المصرى الذى كان يريد ان يتكلم الى الوزير صاحب القوة دون ان يعرف لغته . ومن الاشياء الشيقة كذلك ان تلحظ هنا ان «باتايكيون» كان يعتبر طريقته عادية تماما ، وانه كان متأكدا ان «زينون» سيبحثها أيضا . ومع ذلك لايمكننا ان نعد هذا المتن بمثابة مظهر عداوة قومية ، وذلك لانه ليس لدينا متن آخر مشابه لموضوعه خاص باغريقى . هذا ونقرأ فى متن آخر ان «أمينتاس» يرجو «زينون» ان يطلب الى «ابوللونيوس» ان يعير اذنا صاغية الى شكوى النجار «كالياناكس» (Kallianax) الذى ذهب الى الوزير يطلب حمايته . والظاهر اذا انه فى هذا المتن كما فى غيره لابد أن نبحث عن منبع العداوة التى نلمحها هنا لا فى اختلاف القومية بل فى ركن خاص بالموقف المادى والاجتماعى .

والواقع أنه لم يكن عند الاغريق بوجه عام ثقة فى العمال المصريين الذين يشتغلون لحسابهم . وهذا الشعور يظهر جليا فى رسالة كتبها لزينون فرد يدعى « سبونداتس » عن موضوع خشب الجميز الذى كان ضروريا لبناء مركب . وقد طلب ان يرسل اليه « تيوبومب » (Theopompe) الاغريقى ليقوم بشراء هذه الصفقة (١) . حتى يقضى بذلك على اعتذارات العمال (الذين يبنون السفن) لانهم كسالى ويبحثون عن معاذير . هذا ولدينا رسالة تستحق الالتفات (٢) . وقد تحدثنا عنها

---

(١) راجع P.C.Z. 59270, 1.8, etc.

(٢) راجع P. Col. Z. 66.

فيما سبق عندما كنا نفحص مسألة الحماية التى منحها «زينون» للاهلين ولكن لا بد ان نبرز نقاطا اخرى فى هذا المتن الشيق . وذلك لانه هـو الوحيد فى سجلات «زينون» الذى نجد فيه ان كاتبه يشكو من سـوء معاملتـه لانه ليس هيلانى المنبت فيقول انه لم يدفـع له مرتبـه ولم يعط نبيذا بدلا من النبيذ الحلو كما يعطى الاغريق قائلا : « حتى لا أموت من الجوع وذلك لانى لا اتكلم الاغريقية او بعبـارة اخـرى لانى لست مثل الاغريق ويقول : «ولكنهم يحتقروننى لانى لست «اغريقيا» . وقـد طلب بعـد ذلك الى « زينـون » ان يأتى لغوثه وان يصـدر الأمر باعطائـه مرتبه . وكاتب هـذه الرسالة عربى الأصل . ومما يسـتحق الاشـارة اليـه هنـا انه المتن الوحيـد فى سجـلات زينون الذى نسـمع فيـه كلامـا صريحـا عن التمييز العنصرى ولم يكن كاتبـه مصريا ، وهـذا أمر يلفت النظر وله اهميتـه . على ان وجـود هـذا المتن لا يسمح لنـا ان نستنبط أن السكان غير الاغريق فى مصر كانوا يشعرون بأنهم صنف منحط عن الاغريق . وحتى الاغريق الذين من الطبقة الدنيا فى مصر نجد انهم كانوا يشعرون دون شك انهم اكثر قربا من المصريين الى اسياد البلاد ، وذلك لانهم كانوا يشتركون مع هؤلاء الاسياد فى اللغة والتقاليد وقد كانوا فخورين بذلك. هذا ونعلم من أوراق البردى كذلك ان الاغريق كانوا يخافـون أحيانا بأس المصريين الاصليين .

حقا لم يكن زمن الثورات على الحكم البطلمى قد اتى بعـد . ومع ذلك يظهر ان الاجانب لم يكونوا يشعرون دائما بالامان فى الريف المصرى . هذا وقد كتب «كريتياس» الى «زينون» .(PSI. 345) يقول ان محصول الكروم يبتدىء ، ويطلب اليه ارسال عشرة حراس على الاقل وبترحيـل الموجودين عنده حتى لا يحدث ما لا تحمد عقباه . ولدينا جزء من رسـالة عن طريق اغريق قد أرسلوا لحراسة الكروم وقد طلبوا مددا او ان يعفوا

من وظيفتهم . فقد قال لهم أحد الناس انه من خطل الرأى استخدام شبان مصريين (١) . ونفهم من السطر السادس والعشرين وما بعده من وثيقة بالقاهرة (٢) . أنه فى العلاقات مع الادارة نجد أن الاغريق كانوا أحيانا حذرين من الموظفين المصريين . مثال ذلك «دمترويس» الذى اراد ان يتحاشى وقوع خلاف مع الكاتب الذى بيده حساب المؤسسة لانه كان فى مقدور الاخير أن يضايقه . هذا ونعرف كثيرا من الخلافات التى وقعت بين المصريين والاغريق ، ومع ذلك فان هذه الخلافات لم تكن مميزة ، وذلك لاننا نعرف الكثير منها . ومن المحتمل انها كانت تقع اكثر بين الاغريق وبين المصريين . واهم هذه الخلافات مسألة «اجاتون» و «بثوباتيس» حيث أراد أجاتون بأية طريقة ان يتسلم من «زينون» ارضا مؤجرة الى «بتوباستيس» (٣) .

وكانت الادارة الاغريقية لا تفكر من حيث العلاقات الرسمية او العلاقات غير الرسمية الا فى الفوائد التى يمكن أن تنتزعها من عمل السكان المواطنين . وقد كان موقفها معروفا جيدا ، وقد ظهر ذلك بالمثل فى سجلات «زينون» (٤) . فقد كانت الادارة لا تكترث بأمر موظف مصرى أو عربى أو اغريقى فقير ، ولكن المهم لدينا هو دخل الحكومة ومصلحة الحكام الشخصية ، حتى ولو حصلت على ذلك بطرق غير شريفة او بارتكاب مخالفات . ومع ذلك لابد أن نلحظ هنا انه فى غالب الأحوال لم نسمع بمخالفات فى وثائق سجلات «زينون» . والمحتمل ان ذلك لم يكن من باب الصدفة . اذ المفهوم على ما يظهر انه خلال حكم «فيلادلف» كان الموظفون لا يزالون فى قبضة الحكومة ونقول هنا فى خلال مدة حكم «فيلادلف»

---

(١) راجع P.C.Z. 59361.

(٢) راجع P.C.Z. 59610.

(٣) راجع C Viereck, Philadelpheia. P. 44.

(٤) راجع P.C.Z. 59130. 59209, 59275, 59310, 59329, 59496, etc.

لانه لم يكن الا فى هذا العهد قد احتل «زينون» وظيفة رسمية ، وبذلك كان فى مقدوره ان يتسلم شكاوى خاصة بمخالفات الموظفين .

والظاهر مع ذلك انه فى هذا العهد كانت تقوم فى وجه الادارة الاغريقية عقبات للحصول من السكان المصريين على ما كانت تفرضه عليهم « فقد كانت أحيانا تلجأ الى الوعود والتفسيرات مثل الحالة التى سبق ذكرها عن الخلاف الذى حدث بين سكان «هيفايستياس» ومع وكيل حاكم المقاطعة «داميس» (١)

وغالبا ما كان ينبغى على الادارة ان تمنح امتيازات بعضها ينبع من السياسة الملكية — ويفكر الانسان بوجه خاص فى هذه الحالات التى تعترف فيها الادارة انه من الطبيعى انها لا يمكنها ان تشغل العمال فى أيام أعياد البلاد (٢) . أما الامتيازات الاخرى فانها كانت تغتصب منها وبخاصة عندما يكون الامر متعلقا بجعل الفلاحين يعودون الى الحقول التى هجروها ونحن نرى جيدا أن الموظفين كانوا يرتبكون أما م خطر هرب الفلاحين وترك أعمال الاغريق ، وكان السكرتير المالى «زويلوس يفضل عدم التدخل» فى المشاكل التى يلاقيها «باناكستر» (٣) . وعلى الرغم من أن « كولوتس » الذى جاء ذكره فى بردية بالقاهرة (٤) قد أراد أن يحضر حاكم المقاطعة «مايماخوس» أملا فى انه سيكون فى استطاعته ان يجعل الفلاحين يتركون المعبد الذى 'ستمسوا فيه ، فان الموقف امام حاكم المقاطعة لم يكن على ما يظهر من السهل حله ومع ذلك فانه لمن المهم ان نلحظ ان «كوللوتيس» (Kollouthes) المصرى كان يعتقد أنه كان من السهل على موظف اغريقى أكثر منه ليجعل الفلاحين المصريين يخضعون ويعودون الى عملهم ..والواقع أن الهرب

(١) راجع P.C.Z. 59203.
(٢) راجع P.C.Z. 59815, PSI. 374, Cf. Rostov. H.W. P. 290 f:
(٣) راجع PSI. 502.
(٤) راجع P.C.Z. 59245

كان ســلاحا قويا فى ايدى المصريين . حقا ليس لدينــا الا المتون المتعلقة بالتهديد بالهرب الخاص بضاربى الطوب (١) ، ولكن يظن الانســان ان هذا التهديد هو الذى كان ينتزع من الادارة الاغريقية الجزء الاعظم من وعودها وتفسيراتها وحتى الامتيازات التى كانت تمنحها نتيجة لذلك

ومن ثم نرى ان الهيلانيين فى حين كانوا يلعبون أحيانا بكل سرور دور الحامى الكريم فانهم كانوا بوجه عام لا يفعلون ذلك الا لان اهل البــلاد كانوا فى نظرهم قــوة عاملة لا غنى عنها ، وانه يجب اســتغلالهم بقــدر المستطاع بكل الطرق . ولا نزاع فى انهم فى معظم الاحيان كانوا يحتقرونهم ولكنهم كانوا كذلك يخافونهم مع شعورهم بالــكراهية لهم . ومــع ذلك فانهم كانوا لا يحتقرون الا القوميــة والعنصرية وذلك لأن الاغريق كانوا يتمتعون بعلاقات ودية مع المصريين من طبقة خاصة . وكل ما فى الامر انه كان احتقار الاغنياء والاقوياء للضعفاء والمعوزين . حقا انهم كانوا فخورين بأنهم اغريق ولكن تمسكهم بوطنيتهم لم يكن أمرا ثانويا وذلك لأن كون الفرد اغريقيا كان يعنى بوجه خاص عندهم هو المال والسلطان

والآن يتساءل الانسان ما هى السياسة الرسمية للادارة البطلمية تجاه السكان المصريين ؟

الواقع أن هذه المسألة قد نوقشت مرات عدة (٢)

ويعيب هذا المصدر الاخير على البطالمة انهم لم يهتموا بما فيه الكفاية برعاياهم المصريين (٣) . ولابد أن نضــع النقاط على الحروف فيما يخص

---

(١) راجع P.C.Z. 59230 230.

(٢) راجع P. Jouguet, I.C. P. 271 ff.; W.L. Westermann Agricultural History. Vol. I. P. 34 ff.; W.W. Tarn J.E.A. XIV. P: 246 ff.

(٣) راجع C. Preaux, Chronique d'Egypte XI. P. 117. Peremans Chron. D'Eg. XI. P. 156 ff.

العامل الاقتصادى فى سياسة البطالمة فى لقرن الثالث ق.م. وان نقلل من واقع الحال اهمية العامل القومى (١) . حيث يقول ان الهم الرئيسى لهؤلاء الملوك هو ان يحصلوا اقصى ما يمكن الحصول عليه من دخل البلاد فى ميدان الاقتصاد ، ولكن أنظر نفس المصدر ص ٢٨٧ حيث يقول أن الفصل بين الاجانب والمصريين كان يظهر مباشرة فى بعض المتون . والواقع انه فى بعض الوثائق نشاهد الشعور القومى لا يلعب أى دور . ولكن فى بعض متون نادرة جدا نجد على حسب بعضها ما يدل على عداء قومى ، اللهم الا اذا كان الموضوع متعلقا بمعارضة بين الفاتحين و المقهورين أو بين السيد والمسود (٢) .

(وفى هذا المصدر عن الاهتمام الأبوى بالبلاد) راجع كذلك (٣) حيث يقول ان كلا من بطليموس الأول وبطليموس الثانى قد فهم بوضوح انه كان من المستحيل ان يؤسس ملكه على طبقة السكان الاصليين الا بوصفهم كتلة بشرية كانت تكدح بالقوة الجبرية ، وعلى حسب نظام خاص ، وكانوا على حق كما ظهر من المحاولات التى قام بها اخلافهما فى هذا الاتجاه . وذلك أن السكان المصريين لم ينسوا قط ان الاغريق وأسرة البطلة لم يكونوا الا أجانب ودخلاء على بلادهم (٤) . ويتحدث هذا المصدر عن العلاقات الاقتصادية أى علاقة الطبقات (٥) ببعضها بعضا .

كما يتحدث عن الاغريقى والمصرى والعبرى والرومانى فى مصر وعلى حسب الرأى السائد فى الأدب الحديث نجد ان الفائدة الاقتصادية قد لعبت هنا دورا حاسما وكذلك فى الحياة الخاصة . ومن تحليل سجلات

---

(١) راجع Peremans V.E. P. 272.

(٢) راجع W.L. Westermann, The American Hist. Rev. XLIII. P. 285.

(٣) راجع Rostov. H.W. P. 132.

(٤) راجع A.B. Ranovie, Ellignim i jego istoriceskaya rol. P. 183.

(٥) راجع S. Davis, Race-Relations in Ancient Egypt.

«زينون» فى استطاعتنا أن نلحظ أن طرق الادارة البطلمية وحتى التى من أول وهلة نرى أنها ناتجة عن سياسة قومية تظهر أثناء تحليل أكثر عمقا انها قد أمليت بوساطة مصالح اقتصادية . وهذا على الاقل هو التأثير الذى جاء نتيجة دراسة هذه الوثائق التى نرى فيها أحيانا حب الافراد وبغضهم ولكن حيث لايمكننا إن نتحسس توجيها قوميا فى سياسة الادارة الاغريقية نحو السكان الاصليين .

ومن المحتمل ان الوقت قد حان الآن لنتساءل اذا كان فى مقدور الانسان ان يعمم ملاحظاتنا التى عملت فى الواقع من مادة غنية ولكنها محددة من حيث الزمان والمكان . فهل حياة الفيوم التى تعتبر اقليما جديدا لا يوجد فيها سمات لا توجد قط فى أى اقليم مصرى حيث نجد أن السكان الاصليين قد استوطنوها منذ احيال مضت وحيث كان الاغريق فقط هم الوافدين الجدد ؟ وتدل الشواهد مع ذلك انه اذا اراد الانسان ان يؤكد ان صورة المجتمع المصرى التى رسمت فى سجلات «زينون» ليست صحيحة الا بالنسبة لمنتصف القرن الثالث ق.م. فانه فى الا مكان من جهة أخرى ان نفرض انه لم يكن هناك فروق رئيسية بين هذا المجتمع وبين الذى كان يعيش فى الاقاليم الاخرى فى مصر ، وذلك على الرغم من ان نشاط « بطليموس الثانى » الاستعمارى قد ظهر فيه بوضوح . ففى مكان آخر ربما كانت الحياة اكثر سلاما واقل حمية ، كما كانت نسبة الاغريق المئوية فيه أقل ايضا ، ولكن يظهر ان هذه الفروق كانت صحيحة من حيث الكمية لا من حيث النوع .

ولدينا سؤال آخر وهو : هل هذه الصورة التى رسمناها هنا للمجتمع المصرى فى مصر فى القرن الثالث ق.م . تعد كاملة فى نظر المؤرخ ؟ والواقع ان الحالة المادية للبلاد واعتمادها على الاغريق ، وكذلك العدواة والبغضاء اللتان كانتا تمزقان هذا المجتمع فى

الداخـــل ، وترميان أحيانا المصريين فى أحضـــان الاجانب أســياد البــلاد كانت تجعلانهم يوشون بزملائهم وطبقتهم ، ومن جهة أخرى نجد أن وحدة الأسرة وتضامن الشعب وبخاصة طبقة الفلاحين قد جعل المصريين يحاربون الادارة الاغريقية بكل ما لديهم من قوة وهذا التضامن القومى كان يتمثل بوضوح فى غالب الاحيان فى المقاومة السلبية التى كانت تتجلى فى افــراد الشعب عن تدبير وروية . وأخيرا يتساءل المرء هل أخذ فى الاعتبار كل أوجه الحياة الاجتماعية عند المصريين بالنسبة للعلاقات بين اهل البلاد وبين الفاتحين الاغريق ؟ والجواب على ذلك بالنفى قطعا . ولكن الصبغة العامة لمصادر هذا البحث وهو سجلات «زينون» مضافا اليها حقيقة ان كل المصادر المستقاة من أوراق البردى ليست الا قطعا من كل غائب عنــا ، وقد فرض علينا الا نتعدى هذه الحدود التى يستحيل علينا الآن ان نتعداها

المجتمع الاغريقى فى مصر خلال القرن الثالث ق . م مستخلصا مما جاء فى سجلات « زينون »

تحدثنا فى الفصل السابق عن علاقة الطبقة الدنيا برجال الادارة الاغريقية الذين كان فى يدهم مقاليد الأمور ومفاتيح الرزق بالنسبه لهذه الطبقة الكادحة الفقيرة من الشعب المصرى الاصيل والآن نرى لزاما علينا ان نبحث فى هذا الفصل عن علاقة الاغريقى بالاغريقى لتكون الموازنة كاملة والموقف بينا جليا . ولأجل أن نفهم هذا الموقف لابد أن نرجع قليلا لنرى باختصار الى أى مدى كان نفوذ الاغريقى فى مصر قبل احتلال البلاد على يد « الاسكندر » . وذلك على الرغم من اننا عالجنا هذا الموضوع فيما سبق .

ولا نزاع فى انه فى مدة عصر الانتقال التى تقع ما بين القرن الرابع والقرن الثالث ق.م قد ولد عالم جديد فى الجزء الشرقى من حوض البحر الابيض المتوسط . اذ بالواقع انه قد نمت بعض ممالك هيلانستيكيه بسرعة خاطفة لتصل الى قمة مجدها وغايتها فى خلال القرن الثالث ق.م.

وقد انتشر اغريق شبه جزيرة البلقان والمستعمرات الايطالية والصقلية وقبل كل شىء كل أهل المدن الاغريقية البحرية المتمتدة كتله واحدة فى كل اقليم الدولة الفارسية القديمة ، وهى التى فتحت أبوابها أمامهم بحد سيف الاسكندر الاكبر . وقد خلق هذا التدفق الجارف من السكان الاغريق أمام الممالك الهيلانستيكية التى نشأت حديثا مشكلة حياة او موت لهم . ومن أجل ذلك عمل ملوك هذه الحكومات المستحيل لجذب المهاجرين الى بلادهم واستيطانهم فيها (١) . ونجد أثر ذلك فى الادب الاسكندرى ،

---

(١) راجع Rostovtzeff, Social and Economic History of the Hellenistic World, P. 1035 & 1070.

وذلك لان الكتاب الاغريق كانوا يعرفون ان تشجيع مواطنيهم على التوطن فى مصر ، يعتبر من الامور التى تروق فى أعين الحماة الملكيين (١) . وقد كان ذلك بالضبط ما حدث فى البلاد المصرية التى سنحت فيها الفرص بصورة رائعة للانسان أن يرى أمامه تكوين المجتمع الهيلانستيكى . ويرجع الفضل فى ذلك الى المواد التاريخية الغزيرة التى تكشفت عنها تربة أرض مصر بصورة منقطعة النظير فى أيامنا .

وتتساءل مرة أخرى ما هى الدوافع التى جذبت الاغريق الى مصر ؟ والجواب على ذلك سهل ميسور . فقد أكد لنا المؤرخ «تارن» باختصار ذلك بقوله : ان الاغريق أتوا الى مصر ليصبحوا أغنياء (٢) . ولا غرابة فى ذلك فان سجلات «زينون» تقدم لنا الجزء الاكبر من موادها الخاصة بمصر فى خلال القرن الثالث ق.م. ما يوحى بذلك ، فى كل وثيقة من وثائقها تقريبا . ولكن السؤال المهم هو ان نعرف بالضبط كيف أن الاغريق أغنوا أنفسهم فى مصر ؟ وما هى مصادر الدخل التى هيأت لهم على شواطىء النيل جمع هذا الثراء ؟ وأخيرا ما هو العامل أو العوامل التى الفت من هذا الجمهورية المختلف الألوان المجتمع الهيلانستيكى فى دولة البطالمة .

والواقع انه ليس فى استطاعتنا ان نقدم حلا شافيا لهذه المسألة بما لدينا من الاثار التى كشف عنها حتى الآن . وقد لا يكون الحل أقل ايضاحا اذا قصرنا جوابنا على ما لدينا من المعلومات التى نجدها فى سجلات «زينون» فلماذا اذا نتوقف عن فحص هذا الموضوع من أوراق زينون ؟ والواقع أن سجلات زينون تتمثل لنا فى وحدة مؤتلفة متجانسة الى حد كبير من الوثائق تهىء لنا أن ننفذ بعمق فى مسائل كان يمكن أن يخطئها التفاتنا اذا فحصنا متونا خاصة لا رابط بين الواحدة بالأخرى . وعلى ذلك يظهر انه اذا حللنا

(١) راجع Theocrite XIV 59 ss.; Herondas I, 26 ff.
(٢) راجع W.W. Tarn, The Hellenistic Civilisation. P. 201.

الوثائق التى تتألف منها هذه السجلات فان ذلك يمكن أن يلقى ضوءا ساطعا على موضوع بحثنا

ولا بد لمعرفة مجتمع ما من ان يرجع الباحث الى اسسه الاقتصادية ، وعلى ذلك يجب علينا قبل كل شىء ان نجيب على السؤال الاول الذى سألناه هنا وهو : ما هى مصادر الدخل التى وجدها الاغريق فى مصر ؟ وماذا عساه أن يكون فى سجلات «زينون» خاصا بهذا الموضوع ؟ وتدل شواهد الاحوال على ان العلماء قد بحثوا هذه السجلات من وجهة واحدة يمكن أن نسميها بالوجهة «الرسمية» . وهى المسائل الخاصة بنشاط «أبوللونيوس» بوصفه وزيرا ومديرا لضيعته بالفيوم ، وكانت السياسة الاجتماعية والاقتصادية للملك تحتل المكانة الاولى فى ذلك . ويعترف كل هؤلاء العلماء ان «زينون» وكذلك الاغريق الآخرين بما فى ذلك الوزير كان فى مقدورهم أن يهتموا بأحوالهم الشخصية وكذلك بماليتهم الخاصة ، ولكنهم مع ذلك كانوا يعملون تمام العلم ان هذه الوثائق كانت خاصة بأحوال زينون الشخصية . وعلى أية حال لا بد ان نلحظ ان الصورة التى يقدمها لنا المجتمع مستخلصة من سجلات زينون صورة مكبرة جدا . هذا بغض النظر عن صورة المجتمع الوطنى الذى تحدثنا عنه فى الفصل السابق ، ومن ثم سنوجه كل عنايتنا هنا الى السكان المهاجرين من الاغريق والمقدونيين بوجه خاص ففى داخل المجتمع الاغريقى الحر فى مصر — كما نراه فى سجلات زينون يمكن أن تميز بصورة عامة ثلاث طبقات : أولا رجال البلاط الملكى ، نذكر من بينهم «ابوللونيوس» ، وكبار الموظفين والاشراف العظام الذين يظهرون نادرا فى بريد زينون مثل « ليزيماكوس » و «تلستس» ومن المحتمل كذلك فيلينوس (Philinos) وضيوف الاسكندرية الذين كانوا يأتون أحيانا لزيارة الفيوم وهم الذين كانت

زيارتهم تحدث نشاطا عظيما بين السكان . (ثانيا) الطبقة الثانية وهى التى تمتاز بكثرة عددها ووفرة الافراد المعروفين لدينا منهـا ، ونخص بالذكر منهم «زينـون» نفسـه ورجـال حاشـيته وهم رفاقه الذين فى خـدمة «ابوللونيوس» وكانوا فى الواقع يؤلفون من رجال الادارة الهامين فى الحكومة، وكذلك كان منهم الجنـود المرتزقون اصحاب الاقطـاع (ثالثا) الطبقة الثالثة والاخيرة وتتألف من فقراء الاغريق والمعوزين وهم العمال الكادحون وكانوا فى العادة يتقاضون مرتبات من «ابوللونيوس» أو من الملك أو كانوا من صغار أصحاب المهن أو الزراع . وتدل شـواهد الأحوال على ان الاغريق الذين كانوا فى فقر مدقع قد فقدوا كل امتيازات بنى وطنهم وألفوا مع المصريين والسوريين والعرب تلك الكتلة البشرية المجهـولة من النـاس الذين كان يعتمد عليهم الملك وأشراف مصر الأغنياء فى انجـاز أعمالهم الشاقة مقـابل أجر زهيد (١) . ولكن هذه الاوسـاط الثلاثة التى ذكرناها تتصف بسمة واحدة مشتركة وهى تبعيتها لقوة اعظم منها سلطانا . فقد كان رجال الطبقة الثرية جدا يرجع ثراؤهم الى ما حباهم به الملك الذى كان يملك كل مصر من جاه ومال ، كما أن لطبقة التى أقل منهم غنـا وكذلك الطبقة الممعنة فى الفقر كان افرادهما تابعين للملك مبـاشرة (ونعنى بهؤلاء موظفى الادارة وكل الخاضعين للايرادت الملكية) أو لموظف كبير مثل «ابوللونيوس» (٢). وليس هناك شك فى ان هذه التبعية العامة كانت أسـاس الحياة فى مصر وبخاصة فيما يتعلق بالطبقتين الاخيرتين من طبقات المجتمع . ومع ذلك اذا القينا نظرة خاطفة أو حتى نظرة سطحية على ذلك لشاهدنا ان هذه التبعية لم تكن مصدر ثروة شخصية

فنجد انه فيما يخص «ابوللونيوس» واشباهه كانت توجد لهم بطبيعة

---

(١) راجع Rostovtzeff H.W. PP. 132-142.

(٢) راجع Rostovtzeff H.W. P. 1153.

الحال مصادر عديدة للدخل مثال ذلك الضياع التى كانوا يملكونها والمشروعات الصناعية التى كانوا يقومون بها كصناعة المنسوجات المنفية التى كان يملكها «أبوللونيوس» وتجارة الغلال والمحاصيل الزراعية والتجارة الاجنبية ، أما أفقر طبقة فى المجتمع الاغريقى فانهم ان لم يكونوا يعيشون من اعمالهم التجارية ، فانهم كانوا يشتغلون بوجه خاص بالزراعة وتربية الحيوان والحرف اليدوية (وقد كان الاغريق بوجه خاص نساجين كما ان المصريين كانوا صناع فخار) وبتأجير الحمامات وحوانيت الجعة(١). ولكن الجزء الاعظم من سجلات «زينون» خاص بالطبقة الوسطى ، وكان «زينون» الذى يعد من هذه الطبقة يضع فيها اقرب رفاقه اليه ويقول المؤرخ «رستوفتزف» فى كتابه عن تاريخ العالم الهيلانسنيكى الاجتماعى والاقتصادى ، عن «زينون» انه كان يؤلف طرازا لهذا العهد الذى تكون فيه المجتمع الهيلانستيكى (٢) . فاستمع لقوله : « يعد زينون مدير بيت ابوللونيوس طرازا من الناس فى ضيعة فلادلفيا» . وفى نهاية عمره يظهر لنا من مراسلاته انه لم يعد بعد فى خدمة «ابوللونيوس» ؛ بل كان رجلا غنيا مشتغلا باعمال اقتصادية منوعة ؛ ومن أجل ذلك فان قصدنا من هذا الفصل هو تحليل دقيق للاسس الاقتصادية لموقف «زينون» فى فيلادلفيا . وسنفحص رجال الحاشية المقربين منه جدا كلما سنحت الفرصة لابداء ملحوظات اكيدة .

وأول وثائق فى هذا الصدد تلفت النظر هى التى أرخت بعام ٢٦٠/٢٥٩ حيث نجد فيها ان «زينون» كان فعلا فى خدمة الوزير «ابوللونيوس» وقد لقبه الاثرى «ادجار» فى هذه الفترة بانه المشرف الاول على اعمال ابوللونيوس» الخاصة فى سوريا وفلسطين وفى المدن الواقعة فى اسيا

(١) راجع Peremans P. 135 ff.

(٢) راجع Rostovtzeff H.W. P. 1153.

الصغرى (١) . وفى عـام ٢٥٨ ق.م. أى فى بداية عـام ٢٨ ، من حـكم بطليموس قد أصبح فعلا كاتم سر أبوللونيوس ، ورجل ثقته فى الاسكندرية وفى عام ٢٥٦ ق.م نجـد زينون دائما بجانب الوزير «ابوللونيوس » وقد قام معه بعدة رحلات طويلة فى انحاء مصر . بعد ذلك نجده قد عين فى نهاية شهر ابريل من عام ٢٥٦ ق.م مديرا لضيعة «ابوللونيوس» فى الفيوم واتخذ فيلادلفيا محل اقامة دائم (٢) . هذا ولا نعرف على وجه التأكيد عمر هـذه الضيعة . وتدل المناقشـات التى جرت حـول هـذا الموضـوع على ان «أبوللونيوس» على ما يظهر قد أنهى مجـال حيـاته الوزارى بصـورة مقتضبة فى أوائل عهد بطليموس «ايرجيتيس» وان ضيعته فى فيلادلفيا قد صودرت . ومن المحتمل ان الوثيقة التى تحمل رقم ٥٩٨٣٢ فى سجلات «زينون» ربما توضح لنا بعض الشىء هذه المسألة ، غير انها بكل أسف وجدت ممزقة وغير مؤرخة . وقد كتب فيها دون شك طلبا للملك جاء فيه : كنت مشرفا على ضيعة فيلادلفيا التى كانت اعطيت ابوللونيوس الوزير السابق حتى عام ٣٨ (من حكم بطليموس الثانى). وكل ما يمكن ان يحقق فى هذه الوثيقة انه منذ السنة الأولى أو الثانية من عهد «ايرجيتيس» لم يعد بعد «زينون» مدير الضيعة ، وهذا اهم شىء فى الموضوع وعلى ذلك يمكننا القول انه فى عهد «ايرجيتس» لم يكن «زينون» الا شخصا حرا . والمراحل الثلاث المعروفة فى حياة «زينون» هى : (١) حتى عام ٢٥٦ ق.م (٢) من ٢٥٦ حتى ٢٤٦ ق.م (٣) ومن اول ٢٤٦ ق.م. وهـذه المراحل ليست ذات قيمة متساوية من حيث فحص مصادر دخله الخاص

(١) فالمرحلة الاولى وهى منذ العهد الذى بدأ عمله بجانب «ابوللونيوس» ليس لدينا فيها متون تقريبا لها علاقة بأحواله الشخصية .

(٢) المرحلة الثانية هى التى كان يعمل فيها مديرا للضيعة . وقد اختلطت

---

(١) راجع Edgar Intr. Mich. P. 17.
(٢) راجع Edgar Intr. Mich. P. 4 ff.

مصالحه الخاصة باعمال الضيعة بدجة كبيرة وباعمال «ابوللونيوس» حتى انه لا يمكن الانسان ان يفصل الواحدة عن الاخرى الا نادرا «

اما المرحلة الثالثة فليس فى مقدورنا ان نعرف اذا كان «زينون» يعمل باسمه لحساب نفسه بعد عام ٢٤٦ ق.م او لا ؟ وهذا هو السبب فى ان هذه الفترة ينبغى أن نعتمد عليها عندما نريد ان نفحص مصادره الخاصة .

وقبل ان نشرع فى تحليل نشاط «زينون» الحر وكذلك نشاط الاغريق الذين كانوا فى محيطه يجب علينا ان نفحص الاهمية الاقتصادية التى من اجلها شغل «زينون» وظيفته فى خدمة الوزير «ابوللونيوس» ولا بد ان نلحظ هنا أولا ان وظيفة «زينون» الرسمية التى كانت كثيرا موضع جدل لم تكن محدودة بصورة اكيدة (١) . ولكن لا يهمنا فى هذا البحث الا نقطة واحدة وهى ما هو الدخل الذى كانت تضمنه له هذه الوظيفة ؟ والواقع انه ليس فى استطاعتنا ان نحدد مقدار مكاسبه التى كان يجنيها من «ابوللونيوس» . فقد ذكر اسمه مع اسماء اخرى من موظفى «ابوللونيوس» فى قائمة مرتباتهم من الغلال . ومع ذلك فان وظيفته كانت تهىء له امكانيات كسب لا حصر لها . وقد صدق «ادجر» عندما قال : وفى استطاعة الانسان ان يخمن أن الميزة الرئيسية لمركز «زينون» كانت تنحصر فى الفرص التى هيئت له لجمع المال بمغامراته الحرة (٢) . والموضوع الهام لدينا فى هذا البحث هو ان نعرف كيف استخدم هذه الفرص وكذلك ما هى أهميتها وتحليل الوثائق الخاصة بذلك يجيب لنا عن هذا السؤال .

فمن اهم مصادر ارزاق «زينون» الخاصة وابسطها تأجير الاطيان ، وبوجه خاص على ما يظهر فى دائرة فيلادلفيا ، وبخاصة اقطاعات الجنود

(١) راجع Preaux E.R. P. 19, No. 9.
(٢) راجع Ed. Inv. Mich. P. 43.

المـــرتزقين وغـــيرهم من الاغـــريق الذين كان يمنحهـــم الملك أراضى والجزء الاعظم من الوثائق المؤرخة فى سجلات «زينون» يرجع الى عهد بطليموس الثانى ، ومع ذلك فان صبغتها تبرهن غالبـــا على ان «زينون» كان يشتغل لحسابه وفائدته هو وحسب . وقد وصف لنا «ادجر» هـــذا النشاط الذى قام به «زينون» فى الفصل الذى يحمل عنوان : «زينون» وعلاقته بالمستعمرين من الجنود المرتزقين (١) . ويظهر من رأيه ان «زينون» لم تكن يؤجر اراضى الجنود المرتزقة غير ان تحليل المتون لا يظهر فى معظم الحالات اذا كان صاحب قطعة الارض التى كان يؤجرها «زينون» هو من الجنود المرتزقين ام لا . ومما لا شـــك فيه ان الطبيب «ارتميدوروس» و «بلاتون» صديق «زينون» الاسكندرى لم يكونا من رجال الجيش (٢) ومن هنا تنشأ مسألة أخرى : وهى هل كانت علاقات «زينون» مع الجنود المرتزقين تختلف عن العلاقات التى كانت بينه وبين الملاك المدنيين ؟

ومـــا يلفت النظر ان كل المتون فى سجلات «زينون» المنســـوبة بوجه التأكيد للجنود المرتزقين ترجع الى عهد بطليموس الثانى ، وعلى ذلك تكون فى المـــدة التى كان يسيطر فيها «أبوللونيوس» على ضيعنا فى فيلادلفيـــا فنجد فى أحـــدى أوراق «زينون» بالقاهـــرة رقم ٥٩٣٢٥ المـــؤرخة ٢٤٩ قائمة طويلة بأسماء الجنود المرتزقين وهم التابعون لمنف والتابعون لضواحى قرية اندروما خوص والتـــابعون لبلدة «باكخياس» وهم الذين كان لهم بقايا ايجار عام ٣٦ من عهد بطليموس الثـــانى . فهل معنى ذلك أنه يمكننا ان نفرض ان نشاط «زينون» الحر الذى كان وقتئذ مدير الضيعة كان له قيمة كبيرة ؟ واذا كان «ميس» (Mys) الذى جاء ذكره فى الوثيقة رقم ٥٩١٣٢ من اوراق القاهرة قد استشار «زينون» فيما يجب ان يفعله

(١) راجع Edgar Inv. Mich PP. 40-43.

(٢) راجع J.J.P. P 370, note 23.

مع «سيمبوس» الذى كان فى نزاع مع (Bassilikos grammateus) على تقدير مســاحة قطعة أرض فان ذلك اذا يعنى أنه كان يخاف من فقــدان المحصول . هذا وكان «ميس» وكيلا معروفا تماما «ابوللونيوس» (١) .

والاهمية التى نستخلصها من هذه الحالة وكذلك التجاؤه لزينون تسمح لنا أن‌نقترح أن مرءوسى «ابوللونيوس» كانوا يشتغلون بزراعةاقطاعات من الارض كذلك باسم الوزير . والظاهر ان مثل هذه الحالة ما نجده فى‌ورقة «زينون» رقم ٥٩٣٨٩ بالقاهرة وهو عبارة عن دين كان قد دفع‌من قطعة ارض صغيرة فى ضواحى «منف» ملك فرد يدعى ياسون (Yason) وزرعهـا «ارتميدوس» بن «سوخارس» (والاخير بدوره كان وكيـل ابوللونيوس فى «منف») وهو الذى كان لابد له من استيراد هــذا المبلغ منه ومن المهم أن نشير هنـا الى أن المتون على ما يظهر ترينـا أن «منف» بوصفها مركزا لتأجير قطع أراضى ملك الجنود المرتزقين بوســاطة عمـال «ابوللونيوس» ؛ ومن المحتمل ان ورقة زينون رقم ٥٩٧١٦ من القاهرة وهى التى يعالج موضوعها توريد حبوب بلا شك لارض الجنود المرتزقين لها علاقة بهذا النوع مـن‌الوثائق .

هذا ولدينا برهان على أن أراضى الجنود المرتزقين كانت تؤجر كذلك لحساب «أبوللونيوس» ، وكما جاء فى وثيقة أخـرى (٢) . وهى مؤرخـة بلا شك بعام ٢٥١ ق.م ويمكن أن نقرأ فيها : تتبع الـديون التى كانت مستحقة «لهرمولاوس» من حســابه الخاص بوســاطة سوكلس عام ٣٤ (من عهد بطليموس الثانى) واذا قبلنا ترجمة الناشر لهذا المتن وهو الأثرى ادجار فانه يجب علينا أن نفرض أن الموضوع يبحث هنا فى جزء حصاد نباتات دهنية ورد الى السكرتير المالى «هرمولاوس (Hermolaos) هو حساب

---

(١) راجع P.C.Z. 59132, 59135, 59136, 59141, 59147, 59245 ff.

(٢) راجع P.C.Z. 59565.

خاص لزينون يختلف عن حساب «أبوللونيوس» ؟ ويمثل ذلك حصـــاد الأرض التى أجرها . على أن كون «سوكليس» (Socles) هذا الذى ذكر فى وثيقة زينون ٥٩٢٥٨ قد دفع الأجر الى الجندى المرتزق باسم «زينون» يعتبر أمرا يلفت النظر ، وأن من المؤكد أنه اذا كان دفع هذه الحسابات قد حتم وجود دفتر حسابات منفصل لزينون و «أبوللونيوس» فان الوزير نفسه لابد كان له فائدة ذاتية فى زراعة قطع الأرض هذه .

وعلى ذلك يمكننا أن نستنبط أن عمال ضيعة «أبوللونيوس» كانوا يزرعون بالجمـلة ــ كما تدل على ذلك الوثيقـة رقم ٥٩٣٢٥ من أوراق القاهرة ــ أراضى الجنود المرتزقين لحساب أبوللونيوس ولفائدته .

وبطبيعة الحال كان أصحاب النشاط والهمم بين هؤلاء الموظفين يربحون كذلك لحسابهم الخاص من هذه العملية المربحة . وتدل شواهد الأحوال على تأجير الأطيان على نطاق واسع من أراضى الجنود المرتزقة قد انتهى بانتهاء الضيعة التى كان يملكها أبوللونيوس . وينتج من وظيفة «زينون» فى الضيعة أن علاقاته بأراضى الجنود المرتزقين كانت وثيقة ، غير أنه من الصعب تعيينها كما هى الحال فى الدور الرسمى الذى كان يلعبه فى فيلادلفيا (١) وهذه العلاقات كانت تسمح له بامكانيات كبيرة فى تأجير أراضى الجنود المرتزقة بصفة شخصية ، ومع ذلك يجب كذلك أن نواجه نقطـة أخرى فى ميدان هذا العمل الذى يقوم به «زينون» . وذلك أن عددا من مرؤوسى «أبوللونيوس» ويحتمل كذلك رجال أغنياء من سـكان الاسكندرية ، وشخصـيات من رجال بلاط الوزير كانوا يملكون أراضى فى ضواحى فيلادلفيا . فهل لايكون من السهل عليهم عند عدم قدرتهم على زرعهـا أن يطلـبوا الى زميلهم وصديقهم زينون أن يحـل محلهم وبخاصة أنه الشخص الأول فى فيلادلفيا صاحب الجاه ؟ والظاهر أن زينون لم يفرق

(١) راجع Edgar, L.C.

بين أراضى الجنود المرتزقين المستعمرين وبين أراضى المستعمرين المدنيين . والواقع أن الشىء الرئيسى هو المكسب الذى كان يحصل عليه . وهـذا هو السبب كـذلك فى أن كل تمييز هنا يظهر فى غير محله . ولكن مما يؤسف له أنه لا يمكن تحديد مدى هذه الايرادات . والأدلة التى لدينا عن ذلك قليلة جدا . ومع ذلك (١) نجد أن الايجار المحدد فى العقد هو أردبان من القمح عن كل «أرور». واذا علمنا أن «بتوباستيس» كما جاء فى متن (PSI. 400) قد قدم لزينون عشرة أرادب من القمح عن كل أرور بشرط أن يتعهد الأخير بدفع الضرائب ، فان ذلك يعنى ان نسبة ربح الايجار للمؤجر على حسب ماجاء فى بردية لزينون بالمتحف المصرى رقم ٥٩٧٢٤ لايختلف كثيرا عن الذى جاء فى وثيقة القاهرة رقم ٥٩٢٤٣ هو أن «زينون» يجب ان يتسلم ٢/٣ الأرورات من زيت الخروع والثلث الباقى يكون لصاحب الأرض . هذا ونفهم من متون أخرى انه يمكن ان نقترح على الأقل دخل الزراعة من قطع الأرض لزينون ، ولكن لايمكننا ان نحدد المبلغ الاجمالى للدخل . هذا ولدينا فى الواقع معلومات كثيرة جدا عن العلاقات التى كانت بين «زينـــون» وطبيب «أبوللونيوس؟ المســمى ارتميـــدروس وذلك ان ارتميودوروس هذا كان يملك فى « فيلادلفيا » أراض وبيتا وحيوانات وكان «زينون» يقوم بأمر محصول أرضه كما كان يرعى فى حالة غياب صاحب الملك الحيوان وكذلك يباشر اقامة بيته فى « فيلادلفيا » . وفى بعض الأحيان كان يؤدى له أشياء مختلفة مثل شراء عسل (٢) .

ولدينـا صديق آخر لزينون يدعى «بلاتون» يمتاز بلهجته الاتيكيـة الأنيقة فقد طلب اليه على مايظهر أن يراقب محصول أرضه فى « الفيوم » (P.C.Z. 59217 (254) ومن المحتمل كذلك كرومه (P.C.Z. 59839)

---

(١) راجع P.C.Z. 59724.

(٢) راجع J.J.P. P. 373, P.C.Z. 59251, (252), 59311 (250).

وكذلك تقرأ فى بردية أخرى ان «زينون» كان يقوم لكل من «نيكاندروس» (Nicandros) وبيزيلكيس (Peisicles) ببيع بيتهما وكرمهما هذا بالاضـافة الى بيع دخلهما من زراعة السمسم (١) . ونرى من الحـالات السـالفة الذكر ان «زينون» لم يتقيد بتأجير الارض وحسب . ويمكن الانسان ان يتساءل اذا كان المقصود هنا هو تأجير بالمعنى الحقيقى . ومن المحتمـل أن «زينون» كان يؤدى فقط بعض الأشـغال لأقاربه من أهل « فيلادلفيا » الذين لايسكنون بصفة مستديمة فى الفيوم ، وكان يجب عليه فى مقابل مبلغ من المال كما حدث مع «ارتميدوروس» (٢) . كما يشير الى ذلكقول الأخير لزينون بألا يتردد فى عمل كشف بالمصاريف الضرورية (٣) . ولابدأن نشيرهنا ان كل هذهالمتون كانتمنعهد ادارتهلضيعة «ابوللونيوس» وحتى منذ السنين الأولى من مكثه فى فيلادلفيا . فهل لايحق لنا ان نفكر والحالة هـذه ان زينون قد وجـد مع مرور الزمن مصادر دخل أضمن وأسهل ، ومن ثم ترك الاشغال بأعماله ؟ (ومن الجائز كذلك أن الانقطاع الطبيعى عن انفصاله مع معارفه القاطنين خارج الفيوم قد أدى لمثل هذه الحـالة) .

وعلى أية حال فان بعض هـذه المتون الخاصة بالايجار العادى لقطع الأرض — أى أرض الجنود المرتزقة على مايظن فى كثير من الأحوال — يرجع عهدها الى حكم «ايرجيتيس» وان كان العدد الأكبر فيها يرجع الى عهد بطليموس الثانى . وتفسير ذلك سهل ميسور : فقد كان لزينون بوصفه مدير الضيعة علاقات وطيدة رسمية مع الجنود المرتزقين أصحاب الأرض كما كان لديه تسهيلات أكثر للقيام بزراعة أراضيهم أكثر من زينون بوصفه رجلا

(١) راجع PSI. 375; P.C.Z. 59309 (250).
(٢) راجع P.C.Z. 59251.
(٣) راجع P.C.Z. 59251.

حرا من فيلادلفيا بعد عام ٢٤٦ ق.م. وقد وصل الينا من عهدبلطيموس الثانى سلسلة من الوثائق مثل الوثيقة رقم ٥٩٢٤٣ من أوراق زينون بالقــاهرة ــ وهى التى نقرأ فيها ان «حوروس» يقترح على «زينون» ان يؤجر قطعة أرض من أرض الجنود المرتزقين مهيئة لتزرع شــجر خروع (Kiki) (١) . هذا ونجد ان «دموفون» (Demophon) يعترف انه تسلم من «سوكليس» Socles اربعين أردبا من الشعير مستحقة لزينون عن ايجار عام ٣٤ . هذا ونجدثانيةاسم نفس «دموفون» فى وثيقةاخرى غيرمؤرخة (P.C.Z. 59725) وهى بلا نزاع تحتوى على ملخص دونه أحــد وكلاء زينون كان يزرع الأرض التى أجرت بعقد لهذا الأخير . هذا ويؤكد الجندى المرتزق صاحب قطعة أرض (٢) انه قد تسلم من زينون أربعة درخمات على ان تخصم قيمتها من الايجار الذى سيكون مستحقا له فى الفصل التالى بما يســاويها غلة . يضاف الى ذلك أن افيمدون (Iphimedon) (٣) عندما كتب الى «زينون» فى موضوع تربية عجول (بالتأكيد ملك الضيعة) وبخصوص قطعة الأرض ماذا فعل فيها اذ يقول : لدينا قطعة أرض تقع تجاه الشمال وقد منحنا عشرين ارورا لزرعها باشجار زيت الخروع . وليأخذ زينون ثلثيها والثلث الآخــر لصاحب الملك .

وأخيرا نجدفى وثيقةغيرمؤرخة (P.C.Z. 59724) عنوانها الحساب مع فيلاس (Phileas) . وذلك ان مالك أرض مساحتها مائةأرور (وهو من الجنود المرتزقة)قد أجر أرضه بسعر أردبين من القمح عن كل أرور وقد اعتــرف انه تسلم ١١٤ ١/٢ اردبا (قمحا ونقدا) . ويظن ناشر هذا المتن وهو الاثرى «ادجار» ان صاحب هذه الارض يجوز انه زينون نفسه وذلك على الرغم

(١) راجع P.C.Z. 59243.
(٢) راجع P.C.Z. 59243.
(٣) راجع P.C.Z. 59257.
(٤) راجع P.C.Z. 59273.

من انه ليس صاحب هذا المتن ، وقد يجوز مع ذلك انه من الاسهل ان نفرض ان زينون هو المستأجر الحقيقي وان فيلاس (Phileas) لم يكن الا مرءوسه وانه كان يقوم بدور مشابه للدور الذى كان يقوم به «سوكليس» فى المتن الذى ذكرناه فيما سبق وبذلك نفهم احسن لماذا قد وجدت هذه البردية بين وثائق «زينون» . هـذا ونلحظ رسـالة أخرى لم تؤرخ (PSI. 584) مع ان شواهد الاحوال تدل على انها وضعت قبل عام ٢٤٦ ق.م . ففى هذه الرسالة نجد ان اجيسيلاوس (Agisilaos) قد كتب الى «زينون» فى موضوع ايجار حمام ويطلب اليه فى الوقت نفسه ان يرعى شئون شعيره وقمحه .

والمتون التى من عهد «ايرجيتيس» أقل عددا عن التى من عهد بطليموس الثانى فلدينا وثيقـة (١) وهى عبارة عن ايصال لفـرد يدعى « توكليس » (Theucles) لأجل زينون وهيراكليتيس» (Heracleites) خاص بقيمة ايجار ارضه للعام الخامس من حكم هذا الملك . وقـد كتب «فيلون» خطابا من الاسكندرية (٢) يرجع عهده الى العام ٢٤٠ ق.م وكان موضوعه سجن فرد يدعى «هرموكراتيس» (Cf. P. SI 392) وتدل شواهد الاحوال بوضوح على ان فيلون كان له مصالح فى خطر وان زينون كان مهتما بها . وقد أعلن صاحب الخطاب انه سيحضر فى القريب العاجل ويختم رسالته بكلمات غير مفهومة كثيرا ومما لا جدال فيه انه خلافا لزينون كان فى فيلادلفيا اغريق آخرون قد اهتموا كذلك بتأجير الارض . واذا فرضنا ان «ياسون» الذى نعرف أنه كان ساعد زينون الايمن قد عمل لحساب سيده ، فانه من الجائز جدا ان دماس (Demeas) كان يعمل لحساب نفسه عندما أجر أرض «اريستس» (Aristeas) (٣)

---

(١) راجع P. Mich. Zen. 55.

(٢) راجع PSI. 390.

(٣) راجع P.C.Z. 59282 (250) 59326 (249). P. Col. 59, 74, P. Mich. 57 etc. J.J. P.P. 376, note 51.

ويتساءل الانسان هل كان «زينون» يملك كذلك أرضا ؟ . والواقع انه وان لم يكن لدينا أى برهان فانه فى استطاعتنا ان نفرض مع «ادجار» ان زينون لم يملك أية أرض ، وذلك على الرغم من انه يجب ان نعترف مع «ادجار» انه توجد حالات يصعب معها ان يفهم الانسان ان الارض التى يدور الكلام حولها ليست ملكه ، ومن جهة أخرى نعلم تمام العلم انزينون كان يملك كروما. ومعظم المتون الخاصة بذلك مؤرخة بعهد الملك «ايرجيتيس الاول» يضاف الى ذلك انه لابد من تأريخ عدد عظيم من المتون قبل عام ٢٤٦ق.م

وفى معظم الاحيان يكون الموضوع خاصا بكرم مساحته ستين اورورا يملكه كل من «زينون» و «سوستراتوس» (١) . وقد اجره يهوديان وهما ساموليس (Samoelis) و «الكزندروس» (Alexandros) (٢) . هذا ولدينا متن آخر (P.C.Z. 59367) وهو تسويدة لخطاب أرسله زينون الى «سوستراتوس» حيث يوضح له خوفه من ان يراهما ينقضان العقد ويطلب اليه ان يفعل بالمثل . ولدينا وثيقة من نفس السنة (PSI 393) وهى عبارة عن بلاغ لهذين المؤاجرين وفيها يبلغان رئيس شرطة فيلادلفيا عن سرقة ٣٠٫٠٠٠ عمود من الخشب . وقد جاء ذكر هذا الكرم الذى مساحته ستين اورورا ملك زينون فى وثيقة من وثائق زينون غير مؤرخة (٣) وكذلك كرم آخر مساحته ثلاثين اورورا . هذا ونعلم من وثيقة (٤) غير مؤرخة ان زينون قد أمر بزرع عنب على ارض أجرها ، وكذلك نقرأ فى وثيقة PSI 624 خاصة بزراعة العنب فقد أعطى فيها تعليمات مكتوبة بخط يده عن زراعة شتله عنب . هذا ونعلم من وثيقة من نفس السجلات ان أخى زينون المسمى « افارموستوس » (Epharmostos) قد زرع كرما (٥) وذلك فى السنة

(١) راجع Rost. L.E. SV. Vingard; Preaux E.R. P. 165.
(٢) راجع PSI 393; P.C.Z. 59368. Col. II.
(٣) راجع P.C.Z. 59604, verso col. II.
(٤) راجع P.C.Z. 59604
(٥) راجع P.C.Z. 59352

الثانية من حكم الملك بطليموس الثالث «اريجيتيس» ، وكذلك نجد فى وثيقة (١) غير مؤرخة ان مدير المصرف بيثوز (Python) قد أعلن فيها رسميا زينون انه أقرض «افارموستوس» مبلغ ٣٧٠٠ درخمة ، وقد رهن له المدين فى مقابل ذلك كرمه الكائن فى فيلادلفيا .

وان لمن الصعب فى كثير من الاحيان ان نعرف اذا كانت الكروم التى نسمع الحديث يدور عنها تابعة لضيعة «ابوللونيوس» أو اذا كان زينون له فيها مصلحة . والاشارة الاكيدة الوحيدة نجدها فى وثيقة بكلومبيا (٢) . وذلك ان «زينون» قد أجر كرما من الصيغة وكذلك نعرف ان «سوستراتوس» كان يهتم فعلا بالكروم التى كانت على ما يظهر خاصة بضيعة الوزير «ابوللونيوس» (٣) . ومع ذلك اذا كانت ورقة ريلندز (P. Ryl. 564) المؤرخة بعام ٢٥٠ ق.م لا تحتوى الا على قائمة طويلة لجرار من النبيذ (عند سوستراتوس) فلا بد ان نلحظ ان المقصود هنا هو مخزن خاص . ويفهم من البرديات انه فى شركة زينون — سوستراتوس كان الاخير يقوم بوجه خاص باعمال مخازن النبيذ .

هذا وليس لدينا الا متن واحد تتحدث عن نبيذ ملك «زينون» . فقد بلغ فى وثيقة (٤) رئيس شرطة فيلادلفيا أنه سرق منه فى ليلة ١٩ جرة نبيذ . ومن المهم ان نعرف ان هذا المتن يرجع تاريخه الى عام ٢٤٠ ق.م أى من العهد الذى لم يكن فيه بعد «سوستراتوس» مشتركا مع زينون . هذا ونجد فى خطابات مرسلة لزينون ان اصدقاءه يطلبون اليه اكثر من مرة ان يرسل اليهم

---

(١) راجع P.C.Z. 59504
(٢) راجع P. Col. Zen. 79.
(٣) راجع P.C.Z. 59229
(٤) راجع PSI. 396.

نبيذا(١) . ولدينا متنان مؤرخان يرجع عهدهما الى عهد الملك اريجيتيس(٢).

اما البردية رقم ٥٩٥٢٧ من اوراق زينون بالقاهرة فهامة بوجـه خاص فقد طلب فيها فيلوكزنوس من زينون جرتين من بذر العنب وكمية من عصير العنب حتى يكون لدى الافراد الذين يرسلهم نبيذ صابح ، وذلك بعد ان بدأ خطابه بمداعبة لطيفة بقوله : اذا كانت صحتك جيدة ، واذا كنت تصنع نبيذا كثيرا فهذا حسن . هـذا ولا بد ان نلفت النظر هنا الى أنه اذا كان «فيلوكزنوس» هو الذى نعرفه بوصفه مستخدما فى ضيعة ابوللونيوس (٣) فان هذا المتن قد يثبت على الرغم من عدم وجود ادلة اخـرى بأن زينون كان مشتغلا باتتـاج النبيذ بمقـدار عظيم ومن ثم كذلك بزراعة الكروم بوصفه انه كان لا يزال مديرا لضيعة «ابوللونيوس» هذا ونجد كثيرا فى مراسلات زينون اشارات الى كروم خاصة (٤) .

والظاهر انه كانت تزرع غالبا شتلات على ارض بور ، ونعلم ان الجنود المرتزقة اصحاب الاراضى كانوا يملكون كروما على اقطاعاتهم ففى وثيقة (٥) تقرأ عن كرم مساحته مائة أرور وهو يعد اكبر كرم خاص جاء ذكـره فى سـجلات «زينون» . وعلى أية حال فانه عند ما يكون الحديث فى أوراق زينون عن تأجير كروم بكميـة كبيرة فان ذلك يقصد به أراض من ضـيعة «ابوللونيوس» وعلى أية حال لا بد ان نفرض هنا ان «زينون» كان يستعمل بصورة ما كروم الجنود المرتزقة وكذلك كروم «ابوللونيوس» . فمثلا كان يؤجر من باطنه اجزاء حيث كان يمكن زراعتها بالخضر (٦) .

(١) راجع P.C.Z. 59349 (244). P. Col. 241; Lond. Inv. 2307, etc.

(٢) راجع P.C.Z. 593495 & P. Col. Zen. 91.

(٣) راجع P.C.Z. 59326 (202), 59333 (44,55) 59569(59704 (36), 59787 (59).

(٤) راجع P.SI. 554 (?), P.C.Z. 59309, 59352, 59737, 59742, 59626, 59828, etc.

(٥) راجع (P.C.Z. 59300)

(٦) راجع P.C.Z. 59300.

زينون وتربية الحيوانات : ومن جهة أخرى نعلم ان «زينون» والاغريق الملتفين حوله كانوا يكسبون جزءا كبيرا من دخلهم من تربية الحيوان فقد كانوا يربون دواب الحمل كالبقرات والثيران والبغال والحمير والجمال والخيل هذا بالاضافة الى الحيوانات الخاصة بالذبح والضحايا مثل العجول والخراف والماعز والخنازير والاوز ، وأخيرا الحيوانات التى تنتج الصوف مثل الغنم والماعز (١) .

ولكن غالبا ما يكاد يكون من المستحيل علينا معرفة ما اذا كانت الحيوانات التى يتناولها البحث فى البرديات فى عهد الضيعة ، كانت خاصة بأبوللونيوس أو بزينون . ولذلك نجد من باب التأكيد ان نبتدىء بتحليل المتون التى من عهد «ايرجيتيس» ففى عهدهذا الملك غالبا ماتحدثنا البرديات عن تربيةالخنازير ،وكان يشترك مع«زينون» فى تربيتها أخوه «افراموستاس»(٢)

وقد تحدثنا فيما سبق عن تربية الخنازير ، والمفهوم انها كانت واسعة النطاق قبل عام ٢٤٦ ق.م فى «فيلادلفيا» . وفى استطاعتنا أن نضع قائمةطويلة باسماء مربى الخنازيرمن المصريين كما اشرنا الى ذلكمن قبل، غير انهلايمكن معرفة من كان يملك هذه الحيوانات . ويظهر فى حالات عدة انها كانت ملك الضيعة . ومع ذلك ينبغى ان «زينون» وأخوه «افارموستوس» كانا فعلا معروفين فى عام ٢٥٠ ق.م بانهما من مربى الخنازير فقد كان «بارامونوس» (Paramonos) يطلب الى زينون فى بردية (P.C.Z. 59305) ان يرسل اليه بمناسبة عيد خنزيرا صغيرا يليق بمكانته وبافارموستوس. ويمكن انتفسر كذلك بهذا المعنى طلبات أخرى عديدة خاصة بارسال خنزير بمثابة قربان فى عيد ما (٣) ولكن يجب ان نفهم انه فى كثير ن الاحوال ان مثل هذا الطلب

(١) راجع Rost. L.E. P. 107; Preaux E.R. P. 208 ff. &; Rost: H.W. P. 293.

(٢) راجع P.C.Z. 59346, 59362,

(٣) راجع P.C.Z. 59217, 59298, 59452, 59501.

كان يقصد به تسهيل عملية النقل الى الاسكندرية . هذا ونعلم من وثيقة أخرى (١) مؤرخة بعام ٢٥٥ ق.م ان «زينون» كان يشترى خنازير لنفسه. ويضاف الى ذلك أنه وجد ان حسابا من حسابات هذه الحيوانات العديدة (٢) مؤرخ بعام ٢٤٨ ق.م كان على مايظهر خاصا بحيوانات «زينون» لا حيوانات الضيعة . وصاحب هذا الحساب هو «هراكليدس» معروف لدينا ونجده يتكلم بوضوح عن هذه الخنازير كأنها ملك زينون (٣) وكانت هذه الحيوانات تؤجر لاشخاص مختلفين فى أغلب الاحيان من المصريين ولكن باعداد قليلة (١٠ ،٥، ٢ ، ٣ ، ٣ ؛ ٢٠) وهذا يحملنا على الظن بان «زينون» كان يستغل نظام الشيعة فى مصلحته الشخصية . غير أنه ليس لدينا ما يدل على ان ذلك كان يجرى على غير ارادة «ابوللونيوس» .

ونصل الى نفس النتائج عندما نحلل القسم الثانى وهو الاكثر انتاجا من تربية الحيوان وأعنى بذلك تربية الماعز والغنم . وهنا نجد ان الوثائق التى من عهد «ايرجيتس» أكثر عددا من التى وردت عن تربية الخنازير ، ويجد فيها الانسان كذلك مجاميع أكثر أهمية من الحيوانات ، ففى وثيقة محفوظة بلندن (٤) . نقرأ ان فانياس (Phanias) قد اشترى لزينون ٨١ خروفا وفى وثيقة أخرى فى مشيجان (٥) نقرأ عن حساب لرجل يدعى «مترودوروس» (Metrodoros) خاص بقطيع ماعز عددة ١٢٠ رأسا قد نزل عنه له زينون بمقتضى عقد . هذا ونجد فى ثلاث وثائق أخرى مؤرخة بعام ٢٤٦ ق.م ان مؤجرا آخر لماعز جاء اسمه فى عهد الملك بطليموس الثانى وهو «دمتريوس» ابن «ابوللونيوس» مواطن اسبندوس (Aspendos) . وفى عام ٣٩ من حكم بطليموس الثانى نقرأ ان «ديمتريوس» هذا واخاه ليمانايس (Lemnais)

(١) راجع P.C.Z. 59161.
(٢) راجع P.C.Z. 59334
(٣) راجع P.C.Z. 59334
(٤) راجع P. Lond. Inv. 2308.
P. Mich. Zen. 67 76

قد تعاقدا مع «ياسون» ممثل زينون على تأجير ١٤٤ رأس من الماعز لمدة عامين (١) بايجار سنوى قدره ٢١٦ من صغار الماعز . وفى السنة الثالثة من حكم الملك «ايرجيتيس» نجد «ديمتريوس» يشير الى هذا العقد ويقرن لينمنايس (Limnaios) لا يزال مدينا له بمائة وثلاثة وخمسين رأسا من الماعز . والظاهر ان عقبات حالت بينه وبين الوفاء بدينه ، وذلك لاننا نقرأ فى وثيقة أخرى (S.B. 7984) كتبت بعد ذلك بسنة على الاكثر حررها باتايكيون (Pataikion) لزينون ويقول فيها ان رعاة الماعز يهربون فقد فر فعلا «ليمنايس» ويتأهب كذلك «ديمتريوس» للفرار أيضا . هذا ولدينا شخص يدعى «ديونيسيوس» فى بردية لم تؤرخ (٢) يقترح فيها على زينون ان يتسلم الماعز المؤجرة لديمتريوس و «منودوروس» (٣) وفى وثيقة بمشيجان (٤) غير مؤرخة كذلك نقرأ ان كاليبوس (Kallippos) وهو معروف لنا من متون أخرى بانه مرءوس «زينون» قد رجاه أن يطلق سراحه من السجن خوفا من ان ماعز «ديمتريوس» يمكن ان تذبح فى الطريق الذى رسمه «ديمتريوس» لذهابها للمرعى . هذا وجاء فى بردية أخرى (S.B. 7984) ورد فيها فيماسبق ذكر «هرمياس» بين مربى الماعز .فقد كان هرمياس هذا يؤجر فعلاماعز زينون فى عهد الملك بطليموس الثانى . هذا وتحدثنا ورقة أخرى (٥) مؤرخة بعام ٢٤٨ ق.م عن حساب نفهم منه انه يدفع ايجاره نقدا وعينا وهو اربعة أوبولات وجديا عن كل معزة ، ويحدد فى نفس البردية انه كان لزاما عليه ان يدفع أجرة ١٦٢ رأسا من الماعز . هذا ونصادف «هرمياس» كذلك بوصفه مربى ماعز فى متون أخرى غير انه يظهر فيها مربى ماعز الضيعة .

---

(١) راجع P.C.Z. 59340.
(٢) راجع P.C.Z. 59422.
(٣) راجع P.C.Z. 59326, 59468, 59469.
(٤) راجع P. Mich. Z. 87.
(٥) راجع P.C.Z. 59328.

ومن النادر ان نسمع كلاما عن خراف ملك «زينون» وبخاصة من عهد الملك بطليموس الثالث «ايرجيتيس» .

والنتيجة التى يمكن ان نستخلصها بعد هذا العرض عن «زينون» وتربيته للحيوان لنفسه هى انه خلال حكم كل من بطليموس الثانى وبطليموس الثالث — كان يملك قطعانا هامة من الماعز والخراف كان يؤجرها الى رعاة (فى معظم الاحيان من الاغريق) . ولا نزاع فى أن ذلك كان يؤلف رأس مال . ومن ثم لاحظت المؤرخة «بريو» بحق انه بصرف النظر عن الحيوانات الكبيرة أو الخيل فان الماعز والغنم كانت تؤلف ملكية استغلت بمثابة رأس مال (١) . وفضلا عن ان ذلك كان رأس مال يأتى بربح عظيم كما يدل على ذلك حساب هذه المؤرخة ، فقد كان الربح يبلغ خمسين فى المائة. ولا نزاع فى ان هذه التجارة كانت فرعا مربحا يعود بثمرة كبيرة جدا من بين المشاريع الحرة المختلفة التى كان يمارسها «زينون» . وانه لمن المهم ان نذكر بأية طريقة كان يساعده فى هذا الميدان جهاز الضيعة الجبار لتسيير أعماله الخاصة . فحتى اذا لم يكن كل من «ديمتريوس» و «ليمنايس» يأخذ بعقد ماعز ملك «ابوللونيوس» (وليس هناك ما يبرهن على ذلك) فانه من المؤكد ان «هرمياس» كان يرعى شئون قطعان الماعز ملك الضيعة (٢) ولدينا برهان آخر وهو «ياسون» الذى نعرفه جيدا أولا بوصفه مستخدما فى الضيعة والمساعد الايمن لزينون مدير فيلادلفيا ، وبعد عام ٢٤٦ ق.م كما كان كذلك المساعد الايمن لزينون بوصفه رجلا حرا . هذا ونجد واضحا من المتون التى تحدثنا عنها فيما سبق ان «زينون» كان يجذب حوله لمنفعته الشخصية مستخدمين اكفاء كان قد وقع عليهم نظره منذ توليه شئون الضيعة . وفى حالة كل من «ياسون» و «هرمياس» نعلم ان هذه المساعدة قد امتد أجلها

---

(١) راجع Preaux E.R. P. 218.

(٢) راجع (PSI. 380.

حتى الى ما بعد سقوط «ابوللونيوس» .

وهناك فروع أخرى لتربية الحيوان لم تحتل مكانة هامة فى شئون زينون. فقد كان اهتمامه بالخيل يفهم منه انه كان هواية وحسب ، وهذا أمر مفهوم تماما فى مصر فى هذا العهد (١) ولكن نجهل اذا كان قد جنى فائدة محسة تهمنا حتى فى الماشية الكبيرة .

ونتساءل بعد ذلك عما يمكن ان نقدمه فيما يخص تربية الحيوان عند الاغريق الذين كانوا فىمحيط زينون؟ والواقع اننا نسمع فى كثير من الاحيان حديثا فى موضوع تسجيل الحيوانات التى فى ضواحى «فيلادلفيا» ، فمن ذلك قوائم الضرائب ، أو عندما كان أحد زملاء «زينون» يكل اليهمباشرة اعماله فى «الفيوم» مثال ذلك الطبيب «ارتميودوروس» (Artemodoros) وهو الذى اراد ان يقترض أو يشترى حصانا أسود للانتاج (٢) وانه مهتم كذلك بحيواناته الخاصة بالنقل وبالاوز وبالخنازير (٣) وانه أجرها لراعى حيوانات مصرى (P.C.Z. 59310) هذا وقد اعلن «سوستراتوس» (٤) صديقه انهارسل اليهثلاثةخنازير صغيرة لتقدمقربانا، والظاهر معذلكانالماعز وكذلك الغنم كانت قبل كل شيء هىمصدر الثروة لكل من زينون والاغريق الذينكانوا فى حاشيته . وأهموثيقة لدينا فىهذا الصدد محفوظة بالقاهرة(٥) وهى التى نعلم منها انه فى حين كان «زينون» يملك ١٨٦٣ خروفا فانصديقه وشريكه «سوستراتوس» بن «كليون» (Cléon) كان يملك ٧١٥ خروفا (1.16) و ١٦ رأسا من الماعز (1,17) ، وانفردا يدعى نيكياس (Nikias) كان يملك ١٢٦٧ خروفا 1.12 ، وان جماعة من الفرسان كانوا يملكون

---

(١) راجع (Rost. L.E. P. 167).

(٢) راجع P.C.Z. 59225

(٣) راجع P.C.Z. 59251.

(٤) راجع PSI. 431.

(٥) راجع P.C.Z. 59394

٣٠٢ خروفا 1.21 (١) . ومن ثم نرى انه لم يكن «زينون» هو الوحيد الذى كشف عن فائدة هذا الرأس مال الحى ، وذلك على الرغم من اننا نظن على حسب أوراق البردى التى فحصناها فيما سبق ان «زينون» كان يفوق فى غناه الاغريق الذين كانوا فى محيطه . وعلى أية حال فانه لم يكن هناك فرد لديه من الامكانيات أعظم من التى كانت بين يدى زينون الذى كان يسيطر على ضيعة مساحتها لا تقل عن عشرة آلاف ارور .

تربية النحل : كانت تربية النحل فى مصر تشغل مركزا خاصا واسع النطاق (٢) ونجد فى السجلات ان زينون قد فصل اكثر من مرة فى مسائل خاصة بالنحالين ، ولكن يظهر انه كان يعمل بوصفه مديرا للضيعة أو مؤجرا للايرادات الملكية وليس لدينا متن يحدثنا بانه كان يملك خلايا نحل عدة . وعلى العكس نقرأ فى متن (٣) يرجع عهده الى عام ٢٤٠ ق.م ان أخوين وهما «سوستراتوس» و «كليون» بن «ياسون» كانا يملكان الف خلية نحل قد أجرها مجموعات صغيرة الى نحالين مصريين . والظاهر ان هذه الخلايا كانت ملك الملك وان كلا من «سوستراتوس» و «كليون» ليس الا مؤجرا وحسب Preaux E.R. 224.

ومن أهم دوائر نشاط «زينون» الحرة التى يصعب الوصول الى فهمها ارباحه من التجارة . والوقع أنه ليس من السهل قط هنا ان نميز ماهو خاص بالضيعة وما هو خاص بمشاريع «زينون» الخاصة . وقد وصل الينا من عهد الملك «ايرجيتيس» ثلاثة متون مؤرخة وهى تتناول بكل تأكيد شئون زينون ففى المتن الاول (٤) المؤرخ بعام ٢٤٥ ق.م نقرأ ان أحد موظفى «زينون» يطلب اليه اذا كان القمح يجب ان ينقل الى «منف» أو يباع وفى

---

(١) راجع PSI. 626 verso.
(٢) راجع Rost. H.W. P. 295.
(٣) راجع P.C.Z. 59368.
(٤) راجع P. Col. Zen. 82.

الثانى (١) وهو مؤرخ بنفس السنة يتحدث عن بيع نبات (اركوس) بالسعر « الذى تبيع به للآخرين » . وفى متن آخر (٢) مؤرخ بعام ٢٤٢ ق.م يطلب فيلينوس» (philinos) رسالة قمح ويخبر «زينون» بعدم ثبات الاسعار . وفى متن بالقاهرة كذلك (٣) مؤرخ بعام ٢٥١ ق.م وآخر بالقاهرة أيضا (P.C.Z. 59446) لم يؤرخ يتحدثان عن سعر القمح . هذا ونعلم من متنين آخرين (٤) مؤرخين بعام ٢٥١ ق.م انزينون كانيبيعالخشخاش (ابو النوم) (ويحتمل ألا يكون ذلك تابعا للضيعة) ، هذا وكان فى مقدوره ادا سنحت الفرصة ان يسهل لاتباعهأرباحا تجارية صغيرة. فقد طلب اليهأحدهم المسمى « بيرون » (Pyron) ان يساعده فى الحصول على مائة وخمسين أردبا من «الخشخاش» حتى يستطيع ان يبيعها ثانية مع خشخاش زينون . هذا ونجد غالبا الكلام يتناول تجارة العسل ، ولكن يظهر انه خاص على ما يظهربالعسل الذى ينتج فى الضيعة أو الذى يستورده «ابوللونيوس» .

النبيذ : ولما كان زينون يملك كروما شاسعة فانه كان يبيع كذلك النبيذ ، غير انه ليس لدينا الا متن واحد فى هذا الصدد (٥) مؤرخ بعام ٢٤١ ق.م وهو يحدثنا مباشرة عن بيع عشرين جرة من النبيذ وعن ثمنها . ولدينا متون أخرى تحتوى على طلبات ارسال نبيذ . ويمكن الانسان ان يفسر ذلك بمثابة بيوع ، وفى حالات خاصة تفسر بانها خدمات ودية . هذا وتدل المخازن الكبيرة التى يملكها «سوستراتوس» شريك «زينون» دون شك على انهما كانا يفكران فى هذه التجارة ومع ذلك لا بد ان نفكر ان تجارة الغلال كانت هى التجارة الرائجة والتى كانت تعود باعظم المكاسب من الوجهة القوميـة

---

(١) راجع PSI. 579.
(٢) راجع P.C.Z. 59363.
(٣) راجع (P.C.Z. 59269)
(٤) راجع P. Mich. Z. 46 & PSI 571
(٥) راجع P. Col. Z. 91.

وكذلك من حيث الافراد . وقــد دل البحث فى هذا الصــدد على انه حتى الشخصيات الراقية من رجال بلاط بطليموس الثانى لم يتورعوا عن مثل هذه المعاملات التى كانت تعد دخلا عظيما (١) . والظاهر ان تجارة الغلال هــذه كانت كذلك من المصادر الرئيسية للايرادات (٢) . هذا وتقــول «بريو» ان موقف مصر الاقتصادى مضافا اليه التقلبات العظيمة فى الاسعار قد مهدا لتحقيق مكاسب هامة (٣) .

وقد هيأ لزينون مركزه فى خدمة أبوللونيوس فرصا عظيـمة للكسب من التجارة وكذلك من الشئون الأخرى الخاصة التى كانت تسنح له . وقــد كانت أهمية تسهيلات النقل هنا هائلة . ومن الجائز كذلك ان «زينون» كان يربح كثيرا من اسطول «ابوللونيوس» القوى الذى كان يمخر عباب النيل . ونعلم ان «باناكستر» سلف «زينون» فى ادارة الضيعة كان قد طلب الى «ابوللونيوس» ان يضع سفينة تحت تصرفه (٤) . وقد رفض طلبه فى حين ان «زينون» على العكس قد أمضى عدة عقود مع ربابنة سفن نيلية . هــذا ونجــد فى كثير من الحالات انه كان قد أمضى هذه العقود بوصفه ممثــل ابوللونيوس ، ومع ذلك نجد فى بعض المتون ان أجر هذه السفن لحسابه الخاص . وكان يقتسم الارباح مع مالك السفينة (٥). هذا ونعلم ان «زينون» على أية حال كان يضع عن طيب خاطر امكانياته للنقل تحت تصرف اقاربه العديدين الذين كانوا يرجون منه فى مناسبات ارسال خنزير . الخ (٦) وقد وضعت بين يدى زينون كل مناطق النشــاط التى تحدثنا عنها فيما سبق ، رأس مال هام فتح له بدوره امكانيات أخــرى للكسب . وأعنى به تأجير

(١) راجع Preaux E.R. P. 138.

(٢) راجع Preaux Grecs, P. 62

(٣) راجع Preaux E.R. P. 138.

(٤) راجع P.C.Z. 59107

(٥) راجع Preaux, Les Grecs. P. 47.

(٦) راجع P.C.Z. 59298, 59452, 59501.

الضرائب فى مصر . وهذه الوظيفة التى كانت تنطوى على مجازفة كما كانت فى الوقت نفسه مربحة قد احيطت بتحفظات شديدة من قبل الحكومة كما اشرنا الى ذلك من قبل، وقد تناول الكثيرون فحص موضوع مؤجر الضرائب وحالته الخاصة التى كانت تجعل المؤجر للضرائب يعمل بوصفه عاملا ثالثا منظما بين الممول وجابى الضرائب الذى كان دائما موظفا حكوميا (١) . وعلى الرغم من كل البحوث التى كتبت فى هذا الموضوع فانه لا تزال هناك نقاط غير واضحة المعالم تحدد تعيين مركز «زينون» فى هذه المسألة .

وعندما نصادفه فى عام ٢٤٦ ق.م فى فيلادلفيا مشغولا فى حل المسائل المعقدة الخاصة بمؤسسة ضريبة السدس فان ذلك لا يدهشنا بحال من الأحوال ، اذ من ذا الذى كان يمكنه ان يتناول بسهولة اكثر منه هذه المسئولية الخاصة بالحكومة ؟ والواقع انه لما كان زينون معروفا فى كثير من المقاطعات ويعرف شخصيا كل الجنود المرتزقين أصحاب الاطيان الذين فى محيط فيلادلفيا ، فانه كان ذا اتصالات واسعة ، ويتصرف فى رأس مال عظيم وفضلا عن ذلك كان وراءه عشر سنوات خبرة فى ادارة الضيعة ، وبذلك قد اظهر نشاطه تماما واحساسه بالمسئوليات التى كانت ملقاة على عاتقه . غير انه لم يظهر فيها وحده ، وهذا ماتقابله هنا بالضبط من صعوبات . وذلك لانه على الرغم من معرفتنا بشركات لتأجير الضرائب ، فانه ليس من السهل علينا ان نحدد الدور الذى كان يلعبه زينون والمشتركون الآخرون فيها . فنجد فى وثيقة (P.C.Z. 59834) ان السكرتير المالى «هرمافيلوس» يخاطب زينون ليطلب اليه ان يبدل مرتب كاتب بعشر مكاييل ونصف من النبيذ الناتج من ضريبة السدس فى عام ٢٤١ ق.م . ولدينا قطعة من وثيقة (٢) تحدثنا عن بيع

(١) راجع Preaux E.R. P. 450 ff.; Rost. H.W. P. 328 ff; Tarn Hellenistic Civilisation. P. 195; Rost. L.E. P. 182; Edgar Introd. Mich. P. 46; Preaux Les Grecs. P. 24.

(٢) راجع PSI 650

نبيد قد حجز حتى صدور رأى «زينون» . وفى وثيقة أخرى (١) مؤرخة بعام ٢٣٩ ق.م نقرأ ان «ارستون» أعلن «زينون» انه فى الثامن من شهر امشير بدأ ببيع مؤسسات تأجير . وكانت كل الوظائف المرتبطة بمراقبة محصول الكروم وتحديد مقدار ضريبة السدس وكذلك نقله الى الجباة يملؤها كل من «ديمتريوس» و «هبوكراتيس (٢) وكانا تابعين بصورة ما لزينون الذى كان يتسلم ملخصا مفصلا عن ذلك من «ديمتريوس» مواطن مقاطعة ارسينويت (٣) المؤرخة عام ٢٤٣ ق.م ، وقد كتب «زينون» فى مسودة لشريكه «سوستراتوس» أولا بعنوان ديمتريوس، ولكنه غير ذلك بمجرد اعلان سفر ديمتريوس الى الاسكندرية. والرواية الأولى تبرهن على ان «زينون» كان يعده بمثابة تابع له (٤)، وكذلك نجد فى خطاب آخر كتبه «كليون» (Cleon) يدعو فيه زيوان « والـد » (٥) . وقد كتب لزينون يخبره انه يرسل اليه خطابا من ديمتريوس وهبواكراتيس فى موضوع ضريبة وقد قلت لهما فيه اذهبا الى زينون والدى .

هذا ونجد فى وثيقة (٦) ذكرت من قبل ان «زينون» جاهد فى ان يسد بما لديه من فائض العام الخامس من عهد «ايرجيتيس» العجز الذى وقع فى السنة السابعة ، وارسل «ديمتريوس» لترتيب هذه المسألة فى الاسكندرية (٧) ويتساءل الانسان بأى حق كان يعمل هنا زينون ، وقد كان «ديمتريوس» و «هيبوكراتيس» مؤجران لضريبة السدس ، وكان «ديونيودوروس» الضامن مهددا ، ومن جهة أخرى نجد «زينون» قد طلب الى «سوستراتوس»

(١) راجع (P.C.Z. 59371)

(٢) راجع P.C.Z. 59357, 59361, 59454, etc.

(٣) راجع P.C.Z. 59357

(٤) راجع P.C.Z. 59367

(٥) راجع PSI. 528

(٦) راجع (P.C.Z. 59367

(٧) راجع Preaux E.R. P. 454.

اثناء كان ديمتريوس فى الاسكندرية لترتيب هذه المسألة ، ان يحاول الوصول الى اتفاق مؤقت مع المحضر «كراتون» (وقد كتب بعد ذلك زينون الى «كراتون» (Craton) فى هذا الصدد) . وكان يخاف ان يفقدا ثلاثة آلاف درخمة (وهو مقدار الضمان الذى دفعه «ديونيسودوروس»(١٠١٠) هذا اذا حجز على املاك «ديونيسودوروس» قبل الميعاد (حتى لا يحدث ... اذا اخذت نقود ديونيسودوروس فنحن سنخسر ٣٠٠٠ درخمة) .

وعلى ذلك فان الخسارة كانت تمس كذلك «زينون» . هذا وقد وجد بين اوراقه (١) خطاب من «هيبوكراتيس» الى «نيكانور» (Nicanor) يشكو فيه مؤجر ضريبة السدس (اباموا) من الطريقة غير القانونية التى استولى بها على الف درخمة . ويوضح بجلاء وجود هذا الخطاب فى سجلات «زينون» ان هذه المسألة كانت تمس زينون ، هذا ونجد بالقرب من زينون وفى دور مشابه لدوره مع «ديمتريوس» فردا يدعى «كريتون» وهو الذى تسلم فى عام ٢٤٢ ق.م صورة خطاب قد حدد فيه مقدار ضريبة السدس فى مقاطعة «ارسنويت» (٢) .

وقد يكون من الجرأة بعض الشىء ان تفسر وظيفة زينون فى مؤسسة تأجير الضرائب ، وبخاصة اذا لاحظ الانسان معلوماتنا الناقصة عن شركات التأجير بوجه عام ، وكذلك عن معلوماتنا القليلة عن مجال حياة زينون نفسه. ويمكن الانسان على الرغم من ذلك ان يقدم نظريتين .

الأولى : هى ان زينون كان يجمع بين يديه مؤسسات الايجار للضرائب المنوعة لأجل ان يؤجرها هو من باطنه بعد ذلك قطعا صغيرة . ولكن هذا الرأى يعارضه كما سنرى بعد ، ان تأجير ضرائب أخرى لم يبرهن عليه بصورة جلية . هذا وسيكون من الصعب علينا ان نحدد وظيفة اشخاص مثل «كريتون» أو «سوستراتوس» .

(١) راجع P.C.Z. 59454
(٢) راجع P.C.Z. 59361

والثانية : انزينون و«كريتون» وكذلكسوستراتوس كانوا يعملون شركاء وقد وضعوا ثروتهم تحت تصرف مؤجرين ، وبصــورة أدق تحت تصرف ديمتريوس وهيبوكراتيس ، ومن ثم كانا يتحملان جزءا كبيرا من الاخطار ، ولكن كذلك كانا يجنيان جزءا كبيرا من الارباح (١) . وهذه النظرية يمكن ان تفسر دور «زينون» وظهور «كريتون» غير المنتظر بوصــفه نائبه دون الرجوع دائما الى وسائل أخرى .

هذا ويلحظ ان كل المتون التى تدل بوضوح على اشــتراك زينون فى تأجير الضرائب ترجع الى عهد الملك «ايرجيتيس» والظاهر ان فى الاستطاعة ان يعترف الانسان بصورة مؤكدة اذا كان استمر يشتغل فى تأجير الضرائب عندما انقطع عن ادارة الضيعة . ولا بد انه كان من الصــعب بالتأكيد ان يباشر فى وقت واحد عملين يتطلبان منه الوقت والنشاط فى آن واحد . وعلى أية حال يعترضنا هنا سؤال وهو: ألم يهيىء زينون الذىيعد الساعد الايمن لابوللونيوس بطريقة ما الطريقلنفسه ليكون مؤجر ضرائب؟ ولابد انيفكر الانســان انه فى هذا المحيط كما فى غيره كان نشــاطه فى الضيعة يهيىء له امكانيات عدة تعود عليه بالربح . ولدينا عدة نقاط ينقصها الوضوح . فقد كان لزينون فوائد فىالكروم الخاصةوالتىيملكها الجنود المرتزقوناصحاب الاطيان ، فقد كانتهناك ضرائبخاصة بجمع الجزية ، وتوزيع الضرائب(٢) وانه لمن الصعب ان نفهم اذا كان زينون يعمــل لحسابه أو بوصفه ممثــلا لأبوللونيوس الذى كان عليه بسبب شغله وظيفة وزير ان يهتم بعقود تأجير الضرائب . هذا وتتعقد المسألة اكثر عندما يكون جمع الضرائب فى داخل الضيعة يقع على كاهل مرءوس ابوللونيوس (٣) .

(١) راجع Wilcken L.C. P. 544.

(٢) راجع P.C.Z. 59236, 5900, 59607, PSI 508.

(٣) راجع Edgar Commentry of P. Mich. Zen. 32.; P.C.Z. 59206, 59297, 59394, 59384.

هذا ونجد ان زينون عند هذه النقطة هو الشخصية الرئيسية فى سجلاته وبصرف النظر عن ديمتريوس و هيبوكراتيس ، فانا لا نسمع كلاما عن مؤاجرين للضرائب الا من الشكاوى التى تنجم عن مخالفات عدة (١) ، وقد وقع قبض غير عادل مرة واحدة على مساعد مؤجر ضرائب ويرجع عهدها الى ا لزمن الذى كان يشتغل فيه زينون مع «ابوللونيوس» (٢) . وذلك فى عام ٢٥٧ ق.م.

والآن يتساءل الانسان هل لدينا تأكيدات عن ايجار الايرادات الملكية خلافا لعقود الضرائب ؟ والواقع ان شئون تربية النحل تتطلب تحليلا عميقا. وقد درست «بريو» وثيقتين (٣) . ووصلت الى النتيجة التالية وهى ان كلا من«سوستراتوس»وكليون ليسا بالنسبة للالف خليةالامؤجرين لها من الملك ، وان النحالين قد تسلموا هذه الخلايا بعقد من باطن هذين الشخصين. وقد بقيت لدينا مسألة تتطلب الحل وهى : ما الذى كان يفعله هنا زينون الذى ارسل اليه «سوستراتوس» وكليون صورة خطاب «سوسيبوس» (Sosibious) وهو بلا شك وزير ، وكذلكخطاب السكرتيروهما الخطابان اللذان قدماهما لسوسيبوس ؟ ويمكن ان نلحظ هنا بعض التشابه بين الموقف الذى يشاهد فى عقد ضريبة السدس وذلك الذى يظهر فيه شخص ثالث بوصفه مؤجرا بالمعنى الحقيقى، وذلك على الرغم من ان زينون يكون له فائدة فى هذه المسألة . والمتون الوحيدة التى تؤكد هذا النوع من نشاط زينون يرجع تاريخها الى عام ٢٤٠ ق.م وعلى ذلك يمكن ان نفرض انزينون له فائدة فى هذه المسألة . والمتن الوحيدة التى تؤكد هذا النوع من نشاط

---

(١) راجع P.C.Z. 59326, 59275, 5375; PSI. 383, 384; Cf. Preaux R.E. P. 221.

(٢) راجع P.C.Z. 59041

(٣) راجع P.C.Z. 59368 & PSI. 524.

ذلك العهد، ولكنه من المؤكد اذا استندنا على متون قليلة كهذه فانه لا يمكننا ان نقرر فى هذا الصدد نظرية ترتكز على اساس متين .

هذا ولدينا دائرة أخرى نجد فيها زينون يقوم بدور المؤجر للايرادات الملكية ، وتلك هى الحمامات . ولدينا متن واحد يحدثنا عن ذلك (١) ، فقد اخبر ريستون فى هذه الوثيقة «زينون» ان هناك بيعا قد حدث بشروط مجمعة . فيقول المتن : ان الحمامات التى كانت تعطى بعقد دون تخفيض الاجر . وكان زينون يملك كذلك حمامات خاصة فى «ارسنويت (٢) وفى فيلادلفيا (٣) . وفى خلال عام ٢٤٠ ق.م أقام حمامات أخرى فى كويتاى (Koitai) (٤) ، وقد اجر زينون هذه الحمامات وبالتأكيد الحمامات الملكية التى أخذها بعقود ايجار الى عملاء غالبا من المصريين (٥) . والظاهر انه كان يشتغل فعلا بتأجير الحمامات بوصفه مدير الضيعة فنعلم من قطعة من عقد (PSI 377a) بعض شروط عقد هذه الحمامات : فكان المالك يدفع للخزانة الملكية ضريبة كانت ترتفع فى مثل هذه الحالة الى اربعمائة درخمة سنويا ، وكان يورد العربة والحيوانات الضرورية للمؤجر الذى كان يأخذ على عاتقه المحافظة على الحيوانات وكذلك كان يسهر على انتاجها .

وأهم نشاط خاص لزينون وصف لنا بصورة واضحة نشاطه الخاص بالقروض . ومن ثم فانه لمن المهم ان نتناوله هنا . وقد ابرز المعلقون على ورقة «كورنل» الثانية ملخصا دقيقا مع ملاحظات قروض لزينون تكشف لنا عن مدة القروض واسعارها ولا بد ان نقرر من مختصر النتائج التى وصل الباحثون اليها . (أولا) ان قروض النقد لم تكن هى المصدر الرئيسى أو أحد المصادر

---

(١) راجع P.C.Z. 59371

(٢) راجع PSI. 584.

(٣) راجع (Rost. L.E. P. 121)

(٤) راجع (P.SI 395)

(٥) راجع P.SI 355, 377a, 584; P.C.Z. 59453, 59667; P. Col. Zen. 103.

الرئيسية لزينون بل كانت فى الواقع تتيجة رأس المال الهام الذى كان يتصرف فيه . ثانيا : ان «زينون» لم يفرض اسعارا باهظة ، فقد كان ربح ٢٥٪ الذى يضاف الى قرض الخباز «فيلون» (١) يؤلف سعرا معتدلا للربح فى مصر البطلمية (٢) . واذا كنا نجد فى التعليق على ورقة «كورنل» الثانية سعرا ارتفع الى ١٠٠٪ (٣) فلا بد ان نذكر ان هذه كانت حالة خاصة تماما ، وان المقرض لم يطلب ذلك ولكن القارض ، هو الذى وعده عند عمل هذا القرض اذ قال: اعلم جيدا انك ستأخذ تقدك مضاعفا (11.9-10) ويجب كذلك ان تتساءل اذا كان من الممكن فهم ذلك حرفيا (اذ الواقع ان هده الرسالة كانت عبارة عن خطاب كتب لصديق يطلب فيه المساعدة) .

حقا ان الموضوع الذى نجده فى سجلات زينون هو مسألة ربا ، ولكن «زينون» لم يكن المقرض . ونجد فيها المسألة الهامة والمركبة الخاصة بكل من «انتيباتروس» (Antipatros) و «نيكون» (Nicon) (٤) . وذلك ان امرأة « انتيباتروس » قد اقترضت من « نيكون » سبعين درخمة بربح ٦٪ شهريا (والسعر العادى هو ٢٪ شهريا أى ٢٥٪ سنويا) غير ان «نيكون» هذا لم يكتف بانه مراب بل كان لصا كذلك، اذ انه جذب «انتيباتروس» خارج البيت بحجة عمل اتفاق يعود عليه بالفلاح ، واغتصب منه زوجة وطفلة .

وكان «زينون» بوصفه مدير الضيعة يساعد غالبا اصدقاءه ورفاقه فى الحصول على قروض متأخرة لهم (٥) . ومع ذلك فانه فى خلال حكم بطليموس الثانى أى فى مدة خدمته «لابوللونيوس» نجد ان العمليات المالية التى تذكر

---

(١) راجع (P.C.Z. 59355.
(٢) راجع Preaux E.R. P. 282
(٣) راجع PSI 392
(٤) راجع P. Col. Z. 83; SB. 7762; P.C.Z. 59347
(٥) راجع P.C.Z. 59808; P. Mich. Zen. 35.

كثيرا ، هى قروض عن رهونات من القضية . وهذه القروض على مايظهر كان يعقدها فى أغلب الاحيان مرءوسى «ابوللونيوس» (١) ، وكانت انيــة الفضية تودع عند وكلاء «ابوللونيوس» وهم الذين كانوا يدفعون النقد أو تودع فى البنوك (٢) . وكان يحدث أحيانا وقوع تلاعبات خطيرة فيعاقب عليها « ابوللونيوس» بالحبس (٣) ويظهر لنا أحيانا ان «زينون» كان يقوم بدور المقرض (P.C.Z. 59327; Cf. Edgar Int. Micn. P. 45)

وعلى أية حال فانه كان يشرف بصورة ما على القروض . فهل يجوز لنا ان نستنبط انه فى هذه الحالة كانت هناك عمليات منتشرة انتشارا عظيما لمصلحة الوزير نفسه ؟ هذا ونعلم ان الاغريق الذين كانوا فى محيط زينون يظهرون فضلا عن ذلك بانهم من موظفى «ابوللونيوس» أو بوصفهم مقرضين يقرضون باسعار مرتفعة (حتى ٤٪ شهريا) (٤) . ولا بد ان «زينون» نفسه بما له من مصالح واسعة النطاق كان غالبا فى حاجة الى نقود . ومع ذلك فلم يكن فى استطاعتنا مما لدينا من وثائق ان نراه يتعامل بالنقد . ولكن من جهة أخرى نجد ان أخاه «افارسوستوس» قد أقرض ٣٧٠ درخمة مقابل رهن كرم (٥)

كانت مناطق نشاط زينون التى تحدثنا عنهــا حتى الآن مناطق أساسية وتتألف منها مصادر ايراداته الاصلية . أما سائر شئونه الاخرى وهى التى سنتحدث عنها باختصار فليست بصفة عامة غير واضحة المعالم، وكانت تعمل عرضا . ولا بد ان «زينون؟ هذا كان رجل اعمال بســيط أكثر من اللازم لينتهز الفرص التى كانت تسنح له فى حينها للكسب .

والفائدة التى كان «زينون» يرغب فيها من تمرين الفتيــان الذين كان يؤهلهم للالعاب الرياضية تنعكس صداها فى سجلاتنا . وقد كان كثير من

(١) راجع P.C.Z. 59038, 59044, 59074, 59327.

(٢) راجع P.C.Z. 59327, 59120.

(٣) راجع P.C.Z. 59038, 59044.

(٤) راجع P.C.Z. 59327.

(٥) راجع P.C.Z. 59504.

أصدقائه يميلون ميلا شديدا الى ذلك . والواقع اننا نقرأ على أقل تقدير عن شابين من هؤلاء الشبان الذين كان ينشئهم زينون فى مكان التمرين الرياضى. أولهما هو «بيروس» (Pyorhos) وكان ممرنه هو «هيروكليس» (Hierocles) (١) . وكان زينون يخاف من ان هذا التعليم والمصاريف التى بتطلبها تضيع سدى ، ولكن «هيروكليس؟ يؤكد له ان ظواهر الاحوال تبشر بالخير ويقول انه بمساعدة الاله أمل ان يتوج بالنصر بانتصار تلاميذه (٢) وكذلك نقرأ ان «زنودوروس» قد أخبر زينون بالنصر الذى أحرزه أخوه اثناء بطولمايا (Ptolemaia) ، ويؤكد فى الوقت نفسه انه قد تسلم عباءة منه . هذا ونجد فى خطابات عدة موجهة لزينون خاصة بشبان نفهم منها ان «زينون» كان يبحث عن شبان موهوبين ، وكذلك كان يفعل اصدقاؤه . (PSI. 340; P. Mich. Zen. 77) ويعكس تاريخ « هيراكليوتس (Heracleotes) الذى كان يعد نفسه فى ملعب فيلادلفيا للمسابقة فى الموسيقا ضوءا ساطعا على هذه المسائل . وقد وصى له معلمه « ديماس » (Demeas) عند ما حضرته الوفاة بآلة موسيقية ومعاشا شهريا . غير انه لما كانت الآلة قد اختفت (لانها كانت مرهونة كما سنرى بعد) ولم يدفع له المرتب فى ميعاده فقد كتب «هيراكليوتس» الى «زينون» والى «نستور» (الذى لم يأت ذكره الا فى هذا المتن) طالبا منهما ان يساعداه فى ان يحصل على ما وصى به له فى وصية المربى ، ثم يقول : واذا لم يكن هذا ممكنا فانى اتوسل اليكما ان تعطيانى مصاريفى فى يدى حتى استطيع ان أقوم بأمرى بنفسى وأجد معلما اتمرن معه وبهذه الطريقة يمكننى ان اشترك فى المباراة التى نظمها الملك وحتى لا أفقد بمكانتى هنا عدم فوزى بالمرتبة الأولى

هذا ويلحظ ان طلبات هيراكليوتس تلفت النظر بكثرتها . وقد اعترف انه قد تسلم فعلا ما يأتى :

(١) راجع E.N. Gardiner, The Classical Review XLIV. P. 211 ss.

(٢) راجع P.C.Z. 59060

لحمة قيمتها ثلاثة درخمات وأربعة أوبولات ونصف ، وتسلم لأجل الزيت مبلغا مجهولا (١) ، وثمن خضر ما قيمته درخمتين ونصف أوبول ، وتسـلم نبيذا سـبعة خوصات ونصف . فيكون المجمـوع الكلى سبعة درخمات وثلاثة أوبولات وربع ، وسبعة خوسات ونصف من النبيذ .

ويطلب بعد ذلك ، ثمن لحمة : سبعة درخمات وثلاثةأوبولات، وثمنزيت مبلغا مجهولا ، وخضر سبعة درخمات وثلاثة أوبولات ، وثمن نبيذ ١٠ ١/٢ خوسات (مكاييل) .

واذا اعتبرنا أن عاملا فلاحا يكسب فى المتوسط أربعة درخمات وأردبا من الشعير شهريا الأردب يساوى درخمة واحدة (٢) وان مسـاعد كاتب كان لا يتطلب اكثر من ثلاثة درخمات ونصف أردب من الشعير فانه يجب علينا أن نقرر أن تعليمه ليصبح موسيقارا كان يتطلب مصاريف كبيرة بالنسـبة للاحـوال المصرية . ومع ذلك فلا بد أن نسلم ان ما كان تسلمه هـذا الموسيقار بمثابة معاش متوسط كان مبلغا مرتفعا بعض الشيء ، وذلك لأنه هو نفسه كان يفهم أنه يتطلب أكثر من اللازم ولذلك كان طلب على الأقل مبلغا يكفى مصاريفه الشهرية وما يقوله فى هذا الصدد له قيمته فاستمع اليه لأجل أن أجد ممرنا .

وانه لمن العسـير أن نصرح من جهة زينون أنه كان يهتم كثيرا بهؤلاء الغلمان الذين كان تعليمهم يحتاج الى مصاريف كثيرة دون أن تتصور أنه كان له فيها فائدة مادية غير أنه من المستحيل علينا أن نقـدر الفائدة التى كان يجنيها .

(١) راجع P.C.Z. 59440.

(٢) راجع Heilchheim Wirlschaft. P 123-125

النسيج

ومن الصعب أن نفهم العلاقات التى كانت بين زينون وصغار النساجين الذين كانوا غالبا يشتغلون فى بيوتهم فنعلم أن «مایاندریا (Maiandria) زوج فيلون الذى كان بدوره يقترض النقود من زينون ، كانت تصنع للاخير ملابس (P.C.Z. 95263, 59355) ولكن يظهر ان هذه كانت عملية تجرى لدفع دين زوجها . وتحدثنا وثيقة أخرى عن عمل مماثل (١) هذا ويدور الحديث مرات عدة عن طلبيات أجريت بوساطة «زينون» (٢) ولكنه من الصعب أن نعلم اذا كانت غير متعلقة بأعمال الضيعة .

هذا ولدينا متنان من عهد الملك «ايرجيتيس» الأول مؤرخ بعام ٢٤٢ ق.م. ونعلم منه أن زينون كان يتبقى عليه للطبيب نيون (Neon) حصر غطاءات وفى الثانى (٣) مؤرخ بعام ٢٤٤/٢٤٣ ق.م وهو مهشم بكل أسف ويبحث فى موضوع نسيج . والظاهر أن كل الشواهد تدل على أن زينون كان له علاقات بصغار النساجين غير أنه من المستحيل تحديد تلك العلاقات

هذا ولدينا نقطة لا بد من ايضاحها وهى : هل كان زينون أمينا فى كل الفرص التى سنحت له للكسب؟ وهل لم يسمع قط بمخالفات ارتكبها ؟ فمن جهة قروضه قد لاحظنا مافرضه بعض العلماء من أنه كان يؤخر دفع مرتبات عماله عن قصد ليفيد منها فى أعماله ، غير أن هذه النظرية لا ترتكز على أساس متين ، ولكن من جهة أخرى يمكن أن نعد موضوع «بيروس» مخالفة (٤) فقد كان مستحقا على «زينون» أن يورد ٢٥٠ أردبا من القمح للمؤجر «بيروس» بوصفه مقرضا لأجل أن يتجنب غضب «ابوللونيوس» ولكن

---

(١) راجع P.C.Z. 59146, 59831.

(٢) راجع P.C.Z. 59456, PSI. 401.

(٣) راجع (PSI. 387.

(٤) راجع PSI. 417; P. Minch. Zen. 58, P.C.Z. 59831 Cf. Introd. P. Mich. Zen. 58.

لابد أن نوافق على أنه كان من صالح «زينون» أنه من بين الوثائق الكثيرة العدد جدا التى تحتويها سجلاته ، لم يصل الينا شىء غير ذلك يتحدث عن مخالفاته هذا اذا استثنينا موضوعات الجمرك الغامضة بعض الشىء حيث نجد فيها «زينون» وكذلك رفاقه قد احتموا وراء سلطان ابوللونيوس ليتخلصوا من دفع عوائد فاحشة .

واذا ألقينا بعد هذا التحليل الذى سبق نظرة على مجموع نشاط زينون الخاص فانه يجب علينا أن نبرز الملاحظات التالية .

كان «زينون» يستغل بمقدار كبير الامكانيات التى تقدمها له وظيفته فى الضيعة ويتضح ذلك بوجه خاص فى تأجير الأطيان حيث كانت شئونه الخاصة تلاقى تسهيلات بسبب أن مستخدمى «ابوللونيوس» كانوا يشتغلون كذلك بزراعة قطع أرض الجنود المرتزقين أصحاب الأطيان . هذا مع مراعاة العلاقات الرسمية بين زينون وبين الجنود المرتزقين) هذا ولم يكن مركز زينون فى فيلادلفيا يسمح له فقط بأن يشتغل بزراعة قطع الأرض ، بل كذلك يشتغل بكل شئون رفاقه ومعارفه الذين كان لهم أملاك فى الفيوم ولا يسكنون فيها الا مؤقتا أو حتى لم يسكنوها أبدا . وكانت كروم «ابوللونيوس» الكبيرة تجبر «زينون» أن يهتم بكل مسائل زرع العنب ؛ والانصالات التى وضعها مع الاخصائيين قد هيأت له انشاء كروم خاصة به. أما من جهة تربية الحيوان فان «زينون» كان يعطى حيوانه للعمال المدربين فى الضيعة . ولما كان يشتغل بالتجارة الحرة فى الحيوان وفى الغلة فانه أفاد من وسائل النقل الخاصة بأبوللونيوس . وأخيرا كان يقدم عن طيب خاطر قروضا لمرءوسيه علما منه أنهم اذا لم يدفعوها فان مرتباتهم كانت ضمانا لذلك

وكان «زينون» بوصفه مديرا للضيعة يهتم بوجه خاص بتأجير صفقات من الأرض من زملائه ومن الجنود المرتزقين كما كان يقوم لهم بتنظيم الكثير من شئونهم التى لم تكن مرتبطة مباشرة بزراعة الأرض وهذه كانت دائرة

نشاطه الوحيدة الخاصة حيث نجد واضحا أنه كان يتصرف فيها كثيرا خلال حكم بطليموس الثانى أكثر مما كان يفعل فى أثناء السنين التى أتت بعد ذلك

وتدل شواهد الأحوال على أن تربية الحيوان والتجارة وأخيرا القروض تستلزم التفات زينون بوصفه مدير الضيعة من جهة وبوصفه رجلا حرا من جهة أخرى . هذا يمكننا من أن نشير الى أن اهتمامه بكرومه كانت تحتل المكانة الأولى عنده بعد عام ٢٤٦ ق.م ويلحظ نفس هذا الميل ولكن بمقدار أقل فى استغلاله الحمامات . أما من جهة تأجير الضرائب فان زينون لم يهتم بذلك الا فى عهد «بطليموس الثالث ايرجيتيس» فقد كان وقتئذ غنيا بدرجة محسة ومعروفا ، كما كان لديه الوقت أكثر مما كان فى خلال ادارته للضيعة فى عهد بطليموس الثانى .

ولم نجد فى سجلات زينون أغريقا آخرين يمكن التحدث عنهم الا بصورة عابرة فى محيط زينون ولكن هنا كذلك يمكننا أن ندلى بنفس الملحوظات ؛ وذلك ان هؤلاء سواء أكانوا فى خدمة الملك أم فى خدمة ابوللونيوس أم حتى فى خدمة زينون فانه لم يفتهم فرصة لتحقيق أى فائدة مهما كانت دائرتها : فكانوا ينتهزون الفرصة فى تأجير قطع من الأرض وزراعة الكروم وتربية الماشية والتجارة أو تأجير الايرادات الملكية . وكان هذا الوسط من الناس يتميز بنشاط حار ملىء بالحماس (١) . وفى هذا العهد نجد أن هؤلاء الاغريق كانوا يبنون ثرواتهم بأحسن المضاربات التى يغيب عنا بكل أسف الجزء الأعظم منها ، وذلك فى وقت كان ا لثراء العقارى معدوما .

وهكذا نجد أن تحليل سجلات زينون يقدم لنا صورة كركيه لمجال حياة كان يأمل الوصول اليه الكثيرون من الاغريق الذين أتوا الى مصر فى العهد الأول من عصر البطالمة . وقد جرت العادة فى عصرنا الحالى أن نشاهد الهيلانستيكية بوساطة الأدب الاسكندرى ، ولكن على الرغم من أننا ننعته

---

(١) راجع Rost. H.W. P. 1096.

بالأدب الاسكندرى فانه يجب ألا يتحدث الا باسم جزء صغير من المجتمع الهيلانستيكى ومكان كل محيط «زينون» وأعنى بذلك تلك الدنيـــا الصغيرة التى كانت تعج وتزخر بالحياة فى فيلادلفيا باقامة المبانى ويظهر أنها لا تهتم الا قليلا جدا بما كان يحدث فى المزيون أو بمكثه فى الاسكندرية . وقد كانت السياسة عندها كذلك تعتبر شيئا غريبا من أجل ذلك ومن ثم نجد أن رجل السياسة قد مات وعاش رجــل الاقتصاد كما عبــر عن ذلك المؤرخ روستوفتزف (١) والاخير هو الذى عمل مجال حياته فى مصر . وعلى الرغم من أن مجال حياة «زينون» له سمات خاصة فاننا نؤكد من ملاحظتنا للاغريق الأخرين الذين فى دائرته أنهم قد اتخذوا نفس الطريق الدى سلكه . وحتى مجال حياة المستعمر الحربى وكذلك الجنود المرتزقون ينبغى ألا يختلفوا فى شىء عن سابقيهم ، وذلك على الرغم من أنهم كانوا يشملون بعض عناصر كانت خاصة بهم (٢) . وقد كان التصميم العام يجب أن يكون على وجــه التقريب كما يأتى : ففى خدمة الملك أو فى خــدمة موظف كبير ملكى كان الاغريقى المجتهد والنشيط يحصل على مركز اجتماعى ويجد مصادر رزق خاصة تسمح له فيما بعد أن يحرر نفسه من ربق الوظيفة فكان يصــل فى بعض الحالات الى هدفه تماما وفى حالات أخرى كان يصل الى بعض مايرمى اليه ومن ثم تكونت طبقة من هذا المجتمع الجديد ، وهى طبقة تشعر بعلوها على القوم الذين لا يعيشون الا من كد سواعدهم وعلى أصحاب المرتبات وصغار رجال الحرف وعلى كل أفراد الطبقة الدنيا «لاوس» . هذا فضلا عن أنها كانت طبقة تعرف تماما بتبعيتها لعلية القوم وثراته المبرزين . والأفراد الذين يؤلفون هذه الطبقة كانوا لا يحكمون مصر مبــاشرة ومن أموالهم كانت تتألف بوجه التأكيد الى درجة عظيمة حياة البلاد الاقتصادية .

---

(١) راجع Rost. H.W. P. 1153 f.

(٢) راجع Rost. H.W. P. 421.

اليهود فى مصر فى العهد البطلمى ٣٣٢ - ٣٠٠ ق . م

تحدثنا فى الأجزاء السابقة من هذه الموسوعة عن بداية ظهورالاسرائيليين واليهود فى مصر ، ولكن تدل النقــوش الأثرية على أن قوم «عبرو» وهم العبرانيون فيما بعد كانوا يسكنون سوريا وفلسطين منذ عهد البرنز المتأخر، وقد جاء ذكرهم للمرة الأولى على مانعلم فى عهد «امنحوتب الثانى» ، ثم جاء ذكرهم بعد ذلك فى خطابات «تل العمارنة» (١) وتدل شواهد الأحوال على أن أول اتصال أكيد بين الشــعبين المصرى والاسرائيلى كان فى عهــد «يوسف» أى حوالى عام ١٧٠٠ ق.م ؛ وقد تحدثنا عن قصة خروجهم من مصر وشرحناها شرحا وافيا فى الجزء السابع من مصر القديمة أيضا (٢) . أما عن قصة هجرة اليهود من فلسطين الى مصر فى العهد المتــأخر فيمكن فحصها ودرسها منذ أول القرن السادس ق.م وما بعده . ومن الجائز أن الكارثة التى حلت بهؤلاء القوم فى عهد الملك «نبوخذ نصر» عام ٥٩٦ ق.م ترجع الى غزو هذا العاهل بلادهم وتخريب «أورشليم» . وقد تحدثنا عن ذلك بالتفصيل فى غير هذا المكان (٣) . وقد تحدث النبى «أرميا» عن أول موجة من اليهود الذين هاجروا الى مصر ، كما ذكرها «أريستاس» فى كتابه المسمى «رسالة أريستاس» (Letters of Aristeas) هذا فضــلا عما جاء فى الأوراق البردية التى عثر عليها فى الفنتين (٤) .

أما فى العهد الهيلانستيكى فمن المحتمل أن هجرة اليهود الى مصر قد بدأت فى

(١) راجع مصر القديمة الجزء الرابع ص ٦٦٦ .
(٢) راجع مصر القديمة جـ ٧ ص ١٠٦ — ١٣٨ .
(٣) راجع مصر القديمة جـ ١٢ ص ٣٣٧ — ٣٤٥ .
(٤) راجع أرميا الاصحاح ٤٤ سطرا ، الاصحاح ٤٦ سطر ١٤ وكذلك Aristeas 13. cf. 35; Cowley Aramaic Papyri of the Fifth Century B.C. 1923; E.G. Kraeling, The Broklyn Museum Aramaic Papyri 1935; Cf. Aimé-Giron, Textes Aramaic d'Egypte, 1931, Nos. 1, 33, 78.

عهد «الاسكندر الأكبر» ، ومع ذلك فان البراهين الهزيلة التى قدمها لنا «جوزيفس» تدعو الى الريبة ويرجع السبب فى ذلك الى أنها مشربة — كما يظهر بداهة — بروح الميل الى اطراء اليهود والتمدح بأعمالهم . ومن أجل ذلك فانه قد يكون من الأسلم من الوجهة التاريخية أن نتركها جانبا (١) .

وتحدثنا المصادر التى وصلت الينا من عهد «بطليموس الأول سوتر» عن مجىء اليهود الى مصر . فنعلم أن «بطليموس الأول» فتح فلسطين للمرة الأولى فى عام ٣٢٠ ق.م. ثم فتحها ثانية فى عام ٣١٢ ق.م وفى ٣٠٢ ق.م وأخيرا فتحها نهائيا فى عام ٣٠١ ق.م. وعلى ذلك لن يكون من المدهش أنه فى خلال تلك الغزوات العدة قد سيق الى مصر أسرى كثيرون ، من اليهود . كما حدثنا بذلك «أريستاس» (٢) . وقد ظلت فلسطين لمدة قرن من الزمان بعد آخر غزوة فى يد مصر (٣٠١ — ١٩٨ ق.م) وأعقب فتح فلسطين اتصالات عدة بينها وبين مصر . وتقدم لنا أوراق «زينون» التى لا يمكن تقدير أهميتها التاريخية لدرس بلاد سوريا البطلمية — صورة حية عن العلاقات التجارية بين مصر وفلسطين . وكانت من أهم سلع التجارة المتبادلة بينهما تجارة الرقيق (٣) . ومن الحقائق التى لا تقل أهمية عما سبق اشتراك أهالى سوريا فى الحاميات التى أسسها البطالمة عند النقط الاستراتيجية فى جنوب سوريا ، وكذلك استعمالهم فى أعمال مختلفة لها اتصال بوجود عدد عظيم من الموظفين المصريين فى مصر من تجار وقواد حربيين . ومن ثم نجد أنه قد وجدت علاقات سياسية واقتصادية بين السوريين وأسيادهم الجدد، ويمكن أن نفرض قيام هجرة كبيرة من «سوريا» الى مصر نتيجة لذلك .

(١) راجع Jos. bell. 2, 487; C. Ap. 2.35, Ib. 42.

(٢) راجع Arist. 12-14.

(٣) راجع Tscherikower, Mizraim IV-V, 15 sqq.; G. McLean Harper. Am. Journ. Phil. XLIX, 1928, 1 Sqq ; Cf. Preaux, Les Grecs en Egypte. D'après les Archives. de Zenon, 1947, 57 sqq.

وفى عام ١٩٨ ق.م فتح الملك «أنتيوكوس الثالث» فلسطين ، ومنذ هذا العام قضى على كل وحدة ادارية بين جنوب سوريا ومصر ؛ ومن المرجح كذلك أن كل علاقة تجارية قد انقطعت أو على أيه حال أوقفت مؤقتا ، ومع ذلك فان هجرة اليهود من بلادهم لم تتوقف ، بل على العكس نجد أنه بعد وقت قصير استمرت بنشاط مجدد . ويرجع السبب فى هذا التيار الاضافى من المهاجرين من فلسطين الى الموقف السياسى الجديد فى «يهودا» وهو الذى خلقته الثورة التى قام بها «جوداس ماكابايوس» (١) وتأسيس دولة الهسمونيين اليهودية . وقد غادرت فلسطين عناصر مختلفة بسبب هذه الثورة القومية وبحثوا عن بلاد جديدة يمكنهم أن يسكنوا فيها فى سلام ويبدأون حياة جديدة . وكان بعض هؤلاء المنفيين رجالا من أصل شريف مثال ذلك «أونياس» الرابع بن «أونياس الثالث» الكاهن الأعظم فى فلسطين . وأسرة «أونياس» هذه كانت قد احتلت مركز الكاهن الأول بالوراثة لمدة طويلة ثم نحيت عن هذه الوظيفة العالية باليهود الذين كانوا يميلون الى الهيلانية . فقد قتل «أونياس الثالث» ومن المحتمل أن ابنه عندما خاف أن يصيبه ما أصاب والده فر الى مصر ، والظاهر أنه لم يصل الى أرض الكنانة وحده على حسب قول «جيروم» بل صاحبته «أسراب لاتحصى من اليهود» (٢) ، واذا أخذنا فى الاعتبار الميل العادى عند المؤلفين القدامى الى المبالغة فى الأرقام ، فانه يمكننا من هذه العبارة القول بأن عدد المهاجرين الجدد كان بلا نزاع كبيرا . والدور الهام الذى لعبه «أونياس» فى مصر كما سنرى بعد ينبىء كذلك أنه كان بصحبته جماعة من الأتباع لمعاضدته وشد أزره . هذا ولدينا رسالة من قنصل رومانى (١٤٣ — ١٣٩ ق.م) موجهة الى بطليموس الثامن

---

(١) الاخوة السبعة الذين تحملوا الوان العذاب فى عهد «انتيوكس» ايفان ، مع والدتهم ، وذلك بسبب انهم رفضوا مخالفة قانون «موسى» الذى ينص على عدم اكل لحم الخنزير .

(٢) راجع Hieron in Daniel 11, 13-14 Pl. XXV. 56.

«ايرجيتيس الثانى» يذكر فيه من بين مسائل أخرى أن يسلم للكاهن الأكبر «سيمون» مجرمين سياسيين كانوا قد فروا الى مصر . وفى هـذا الحادث برهان عن مهاجرين سياسيين كانوا فى هذه المرة هاربين من اضـطهادات الهسمونيين فى فلسطين نفسها (١) . هذا وقد حفظ لنا التلمود كذلك قصة عن أحد قادة طائفة «الفاريسيين» (Pharisee) (وهى طائفة من اليهود يميز اتباعها أنفسهم بالصلاح الظاهرى فى حياتهم غير أنهم فى الخفاء غاية فى الخلاعة) الذين هربوا الى مصر من اضطهاد ملك « الصـدوقيين» الذين كانوا أعداءهم الألداء . وهذه الطائفة الأخيرة تسير على حسب التفسـير الحرفى للقانون الموسوى) . وليس لدينا برهان عن هجرة اليهود فى خلال المائة السنة الأخيرة من الحكم البطلمى ، غير أنه يمكننا أن نفرض أن هذه الهجرة قد استمرت على نفس المقياس السابق ، وذلك لأن الحياة السياسية والاقتصادية فى القرن الأول ق.م فى فلسطـين كانت تتدهور بسرعة . وقد قدمت مصر التى كانت تعد أغنى مملكة متاخمة لفلسطين فرصا عدةلوافدين جدد ، ومن ثم جذبت اليها سكان فلسطين .

وكانت مهاجر اليهود مبعثرة فى كل أنحاء البلاد المصرية وقد جذبتهم اليها أولا الاسكندرية . وليس ثمة سبيل الى تحديد تاريخ وصولهم الى هـذا البلد بدقة . حقا يؤكد المؤرخ «جوزيفس» أن «الاسكندر الأكبر» نفسه هو الذى أسكن اليهود فى الاسكندرية ، غير أنه لابد أن يأخذ الانسان مرة أخرى حـذره مما ذكره «جوزيفس» . وذلك لأن أول برهان حقيقى عن وجود اليهود فى الاسكندرية قد قدمته لنا نقوش اغريقية وآرامية منجبانة «الابراهمية» فى ضواحى المدينة ، ومن المحتمل أنها من عهد «بطليموس

---

(١) راجع I. Macc. 15. 16 sqq., Bulletin de la Société Archéologique d'Alexandrie (1904, et.).

الأول» أو الثانى (١) . وقد أخـذ عـدد السكان اليهود فى المدينـة يزداد باضطراد حتى أنه فىأول العهد الرومانى كان هناك حيان من خمسة أحياء فى المدينة يسكنها يهود (٢) . وقد ثبت وجود اليهود فى أماكن مختلفة فى الوجه البحرى من نقوش تدل على ذلك . ويمكن أن نضيف هنـا بعض أماكن أخرى كانيسكنها اليهود منعهد مبكر قبلالعهد الهيلانستيكى مثل «المجدل» و «دفنى» . هذا ونعلم أن مستعمرة حربية يهودية قد أقامهـا «أونياس الرابع» فى «ليونتوبوليس» (تل المقدام الحالية بمركز ميت غمر). وتدل النقوش على أن هذه المستعمرة كانت لا تزال قائمة حتى بداية العهد الرومانى فى مصر . ولدينا أوراق بردية عدة من منتصف القرن الثالث ق.م وما بعده ، تدلعلى وجود سكان يهود فى قرى مختلفـة ومدن صغيرة فى الفيوم ، ويثبت ما جـاء على الاستراكا عن وجـود يهود فى الوجه القبلى وبخاصة فى «طيبة» فى خلال القرن الثانى ق.م. والخلاصة انه فى خـلال العهد البطلمى أسساليهود بيوتهم فى كلأنحاء مصر قاطبة منالبحر الأبيض شمالا حتى الفنتين جنوبا أو كما قال المؤرخ فيلو (Flacc. 43) من منحدر لوبيا حتى حدود «أثيوبيا» .

وليس فى الامكان تحديد عدداليهود الذين كانوا يسكنون مصر . فقد تحدث «أريستاس» (Arist. 12-14) عنماية ألف يهودى أحضروا من فلسطين الى مصر أسرى حرب فى عهد «بطليموس الأول» ، أما «فيلو» (Flacc. 43) فيذكر رقم مليون لليهـود الذين يسكنون مصر فى عهده . ولا نزاع فى أن الرقم الأول مبالغ فيه جـدا ، وذلك لأن سـكان «يهودا» من اليهود فى نهاية القرن الرابع لم يكونوا من الكثافة بحيث أن مائة ألف نسمة منهم يهاجرون منها دون أن يؤثر ذلك فى حياة البلاد تأثيرا

---

(١) راجع Breccia, BSAA, IX, 1907, 65.

(٢) راجع Philo, Flacc. 55.

خطيرا ، وفى مثل هذه الحالة كان من المنتظر أن نجد آثاراً فى المصادر التى فى أيدينا تشبه رد الفعل الذى حدث عند طرد اليهود ونفيهم الى «بابل» فى عام ٥٨٦ ق.م كما أشرنا الى ذلك من قبل . أما عن الرقم الذى ذكره «فيلو» فليس من سبيل الى تحقيقه ، غير أنه ليس من المرجح أن اليهود كانوا يؤلفون تقريبا سبع سكان كل مصر وقتئذ ولابد أن نذكر هنا أنه لم يعمل احصاء خاص لليهود حتى عام ٧١ — ٧٢ بعد الميلاد ، وذلك عندما أدخل نظام الضرائب على اليهود فى العهد الرومانى ، ومن ثم لم يكن فى مقدور «فيلو» أن يحصل على رقم صحيح لعدداليهود فى مصر (١) . ولاشك ان قصد «فيلو» منذكر هذا الرقم الضخم التأثير على قرائه بمثل هذا العدد ، وعلى ذلك اذا نظرنا اليه من الوجهة التاريخية فلابد أن نكون على حذر . وهذه الملاحظة تنطبق كذلك على الأرقام التى أعطيت عن عدد سكان الاسكندرية من اليهود . اذ ليس لدينا برهان كاف لاثبات أن عدد اليهود فى الاسكندرية يؤلف خمس سكانها وذلك لأنهم كانوا يسكنون فى حين من أحيائها الخمسة ، اذ الواقع أنه ليس لدينا معلومات ذات وزن عن هذه النقطة على ما يظهر .

والهجرة اليهودية الى مصر كانت جزءا كبيرا من هجرة السوريين . وذلك أنه توجد قرى سورية عديدة منتشرة فى كل البلاد المصرية كما كانت توجد قرى تحمل أسماء سامية ، تدل على تعداد السوريين فى مصر فى خلال العهد البطلمى . هذا وتكثر أسماء الأعلام السورية أى الآرامية فى الأوراق البردية ، كما ثبت وجود عبادات لآلهة سورية فى القرنين الثالث والثانى ق.م (٢) .

---

(١) راجع Segré, BSAA, XXXIII 1933, 143.

(٢) راجع Henne Actes du 5e Congrès 151; P. Ent. 13 (= O. Guerand ENTEYEEIS, Cairo 1931-2; F. Preisigke and F. Bilabel Sammelbuch Griechischer Urkunden aus Agypten 7351.

وكان السوريون فى مصر يشتغلون فى أنواع مختلفة من التجارة كما كانوا ينتسبون لكل طبقات المجتمع المصرى فقد جاء ذكر الكثير من التجار والموظفين والفلاحين الكادحين والعبيد الخ فى أوراق البردى . وعلى الرغم من أنهم يختلفون عن اليهود فى دينهم الا أنهم كانوا يتكلمون لغة مشتركة ، ومن المحتمل أنهم كانوا يشبهونهم فى المنظر . ولابد أن نضيف أن فلسطين فى خلال القرن الثالث لم تكن تؤلف بمفردها وحدة ادارية خاصة ، وان المديريات الواقعة جنوبى سوريا وهى فنيقيا وفلسطين وشرقى الأردن كانت تسمى رسميا « سوريا وفنيقيا » كما كانت تدعى بصفة غير رسمية « سوريا » وحسب (١) . ولا غرابة اذا كان السكان المصريون قد خلطوا كل الاقوام الوافدين من سوريا وسموهم كلهم « سوريين » . هذا ونجد أن اللغة العبرية كانت أحيانا تؤخذ خطأ على انها اللغة السورية اى الآرامية (٢) .

ولما لم تكن لدينا وسيلة للتمييز بين اليهود والسوريين فى الوثائق التى فى أيدينا ، فانه لا جدوى فى السعى الى تحديد القوة العددية لليهود المصريين من المصادر المأخوذة عن الوثائق التى فى متناولنا اللهم الا اذا كانت هناك دلائل قوية تدل على اصلها الوطنى .

وكان اليهود فى مصر كاخوانهم فى كل مكان فى مهجرهم يعيشون فى مجتمعات أى فى منظمات منفصلة نصف سياسية ، لهم قوانينهم وعاداتهم ومبانيهم ومؤسساتهم ، وقادتهم وموظفوهم ، هذا الى انهم لم يكونوا مجبرين على ان يعيشوا فى « مجتمع » ، ولكن بطبيعة الحال كان بعضهم مرتبطا بالبعض الآخر . وكان كل مهاجر قد اضطر الى بناء موطن جديد بعيد عن مسقط رأسه يرغب فى أن

---

(١) راجع S.B. 8008.

(٢) راجع Corpus Papyrorum Judai. Carum. Vol. I, document 126. P. 227-230.

ينشيء حولهجوا يشبه جو وطنهالأصلى. وحتىفىايامنا نجد انالمدنالكبيرة المختلطة السكان قسمت أحياء يسكنها كلها أو معظمها افراد من «قومية» واحدة . ونجد نفس هذه الصورة فى مصر القديمة فتوجد أمثلة كثيرة فى الاوراق البردية تدل على احياء قومية منفصلة فى كثير من المدن المصرية (١)

وفى « أرسنوى » كانت هناك احياء يسكنها كليكبون ومقدونيون وبيتيون وليكيون وعرب وتراقيون وسوريون كل على حدة (٢)

وعلى ذلك فلا يدهشنا ان اليهود كانوا كذلك يتبعون هذه الطريقة المشتركة نفسها وفضلوا السكن سويا . وعلى الرغم من ان الاحياء اليهودية قد سجلت فى العهد الرومانى فليس ثمة شك فى أن هذه الاحياء كانت موجودة فى العهد البطلمى ايضا . ومع ذلك فانه لم تكن توجد مساكن يهودية فى مصر خاصة باليهود وحسب . والواقع ان اليهود لم يكونوا منحصرين فى أحيائهم ، ويؤكد «فيلو» بوضوح ان فىالاسكندرية قد سكن يهود كثيرون بعيدون عن أحيائهم (٣) ، وان المعابد اليهودية كانت منتشرة فى كل أنحاء المدينة . ومما يجب ذكره هنا كذلك : ان « المجتمع اليهودى » ليس مرادفا للحى اليهودى . فالمجتمع اليهودى كان عبارة عن وحدة قضائية ، ولكن لم يكن من الضرورى انها كانت مرتبطة بمساحة معينة من الأرض . فقد يكون من الممكن وجود عدة مجتمعات فى فى بلدة واحدة (كما كانت الحال فى رومه) ، ومن جهة أخرى كان من الممكن ان يتحد سكان عدد من الأماكن فىمجتمع واحد . وكذلك كان منالمستطاع أن يهودا من بلدة قاطنين مؤقتا أو باستمرار فى بلدة أخرى يبنون مجتمعا خاصا بهم كما يحتمل انه حدث مع يهود من اقليم طيبة ، قد سكنوا فى العهد

(١) راجع Rink, Strassen-und Viertelnamen von Oxyrhynchos 1924, 25-26.

(٢) راجع Corpus Ibid. P. 5. No. 14, Cf. Aegyptische Urkunden aus den Staatlichen Museen zu Berlin : Geschichte Urkunden. P. 1087.

(٣) راجع Flacc. 55.

الرومانى فى «ارسنوى» (١) . اما من حيث القـواعد القانونية الخاصـة بالمجتمعات اليهودية فى مصر فلم تكن هناك حاجة ماسة لان تسن الحكومة البطلمية مواد جديدة للتشريع ، وذلك لأنه كانت توجد جماعات أخـرى وطنية لها مكانة قانونية مماثلة .

وكان العالم الهيلانستيكى معتادا على نظام مؤسسة سياسية تدعى «بوليتوما» (Politeuma) وهذا التعبير له معان عدة ولكن المعنى الاكثر استعمالا كان « المجتمع السلالى » الذى أتى من الخارج وكان يتمتع بحقوق معينة وله مسكنه فى داخل المدينة أو المملكة التى يقطن فيها (٢) . ولدينـا عـدة أمثلة من «البوليتوما» من جماعات وطنية منوعة فى مصر (٣) .

ولم يشذ اليهود عن هذه القاعدة . ويسمى المجتمـع اليهـودى فى الاسكندرية فى رسالة اريستاس بوليتوما ، وكذلك كان يسمى فى برنيكى من اعمال « سيرينى » (٤) . وهكذا نجد انه لم يكن هنـاك فرق من حيث المبدأ بين مجتمع يهودى و«بوليتوما» من الأدوميين أو الليكيين: ومن ثم نجد ان قوم اليهود كانوا موضوعين بصـورة ممتازة فى اطار القانون السياسى الهيلانستيكى، وبطبيعة الحال لم يمنـح اليهود حكما ذاتيا سياسيا كاملا والواقع انه فى حكم ملك مستبد كانت مسألة الحرية السيسية ليس لهـا مكان ، وحتى المدن الاغريقيـة فى مصر البطلميـة لم تكن لها حكومـات حرة بالمعنى الحديث بل كانت هناك «مدن» أى مجتمعـات يتمتعون بحكم

---

(١) راجع Ibid. (No. 423)

(٢) راجع Ruppel. Politeuma (Philologus LXXXII, 1927, 309.

(٣) راجع W. Dittenberger Orientis Graeci Inscriptiones Selectae Lipsiae 1903-5. P. 737, 658; P. Tebt, 32; S.B. 6025; SEG VIII, 359; S.B. 7270 & 6664; Schurer III. 72, note 4.

(٤) راجع A. Boeckh et al.; Corpus Inscriptionum Graecarum, Berlin 1828-77, P. 5361;

ذاتى ، ولهذا السبب لم يكن فى مقدور السكان اليهود كلهم فى مصر ان يتحدوا فى نظام قومى واحد . على ان وحدة قومية بمثل هذا الحجم كانت كبيرة على تأليف « بوليتوما » ، ومن ثم تكون خطرا على الدولة . ومن الجائز جدا انه كان هناك اتصال مستمر بين المجتمعات اليهودية وان المجتمع اليهودى الاسكندرى كان له تأثير عظيم على المجتمعات الأخرى . غير انه مما لا يمكن التسليم به تماما السماح لهم بان يعقدوا اجتماعات منظمة ويتناقشوا فى مصالحهم المشتركة بصفة رسمية .

وكان الملك البطلمى مصدر القانون فى البلاد كما كان الفرعون من قبله ، ومن ثم فان كل قانون آخر غير الذى سنه بطليموس مثل قانون المدن الاغريقية أو قانون السكان المهاجرين الاغريق فى البلاد أو حتى القانون القديم للسكان الاصليين كان لايمكن الاعتراف به الا بارادة الملك وتصريح منه . وبدهى ان اليهود لم يشذوا عن هذه القاعدة فكان عليهم ان يتسلموا تصريحا من الملك لتأليف مجتمع لهم يمكنهم ان يتمتعوا فيه بحقوق معلومة. ولكن مما يؤسف له انه لم تحفظ لنا مثل هذه.الامتيازات»، على أن وجودها كان ممكنا ويستخلص ذلك من قصة قصها«هيكاتايوس (Hekataesus) ونقلها عنه « جوزيفس » (١) ويمكن ان نخمن بسهولة الحق الاساسى الذى منحه الملك المجتمعات اليهودية . ولا شك انه كان حق المعيشة على حسب قانون الأجداد . وهذه الصيغة مع خلاف قليل تكرر باستمرار فى المنشورات الرومانية التى كانت تصدر فى صالح اليهود ، وكان قد استعملها كذلك الملك « انتيوكوس الثالث » ملك سوريا فى مناسبة فتحه « أورشليم » فى عام ١٩٨ ق.م (٢) .

وقد استعمل الصيغة نفسها غالبا الرومان عند الاشارة الى المدن المستقلة

(١) راجع Josephus (C. Ap. I, 187 sqq.

(٢) راجع Bekerman. La Charte Seleucide de Jérusalem. Revue des Etudes Juives c. 1935, 4 sqq.

فى الشرق فى نهاية الجمهورية الرومانية وبداية حكم « اغسطس » . (١)

ولما كان الرومان قد أخذوا عادة المؤسسات القانونية للممالك المفتوحة دون اجرا أى تغيير أساسى ، فانه من المستطاع ان نقترح انهم فى هذه الحالة كذلك قد اتبعوا نهج اسلافهم ، اى ملوك البطالمة والسليوكيين . ومع ذلك فان « قوانين الاجداد » فيما يخص اليهود كان لا يمكن ان يكون لها الا معنى واحد ، وهو نظام حكم ذاتى يهودى مؤسس على قوانين «موسى». ومن ثم نفهم ان التوراة كانت القانون الاساسى لكل المجتمعات اليهودية فى مصر . وهذه الحقيقة كانت ذات أهمية كبيرة جدا للتطور الثقافى لليهودية المصريـــة .

ولا يوجد فى الاوراق البردية ولا فى النقوش أى برهان على وجـــود مجتمعات يهـودية فى العصر البطلمى أما فى العهد الرومـانى ، فان الذكر الوحيد لوجود مجتمع يهودى كان فى البهنسا(٢) . ويمكن ان نستعمل هنا على أية حال مصدرا آخر فى هذا الصدد ، وذلك انه لما كانت المعابـد فى خلال عهد الهجرة تلعب دورا عظيما بوصفها مراكز للحياة السياسية والثقافية اليهودية فانه من المستطاع ان نسلم بأن أية اشارة لمعبد تدل على وجـود مجتمع يهودى منظم . وعلى الرغم من أن المعبد اليهودى كان مؤسسة قامت بعد التوراة ، فان وجوده كان أهم صفة اساسية لقوانين الاجداد . فقد كان المعبد موضع مقابلات وتدبيرات عند اليهود كما كان للعبادة ودرس التوراة، بل لقد كان أحيانا يعتبر مضيفة ، وذلك لأنه كان متصلا به حجرات خاصة لاضافة الغرباء (٣) . هذا وكان المعبد فى البلدان الصـغيرة والقرى على ما يظهر يحوى كل المؤسسات العامة للمجتمع مثل المحكمة وادارة التسجيل .

(١) راجع Abbot and Johnson, Municipal Administration in the Roman Empire, No. 15 c.

(٢) راجع Schurer III. 74 sq.

(٣) راجع Clermont-Ganneau, Syria I, 1920, 190 sqq.

وكان المعبد فى مصر يدعى مكان العبادة . ولدينا نقش (١) يدل على ان ملوك البطالمة قد منحوا بعض المعابد نفس حقوق الحماية كالتى كانت تعطى للمعابد المصرية . ولابد ان أعمالا خيرية مثل هذه قد كسبت عواطف اليهود ، ولدينا أمثلة عديدة تشهد تقديم اليهود معابدهم للملك وأسرته . مبرهنين بذلك على شعورهم الموالى للحكومة ورئيسها . وكانت المعابد أحيانا يقيمها كل المجتمع اليهودى ، وكان المجتمع فى مثل هذه الحالات يسمى نفسه « يهود مكان كذا » . وكان يقيمها أحيانا المجتمع بمساعدة فرد حر واحيانا كان يقيمها فرد حر بمفرده . وتدل المصادر التى فى متناولنا على وجود معابد فى عشرة أماكن (فى بلدان وقرى) . ولابد ان عددها كان اكثر من ذلك بكثير فى القطر .

والقائمة التالية تبين الاماكن التى اقيمت فيها المعابد المعروفة التى جاء ذكرها فى الوثائق حتى الآن :

(١) الاسكندرية : كان فى الاسكندرية عدة معابد منتشرة فى كل انحاء المدينة (٢) والمبنى الجميل للمعبد الرئيسى جاء ذكره فى التلمود .

(٢) معبد شديا (Schedia) بالقرب من الاسكندرية (٣) .

(٣) معبد «كزنفيريس» (Xenephyris) بالوجه البحرى (٤) .

(٤) معبد «اتريبيس» (بنها الحالية) (٥) .

(٥) معبد نتريا (Nitriai) (= وادى النطرون) بالوجه البحرى (٦)

(٦) معبد « كروكوديلوبوليس — ارسنوى » بالفيوم (٧) .

(٧) معبد الكسندرونوس (Alexandron-Nesos) بالفيوم (٨) .

---

(١) راجع OGIS. 129.

(٢) راجع Philo. leg. 132.

(٣) راجع OGIS 726 (3rd. Cent. B.C.)

(٤) راجع SB. 5862 (2nd. Cent. B.C.).

(٥) راجع OGIS 96 & 101 (3rd. or 2nd. Cent. B.C.)

(٦) راجع SB. 7454 (2nd. Cent. B.C.)

(٧) راجع SB. 8939 (3rd. Cent. B.C.).

(٨) راجع Ibid. (3rd. Cent. B.C.)

وهناك معابد أخرى لم تعرف مواقعها (١) .

وكانت هناك قرى ومستعمرات حربية يسكنها يهود ، غير انه ليس لدينا وسائل لتقرير ما اذا كان هؤلاء السكان كثيرين بما فيه الكفاية لتكوين مجتمعات يهودية . والأرجح انه لم تكن فى المستعمرات الحربية مجتمعات، ومع ذلك يمكننا ان نسلم انه كانت توجد مجتمعات يهودية منظمة فى بعض قرى « الفيوم » . ولا أدل على ذلك بصفة مباشرة من وجود معبد فى بلدة (الكسندرونسوس) (٢) . ويمكن ان يسلم بمثل ذلك فى « بسنيريس » (Psenyris) حيث نجد ان كل السكان كانوا مقسمين اغريق ويهودا (٣) وكانت البلاد الصغيرة مثل «فيلادلفيا» وكذلك القرى الكبيرة التى كان يقطنها عدد كبير من الشرقيين مثل « سماريا » (Samareia) والمجدل (Magdola) (كلاهما فى الفيوم) يحتمل انه كان لهما مجتمعات يهودية خاصة بها مكونة مراكز لليهود الذين يسكنون على مقربة منها . والمجتمع الوحيد الذى يعرف تاريخه بصورة ما هو مجتمع الاسكندرية . فقد سجل لنا هنا « البوليتوما » اليهودية (أريستاس) (Arist. 310) ، وقد ذكر لنا نفس المؤلف « قادة السكان اليهود » . ويتساءل الانسان اذا كان هؤلاء القادة قد نظموا أنفسهم فعلا فى مجلس شيوخ (Gerousia) فى منتصف القرن الثانى ق.م عندما كتبت « رسائل اريستاس » ، كما كانوا قد نظموا انفسهم فيما بعد فى العهد الرومانى . والواقع ان الجواب على ذلك يتوقف على فهم متن (اريستاس) الذى لم يكن واضحا عند هذه النقطة . ويمكننا ان نسأل فضلا عن ذلك اذا كان القادة ينتخبهم كل السكان اليهود على حسب المبادىء الديموقراطية للمدنية الاغريقية او كانوا يعينون انفسهم من بين أغنى رجال المجتمع اليهودى، واعظمهم سلطانا. والواقع ان الطريقة الأخيرة كانت

(١) راجع Corpus P. 8.
(٢) راجع Corpus No. 129
(٣) راجع Corpus No. 33

تتفق كثيرا مع الاخلاق الارستقراطية للمجتمعات اليهودية في العالم الهيلانستيكى الروماني . ونرى انه فى نهاية العهد البطلمى وبداية العصر الرومانى كانت شخصية الاثنارك (الحاكم) القوية تغطى على كل القادة الآخرين . ويتحدث المؤرخ « استرابون » الذى زار الاسكندرية فى عهد « اغسطس » عن الاثنارك انه رجل يحكم المجتمع اليهودى كأنه حاكم دولة مستقلة . وكانت اختصاصاته على حسب ما جاء فى استرابون هى ادارة شئون الناس ورآسة محكمة العدل والمحافظة على الوثائق العامة للقانون (١) ، ومن ثم نفهم انه كان رئيس الادارة والمحكمة وادارة العقود . ومع ذلك فانه ليس لدينا من الاسباب ما يكفى بان نقول ان هذا النوع من الحكم كان استبداديا وحل محله آخر ارستقراطيا . والواقع ان سلطة « الأثنارك » لم تتعارض مع نفوذ الاسرات العظيمة التى كانت الاساس الاجتماعى للحكم الارستقراطى فى المجتمع اليهودى ، ويرجع السبب فى ذلك الى ان «الاثنارك» نفسه كان متأكدا من انه عضو من اعضاء هذه الأسر . ومن المحتمل ان ايجاد قوة مركزية فى الادارة يدل على ما يظهر على الحكمة السياسية للارستقراطية اليهودية فى الاسكندرية وهى التى فضلت ان تترك جانبا المشاحات الصغيرة التى كانت تقوم بين الأسر من أجل انشاء حكم قوى للطبقة الممتازة على كل المجتمع . ولا نزاع فى ان هذا النوع من الحكم كانت الحاجة ماسة اليه ليقف فى وجه الطبقات الدنيا الجامحة من السكان اليهود فى الاسكندرية . هذا ونذكر من بين المؤسسات المختلفة والموظفين فى المجتمع فى عهد البطالمة « خزان » (Neokoras) المعبد (وهو موظف كبير) . وقد كان للمجتمع اليهودى الاسكندرى الهام ادارة عقود ومحكمة . وكان من بين الموظفين الذين لعبوا دورا رئيسيا فى كل المجتمعات اليهودية للامبراطورية الرومانية « الاركون » (الحكام الرئيسيون) وهؤلاء الحكام لم يذكروا الا مرة واحدة فى الوثائق المصرية : حكام اليهود من اقليم «تبياس» (Tebias)

(١) راجع (Strab. Ap. Jos. Ant. 14. 117.

(فى الفيوم) فى مجتمع « ارسنوى » . وخلافا لهؤلاء الحكام قد ذكر بعض موظفين آخرين . وهذه هى كل المادة التى امكن جمعها عن المصادر الخاصة بالموظفين والمؤسسات الخاصة بالمجتمعات اليهودية فى مصر .

حالة اليهود الاجتماعية

الواقع ان معلوماتنا عن الاحوال الاقتصادية الخاصة بحياة اليهود المصريين فى المجتمعات اليهودية فى عهد البطالمة تعد معلومات حسنة ، فقد قدمت لنا الأوراق البردية فى هذا الصدد مادة تستحق التنويه عنها بوجه خاص فقد كان العلماء المبكرون يستقون كل معلوماتهم عن المصادر الأدبية بوجه عام ، ولذلك كانوا يبنون براهينهم على مادة قليلة محايدة . يضاف الى ذلك انه كان من السهل جدا التأثير عليهم حتى صوروا فى كتاباتهم اليهود بانهم تجار مرابون. وهذه الصورة مؤلفة لدينا مماهو معروف عن حياة اليهود فى القرون الوسطى وفى الأزمان الحديثة . وقد طبقت هذه الصورة دون ادخال أى تغيير على التاريخ القديم أيضا . غير أن هناك شكا كبيرا فيما اذا كانت هذه الصورة يمكن تطبيقها بحق على الازمان المتأخرة . والواقع أن تطبيقها على التاريخ القديم لليهود يعتبر أمرا مبالغا فيه دون ريب. وذلك لانه من المعلوم تماما ان يهود فلسطين قد وصلوا الى البحر الأبيض المتوسط فى زمن دولة الهسمونيين ، على انهم لم يفلحوا وقتئذ فى مزاولة التجارة ، وذلك لانهم لم يسجلوا قط بانهم قوم تجار بحار ، وحتى فى فلسطين نفسها لم تكن التجارة البرية فى أيدى اليهود بل كانت احتكارا للعرب ومواطنى المدن الاغريقية (١) والواقع انه لم يذكر فى مؤلف من الذين كانوا يكرهون اليهود فى الأزمان القديمة انهم اتهمو بانهم احتكروا التجارة أو قيل عنهم انهم كانوا مرابين . والسبب المعروف عن كره اليهود

(١) راجع Mizraim IV-V. 28 sqq.; Josiphus C. Ap. I. 60.

هو فقرهم لا غناهم . اما عن يهود مصر فقد ذكر حقا « جوزيفس » بعض اغنياء منهم فى الاسكندرية كانوا يشتغلون على ما يحتمل بالتجارة والربا ، غير ان هذا الدليل لا يمكن ان ينطبق على كل يهـــود مصر ، وذلك لأن « جوزيفس » كان مهتما باشخاص منغمسين فى السياسة الدولية والشؤن المالية ، وهؤلاء كانوا اصحاب نفوذ وثراء . وعلى أية حا ل لا يمكن نكران وجود يهود اغنياء فى الاسكندرية بوجه خاص ، وستتاح لنا فرص أخرى للتحدث عنهم هنا. ومع كل فان الاغلبية العظمى من اليهود فى مصرلم يكونوا اغنياء كما لم تكن لهم أية صلة بالتجارة او بالربا . ونحن مدينون بمعلوماتنا فى هذا الصـــدد للاوراق البردية التى تقـــدم لنا مادة غزيرة عن الحيـــاة الاقتصادية الخاصة باليهود المصريين فى القرى اى الاريافخارج الاسكندرية وعلى الرغم من كل ذلك فانهم قد نشئوا وفى دمهم الربا الفاحش .

الجنود اليهود فى عهد البطالمة

وسنتحدث اولا هنا عن الجنود اليهود فى مصر . والمعلومات الجديدة التى تقدمها لنا الاوراق البردية لها أهمية عظمى فى هذا الصدد . فقد كان المعروف دائما من المصادر الأدبية ان اليهود كانوا يخدمون فى جيش كل من البطالمة والسليوكيين ، غير ان هذا البيان لم يكن يرتكز على اسانيد تاريخية قوية . وذلك لانه لم يكن من المعقول ان يخدم اليهود بمثابة جنود نظاميين فى حين ان كتاب التوراة كان يحرم عليهم العمل فى يوم السبت [١] ، وهذا الرأى قد كذبه ما ورد فى الأوراق البردية وعلى ضوء هذه الحقيقة الجديدة نجد ان المعلومات القديمة المستقاة من المصادر الأدبية قد زيد فى أهميتها ، وعلى ذلك لم يعد لدينا من الآن اى سبب يدعو الى عدم قبول البيان الذى

---

(١) راجع Willrich Juden und Griechen, 1895, P. 28.

ذكره « اريستاس » فى رسالته (١) عن وجود أسرى حرب من اليهود مقيمين فى معاقل « بطليموس الأول » ، (وبطبيعة الحال يجب علينا الا نقبل العدد ٣٠,٠٠٠ الذى ذكره الا مع التحفظ) . هذا وقد برهنت الأوراق البردية الآرامية المعروفة على انه فى العصر الفارسى بل وقبله كانت توجد حاميات يهودية فى معاقل الحدود المصرية (٢) . وعلى ذلك فان وضع بطليموس الأول معاقله فى أيدى اليهود لم يكن أمرا جديدا بل كان يسير على خطط اسلافه وعلى أية حال فان وجود بعض اليهود بوصفهم أسرى لم يكن عقبة فى عدم قيامهم بالخدمة العسكرية على الحدود المصرية . والواقع ان امثال هؤلاء لأسرى الذين كانوا يعملون فى الجيش البطلمى النظامى قد ذكروا كثيرا فى الأوراق البردية (٣) هذا ولا ينبغى علينا ان نعتبر انخراط اليهود فى سلك الجندية فى الجيش البطلمى امتيازا خاصا قد منحوه كما يستنبط ذلك من بعض جمل جاءت فى كلام المؤرخ « جوزيفس » (٤) .

وعلى أية حال فان عامة الجيش البطلمى تقريبا كان مؤلفا من جنود مرتزقين، وفدوا الى مصر من ممالك مختلفة من العالم الهيلانستيكى ، وبخاصة عندما نعلم ان البطالمة كانوا لا يثقون بالجنود الذين من أصل مصرى قح كما اثبتت التجارب صدق ذلك ، فقد انخرط المصريون الوطنيون فى سلك خدمة الجيش النظامى بعدد كبير ، وذلك عندما دعت الحاجة لاشتراكهم فى الحرب العظمى التى وقعت بين « انتيوكوس الثالث » (٢١٧ ق.م) وملك مصر . وكانت الغلبة للمصريين ، ومنذ ذلك النصر اخذتهم العزة القومية وشعروا بقوتهم فتكبروا وثاروا مطالبين بحقوقهم . ومنذ ذلك العهد أصبح لزاما على البطالمة ان يؤلفوا لانفسهم جيشا قوميا خاليا من العنصر المصرى،

(١) راجع (Arist. 13).

(٢) راجع مصر القديمة جـ ١٢ ص ٤٠ — حيث تجد بحثا مستفيضا فى هذا الموضوع

(٣) راجع W. Chr. 334; P. Tebt. 793, Col. VI; Cf. P. Tebt, 883, introd. 1001, 1003.

(٤) راجع Jos. Anti II, 318; 12.8.

توصلوا الى حل هذه المشكلة باسكان جنود أجنبية فى ارض الـكنانة ، وبذلك انشؤا جيشا محليا جديدا منحت له كل ميزات الجنود المرتزقـين ، ولكنه لم يكن مع ذلك متوقفا على الأحوال غير المؤكدة فيما يخص التجنيد من الخـارج . وكان هـذا الجيش الجديد يضم جنودا نظاميين وجنـودا مستحفظة مشاة وفرسانا وكذلك ادارات خاصة به . وكانت فرقة الفرسان هى أعلى طبقة ارستقراطية فى الجيش وكان الجنـود الفرسان مقسمين فصائل تدعى بالارقام الأولى والثانية الخ او باسماء اقوام منوعين . وكان الجنود المشاة مقسمين فصائل تسمى كل منها باسم رئيسـها . ومن بين فصائل الفرسان نذكر فصيلة « التراقيين » وفصيلة «التساليين» و «الميزيين» وفرقة الفرس . وكل هذه الاقسام كانت قد نظمت منذ القرن الثالث . وكان أمر استيطان الجنود الأجانب فى أرض مصر يقوم بتنفيذه موظفون خاصون، كان من واجبهم ان يقسموا الأرض التى تمنـح لهم قطعـا توزع على المستعمرين من هؤلاء الجنود . فكان الضباط من الفرسان يحصل كل منهم على أكبر القطع التى كانت تتراوح الواحـدة منها ما بين ٨٠ و ١٠٠ ارور وكانت تمنح قطعا مساحة الواحدة منها ما بين ٢٤ و٦٠ اورورا لأفراد الجيش الذين كانوا أقل اهمية من الفرسان . ويلحظ ان الجنـود الذين كانوا يستوطنون فى اقطاعاتهم (كلوركى كما كانت تسمى فى القـرن الثانى) يتزوجون من المصريات ، ومن ثم نشأ جيل صغير له تقليده الحربى منـذ ولادته نما وترعرع فى تلك المستعمرة فى ظل الجندية . وهذا الجيل الصغير كان يدعى باليونانية ابيجون (Epigone) ولما كا نالابيجون قد استعملوا بمثابة مورد للتجنيد الجديد فان هذه الكلمة قد اكتسبت معنـى « جيش المستحفظ » وكان على كل جندى عندما يعطى اسمه لأى غرض رسمى ان يسجل اصله (مقدونى ، تراقى الخ) ثم يبين اذا كان جنديا نظاميا (مع ذكر فرقتهمثل فرقةالفرسان أو غيرها) أو اذا كان منجيش المستحفظ. وهكذاكان

النظام الكبير المركب للجيش المصرى الذى أوجده البطالمة (وبخاصة بطليموس الثانى) فى القرن الثالث ق.م (١)

وبدهى انه كان هناك متسع فى هذا الجيش لليهود ايضا . حقا لم يعرف اليهود فى العالم الهيلانستيكى بانهم ذوو كفاءة حربية خاصة كالمقدونيين والتراقيين ، ومن ثم لم يؤلفوا وحدة منفصلة . وعلى أية حال فان ذلك لم يحدث فى القرن الثالث ، ومع ذلك فانهم كانوا قادرين على ان يخدموا بوصفهم جنودا وضباطا فى الجيش النظامى العامل، وكانوا أعضاء فىالجيش المستحفظ ونتيجة لخدمتهم هذه كان لهم الحق فى ا ن يعسكروا فى حاميات ويستعمروا اقطاعيات حربية وكانوا أحيانا يصلون الى مراكز حربية عالية ونذكر من بين هؤلاء توبياس (Toubias) رئيس الاقطاعات الحربية فى شرق الاردن فى القرن الثالث (٢) والكاهن الأكبر « أونياس الرابع » وابنه فى القرن الثانى كما سيأتى بعد . هذا ولدينا بيانات قيمة عن حياة الجنود اليهود فى الفيوم الذين خدموا فى وحدات منوعة ، وكانوا من الجيش المستحفظ (٣) .

ذكرنا فيما سبق ان جزءا من الجيش البطلمى قد نظم الى وحدات سلالية منفصلا بعضها عن بعض مثل فصيلتى فرسان تراقيا وتساليا وغيرهما . وكانت هذه الوحدات السلالية كما تدل عليها اسماؤها ــ عندما كان الجيش البطلمى لا يزال فى طور التكوين مؤلفة من أفراد ينتمون كلهم الى أمة بعينها ، ولكن على مر الايام نجد أفرادا من أصول مختلفة قد قبلوا فى هذه الوحدات السلالية ، وعلى ذلك قد أصبح اسم فصيلة التراقيين أو فصيلة التساليين وغيرهما لا يدل على اشخاص من أصل معين بل كانت هذه

---

(١) راجع J. Lesquier, Les Institutions Militaires de l'Egypte sous les Lagides, 1911; Bouché-Leclecq, Hist. IV. P. 1, Bevan 165 sqq.

(٢) راجع Corpus No. 1, 2, 4, 5.

(٣) راجع Corpus Papyrorum Judaicarum. P. 147-178.

المسميات تطلق على جنود تابعين لوحدة حربية معينة بالاشارة الى أصل تكوينها القومى فى بادىء الأمر وحسب . هذا ولدينا أمثلة كثيرة مستقاة من الأوراق البردية تدل على تغيير التسمية القومية للجندى بسبب نقله من وحدة الى وحدة أخرى (١) . ولم يشذ الجنود اليهود عن هذه القاعدة ، فقد كانوا يسمون أنفسهم فرسانا مقدونيين عندما كانوا يخدمون فى وحدات تحمل هذا الاسم . ويلحظ انهم كانوا أحيانا يخدمون بلقبهم العادى اى « يهود » وعلى ذلك لم يكن لدينا وسيلة لمعرفة انهم يهود الا من اسمائهم او من مناسبة أخرى . هذا ونجد انهم فى حالات أخرى كانوا يحافظون على اسمائهم السابقة ويلقبون انفسهم بالاسمين . ومما يؤسف له ان ليس لدينا امثلة من هذا القبيل الا مثال واحد فقط وهو لفارس يهودى من الجيش المستحفظ معروف لنا من ورقة بردية (٢) ومن ثم لا يمكن ان تتخذ هذا المثل اساسا لوضع قاعدة عامة ، وذلك لأن فرسان الجيش المستحفظ وبخاصة فى العهد الرومانى لا يمكن أن يعتبروا جنودا .

هذا وقد يساعدنا وجود اليهود فى خدمة وحدات مختلفة قومية على حل صعوبة قامت فى وجهنا بسبب ما ذكره المؤرخ « جوزيفس » ثلاث مرات من ان يهود الاسكندرية كان مصرحا لهم ان يلقبوا انفسهم مقدونيين (٣) . وقد وضعت نظريات بعيدة المدى عند التعليق على هذا القول فقد اقترح ان المقدونيين كانوا هم الذين يمثلون الارستقراطية العظيمة فى المجتمع الاسكندرى ، وقد اتخذ ما ذكره « جوزيفس » ليكون برهانا على ان يهود

---

(١) راجع P. Fay. 11, 12.

(٢) راجع Corpus No. 417.

(٣) راجع Bell. 2. 487 sq.; C. AP. 2, 35 sq.

الاسكندرية كانوا من بين مواطنى الاسكندرية الذين كانوا يتمتعون بحقوق كاملة وامتيازات . غير ان الأوراق البردية تبرهن غير ذلك (١) .

الفلاحون اليهود

دلت البحوث على وجود فلاحين يهود فى العهد البطلمى والرومانى فنجد فى العهد البطلمى يهودا يعملون فى الأرض بوصفهم مستعمرين أى اجنادا يطلبون عند الحاجة وذلك لانه كان مقررا ان كل جندى أجنبى يخدم فى جيش البطالمة لابد ان يتسلم قطعة أرض ذات مساحة عظيمة تصل أحيانا الى ما بين ثمانين ومائة أرور . وهذه الاقطاعات من الأرض كانت فى الأصل بمثابة ملكيات كان قد منحها الملك لهؤلاء الجنود ، غير انها كانت دائما قابلة ان تسحب منهم وتصبح ملك الملك ثانية . ولكن على مر السنين والايام نجد ان هذه الاقطاعات الصغيرة قد ازداد عددها اكثر فاكثر واصبحت ملكا للمسئولين عليها هم وأسرهم . وفى النهاية وجدنا ان هؤلاء الملاك أخذوا يورثونها لأبنائهم من بعدهم وهكذا (٢) .

وعلى الرغم من ملكية الافراد للارض المصرية الا انها كانت تتعارض مع مبادىء الملكية المطلقة للا اضى المصرية فى عهد البطالمة ومن قبلهم فراعنة مصر الى حد ما ، فان الحكومة لم يكن فى مقدورها ان تقف فى وجه رغبات الجند الذين كانوا يريدون ان يعتبروا قطع الأرض التى يستثمرونها ملكا خاصا لهم ، وانهم هم المسيطرون عليها ، والواقع ان الحكومة كانت تحابى المستعمرين من الجنود من جهة دفع الضرائب . ففى حين كان مزارع الملك

(١) راجع Fuchs 88; Engers in Klio XVIII, 89; Wilcken, Grundjuge 63.

(٢) راجع Wilcken Grundzuge 282 sq.; W. Chr. 334, 335; P. Tebt. 956; Rostovtzeff Studien zur Gesch. des romisch, Kolonats, 1910, 11 sq.; Kiessling Actes du 5e Congrès, 216 sqq.

يدفع ايجارا بمعدل أربعة أو خمسة أرادب(١) عن كل أرور من الارض نجد من جهة أخرى ان الجندى المستعمر كان لا يدفع الا اردبا أو اردبين فقط ، يضاف الى ذلك ان الجنود أصحاب الاقطاعات كانوا غير مجبرين على زرع الارض ، وذلك انهم كانوا قد اعتادوا على تأجير اقطاعاتهم للفلاحين المصريين لزرعها وبخاصة مدة غيابهم فى الحروب ، وقد كان غرض الحكومة من ذلك الا تنشىء طبقة جديدة من زراع الأرض ، بل كانت ترمى الى امداد اعضاء جنود الجيش بدخل ثابت ، ولا غرابة اذا فى أن نجد ان المستعمرين الحربيين قد عدوا انفسهم ملاكا لقطع ارض لا فلاحين يعملون بأيديهم فى التربة الخصبة . ولم يشذ عن هذه القاعدة اليهود . ولدينا امثلة كثيرة يكفى ان نذكر من بينها عضوين كانا فى فرقة الفرسان وقد جاء ذكرهما فى وثيقة من عهد بطليموس « ابيفانيس » وهى تعد أحسن برهان على الاشتراك الفعلى لليهود فى الجيش البطلمى (٢) وقد كان كل من هذين الجنديين يملك ثمانين أرورا اى ان كلا منهما كان يعتبر رجلا ثريا ذا نفوذ . هذا ولدينا وثائق عدة عن مستعمرين حربيين من اليهود(٣) ويمكن ان نستخلص من درس هذه الوثائق ان هؤلاء المستعمرين الحربيين اليهود كانوا أغنياء ميسورين لدرجة انه كان فى استطاعتهم ان يشتغلوا فى شئون لا علاقة لها بأمور الحرب أو الزراعة . وليس لدينا معلومات مفصلة عن موقف الزراع اليهود الآخرين الذين ذكروا فى الوثائق من حيث حالتهم الاجتماعية فمن هم يا ترى فلاحو الوجه القبلى الذين يحملون اسماء عبرية واسماء أخرى سامية . وهؤلاء نجدهم مذكورين فى الكتابات التى على الاستراكا . هل كانوا من الأغنياء ملاك الاراضى أو مزارعين فقراء يكدحون فى أراضى الملك ؟ على انه قد يحتمل ان هذه الفئة كانت تشمل اشخاصا من كلا الطبقتين . يضاف الى

(١) راجع مصر القديمة جـ ٧ عن قيمة الضريبة عن الارور فى ٧٤٧ عهد رعمسيس الخامس

(٢) راجع Corpus. Vol. I. P. 164.

(٣) راجع Ibid. P. 147 ff.

ذلك ان اسماء يهودية تظهر فى قوائم مختلفة عن الحسـابات والتعداد والاعلانات الملكية وغير ذلك (١) وكل هؤلاء اليهود كانوا من سكان الريف، ولكن لا يمكننا ان نقرر فى كل الحالات شيئا عن مركزهـم الاجتماعى بالضبط ، وقد جاء ذكر عمال حقول بالأجرة فى أحدى الوثائق (٢) على انه يحتمل وجود يهود أكثر من هذا النوع بين السوريين يشتغلون فى الحقول(٣)

وقد جاء ذكر عاصرى الخمر مرة واحـدة ، كما جاء ذكر الرعاة اليهود كثيرا فى الأوراق البردية (٤) .

وكان الرعاة فى مصر فى أغلب الأحيان ملاك اغنام وتجار صوف . وكانت التجارة التى يزاولونها تقودهم أحيانا الى أعمال مريبة (٥) . مثال ذلك شكوى فرد يدعى حارمزيس تاجر أصواف رفعها للملك على راعى غنم يهودى يدعى «سيوس» وذلك أن «حارمزيس» اشترى من «سيوس» مقدارا من الصوف قبل جز الغنم ودفع له جزءا من الثمن مقدما وتعهد أن يدفـع الباقى بعد جز الغنم غير أن «سيوس» جز غنمه وأخذ الصوف ورفض أن يعطيه «حارمزيس» عندما طلب اليه تسليمه وعلى ذلك كان تاجر الصـوف مجبرا أن يضع الأمر أمام أولى الأمر . ومما تجدر ملاحظته هنا أن الرعاة اليهود كانوا غالبا يسمعون بأسماء مصرية بحتة (٦) .

هذا ولم نجد فى الأوراق البردية براهين تثبت وجود تجار او مرابـين من اليهود فى العصر الهيلانستيكى، وترجع هذه الظاهرة الى سببين الأول هو انه

(١) راجع Ibid. P. 179.
(٢) راجع Ibid. P. 188 sqq.
(٣) راجع Edgar. Cat. Gen. des Antiq. 59292.
(٤) راجع Corpus etc. P. 134, No. 9, P. 185, No. 38; P. 187, No. 39, etc.
(٥) راجع Ibid. No. 38; P. Ent. 3.
(٦) راجع Ibid. Nos. 9, 38.

ليس لدينا أوراق بردية من عهد البطالمة من الاسكندرية . وواضح مما كتبه «فيلو» و «جوزيفس» ان اغنياء اليهود كان موطنهم الرئيسى هو عاصمة الملك . والسبب الثانى هو ان مبادىء الحكومة البطلمية لم تكن مشجعة للمشروعات الخاصة أو التجارة ، وعلى ذلك كانت مصر فى العهد البطلمى لا يوجد فيها الا عدد صغير من التجار حتى بين الاغريق انفسهم . أما من حيث الربا فان المصارف البطلمية كانت احتكارا للحكومة ، وكان رؤساء البنوك من موظفى الدولة . وفى هذه البنوك نجد كذلك ان المشاريع الخاصة لم تلق قبولا ، على أن ذلك لم يكن يعنى انه لا يوجد رجال معاملات بين اليهود فى العهد البطلمى . فقد وجدنا ان « أريون » (Arion) كان الممثل الأول لشراء جمع الضرائب (ملتزم) غير اننا لا نعرف عنه ولا عن غيره شيئا يستحق الذكر فى هذا الصدد . على ان كل معلوماتنا عن اليهود الذين كانوا مشتغلين بالتجارة والربى مستقاة من العهد الرومانى .

ومعلوماتنا عن الصناع اليهود فى العهد البطلمى ليست باحسن من معلوماتنا عن رجال التجارة والمرابين ، اذ لم يأت ذكر الصناع فى الاوراق البردية فى العهد البطلمى ، وكذلك فى العهد الرومانى ، وليس لدينا أسباب كافية تفسر لنا هذا الصمت المطلق . غير انه قد جاء فى التلمود انه كانت توجد منظمات حرفية قوية تشمل صناع يهود الاسكندرية ، ومن المعلوم جيدا أن الحاخامات اليهود فى فلسطين كان لهم ميل خاص للفنون والصناعات (١) وقد أكد « فيلو » وجود صناع من اليهود فى الاسكندرية (٢) ولا ريب فى ان نظام الحكم البطلمى من جهة المراقبة لم يؤثر على العمل الحر

---

(١) راجع Krauss, Talmudische Archeologic II, 249 sqq.

(٢) راجع Flacc. 58.

للصناع سواء أكانوا يهودا او غير يهود . وربما كانت قلـــة المخطوطات البردية فى هذا الموضوع من باب الصدفة .

وهاك مالدينا من معلومات هزيلة فى هذا الصدد: فلدينا وثيقة عن أسرة صناع فخار من اليهود فى قرية سورية (١) وكذلك صادفنا نساج يهودى من أهل الوجه القبلى فى خلال القرن الثانى ق.م (٢) . كما جاء ذكر لاعب قيثار يحتمل انه موسيقار كان يعيش فى مستعمرة حربية ببلدة «سماريا» عاش فى القرن الثانى ق.م (٣) .

أما عن اليهود الذين كانوا فى خدمة الملك فلدينا معلومات كثيرة وهؤلاء يضعون امامنا صــورة منوعة ذات الوان عدة . وهذه الصــورة تبتدىء بالشخصيات اصحاب النفوذ فى البلاط وكبار رجال الادارة وتنتهى بصغار الموظفين ورجال الشرطة فى القرى . وقدذكرت لنا الاضمامات البردية مثالين من رجال البلاط اليهودى وكبار الموظفين أولهما «دوسيثيوس» (Dositheos) ابن «دريميلوس» (Drimylos) وكان يشغل وظيفة كاهن أكبر لقبر الاسكندر وللبطالمة المؤلهين فى عام ٢٢٢ ق.م. وقد ذكر اســمه مؤلف الكتاب الثالث للماكابيين (٤) ، و «أونياس» الذى يحتمل انه كان حاكم مقاطعــة ، ويجوز ان تكون «هليوبوليس» . ويمكن توحيده « بأونياس» الكاهن الأكبر وبانى معبد « ليونتوبونيس » (تل المقدام الحالية مركز ميت غمر) (٥) . ولدينــا شخصية ثالثة معروفة لنا من نقش وهو **هلكياس** (Helkias) ، وكان على ما يظهر حاكم مركز «هليوبوليس» . وعلى أية حال لدينا معلومات كثيرة عن

(١) راجع Ibid. P. 190, No. 46.

(٢) راجع Ibid. P. 218, No. 95.

(٣) راجع Ibid. P. 171, No. 28.
Ibid. 230, Nos. 127.

(٤) وهذا الكتاب يقص علينا قصة محاولة قتل «بطليموس الرابع ، فيلوباتور فى مساء واقعة رفح ، ومن هذه القصة نعلم أن الملك قد نجا على يدى يهودى مرتد ، وهو دوسيفيوس بن ريمياوس ، وقد قيل عنه ، انه وضع رجلا آخر فى السرادق الملكى قبل محاولة قتل الملك .

(٥) راجع Ibid. P. 244, No. 132.

حياة يهود الاسكندرية ، ويمكن ان نقدم أمثلة أخرى عن بعضهم .

أما فى القرى فكان يوجد يهود يشغلون وظائف منوعة فى الشرطةوالادارة وبخاصة جباة يجمعون الضرائب . هذا وقد جاء ذكر رئيس شرطة يهودى فى بلدة «اتريب» (بنها الحالية) فى نقش يتضمن اهداء معبد (بيعة) للاله الأعظم بالاشتراك مع المجتمع اليهودى المحلى ولا بد ان نفرق فى الوثائق بين رجل الشرطة (١) وبين الحارس (٢) وذلك لأن الأول كان موظفا حكوميا والآخر موظفا أهليا . هذا وكان يرحب بانخراط اليهود فى سلك رجال الشرطةلنفس الاسباب التى كان يرحب بها عند انخراطهم فى سلك الجيش ، وذلك لأن حكومة البطالمة كانت لا تثق بالمصريين الوطنيين وكانت تعمل جاهدة على ابعادهم عن الجيش والشرطة ، وهذا هو السبب فى أن الاجانب (وبخاصة العرب) كانوا يوجدون بكثرة فى طائفة رجال الشرطة (ويلحظ انه فى خلال القرن الثالث ق.م كان رجال الشرطة من العرب عديدين لدرجة ان التعبير «عربى» كان يستعمل أحيانا للدلالة على الشرطى) .

اما اليهود الذين كانوا يعملون فى الادارة المحلية فليس لدينا الا مثال واحد فى الاضمامات البردية التى بين ايدينا وهو لامين سر يهودى يحتمل انه كان يعمل فى مقاطعة «هيراكليوبوليس» (٣). هذا ولدينا بعض أمثلة من اليهود الذين كانوا يعملون فى الادارة المالية بوصفهم مدبرين للمصارف الملكية أو موظفين فى مخازن التبن (العلف) (٤) .

ومن أهم المعلومات التى وصلت الينا عن اشتراك اليهود فى جمع الضرائب ما جاء على استراكا عثر عليها فى الوجه القبلى وهذه الاستراكا هى مصدرنا الرئيسى عن جمع الضرائب فىالوجه القبلى كما أن الاوراق البردية التى

(١) راجع Ibid. P. 167, Nos. 25.
(٢) راجع Ibid. P. 138, Nos. 12.
(٣) راجع Ibid. P. 251, Nos. 137.
(٤) راجع Ibid. P. 208, Nos. 65, P. 210, No. 69, P. 219, No. 97.

عثر عليها فى الفيوم هى مصدرنا الرئيسى عن الفيوم (١)، وسنبحث هنا بعض المسائل العامة عن جمع الضرائب ويتساءل المرء لأول وهلة من هم هؤلاء اليهود جباة الضرائب فى الوجه القبلى ؟ ويميز العلماء بين جامعى الضرائب ومؤجرى الضرائب أو مشترى جمع الضرائب وتفسير ذلك أن جمع الدخل الفعلى كما يقول العالم «رستوفتزف» كان واجب موظفى الدولة الذين كان عليهم أن يوردوا المبالغ أو السلع المتحصلة الى المصارف أو المخازن الملكية. أما مؤجرو الضرائب فى مصر فكان تدخلهم فى جمع الضرائب الفعلى قليلا جدا ، ولكن كانت لهم فائدة حيوية فيها ، وقد أخذوا دورا ايجابيا فى مراقبة كل من منتجى الدخل وجباة الضرائب ، وذلك لانهم بمقتضى العقود التى أمضوها للملك ضمنوا له بتوقيعاتهم الجمع التام لدخل خاص ... واذا حدث عجز فى ذلك كان عليهم وعلى شركائهم بالضمانات التى أعطوها أن يسدوا هذا العجز (٢) . وهذا التعريف العام الذى قدمه لنا هذا العالم قد ناقشناه غير أنه من المشكوك فيه اذا كان هذا التمييز الدقيق فى هاتين الحالتين يمكن ان ينطبق على حالتنا الخاصة هنا فيما يتعلق باليهود ويظهر انه من المؤكد ان اليهود فى هذه المسألة كانوا محصلى ضرائب ، وذلك لأن الضرائب كانت تورد للمصارف عن طريقهم و يتسلمون فى مقابل ذلك ايصالات بالتوريد ، ومن جهة أخرى نجد أن واحدا منهم كان يدعى «مؤجر الضرائب» (حيث كان يقصد تأجير ضريبة خاصة واحدة) . وكانت رسائلهم لدافعى الضرائب تبتدىء بصيغة خاصة فنية لا تستعمل الا لمؤجرى الضرائب وكان لهم شركاء من مؤجرى ضرائب كما كانت العادة (٣) . ومن ثم يظهر أن التميز الذى وضعه «روستوفتزف» وغيره من العلماء لا يمكن تطبيقه على محصلى

(١) راجع Ibid. P. 194 sqq.

(٢) راجع Rostovtzeff eff. Social and Economic History of the Hellenistic World I, 328 ; Cf. Harper Aegyptus XIV, 1934, 49 sqq., 269 sqq.

(٣) راجع (Ibid. P. 203, No. 48)

الضرائب اليهود فى الوجه القبلى وهم الذين كانوا فى الوقت نفسه مؤجرين للضرائب ومحصلين . وهذه الطريقة الأخيرة كانت متبعة فى «اثينا» وعند اليونان عامة . ومن جهة أخرى نجد أن العلاقة بين هؤلاء اليهود المحصلين للضرائب بالنسبة للحكومة غير واضحة بعض الشىء . والظاهر ان بعضهم كانوا اشخاصا غير موظفين لهم دخل ثابت (وكان واحد منهم من كبار الملاك) (١) . وقد قرر لسبب ما أن يعمل هذا الثرى محصل ضرائب أيضا والآن يتساءل الانسان لماذا كان اليهود متهمين بالقيام بدور كهذا فيما يخص الادارة والمالية فى حين انه من المعلوم جيدا ان محصلى الضرائب كانوا مكروهين من السكان لدرجة ان المؤلف «فيلو» قد مثلهم بأشخاص من طبقة منحطة ، وقحين غلاظ القلوب يحولون المدن والقرى الى صحارى (٢) . والجواب البسيط على ذلك هو ان وظيفة محصل الضرائب كانت مربحة ومع ذلك فانه من المشكوك فيه ان الارباح التى كان يجنيها المحصل كانت كبيرة القيمة . وذلك لأن البناء العام للحكومة البطلمية لم يكن يساعد موظفى الحكومة أو غير الموظفين على ان يصبحوا أغنياء بوسائل قانونية ، فى حين ان الوسائل الخارجة عن نطاق القانون كانت غاية فى الخطورة ليقظة الحكومة وشدة مراقبتها من هذه الناحية (٣) .

حقا نجد أن شخصا مثل «جوزيف» بن «توبياس» قد جمع ثروة طائلة من شراء تحصيل الضرائب ولكن سبب هذه الثروة كان راجعا الى انه اشترى ضرائب (أجرها) من كل بلاد سوريا و «فنيقيا» فى حين ان مؤجرى الضرائب فى الوجه القبلى كان الواحد منهم يؤجر ضريبة واحدة خاصة وفى الوقت نفسه محلية ، ومن ثم لم يكن ينتظر منها فوائد كبيرة . والمرجح ان اليهود قد اختاروا هذا العمل الكريه لا لأجل ان يكون لهم دخل اضافى وحسب ، بل كذلك لان الوظيفة الحكومية كانت تعتبر عنوان شرف وجاه

(١) راجع Ibid. P. 217, No. 90.

(٢) راجع Ibid. P. 8, note 49.

(٣) راجع Schubart, Einfuhrung in die Papyruskunde 1918, 253.

وبخاصة فى القرى . وبطبيعة الحال كانت الوظائف الادارية الأخرى مثل رئيس سكرتارية مركز من مراكز المقاطعة ـ هذا فضلا عن أن وظيفة حاكم المقاطعة ، كانت أهم بكثير من وظيفة مؤجر الضرائب (ملتزم) ، وعلى أية حال فان كل هذه الوظائف المرغوب فيها كانت منذ زمن بعيد قد احتلها اغريق ، ولم يكن اليهود من القوة بحيث ينافسونهم فيها ، فى حين ان عمل مؤجر الضرائب الكريه كان مباحا أمام كل واحد كان عنده من المال ما يكفى ليضمن بثروته التنفيذ النظامى للعمل الذى وكلت اليه الحكومة أمره .

ويمكن ان نلخص فيما يلى المادة المنوعة التى لها علاقة بالاحوال الاقتصادية لليهود المصريين : فالصورة التى نفهمها من كل ما سبق ليست بأية حال من الاحوال منحصرة فى المصالح الضئيلة الخاصة بحياة حى يهودى . بل الواقع أن اليهود كانوا يخدمون ويعملون فى كل مكان وفى كل فرع من فروع الحياة الاقتصادية للبلاد ، فكانوا يعملون جنودا ورجال شرطة ومؤجرى ضرائب وموظفى حكومة وكادحين فى الأرض وأصحاب حرف وتجارا . وبطبيعة الحال كان هناك يهود أغنياء فى الاسكندرية ، وكذلك فى القرى ولكن التأثير العام الذى نستخلصه من دراسة الوثائق هو أنهم قوم مجدون يكسبون قوتهم بعمل ينطوى على المثابرة والصبر والخداع معا . على أن حدود هذا النشاط كان لا يعينه اليهود انفسهم بل تحدده الاحوال العامة للحكومة البطلمية وأعنى بذلك النظام الموحد كلية المناهض لكل مبادرة جديدة فى عمل حر . فقد كان السكان الوطنيون الذين كان عددهم كبيرا هم الذين كان فى قبضتهم منذ أقدم العهود الموارد الاقتصادية الرئيسية للبلاد كالزراعة والفنون والحرف ، فى حين انه كان يوجد فى البلاد عنصر نشط آخر صاحب نفوذ ، وهو عنصر المهاجرين الاغريق الذين كانوا يشغلون الوظائف الرئيسية فى الجيش والادارة والحياة المدنية . ولا نزاع فى انه فى ظل هذه الصورة المعقدة كان من الصعب فعلا على اليهود ان يجاروا سكان البلاد هؤلاء ويحفظوا مكانتهم بينهم . وعلى الرغم من ان الصعوبات التى

كانت تقوم فى وجههم لم تحس فى البداية على ما يظهر ، الا أنها على مر الايام قد أخذت تظهر وتزداد قوة من يوم لآخر .

موقف اليهود السياسى فى مصر :

ونظرتنا العامة عن النشاط الاقتصادى ليهود مصر تحمل فى طياتها عـدة مسائل خارجة عن نطاق الحياة الاقتصادية . والآن يتساءل الانسان عما اذا كانت حكومة البطالمة قد تعرفت على قيمة العمـل الذى كان يؤديه اليهود أم لا ؟ وهل شجعته أو وقفت فى طريقه ؟ ثم ماذا كان موقف السكان الوطنيين والاغريق بالنسبة لليهود ؟ كل هذه الاسئلة تنقلنا من المسألة الاقتصادية الى السؤال الكبير الواسع الخاص بالتطور السياسى اليهودى فى عهد البطالمـة

ان تاريخ اليهود السياسى فى مصر فى عهد البطالمة ينقسم بوضـوح الى عصرين . ويعد حـكم بطليموس السـادس فيلومتور (١٨١ ـ ١٤٥ ق.م) الخط الفاصل بين هذين العصرين . ومعلوماتنا عن العصر الأول لا تـكاد تذكر . وقد رأينا أن أول المهاجرين من اليهود الى مصر كانوا أسرى حرب، وان عددا منهم وضعوا فى حاميات مصرية . والظاهر ان اسرى الحرب هؤلاء حتى بعد اطلاق سراحهم فى عهد بطليموس الثانى ، كان فى اسـتطاعتهم ان يقوموا بنشاط ملحوظ فى حياة البلاد السياسية . ويعد العهد الذى يقع بين حكم بطليموس الأول وبطليموس السادس بالنسبة لليهود عهد استقرار فى مكان جديد . اذ الواقع انهم انتشروا فى كل انحاء البلاد ووطدوا انفسـهم فى اعمال منوعة وأسسوا مجتمعاتهم الخاصة بهم . وقد انقضى أكثر من قرن من الزمان على هذه العملية وهى تسير فى طريقها دون ان يشعر بها أحد . وفى عهد «بطليموس السادس» (فيلومتور) بدأ عهد جديد فى تاريخ لليهود كان الدافع له علتين مميزتين وقعتـا فى وقت واحد : العلة الاولى ميـل الملك للساميين ، والثانية تدفق نهر جديد من المهاجرين اليهود الى مصر وفدوا من فلسطين . وقد أخبرنا «جوزيفس» (١) ان «فيلومتور» وزوجه «كليوبترا»

---

(١) راجع C.Ap. 2.49.

قد وكلا أمر مملكتهما ليهود ، بل ووضعا كل الجيش المصرى تحت قيــادة «أونياس» و «دوسيثوس» ولا شك فى أن ما رواه «جوزيفس» يعد ضربا من المبالغة ، لا تقل فى كذبها عما أكده مؤلف يهودى آخر من ان فيلسوفا يهوديا يدعى اريستو بولوس (Aristoboulos) (١) كان معلم « فيلومتور » ومع ذلك فانه كانت توجد أمور تدل صراحة على ميل «فيلومتور» لليهود الى حد ما ، فقد انشئت وحــدة حربية يهودية ووضعت تحت قيــادة قائد يهودى يدعى «أونياس» وقد صرح لأونياس ان يعسكر بجنوده على أرض مصر وان يبنى معبدا لاله اليهود وكذلك وكل هذا الملك لليهود ان يعملوا فى ادارة البلاد المالية بمثابة مؤجرين للضرائب وموظفين ، وكان ذلك على أية حال فى الوجه القبلى . يضاف الى ذلك ان ممثلى اليهود من الطبقة الراقيــة المتعلمة مثل الفليسوف «اريستوبولوس» قد سمح لهم بالدخــول فى بلاط الملك كما سمح لهم ان يعرفوا الملك عن أمور لها علاقة بالدين اليهودى ، فقد قيل ان الفيلسوف اليهودى «اريستوبولوس» أهدى كتابه الذى وضعه عن التوراة الى «بطليموس فيلومتور» وألقى بعض فقرات منه أمام الملك(٢) واذا أمكن أن نصدق ما رواه « جوزيفس» (٣) فان اليهود والسامرين كانوا يناقشون مسائل دينيــة فى حضرة الملك . وان «فيلومتور» قد أعلن ميــله لليهود . وانه لمن الخطأ ان نســلم ان الملك الفتى قد حابى اليهود بســبب دينهم ، بل كانت هناك أسباب أخرى مادية دعت الى ميله الى حب السامية. والواقع ان عهد «فيلومتور» على أية حال كان عهد استقرار وسلام ، وذلك لأنه عندما مات والده كان لا يزال طفلا فى الخامسة أو السادسة من عمره، وعندما أعلن ملكا رسميا على البلاد كان فى الخامسة عشرة . وقد ظلت ادارة البلاد بسبب ذلك مدة طويلة فى أيدى رجال البلاط الذين كانوا من أصول وضيعة وأصحاب شهرة سيئة . يضاف الى ذلك أنه قد نشأت عداوة وبغضاء

(١) راجع 2, Macc. 1. 10.
(٢) راجع Euseb. Praep. Evang. VIII. 9. 38; 10.1; IX, 6.6.
(٣) راجع Ant. 13. 74 sqq.

بين «فيلومتور» وأخيه الصغير وهو الذى أصبح فيما بعد «ابرجيتيس الثانى» وقد كان من نتائج هذه العداوة انفجار ثورات علنية أحيانا أضرت بالبلاد جميعها ، وأخيرا غزا «انتيكوس الرابع» ملك سوريا البلاد المصرية مرتين، وكان من نتائج هذا الغزو انه فتح البلاد المصرية كلها وأعلن نفسه ملكا على المصريين (١) ، ولم ينج مصر من «انتيوكوس» الا تدخل روما التى أمرته أن يغادر البلاد المصرية فورا ، وبذلك نجت دولة البطالمة فى مصر من السقوط النهائى . وكان على الملك الفتى فى هذه الاوقات العصيبة ان يبحث عن حلفاء أقوياء يركن اليهم . وفى هـــذه اللحظة نجد أنه لم يكن فى اســـتطاعة أهل الاسكندريين من الاغريق ولا فى استطاعة سكان مصر الأصليين أن يعطفوا على رغبات الملك بتقديم يد العون له، وذلك لأن أهالى الاسكندرية كانوا منقسمين فيما بينهم فى حروبهم الداخليـــة التى وقعت بين الاغريق والمقدونيين ، أما الوطنيون المصريون فكانوا يظهرون العداء صراحة لكل الأجانب من الاغريق والمقدونيين على السواء . وكان اليهود فى تلك الفترة هم العنصر الثالث فى البلاد ، غير أنهم كانوا ضـــعفاء اذا ما قرنوا بالاغريق والمصريين ، وكانوا يرغبون بطبيعة الحال فى قيام حكومة مركزية قوية . وفى هذا الوقت بالذات قوى العنصر اليهودى ، وذلك بتدفق عدد عظيم من المهاجرين اليهود ومـــن بينهم «أونياس» وأتباعه . وكان اليهود الجدد صالحين بوجه خاص لتأليف جماعة من الاشخاص المخلصين للملك لانهم كانوا غرباء ، وبذلك لم يكونوا تابعين لأى حزب فى داخل المملكة البطلمية . والواقع ان هؤلاء كانوا يبحثون عن مكان يأويهم ويكون حماية لهم ، ومن أجل ذلك كانوا متكلين على قوة الملك كلية . ومن المرجح أن «أونياس» كان قائدا صاحب قدرة عظيمة مما جعل لرأيه بعض الأثر على قرارات الملك . ومن ثم عقـــد بين «فيلومتور» واليهود ما يشبه المحالفة . وكانت الوحدة الحربية التى سمح بها «لأونياس» تحتوى على أشخاص كانوا قد صاحبوه من يهوذا الى مصر . ومن المحتمل

(١) راجع P. Tebt. 69.

أنه قد زيد فى عددها من يهود مصر . وقد استولى «أونياس» على بعض الأراضى فى مقاطعة «هليوبوليس» ليعسكر فيها جيشه الجديد من اليهود وقد سميت هذه القطعة التى استولى عليها « ارض أونياس » وقد بقيت مدة أجيال فى حوزة اليهود . وكان «أونياس» من جهته مستعدا ليقود جنوده الى حومة الوغى لحماية الملك من اعدائه . والظاهر ان الحاجة لم تدع لظهوره على رأس جيشه مدة حياة فيلومتور ، ولكن بعد موته ظهر «أونياس» على رأس جيشه فى العاصمة، وذلك عندما اشتبكت «كليوبترا» أرملة «فيلومتور» فى حرب خطيرة مع أهالى الاسكندرية الذين كان يعاضدهم أخوة «ايرجيتيس الثانى » ، ومن المحتمل ان سكان «ارض أونياس» كانوا يعاضدون قضية الملكة كليوبترا . وتدل شواهد الأحوال على أن هذه المساعدة لم تكن تدبيرا سياسيا بل كانت من باب الولاء ، وقد انتهت هذه الحرب بنتائج لم تكن فى صالح يهود الاسكندرية المكروهين من الأهالى عامة . وهذا شأنهم فى كل مكان حلوا فيه والواقع انه ليس لدينا تفاصيل تدل على ميول «فيلومتور» نحو اليهود ، ولكن يمكن القول بأن عواطفه نحوهم كشف عنها فى مناسبات مختلفة . فقد ذكرنا فيما سبق ان بعض اليهود كانوا يلقبون أنفسهم مقدونيين أى أنهم كانوا قد أدمجوا فى الحامية المقدونية التابعة للاسكندرية . والآن يتساءل الانسان عن أى وقت مناسب بصورة حسنة لهذا الاجراء الحربى أكثر من عهد «فيلومتور» عند ما نظم جيشا يهوديا بقيادة قواد يهود ؟ وقد ذكر لنا جوزيفس اسم دوسيثيوس (Dositheos) وهو قائد يهودى آخر من عهد فيلومتور (١) فهل كان من المحتمل انه كان رئيس « اليهود المقدونيين » الذين كونوا ما يشبه حرسا للملك ، مثل المان « هرود» و «كاليجولا» (Caligu a) ؟ ومثل هذا الفرض يمكن ان يفسر المبالغة العجيبة التى ذكرها «جوزيفس» عندما قال « كل البلاد قد وكل أمرها «فيلومتور» لليهود» . على أن ظهور الملك أمام الشعب يتعين

(١) راجع C. Ap. 2, 49.

حرسه من اليهود يمكن أن يمثل بسهولة ما يشبه سيطرة اليهود على مصر ولا غرابة فى ذلك فان دسائسهم كانت لا تنفد وقد كان صدى رد الفعل لذلك لا محالة واقـع . وذلك أن الملك الجـديد المنتصر «ايرجيتيس» الثـانى «فيسكون» (Physcon) لم يكن فى مقدوره أن يغفر تدخل اليهود الحربى غير المنتظر فى شئون دولته ، ولذلك فان أول اضطهاد فى مصر الهيلانستيكية الرومانية كانله علاقة باسمه. فقد حدثنا «جوزيفس» (C. AP. 2, 53-55) أن «ايرجيتيس» عندما كان يتأهب لمهاجمة «أونياس» أمر أن يلقى كلاليهود الاسكندريين ومعهم ازواجهم واطفالهم أمام فيلة كانت قد اسكرت من قبل لهذا الغرض ، ومع ذلك فان الفيلة لم تهاجم اليهود ولكنها هاجمت أصحا «ايرجيتيس» . وعلى ذلك فان الكثير منهم قد ديسوا حتى الموت . ولكن لما كان «ايرجيتيس» قد تأثر بهذا المنظر فانه استسلم لتوسلات حظيته اتاكا (Ithaka) أو أيرين (Eirene) وأوقف الاضـطهاد وقد حفظ يهـود الاسكندرية ذكرى هذا اليوم فكان يعتبر عيدا سنويا . ولا جـدال فى ان قصة «جوزيفس» ليست الا حديث خرافة الفت على طريقة الانتاجاتالادبية للعصر الهيلانستيكىوقد نسبت نفس القصة ، مبالغا فيها، الى عهد بطليموس الرابع . وقـد أعيدت فى الكتاب الثالث للمكابيين وستسنح لنا الفرصـة للتحدث عن هذه المقالة الغريبة التى يكنفها بعض الغموض . ومع ذلك فان هذا العيد الذى يحتفل به يهود الاسكندرية سنويا فى يوم محدد ، يظهـر بجلاء أن هناك حقيقة تاريخية ترتكز عليها هذه القصة الخرافية ، هذا ونجد أن اسـمى «ايرجيتيس الثانى» وأونياس يوافقان بصورة ممتـازة الموقف التاريخى لهذه الحقيقة . والظاهر أن بعض الاحاديث التاريخية قد حفظت فى هذه القصة حتى فى صورتها المبالغ فيها فى كتاب المكابيين الثالث . وهناك فقرات أخرى فىنفس الكتاب نفهم منها ان العراك الذىقام بين «ايرجيتيس» الثانى واليهود كان فى الواقع تصادما بين المقدونيين والجيش اليهودى . ومن المرجح أن ذلك قد وقع بسبب التدخل الحربى الذى قام به «اونياس» كما

أشرنا الى ذلك من قبل . أما عدم تنفيذ هذا الاضطهاد وايقافه فجأة فيمكن ان يستنبط من ان هذا العيد قد احتفل به سنويا لحدوث معجزة لم تكن فى الحسبان . ويمكن ان نقترح ترتيب حوادث هذه القصة على الوجه الآتى : وذلك ان « ايرجيتيس الثانى » بعد ان دخل العاصمة ظافرا استعد لمعاقبة اليهود على مساعدتهم «كليوبترا» . وتدل الظواهر على ان بعض اليهود قد قبض عليهم كما يحتمل أنه قد نفذ فيهم حكم الاعدام ، ومن المحتمل كذلك أن جيش «اونياس» قد غادر العاصمة قبل أن يدخلها الملك ، وارتد الى «أرض أونياس» واستعد لمواجهة انتقام الملك . وكان يهود مصر وقتئذ فى حزن فزعين من قيام الملك باضطهاد طويل الأمد . غير أنه حدث على حين غفلة شىء لم يكن منتظرا ، وذلك أن الملك أمر باطلاق سراح اليهودالمقبوض عليهم فى الاسكندرية ، هذا فضلا عن أنه لم يوقع أى عقاب على جنود «أونياس» وحتى جماعة المقدونيين من الجنود اليهود فى الاسكندرية فانهم لم يشتتوا ، غير أنهم على ما يظن قد حرموا من امتيازاتهم ، اذا كانت لهم أية امتيازات . والسبب فى هذا التحول المفاجىء فى سير الامور ليس من الصعب معرفته . وآية ذلك ان «ايرجيتيس الثانى» بعد ان فتح الاسكندرية بزمن قصير عقد صلحا مع «كليوبترا» وتزوج منها . وعلى ذلك فانه اذا كان الملك قد امكنه ان يصلح ما بينه وبين الملكة بالزواج منها وكانت عدوه الأولى فلماذا يقوم باضطهاد أعوانها الذين لم يصبحوا بعد خطرا عليه ؟. ومن المحتمل أن الملك فى يوم حفل الزواج منح عفوا عاما لكل حلفاء كليوبترا السابقين . والواقع ان مثل هذا العفو وما تبعه من تغير لم يكن منتظرا فى مصير اليهود، وكان من الممكن ان يوجد تأثيرا فى نفوس اليهود كأنه معجزة . فقد تدخل آلههم نفسه وحمى شعبه من كارثة لم يكن من المستطاع تفاديها .

ومما سبق نفهم ان العهد الجديد (١٤٥ — ١١٦ ق.م) على الرغم من العراك الخطير مع الجيش اليهودى فى بدايته لم يكن من الضرورى معاديا

لليهود ، بل على العكس نجد ان هناك بعض حقائق يمكن ان تفسر بأنها فأل حسن وذلك للمشاعر الحسنة بينهم وبين الملك (١) .

والواقع ان الحالة العامة فى عهد «ايرجيتيس الثانى» قد عادت ثانية فى جانب اليهود . وذلك لأن البلاد كانت ترزح كثيرا تحت عبء ثورات عدة قام بها المصريون وكان الدافع اليها الشعور القومى فى حين ان السكان الاغريق فى الاسكندرية لم يكونوا بحالة ما موالين للملك وكانت الخطوط الرئيسية التى تسير عليها سياسة «ايرجيتيس الثانى» هى : القضاء بقسوة على آية مظاهرة ذات صبغة ثورية فى الاسكندرية ، والسعى ببعض الطرق لمهادنة المصريين ومصالحتهم (٢) . وكان اليهود ثانية بوصفهم العنصر الثالث المحايد من سكان البلاد يمكن ان يرحب بهم الملك كحلفاء وبخاصة فى عراكة مع اغريق مدينة الاسكندرية . والواقع ان اليهود والاغريق فى مصر لم يكونوا قط اصدقاء الملك ومن ثم نجد ان الكره الفظيع الذى كان باديا بين الأمتين فى العهد الرومانى لا بد ان بدايته التاريخية كانت فى عهد البطالمة . ومن المحتمل اذا ان السياسة القوية القاسية التى سلكها «أيرجيتيس» نحو اغريق الاسكندرية كان لها أثر حسن على يهود الاسكندرية . ومن الجائز كذلك ان هذا الملك قد منح اليهود حقوقا مدنية كثيرة فى الاسكندرية لأجل ان يضعف العنصر الاغريقى فى هذه المدينة .

ومن ذلك نرى ان مستوى اليهود المصريين العالى لم يكن قد انخفض باية حال فى عهد «ايرجيتيس الثانى» ، . وبعد موت هذا العاهل بقليل نسمع ثانية بالدور الهام الذى لعبه اليهود فى تطور الحوادث السياسية فى مصر . وآية ذلك ان أرملة «ايرجيتيس الثانى» وهى كليوبترا الثالثة (١١٦ — ١٠١ ق.م) قد اشتبكت فى معركة طويلة الأمد مع ابنها «بطليموس التاسع» «لاثيروس» (Lathyros) فعلى حسب البيان الهام جدا الذى ذكره لنا «استرابون» واقتبسه

(١) راجع Wilbrich, Juden und Griechen. P. 150; SB. 5862, 7454.

(٢) راجع Bouché-Leclcq II, 55 sqq.

عنه «جوزيفس» نفهم ان الجزء الاعظم من جنود الملكة الذين أرسلوا لمحاربة «لاثيروس» خانوها وانضموا الى ابنها ، وعلى أية حال فان طائفة اليهود الذين كانوا من «أرضـ أونياس» قد بقوا موالين للملكة وسبب ذلك ان قائديهما « هلكياس » (Helkias) وانانياس (Ananias) كان لهم حظوة كبيرة لدى الملكة ويقول «جوزيفس» (Ant. 13, 285) ان هذين القائدين كانا ابنى «أونياس» وكانت الملكة من وقت لاخر تركن اليهما فى القيام بعمليات حربية هامة . ومن المرجح ان اشتراك القائدين «هلكياس» و «وأنانياس» فى الحرب مع «بطليموس التاسع» كان هاما ، وان كان المؤرخ «جوزيفس» قد بالغ ثانية عندما قال ان « كليوبترا الثالثـة » قد وضعت هذين القائدين على رأس الجيش(١) .هذا ونعلم ان أحدهما وهو«هلكياس» قد لقى حتفه عنـدما كان يطارد العدو فى (سوريا الجوفاء) ، أما الثانى وهو «أنانياس» فقد سنحت لها الفرصة ان يفرض نفوذه على مجرى الحرب فى فلسطين ، هذا ولما أحس بعض أصـدقاء الملكة بشىء من عدم الرضـا لازدياد قوة طائفـة الهسمونيين اليهودية نصحوا الملكة ان تسـتولى على ممتلكات الملك «اسكندر يناى» (Jannai) فى فلسطين وتسير الأمور فيها بنفسها . وقد عارض «أنانياس» هذا الاقتراح محذرا الملكة بقوله انه اذا حدث عدوان دون مبرر له على «اسكندر» فان كل يهود مصر سيصبحون أعداءها (٢) . وقد كان لهذا التهديد أثره ، وعلى ذلك فانه بتدخل هذا القائد اليهودى الجسور ، نجد أن نصيحة رجال البلاط التى كان الغرض منهـا القضاء على دولة اليهود فى فلسطين قد رفضت .

على أنه ليس من المعقول أن عظماء رجال الاغريق كانوا يقفون موقف الضعف والخنوع يرقبون اليهود وهم يمدون نفوذهم وسـلطانهم حتى فى

(١) راجع Ant. 13, 349

(٢) راجع Ant. 13, 354.

ميدان السياسة الدولية ، بل الواقع كانت هناك معارضة شديدة لليهود فى البلاط والجيش وبين موظفى الحكومة . وأخيرا وليس آخرا كانت هناك معارضة المواطنين الاغريق الاسكندريين . وليس من باب الصدفة ان نجد فى الترجمة الاغريقية لكتاب «أستر» أن هامان الوزير الذى يكره اليهود قد لقب بالمقدونى وان التصادم الذى وقع بينه وبين «موردكاى» (Mordecai) قد وصف بأنه عراك بين وزيرين احدهما يهودى والاخــر مقدونى ، وذلك فى موضوع ولائهما للدولة . ولم تكن كراهة السامين ظاهرة جديدة فى مصر، وذلك أنه منذ عهد « بطليموس الثانى » كان نشر تاريخ مصر الذى كتبــه كاهن مصرى يدعى «مانيتون» يعتبر أول تاريخ يحتوى للمرة الأولى على رواية مضادة لسفر الخروج وقد ذكرت هذه الرواية لتكون جوابا وتكذيبا للقصة التى وردت فى التوراة عن هذه الرواية . وفى القرن الثانى ق.م احتفل بدخول هذا الانتــاج الادبى فى الادب الاغريقى . وقد ذكر كتاب منوعون (مثــل ليزيماكوس) مرات عدة قصة «مانيتون» واضافوا اليها تفاصــيل جديدة . يضاف الى ذلك أن كتابا آخرين مثل مناساس (Mnaseas) ، اخترعوا قصصا أخرى كان القصد منها تحقير اليهود وفضيحتهم . وليس هنا مكان بحث فى أصل كره الساميين وانتشارهم فى العالم القديم ، ويكفى أن نذكر هنا أنه يوجد لها عدة مراكز من بينها مصر ، وقد كانت هناك أسباب محلية مختلفة لظهورها هما حبهم للمال ودسائسهم التى كانت لا تنقطع . (١) . وفى خلال العصر الهيلانستيكى كله كان كره السامين لا يتعدى ما وراء الحدود الأدبيه المحضة . وفى مصر على أية حال نجد بعض تلميحات تظهر انها بدأت تطورا جديدا من صورتها الأدبيــة الى استفزاز قوى عملى ذى صــبغة سياسية واجتماعية . وعلى ذلك لدينا بعض معلومات عن اضطهاد لليهود حوالى عام ٨٨ ق.م، وقد قام بهــذا الاضطهاد الاسكندريون يعاضــدهم أحد أولاد

(١) راجع Heiremann R.E., Supplemented V, S.V. Antisemitismus, PP. 5 sqq.

كليوباترا الثالثة وهو بطليموس التاسع «لاثيروس» (حمص) أو بطليموس العاشر الاسكندر . هذا ونجد فى بعض الأوراق البردية المؤرخة بحوالى عام ٥٨ ق.م انه قد جاء ذكر اضطرابات محلية ، ويعتقد بعض العلماء انهذه الحوادث تشبه فى صبغتها الاضطرابات التى قامت مناهضة لليهود . ومن الأوراق الهامة جدا الورقة رقم ١٤١ (١) . ولكن مما يؤسف له أنها ممزقة تمزيقا سيئا وقد جاء فيها ان بعض أشخاص غير معروفين لنا ولكنهم ميزوا بأنهم « يمقتون اليهود » وهذه العبارة يمكن أن تستخدم بوصفها مقدمة للعهد الرومانى فعندما ظهر كره اليهود بمثابة منهاج منظم تماما لطرد اليهود من كل المراكز التى وصلوا اليها فى عهد البطالمة سواء أكانت سياسية أو اجتماعية .

تطور ثقافة اليهودية المصرية :

لا نزاع فى ان تطور الثقافة اليهودية المصرية يعد موضوعا واسعا يصعب بحثه فى هذا المختص ، ومن ثم سنكتفى هنا بتتبع الخصائص الأساسية للنتيجة الرئيسية ، وتنحصر فىصبغتهم بالصبغة الهيلانستيكية وفى تقاليدهم. وأول ما يلحظ هو أنه فى القرن الثالث ق.م قد أصبحت حدود بلاد اليهود ضيقة جدا لتكاثر سكانها باستمرار مما أدى الى انتشار اليهود بأعداد كبيرة فى كل أنحاء فلسطين وشرق الأردن . وهذه البلاد بما فيها من مدن هيلانستيكية قد حتمت على اليهود ان يتعلموا اللغة الاغريقية وكذلك كان لزاما عليهم ان يعرفوا عوائد هؤلاء القوم . ومن جهة أخرى امتدت الهيلانستيكية الى جبال يهودا ، كما ان سكان «أورشليم» اليهود أنفسهم وبخاصة الدوائر العليا الاجتماعية فيها أصبح رجالها على أية حال هيلانيى الصبغة جزئيا ، ومن ثم نجد أن الآراء والمعتقدات والعادات اليهودية قد تغيرت . ومن الأمور البارزة الغريبة عن الحياة اليهودية فى فلسطين فى خلال القرن الثالث أن البطل العظيم الذى يمثلهذا العصر كان رجلا وضع ترجمته

(١) راجع Corpus. P. 256.

كاتب أعجب به وقد حفظت لنا هذه الترجمة فيما كتبه « جوزيفس » Ant. 12, 160-195, 224. ومن المدهش أن هذا البطل لم يكن كاهنا أعظم ولا نبيا ولا حكيما بل كان من رجال الاعمال وصاحب مواهب عظيمة يمتاز بمهارته وفكره الثاقب . وقد كان فى بعض الاحيان يقسو على غيره بشدة بالغة . وهذا الرجل هو «يوسف» بن «توبياس» . وقد عرفنا من اضمامات بردى أنه شيخ ثرى يعيش فى شرقى الاردن ، ويشغل وظيفة رئيس أصحاب اقطاع من الجنود المرتزقين فى العهد البطلمى . والشيء الغريب الذى يلفت النظر فى أمر هذا الشيخ اليهودى انه استعمل فى احدى خطاباته للوزير المصرى «ابوللونيوس» الصيغة الاغريقية الدالة على الوثنية : تحيات كثيرة للآلهة (١) ، ولا غرابة اذن اذا رأينا ان ابنه «يوسف» قد فتح ابوابه للهيلانستيكية والعالم الهيلانستيكى . وكثيرا ما كان يزور عاصمة ملك مصر ويشترك فى ولائمها فى البلاط ويأكل اطعمة حرمتها التوراة ، كما كان يغازل راقصات اغريقيات (٢) . ويقول «جوزيفس» انه انتشل الشعب اليهودى من وهدة الفقر وحالة الضعف التى كان فيها وهيأ له فرصا ممتازة للحياة الطيبة Ant. 12. 224. يضاف الى ذلك انه ادخل الفنون والعادات الاغريقية فى حياة الطبقات الرفيعة من المجتمع الاغريقى .وقد سار ابنه على ما رسمه له والده بنشاط فاق نشاط والده ، حتى انه فى عام ١٧٥ ق.م أى نحو خمس وعشرين سنة بعد فتح فلسطين على يد «سليوكيس» ، أدخل اصلاحا هيلانستيكيا فى «أورشليم» . فقد أسس جمنازيوم ومكانا لتدريب الجنود (افيبون) عند حرم المعبد اليهودى نفسه ، ومن ثم اشترك كهنة صغار السن فى الألعاب الرياضية كما نظمت «أورشليم» على حسب الطراز الهيلانستيكى وسميت من جديد «انطاكيا» على شرف ملك السليوكيين «انتيوكوس الرابع ابيفان». وكان الكاهن الأكبر «جاسون» هو الذى بادر بالاصلاح والاشراف

(١) راجع Ant. 12, 188 sqq

(٢) راجع Ibid. P. 125, No. 4.

على تنفيذه (١) .

وقد كان تأثير ذلك سائدا لدرجة انه لم يقتصر على السكان الارستقراطيين والكهنة ورجال الأعمال وحسب ، بل تعدى الى بعض عناصر أهل الريف . واحسن مصدر لدينا يثبت انه عند ما بدأ «أنتيوكوس» اضطهاد الدين اليهودي ، كانت هناك قوى على استعداد لعبادة آلهة الوثنيين (٢) . وقد يخيل لغير المطلع على حقائق الأمور ان كل ما بناه اليهود من عادات ودين كان على شفا جرف هار ، غير ان متانة القومية اليهودية وبخاصة فى الارياف كانت تعمل فعلا بكل قوة وعناد لمقاومة التأثير الهيلانستيكى . وقد كان أول المهاجرين من الفلسطينيين الى مصر ليسوا تابعين فى غالبيتهم للطبقة التى أصبحت هيلانستيكية الصيغة ، بل كانوا فلاحين بسطاء من بلاد يهودا أحضروا معهم عاداتهم ومعتقداتهم ، كما بنوا مجتمعات يهودية مؤسسة على قانون التوراة ، وكذلك أقاموا معابد عندما استقربهم المقام فى وطنهم الجديد . ولا ريب أن هؤلاء الناس لم يكونوا يتمتعون بأرفع مستوى ثقافى، بل كانوا أسرى حرب وجنودا مرتزقين ، وكادحين فى الأرض ورعاة . وكان الشيء الذى ينقصهم هو القيادة المنظمة وذلك لأن من كان مستواه منحطا منهم لم يكن لديه القوة فى معظم الاحيان لمقاومة التأثير الذى كان يحيط به، وبخاصة فى الحالات التى تحتم عليهم فيها الاحوال الخارجية ان يعيشوا فى اتصال متين مع غير اليهود (٣) . ومما يؤسف له ان مثل هذه القيادة كانت معدومة . هذا ونجد بطبيعة الحال انه منذ زمن .ازرا؟ وما بعده أن ما يسمونهم كتاب (سوفريم) أخذوا فى أيديهم زعامة الثقافة اليهودية فى فلسطين . وعلقوا على تعاليم التوراة ثم فرضوا شيئا فشيئا على كل الشعب جميع نتائج دراساتهم العميقة فيما يخص القانون والدين . والواقع ان هؤلا

(١) راجع Ed. Meyer, Ursprung und Anfange Christentums II. 143 sqq., Beckermann Lott. der Makkabaer 1937, 59 sqq.

(٢) راجع (I. Macc. 2, 16-23)

(٣) راجع Breccia. BSAA IX (1907) 38 sqq., 65 sqq., XXV, 1930, 108.

الكتاب كانوا طلائع طائفة الفريسيين (أى المحافظين على الشعائر الظاهرة) . وهـؤلاء هم الآباء الروحانيون للتلمود اليهود . ومع ذلك نجد ان أتباع الثقافة الهيلانستيكية قضوا على المكانة التى كان يحتلها سابقا هؤلاء الكتاب وحرموا تعاليم الكتاب المقدس من مكانتها الهامة دون ان يكون فى مقدورهم ان يحلوا محلها تعاليم أخرى تحمل معنى خلقيا . وهذا يفسر لنا عملية صبغ اليهود المصريين بالصبغة الهيلانسيكية بسرعة . وهذه الظاهرة بدت علنا كما سيشاهد بعد ، فى انتخاب اسماء الاعلام اليهودية عند ما استعمل اليهود اللغة الاغريقية بدلا من اللغة الارامية ، كما يلحظ ذلك فى اتخاذ مبادىء القانون الهيلانستيكى وفى أخرى كثيرة . ومن جهة أخرى كان يوجد فى الأزمان المتأخرة ميل قوى متزايد بين المهاجرين فى مصر للتخلى عن تقمص الهيلانستيكية والرجوع الى التقاليد اليهودية . وسنضع هنا ملخصا مختصرا للبيانات الغزيرة التى استقيت من الأوراق البردية والمصادر الأخرى لايضاح هذه الاعتبارات العامة . والواقع أن عملية صبغ اليهود المصريين بالصبغة الهيلانستيكية عنها بدرس أسماء الأعلام واللغة والقانون .

ويمكن يفكر الانسان فى أن اختيار الاسم لطفل ولد حديثا يتوقف كلية على الرغبة التى يبديها والداه ، ولكن فى الواقع لم يكن هناك بأية حالة اختيار حر اذ ان ذلك كان يتوقف على تقاليد الأسرة والمشاعر القومية والاستعمال الشائع والتقاليد . والواقع أن اختيار اسماء الأعلام عند اليهود خلال تاريخهم الطويل كان دائما متأثرا بميلين متضادين وهما الاخلاص للتقليد القومى ثم الرغبة فى موافقة عادات البيئة . والنظرة العقلية لأى عهد خاص من التاريخ اليهودى يمكن الانسان ان يقدرها بموازنة دقيقة لقوى التقليد وقوى التوافق مع الاستعمال الشائع فمن ناحية العهد الهيلانستيكى فى مصر فاننا لو نظرنا نظرة سطحية لقوائم الاسماء التى استعملها اليهود فى الأوراق البردية لوجدنا أنها تدل على ميل قوى بين اليهود نحو الهيلانستيكيه ، هذا

وتوجد بعض الأسماء العبرية التي كانت كثيرة الاستعمال مثل «سباتايوس» و «سيمون» و يوسف و صمويل . هذا ولدينا أسماء أخرى مثل «انانياس» و «يوداس» و «جوناتان» ، آبيل ، وحجاى وحزقيا واسماعيل . ومن أسماء الأناث «سارا» و «يوحنا» و «ماريون» ؛ وهذه على الرغم من أنها ليست شائعة الاستعمال فانها توجد فى الأوراق البردية، وفى الأستراكاوفى النقوش. وكذلك توجد بعض أسماء سامية مثل «أبدايوس» (Abdaios) و «آبيتيس» (Abietes) كانت كذلك شائعة الاستعمال. وكل هذه الاسماء كانت قد أحضرها اليهود من فلسطين. واستعمالها فى مصر يمكن تفسيره بقوة التقليد والعادة الطويلة الأمد. أما الدور الذى كانت تلعبه الاسماء الاغريقية فكان مختلفا تماماً، فقد كانت اسماء جديدة وكان استعمالها يسير على حسب تصميم مرسوم، ويمكن توضيح تفوق الاسماء الاغريقية الهائل على الاسماء العبرية وبخاصة اسماء الجنود اليهود والمستعمرين الحربيين فى الفيوم خلال القرنين الثالث والثانى ق.م وهاك بعض الأمثلة . نجد فى الوثيقة رقم ٢١ (١). أن كل الاسماء الخمسة التى تحتويها هذه البردية محفوظة وكلها اغريقية ؛ وفى الوثيقة رقم ٢٢ (٢) . نجد تسعة اشخاص من عشرة ، وفى الوثيقة ٢٣ نجد أربعة اشخاص كلها اسماء اغريقية الخ (٣) . هذا وبالاختصار نجد فى الاسماء التى جاءت فى الوثائق الخاصة بالجنود اليهود والمستعمرين الحربيين فى خلال القرنين الثالث والثانى ق.م ما لا يقل عن خمسة وعشرين بالمايه اسماء عبرية (٤) وهذه الأرقام تقدم مادة ثمينة عن مسألة اندماج الجنود اليهود فى الجنود الاغريق .هذا وتدل البحوث على أن الحياة المشتركة فى المعسكرات والمستعمرات الحربية ، وكذلك الخدمة فى الوحدات المختلطة قد نتج عنها اعتناق سريع للاسماء والعادات الاغريقية هذا ويلحظ أن الاسماء العبرية والسامية كانت أكثر استعمالا بين يهود

(١) راجع Corpus, P. 157, No 21.
(٢) راجع Corpus, P. 158, No. 22
(٣) راجع Ibid. 162, No. 23.
(٤) راجع Corpus, PP. 147-178.

الوجه القبلى فى خلال القرن الثانى (١) . وعلى أية حال لابد أن نذكر أن الاسماء العبرية تدل دائما على أصل يهودى للذين يحملونها ، فى حين أن اليهود الذين يســـمون باسماء اغريقية لا يمكن التعرف عليهم الا اذا كانت أسماؤهم مميزة بأنها يهودية (٢) ومن ثم يمكننا ان نبسط أن نسبة اليهودفى الوجه القبلى الذين يحملون اسماء اغريقية الى كل اليهود الآخرين كانت أعظم بكثير كما لدينا من براهين عليها . والمجموعة الثالثة من اليهود الذين سموا بأسماء اغريقية هم أولئك الذين استعمروا «أرض أونياس» ، ولو أننا نجد هنا بالمقارنة باسماء رفاقهم فى حمل السلاح فى الفيوم أن الأسماء العبرية كانت أكثر شيوعا ، وهذا ليس بالأمر المدهش ، لأن الآخرين فد خدموا فى الوحدات المختلطة فى حين أن الأول كانوا مستقرين منذ البداية فى جيش يهودى منفصل .

ويتســاءل المرء هل كان هناك نظام ثابت لاتخاذ اسماء اغريقيــة أو هل كان الاختيار قد جاء بوحى عن ميــول منوعة لأشخاص من عامة النــاس ؟ الواقع ان الاعتبار الشخصى كان بطبيعة الحال من الممكن ان يكون له بعض التأثير ، ومع ذلك يمكن القول أنه فى الأصل أى منذ بداية هجرة اليهود الى مصر كانت هناك طريقة فى اختيار الاسماء . ومن المعلوم ان اليهود اجتهدوا فى أن يجعلوا اسماءهم الاغريقية الجديدة تكون مطابقة لاسمائهم السامية القديمة وذلك اما بالترجمة (أى على حسب معنى الاسم) أو بالمماثلة (على حسب الصوت) . ومن المحتمل أن بعض المهاجرين الأول كانوا يستعملون اسماء مزدوجة أى كان الواحد منهم يستعمل اسما عبرانيا وآخر اغريقيا . وكان المقصود من الاسم الاغريقى ان يعادل الاســم العبرى ، غير انه ليس لدينا أمثلة يمكن ان نستخلص منها العلاقة الداخلية بين الاســمين ، لا من العهد الهيلانستيكى ولا من العهد الرومانى وقد بقيت آثار مثل هذه المطابقة

(١) راجع Corpus, P. 194-226.
(٢) راجع Corpus XXIII - XX.

فى الاسماء فقط فىاختيار مجموعة منفصلة من الاسماء الاغريقية تقابل بصورة مدهشة الاسماء العبرية التقليدية . وهذه الاسماء هى التى ركبت مع اسم اله وكانت مفضلة كثيرا عند المصريين واليهود . وبعض هذه الاسماء كانت كثيرة الاستعمال عند اليهود حتى أنهـا أصبحت فى بعض الأحوال أسماء يهودية مثال ذلك اسم « دوسيثوس» (Dositheos) ، وأقل منه استعمالا اسم «تيوفيلوس» (Theophilos) (حبيب الله) . وليس لدينا شك كبير فى ان كل الاسماء قد استعملت فى الأصل معادلة للاسماء العبرية: «ماتاثياهوى» (Mathathyahu) «ناثانياهوى» (Nathanyahu) «يهوناثان» (Yehonathan) الخ . وكانت تختار لأجل ان تبرهن على الورع الخاص الذى كان يظهره اليهودى نحو الاله . ومع ذلك فانه يكون من الخطأ ان نصدق ان كل فرد يدعى «دوســيثوس» و «ثيودوتوس» كان يســمى فى العبرية «ماتاثاهــوى» ، و «يهوناثان» . والواقع ان الأسماء المركبة مع اسماء الهية بمجرد استعمالها كانت تدرج فى صفوف الاسماء الاغريقية المعتادة ولا تصبح بعد أجنبية وعلى ذلك لم يكن هناك حاجة لاسماء مزدوجة لتبرز هذا الاختيار . ومن ثم نشأ تقليد خاص يسمح بأن تستعمل اليهود الاسماء الاغريقية بحرية ، فى حين ان ذلك لم يخلق بأية حال تأثيرا يدل على أن هناك بعض عنصر أجنبى كان على وشك ان يغزو الحياة الأسرية اليهودية .

وبعد أن فازت الاسماء المركبة تركيبا مزجيا مع أسماء الاله وهى ترجمة تنكرية عن العبرية نجد أن المبدأ القومى قد طرح جانبا واستعملت اسـماء اغريقية علنا ، ومن أجل ذلك لا يوجد مقابل عبرى لمثل الاسماء : الاسكندر، بطليموس ، ارسنوى ، تريفون (Tryphon) تريفانـا (Tryphaina) وانتيباتروس (Antipatros) . وهذه الاسماء كانت تستعمل فى كل انحاء البلاد المصرية ، وذلك لأنها تشير الى اسماء الأسرة المالكة من جهة ومن جهة أخرى كانت شائعة الاستعمال فى بلاد الاغريق ومقدونيا فى العهد الكلاسيكى. وفضلا عن ذلك نجد أن هذه الاسماء فى الأوراق البردية كان يحملها يهود،

ولدينا براهين على وجودها فى النقوش أيضا (١) .

ومن الغريب ان اليهود لم يتورعوا عن تسمية أولادهم باسماء آلهةاغريق ومصريين . وعلى ذلك نجد بين اليهـود المصريين من العهد لهيلانستيكى والعهد الرومانى المبكر اشخاصا اشتقت اسماؤهم من «اثينا» و «آمون» و «ساراتيس» . ومن المستحيل أن نقرر هنا اذا كان يهودى كان يحمل واحدا من هذه الاسماء يعرف علاقة الاسم بالوثنية ، وأغلب الظن أنه كان يجهل ذلك . ومع ذلك فانه لدليل قوى على سرعة هضم يهـود مصر الطباع والعـادات الاغريقية التى تحيط بهم وذلك لأنهم كانوا مكروهين فى كل مكان أما عن اختيار الاسماء العبرية فى العهد البطلمى فلدينا ثلاثة من بينها كانت مفضلة عند اليهود وهى «سباتاى» و «سيمون» و «يوسف» . وأول هذه الاسماء كان فى العادة يطلق على الطفل الذى كان يولد يوم السبت ، وقد كان انتشار استعمال هذا الاسم على نطاق واحد فى كل البـلاد التى شتتوا فيها دليلا على الأهمية الخاصة التى كان اليهود يظهرونها لتمسكهم بيوم السبت . أما اسم «سيمون» فانه ليس مجرد كتابة بالحروف الاغريقية لاسم شمون العبرى ، بل كان هناك اسم اغريقى : «سيمون» أيضا . وعلى ذلك فلان اليهـودى الذى يسـمى «سيمون» يمكن ان يعـد خطأ على انه أغريقى . ومن خصائص اغريق العهد الهيلانستيكى فى مصر وكذلك فى ممالك أخرى بما فى ذلك فلسطين ، ان اسم «سيمون» بالذات على الرغم مماينطوى عليه من ابهام فانه كان من أكثر الاسماء شيوعا . اما عن الاسم الثالث وهو «يوسف» فقد كان اليهود المصريون يستعملونه كثيرا اكراماواحتفاء بذكرى «يوسف» الذى جاء ذكره فى التوراة وكان موضع اكبار عظيم لدى اليهود أن يكون أحد اجدادهم قد زار فرعون مصر . وعمل فى بلاطه .

اللغة اليونانية واليهود :

ومن الموضوعات الهامةعن صبغ اليهود بالصبغة الهيلانستيكية مسألةاستعمال

(١) راجع S.B. 6160, ib. 2643; ib. 2103, ib. 723, ib. 6164, ib. 6167, ib. 6650, etc.

اللغة اليونانية بدلا من اللغة العبريه . والواقع اننا لا نعرف اذا كانت اللغة العبرية مستعملة فى الحياة اليومية عند يهود مصر فى العهد الفارسى أم لا ؟ . وعلى أية حال تبرهن بعض كلمات عبرية فى المتن الآرامى الذى عثر عليه فى الفنتين على أن هذه اللغة كانت لا تزال مستعملة بعض الشيء . وبدهى ان لغة العبادة كانت اللغة العبرية ، ومع ذلك فان اللغة الآرامية كانت اللغة الرئيسية بين المستعمرين الحربيين من اليهود فى الفنتين . وكانت كل وثائقهم تكتب بهذه اللغة . هذا وكانت اللغة الارامية هى اللغة الرسمية لكل الجزء الغربى من الامبراطورية الفارسية . وكذلك كانت اللغة العامية فى سوريا بما فى ذلك فلسطين . هذا وكان المهاجرون من اليهود الى مصر فى العصر الهيلانستيكى يستعملون اللغة الارامية فى حياتهم اليومية ، وذلك على الرغم من ان كثيرا منهم كانوا بطبيعة الحال يعرفون العبرية أيضا . وفى خلال القرن الثالث كله وكذلك النصف الأول من القرن الثانى ق.م على مايظن استمر يهود مصر يتكلمون الآرامية كما يبرهن على ذلك ما جاء فى الأوراق البردية وقطع الاستراكا المكتوبة بهذه اللغة (١) . وقد انقطعت عنا بعد ذلك لمدة قرن الوثائق الآرامية فهل ياترى هذا يعنى مجرد صدفة ؟ قد يكون الأمر كذلك لأنه لا يمكننا ان نفرض اختفاء اللغة الارامية من مصر اختفاء تاما ، وذلك لأنه كان يوجد هناك تيار مستمر من المهاجرين السوريين (بما فى ذلك اليهود) فى خلال كل من العهدين الهيلانستيكى والرومانى . ومع ذلك فانه من المرجح أن اللغة الآرامية على الرغم من أنها كانت لاتزال يتحدث بها فى مصر فانها قد انقرضت بوصفها لغة أدب ، وعلى ذلك لم يكتب بها وثائق. وقد حل محل اللغة الارامية بوصفها لغة تجارة اللغة الاغريقية بصورة تامة (٢) .

هذا وقد أصبحت اللغة الاغريقية بسرعة لغة التعامل اليومية كذلك ، وبخاصة بين الطبقات الراقية من المجتمع اليهودى . هذا ولما كانت اللغة

(١) راجع Cowley, P. 119. Cf. Torczyner. The Lachish. Hebrew Edition, 16, note 1.

(٢) راجع Blau, Papyri und Talmud, 10; Fuchs, 115.

الآرامية ليست لغة اليهود الوطنية كما أنها لم تكن لغة الكتب المقدسة ، فان احلال اللغة الاغريقية مكانها لم يؤثر فى الأسس القومية للحياة اليهودية ، وان كان على الرغم من ذلك قد أثر فى منظرها الخارجى وقلل من الفروق بين طرق الحياة عند اليهود وطرق الحياة عند الاغريق . وقد كانت الضربة التى أصابت اللغة العبرية أعنف وأشد عندما ترجمت التوراة الى الاغريقية اذ نجد أن الحياة القومية قد تأثرت من أساسها . والواقع أن قراءة التوراة فى البيع اليهودية (المعابد) والتعليق عليها كان من المميزات الرئيسية فى حياة يهود مصر من حيث الدين والثقافة ، فقد كانت كل الحياة العامة والخاصة لليهود من دين وقانون وعادات متصلة بالتوراة ومما يجدر ملاحظته أنه منذ اللحظة التى تمت فيها ترجمة التوراة أصبحت دراسة اللغة العبرية مهملة . ولما كانت هذه اللغة غير شائعة كاللغة الآرامية التى كانت تستعمل بوصفها لغة عامة يتحدث بها الناس يوميا ، فانها اختفت كلية من الحياة اليهودية فى مصر .

ويلحظ أن العلماء الأحداث يفحصون بالتطويل مسألة ما اذا كان «فيلو» (١) اليهودى الذى يعد أكبر مفكر فى هذا العصر يعرف اللغة اليهودية أم لا ؟ (٢) .

والواقع أن كل العلماء لهم الحق فى وضع مثل هذا السؤال . وذلك لأنه فى زمن «فيلو» لم تكن اللغة العبرية معروفة فى مصر على وجه التقريب . وعلى ذلك نجد ان اليهود قد تركوا جانبا وصية من أهم الوصايا الثقافية التى وصى بها بنو اسرائيل القدامى ، وأعنى بذلك التمسك بلغتهم القومية ويمكن تفسير السبب الذى دعا الى هذه القطيعة بسهولة ويسر ، وذلك أن اللغة الاغريقية وقتئذ كان يتحدث بها فى كل مكان وكانت تعد لغة أعظم ثقافة فى العالم . هذا الى جانب قيمتها الدولية العظيمة فى حين أن اللغة اليهودية وهى لغة قديمة كان يتكلم بها قوم واحد فقط ، وكانت آخذة فى

(١) عاش فى القرن الاول الميلادى

(٢) راجع Ed. Stein die Allegorische, Exegese des Philo aus Ale 20 sqq.

الاختفاء باضطراد حتى كادت تصبح لغة آجنبية بين قومها . واذا كان يهود الاسكندرية يرغبون حقا فى المحافظة على التوراة ككتاب مقدس فان الطريقة الوحيدة للوصول الى ذلك كانت ترجمته الى اللغة الاغريقية ، ومن أجل ذلك هجروا استعمال اللغة العبرية محافظة على تعاليم موسى .

ويمكن المرء أن يتساءل : اذا كان حقا مذهب موسى هو الذى حفظ فى الترجمة الاغريقية للتوراة أم لا ؟ والواقع أن كل ترجمة عن لغة أجنبية حتى ولو تمت بمنتهى الدقة فانها لا تخرج عن كونها ترجمة ، وذلك لأن الكلمات المقابلة فى اللغتين يختلف مضمون الواحدة عن الأخرى ، فالتوراة باللغة الاغريقية قد أصبح اغريقيا فى فكرته ، وكذلك فى لغته ، ويرجع ذلك الى ان كل التعابير الدينية والقانونية التى استعملها المترجم لم تصبح بعد التعبيرات التقليدية لاسرائيل القديمة بل أصبحت تعابير اغريقية حديثة تستدعى ارتباطات عدة بالادب الاغريقى الكلاسيكى وبالتعامل القانونى الهيلانستيكى. يضاف الى ذلك ان المترجمين الذين كانوا يعملون كل ما فى طاقتهم للمحافظة على معنى فقرات التوراة لم يوفقوا دائما لاختيار الالفاظ اليونانية التى تقابل الالفاظ العبرية ، وعلى ذلك فان الترجمة الاغريقية كانت بعيدة عن الأصل العبرى، ومن ثم فان توراة موسى قد غيرت وحرفت كلماتها عن مواضعها وهذا أمر له أهمية سياسية فى كل التطور الثقافى ليهود مصر (١) .

وقد اتخذت الترجمة السبعينية من الوجهة الأدبية أساسا لرفعة الأدب الاسكندرى اليهودى وتطوره . وهـذا الأدب أساسه الكلى يرتكـز على التوراة الاغريقية فى لغته ، وكذلك فى مقاصده الأساسية من حيث الرواية وقد أرخ يهود الاسكندرية ترجمة التوراة بعهد «بطليموس الثانى» وهـذا التاريخ يمكن اعتماده على أية حال بأنه بداية لترجمة التوراة ، وذلك لأن المؤرخ اليهودى «دمتريوس» الذى عاش فى نهاية القرن الثالث ق.م قد فرض

(١) راجع Ibid. P. 31, note 80.

وجود متن سعر التكوين فى هذه الفترة (١) . وقد استمرت ترجمته فى القرن الثانى ، وعلى ذلك فانه فى نهاية الترجمـة كان كل اسفار موسى الخمسـة والأنبياء والهاجيوجرافيا (Hàgiographia) (والأخير يشمل المزامير والأمثال وأيوب ونشيد الأناشيد وراعوت والمراثى و«استر» و «دنيال» ، «عزرا» ونحميا والأيام وبالاختصار فان هذا الاسم هو بالعبرية«كتوبيم» ويحتوى على كل الكتابات المقدسة العبرية وهى عبارة عن كل الكتب التى لا توجد تحت القانون والانبياء) .قد تمت ترجمتها فعلا الى الاغريقيـة . وقد كان يهود الاسكندرية مزهويين بانجـاز هذه التـرجمة . والاعتقـاد السائد أن المبادرة الى ترجمة الكتاب المقدس الى الاغريقية قد نسبت الى العلماء الاغريق الذين كانوا فى بلاط «بطليموس الثانى» . ويقال أن الترجمة قام بها اثنان وسـبعون عالما يهوديا وكانوا قد ندبوا لذلك خصيصـا من فلسطين . وقد أعتبر يوم الانتهاء من هذه الترجمة عيدا قوميا (٢) .

القـانون اليهودى

ننتقل الآن الى التحدث عن القانون اليهودى الهيلانستيكى . فمما لا نزاع فيه وجود قانون مستقل للجماعات اليهودية ؛ وقد رأينا فيما سبق أن مجرد وجود مجتمع يهودى (Politeuma) لابد كان مؤسسا على حق الانسان فى أن يعيش على حسب قوانين الأجداد . ويبرهن على هذه الحقيقة مصادر مختلفة . والواقع أنه من المسائل التى قام حولها جدل كثير مسـألة ما اذا كانت ترجمة «فيلو» لقوانين التوراة فى كتابه المسـمى Despecialibus ligibus يعكس ضـوء صورة للمعـاملات القانونية للمحاكم اليهودية فى الاسكندرية أو أنه عبارة عن تفسير وضعه لهذا القانون . وعلى أية حال فان هذا الموضوع يحتاج الى بحث طويل . ولا نزاع فى أن الموضوع فى حد

(١) راجع Freudenthal, Alexander Polyhistor, 1875, 40 sq; Schurer, III, 473; Cf. Herrmann und Baumgartel, Beitrage zur Entstehungsgeschichte der Septuaginta, 1923, 48 sqq.

(٢) راجع Philo. Vita Masis, 2. 41.

ذاته سليم ، وذلك لأنه فى ذلك الوقت كان فى الامكان وجــود قضاء يقوم بمثابة مرشد للقضاة اليهود فى الاسكندرية ؛ ولكن لما كانت الأوراق البردية تقدم لنا نماذج كثيرة من هذه الوثائق القانونية خاصة بقضــايا ليهــود لهم بها صلة ، فانه من الطبعى أن يبقى علينا أن ننتظر بعض براهين تلقى ضوءا جديدا على هذا السؤال . ولكن مما يؤسف له أن الأوراق البردية فى هذا الصدد مخيبة للأمل ولم يذكر لنا الا مرة واحدة ادارة محرر عقود يهودى فى الاسكندرية (١) . وفى وثيقة أخرى جاءت اشارة غامضة لعبارة « قانون سـياسى وذلك على وجه التخمين (٢) . ومن جهــة أخرى نجــد فى أوراق البردى براهين قيمة ليهود كانوا يستعملون بحرية القانون الهيلانستيكى المشــترك ؛ وقد استنبط من الفصل الثــالث من مجموعة الوثائق الخاصة باليهود (٣) الصورة الآتية :

١ ــ كتبت الوثائق الخاصة باليهود بالطريقــة العادية المتبعــة فى الوثائق الهيلانستيكية أى بمثابة وثائق شهد فيها ســتة أشخاص أو صكوك تنازل Corpus, P. 148, No. 18 ومما يجب التأكد منه أنه حتى الفقرة التى كانت تحتوى على ألقاب الملوك المؤلهين لم تحذف قط (٤) .

٢ ــ وعندما كانت الوثيقة تحرر فى ادارة فانهــا لا تكون ادارة مجتمع يهودى (حتى لو كان المتعاقدان يهوديين) ، بل كانت تحرر فى ادارة سجل حكومى ، وكان موظف الحكومة (Agoranomos) يوقع بخطه (٥)

٣ ــ وعندما كان يوجد لدى اليهود مخاصمات للبت فيهــا فانهم كانوا يرفعون ادعاءاتهم أمام أصحاب الشأن من رجال الحكومة بالطريقة المعتادة وذلك بتقديم طلب موجه للملك ، وكانت المحكمة التى تفصل بين اليهــود

(١) راجع Corpus,. No. 143.
(٢) راجع Corpus, P. 236, No. 128.
(٣) راجع Corpus, P. 146-178.
(٤) راجع Corpus, P. 148, No. 18, 22-24.
(٥) راجع Ibid. P. 162, No. 23; P. 162, No. 26.

محكمة اغريقية (١) .

٤ — وكانت القوانين واللوائح التى تؤلف الأساس القانونى لأعمال الحياة اليهودية هى القوانين العامة للاغريق فى مصر أى القوانين واللوائح التى أصدرها الملك أو القوانين المؤسسة على التشريع المنوع للمدن الاغريقية (وهو ما يسمى بالقانون المدنى) . ونجد فى المتن رقم ١٩ (٢) . محكمة العشرة الاغريقية وهى التى تبحث فى شقاق وقع بين يهودى ويهودية . وينص المتن بوجه خاص على لوائح الملك والقانون المدنى بوصفه الأساس القائم للحكم . وفى الوثيقة رقم ٢٣ (٣) قد أشير الى القانون الملك وعلى حسبه قد فصل فى نزاع خاص بين يهوديين .

ومن كل هذه المواد يظهر أناليهود كانوا يستعملون القانونالهيلانستيكى استعمالا كبيرا . هذا ولما كانت الأمثلة التى ذكرناها فيما سبق تشير الى جنود يهود ومستعمرين حربيين فى «الفيوم» فى خلال القرنين الثالث والثانى ق.م. فانه يمكن أن نفرض أنه لم تكن توجد مجتمعات حسنة التنظيم فى المعسكرات ؛ وعلى ذلك فان الجنود اليهود كانوا أعظم عنصر مصبوغ بالصبغة الهيلانستيكية بين اليهود فى مصر .

وعلى أية حال لدينا براهين أخرى يمكن تطبيقها بصورة أعم . فلدينا مجموعة من البردى الاسكندرى جمعت فى فصل خاص وتكشف لنا عن نفس الحالة كالتى فى مجموعة الوثائق التى فى الفقرة الثالثة من مجموعة الوثائق الخاصة بالجنود اليهود (٤) . والواقع أنه اذا كانت توجد أية محكمة مستقلة فى أى مكان فى مصر تصدر أحكاما على حسب مبادىء القانون اليهودى فلا بد أن يكون مقرها الاسكندرية . وقد رأينا أن مثل هذه المحكمة كان موجودا فعلا ؛ ومع ذلك فان الأوراق البردية فى هذا الصدد

(١) راجع Corpus, P. 151, No. 19.
(٢) راجع Corpus, P. 151, No. 19.
(٣) راجع Corpus, P. 162, No. 23.
(٤) راجع Corpus, P. 147 ff.

مخيبة للأمل . وقد كان اليهود يضعون قضاياهم وشئون أعمالهم أمام رئيس ادارة تحرير الوثائق ، وهو الذى كان يقوم فى الوقت نفسه بأعمال محكمة العدل .

وهذه كانت ادارة اغريقية عادية لا يديرها يهـود . وكانت الوثائق التى تصدر عنها تحمل اسما خاصا . وهذه كانت على ما يظهر النموذج الأصلى للعقد الاسكندرى . ومن بين العقود الخاصة بيهود وثيقة طلاق (Corpus, 44) واتفاقان مع مرضعتين . وبعض عقود سـلفيات . وكل هـذه العقود كتبت بالاغريقية وحررها موظفون اغريق بنفس الطريقـة التى تحـرر بها وثائق الشعب الاغريقى ، ومن ثم نفهم أن حياة اليهود الاسكندريين الأسرية من حيث زواجهم وطلاقهم كانت تنظم بعقود على حسب القانون الهيلانستيكى(١) وهذه المسألة فى الواقع من الأهمية بمكان . والواقع أن الاطار القـانونى يعكس صورة أحوال الحياة التى من أجلها أنشىء . فاذا كان العقد والادارة والمحكمة كلها اغريقية فان القوانين واللوائح كانت كذلك اغريقية. وعلى ذلك فاننا نواجه احتمال أن اليهود المصريين كانوا لا يعيشون على حسب تعاليم التوراة بل على حسب القانون الهيلانستيكى العام . والآن يتساءل الانسان: هل المصادر التى فى متناولنا تقدم لنا أى برهان على ذلك ؟

ولابد للجواب على ذلك من أن نؤكد حقيقتين تبرهنان على التأثير القوى للقانون الهيلانستيكى على اليهود فان الحقيقة الأولى هى التى تحدثنا عن مركز المرأة فى المجتمع. فمن المعلوم أنه لم تظهر امرأة اغريقية فى أية محكمة دون أن يكون معها حارس أى رجل يمثلهـا ويقوم بدلا منها بالدور المطلوب منهـا أمام السلطات القضائية . وكان أمثال هؤلاء الحراس بوجه عام من ذوى القربى أى الزوج أو الولد أو الابن وهذه العادة تعتبر نتيجة منطقية لانحطاط مركز

---

(١) راجع Schubart Arch. V. 47 sqq., Miteis, Grundz, 65 sqq.

المرأة الاغريقية فى الأزمان الكلاسيكية (١) .

أما المرأة اليهودية فكانت على العكس من أختها الاغريقيـة لم تكن قط تحت سيطرة الرجل أو تابعـة له ، وعلى ذلك فانهـا لم تحتج قط لحارس يمثلها ومع ذلك فان الأوراق البردية الهيلانستيكية والرومانية على السواء تقدم لنا أمثـلة عدة عن نساء يهـوديات قد مثلن حراس (٢) . وواضح من هذه الأمثلة ان العادة الاغريقية قد نقلها عنهم اليهود ، هذا ويعزز البراهين التى أخذت عن الأوراق البردية مصادر أخرى أدبية . من ذلك ما حدثنا به «فيلو» عن زواج المرأة عند اليهود فهو يؤكد أن العريس يطلب عروسه من والدها ، واذا كان الوالد ليس على قيـد الحياة كان عليـه أن يطلبها من اخوتها أو القائم عليها أو من حراس آخرين(٣) . وهذا البيانالذى قدمه لنا «فيلو» لايتفق مع قانون التلمود الذى لا يعرف الا قيما واحدا على المرأة وهو والدها الذى يحفظ لنفسه هذا الحق على ابنته الى أن تبلغ الثانيةعشرة يوما واحدا من عمرها . هذاوقد صورلنا «فيلو» فى مكان آخر منكتابه (٤) أحوال الحياة العامة للمرأة المستقيمة السيرة . فيقول أنه كان عليها أنتصرف الشطر الأعظم من يومها فى البيت ، ولا تختلط بالناس فى الأسواق ، وأن تختار اهدأ ساعة فى اليوم لتذهب فيها لأداء الصلاة فى المعبد . هذا وعندما كان « فيلو » يتحدث عنحادث تفتيش عنسلاح أصدر به الحاكم«فلاكوس» أمرا على أن ينفذ فى بيوتات يهود اسكندريين ، وصف لنـا غضب النسـاء اليهود عندما اقتحم رجال الحاكم خدورهن (٥) . ومن ثم يجوز لنا أن نفهم

(١) راجع Erdmann, Die Ehe in Alten Griechenland 1934, 33 sqq. For Hellenestic Egypt. Cf. P. Meyer, Jur. Pap. P. 31; Egon Weiss, Arch. IV. 78.

(٢) راجع Corpus, P. 151, No. 19; Ibid. P. 168, No. 26, etc.

(٣) راجع De spec. leg. 367.

(٤) راجع De Spec. leg. 3, 169-71.

(٥) راجع Flacc. 89.

أن مركز المرأة اليهودية فى الأسرة وفى المجتمع الاسكندرى كان يشبه مركز جاراتها الاغريقية الى درجة كبيرة أكثر من مركز أختها اليهودية فى فلسطين.

والحقيقة الثانية لها صلة بشئون المعاملات . فمن المعروف لنا أن التوراة تحرم قرض نقود بالربى ليهودى (١) . وأنظمة التلمود كانت أشد صرامة فى هذا الصدد ، اذ لا تحرم الربا فى صورته العامة وحسب بل تحرم حتى أى زيادة فى رأس المال يشبه الربا(٢) . ومع ذلك فان الأوراق البردية تبرهن على أن اليهود كانوا يقرضون نقودا ليهود مثلهم بفائدة منتظمة قدرها ٢٤٪ (٣) . ولدينا حالة واحدة عن قرض بدون فائدة (٤) خاص بيهود فيما بينهم . ولما كانت مثل هذه القروض قد أشير الى ابرامها بين اغريق ومصريين كذلك ، فان بعض العلماء قد وضع نظرية تدل على تأثير يهودى على القانون الهيلانستيكى(٥) ، ولكن السلفيات التى كانت بدون فائدة وبخاصة القمح كانت أقدم من قانون التوراة ، ومن المرجح أن مثل هذه السلفيات كان يعقدها كثير من الأقوام المزارعين فى الشرق القديم (٦) . ومن ثم أصبح من المعقول أن نسلم أن مثل هذه القروض الخالية من الفائدة كما جاء فى الأوراق البردية ليست الا بقايا بعض عادة من الشرق القديم . ومما تجدر ملاحظته هنا أن القروض الخالية من الفائدة كانت أحيانا أشد وطأة على المدين من القروض العادية ، وذلك لأن مثل هذه القروض كانت فى العادة تقرض لمدة قصيرة من الزمن وكان على المدين اذا تأخر فى السداد فى الوقت المحدد أن يدفع غرامة فادحة . ومن ثم يمكن أن نستنبط أن اليهود المصريين كانوا يسيرون فى أمور

(١) راجع Exod. 22, 24; Deut. 23, 20.
(٢) راجع M. Baba Mezia, 5, 1; 5, 7; 5, 9.
(٣) راجع Corpus, P. 156, No. 20; Ibid. P. 164, No. 24.
(٤) راجع Corpus, P. 162, No. 23.
(٥) راجع The Adler Papyri, Introduction, P. 5.
(٦) راجع Lutz, Legal and Economic Documents from Ashjaly (1931), 20th Century Assyria.
راجع عن قروض بدون فائدة فى آشور وبابل فى خلال الالف الثانى والاول ق

معاملاتهم على حسب المعاملات القانونية المتبعة فى حكومة البطالمة ؛ وذلك باتفاق تام مع مبادىء قانون التلمود المعروفة وهى التى وضعت فى صيغتهـا النهائية فى القرن الثالث بعدالميلاد بمقتضىالقول البابلى كما صاغهمارسمويل وهو : ان قانون الحكومة الحاكمة هو القانون (١) .

على أنه ليس القصد هنا انكار تأثير قانون اليهود المستقل فى المجتمعات اليهودية فى مصر فقد كانت توجد محاكم يهودية فى مصر وعلى أية حال فى الاسكندرية . وكان كتاب التوراة هو الأساس القانونى الرسمى للمجتمعات اليهودية ، ولكن واجبنا هنـا هو التعليق على ما جاء فى الأوراق البردية . ولا جدال فى ان هـذه الاوراق ، بصرف النظر عن ادارة تحـرير العقود اليهودية التى جاء ذكرها فى وثيقة (٢) . وبصرف النظـر عن احتمال وجود اشـارة لبعض قانون سياسى جـاء فى الوثيقة رقم ١٢٨ ، فانه لم يشر قط صراحة الى وجود قانون يهودى . ولما كان القانون اليهودىيظهرجنبا لجنب مع قانون آخر غير اليهودى فانه لا يجب علينا ن نعتبر وجود هذه الظاهرة فى مصر بالأمر الغـريب (وأبرز مثـال لذلك هو وجـود القانون الربانى والقانون المسمى القـانون الفلسطينى فى بلاد فلسـطين فى عهد الوصـاية البريطانية واستمراره فى اسرائيل الحالية) بل ينبغى علينا أن نتقبله على أنه نتيجة منطقية لرأيين مضادين فى اليهودية لمصرية وكان تغيير ذلك سببه هو الرغبة فى اتباع التقليد القومى الدينى القديم ومن جهة أخرى الرغبة الملحة فى الاشتراك فى كل مظاهر الحياةالهيلانستيكية . وفىاستطاعتنا أن نسلم هنا انه عندما كان المجتمع اليهودى يتأثر بوجه عام فان الرأى الذى يميـل الى التقليد القـديم كان هو الرأى المتفوق . ولكن الأفراد اليهود عنـدما كانوا

---

(١) راجع Is Herzog, The Muin Institution of the Jewish Law, 1 1, 1936, 24 sqq.

(٢) راجع Corpus, No. 143.

يواجهون بمسائل الحياة اليومية التى لاتحصى فانهم كانوا اكثر تحولا الى الرأى الثانى أى الرغبة فى الاشتراك بقوة فى أوجه الحياة الهيلانستيكية وقوانينها

ولسنا فى حاجة الى القول أن مدينة الاسكندرية التى كانت مركز الهيلانستيكية العظيم قد ظلت أعظم مدينة فى العالم الهيلانستيكى فى البحر الأبيض المتوسط الى أن غطت عليها روما ، هذا فضلا عن انها كانت مركز اعمــال وادارة وثقافة ممتازة فقد اجتذبت اليها أناسا من بلاد عدة وبخاصة من مدن بلاد الاغريق وكانت تقام فى هــذه المدينة أعياد بهجة على شرف الآلهة الاغــريق وملوك البطالمة والمؤلهين ، وكانت تمتاز بوجود الميوزيون فيها وهو مايمكن التعبير عنه حديثا على وجه التقريب بأكاديمية العلوم والفنون والآداب ، والمكتبة العظيمة التى تزخر بكنوز كثيرة من كتب الأدب الكلاسيكى . وقد خضع اليهود بطبيعة الحال لسلطان الحياة الاغريقية والفكر الهيلانستيكى الذى كان سائدا فى تلك المدينة الفذة . ومنذ القرن الثالث ق.م. نسمع عن فرد يهودى هجر المجتمع اليهودى وتخلى عن دين موسى ، واتخذ لنفسه سبيلا ناجحة فى بلاط البطالمة وهذا اليهودى هو «دوسيثيوس» (Dositheos) الذى أعلن ارتداده عن يهوديته كما ذكر لنا مؤلف الكتاب الثالث للمكابى (١) وقد عرف تاريخ حياة هذا الرجل فى البلاط البطلمى من وثيقة معروفة لدينا (٢) ولا نعرف كم من اليهود قد حذوا حذوه فى هذه الطريق . غير أننا نعلم أن الارتداد عن اليهودية فى هذه الفترة لم يكن أمرا شائعا بين يهود الاسكندرية. وعلى اية حال لم يكن الارتداد شائعا فى تاريخ اليهودية قط . والواقع ان اليهودى كانت لديه فرص أخرى لاظهار ميله الى الهيلانستيكية ومباهجها. فقد كان فى مقدوره أن يفعل ذلك بالتكلم باللغة اليونانية وكان فى استطاعته ان يفعل اكثر من ذلك فكان فى مقدوره أن يصل الى ذلك بالتعمق فى الثقافة

(١) راجع Macc . I – 3
(٢) راجع Corpus P. 230, No. 127.

الاغريقية وكان فى مقدوره ان يساعد الاغريق فى انشـاء قيم تقافيه جديدة فى اللغة الاغريقية . ولا نزاع فى أن الترجمة السبعينية قد وضعت الأسس لاقامة أدب هيلانستيكى كتبه يهود وبخاصة بأقلام يهود اسكندريين. ففى القرن الثالث وضع يهودى يدعى «.ديمتريوس» مؤلفا يشبه تاريخ الأجداد لقوم اليهود . هذا وتنسب كتابات كل من «أريستاس» و «ارتابانوس» و «فيلو» الشاعر وحزقيال الروائى المسرحى وغيرهم ، الى القرن الثانى والنصف الأول من القرن الأول ق.م. يضاف الى ذلك الفيلسوف اليهودى «اريستوبولوس» الذى سبق ذكره ، وهو الذى عاش فى عهد بطليموس السادس «فيلومتور» فقد أهدى هذا الفيلسوف مؤلفه للملك . على ان هذه البدايات فى الادب اليهودى الهيلانسـتيكى بعيدة عن أن تكون وافية ، بل نجد أنها مخيبة للأمل الذى كان يرجى منها . وذلك لأنه باستثناء « رسـالة أريستاس » لانجد أنه قد وضع مؤلف ذات قيمة أدبية عظيمة . وعلى أية حال فان مايهمنا هنا ليس ما وصل اليه اليهود الاسكندريون من مستوى أدبى بل يهمنا مقدار ماوصلوا اليه من صبغ أنفسهم بالصبغة الهيلانستيكية، ومن وجهة النظر هذه نجد ان انتاجهم الأدبى يستحق الاعتبار . فقد كتب «فيلو» الشاعر ملحمته عن «أورشليم» بشعر سداسى الوزن وقد كان يقصد بذلك بداهة أن يصبح «هومر» اليهود ، غير انه لم يفلح فى محاولته، وكتاب «حزقيال» عن خروج بنى اسرائيل لا يخرج عن كونه من تقليـد الروائى الاغريقى ايريبيـديز (Euripides) ، هـذا وقد كان المفـروض ان «اريستوبولوس» يعتبر فيلسوفا مشاء من اتباع مدرسة ارسطوطل . هذا ونجد أن الاسلوب الهيلانى الذى اتبع فى الترجمـة السبعينية كان مسيطرا فى مثـل هـذه المؤلفـات التاريخية مثل كتابى المكابى الثانى والثالث . هذا ويلحظ ان اكثر من ثلث رسالة «اريستاس» قد خصصت لوصف مجلس شراب ومنادمة وهو صورة أدبية كان يفضله الكتاب الاغريق منذ عهد أفلاطون واكزنوفون ومابعدهما.

والحقيقة اننا نجد التأثير الاغريقى مسيطرا فى كل فروع الادب اليهـودى الهيلانستيكى وبخاصة فىالشكل والىحدما فى المحتويات(١) . ولانزاع فىأن الادب الاغريقى والفلسفة الاغريقية كان يدرسهما بعناية يهود الاسكندرية. على ان مثل هـذا الدرس لم يكن من المستطاع الحصول عليه دون معرفة متينة للعناصر الاساسـية للثقافة الاغريقية ، ومن ثم يظهر أمامنا السـؤال التالى : ما هو نوع الثقافة التى كان يلقنها يهـود الاسكندرية لأولادهم ؟ وهذا السؤال ليس عديم الفائدة وذلك أنه فى بداية العهد الرومانى فى مصر كان حق اليهود فى اعطاء أبنائهم تعليما منتظما فى معـاهد تربية اغريقية من المسائل التى احتدمت المعارضة فيها من جانب السكان الاغريق وانتهى الأمر بان حرمت السلطات الرومانية ذلك على اليهود . والمهم هنا ان ندرس أصل هذا التحريم . فالتعليم الاغريقى كان مركزه الجمنازيم حيث يدرب الأولاد الاغريق على الالعاب الرياضية كما كانوا يتعلمون المعلومات الضرورية من الأدب والثقافة الاغريقيين . ويتساءل الانسان هنا : هل كان مصرحا لليهود فى عهـد البطالمة أن يرسلوا أبناءهم الى الجمنازيم ؟. والواقع أنه ليس لدينا برهان مباشر على انهم كانوا يفعلون ذلك ، ولكن يمكن الاجابة على هذا السؤال بفحص بعض أدلة لها علاقة غير مباشرة بالموضوع . فنجد أولا فى بداية الحكم الرومانى فى مصر ان اغريق الاسكندرية كانوا يعارضون أشد المعارضة كل محاولات غير الاغريق (اى من مصريين ويهود) فى ان يجندوا اولادهم بين «الافيبون» . وقد وافق «كلوديوس» على هذه الدعاية فحرم على اليهود الاشتراك فى ألعاب الجمنازيم أى أنه طردهم منها . واذا ناقشنا موضوعنا من هذا البيان فانه فى استطاعتنا ان نستنبط أنه فى العصر السابق العصر الرومانى كان اليهود يدخلون الجمنازيم دون كبير عناء . وثانيـا نجد فى العهد البطلمى أن الجمنازيم كانت فى أيد حـرة ، وبقـدر ما يمكن أن

(١) راجع Arist. 187-307.

نستخلص من الوثائق التى فى أيدينا أنه لم تكن هناك مؤهلات خاصة يحتاج اليها للدخول فى الجمنازيوم (١) . وفضـلا عن ذلك كان اليهـود انفسهم مهتمين فى تعليم الجمنازيوم وذلك لأن أولئك الذين كانوا تعلمون فيها هم الذين كان فى مقـدورهم ان يحصلوا على حقـوق مدنية فى مدينة مثـل الاسـكندرية ، يضاف الى ذلك أن مثل هـذا التعليم كان يمهد الطريق للدخول فى المجتمع الاغريقى . حقا ان التقليد اليهودى لم يحبذ المصارعات الجمنازية وبخاصة عندما نعلم أن تعليم الجمنازيوم كان له اتصال وثيق بالديانة والعـوائد الاغريقية ، غير أن مبـادىء التقاليد الجامدة لم تكن بحالة من الاحوال صاحبة الحظوة فى الاسكندرية ، ومن الحقائق الثابتة أن يهـود الهجرة لم يمقتوا تعليم الجمنازيوم أو المصارعات أو الالعاب العـامة كما يدل على ذلك أمثلة عدة . هذا ولا ينبغى لنا أن ننسى أنه فى عام ١٧٥ ق.م. قد أقيم جمنـازيوم و «افيبيون» فى أورشليم فى قلب اليهودية التقليدية وأخيرا يمكن بالبرهنة على مثل هـذا التعمق فى صـور الفـكر الاغريقى ومحتوياته كالذى وصل اليه «فيلو» الفيلسوف مثلا كان مستحيلا دون أن يكون قد أفعم بالروح الاغريقية الكلاسيكية ، وهذه الروح كان لا يمكن تربيتها دون الاشتراك لمـدة بعض أجيـال من الأسر اليهـودية فى التربية الجمنازية .

هذا وتقودنا مسألة التربية الجمنازية الى سؤال آخر أوسع حالا وهو : هل كان مسموحا لليهود ان يصبحوا مواطنين اسكندريين ؟ وهذا السؤال قد نوقش كثيرا فى البحوث الحديثة . فالعلمـاء الذين يقولون ان يهـود الاسكندرية كان لهم حقـوق المواطن الاغريقى هم شـورر وغيره : (٢)

---

(١) راجع P. Ent. 8.

(٢) راجع Schurer III, 122 sqq.; Juster II, 1 sqq.; De Scantis, Rev. d. Filol. 111, 1924, 473 sqq.; Cf. also Momigliano, Claudius, 1934, 96, No. 25;

أما الذين يعارضون هذه الفكرة وهى التى اصبحت الرأى المقبول هم (١) .
والواقع انه فيما يخص اليهود فى هـذه الناحية فى عهد البطالمة فيمكن أن نستعرض بعض اعتبارات عامة فى هـذا الصدد . فمن البدهى أن ما يخص المجتمع اليهودى الاسكندرى لا يدخل فيما يتعلق بالاسكندرية التى تعد مدينة اغريقيـة ، وذلك لأن كلا من المجتمع والمدينة كان يعتبر من الوجهة القانونية وحدة سياسية قائمة بذاتها مميزة عن الأخرى . ويمكن أن نفرض أن كل مهاجر يهودى وصل الى الاسكندرية من فلسطين او من القرى المصرية يصبح ان عاجلا أو آجلا عضوا فى المجتمع اليهودى الاسكندرى ، ولكن قد يكون من باب السخف أن نفرض ان يهوديا كهذا يمكنه أن يدخل تلقائيا فى صفوف مواطنى اغريق الاسـكندرية . ولما كانت الهجرة اليهودية من فلسـطين الى مصر وبخاصة الى الاسكندرية لم ينقطع تيارها طوال العهد الهيلانستيكى ولما كانت الاسكندرية — كما يمكن أن نفرض — كذلك قد اجتذبت كثيرا من اليهود من القرى المصرية ، فانه فى الاستطاعة أن نستنبط أن الأغلبية العظمى من السـكان اليهود الاسكندريين لم يكونوا متمتعين فى الواقع بالحقوق المدنية . ومع ذلك فان وجود مواطنين يهود فى الاسكندرية لا يمكن انكاره ، وانه من المهم أن نعرف كيف يتسنى ليهودى أن يصبح مواطنا اسكندريا والواقع أن الحصول على حقوق مدنية فى مدينة اغريقية كان دائما اجراء معقدا ، وبوجه عام كانت الحقوق المدنية تمنح لأفراد بقرار خاص من المجلس ومن الجمعيـة العمـومية كمكافأة على خـدمة قدمت للمدينة . هذا وكان منح حقوق مدنية لجماعات كاملة نادرا جدا (٢) . غير

(١) راجع Willrich Caligula, Klio III, 1903, 403 sqq.; Bludau, Juden und Judenverfolg. 17; Fuchs, 79 sqq.; Schubart. Arch. V. 108 sqq.; Wilken, Antis. 786 sqq; Engers, 2 Klio XVIII, 83 sqq Christians, 12 sqq.

(٢) راجع Tarn Hellenistic Civilisation. 3rd Ed. P. 79 sqq

أن المؤتمر فى الاسكندرية على أية حال كان فى بعض الأحوال شاذا ، وذلك انه على الرغم من أن الاسكندرية كانت نظريا مدينة اغريقية حرة مستقلة ، الا أنها لم تكن فى الواقع لا حـرة ولا مستقلة ، وذلك لأنها كانت عاصمة مصر ومقـرا للملك وبلاطه . فكانت حكومة البطالمة تراقب هـذه المدينة بعنـاية . ومن ثم لا نكاد نتصـور أن أمرا هاما كزيادة عـدد المـواطنين الاسكندريين يغيب عن يقظة الحكومة فلا يجعلها تتخذ اجراءات لمراقبة تلك الزيادة فى عدد المواطنين الذين يتمتعون بكل حقوق المواطن الكاملة .

هذا ونعرف أنه فى العهد الرومانى كان الامبراطور يراقب دخول الافيبوى الاسكندريين فى صفوف المواطنين . وعلى ذلك فانه من المعقول التسليم بان الملك البطلمى الذى كان مهتما اهتماما كبيرا بأحوال الاسكندريين أكثر من الامبراطور الرومانى ، لا بد كان يستخدم نفس الحق . وفضلا عن ذلك رأينا فيما سبق أن بطليموس الثامن «ايرجيتيس الثانى» قد منح حقـوقا مدنية فى الاسكندرية لأجانب . وعلى ذلك يمكن الانسان أن يتساءل هل كان اليهود من بين هؤلاء الاجانب ؟ واذا كان الرد ايجابيا فنتساءل من جديد اذا كان الملك «بطليموس فيلومتور» الذى كان هواه مع الساميين يمكن ان يكون قد فعل بالمثل ؟ وأخيرا يمكن ان نعيد الى الذاكرة ان أولاد المواطنين قد تلقوا تعليمهم فى الجمنازيم وان التعليم الجمنازى كان طبيعيا اجراءا لابد أن يسبق الحصول على حق المواطنة (أى يكون الفرد مواطنا) ولا ريب فى ان كثيرا من اليهود كانوا شغوفين بان يعلموا أولادهم تعليما اغريقيا لأجل ان يكون فى استطاعتهم الحصول على الحقوق المدنية هـذا ويلحظ ان القرن الأخير من حكم البطالمة كان مرتبكا كثيرا وبخاصة فى الاسكندرية ، ومن المحتمل ان العـداوة الطويلة الأمد التى كانت بين حـكومة البطالمة والاسكندرية قد تمخضت عن فوضى ادارية كانت صالحة جدا لأولئك الذين كانت رغباتهم لم يمكن تحقيقها فى ظل قانون حازم . والخلاصة هى انه كان

فى استطاعة يهود الاسكندرية أن يحصلوا على حقوق وطنيـــة بثلاث طرق وهى منح حقوق لأفراد بوساطة المدنية ، والتعيين بوساطة الملك ، والدخول (سواء أكان ذلك قانونيـــا أو غير قانونى) فى صفوف المواطنين عن طريق الجمنازيم .

هـــذا وكان الحصول فى العهد الرومانى على الحقوق المدنية من الأمور البالغة الأهمية ولكن فى العهد البطلمى لم تكن هنـــاك حقوق أو امتيازات هامة تصحب الرعوية الاسكندرية ، وذلك أن الرعوية الاسكندرية كان لها شروط خاصة بها فى كتاب قانون خاص بهم على غرار القوانين الآثينية . فلم يكن المواطن يجلد عند ارتكاب جريمة ، ولكن كان يضرب بطريقة صورية لا تؤثر فيه ، ولم يكن من الممكن اجباره على تأدية أعمـــال عامة أو تأدية عمل شاق كالذى يطلب من الفلاح المصرى (١) . اما عن اليهود الذين كانوا يتمتعون بتشريعهم الخاص فانمعظم هذه الامتيازات السابقذكرها لم تكن ذات أهمية بالنســـبة لهم وعلى أية حال نجد انه على مر الأيام كانت تمنح بعض الامتيازات التى كان يتمتع بها الاســـكندريون اليهود ايضـــا وذلك بموافقة صامتة من الحكومة مثال ذلك امتياز عدم الضرب بالســـياط بل بقراب النصال (٢). وقدكانت مسألة حصول الفردعلى لقبمواطناسكندرى لا يسعى اليها الفرد بوجه خاص للفخر والعظمـــة اكثر منها لطلب المادة . فقد كان اليهودى عندما يحصل على لقب مواطن يشعر بالكبرياء لأنه على مستوى واحد مع اغريق الاسكندرية ولأن أولاده سيتعلمون فىالجمنازيوم، ولأنه سيحضر الولائم والألعاب الاغريقيـــة ولانه سيتكلم ويكتب اللغـــة الاغريقية والواقع أن كسب حقوق مدنية كان يعتبر بمثابة تعبير لميل يهودى نحو التحرير (اذا جاز لنا ان نستعمل تعبير القرن التاسع عشر) وهذا الميل

(١) راجع OGIS. 669, II. 32 sqq. Cf. Wilcken Grundzuge, 331, 340.

(٢) راجع Flacc. 79.

يبرهن عليه بجلاء المحصول الأدبى الذى أنتجه يهود الاسكندرية فى القرن الثانى ق.م. وا لهدف الهام لهذا الادب كان الاقتراب اكثر فأكثر الى الاغريق وكذلك انشاء ألفة بين الهيلانستيكية واليهودية للبرهنة على أن اليهودية تشمل فى جوفها فلسفة حقيقية مفتوحة الأبواب لليهود والاغريق على السواء . وقد قامت الترجمة السبعينية نفسها بالخطوة الأولى نحـو التآخى مع الاغريق بما جاء فى سفر الخروج (١) . « لا تسب الآلهة » هذا وقد أكدت صيغة الجمع العبرية فى كلمة ايلوهيم (= الآلهة) فكأنما قصد بذلك الاشـارة الى الآلهة الوثنيين . ولما كان كتـاب التوراة يقرؤه يهود مصر بالاغريقية فقط ، فانه كان من المحتمل ان المعنى الحقيقى لهذه الآية لم يكن معـروفا لهم ، وانهم اعتقدوا باخلاص فى تسامح موسى نحو الآلهة الوثنيين . هـذا وقد اتخذ مؤلف « رسالة اريستاس » خطوة أخرى الى الأمام فى هـذا الصدد باعلانه أن الاغريق واليهود عبدوا الها واحدا بعينه وان الفرق بين الالهين هو الاسم . يضاف الى ذلك خطـوة أخرى اتخذها «أرتابانوس» الذى نسب الى موسى تأسيس عبادات وثنية فى مصر بما فى ذلك عبـادة الحيوانات المقدسة (٢) .

هذا ويمكن استخدام « رسالة أرستاس » فى أنها احسن برهان كذلك على الميل للتقريب بين اليهودية والهيلانستيكية بصفة محسة ، اذ يمكن اعتبار هـذه الرسـالة انها اعلان لجمـاعة المحبين للاغريق فى المجتمع اليهودى الاسكندرى . والمقصـود هنا ان الملك وحاشيته قد ظهروا انهم اصدقاء حقيقيين لليهود ، ومن كبار المحترمين للتوراة ، ومن جهة أخـرى نعلم أن الاثنين وسبعين شيخا يهوديا الذين ترجموا التوراة (السبعينية) ، لم يكونوا

---

(١) راجع Exod. 22-27.

(٢) راجع Freudenthal, Alexander Polyhistor, 143 sqq., 231 sqq.; Schurer III. 477 sqq.

متفقهين فى الادب اليهودى وحسب بل تلقوا تعليما اغريقيا حسنا أيضا (Arist. 121) وقد أكد «أريستاس» أنهم خلصوا أنفسهم من السمات الخشنة التى تتصف بها أخلاق أولئك الاشخاص الذين حرموا من التربية الاغريقية . هذا وكان الملك يقيم لشيوخ اليهود ولائم سمر ، وكانت المحادثات التى تدور فيها تكشف عن حكمة اليهود العميقة التى كانت تسمو كثيرا عن حكمة الفلاسفة اليونان (Arist. 235) ومهما يكن من أمر فانه مما يستحق الذكر أن حكمة الشيوخ اليهود كما ذكرها «أريستاس» لم تكن تخرج عن آراء عادية أخذت عن ملخص من نظام أخلاق اليونان وسياستهم مع بعض أضافات من اعتقاد اليهود فى أله واحد لا اله غيره . والواقع ان الفكرة الاساسية التى يبرزها لنا «اريستاس» هى الفكرة المدهشة (الى حد ما) للتى تكشف لنا عن أن اليهودية لاتخرج عن كونها الهيلانية الحقيقية مزودة بوحدانية الله . والمفتاح لفهم رأى «اريستاس» نعثر عليه فى تصوره للتوراة وترجمته للاغريقية . حقا كان «أريستاس» من كبار المعجبين بالتوراة ، ولكن من المهم جدا ان نؤكد انها التوراة الاغريقية التى اعجب بها ، وذلك ان «اريستاس» فى كتابته يبرهن على كمال الترجمة التى وضعها الاثنان وسبعون شيخا ، بكل ما لديه من براهين ممكنة وتنحصر فى موافقة الملك وتصديق المجتمع اليهودى الاسكندرى وحتى حماية الله الخاصة (Arist. 311) وقد أعلن صراحة « أريستاس » أن الترجمة صحيحة تماما بل نجدها فى بعض المعانى أكثر صحة من الاصل العبرى (Arist. 30) . وهذا الابتهاج الذى أظهره اريستاس بالنسبة للتوراة وترجمته قد شاركه فيه كل المجتمع الاسكندرى ، فقد رأينا فيما سبق أن اليوم المزعوم الذى تمت فيه الترجمة الى الاغريقية كان يحتفل به سنويا فى الاسكندرية . فما هو السبب يا ترى لابتهاج عظيم كهذا ؟ والواقع أنها ليست الا ترجمة عادية ونحن متعودون أن نفكر فى أنه ليس هناك قيم روحية

جـديدة تخلق بالتراجم . ومع ذلك فـانه من البـدهى لم تكن فى نظـر «اريستاس» وفى نظر كل اليهود الذين على شاكلته مجرد ترجمة بل كانت بمعنى تعد خلقا جـديدا للتوراة ويمكن ان تتحسس لذلك سببا : وذلك أننا قد رأينا فيما سـبق ان التـوراة قد مرت بتغير عنـدما ترجمت الى الاغريقية . والواقع انه لم تكن هناك توراة بالاغريقية بل كان اغريقيـا فى فكره وتعبيره . فكان فى استطاعة كل فرد أن يقـرأ التوراة الاغريقية وفى استطاعة كل انسان أن يقنع نفسـه بعمق وصدق الآراء الدينية والخلقية التى أتى بها موسى مانح القانون اليهودى ، وكذلك بأهمية القوم الذين كانوا قد منحوا مثل هذه التعاليم . والواقع ان مركب النقص الذى كان يضرب بأعراقه فى روح كل يهودى محرر من المهاجرين الذين كانوا على اتصال مع اقوام لهم ثقافة عالية ، قد أزيل بدرجة كبيرة بسبب ان التوراة لم يعد بعد كتابا متوحشا مختوما بسبعة أختام بل قد صار مفتوحا لكل العالم المتمدين ومن ثم اصبح يهود الاسكندرية فى مقدورهم ان يدخلوا بكبرياء العـالم الاغريقى بوصفهم رجالا أصحاب مكانة عالية لا بوصفهم سفلة من البرابره المقهورين . وهذا هو السبب الذى من أجله اكد بشدة ريستاس لليهود ضرورة بقائهم مخلصين لتعاليم التـوراة (١) . وذلك لأن الطريق للتحرير الثقافى لليهود كانت ترشد اليه التوراة الاغريقية ، وذلك بمطالعته والتعليق عليه لا عن اهمال تعاليمه . وسـواء أكان الاغـريق يميلون الى الترحيب باليهود أم لا فهذا أمر آخر (وسنرى بعد انهم لم يكونوا على اسـتعداد للترحيب بهم) ، غير ان اليهـود من جهتهم قد عملوا كل الاسـتعدادات الضرورية ليضمنوا لكل من الأمتين ان يتقابلوا على اساس المصادقة . وهذا يفسر القصد العميق لمجهود « اريستاس » ليبرهن على أن الاغـريق كانوا مهتمين بترجمة التوراة ، وأن فكرة الترجمة بأكملها ترجع الى علماء بلاط

---

(١) راجع Arist. 136

بطليموس الثـانى والى الملك نفسـه . ومن ثم نفهم أن التوراة لم تصبح حلقة اتصال بين العالمين المختلفين اليهودى والاغريقى الا بموافقة الاغريق. هذا هو الملخص النهائى لدعاية «اريسناس» وقد ظلت طبقة علية القوم من سكان يهود الاسكندرية مخلصة لمنهاجه الى ان انفجر بركان الكراهية التى كان يكنها شعب الاسكندرية فى نفوسهم لليهود وأخذوا يهزأون بهم .

والحديث عن حالة حياة اليهود فى الاسكندرية يقودنا الى أن نتسـاءل فيما اذا كان تحرر اليهود فى جهات أخرى فى مصر كان يتبع نفس الخطوط الرئيسـية أم لا ؟ والجواب على هـذا السؤال هو بالنفى : وذلك لأن اليهود فى القرى كانوا يسلكون مسلكا مختلفا . وتفسـير ذلك ان يهـود الاسكندرية فقط ومن بينهم بوجه خاص الطبقة الراقية هم الذين كانوا فى حاجة الى تبرير سفسطائى كالذى قدمه لنا «اريستاس» لوضعهم بالنسبة للاغريق . ولا نزاع فى ان مستوى سكان الريف من اليهود من الوجهـة الاجتماعية والعقلية كان صراحة أحط من مستوى اليهود الاسكندريين . وتقدم لنا الأوراق البردية براهين على عملية امتصاص مختلفة وأعنى بذلك امتزاج القرويين اليهود بالسكان المصريين . والواقع ان الثقافة الاغريقية لم تكن قوية على نطاق واحد فى كل مكان من البلاد المصرية ، وذلك أنها بعد كل شىء لم تكن الا نباتا أجنبيا فى حين ان الثقافة المصرية على العكس كانت متأصلة فى حياة التربة المصرية ، ونجد فى ا لنهاية ان السكان الاغريق قد تأثروا الى درجة ما ببيئتهم المصرية . ومن ثم نجد يهودا سموا أنفسهم بأسماء مصرية فى الأوراق البردية . وهؤلاء اليهـود كانوا رعاة وفلاحين وصناعا يسكنون فى قرى ملاصقة لجيرانهم المصريين ولدينا وثائق عـدة وبخاصة من اقليم «طيبة» تكشف لنا عن جهل المواطنين القرويين ، وكثير منهم لا يستطيع كتابة اسمه بالاغريقية ، ولا غرابة اذا أن كان هناك يهود

لايمكنهم انيكتبوا اسماءهمبالاغريقيةايضا .
Corpus, P. 190, No. 46; Ibid. P. 222, No. 107.
فهل كانوا يعرفون أية لغة أخرى؟ وعلى أية حال كانوا لا يعرفون العبرية ذلك لأن اللغة العبرية لم تكن الحاجة ماسة اليها . بسبب ان التوراة الاغريقى كانيقرأ فى الأرياف كماكان يقرأ فى الاسكندرية علىحد سواء (١).
(Yazaros)
وليس من المرجحان اللغةالأصلية لأفراد مناليهود مثلسيمون بن باعز (٢). صانعى الفخار فى القرية السورية التى جاء ذكرها فى المتن رقم ٤٦ (٣) . كانت لغة آرامية ، وذلك لأنه فى خلال القرنين الثانى والأول ق.م. كانت اللغة الآرامية على ما يظهر يستعملها فقط المهاجرون الذين وفدوا حديثا على مصر . وعلى ذلك فانه من المحتمل جدا ان لغتهم كانت المصرية كما كانت اللغة العامة لكل الأرياف التى حولهم . (وما يجدر ملاحظته فى هذا الصدد ان الاغريق واليهود كانوا متأثرين ببيئتهم المصرية فقد سموا انفسهم بأسماء مصرية وتكلموا المصرية وعبدوا آلهة مصرية (٤) . يضاف الى ذلك أنه حتى بعض الكاهنات من اليهود الخاصات بملكات مصر المؤلهات ، اللائى قد اخترن منأشد الأسرات تمسكا بالارستقراطية كن يسموز بأسماء مصرية خالصة (٥) . وعلى ذلك فان اليهود الذين كانوا من هذا النوع لم يكن فىمقدورهم تجنب تأثير البيئة الشامل. اما أولئك الذين حاولوا البقاء على يهوديتهم فكان فى مقدورهم عمل ذلك فقط بسبب اخلاصهم الراسخ لأصلهم القومى وديانتهم . فكانوا يراعون تعاليم التوراة لمجرد انها مكتوبة فى التوراة . وكانت المحافظة على العطلة يوم السبت على ما يظهر هامة لهم.

(١) راجع Ryl. 458 (= C.H. Roberts, Two Biblical Papyri in the John Rylands Library 1936.
(٢) راجع Corpus, P. 222, No. 107.
(٣) راجع Corpus, P. 192, No. 46.
(٤) راجع W. Chr. 50, 51, 136.
(٥) راجع Wilcken. Arch. XIII. 136.

فنقرأ فى الوثيقــة رقم ١٠ (١) . أن رجلا من ضــيعة ابوللونيوس فى قرية فيلادلفيا يحتمل أنه مدير أعمال مبان لم يعمل فى يوم السبت ، ويجب علينا لتقدير تمسك اليهود بعطلة يوم السبت أن نعيد الى الذاكرة مقدار العمل العظيم الذى كان ينجز على يد المستعمرين الجدد وسرعة العمل وشدة نظار الأعمال مثل «ابوللونيوس» و «زينون»

وبطبيعة الحال كان الشعور القومى عند يهود مصر موجها نحو فلسطين وقد اظهرنا من قبل ان تأثير فلسطين فى السنين الأولى من عهد البطالمة لم يكن بحال من الأحــوال «قوميا» وقد بقيت نفس الروح متبعة فى عهــد «بطليموس فيلومتور» الرابع. هذا ولم يكن أونياس الرابع بن الكاهن الأكبر، الذى فر الى مصر مع حشد من أتباعه من اتباع يهودا مكابايوس ، فقــد كان عليه بدلا من مغادرة مسقط رأسه باحثا عن ملجأ فى الخارج ، ان ينضم الى حركة المقاومة . والظاهر أنه لم يكن عدوا للاغريق ، بل من الممكن أنه كان يميل الى الهيلانية ، ولو انه كان بطبيعة الحال معارضا بدوره لقــواد الحزب الهيلانى فى أورشليم الذين كانوا أجرموا فى حقه بقتل والده ، وهذا يمكن ان يفسر بالعمل الرئيسى الذى احرزه فى حياته وهو بناء معبد يهودى فى ليونتوبوليس (تل المقدام الحالى) . والواقع أن بناء مركز دينى كهذا كان يعد مخالفة صريحة لتعليم كتاب التوراة الذى يقــول ان الله لا ينبغى ان يعبد الا فى مكان واحد يختاره الله نفسه ، كما كان لا يمكن انجازه الا على يد يهودى لم يكن يشعر بأنه مجبر على أن يحافظ بالتفصيل على تعاليم التوراة . وقد اقترح العلمــاء الأحداث ان عمل أونياس هــذا يرجع الى سببين . الأول رغبته فى أن يمد يهود مصر بمركز دينى خاص بهم ، والآخر هو اقامة معبد حقيقى بدلا من معبد أورشليم ، الذى دنسه أصحاب الميول الهيلانستيكية. فالسبب الأول لا يفسر اقامة معبد «ليونتوبوليس» وذلك لأن

(١) راجع Corpus, P. 136, No. 10.

مركز اليهودية المصرية كان الاسكندرية لا فى مكان غير معروف فى ريف مصر وخلافا لذلك فان أونياس كان يمكن ان يقيم معبدا ليهود مصر اذا كان هؤلاء اليهود قد رغبوا فى ان يقيم لهم مثل هذا البناء . وسنرى أن يهود مصر لم تعر معبد «أونياس» التفاتا أما السبب الثانى فانه يكون صحيحا اذا فرضنا أن المعبد كان قد أقيم قبل عام ١٦٤ ق.م ؛ وذلك لأنه بعد هذا التاريخ لم يكن من الممكن أن يعتبر مدنسا نجسا . ونحن لا نعرف السنة التى أقيم فيها معبد «أونياس» ولكن المرجح أنه قد أقيم بالقرب من نهاية مجال حياته لا فى بدايته والسبب الحقيقى لاقامة هذا المعبد يحتمل أن يكون لرأى سياسى من جانب حكومة البطالمة هذا بالأضافة الى غرور «أونياس» المخاطر الذى كان يرغب فى الظهور بلباس الكاهن الأكبر المقدس مستعرضا نفسه للناس. والواقع أن «أونياس» لم يكن فى مقدوره أن ينسى قط وظيفة الكاهن الأكبر أى ان القيادة السياسية لقوم اليهود كانت حقه ، لا حق المغتصبين لها فى أورشليم . وهذه المطامع التى كانت تقس «أونياس» تصبو اليها لم تجد ترحيبا الا من الحكومة البطلمية التى كان فى مقدورها أن تستعمل اقامة معبد ليونتوبوليس كوسيلة ضد دعاية السلوكيين بين يهود فلسطين . ونحن هنا لا نتحدث عن السياسة البطلمية ، ولكن بحثنا فى اليهودية المصرية .ومن الحقائق الثابتة أنه لا يوجد فى كل الأدب الاسكندرى أى ذكر لمعبد «أونياس». أما معبد «أورشليم» من جهة أخرى فكان دائما فى منزلة عالية من جانب اليهود المصريين وحتى من جانب اليهود المصبوغين بالصبغة الهيلانستيكية مما برهن مؤلف «رسالة اريستاس» على اعجابهم العميق واحترامهم لمعبد «أورشليم» . وهذا يدل على الحج الى «أورشليم» وجمع المال للمعبد هناك كما شوهد ذلك غالبا فى العهد الرومانى المبكر ، على ان شعائره كانت تؤدى فى عهود البطالمة. ومن ثم يمكننا أن نعتبر اقامة معبد «أونياس» لم تكن بمثابة مظاهرة من جانب يهود مصر تدل على أحاسيس معادية لأورشليم بل كان عمل رجل مخاطر

وأنه عمل ليس له أهمية دينية أو قومية .

هذا وكانت خيبة «أونياس» فى أن يؤثر على يهود مصر منتظرة وذلك لأن عواطفهم بالميل الى دولة اليهود الهسمونية الجديدة تظهر بوضوح احساسهم. وعلى الرغم من أن المهاجرين الوافدين من فلسطين الى مصر كانوا فى العادة أعداء للحكام الجدد فان تأثيرهم كان مهملا . وقد رأينا فيما سبق أن مثل هذه الميول العاطفية كان لها رد فعل سياسى كما يظهر ذلك من الدور الذى لعبه القائد اليهودى مع كليوبترا الثالثة أثناء حربها فى فلسطين كما سبق ذكره ومن الطبعى لدى الحكومة الهسمونية أن تشجع على انماء هذه العواطف . وقد حول مرتين على اغراء اليهود المصريين للاحتفال بالعيد الجديد الذى افتتحه الهسمونيين «هانوكاه».

ومن المرجح أن الاحتفال «بالبيروم» فى مصر كان كذلك جزءا من دعاية الهسمونيين السياسية . على أن الأدب العبرى الجديد حتى ولو كان غير مختص بالهسمونيين فانه أضاف كذلك الى حب فلسطين واعزازها بين اليهود المصريين مثال ذلك كتاب «يسوع سيراح» الذى أظهر فيه معارضة للوثنية، وكان دائما على استعداد لتعليم تلاميذه كيف يحاربونها (١) . أو قصة يوديث (Judith) المفعمة بالعاطفة القومية ، وحتى نجد المعارضين الجدد للهسمونيين وهم الفارسيون الذين هربوا الى مصر من اضطهاد ملوك الصدوقيين كانوا عاملا كبيرا فى زيادة التأثير الدال على أن فلسطين قد أصبحت مشهدا لاحياء القوى . وتأثير فلسطين هذا كان له رد فعله على الأدب الاسكندرى أيضا ، ولم يكن لكتاب مثل « اريستاس» هوى مع الهسمونيين .

---

(١) راجع Schurer III, 234.

ومن المحتمل جـدا كذلك أنه كان فى ذهنه هـذا الطـراز من اليهـود الفلسطينيين عندما كان يتكلم عن السمات البربرية الخشنة فى أخلاق اليهود. ومع ذلك فانه فى الوقت نفسـه الذى كانت تدعو فيـه مقال اريستاس الى التفاهم القلبى بين الاغريق واليهود ، كان هنـاك كاتب يهـودى آخر من المشردين يدعى « باسون السيرينى » الذى كتب تاريخا فى خمسة أجزاء عن الحركة الوطنية فى فلسطين ومدح بحرارة زعيمها «يهـودا مكابابيوس» ، ووصف الاغريق وأتباعهم من اليهود بأنهم مستبدون قساة وخونة أشرارا . وقد لخص تاريخ «باسون» يهودى مصر وهـذا الملخص معروف بالكتاب الثـانى للمكابيين . وقد كان نفس الكره يملأ قلب كاتب اسكندرى غير معروف . حشر قطعا من عنده فى الرواية الاغريقية لسفر « استر» ، وبذلك نقل القصة من موضعها الفارسى الى بيئات بلاط هيلانستيكى ودمغ «هامان» بأنه مقدونى ، وقد كان ذلك بداية اتجاه جديد فى الأدب الاسكندرى وهو اتجاه مضاد من أساسه لوجهة نظر «أريستاس» المحب للهيلانستيكية ومن شابهه من الكتاب . وبعد مضى زمن قصير أى فى باكورة الحكم الرومانى فى مصر بلغ هذا الاتجاه قمته فى الانتاج الأدبى مثل كتاب المكابيين الثالث أو حكم سليمان . وقد تصادم هذا الكره للاغريق الذى زيد فى حدته بانبعاث الروح القومية فى فلسطين ، بما يقابله من كره الاغريق لليهود ، وقد استمد هـذا العراك قوته من الأحوال السياسية فى دولة كانت تتدهور بسرعة وكذلك من حماس الاسكندريين الوطنى . والظاهر أن الأمل كان ضعيفا فى أن العصر المقبل سـيقدم سلاما وأمانا لليهـود فى مصر فقـد كان مكرهم وخداعهم ودسائسهم مدعاة الى تألب الرومان عليهم والتنكيل بهم الى أقصى حد .



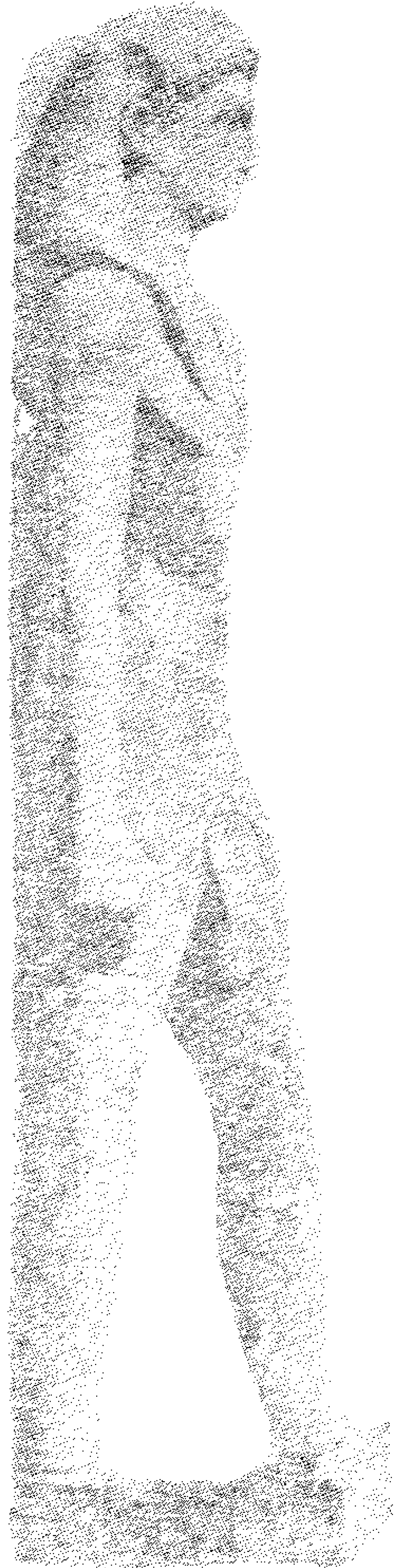
(شكل ١) تمثال نصفى للاسكندر الاكبر (متحف اللوفر)



(شكل ٢) تمثال نصفى للاسكندر الاكبر بمتحف روما



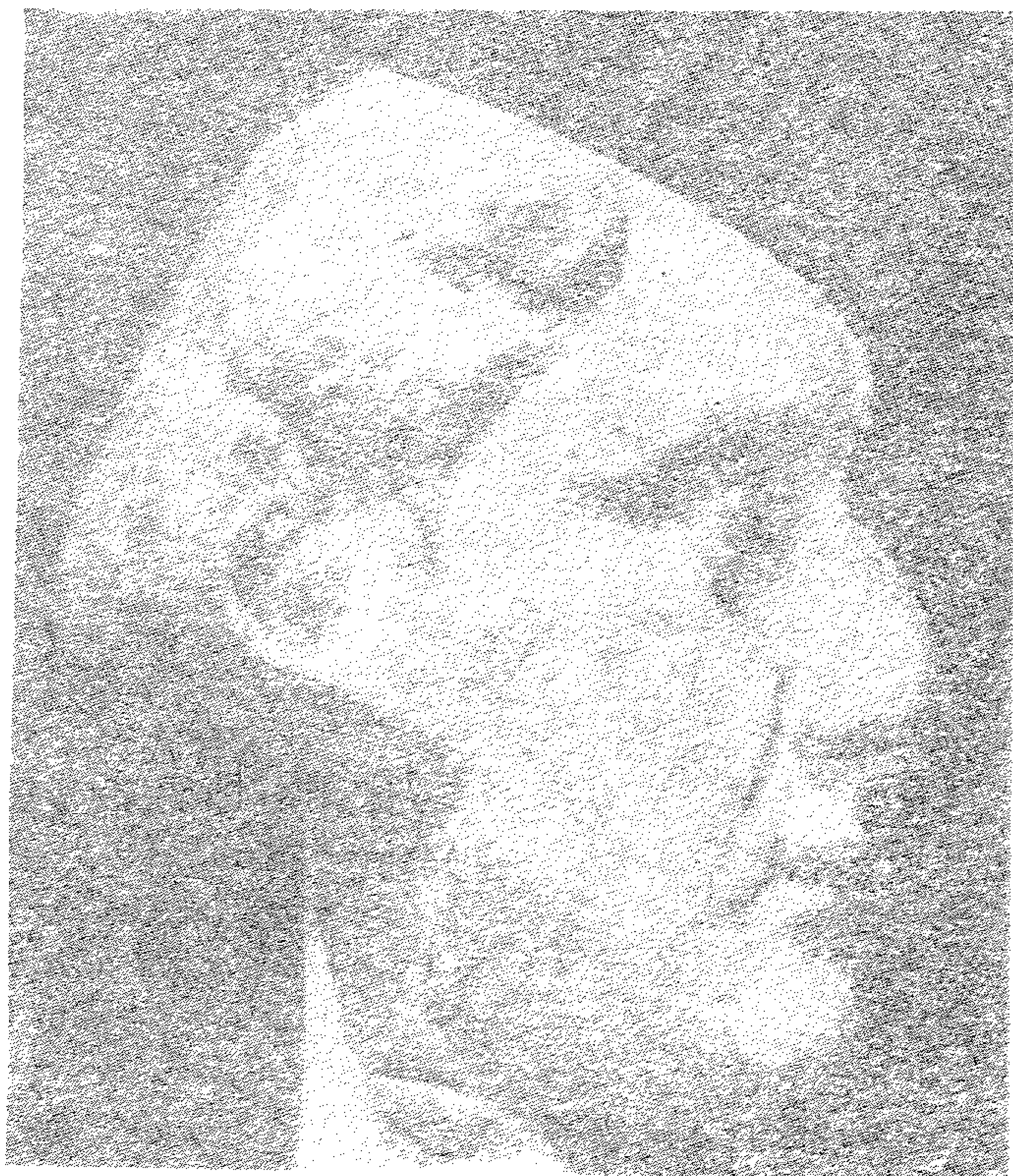
(شكل ٣) صورة الاسكندر الاكبر وهو يحارب مأخوذة عن
صورة تابوت صيدا)



(شكل ٥) تمثال الاسكندر الثانى فرعون مصر (متحف القاهرة)



(شكل ٤) نقد سك عليه صورة للاسكندر الاكبر ممثل بقرنين



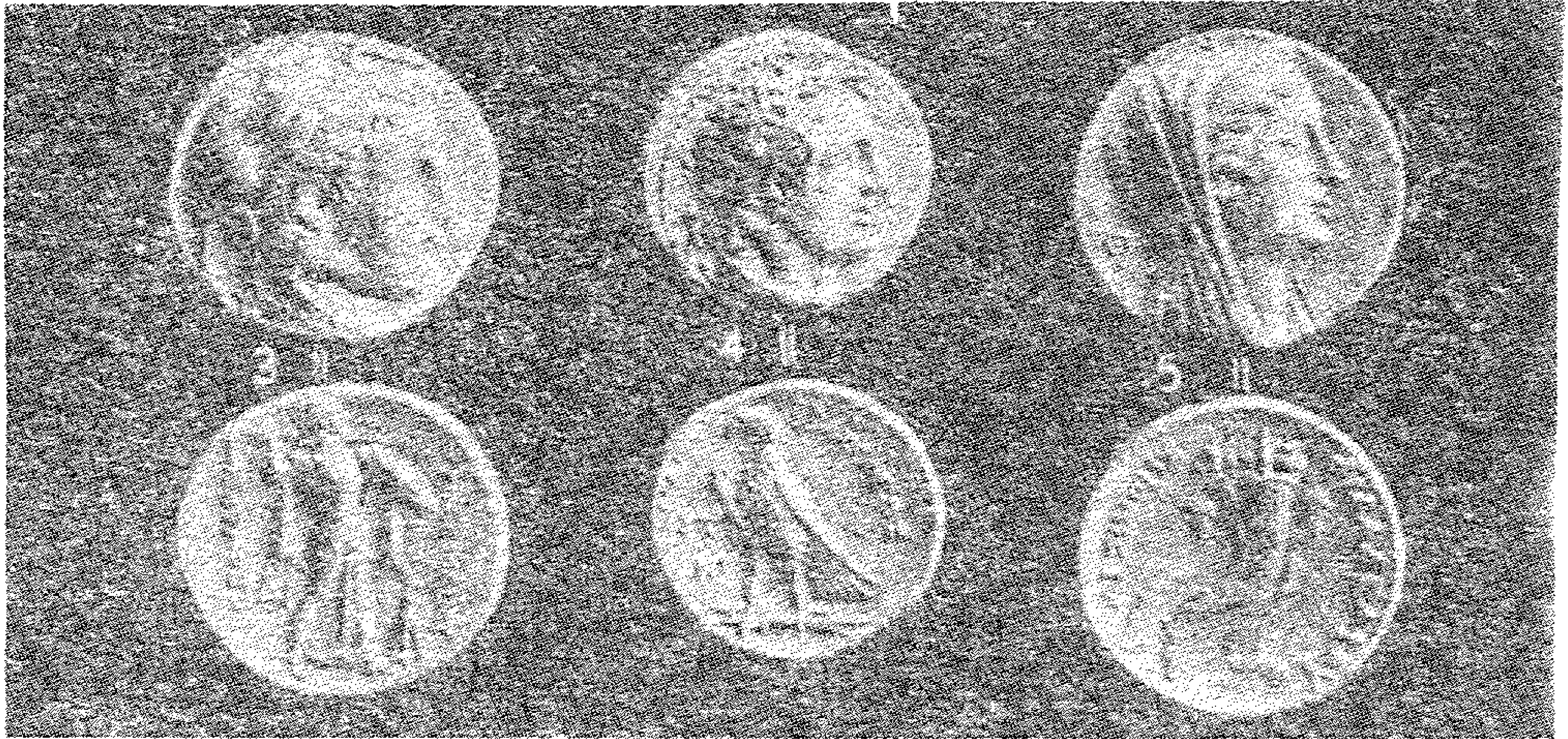
(شكل ٦) قناع رأس بطليموس الأول سوتر



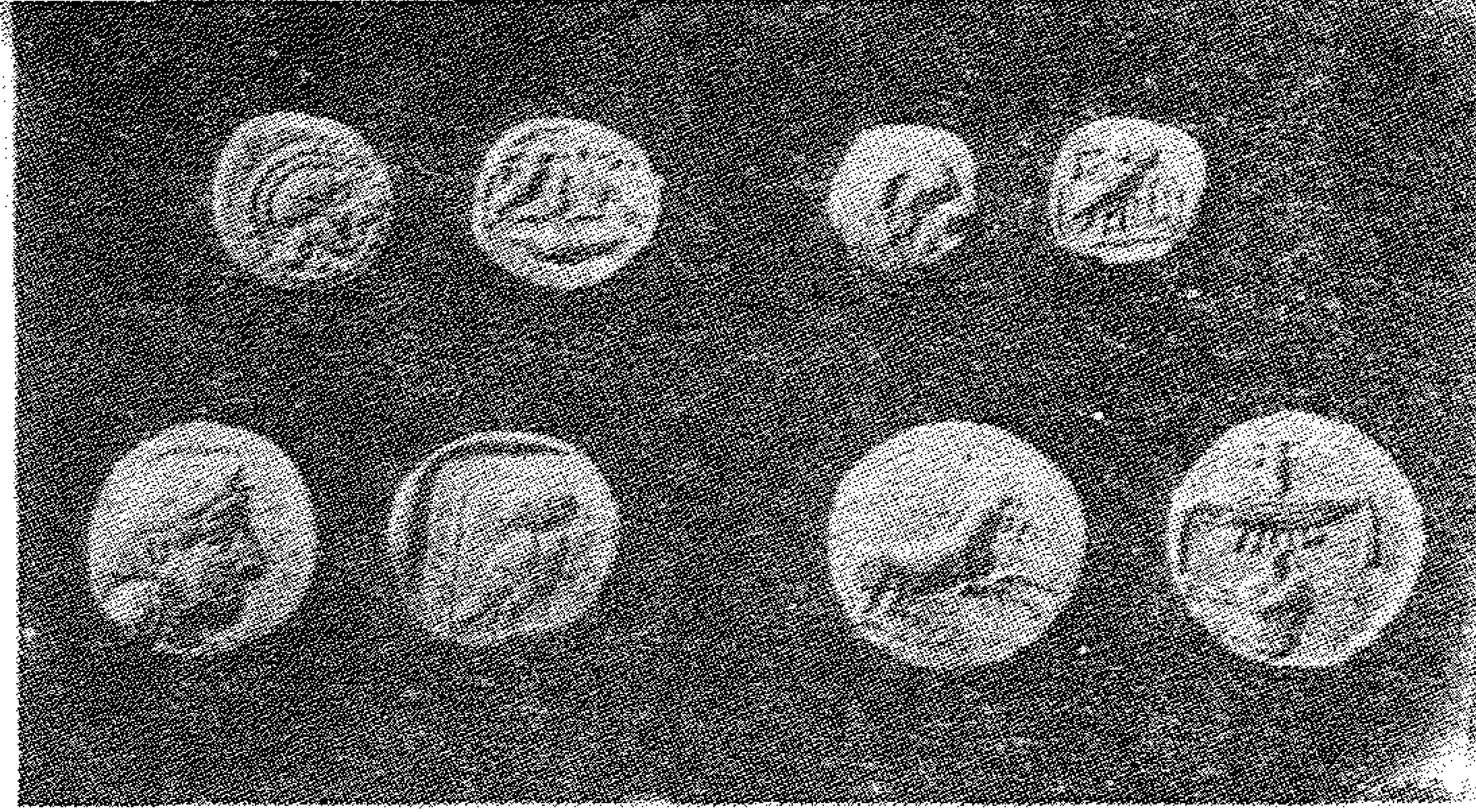
(شكل ٧ أ) عملة عليهـا صورة رأس بطليموس الاول سوتر



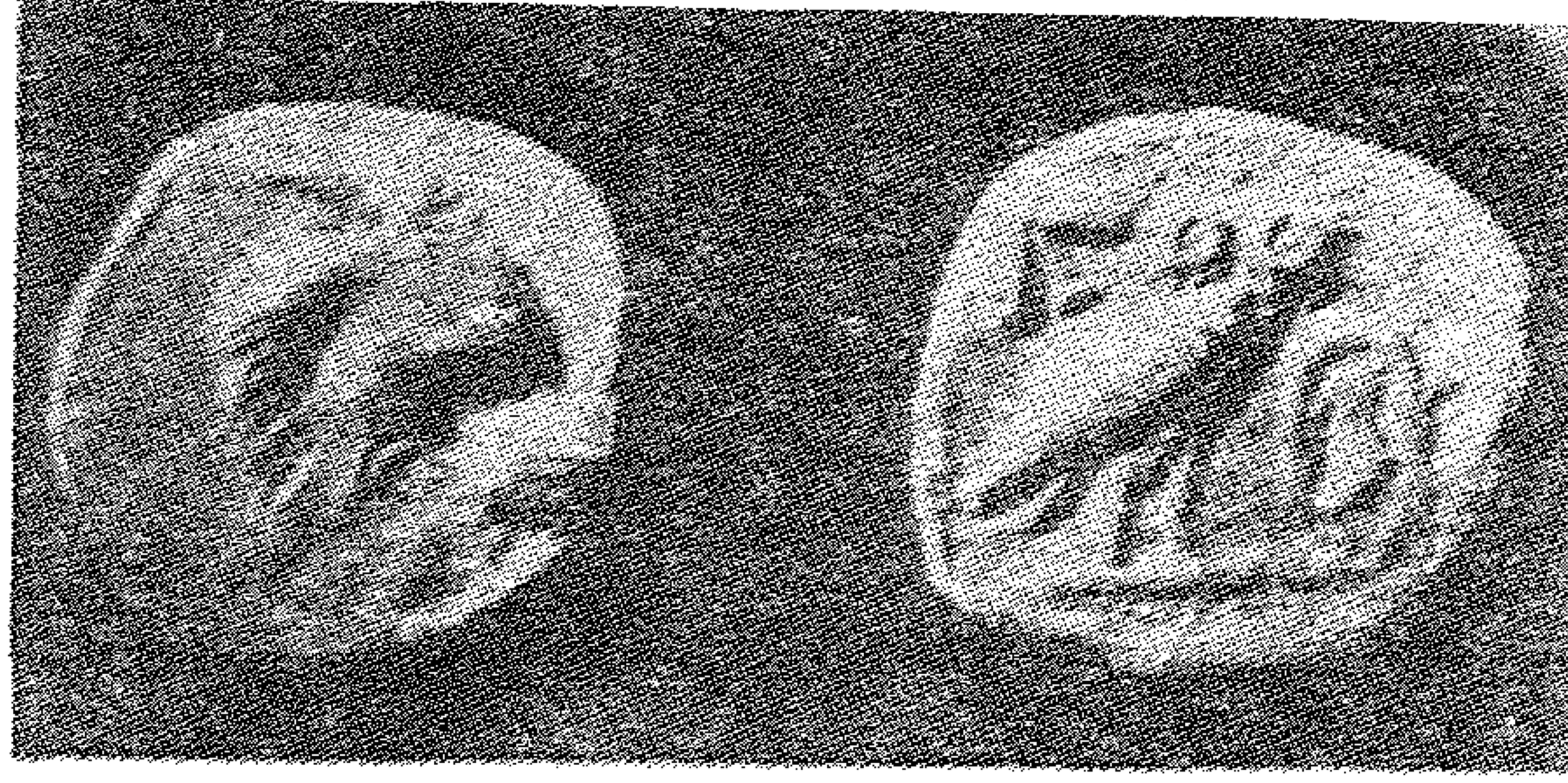
(شكل ٧ ب) عملة بطليموس الثانى وزوجته ارسنوى



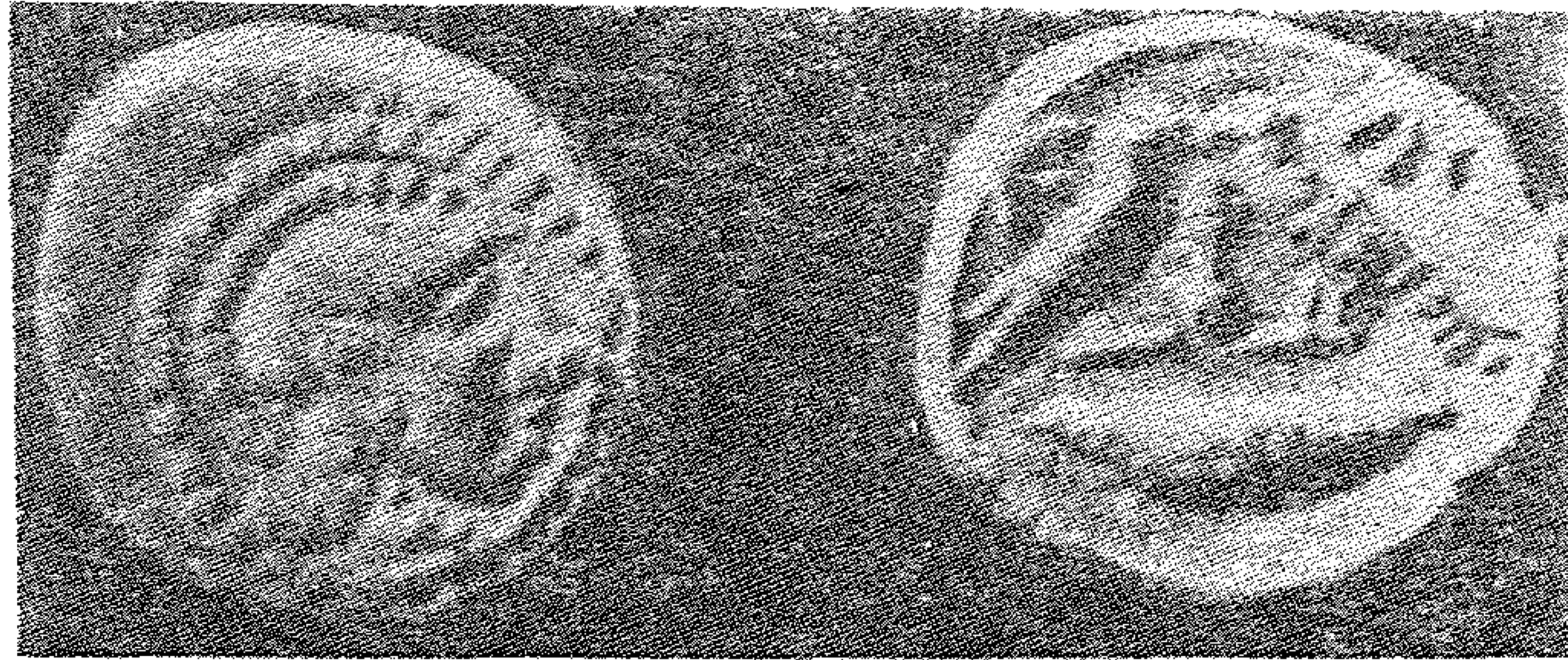
(شكل ٨) قطعة نقد تساوى أربعة درخمات من الفضة من عهد بطليموس الاول وعلى ظهر النقد رأس الاسكندر بمسلاخ فيل (٤) قطعة نقد من عهد بطليموس الاول وعلى وجهها مثل بطليموس الاول وعلى رأسه اكليل ودرع لحمايته وعلى ظهرها مثل نسر . (٥) قطعة نقد تساوى ثمانية درخمات باسم آرسنوى (ضربها بطليموس الثانى بعد موتها) ومثل على وجه هذه القطعة رأس أرسنوى الثانية وصور على ظهرها قرن الكثرة .



(٢) (٣) (٤) (٥)



نفس العمله مكبره (٢)

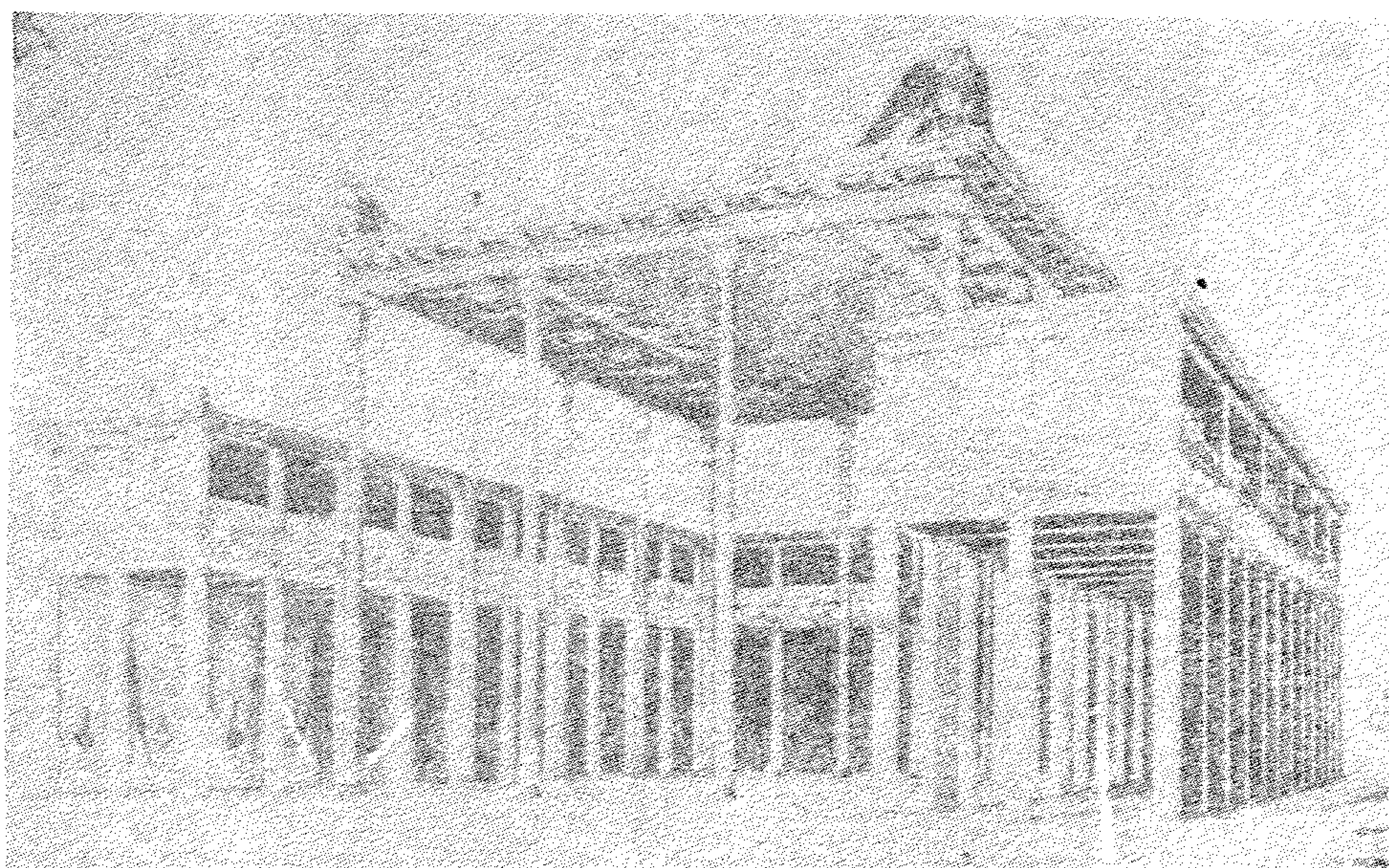


نفس العمله مكبره (٤)

(شكل ٩) نقود مصرية ضربت فى عهد الاسرة الثلاثين
رقم ٢ من عهد نقطانب الاول ورقم ٣ ، ٤ من عهدالملك
تيوس ورقم ٥ من عهد الملك نقطانب الثانى



(شكل ١٠) تمثال نصفى لبطليموس الثانى



(شكل ١١) ايوان ولائم بطليموس الثانى



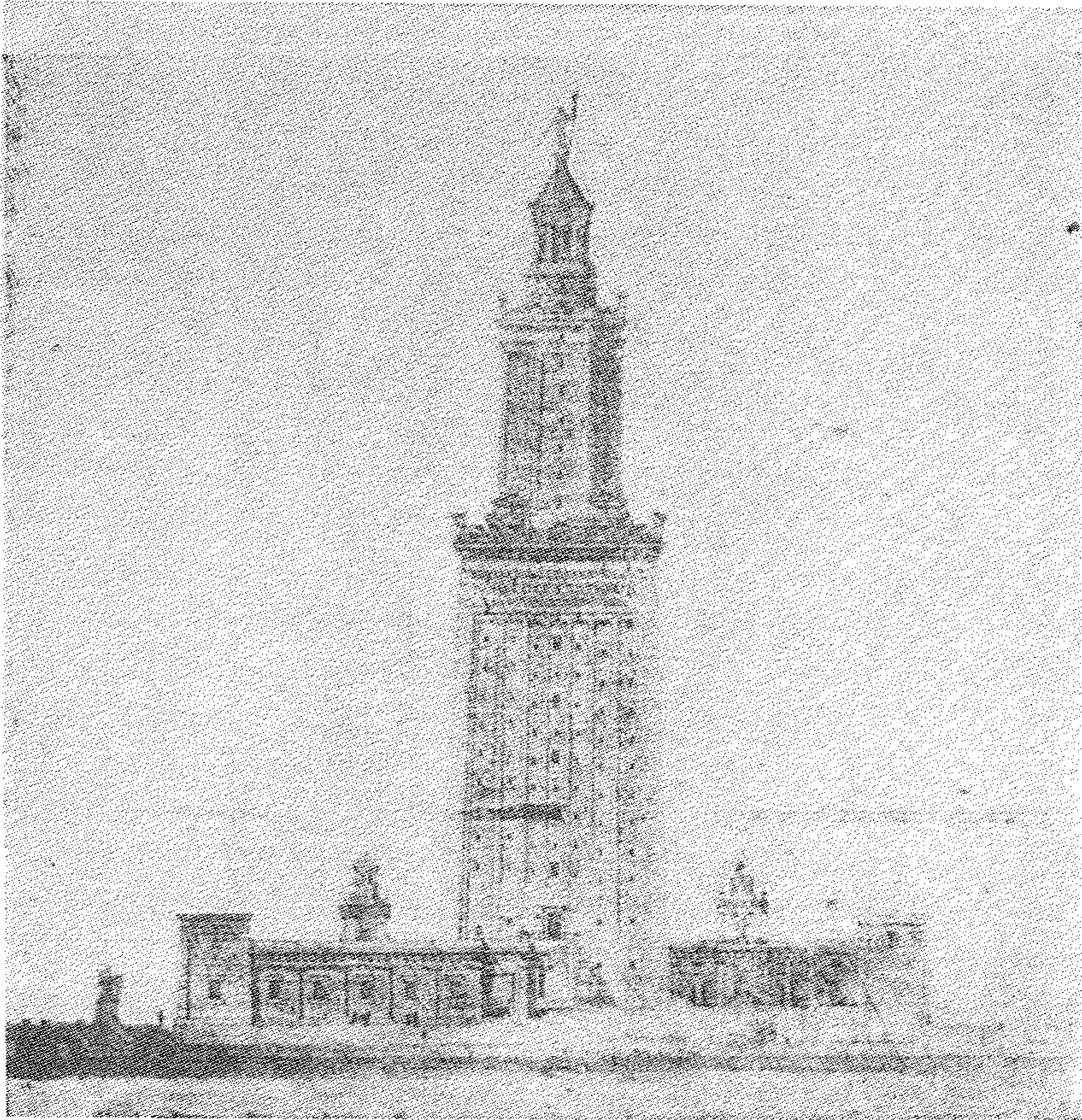
(شكل ١١) رأس من الرخام تمثل الملكة أرسنوى الثانية زوج بطليموس الثانى (متحف الاسكندرية)



(شكل ١٣) رأس نصفي للاله
« سيرابيس » (المتحف المصري)



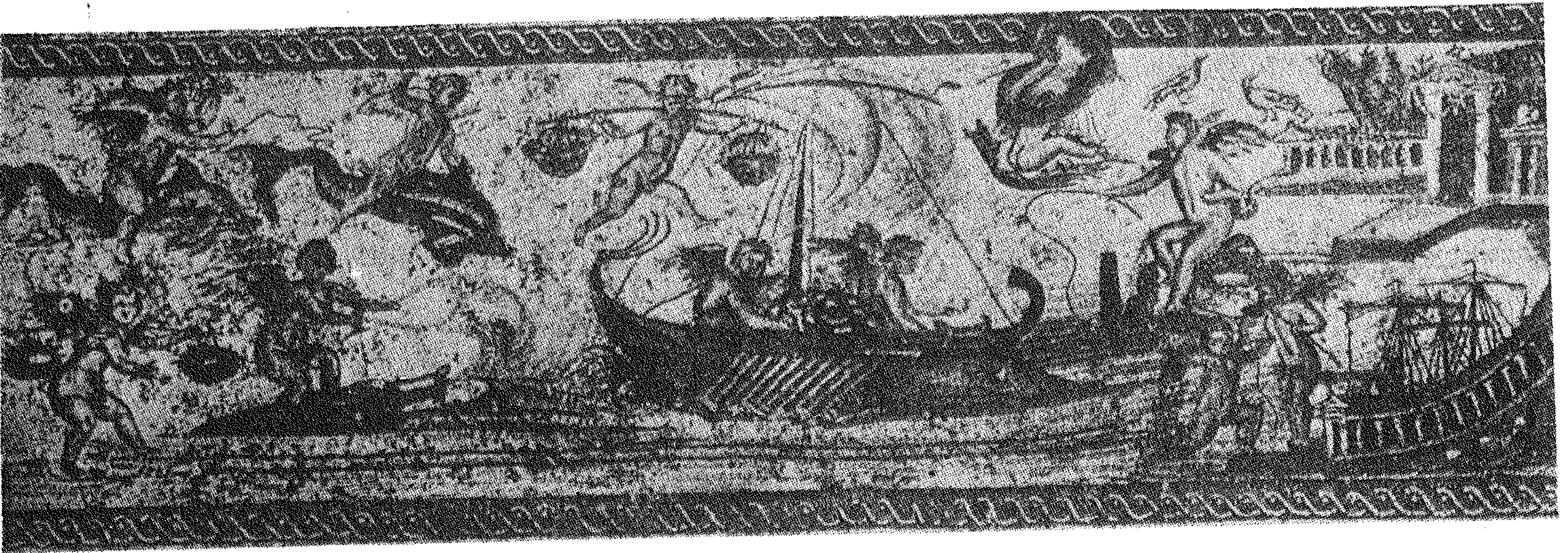
(شكل ١٤) تمثال الاله
« سيرابيس » (متحف الاسكندرية)



(شكل ١٥) منارة الاسكندرية



(شكل ١٦) تمثال نصفى يمثل مدينة الاسكندرية



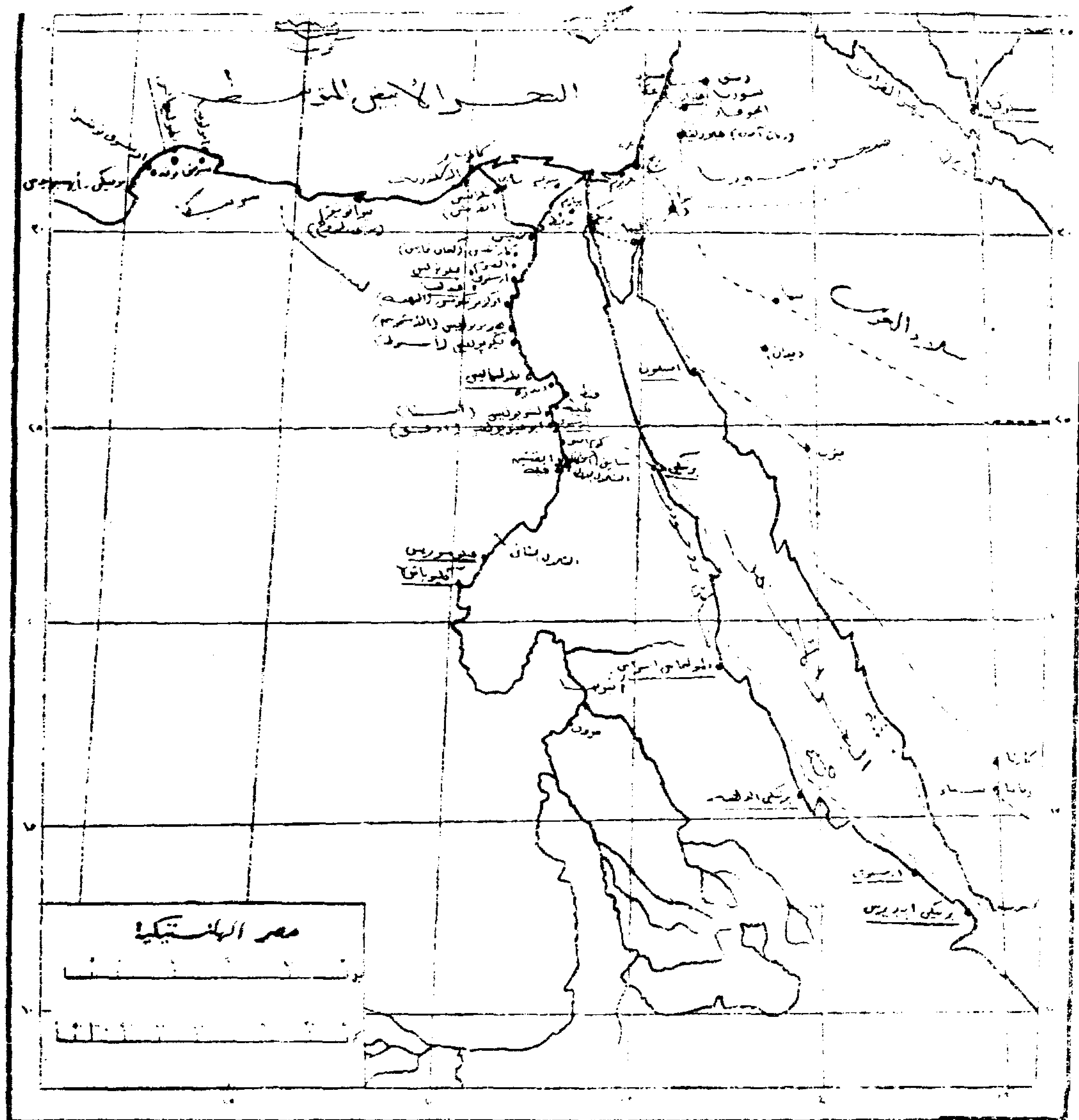
(شكل ١٧) صـورة تمثل الخصب والكثرة فى مصر البطلمية



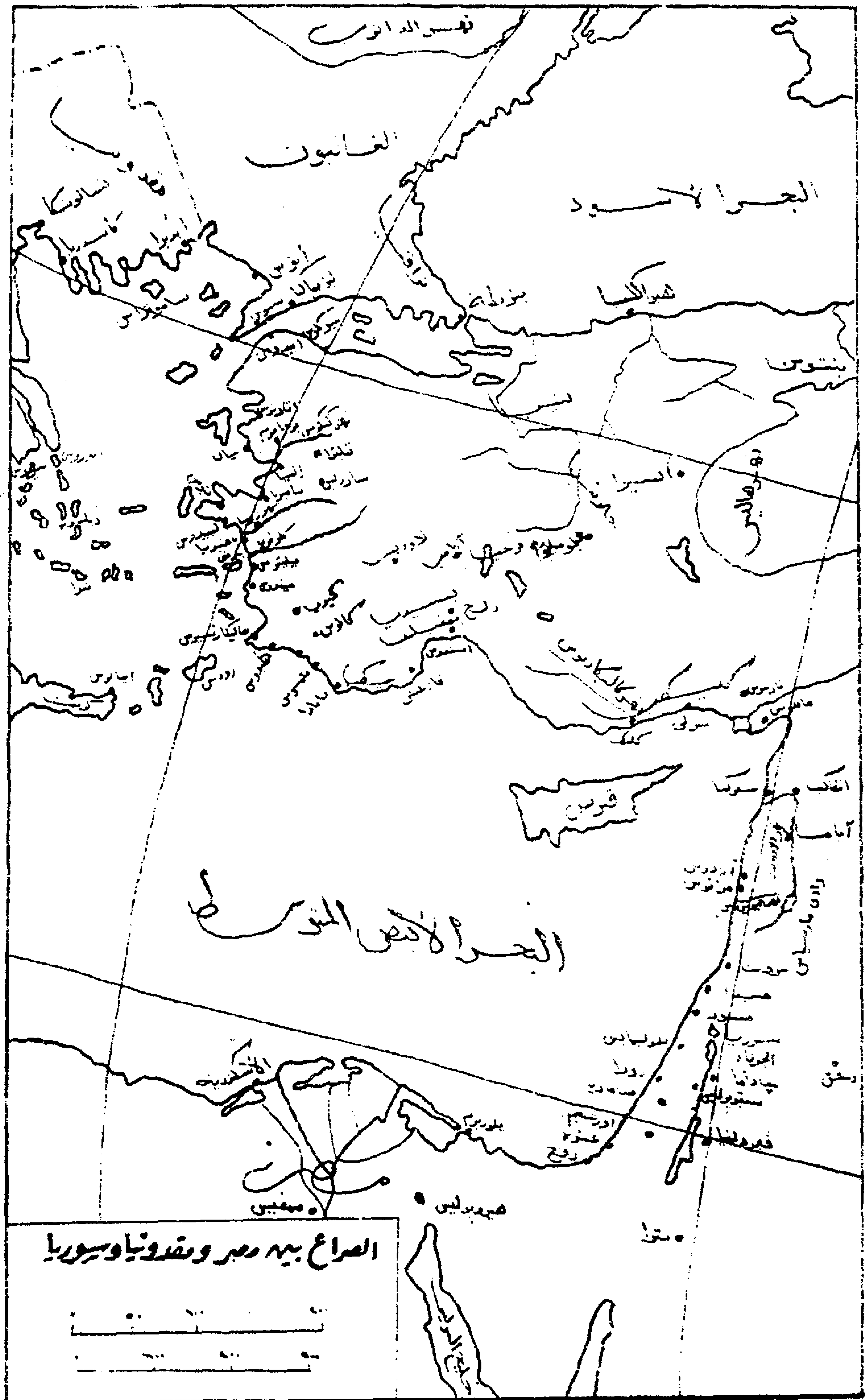
الوجه القبلي
منفيس
(الفيوم) كروكودوبوليس
(الفتح) افروديتوبوليس
نيلوبوليس
(إهناسيا) هيراكليوبوليس
(الحيبه) هيبونوس
(البهنسا) اوكسيرنيكوس
(هرمنتوبوليس)
سنوبوليس
نيودوسيبوليس
الواحة البحرية
سبيوس ارتميدوس
(الأشمونين) هرموبوليس ماجنا
انتينو
(القوصية) كوسيا
هيراكون
(أسيوط) ليكوبوليس
واحة الفرافرة
(شطب) هيبزيليس
ابولينوبوليس
(قاو الكبيرة) انتيوبوليس
هيباكوميا
(أخميم) بانوبوليس
(أبوتيج) افروديتوبوليس
بطليمايس
تنيس
صحراء ليبيا
(دندرة) تنترلس
قفط
ديوسبوليس برفا
(هو)
أبولينوبوليس بارفا
الواحة الخارجة
(أرمنت) هرمونتيس
ديوسبوليس ماجنا
(طيبة)
الواحة الداخلة
هيبيس
(الجبلين) باتيرلس
(أصفون) اسفينيس
(إسنا) لاتوبوليس
ايلثياسبوليس
(نخب)
(نخن) هيراكونبوليس
(أدفو) أبوليونوبوليس ماجنا
(جبل السلسلة) سيلزيليس
(كوم امبو) أمبوس
كم
اسوان
الفنتين
فيله
(الوادي حلفا)



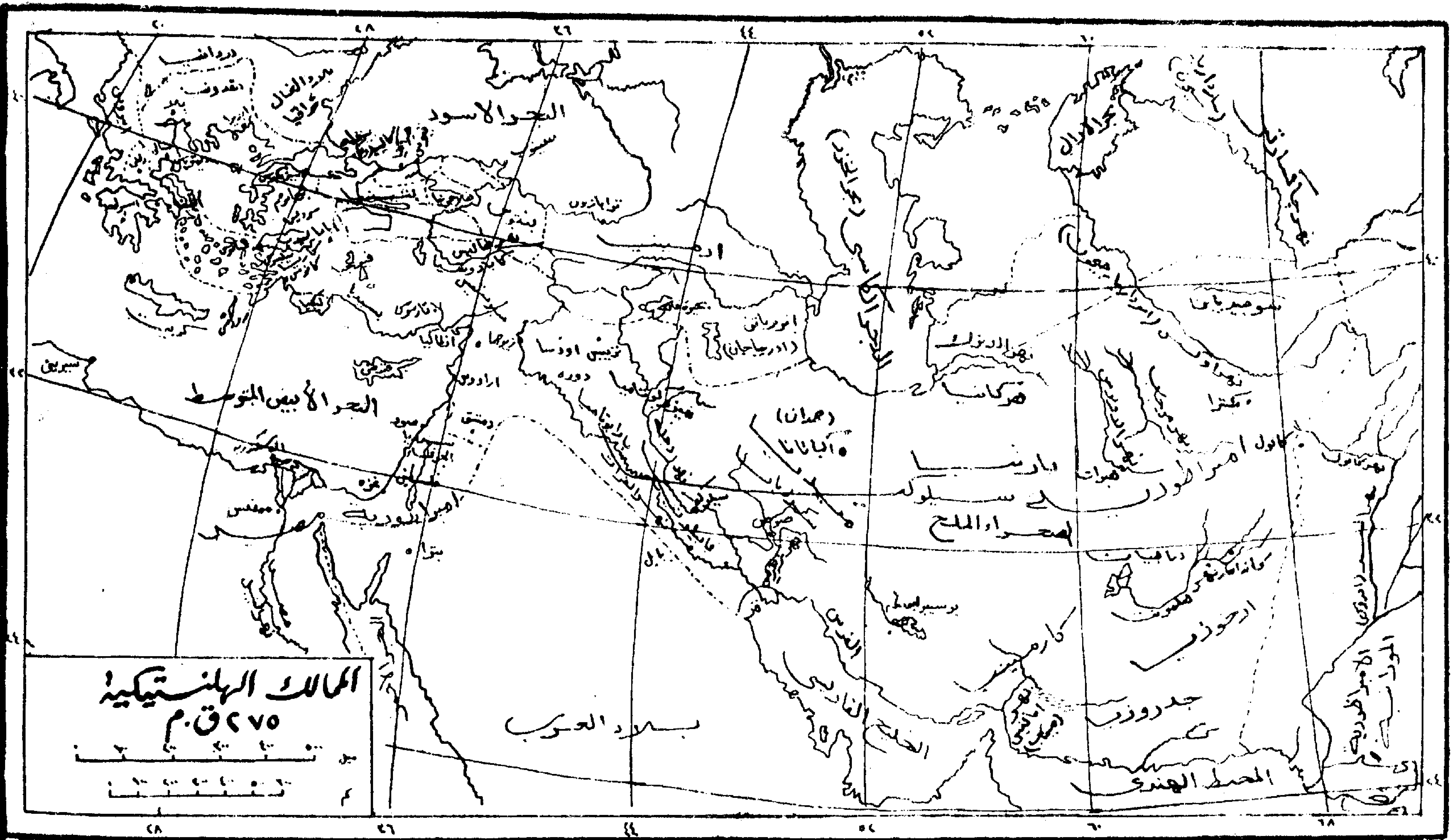
البحر الأبيض المتوسط
المصب السبنيتي
المصب الفاتنيتي
المصب المنديسي
المصب التانيتي
المصب البلوزي
المصب الكانوبي
المصب البولبيتي
الإسكندرية
كانوب
بحيرة مريوط
بحيرة إدكو
بحيرة البرلس
بحيرة المنزلة
بحيرة التمساح
منوف
بوتو
(تل الفراعين)
الكبيري
(سخا)
سايس
نقراطيس
(نقراش)
موميمفيس
(كوم الحصن)
تيرنوتيس
هرموبوليس بارفا
(دمنهور)
منديس
بوزيريس
(أبو صير)
اتريبس
(بنها)
بوباستيس
(تل بسطة)
فاقوس
بوتو
سترولس
هيروبوليس
(تل المسخوطة)
هليوبوليس
(عين شمس)
ليتوبوليس
(أوسيم)
منفيس
وادي الطرون
الوجه البحري



مصر الهلنستية
البحر الأبيض المتوسط
بلاد العرب



الصراع بين مصر ومقدونيا وسوريا
نهر الدانوب
البحر الأسود
هيراكليا
بنتوس
أنسيرا
قبرص
البحر الأبيض المتوسط
أنطاكية
دمشق
الإسكندرية
ممفيس
هليوبوليس
غزة
رفح



الممالك الهلنستيكية
٢٧٥ ق.م
ميل
كم
البحر الأسود
بحر آرال
البحر الأبيض المتوسط
بلاد العرب
الخليج الفارسي
المحيط الهندي
صحراء الملح
جدروزيا
ارخوزيا
هركانيا
مصر
غزة
ممفس
طرابزون
برسيبوليس
الفرس
كرمانيا

قائمة بتواريخ ملوك مصر من عهد الفتح الاسكندرى

(١) الأسكندر الأكبر خريف عام ٣٣٢ (؟) الى ١٣ يونية ٣٢٣ ق.م
(٢) فليب اريداوس ١٣ يونية ٣٢٣ الى ١٠ ابريل ٣١٦ ق.م
(٣) الأسكندر الرابع ١٠ إبريل ٣١٦ الى ٦ يناير ٣٠٤ ق.م
(٤) بطليموس الأول ٦ يناير ٣٠٤ الى أول نوفبر ٢٨٤ ق.م
(٥) بطليموس الثانى ٢ نوفبر ٢٨٥ الى ٢٧ يناير ٢٤٦ ق.م
(٦) بطليموس الثالث(اريجتيس) ٢٧ يناير ٢٤٦ الى ١٦ فبراير ٢٢١ ق.م
(٧) بطليموس الرابع فيلوباتور ٢١ فبراير ٢٢١ الى ٢٨ نوفبر ٢٠٥ ق.م
(٨) بطليموس الخامس إيفانس ٢٨ نوفبر ٢٠٥ إلى ٢٠ مايو ١٨٠ ق.م
(٩) بطليوس السادس فيلوموتور ٢٠ مايو ١٨٠ إلى ١٢ نوفبر ١٧٠ ق.م
(١٠) بطليوس السادس فيلومتور
وبطليوس الثامن إرجيتيس الثانى ١٢ نوفبر ١٧٠ إلى ١٣ أكتوبر ١٦٤ ق.م
وكليوبترا الثانية
(١١) بطليموس الثامن (أرجيتيس الثانى) وحده مباشرة فى أكتوبر ١٦٤ ق.م
مابين أول أبريل و ٢٩ أو ٢٤ مايو سنة ١٦٣ ق.م
(١٢) بطليموس السادس وكليوبترا الثانية يستردان الملك
مابين أول ابريل (؟) أو ٢٤ مايو ١٦٣ حتى ٢٧ سيتمبر ١٤٥ ق.م
(١٣) بطليموس السابع نيوس فيلوباتور حوالى ٢١ أغسطس ١٤٥ ق.م
(١٣) بطيموس الثامن ٢١ أغسطس ١٤٥ إلى ٢٨ يونية ١١٦ ق.م
(١٤) كليوبترا الثالثة وبطليموس التاسع
سوتر الثانى (سوتر لاتيروس) ٢٨ يونية إلى ٣٠ أكتوبر ١٠٧ ق.م

(١٥) كليوبترا الثالثة وبطليموس العاشر الاسكندر الأول | من ٣٠ أكتوبر ١٠٧ إلى ٢٦ أكتوبر ١٠١ ق م

(١٦) بطليموس العاشر الاسكندر الأول وكليوبترا برينيكى | ٢٦ أكتوبر ١٠١ إلى ٤ أكتوبر ٨٨ ق م

(١٧) بطليموس التاسع سوتر الثانى لاتيروس أعيد للملك | ٤ أكتوبر ٨٨ إلى ٢ ديسمبر ٨٨ ق م

(١٨) كليوبترا برنيكى بعد ذلك مع بطليموس الحادى عشر الاسكندر الثـــانى | من (؟) ديسمبر سنة ٨١ إلى فبراير سنة ٨٠ ق م أو من (؟) يوليه إلى سبتمبر سنة ٨٠ ق م

(١٩) بطليموس الثانى عشر تيوس ديونيسوس من سبتمبر سنة ٨٠ إلى ١١ يولية ٥٨ ق م (الزمار)

(٢٠) برنيكى الرابعة أولا مع كليوبترا تريفانا | ١١ يولية إلى سنة ٥٨ إلى ٦ إبريل سنة ٥٦ ق م

(٢١) برنيكى الرابعة وارخلوس ٧ مارس سنة ٥٦ إلى ٢٢ إبريل سنة ٥٥ ق م

(٢٢) بطليموس الثانى عشر نيوس ديونيسوس الزمار (أعيد للملك) ٢٢ إبريل سنة ٥٥ إلى ٢٢ مارس ٥١ ق.م

(٢٣) كليوبترا السابعة فيلوباتور من ٢٢ مارس سنة ٥١ إلى ٣٠ أغسطس سنة ٣٠ ق م

(٢٤) القيصر أوكتاف أغسطس من ٣١ أغسطس سنة ٣٠ ق م

فهرس الموضوعات

تاريخ مصر فى عهد الاسكندر الأكبر وبداية عهد البطالمة

المصادر الأفرنجية

وتحتوى على مختصر اهم اسماء الدوريات والأوراق البردية الديموطيقية والاغريقية والمؤلفات الحديثة التى كتبت عنها وقد ذكر فى صلب الكتاب مصادر أخرى هامة كل فى مكانه

A.F.O. = Archiv. fur Orientforschung, Berlin.
A.S. = Annales du Service des Antiquités de l'Egypte, Le Caire.
A.Z. =
Zeitschrift fur Aegyptische sprache und Altertumkunde Leipzig.
Adler Papyri = E.N. Adler, J.G. Tait, F.M.
Heichelheim, The Adler Papyri; the Greek Texts, 1939.
P. Alexandrin, = Mahaffy, in B.C.H. XVIII, 1894, PP. 145-54.
OGIS = W. Dittenberger, Orientis Graeci Inscriptiones Selectae, Lipsiae, 1903-5.
O. Strassb = P. Viereck, Griechische und Griechische-demotesche Ostraka der Universitats — und Landesbibliothek zu Strassburg, Berlin 1923.
P. Amh. = B.P. Grenfell and A.S. Hunt, The Amherst Papyri, London, 1900, 1901
P. Col. Zen. = W.L. Westermann, E.S. Hasenoehrl.
C.W. Keyes, and H. Liebesny, Zenon Papyri. New York, 1934-40.
P. Bad. Fr. Bilabel. Griechische Papyri, Veroffentlicht aus den badischen Paprussammlungen. II, IV. Heidelberg, 1923-4.
P.C.Z. = P. Cairo zen. C.C. Edgar. zenon Papyri, I, II, Catal, Gén. des Ant. Eg. du Musée du Caire. Cairofi 1925, 1927.
C.F.C.C. Edgar, Selected Papyri from the Archives of Zenon, Ann. Serv. 18-24 (Nos. I-III) The Papyri of the correspondence of Zeno have been published also in P.S.I., Vols. IV-VII, in P. Corn. and by Fr. Bilabel, in F. Preisigke, Sammelbuch, III, Nos. 6707-6820. Scattered Papyri of the Zenon correspondence which came to light after the publication of Bilabel : H.I. Bell, Raccolta Lumbroso, P. 13; Symbolae Osloenses, 1927, P. 14. W.L. Westermann, Mem. Amer. Acad. Rome, VI, 1927, P. 147.

P. Cornell = W.L. Westermann and C.J. Kraemer, Jr. : Greek Papyri in the Library of Cornell University. New York, 1926.

P. Eleph. = O. Rubensohn, Elephantine Papyri. Berlin, 1907.

P. Eleph = Elephantine - Papyri, bearbeitet von Rubensohn, mit Beitragen von Schubart und Spiegelberg. Berlin, 1907. (Special volume of B.G.U.).

P. Fay. B.P. Grenfell, A.S. Hunt and D.G. Hogarth, Fayûm Towns and their Papyri. Oxford, 1900.

P. Frankf. II. H. Lewald. Aus der Frankfurter Papyrus Sammlung, Z. d. Sav. Stift. XLII, 1921, P. 115.

P. Freib. 12-38. J. Partsch and U. Wilcken.

Mitteilungen aus der Freiburger Papyrussammlung, 3. Juristische Urkunden der Ptolemaerzeit. Abh. der Heid. Ak. d. Wiss Philos.-hist. Kl. 7, Heidelberg, 1927.

P. Giss. Griechische Papyri im Museum des Oberhessischen Geschichtsvereinss zu Giessen, im verein mit O. Eger herausg. und erkl. Von E. Kornemann und P.M. Meyer. I. Leipzig, 1910-12.

P. Gradenwitz = G. Plaumann, Sitzungsber, der Heidelberger Akademie des Wissenschaften, Phil.-hist. Kl. 1914, Abh. 15.

P. Grenf. = B.P. Grenfell, an Alexandrian Erotic Fragment, etc. Oxford, 1896. B.Pfl Grenfell and A.S. Hunt, New Classical Fragments, Oxford, 1897.

Gradenwitz, O., Preisigke, F. and Spiegelberg, W. Ein Erbstreit aus dem Ptolemaischen Aegypten. Strassburg, 1912.

P. Gurob = J.G. Smyly, Greek Papyri from Gurob. Dublin, 1921.

P. Hamb. = P.M. Meyer, Griechische Papyrus urkunden der Hamburger Staats-und Universitatsbibliothek. Leipzig - Berlin, 1911-24.

P. Hib. The Hibeh Papyri. Ed. by B.P. Grenfell and A. Hunt. I, London, 1906.

P. Kairo dem. W. Spiegelberg, Die demotischen Papyrus. Catal. gén. des Ant. tg. du Musée du Caire. Cairo, 1908.

Glanville: Catalogue of Demotic Papyri in the British Muesuem, Vol. I. A Theban Archive of the Reign of Ptolemy I, Soter.

P. Leyd. G. Leemans, Papyri Gracci Musei, Antiquarii, I. Leyden. 1843.

P. Lille, Papyrus Grecs publiés sous la direction de P. Fouguet avec la collaboration de P. Collart, F. Lesquier, M. Xoual. I, II. Paris, 1907-27.

P. Lille dem. H. Sottas, Papyrus démotiques de Lille. Paris, 1921.

P. Lille = P. Jouguet (éd.), Papyrus grecs, (Institut Papyrologique de l'Université de Lille). 1907-28.
P. Lips. = Lt. Mitteis, Griechische Urkunden der Papyrussammlung zu Leipzig, I. Leipzig, 1906.
P. Lond. Greek Papyri in the British Museum. Catalogue with Texts. I, 1893 and II, 1898, ed. by F.G. Kenyon; III, 1907, ed. by H.I. Bell and F.G. Kenyon.
P. Magd. See P. Lille, II. CF. P. Jouguet, Raccolta Ramorino, Milan, 1927, P. 381.
P. Lond. = F.G. Kenyon and H.I. Bell, Greek Papyri in the British Museum. London, 1893-1917.
P. Magd. = P. Lille II. (Papyri from Magdola).
P. Mich. = Michigan Papyri. Ann Arbor, 1931.
P. Mich. Zen. = Edgar, Zenon Papyri in the University of Michigan Collection. Ann Arbor, 1931.
P. Oxy. = The Oxyrhynchus Papyri. London, 1898.
P. Petr. = J.P. Mahaffy and J.G. Smyly, The Flinders Petrie Papyri, i-iii. Dublin, 1891-1905.
P. Rein. Th. Reinach. Papyrus grecs et démotiques. Paris, 1905.
R.L. or Rev. Laws. Revenue Laws of Ptolemy Philadelphus. Ed. by B.P. Grenfell. Oxford, 1896.
P. Ryl. = Catalogue of the Greek Papyri in the John Rylands Library, Manchester. Manchester, 1911.
PSI = G. Vitelli and others, Publicazioni della società italiana per la Ricerca dei Papiri Greci e Latini. Firenze, 1912.
P. Strassb. = F. Preisigke, Griechische Papyrus der Kaiserlichen Universitats und Landesbibliothek zu Strassburg. 1906-20.
P. Tebt. = The Tebtunis Papyri. London, 1902-38.
Rev. Laws = B.P. Grenfell, Revenue Laws of Ptolemy Philadelphus. Oxford, 1896.
Bevan = E. Bevan, A History of Egypt under the Ptolemaic Dynasty, 1927.
Bouché-Leclercq = Bouché-Leclercq, Histoire des Lagides, i-iv, 1903-7.
Cowley = Cowley, Aramaic Papyri of the Fifth Century B.C., 1923.
BCH = Bulletin de Correspondance Hellénique. Paris, 1877.
Berl. Phil: Woch. = Berliner Philologische Wochenschrift. Leipzig, 1881-1920.
B.G.U. Aegyptische Urkunden aus den Museen zu Berlin. Griechische Urkunden, I-V, 1895-1919 ; VI, 1922 ; VII, 1926.

B.I.F.A.O. = Bulletin de l'Institut Français d'Archéologie Orientale, Le Caire.
Chr. d'Eg. = Chronique d'Egypte. Brussels, 1925.
JEA = Journal of Egyptian Archaeology. London, 1914.
J. Jur. Pap. = Journal of Juristic Papyroslogy. New York, 1946 : Warsaw, 1947.
J.H.S. = Journal of Hellenic Studies. London.
Theodore Cressy Skeat : The Reigns of The Ptolemies Munchen 1954.
Demotic Ostraca, From Medinet Habu, by Miriam Lichtheim, (1957).
Dikaiomata. Dikaiomata, Auszuge aus Alexandrinischen Gesetzen herausgegeben von der Graeca Halensis. Berlin, 1913.
Jouguet, P. l'Impérialisme Macédonien et l'Hellénisation de l'Orient. (Evolution de l'Humanité). Paris, 1926.
Kaerst, J. Geschichte des Hellenismus. II, 2. Leipzig, 1926.
Lumbroso, G. L'Egitto dei Greci e dei Romani. Ed. 2. Rome, 1896.
L.D. = Lepsius, C.R. Denkmaler aus Aegypten und Aethiopien. Berlin 1894.
Kornemann, E. Die Geschwisterehe im Altertum. Mitt, der Schlesischen Gesellschaft fur Volkskunde, XXIV, 1923, P. 17. CF. Klio, XIX, 1925, P. 355 and F. Cumont in C.R. Ac. Inscr. 1924, P. 53, and in Doura-Europos, 1926, P. 377.
Launey = M. Launey, Recherches sur les Armées Hellénistiques, i-ii, 1949-50.
NB = Preisigke, Namenbuch enthaltend alle Menschennamen, Soweit sie in Griechischen Urkunden Agyptens sich vor Finden, 1922.
Le Febvre, G. Le Tombeau de Pétosiris. Cairo, 1924.
Luys, E. Vie de Pétosiris, grand prêtre de Thot à Hermupolis-La-Grande. Brussels, 1927.
Mallet, D. Les premiers établissements des Grecs en Egypte. Paris. 1893.
Phil. (I, II, etc.) = Demotic Papyri from Diraa Abu'l Naga in the University Mueseum at Philadelphia, listed by N.J. Reich, Mizraim VII. PP. ff.
Pfeiffer, R. Arsinoe Philadelphos in der Dichtung. Die Antike, 11, 1926, P. 161.
Glotz, G. Les Fêtes d'Adonis sous Ptolémée II. Rev. Eg. XXXIII, 1920, P. 169.
UPZ = U. Wilcken, Urkunden der Ptolemaerzeit, Berlin und Leipzig, 1922.
W. Chr. = L. Mitteis and U. Wilcken, Grundzuge und Chrestomathie der Papyruskunde, 1 - 2. Leipzig - Berlin, Teubner, 1912.

Preaux. L'Economie Royale des Lagides.

PG = Patrologia Graeca.

RE = Pauly-Wissowa, Real - Encyklopadie der Classischen Altertumswissenschaft, 1894.

Rostovtzeff, SEHHW = M. Rostovtzeff, Social and Economic History of the Hellenistic World, I-III, 1941.

Proc. Soc. Bibl. = Proceedings of the Society of Biblical Archaeology. London, 1879.

Rev. Arch. = Revue Archtologique. Paris, 1844.

Sav. Ztschr. =

Zeitschrift der Savigny-Stiftung fur Rechtsgeschichte. Weimar, 1880.

Rostovtzeff S.E.H.E. = M. Rostovtzeff, Social and Economic History of the Roman Empire, 1926.

Roth = J.M. Roth, Greek Papyri Lights on Jewish History 1924.

Schurer = E. Schurer, Geschichte des Judischen Volkes im Zeitalter Jesu Christi, i-iii, 1901-9.

Die Satrapenpolitik des ersten Lagiden. Raccolta Lumbroso. Milan, 1925, P. 225.

Otto, W. Zum Hofzeremoniell des Hellenismus, Epitumvion H. Swoboda dargebracht, Reichenberg, 1927, P. 194.

S.B. = F. Preisigke and F. Bilabel, Sammelbuch Griechischer urkunden aus Agypten.

Vols. 1-2 : Strassburg - Berlin, 1913-22;

Vol. 3 : Berlin, 1926-7; Vols. 4-5; Heidelberg, 1931-8.

Schubart, Pap. Graec. Berol. = W. Schubart, Papyri Graecae Berolinenses. Bonn, 1911.

Schubart, W. Einfuhrung in die Papyruskunde. Berlin, 1918.

— Aegypten, von Alexander dem Grossen bis auf Mohammed. Berlin, 1922.

— Von der Flugelsonne zum Halbmond. Leipzig, 1926.

S.E.G. = Supplementum Epigraphicum Graecum. Leyden, 1923.

Syll. = W. Dittenberger, Sylloge Inscriptionum Graecarum, editio Tertia, Leipzig, 1915-27.

Tarn, W.W. Hellenistic Civilisation. London, 1927.

Ehrenberg, V. Alexander und Aegypten. Beihefte zum Alten Orient, VII, Leipzig, 1926.

Taubenschlag = R. Taubenschlag, The Law of Greco-Roman Egypt in the Light of the Papyri, 1944.

Wallace = Wallace, Taxation in Egypt from Augustus to Diocletian, 1938.

Victor A. Tcherikover = Corpus Papyrorum Judaicarum, Volume I.
St Tracy, III Maccabees and Pseudo-Aristeas. A Study. Yale Class. Studies, 1928.
W.B. = F. Preisigke und E. Yiessling, Worterbuch der griechischen Papyrusurkunden. 1925.
W. Grundz. = U. Wilcken, Grundzuge und Chrestomathie der Papyruskunde, kunde, i. I. (Historischer Teil, Grundzuge), 1912.
Wilcken, Ant. = U. Wilcken, zum Alexandrinischen Antisemitisinus. Abh. d. Sachs. Ges. d. Wiss. 27, 1909. PP. 788 Sqq.
Wilcken, Ostr. = U. Wilcken, Griechische Ostraka aus Agypten und Nubien, v. i., 1899.
Witkowski, Epist. Priv. Graecae = S. Witkowski, Epistulae privatae Graecae quae in Papyris aetatis Lagidarum servantur, editio Altera. Leipzig, 1911.
Wo = U. Wilcken, Griechische Ostraka aus Agypten und Nubien, Vol. ii. Leipzig-Berlin, 1899.

كتب للمؤلف

بالعربية :

(١) مصر القديمة : الجزء الاول فى عصر ماقبل التاريخ الى نهاية العهد الاهناسى
(٢) مصر القديمة : الجزء الثانى فى مدنية مصر وثقافتها فى الدولة القديمة والعهد الاهناسى .
(٣) مصر القديمة : الجزء الثالث فى العصر الذهبى فى تاريخ الدولة الوسطى ومدنيتها وعلاقتها بالسودن والاقطار الآسيوية ولوبيا .
(٤) مصر القديمة : الجزء الرابع فى عهد الكهسوس وتاسيس الامبراطورية .
(٥) مصر القديمة : الجزء الخامس فى السيادة العالمية والتوحيد ويبحث فى علاقات مصر مع ممالك آسيا وسيادة مصر عليها وأول عقيدة للتوحيد بالله .
(٦) مصر القديمة : الجزء السادس فى عصر رعمسيس الثانى وقيام الامبراطورية الثانية .
(٧) مصر القديمة : الجزء السابع فى مرنبتاح ورعمسيس الثالث .
(٨) مصر القديمة : الجزء الثامن فى نهاية عصر الرعاسمة وقيام دولة الكهنة فى طيبة فى عهد الاسرة الواحدة والعشرين .
(٩) مصر القديمة : الجزء التاسع فى نهاية الاسرة الواحدة والعشرين وحكم دولة اللوبيين لمصر حتى بداية العهد الاثيوبى ولمحة فى تاريخ العبرانيين .
(١٠) مصر القديمة : الجزء العاشر فى تاريخ السودان المقارن الىأوائلعهدبيعنخى
(١١) مصر القديمة : الجزء الحادى عشر تاريخ مصر والسودان من أول عهد بيعنخى الى نهاية الاسرة الخامسةوالعشرين ولمحة فى تاريخ آشور .
(١٢) مصر القديمة : الجزء الثانى عشر فى عهد النهضة المصرية ولمحة فى تاريخ الاغريق .
(١٣) مصر القديمة : من عهد الفرس الى دخول الاسكندر الاكبر ولمحة فى تاريخ السودان فى ذلك العهد ونبذة فى تاريخ الفرس وقناة السويس قديما .
(١٤) جغرافية مصر القديمة : (محلاة باحدى واربعين خريطة) .
(١٥) الادب المصرى القديم أو أدب الفراعنة : الجزء الاول فى القصص والحكم والتأملات والرسائل .
(١٦) الادب المصرى القديم أو ادبالفراعنة : الجزء الثانى فىالدراما والشعر وفنونه.

بالفرنسية :

1. Hymnes Religieux du Moyen Empire : 199 Pages, 1923, Le Caire).
2. Le Poème dit le Pantaour et le Rapport Officiel sur la bataille de Qadesh, 162 plates. Universite Egyptienne. Faculte des Lettres, (1929, Le Caire).
3. Le Sphinx a la Lumière des Fouilles Récentes.

بالإنجليزية :

1. « *Excavations at Giza* », Vol. I, (1929-1930); 119 pages, 81 Plates, 187 Illustrations in the Text Plan (Oxford 1932).
2. " " " Vol. II, (1930-1931); 225 pages, 83 Plates, 251 Illustrations in the Text 2 Plans (Cairo 1936).
3. " " " Vol. III, (1931-1932) 229 pages, 71 Plates, 227 Illustrations in the Text, 2 Plants, (Cairo, 1941).
4. " " " Vol. IV, (1932-1933) ; 218 pages, 62 Plates, 159 Illustrations in the Text, 3 Plans. (Fourth Pyramid), (Cairo 1943).
5. " " " Vol. V, (1933-1934). 325 Pages, 79 Plates, (3 coloured), 169 Illustrations in the Text, 2 Plans, (Cairo, 1944).
6. " " " Vol. VI. Part I. « The Solar Boats », (1934-1935). Cairo, 1947).
7. " " " Vol. VI, Part II. « The Offering-List in the Old Kingdom », 504 pages, 174 Plates, and numerous illustrations in the Text, (Cairo 1948).
8. " " " Vol. VI, Part III, a Description of the Mastabas and their Contents (1936-1939).
9. " " " Vol. VII, (1935-1936).
10. " " " Vol. VIII, « The Great Sphinx and its Secrets » (1936-1937), (Cairo, 1954).
11. " " " Vol. IX, (In Print).
12. " " " Vol. X, (In Print).
13. " " Saqqara. Vol. I, (In Print).
14. " " " Vol. II, (In Print).
15. " " " Vol. III, (In Print).
16. « The Sphinx. Its History in the light of Recent Excavations. »

فهرس الأشكال والمصورات الجغرافية

خرائط جغرافية

٢٠٠٠/١٠٥٨٥

I.S.B.N. 977-01-6785-1

تم طباعة الموسوعة بالتعاون مع
شركة نهضة مصر للطباعة والنشر 





بين الحلم والواقع كانت مسافة زمنية ربما بدت لى طويلة أو مختلفة ولكن الأهم أن الحلم أصبح واقعًا ملموسًا حيًا يتأثر ويؤثر، وهكذا كانت مكتبة الأسرة تجربة مصرية صميمة بالجهد والمتابعة والتطوير، خرجت عن حدود المحلية وأصبحت باعتراف منظمة اليونسكو تجربة مصرية متفردة تستحق أن تنتشر فى كل دول العالم النامي وأسعدنى انتشار التجربة ومحاولة تعميمها فى دول أخرى. كما أسعدنى كل السعادة احتضان الأسرة المصرية واحتفائها وانتظارها وتلهفها على إصدارات مكتبة الأسرة طوال الأعوام السابقة.

ولقد أصبح هذا المشروع كيانًا ثقافيًا له مضمونه وشكله وهدفه النبيل. ورغم اهتماماتى الوطنية المتنوعة في مجالات كثيرة أخرى إلا أننى أعتبر مهرجان القراءة للجميع ومكتبة الأسرة هى الإبن البكر، ونجاح هذا المشروع كان سببًا قويًا لمزيد من المشروعات الأخرى.

ومازالت قافلة التنوير تواصل إشعاعها بالمعرفة الإنسانية، تعيد الروح للكتاب مصدرًا أساسيًا وخالدًا للثقافة. وتوالى «مكتبة الأسرة» إصداراتها للعام الثامن علي التوالى، تضيف دائمًا من جواهر الإبداع الفكرى والعلمى والأدبى وتترسخ على مدى الأيام والسنوات زادًا ثقافيًا لأهلى وعشيرتى ومواطنى أهل مصر المحروسة مصر الحضارة والثقافة والتاريخ.

سوزان مبارك



Bibliotheca Alexandrina
05777482

مكتبة الأسرة 2001

مهرجان القراءة للجميع



الهيئة المصرية العامة للكتاب

سعر رمزى
خمسة جنيهات